

Cornell University Library  
DT 104.R13

Asr Muhammad Ali /



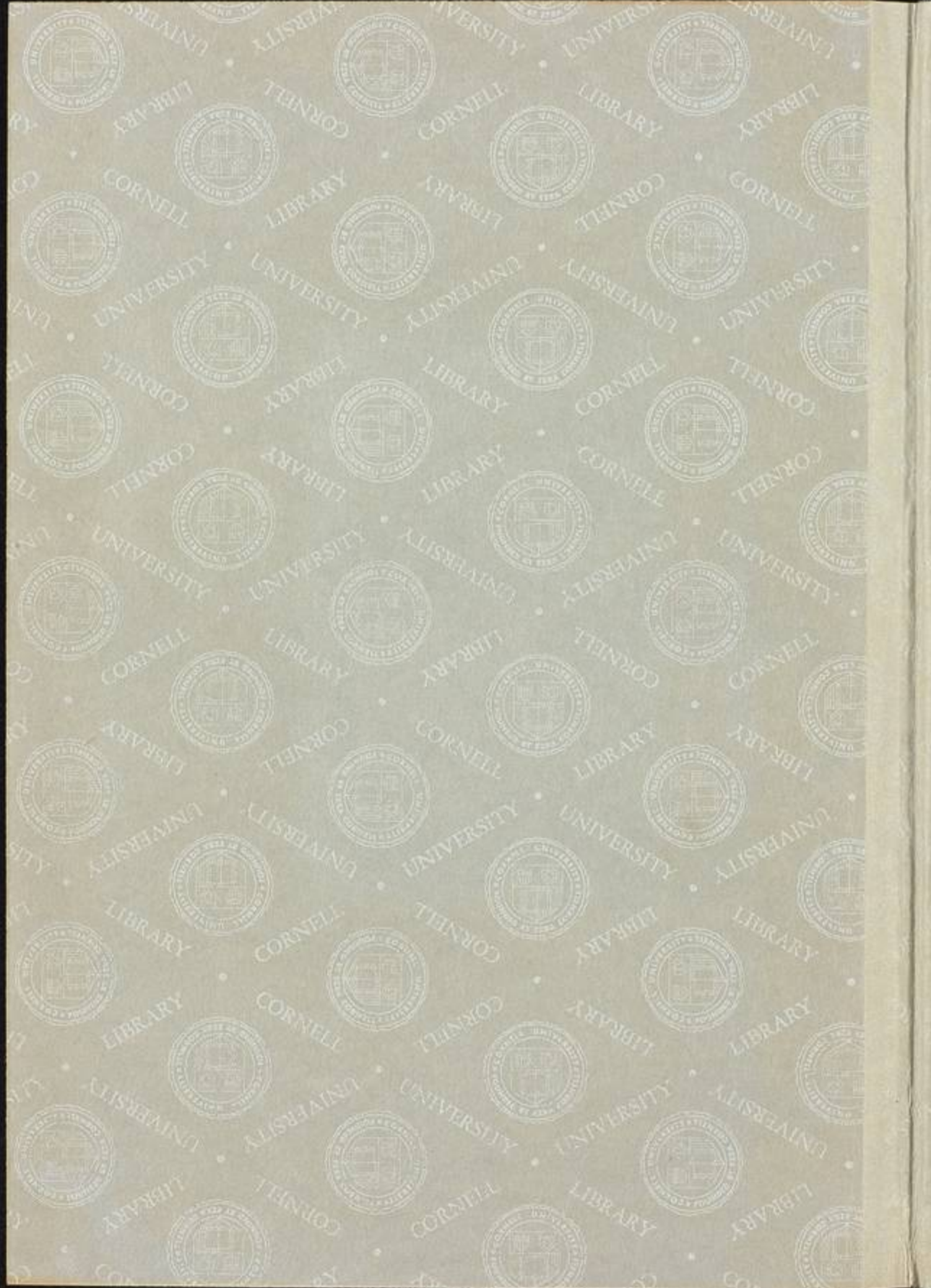
3 1924 028 720 898 010.001

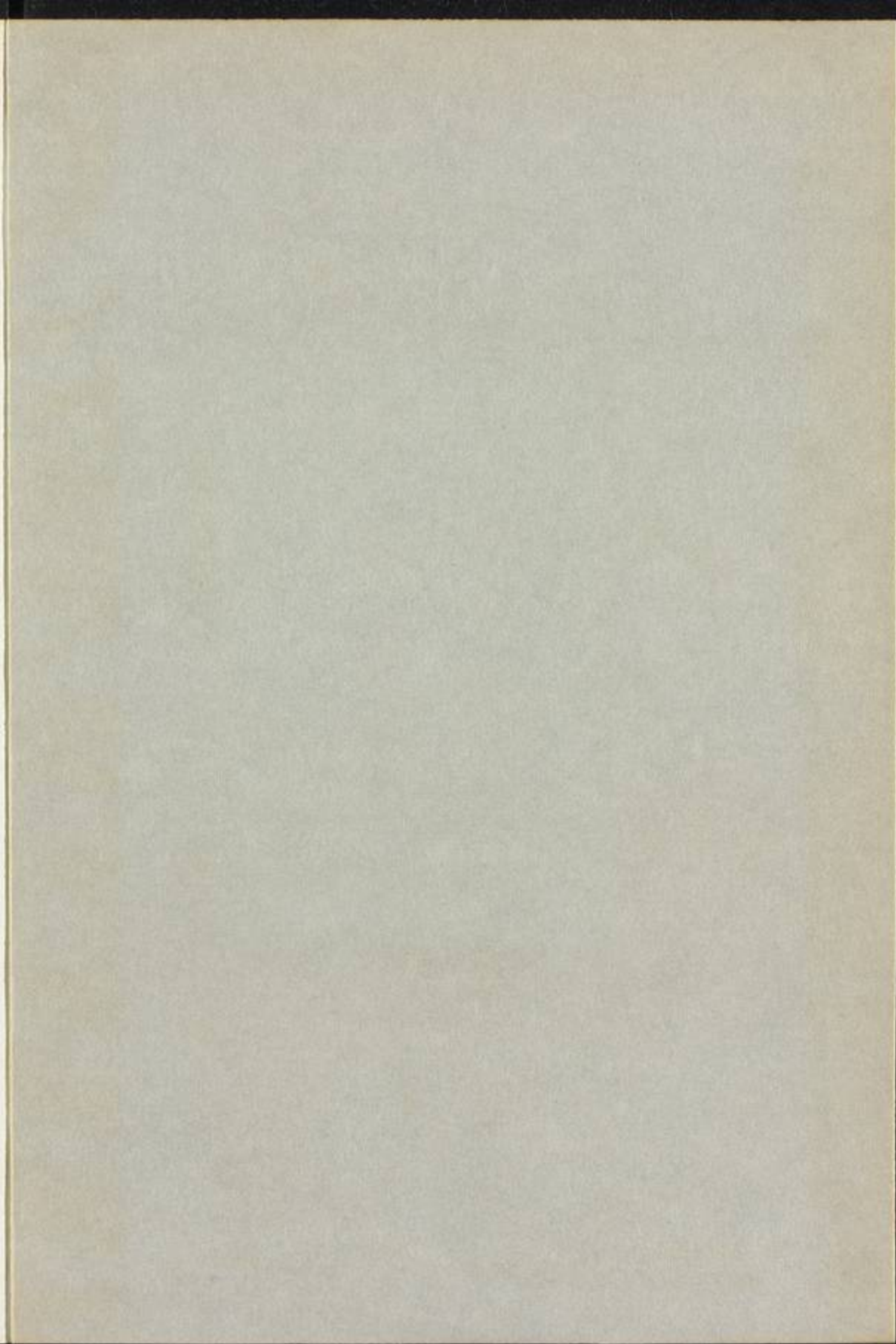
DT  
104  
R13 +

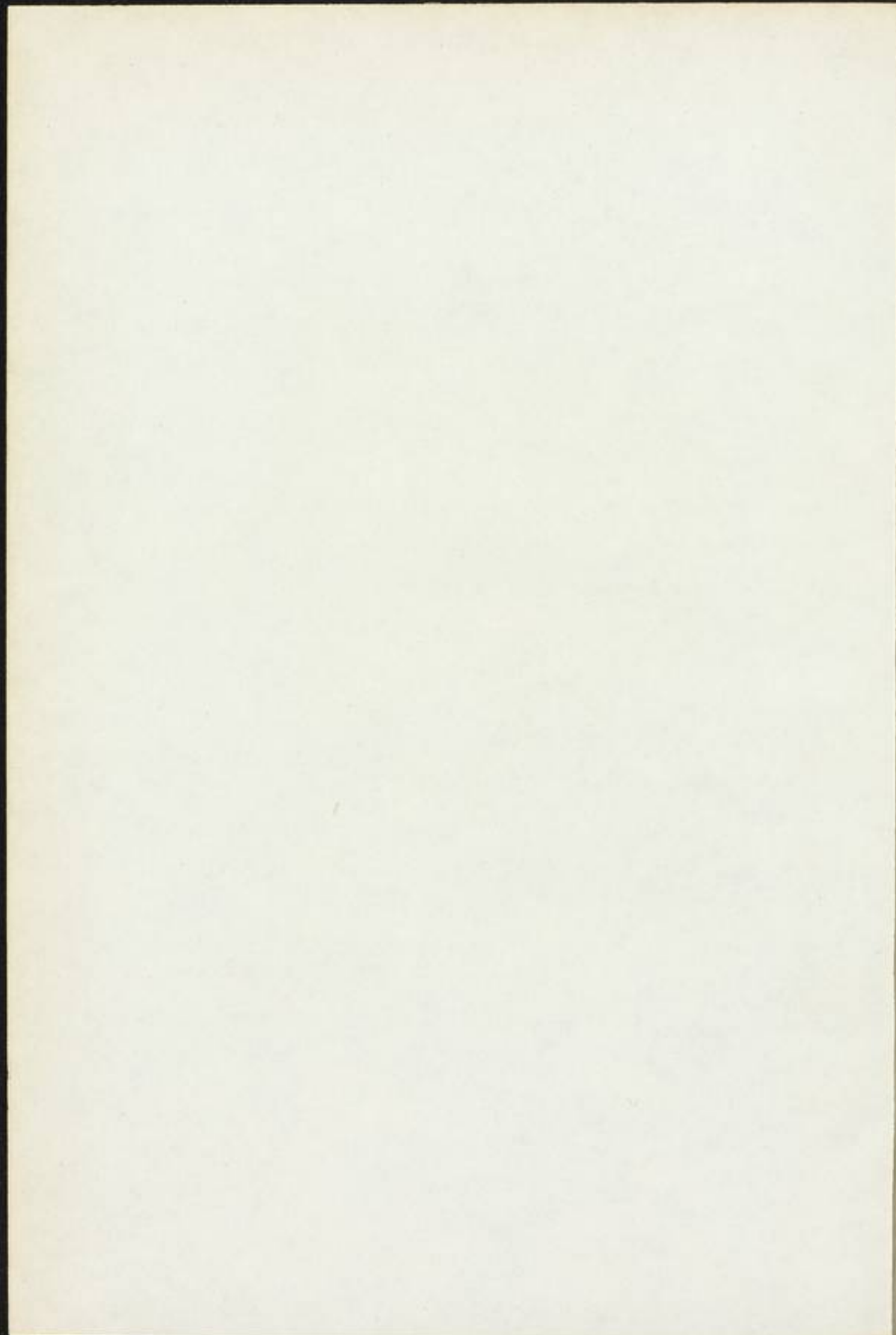
CORNELL  
UNIVERSITY  
LIBRARY

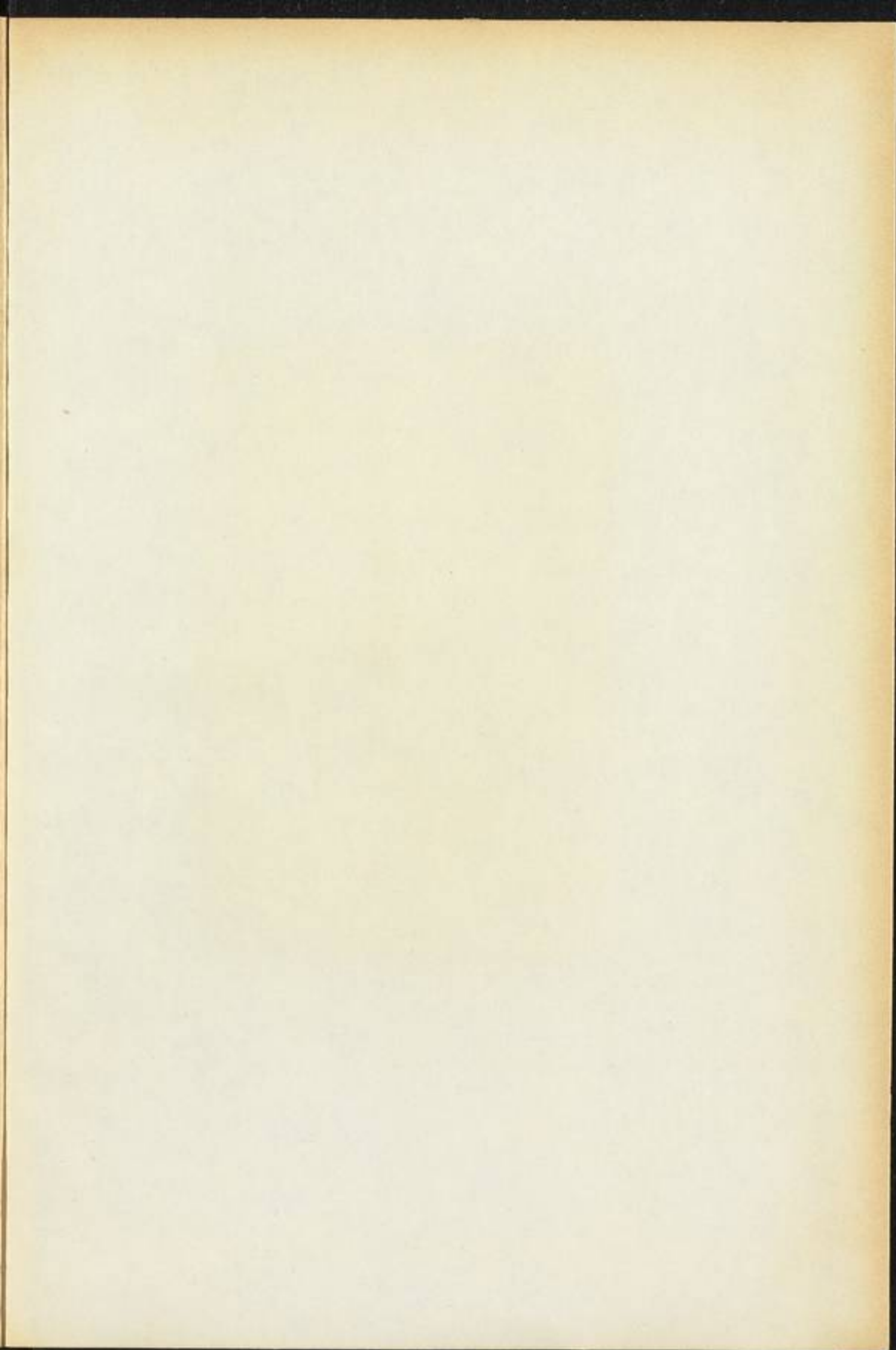


BOUGHT WITH THE INCOME  
OF THE SAGE ENDOWMENT  
FUND GIVEN IN 1891 BY  
HENRY WILLIAMS SAGE









# عَمْرٌو مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ

بقلم

عبد الرحمن الراجحي بك

الطبعة الثالثة

سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

الناشر

مكتبة النهضة المصرية  
٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

الشن ٥٠ ج

القاهرة

مطبعة الفكرة

٧ شارع منشأة الفاضل - ميدان الاسماعلية



DT  
104  
R13+

13719282  
35  
S

V.A.R.



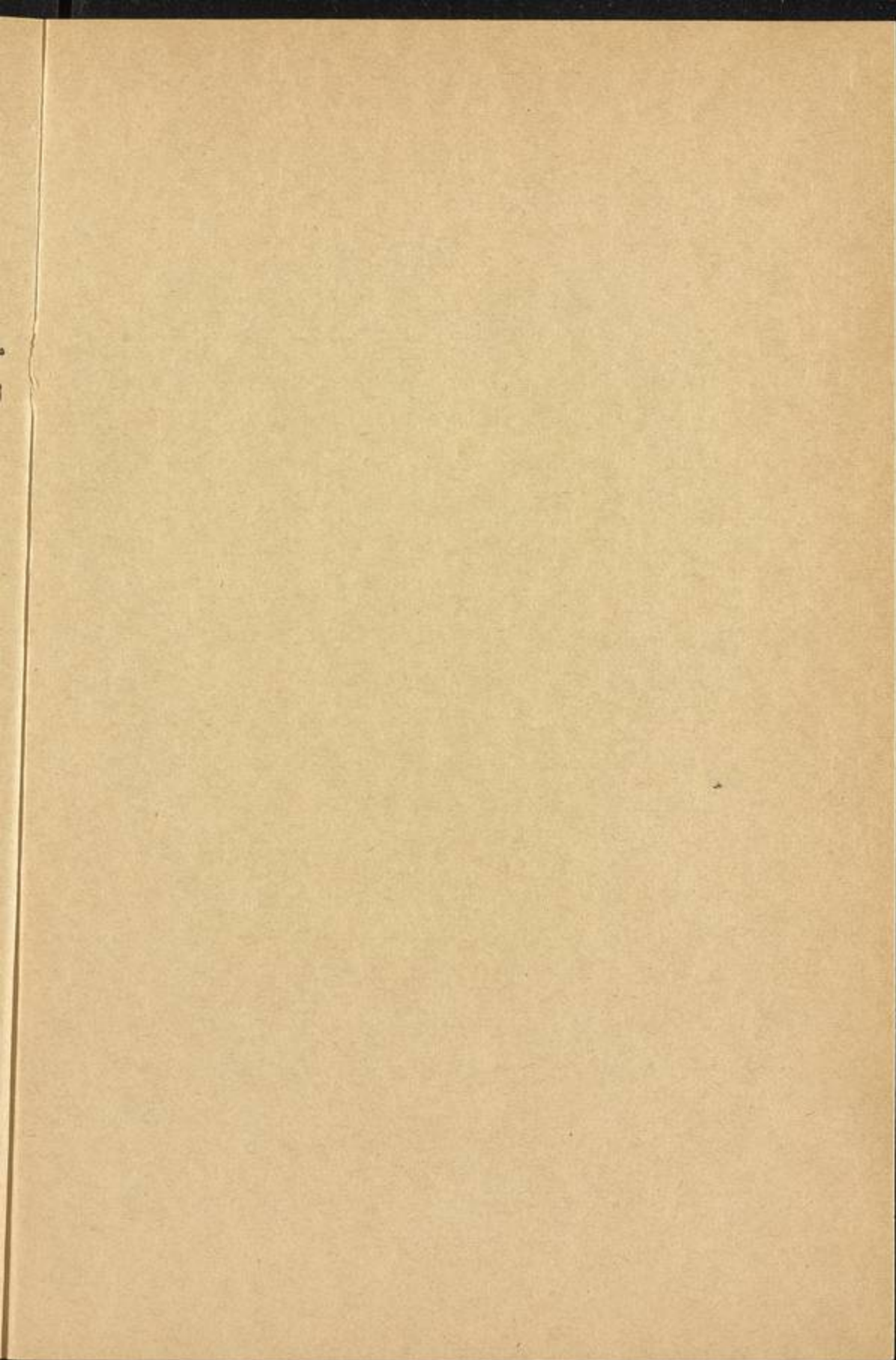


## مقدمة الطبعة الثالثة

ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب في مارس سنة ١٩٤٧ وقد ظهرت بعدها بحوث ودراسات قيّمة عن عصر محمد علي ، لمناسبة الذكرى المئوية لابراهيم باشا سنة ١٩٤٨ ، والذكرى المئوية لمحمد علي الكبير سنة ١٩٤٩ ، وراجعتها جميعاً فلم أرفها تعارضا مع ما كتبت ، ورأيت فيها تفصيلا لبعض ما أجملت ؛ أما الخطوط الرئيسية فهي هنا وهناك متطابقة متماثلة ، وهذا ما جعلني أحرص على أن لا أزيد شيئاً على الطبعة الثانية ، اللهم إلا إضافات يسيرة حرصت على إثباتها في هامش الكتاب تحت عنوان ( هامش الطبعة الثالثة )

وأود أن أنوه إلى أن هذا الكتاب يتناول « عصر محمد علي » ، ويشتمل على تاريخ مصر القومي في عهده ، أي منذ سنة ١٨٠٥ ، أما نشأته وتاريخ حياته ، وتطور الحوادث التي انتهت بولايته حكم مصر ، فقد فصلنا الحديث عن ذلك كله في الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية » ، إذ أفردت ( الفصل الثالث عشر ) منه للكلام عن « نتائج ظهور العامل القومي على مسرح الحوادث السياسية ، من جلاء الفرنسيين عن البلاد سنة ١٨٠١ إلى إرتقاء محمد علي أريكة مصر سنة ١٨٠٥ »

هذا ؛ وقد أشرت في مقدمة الطبعة الثانية إلى سلسلة هذه المجموعة ، وألمعت في ختامها إلى أنه لم يبق منها إلا كتاب « في أعقاب الثورة المصرية » ، وقد يسر الله لي إخراج الجزء الأول منه في يولييه سنة ١٩٤٧ ، والجزء الثاني في نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، والأول يشتمل على تاريخ مصر القومي من ابريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ ، ويحتوي الثاني على تاريخ مصر القومي من وفاة سعد إلى وفاة الملك فؤاد الأول في ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٦ .



## أقسام الكتاب

- مقدمة الطبعة الثالثة - مقدمة الطبعة الثانية - مقدمة الطبعة الأولى
- الفصل الأول - الزعامة الشعبية في السنوات الأولى من حكم محمد علي
- الفصل الثاني - الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧ وفشلها
- الفصل الثالث - اختفاء الزعامة الشعبية من الميدان
- الفصل الرابع - انفراد محمد علي بالحكم
- الفصل الخامس - تحقيق الاستقلال القومي - حروب مصر في عهد محمد علي
- الفصل السادس - فتح السودان وتحقيق وحدة وادي النيل
- الفصل السابع - حرب اليونان
- الفصل الثامن - الحرب في سورية والأناضول
- الفصل التاسع - معاهدة لندن ومركز مصر الدولي
- الفصل العاشر - دعائم الاستقلال - الجيش
- الفصل الحادى عشر - الأسطول
- الفصل الثانى عشر - التعليم والنهضة العلمية
- الفصل الثالث عشر - أعمال العمران والحالة الاقتصادية
- الفصل الرابع عشر - نظام الحكم
- الفصل الخامس عشر - الحالة الاجتماعية
- الفصل السادس عشر - شخصية محمد علي والحكم على عصره
- الفصل السابع عشر - ابراهيم باشا
- وثائق تاريخية - الفهارس

## مقدمة الطبعة الثانية

كان عنوان هذا الكتاب عند ما ظهر لأول مرة « تاريخ الحركة القومية - الجزء الثالث - عصر محمد علي » ، وإذ صار في سلسلة تاريخ الحركة القومية عصرًا قائمًا بذاته ، فقد جعلته كتابًا مستقلًا ، عنوانه « عصر محمد علي » ، فهو هو الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية كما تراه في مقدمة الطبعة الأولى ، وقد سرتُ على هذا النحو فيما أصدرته بعد ذلك من هذه السلسلة ، فأخرجت كتاب « عصر اسماعيل » في جزئين ، يتناول الأول عهد عباس وسعيد وأوائل عهد اسماعيل ، ويشتمل الثاني على ختام الكلام عن عهد اسماعيل ، يليه كتاب « الثورة العراقية والاحتلال الانجليزي » ، ثم كتاب « مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال » ، ويتناول فترة الاحتلال القومي الذي أصاب البلاد في السنوات العشر الأولى للاحتلال ، من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ ، يليه كتاب « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية » وفيه تاريخ البعث الوطني من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ ، فكتاب « محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية » ويشتمل على تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ ، وأخرجت في العام الماضي كتاب « ثورة سنة ١٩١٩ » ، ويتضمن تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١

ولم يبق إلا كتاب « في أعقاب الثورة المصرية » ، وبه تكمل هذه المجموعة ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

عبد الرحمن الراجحي

مارس سنة ١٩٤٧

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الأولى

هذا هو الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، وهو يتناول الكلام عن عصر محمد علي

تضمن الجزء الأول من الكتاب ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث ، وبيان الدور الأول من أدوارها ، وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر ، واشتمل الجزء الثاني على تنمية وقائع المقاومة الشعبية إلى انتهاء الحملة الفرنسية ، وتطور الحياة القومية بعد انتهاء تلك الحملة ، إلى ارتقاء محمد علي أريكه مصر بإرادة الشعب ، وقد قلنا في بيان هذه الحقيقة : « ان محمد علي هو أول من استعان بالعامل القومي الذي ظهر على مسرح الحوادث السياسية ، وأنه من هذه الناحية ثمرة من ثمرات الحركة القومية ، ودور من أدوارها التاريخية ، اقترن ظهوره بظهور العامل القومي ، وكانت ولايته نتيجة اختيار وكلاء الشعب ومناداتهم به والياً مختاراً على مصر ، ولقد برهن بعد أن تولى الحكم على أنه أكبر بَنَاء في صرح القومية المصرية ،

فموضوع الجزء الثالث هو تفصيل الكلام عن « عصر محمد علي » ، وكيف كان دوراً من أدوار الحركة القومية

والحركة القومية كما عيَّناها في مقدمة الكتاب وجعلناها أساس البحث والتدوين هي الجهود التي بذلتها الأمة في سبيل تحرير مصر من النير الأجنبي وفك قيود الاستبداد عنها وتقرير حقوق الشعب السياسية ، هي التضحيات التي قدمتها والآلام التي احتملتها في سبيل تكوين مصر الحرة المستقلة

وعلى هذا الاعتبار يجب أن نعد عصر محمد علي صحيفة مجيدة من صحائف الحركة القومية ، ففيه نشأت الدولة المصرية الحديثة ، فيه تحقق الاستقلال القومي وشيدت الدعائم السكفيلة بالقيام به ، فيه تأسس الجيش المصرى ، والأسطول

المصرى ، والثقافة المصرية ، وفيه وضعت أسس النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد ، فهو عصر استقلال وحضارة وعمران

\* \* \*

ان استقلال مصر كان ثمرة الحروب التي خاضت غمارها في عصر محمد علي ، تلك الحروب التي بذلت فيها الأمة أرواح عشرات الآلاف من زهرة أبنائها ، من أولئك الأبطال المجهولين الذين جاهدوا واشتشهدوا في ميادين القتال ، وسقوا أديم الأرض بدمائهم ، في ربوع مصر والسودان ، وفي صحارى جزيرة العرب ، وجبال كريت والموره ، وبطاح سورية والأماضول ، وفي قاع اليمّ بمياه اليونان ، أو على سواحل مصر والشام ، فلا جرم أن كان الجيل الذى عاش في عصر محمد علي هو أكثر الأجيال عملا وتضحية في سبيل تكوين مصر المستقلة ، فعلى أكتافه وبجهوده وضحاياه قام صرح الاستقلال على لذرى ، وهو الذى نهض بالأعمال الأولى لحضارة مصر وعمرانها ، فشق الترع ، وأقام القناطر والجسور ، وشاد المدارس والمعاهد ، وبنى العمار والدواوين والقصور ، وأنشأ الموانئ ودور الصناعة (الترسانات) ، واستحدث المعامل ، وشيد القلاع والاستحكامات ، وبذل في سبيل تلك المنشآت راحته وحياته ، وبكفيه فضلا في ميدان التضحية أنه أنشأها وبنائها عاملا على السخرة ، دون أن ينال على جهوده أجرأ ولا جزاء ، ولا شكورا ، وأن عشرات الآلاف من بنيه قد ماتوا تحت أعباء المجهودات المضنية التي احتملوها في سبيل إتمام تلك الأعمال المجيدة ، فإذا قارنت بين جهود ذلك الجيل وتضحياته ، وما بذلته الأجيال المتعاقبة من بعده إلى اليوم ، حكمت من غير تردد أنه أكثر الأجيال بذلا ومساهمة في أعباء الجهاد القومى ، وأكثرها تضحية بالنفس والروح والمال في سبيل استقلال مصر وعمرانها ، فهو جدير بأن تنحني الأجيال المصرية احتراما لذكراه ، وتقديراً لفضله ، لأنه عمل لها جميعا ، وبذل لها راحته ودمه وحياته ، واحتمل ما احتمل من جهد وحرمان ليعيد لها الطريق كي تبجى ثمار جهوده وتضحياته وآلامه

والحقيقة البارزة التي تخلص لك من إنعام النظر في تاريخه أن عبقرية محمد علي يرجع إليها الفضل السكبير في تنظيم ذلك الجهاد واستثماره وتوجيهه إلى خير مصر

وعظمتها ، كما أن مواهب الأمة المصرية وحسن استعدادها للتقدم ، وماضيها في الحياة القومية ، كل أولئك كان مادة الاستجابة لدعوة محمد علي ، ومن جميعها تسكّون الفلك النوراني لتلك النهضة التي سطعت شمسها في عصره ، فلو أنه تولى الحكم في بلد آخر من بلدان السلطنة العثمانية وقتئذ ، لدفنت فيه عبقريته ، ولما استطاع أن يشيد ذلك الملك الضخم ، ولا أن ينهض بتلك المشروعات والأعمال الجليلة ، وا كانت نهايته لاختلف كثيراً عن خاتمة الباشوات الذين شقّوا عصا الطاعة على السلطنة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر وخلال التاسع عشر ، واسكن تأييد الشعب له ، ومناصرتة إياه عند اشتداد الأزمات ، كان لها الفضل الأكبر في ثبات ملكه وتغلبه على الدسائس والعقبات التي اعترضته في طريقه ، وحسبك تبياناً لهذه الحقيقة أن تلقى نظرة على مباحث هذا الجزء وأن ترجع إلى الفصول التي أفردها للسكلام عن الجيش والأسطول وأعمال العمران ، تجد أن على سواعد المصريين قد قام ذلك الملك العريض وتمّت تلك المنشآت العظيمة ، وأن محمد علي لم يستطع إنشاء الجيش المصري النظامي من العناصر غير المصرية التي كانت تتألف منها القوة الحربية في أوائل حكمه ، لما فطرت عليه من التمرد والفوضى ، ولم يوفق إلى تأسيس ذلك الجيش الذي تفخر به مصر في تاريخها الحديث إلا بعد أن ألهه من صميم المصريين

\*\*\*

إن مفخرة الجيل الذي عاش في عصر محمد علي أنه حقق لمصر استقلالها ، وألّف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حظيرة الوطن ، فله فضل تحقيق تلك الوحدة التي كانت وبقيت على مدى السنين من أقدس مطالب القومية المصرية ، ولئن اعترض ذلك الاستقلال قيوداً حالت دون جعله استقلالاً تاماً ، فلم يكن ذلك عن تقصير في الجهاد ، بل لأن الدول الأوروبية قد تألبت على مصر بتحريض السياسة الإنجليزية ، فخرمتها ثمرة انتصاراتها ، وهذا الاستقلال مع ما اعترضه من قيود لا يزال مفخرة عصر محمد علي ، لأن الجيل الذي حققه واستخلصه وبذل في سبيله ما بذل من جهود وتضحيات ، قد دافع عنه وتركه للأجيال المتعاقبة سليماً من الأذى ، لكنها بدلا من أن تنهض بالدفاع عنه وتصل به إلى غايته من الاستقلال

التام ، أو تحتفظ به كما هو وتصونه بالمهيج والأرواح ، قد تهاونت فيه ، وقصرت في الذود عنه ، حتى رزئت البلاد بالاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ ، فتصدع البناء الذي أقيم في عصر محمد علي

ويكفيننا تقدير أجهاد الجيل أو الجيلين الذين أدركا ذلك العصر ، ان إنجلترا حاولت في خلاله احتلال مصر مرتين ، فالمرّة الأولى سنة ١٨٠٧ حين جردت عليها حملتها المعروفة بحملة الجنرال فريزر ، فكان نصيبها الإخفاق والهزيمة في ( رشيد ) و ( الحمّاد ) مما اضطرها إلى الجلاء عن البلاد كما تراه مبسوطاً في الفصل الثاني ، والمرّة الثانية سنة ١٨٤٠ بعد ما فازت مصر على تركيا في معركة ( نصيبين ) ، فألبت إنجلترا عليها الدول الأوروبية وانفقت وحلفاءها على إذلالها وجردت عليها أساطيلها في سورية ومصر ، ومع أنها استعانت عليها بحلفائها فإن كل ما أصابت منها أن حرمتها فتوحاتها وأرجعتها إلى حدودها الأصلية ، لكنها أخفقت في إدراك مطامعها الاستعمارية في مصر ، وعبثاً أنفذت أسطولها إلى مياه الإسكندرية بقيادة الكومودور نابيه Napier يتهددها ويتوعددها بالاحتلال ، فلم يستطع أن ينزل جنوده إلى أرض الكنانة ، إذ أدرك أن لها جيشاً قويا يحمي الذّمّار ويدفع الغارة ويدحر الأعداء ، فقامر بين موقف الكومودور نابيه سنة ١٨٤٠ وموقف الأميرال سيمور سنة ١٨٨٢ حينما أرسلته إنجلترا إلى مياه الإسكندرية أثناء الحوادث العراقية ، وكيف سهل عليه أن يعيث باستقلال مصر ، إذ آنس منها ضعفاً وتخاذلاً ، فاحتل الجنود الانجليز أرض مصر ، ولم يلقوا بها المقاومة التي لقيها نابليون سنة ١٧٩٨ ، وكليبر سنة ١٨٠٠ ، ومنو سنة ١٨٠١ ، وفريزر سنة ١٨٠٧ ، ونابيه سنة ١٨٤٠ ، فمن هذه المقارنة يتبين لك فضل الجيل الذي عاش في عصر محمد علي ، ومبلغ ذوده عن الاستقلال ، وحسن بلائه في الدفاع عن الذّمّار

فلجهاد هذا الجيل وكفاحه في سبيل مصر خصصنا الجزء الثالث من الكتاب ، أقدمه لمواطني الأعزاء ، سيئاتاً من الله الهداية والتوفيق ، وعليه سبحانه الاعتماد والتشكران



## للذكرى

وإذ يوافق اليوم تمام الحول الثالث على وفاة فقيد الوطن المرحوم أمين بك  
الرافعي ، فألى روحه الطاهرة المستقرة في الرفيق الأعلى أرسل تحيات الذكرى  
والوفاء ، فسلام عليك يا أمين في أعلى عليين ، سلامٌ عليك من قلوب لاتنسى  
جهادك في سبيل المثل الأعلى ، سلامٌ عليك ما كررت الأعوام وتعاقبت الأجيال ،  
ولستخلد ذكراك على الدهر مابتهقى في الدنيا وفاء وما ذكر الإخلاص  
والمخلصون ؟

عبد الرحمن السرايحي

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠

## خلاصة مباحث الجزئين الأول والثاني

من كتاب « تاريخ الحركة القومية و تطور نظام الحكم في مصر » ،

نذكر هنا خلاصة فصول الجزئين الأول والثاني من « تاريخ الحركة القومية » ،

لنضع أمام القارئ صورة موجزة منهما قبل قراءة « عصر محمد علي » ،

### الجزء الأول

مقدمة الكتاب وإهداؤه

الفصل الأول - نظام الحكم في عهد المماليك

الفصل الثاني - تطور نظام الحكم في عهد الحملة الفرنسية

الفصل الثالث - نظم الحكم التي أسسها نابليون في مصر - ديوان القاهرة ،

دواوين الأقاليم ، الديوان العام

الفصل الرابع - المجمع العلمي

الفصل الخامس - المقاومة الأهلية في عهد الحملة الفرنسية ، في الإسكندرية

الفصل السادس - في البحيرة ، معركة شبراخيت ، نهب القرى

الفصل السابع - في القاهرة ، واقعة أمبابه أو معركة الأهرام

الفصل الثامن - عود إلى الإسكندرية ، واقعة أبو قير ، ديوان الإسكندرية

الفصل التاسع - في رشيد

الفصل العاشر - عود إلى البحيرة ورشيد

الفصل الحادى عشر - في القليوبية والشرقية

الفصل الثانى عشر - عود إلى القاهرة ، سياسة الحفلات

الفصل الثالث عشر - ثورة القاهرة الأولى

- الفصل الرابع عشر - في المتوفية والغربية  
الفصل الخامس عشر - في الدقهلية ودمياط  
الفصل السادس عشر - المقاومة في الوجه القبلي  
الفصل السابع عشر - استمرار المقاومة في الوجه القبلي  
الفصل الثامن عشر - وثائق تاريخية  
الفصل التاسع عشر - مراجع البحث

### الجزء الثاني

#### مقدمة الجزء الثاني

- الفصل الأول - إعادة الديوان في عهد نابليون ، نظام الديوان الجديد ،  
الديوان العمومي والديوان المنصوصي  
الفصل الثاني - الحملة على سورية  
الفصل الثالث - الحالة في مصر أثناء الحملة على سورية ، الثورة في الشرقية ،  
الثورة في غرب الدلتا  
الفصل الرابع - سياسة نابليون في مصر بعد عودته من سورية ، معركة  
أبو قير البرية  
الفصل الخامس - اضطراب الأحوال في فرنسا ورحيل نابليون  
الفصل السادس - قيادة الجنرال كليبر  
الفصل السابع - معاهدة العريش  
الفصل الثامن - نقض المعاهدة ومعركة عين شمس  
الفصل التاسع - ثورة القاهرة الثانية  
الفصل العاشر - مقتل الجنرال كليبر  
الفصل الحادي عشر - قيادة الجنرال منو  
الفصل الثاني عشر - هزيمة الفرنسيين وجلاؤهم عن مصر

الفصل الثالث عشر - نتائج ظهور العوامل القومية على مسرح الحوادث السياسية في مصر بعد جلاء الفرنسيين ، قادة الشعب وزعماءه ، ظهور محمد علي الكبير ، الصراع بين القوات الثلاث ، جلاء الإنجليز عن مصر ورحيلهم عنها ، ثورة الشعب على المماليك ، ثورة الشعب على الوالي التركي ، أيام الثورة ، خلع خورشيد باشا والمناداة بمحمد علي واليا لمصر ، السيد عمر مكرم روح الحركة ، ختام الثورة

الفصل الرابع عشر - وثائق تاريخية



محمد علي

(١٧٦٩ - ١٨٤٩)

مؤسس الدولة المصرية الحديثة وباعث نهضتها واستقلالها

## الفصل الأول

### الزعامة الشعبية في السنوات الأولى من حكم محمد علي

موقف محمد علي في بداية حكمه

تقلد محمد علي باشا ولاية الحكم بإرادة زعماء الشعب ونزولا على رأيهم في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ ، كما أوضحنا ذلك تفصيلا بالجزء الثاني من كتاب « تاريخ الحركة القومية » (١) ، فالزعامة الشعبية هي التي أبلغته سلطة الحكم ، وقد ظلت هذه الزعامة في الميدان ، وبقيت قائمة عاملة في السنوات الأولى من حكم محمد علي ، فكان لها أثر فعال في تثبيت دعائم ملكه وتذليل العقبات التي وضعها في طريقه رجال الإستانة من جهة ، والإنجليز وصنائعهم المماليك من جهة أخرى ، وإجباط الدسائس التي دبروها والمؤامرات التي سعوا بها إلى اقتلاعه عن كرسي الولاية ، فالزعامة الشعبية كان لها فضل وعمل هام من هذه الناحية ، وكذلك كان لها عمل كبير في توجيه الشؤون العامة ، ونصيب وافر في سلطة الحكومة . وسنبحث في هذا الفصل مبلغ سلطة تلك الزعامة وعملها في تلك السنوات

لم ترسخ قدم محمد علي باشا في الحكم بمجرد مبايعته أو صدور فرمان المؤذن بتوليته ، فإن الدسائس كانت تحيط به من كل جانب ، فالسياسة الإنجليزية تسعى بمختلف الوسائل لترد السلطة إلى محمد بك الألفي (٢) ، وكان عمالها في الإستانة لا يفتأون يسعون لدى الباب العالي في إسناد حكم مصر إليه ، وقناصلها في مصر

---

(١) راجع الفصل الثالث عشر من الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية » تحت عنوان ( نتائج ظهور العامل القومي على مسرح الحوادث السياسية ) وفيه الكلام عن نشأة محمد علي الكبير ثم ظهوره على مسرح الحوادث السياسية وتسلسل هذه الحوادث إلى أن بويع واليا على مصر في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

(٢) زعيم المماليك . راجع الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية » ، ص ٣٤٧

يمدون المماليك بالمعونة ، ويجركون الطمع في نفوسهم ويلقون في روعهم أن  
انجلترا لاتدع صنائعها ولا تتخلى عنهم ، وأنها لا بد محققة آمالهم ، والماليك من  
ناحيتهم كانوا يجمعون جموعهم ليحاربوا الوالى الجديد

### موقف تركيا

وكانت السياسة التركية مترددة غير مستقرة ، ترقب الأحوال لتتبع الخطة التى  
تراها أكفل بمصلحتها وأوفق لبسط نفوذها فى مصر ، ولم تكن خالصة النية نحو  
محمد على باشا ، بل كانت ترميه بعين البغض ، وتنفس عليه رسوخ قدمه فى مصر ،  
وحسبه جرماً فى نظرها أنه لم يكن من الولاة الذين ترسلهم كل عام إلى مصر وتوليهم  
وتعزلهم كما تشاء ، بل كان الوالى المختار من الشعب المصرى ، فالشعب هو الذى  
أجلسه على كرسي الولاية ، ولم تكن هذه الطريقة فى تعيين الولاة مما يروق فى نظر  
الحكومة التركية ، صحيح أن حكومة الإستانة قد لبث نداء الشعب المصرى  
وأصدرت فرمانها بعزل الوالى الذى ثار عليه الشعب ( وهو خورشيد باشا ) ،  
وتعيين محمد على واليا مكانه ، وقد أوفدت إلى القاهرة رسولا يحمل هذا فرمان ،  
ولسكن هذا لم يكن دليلا على خلوص نية تركيا نحو مصر ، وهو لا يعدو أن  
يكون حلامؤقتا تنفادى به من ثورة الشعب إلى أن تحين الفرصة فتسترجع سلطتها  
فى البلاد وتضع يدها حيث شاءت ، ولو كانت صادقة النية لا كتفت برسولها ذلك  
يحمل فرمان إسناد الولاية إلى محمد على ، لسكنها أوفدت بعد ذلك قبطان باشا (١)  
فى عمارة حربية تقل ٢٥٠٠ من الجنود ليرقب الحالة فى مصر ويجعل عينه على  
الحوادث ، ويتخذ من القرارات النهائية ما يراه موافقا لمصلحة تركيا

وصلت هذه العمارة إلى أبو قير يوم ١٧ يولييه سنة ١٨٠٥ أى فى الوقت الذى  
كان خورشيد باشا مازال متمتعاً فى القلعة ، معتصما بها ، ولم تجر عادة تركيا بإرسال  
مثل هذه القوة إلا ذريعة لحدث تحدثه فى البلاد ، فهذه القوة الحربية لم تأت إلى  
مصر عبثا ، بل جاءت ليستعين بها قبطان باشا على إنفاذ أغراضه الخفية ، ولقد

(١) هو عبد الله رامز باشا

كانت مهمته الظاهرة استئزال خورشيد باشا والى المعزول من القلعة ، بيد أن الحكومة التركية خولته السلطة المطلقة في تثبيت محمد على في الولاية أو عزله عنها وتبين لك مقاصد تركيا من أن قبطان باشا لم يبرح السواحل المصرية بعد نقضاء مهمته الظاهرة ، بل ظل متربصا وحوله الخمسمائة والألف مقاتل ، وأخذ يرقب الحالة ليتبع الكفة الراجحة ، وقد راسله محمد بك الألفي زعيم المماليك وعرض عليه أن ينحاز بقواته إلى سلحدار خورشيد باشا الذي كان لم يزل بالجيزة يناوىء محمد على ، وأن ينضموا جميعاً إلى الجنود الذين جاء بهم قبطان باشا ، ويحفظوا على القاهرة لينزعوها من محمد على ويطرودوا الجنود الأرنامود من البلاد

### دسائس السياسة الإنجليزية

وتردد عليه أيضاً رسل الإنجليز أثناء مقامه في أبو قير وأيدوا مطالب محمد بك الألفي ، وسعوا في إقناعه بإسناد ولاية مصر إليه ، وحسنوا له ذلك الأمر ، زاعمين أن المماليك هم وحدهم القادرون على حكمها وإعادة الأمن والنظام في ربوعها ، وإن بقاء محمد على في كرسى الولاية يحدد الفتن ويستفز المماليك إلى استئناف الحرب والقتال ويحفزهم إلى الزحف على القاهرة لاسترداد سلطتهم القديمة ، فيضطرب جبل الأمن ، ولم يكتف رسل الإنجليز بتأييد صنائعهم المماليك على هذا النحو ، بل جاهاوا بأن الحكومة الإنجليزية قد تضطر إلى تجريد جيش على مصر لتأييد وجهة نظرها

فالساسة الإنجليزية كانت ترمى منذ نيف ومائة عام إلى تثبيت قدمها في وادى النيل ، بتولية صنائعها من المماليك حكم البلاد ، وتهدد بتجريد قواتها لهذا الغرض ، وقد جردت هذه القوة فعلاً سنة ١٨٠٧ كما سيجيء بيانه

أما حجة محمد على لدى قبطان باشا فهي أنه مؤيد من زعماء الشعب ، مرضى عنه منهم ، وأنه الكفيل بانتشال البلاد من وهدة الفوضى والفتن التي تردت فيها ، وأنه بمقاومته المماليك وحماهم الإنجليز لا يخدم مصر وحدها بل يخدم الباب العالى



ويحول دون تحقيق مظاهر السياسة الإنجليزية في البلاد

معاوضة زعماء الشعب لمحمد علي

فمحمد علي باشا كان إذن في حاجة كبرى إلى تأييد الزعامة الشعبية وإقرارها إياه في مركزه ليقوى بها على مقاومة العواصف التي هبت عليه من مختلف الجهات وقد بقيت تلك الزعامة تؤيده وتناصره ، وتمده بالعون والعضد ، فكان لها النفوذ الفعال والفضل الكبير في تثبيت دعائم عرشه في السنوات الأولى من حكمه ومن الواجب أن نبادر فنقول إن السيد عمر مكرم الذي كان على رأس تلك الزعامة وحامل لوائها في تقليد محمد علي سلطة الحكم قد احتفظ بهذه المهمة فيما بذلته الزعامة الشعبية للدفاع عن عرشه

وكان المماليك يعرفون ذلك النفوذ لزعماء الشعب ، وخاصة للسيد عمر مكرم ويعلمون أنهم هم الذين اقتادوا الجماهير وانحازوا بها إلى محمد علي ، فما فتوا بعد تواليته يسعون إلى استمالتهم في جانبهم ليكسبوا نفوذهم المعنوي في ثل عرش الوالي الجديد ، لكنهم وجدوا فيهم إباء وإعراضاً وثبتت زعماء الشعب على مناصرتهم لمحمد علي

هجوم المماليك على القاهرة وإخفاقهم

( أغسطس سنة ١٨٠٥ )

دبر المماليك الهجوم على القاهرة ليستولوا عنوة على زمام الحكم ، وبأدروا إلى إنفاذه في شهر أغسطس سنة ١٨٠٥ ، ولما يمض شهران على تولية محمد علي باشا ، ور بما كان قصدهم من هذا التعجيل أن يضربوا ضربتهم قبل رحيل قبطان باشا عن مصر ليشهد بعينه قوة المماليك وشدة بأسهم ، فينحاز إلى جانبهم ويولى واحداً من زعمائهم حكم مصر ، وقد اختاروا لهجومهم يوم الاحتفال بوفاة النيل ( أغسطس سنة ١٨٠٥ ) إذ يكون محمد علي باشا والجمع الحاشد من الجنود والآهالي مشغولين بالاحتفال في مصر القديمة بعيداً عن المدينة ، وأحكوا تدييرهم ، أو خيل إليهم

أنهم أحكوه ، بأن تأمروا سرأ مع بعض رؤساء الجند أن ينضموا إليهم إذا هم دخلوا المدينة ، ونبادلوا وإياهم الرسائل من قبل في هذا الصدد ، لكن محمد على علم بسر هذه المؤامرة ، فاعتزم أن يوقع المماليك في السكيد الذي كادوا ، واتفق سرأ مع بعض رجاله الأمانة على أن يتصلوا بالمماليك ويتظاهروا لهم بالإخلاص ، ويستدرجهم إلى دخول العاصمة ، فيمدوا لهم في غيهم ، ويزينوا لهم نجاح خطتهم ، وهم في الواقع أعوان لمحمد على <sup>(١)</sup> ، ففي اليوم الموعد <sup>(٢)</sup> هجم المماليك على القاهرة في قوة تبلغ ألفاً من المقاتلة شاكي السلاح ، وعلى رأسهم جماعة من زعمائهم وهم عثمان بك حسن وشاهين بك المرادى وأحمد كاشف سليم وغيرهم ، واقتحموا باب الحسينية بعد أن حطموه ودخلوا القاهرة من باب الفتوح ، وقصد زعمائهم إلى دار السيد عمر مكرم ليعجموا عوده ويستنجدوه ، ولكنه رفض مقابلتهم ، فقصدهم إلى دار الشيخ عبد الله الشراوى شيخ الجامع الأزهر وهناك وافاهم السيد عمر مكرم وصارحهم القول بالألا ينتظروا منهم عونا ولا نجدة ، ونصح إليهم أن يعودوا من حيث أتوا ، فعلوا أن الزعامة الشعبية لا تؤيدهم ، وانقلبوا هنالك خائبين ، ودب الفشل والارتباك في صفوفهم و صفوف جندهم ، ففرج فريق منهم من باب البرقية نجاة بأنفسهم ، وذهب رهط آخر إلى باب زويلة وتقدموا جهة درب الأحمر ، فتلقاهم الجند الذين كانوا هناك بالرصاص فقتلهم وقروا إلى داخل باب زويلة ، وحاولوا دخول جامع المؤيد والامتناع به ، فهاجمهم جماعة من المغاربة والمرابطين هناك وأطلقوا عليهم الرصاص ، فليجأ فريق منهم إلى جامع البروقية ،

(١) ذكر الجبرتي في ترجمة محمد بك الألباني ما يؤيد هذه الرواية ، فقد أورد كلاما قاله الألباني عن زملائه المماليك في تبيان غلطاتهم وعدم إصغائهم لنصائحهم وأشار إلى حادثة هجومهم على القاهرة وأنها وقعت بتدبير محمد على باشا فقال : و احتال عليهم ثانيا يوم قطع الخليج فراجت حيلته عليهم أيضا وأرسلت إليهم فنصحتهم فاستغشوني وخالفوني ، ودخل الكثير منهم البلد وانحصروا في أزقتها وجرى عليهم ماجرى من القتل الشنيع والأمر الفظيع ولم ينبج إلا من تخلف منهم أو ذهب من غير الطريق ،

(٢) ١٦ أغسطس سنة ١٨٠٥ — ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٢٠

وذهبت طائفة أخرى تعدو بجيئها إلى باب النصر ، فألقوه مقفلا ، فزولوا عن جيادهم وتسلق بعضهم الأسوار ونجا بنفسه ، وتفرق آخرون في المطوف واختلفوا فيها ، وأما الذين لجأوا إلى جامع البروقية فإن اثنين منهم تمكنوا من الخروج ولحقا بالماليك النازلين بدار الشيخ الشرفاوى ، وبعد أن انباهم بما وقع فر الجميع خارجين من باب الغريب ، أما الباقيون ( في جامع البروقية ) فقد أحاط بهم الجند وقتلوا منهم مقتلة نحو الخمسين وأسروا نحو الثمانين وذهبوا بهم إلى محمد على باشا ، فأمر بقتلهم فقتلوا جميعاً ، وبذلك انتهت مؤامرة المالك بالخبية والخسران ، قال الجبرتي في هذا الصدد مامعناه : « ولم يتفق للأمرء المصرية ( المالك ) أقيج ولا أشنع من هذه الحادثة وطبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وغل أيديهم »

#### استيلاء « محمد على ، على الجيزة

وانتهز محمد على فرصة هذه الهزيمة فاستولى على الجيزة ( سبتمبر سنة ١٨٠٥ ) وكانت لم تزل إلى ذلك الحين في أيدي المالك ، وظهر عليهم وعلى سلاحدار خورشيد باشا ، واضطره إلى التسليم والتخلي عن جنده وذخائره واللحاق بمولاه خورشيد باشا في الإسكندرية

#### رحيل قبطان باشا إلى الاستانة

وطُدت هذه الحوادث مركز محمد على ، فلم يعد قبطان باشا يتردد في أى الفريقين ينضم إليه ، ورأى أن محمد على باشا هو الأحق بالتأييد ، لأن الشعب والقوة في جانبه ، واعتزم أن ينقلب إلى الاستانة ، فرحل عن البلاد في أكتوبر سنة ١٨٠٥ ومعه خورشيد باشا الوالى المخلوع

غادر قبطان باشا أرض مصر وهو يتنبأ لمحمد على بمستقبل كبير ، فقد روى عنه أنه قال يوماً قبل رحيله : « إنى لأترك فى مصر رجلاً ستجده الدولة يوماً من أعظم خصوصياتها شأننا وأكبرهم خطراً ، ولم يوفق سلاطيننا إلى رجل مثل هذا الباشا فى دهائه وحمزه ومضاء عزيمته ، وقد حققت الأيام صحة هذا الرأى فإن محمد على قد خرج على تركيا وهزم جيوشها فى ميادين الحرب وزلزل عرش السلطنة العثمانية وكاد يدكها لولا أن وقفت أوروبا فى طريقه

### رجوع محمد على إلى زعماء الشعب فى مهمات الأمور

عرف محمد على باشا ما لزعماء الشعب من المسكاة والنفوذ عند الجماهير ، فقد لهم هذه المنزلة ، وكان يرجع إليهم ويستشيرهم فيما يجد من مهمات الأمور ، فمن ذلك أنه كلما احتاجت الحكومة إلى تقرير إتاحة جديدة رجع إليهم بادية الأمر ، وأوضح لهم الحاجة الملجئة إليها ، وخاصة إذا كان الغرض منها دفع رواتب الجند ، فينال إقرارهم وموافقهم ، ذكر الجبرتى ما خلاصته أنه فى أواخر جمادى الثانية سنة ١٢٢٠ ( سبتمبر سنة ١٨٠٥ ) احتاج إلى دفع باقى أعطية العسكر « فتسكلم مع المشايخ فى ذلك وأخبرهم بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لانعرف لنحصيلها طريقة ، فانظروا فى ذلك وكيف يكون العمل ، ولم يبق إلا هذه النوبة ، وأقنعهم بأنه إذا أخذ العسكر رواتبهم سافروا إلى بلادهم ولم يبق منهم إلا من كان فى حاجة إليهم ومن يتولون المناصب من ضباطهم

وقد اقتنع زعماء الشعب بهذه الحججة وخاصة لأنهم كانوا يميلون إلى رحيل الجنود الأرنامود والدلاة عن البلاد لسكثرة مساوئهم واعتدائهم على الناس ، فوافقوا على فرض الاتاة الجديدة

وتما يلفت النظر فى مشاورة محمد على باشا للشيوخ قوله لهم « ولم يبق إلا هذه النوبة ، ، وهذا يدل على مبلغ عنايته باكتساب رضاهم واقناعهم بأن الحاجة إلى صرف رواتب الجنود هى التى الجأتها إلى هذه الاتاة ، وان هذه آخر مرة يلجأ

فيها إلى زيادة الضرائب ، وقد اقتنع الشيوخ بهذه الحجة كما قدمنا ، واستقر الرأي بعد المشاورة على أن تستولى الحكومة في ذلك العام على ثلث الفائض من الحصص والالتزام ( أى على ثلث إيراد الملتزمين لأن مايسمونه الفائض هو صافي دخلهم ) ، وكان الملتزمون يؤلفون إلى ذلك العهد طبقة كبيرة من الملاك ، فتمروا بهذه الاتاوة التي هي أشبه بالمصادرة ، وضجوا من حرمانهم ثلث إيرادهم كل عام ، ولكن محمد علي باشا أراد أن يطمئنهم بأن هذه الوسيلة استثنائية وأنها لا تتكرر كل سنة فوعد الشيوخ بكتابة فرمان يلتزم فيه عدم العودة إلى ذلك ثانياً ويثبت فيه « لعن الله من يفعلها مرة أخرى » ، فاقتنع الشيوخ بهذا الشرط ، وانفردت الأزيمة مؤقتاً

كان زعماء الشعب إذ ذك مرجع الحكومة فيما تفرضه من الاتاوات والضرائب ، كما كانوا ملجأ الشعب في تخفيف ما تفرضه منها ، ومن ذلك أن الحكومة فرضت في تلك السنة ( أكتوبر سنة ١٨٠٥ ) على أهل رشيد اتاوة قدرها أربعون ألف ريال توزع على ثلاثة عشر من تجار المدينة ، فحضر إلى القاهرة وفد من أهل رشيد يتظلمون من هذه الاتاوة ، وقابلوا السيد عمر مكرم والشيوخ ورفعوا اليهم ظلامتهم ، فقام السيد عمر وفي صحبته الشيوخ وعرضوا الأمر على محمد علي باشا ، وتشاورا في تخفيف الاتاوة ، فاستقر الرأي على انزالها إلى عشرين ألف ريال ، وفي مايو سنة ١٨٠٦ طلبت الحكومة قرضاً من الملتزمين والتجار على القاعدة التي سار عليها خورشيد باشا الوالى المعزول في العام السابق ( سنة ١٨٠٤ ) فضاقت الناس ذرعا وذهبوا أفواجا إلى السيد عمر مكرم يشكون ويتبرمون ، فبذل ما في وسعه للتخفيف عن بعضهم

### مكانة السيد عمر مكرم

يتبين من هذه الوقائع أن زعماء الشعب وعلى رأسهم السيد عمر مكرم كان

لهم نفوذ فعال في إدارة الحكومة ، وكانوا ملجأ الناس في رفع المظالم ، وقد عظم نفوذ السيد عمر مكرم في تلك السنوات إلى ما لم يسبق له نظير من قبل ، ولا غرو فهو الذي أجلس محمد علي على عرش مصر وكان في السنوات الأولى من حكمه أحد أركان ذلك العرش

ولقد بلغ من مكانته أن محمد علي باشا لما اعتزم أن يجرّد جيشا لمحاربة محمد بك الألفي في الصعيد (ابريل سنة ١٨٠٦ - صفر سنة ١٢٢١) عرض عليه أن يستخلفه فينوب عنه ويكون « قائمقاما » مدة غيبته ، فامتنع السيد عمر مكرم ولم يقبل ، ولم يذكر الجبرتي سبب امتناعه ، ولكن إذا صح ما يقوله من أنه « تبين أنها إهانات لا أصل لها ، فيكون الامتناع راجعا إلى أنه شعر بأن العرض لم يكن إلا ضربا من ضروب المجاملة والتسكريم ، أو لأنه كان يتورّع عن مناصب السلطة ويخشى أن يهمله حساده — وكانوا كثيرين — بأنه يسعى إلى الجاه ولا يعطى إلا لياخذ ، فأراد أن يجعل جهاده خالصا لوجه الله والوطن

ولم يكن السيد عمر مكرم في حاجة إلى أن يكون قائمقاما ، ليعظم مركزه ، فتمدّ كان له في نفوس الشعب أكبر منزلة وأعظم مكانة ، وكان في الاجتماعات والحفلات العامة يتقدم المدعوين فيخلون له صدر المجالس طواعية واختياراً ، فيكون بجانب محمد علي كتفا لكتف ، وحسبك أن تقرّ بعض ماذكرة الجبرتي عنه في مناسبات مختلفة لتعرف إلى أي حد بلغ نفوذه ومكانته ، قال : « ارتفع شأن السيد عمر وزاد أمره بمباشرة الوقائع<sup>(١)</sup> وولاية محمد علي باشا ، وصار بيده الحل والعقد والأمر والنهي والمرجع في الأمور الكلية والجزئية » وقال في موضع آخر : « ولما وقع ما وقع في ولاية محمد علي باشا وانفرد السيد عمر افندي في الرئاسة صارت بيده مقاليد الأمور »

ولا نزاع أن الزعامة الشعبية قد اكتسبت نفوذا معنويا كبيرا لمكانة السيد عمر

(١) يريد وقائع الثورة التي قامت ضد خورشيد باشا وفصلنا الكلام عنها بالجزء

مكرم وشخصيته ومهابته ، فهو بحكم رأسته لهذه الزعامة كان يسبغ عليها من شخصيته  
الكبيرة ما يجعلها نافذة الكلمة محترمة المقام  
أدرك السيد عمر مكرم إذن مكانة عظمى في نفس الشعب ، وعند الحكومة ،  
ولم تكن هذه المسكينة لتخفى على زعماء المماليك ، فلجأ إليه محمد بك الألفي وطلب  
وساطته له عند محمد علي باشا وشفاعته لديه ليصفو له وللأمراء المماليك وتنتهى  
الحرب بينهم على أن يقطعهم جهة يقيمون بها ويستغلونها ، لكن محمد علي كان  
أبعد نظرا من أن يطمئن لخصومه الألداء فعادت الحرب بينهما وانسحب الألفي  
بك إلى الفيوم بعد العدة للقتال ، واعتزم محمد علي أن يزحف عليه ليستخلص  
الوجه القبلي من سلطة المماليك

### الحرب بين محمد علي والمماليك

كان المماليك حتى أوائل سنة ١٨٠٦ أصحاب النفوذ والحكم في الصعيد ، إذ كان  
محمد بك الألفي يحتل الفيوم ، وسليمان بك ومعه ثلاثة من أتباعه البكوات يرابطون  
بجنودهم شمالى أسيوط ، وعثمان بك حسن يرابط في مديرية أسنا ، وابراهيم بك  
الكبير وعثمان بك البرديسى وأتباعهما يمتاون شاطيء النيل بين أسيوط والمنيا ،  
فكان على ذلك معظم الصعيد تحت سلطة المماليك ، فأنفذ محمد علي جيشا بقيادة  
حسن باشا للزحف عليهم

انحدر حسن باشا النيل من الجزيرة ومضى حتى بلغ الرقة<sup>(١)</sup> ، وما كاد يتجاوزها  
حتى التقى بقوات محمد بك الألفي الذى جاء من الفيوم قاصدا الوجه البحرى (مارس  
سنة ١٨٠٦ - أو آخر ذى الحجة سنة ١٢٢٠) ، وكان الألفي قد حشد تحت لوأته فى  
الفيوم عدة آلاف من العرب ليناجز بهم قوات محمد علي ، فنازل بهم جيش حسن  
باشا فى معركة انتهت بهزيمة هذا الأخير وانسحابه إلى (الرقة) ، وتابع الألفي زحفه

(١) على شاطيء النيل بمديرية الجزيرة

إلى الجيزة ومنها سار شمالاً إلى البحيرة ، أما حسن باشا فلم يشأ أن يصطدم بالالفي وسا جنوباً حتى بلغ بنى سويف ، وبقى بها لا يعمل عملاً ، وفي الوقت نفسه تقدم إبراهيم بك وعثمان بك البرديسي شمالاً وحاصروا المتيا وكانت بها حامية من جنود محمد علي ، وكان موقع المنيا عظيم الخطر ، فأمدها حسن باشا بنجدة تحت قيادة أخيه عابدين بك بخامتها وشدت أزر الحامية ، ووقفت الحرب عند هذا الحد إذ واجه محمد علي مشكلة خطيرة كادت تقلب عرشه كما تراه فيما يلي

### محاولة عزل محمد علي وإخفاقها

سنة ١٨٠٦

لم يكن محمد علي كما قدمنا مرصياً عنه لامن الحكومة التركية ولا من الإنجليز ، ولأن أخفقت مناورة سنة ١٧٠٥ وبقى على عرشه فإن ذلك لم يمنع الإنجليز من أن يسعوا سعياً حثيثاً في تحقيق سياستهم التي ترمى إلى إقصائه عن مصر وإحلال الممالك مكانه

### دسيمة إنجليزية جديدة

وقد ساعد إنجلترا على تجديد سعيها لدى الباب العالي رجحان كفتها في حروبها مع فرنسا حين باغ الصراع بين الإنجليز وناپليون أشده ، فقد كان لهم الفوز في معركة (الطرف الأغر) البحرية<sup>(١)</sup> ، حيث اشتبك الأسطول البريطاني بقيادة الأميرال نلسن والأسطول الفرنسي الذي يقوده السكونتر أميرال فيلنوف ، فانتصر الأسطول الإنجليزي في تلك المعركة الشهيرة ، وخرجت إنجلترا من الحرب قوية الشوكة نافذة الكلمة ، بأسطة سيادتها على ظهر البحار ، وقضت نهائياً على آمال

(١) ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٥



نابليون في أن ينازعها تلك السيادة ، فصار البحر الأبيض المتوسط تحت مطلق سلطانها ، ورجحت كفتها السياسية في الشرق وخاصة على ضفاف البوسفور حيث لم تعد تخشى مزاحمة فرنسا لها ، وأخذت تملئ سياستها على الباب العالي مستعينة بما أكسبها الفوز البحري على نابليون من الشوكة والنفوذ ، واستأنفت تدخلها في المسألة المصرية بما يطابق أهواءها ، وكان أول ما قصدت إليه أن تبسط نفوذها في وادى النيل وتحقق المطامع التي فاتها تحقيقها في السنوات الماضية ، أثناء الحملة الفرنسية وبمد انتهائها ، وكانت على يقين أن بسط نفوذها يتحقق بإعادة الحكم في مصر إلى صنائعها من المماليك ، فطلبت من الباب العالي بلسان سفيرها في الإستانة عزل محمد علي عن ولاية مصر وجعل الحكم فيها إلى محمد بك الألفي ، وتوصلت إلى إقناع الحكومة التركية بوجهة نظرها بحجة ما يعود عليها من النفع من وراء هذا التغيير ، وألقت في روعها أن محمد علي باشا لا يميل إلى الإذعان لأوامرها ولم يدفع إلى ذلك الحين شيئاً من الخراج الذي كان يؤديه الولاية السابقون

سعت إنجلترا سعيها لإسناد حكم مصر إلى محمد بك الألفي ، وكان الألفي على اتصال مستمر بعالم الإنجليز ، يتبادل وإياهم الرسائل والرسائل ليتخذ إنجلترا شفيعة بل حامية وكفيلة له لدى الباب العالي كي تتفق وإياه على الشروط التي يتولى بها الحكم ، فعرضت إنجلترا على الحكومة التركية أن تعين والياً جديداً بدل محمد علي يكون من طراز الولاية الأتراك الأقدمين الذين كانوا يتركون سلطة الحكم للأمرام المماليك ، وأبلغتها أن الألفي يتعهد بأداء جزية سنوية مقدارها ١٥٠٠ كيس<sup>(١)</sup> تضمن الحكومة الإنجليزية إيفاءها ، ويتعهد بالولاء وبذل الطاعة والخضوع لأوامر الإستانة ، وأن هذا الاتفاق إذا تم يكون فاتحة تقدم في المعاملات التجارية بين البلدين مما يؤدي إلى زيادة رسوم جمارك مصر وسورية ، وبالتالي يعود بالربح على خزانة الإستانة ، فاستمع الباب العالي لهذه الحجج ، ورأى فيها

(١) ٧٥٠٠٠٠٠ قرش

منفعة مادية تعود عليه ولو كان من وراثتها تسليم مصر للسلطات الإنجليزية، وصادف هذا الإغراء هوى في نفوس حكام الإستانة لأن الباب العالي لم ينس أن إسناد ولاية مصر إلى محمد علي كان نتيجة قيام ثورة شعبية على الوالي الرسمي المعين بمقتضى « فرمان سلطاني » ، وأن الإرادة الشاهانية التي اقتضت تولية محمد علي إنما صدرت تحت ضغط تلك الثورة ، وهذا أمر لم يكن سائغاً ولا مألوفاً عند سلاطين الترك. وكذلك لم يكن مألوفاً أن تقر الحكومة التركية واليهما في منصبه أكثر من سنة ، فلا جرم كانت تنظر إلى بقاء محمد علي وسعيه في تثبيت مركزه في مصر بعين السخط والمقت ، فصحت عن يمتها على أن تعزله ، وأصدرت فرماناً بتولية موسى باشا في مكانه وتقليد محمد علي ولاية سلاطيك ، ومعنى ذلك إبعاده عن مصر ، وكان متفقاً على أن موسى باشا سيكون آلة في يد المماليك كما كان شأن ولاية مصر في القرن الثامن عشر ، وأن يسمح للمماليك بشراء أفواج الرقيق من جنسهم وجلبهم إلى مصر ورفع الحظر الذي كان مضر وباً عليهم في هذا الصدد منذ الحملة الفرنسية فيعودوا إلى شراء المماليك من أسواق الرقيق ويقوى بهم جيشهم في مصر ، وبذلك تتحقق وجهة النظر البريطانية في المسألة المصرية ، ويعود الحكم إلى المماليك وتبسط إنجلترا نفوذها في مصر على أيديهم

بحي أسطول عثماني إلى مصر

لعزل محمد علي

ولاجل أن تحقق الحكومة التركية ما اعتزمت عليه أنفذت عمارة بحرية بقيادة صالح باشا قبودان العمارة العثمانية ليم النقل والتغيير دون أن تحدث مقاسومة أو تنهض معارضة ، فأقلعت العمارة تقل الوالي الجديد موسى باشا ، وكان الألفي قد اطلع من قبل على مفاوضات الإنجليز والباب العالي ، ووقف عليها من قنصائل إنجلترا في مصر ، وهذا هو السبب الذي دعاه إلى التحرك من الفيوم قاصداً الوجه

البحري ، فكانت غايته من ذلك أن يتلقى القبودان صالح باشا عند حضوره ،  
فلما وصل إلى قرب دمنهور علم بوصول العمارة العثمانية ، فابتهج لهذا النبأ  
ابتهاجا عظيما

وصلت العمارة التركية إلى الإسكندرية في أول يولييه سنة ١٨٠٦ ، وكانت من  
أربع بوارج وفرقاطين وسفينتين أخريين وعلى ظهرها موسى باشا الوالي الجديد  
وجنود الحملة المتأهبة للنزول إلى البر ، وعدتها ثلاثة آلاف مقاتل ، والتقى الألفي  
في حوش عيسى برسل الترك والإنجليز ، وهنأوه بقرب تحقيق آماله

#### رواية الجسبرتي

يتبين من رواية الجسبرتي أن محاولة عزل محمد علي تمت بالاتفاق بين الإنجليز  
والحكومة التركية ومحمد بك الألفي ، قال في حوادث ربيع الثاني سنة ١٢٢١ (يونيه  
سنة ١٨٠٦ ) ما خلاصته :

« وردت سعاة من الإسكندرية وأخبروا بورود أربعة مراكب وفيها عساكر  
من النظام الجديد <sup>(١)</sup> وصحبتهم ططريات (رسل) وبعض أشخاص من الإنكليز  
( تأمل ! ) ومعهم مكاتبه خطاباً إلى الألفي وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية  
( المماليك ) من الدولة العثمانية بشفاعة الإنكليز فلما وصلوا إليه بناحية حوش  
ابن عيسى بالبحيرة سر بقدمهم ، وعمل لهم شنكا ، وضرب لهم مدافع كثيرة ،  
وأرسلهم إلى الأمراء القبليين ( المماليك بالصعيد ) وصحبتهم أحد سناجقه وهو  
أمين بك ومحمد كاشف تابع إبراهيم بك الكبير ، ثم انه أرسل عدة مكاتبات بذلك  
الخبر إلى المشايخ وغيرهم بمصر وكذلك إلى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد  
وشيخ الجزيرة »

(١) أي من الجيش النظامي الجديد

وقال في موضع آخر في ترجمة محمد بك الألفي : « وكان مع ما هو فيه من  
الانتقالات والحروب يرسل الدولة والإنكليز ، وأرسل أمين بك إلى الإنكليز  
فسعوا مع الدولة لمساعدته وحضروا إليه بمطوبه فعمل لهم بجوش ابن عيسى شنكا  
وأرسلهم مع أمين بك إلى الأمراء القبليين » ، وقال في موضع آخر : « والسبب في  
حركة القبطان ( صالح باشا ) إرساليات الألفي للإنكليز ومخاطبة الإنكليز الدولة  
ووزيرها محمد باشا السلحدار ،

فالمسألة إذن كما ترى لم تكن إبدال وال بآخر ، بل هي دسيمة إنجليزية تركية  
حيكت شباكها في الإستانة بقصد إعادة الممالك إلى حكم مصر وبسط النفوذ  
الإنكليزي عليها

ولم يكد يستقر صالح باشا في الثغر حتى أوفد رسولا إلى محمد علي يبلغه فرمان  
النقل والتغيير ويأمره بالذهاب إلى سلا نيك مقر ولايته الجديدة ، وكان محمد علي  
يعالج المشكلات بالحكمة والسياسة والدهاء ، فتظاهر بالامتثال ، ولكنه تأهب  
سراً للمقاومة ، وأجاب أنه مستعد للرحيل إلى سلا نيك غير أن الجنود يعارضون  
في رحيله قبل أن تؤدي رواتبهم المتأخرة ، وقدرها عشرون ألف كيس ، فكانت  
هذه الحجة أول ذريعة توصل بها إلى إحباط مؤامرة العزل والنقل ، وأخذ محمد علي  
يعد العدة للمقاومة ، فاتجه فسكره فوراً إلى السيد عمر مكرم يستنجد به لإحباط  
المؤامرة الجديدة

قال الجبرتي : « فلما قرأ الدفتر دار الورقة أرسل إلى السيد عمر النقيب فركب  
إليه وحضر صحبته إلى الباشا واحتلما معاً ساعة ثم فارقا »

ففى هذه الخلوة أفضى محمد علي إلى السيد عمر مكرم بمؤامرة الإستانة ، وطلب  
إليه المعونة والنجدة ، فكان عمر مكرم عند ظنه ، وكان له نعم العضد الأمين ،  
واتفقا على الخطة المشتركة

كانت هذه الأزمة خطيرة العواقب ، وكادت تقتلع محمد علي عن كرسيه وترجع  
بالبلاد إلى حكم المماليك ، فإن فرمان الذي جاء به قبطان باشا كان يتضمن تولية

موسى باشا على مصر وانفصال محمد على باشا عن ولايتها ويتضمن أيضا العفو عن  
الأمراء المماليك ، وأن يكونوا كعادتهم في إمارة مصر وأحكامها وأن يستقر الباشا  
الجديد في القلعة كعادته ، ، ومعنى ذلك إطلاق يد المماليك في حكومة البلاد كما  
كانوا قبل الحملة الفرنسية وارتكاس البلاد في حكم التقهقر والفوضى  
فالأمارة كانت واسعة النطاق اشترك في حياكة خيوطها الباب العالى والإنجليز  
والمماليك معاً ، فلاغرو أن ابتهج محمد بك الألفى لورود الفرمان الجديد ابتهاجا  
عظيماً ، وأرسل رسله في البلاد لإذاعته بين الناس

### حصار دمنهور

اعتزم الألفى عندما وصلت العهارة التركية إلى الإسكندرية أن يستقر في دمنهور  
ليتخذها مركزاً يجمع فيه قواته ويدبر خططه ، وكان يظن أن أهلها لا يخالفون له  
أمراً بعد وصوله إلى الجديد ، فأعلنهم بقدم العهارة التركية ووصول فرمان  
يقلده حكم مصر ، وطلب إليهم تسليم المدينة ونزولهم على حكمه ، لكن الأهالي  
رفضوا التسليم ، وأعدوا لمقاومته والامتناع في المدينة ، وأرسلوا إلى السيد عمر  
مكرم ينبئونه بالخبر فأبلغه إلى محمد على باشا ، ووضع الألفى الحصار حول دمنهور  
لإكراهها على التسليم

تضامن محمد على والعلماء

في مقاومة فرمان العزل

استوثق محمد على من معاضدة السيد عمر مكرم ، ومن ثم عزم على مقاومة  
إرادة الباب العالى ، وأخذ يتأهب للحرب والقتال ، واتفق هو والسيد عمر على  
أن يجتمع العلماء ويكتبوا محضراً في شكل النماذج بالاعتراض على عزل محمد على

والاحتجاج على تولية موسى باشا ورجوع السلطنة للماليك

ومضمون هذا الاعتراض أن الأمراء (الماليك) قد عرضوا على السدة السلطانية تعهدهم بدفع الأموال الأميرية إلى خزانة الدولة العلية وأداء مرتبات الحرمين الشريفين والعمو عن جرائمهم الماضية في مقابل إقرارهم على دخول مصر القاهرة ، وإن طلبهم قد حاز القبول ، ومن ثم صدر الأمر السلطاني بعزل محمد علي باشا وتوجيه ولاية سلايك إليه وتقليد موسى باشا ولاية مصر ، وقبلت توبتهم على أن يقبل العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية كفالتهم ، على أن الموقعين على العريضة لا يستطيعون كفالتهم ، فإن شرط الكفيل قدرته على المكفول ، ونحن لا قدرة لنا على ذلك ، لما تقدم من الأفعال الشهيرة ، والأحوال والتطورات الكثيرة ، ولا يمكننا التكفل والتعهد لأننا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر ، فنرجو عدم المؤاخذة في الأمور التي لا قدرة لنا عليها ، لأننا لا نقدر على دفع المعتدين والطغاة والمتمردين ، الذين أهلكوا الرعايا ودمروهم ، وعدد العلماء في عريضتهم مساوىء الماليك ومظالمهم ، وأطروا فعال محمد علي باشا ، وختموا كلامهم بتفويض الأمر إلى السدة السلطانية ، وكتبوا من العريضة نسختين إحداهما إلى القبطان باشا والأخرى إلى السلطان بعد ما وقعوا عليها بإمضاءاتهم وأختامهم

ومعنى هذا البيان على ما فيه من إظهار الولاء والإخلاص للسدة السلطانية أنهم لا يجيزون تغيير الوالى ، ولا يرضون بعودة الحكم إلى الماليك ، ولا يقبلون كفالتهم ، وأنهم متمسكون بولاية محمد علي ، وفي هذا من تأييده في مركزه والاستهانة بالقرمانات (الشاهانية) مالا يغرب عن البال

أما قبطان باشا فقد مضى في تنفيذ مهمته ، فبعث إلى العلماء برسالة ينبئهم فيها بعزل محمد علي باشا وتقليد موسى باشا ، ويدعوهم إلى الامتثال للأمر ، وبعث بمثل هذه الرسالة إلى السيد عمر مكرم ، وبثالثة إلى السيد محمد السادات ، فلم يلق منهم جوابا صريحا بالامتثال ، بل أبدوا أعذارهم ، وكانت الأوامر تقضى برحيل

الجنود الأرنؤود مع محمد على ، فتذرعوا بأن امتناع الجنود عن الرحيل وعصيانهم يترتب عليه تعرض البلاد للخراب ، فسكرر قبطان باشا عليهم الأمر في رسالة شديدة اللهجة قال فيها : « انه لا يقبل هذه الأعذار ولا ما تمقوه من التموهات التي لأصل لها ولا يد في تنفيذ الأوامر وسفر الباشا (محمد على) هو وحسن باشا وعساكرهم وخروجهم من مصر وذهابهم إلى ناحية دمياط وسفرهم إلى الجهة التي أمروا بالذهاب إليها ، ولا شيء غير ذلك أبدا »

وكتب العلماء رسالة أخرى إلى قبطان باشا في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢١ ( أغسطس سنة ١٨٦٠ ) يذكرون فيها صراحة أنهم لا يرتضون عن محمد على باشا بديلا ، وبما جاء في هذه الرسالة قولهم : « ان محمد على باشا كافل الإقليم وحافظ ثغوره ومؤمن سبله ، وقاطع المعتدين ، وان الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله ، والشريعة مقامة في أيامه ، ولا يرتضون خلافه لما رأوا فيه من عدم الظلم والرفق بالضعفاء وأهل القرى والأرباب ، وعمارها بأهلها ورجوع الشاردين منها في أيام المماليك المعتدين الذين كانوا يعتدون عليهم ويسلبون أموالهم وهزارعهم ويكلفونهم بأخذ الفرض والسكف ( جمع كلفة ) الخارجة عن الحد أما الآن فجميع أهل القطر المصري مطمئنون بولاية هذا الوزير ،

#### استعداد محمد على للحرب

اعتمد محمد على إذن على تأييد زعماء الشعب له في المقاومة وأخذ يحرض رؤساء الجنود على العصيان والمعارضة في رحيله ، وقد صادف هذا التحريض هوى في نفوسهم لأنهم خشوا إذا هو ارتحل عن مصر أن تسقط روايتهم المتأخرة وكانت تبلغ نحو عشرين ألف كيس ، فاتفق وإياهم على أن يقاوم الأمر الصادر له من الاستانة إذا أعطوه موثقا بأن يكونوا مخلصين له متفانين في الدفاع عنه فعاهدوه على الأمانة والإخلاص ، وأقسموا له أنهم مؤيدوه وناصروه ، فأخذ يعمل

مطمئنا ويستعد للمقاومة ، فأمد القلعة بالميرة والذخيرة ، وحسن الطوائى الباقية من عهد الحملة الفرنسية والمحيطة بأطراف المدينة ، وأنفذ جيشا من جنوده إلى الرحمانية ليكون على أهبة الاستعداد لقتال الأتراك ، وبعث إلى حسن باشا بالصعيد يدعو إلى التقدم نحو القاهرة لتسكون قواتها كلها على أهبة القتال

### رواية الجبرتي

قال الجبرتي في هذا الصدد : « وشرع الباشا في عمل آلات حرب وجلل ومدافع ، وجمعوا الحدادين بالقلعة واصعدوا بنبات كثيرة واحتياجات ومهام إلى القلعة ، وظهر منه علامات العصيان وعدم الامتثال ، وجمع إليه كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على ذلك ، وقال في موضع آخر : « وأرسل الباشا فجمع الأخشاب التي وجدها ببولاق في الشوادر والحواصل والوكائل وطلعوا بجميع ذلك إلى القلعة لعمل العربات والعجل برسم المدافع والقنابر ،

### موقف زعماء الشعب

كل هذه الاستعدادات تدل على أن محمد على قد اعتزم فعلا مقاومة قرار الباب العالي بالقوة ، ولقد عاونه على إنفاذ فكرة المقاومة ثقته بتأييد زعماء الشعب له وتضامنهم وإياه في مقاومة عودة المماليك إلى الحكم

ولقد كان تأييدهم صادراً عن نية صادقة وعقيدة راسخة في نفوسهم ، لأنهم هم الذين اختاروه للولاية ، فهم بحكم اختيارهم يريدون أن تنفذ إرادتهم بتثبيت قدم محمد على في الحكم ولأنهم من جهة أخرى يعلمون أن تعيين موسى باشا مع إطلاق



يد الممالك ورؤسائهم في الحكم معناه الرجوع إلى حكم المظالم والارتكاس في  
الفوضى ، وهذا أمر لا ترضاه نفوسهم لأنهم هم الذين أثاروا الشعب على هذه المظالم  
ولقد رأوا في سياسة محمد علي باشا ورجوعه إليهم في تقرير الضرائب التي يفرضها  
وفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه حين ولايته الحكم أن يسير بالعدل والقسطاس ،  
فلا جرم أن تطمئن نفوسهم إليه ، كل هذه الظروف جعلت تأييد زعماء الشعب  
لمحمد علي أمراً طبيعياً يقضى منطق الحوادث بأن لا مناص منه

فناصره الزعماء لمحمد علي باشا هي تأييد للسياسة التي رسموها من قبل ، وتثبيت  
للسلطة التي كسبوها في تسيير شؤون الحكومة ، وهذه السلطة نفسها لم يتجاهلها  
الباب العالي لأنه جعل رجوع المماليك إلى الحكم معلقاً على كفالة العلماء لهم ، ولقد  
استمسك العلماء بهذا الشرط فصرحوا في عريضتهم إلى الدولة أنهم لا يقبلون هذه  
الكفالة ولا يرضون بها ، ومعنى ذلك أنهم لا يريدون رجوع الحكم إلى المماليك  
ولا ييغون عن محمد علي بديلاً

### سياسة محمد علي

وتذرع الباشا من جهة أخرى بالدهاء والحيلة بإزاء المماليك ، فأخذ يعمل على  
فصم عراهم مستخدماً التنافس القديم بين زعمائهم  
كان محمد علي يعلم بأن الألفي بك مكروه من بقية رؤساء المماليك كالبرديسي  
وإبراهيم بك وعثمان بك حسن وأنهم ينقمون منه انفراداً بالاتصال بالانجليز  
وكتمانه عنهم أسرار مفاوضاته وإياعه ، وقد بادر الألفي إلى الرحيل عن الفيوم  
قاصداً البحيرة وشواطيء الإسكندرية لمقابلة صالح باشا دون أن يكشف زملاءه  
بدخيلة نفسه ، فأثار فيهم الحفيظة القديمة التي كانت تبدو ما بين آن وآخر وأرسلوا  
سعاتهم إلى محمد علي يعرضون عليه الصلح ، فانتزها فرصة ليضعف شوكة الألفي  
خصمه اللدود ، فتلقي السعاة بالبشاشة والترحيب ووصلهم بالهدايا إعلاناً عن

مقاصده الودية حيالهم ، واطمأن من جانبهم ، واستخدم حبال الترك سلاحا آخر وهو الرشوة ، فإنه كان يعلم ما انطوت عليه نفوس حكام تركيا وساستهم من الإذعان للبال والنزول على حكمه ، ومما يؤثّر عنه في هذا الصدد قوله عنهم : « إنى أعرف الترك وأعرف الطريقة التي تنجح معهم فالرشوة هي وسيلة فعالة مع هؤلاء الناس » ، فاستخدم هذا السلاح وأخذ يقدم الرشا والهدايا لصالح باشا وبطانته من جهة ، ولرجال « المايين » في الأستانة من جهة أخرى ، وكان لهذه الوسيلة فضل كبير في تمهيد السبيل لمساعيه ، فقد بعث بعريضة زعماء الشعب إلى الأستانة لتقديمها إلى السدة السلطانية على يد رسول من أمنائه وأرسل معه ٢٠٠٠ كيس برسم رجال الدولة جمعها له رؤساء الجند لإعداد الأبهة للحرب والقتال ، فأحدثت هذه الرشوة أثرا على ضفاف البوسفور

وبذل كذلك سفير فرنسا في الأستانة مساعي جمّة لتعريض محمد على فاجتمعت هذه الأسباب المختلفة وعدلت من خطة الباب العالي ، فبعث الديوان إلى صالح باشا يطلق يده ويكل إليه التصرف المطلق في الأمر كما سيأتي

### معركة النجيلة

قلنا إن محمد على باشا أنفذ إلى الرحمانية جزءا من جيشه لمحاربة محمد بك الألفي والأتراك فوصل هذا الجيش في أواخر يولييه سنة ١٨٠٦ إلى الرحمانية ، وكان يقود حاميتها طبوز أوغلي ( كتحداييك ) وظاهر باشا ابن اخت محمد على باشا ، فلما أقبلت النجدة استظهر بها القائدان وخرجا من الرحمانية ، ولما علم الألفي بهذه الحركة اعتزم مواجهة قوات محمد على ، فرفع الحصار عن دمنهور وأقبل بقواته واشتبك هو وجنود محمد على في ( النجيلة ) <sup>(١)</sup> يوم ١٢ أغسطس سنة

---

(١) جنوبي الرحمانية

١٨٠٦ وانتهت المعركة بهزيمة العلويين فانسحبوا بقيادة كتنخدا بك إلى منوف بعد أن خسروا نحو ستائة بين قتيل وأسير واستولى المماليك على الرحمانية

### رواية الجبرتي عن معركة النجيلة

كانت معركة النجيلة ذات خطر وشأن وكان لها تأثير بالغ في نفس محمد علي باشا ، قال الجبرتي في صدها مايلي :

« وفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة ١٢٢١ وردت الأخبار بأن العسكر السكانيين بالرحمانية ومرقص<sup>(١)</sup> رجعوا إلى النجيلة ونصبوا عرضهم (معسكرهم) هناك وحضر الأتقي تجاههم فركبوا لمحاربتهم وكانوا جمعا عظيما ، فركب الأتقي بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم وانهمزم العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ولم يزلوا في هزيمتهم إلى البحر (النيل) وألقوا بأنفسهم فيه ، وامتلاء البحر من طراير الدلاتية (الدلاة) ، وهرب كتنخدا بيك وطاهر باشا إلى بر المنوفية وعدوا في المراكب واستولى الأتقي وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبختهم وأرسل برهموس القتلى والأسرى إلى القبودان (صالح باشا) وأشيع خبر هذه الواقعة في الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما ،

### استئناف حصار دمنهور

#### ودفاعها المجيد

تشجع الأتقي بهذا الانتصار وعاود محاصرة دمنهور ، فدافع أهلها دفاعا مجيدا

---

(١) على مقربة من الرحمانية

مدة شهرين من بدء الحصار الأول ، وكانوا متروكين لقوتهم ، وعبثا طلبوا النجدة من محمد علي فإنه لم يستطع أن يمدحهم خلال هذه المدة ، ولما استأنف الأتقي حصارها كان علي يقين من استيلائه عليها عنوة وخاصة بعد انتصاره على جنود محمد علي في النجيلة والرحمانية ، وقد زحف هذه المرة مجهزةا بالمدافع الكثيرة التي يقوم عليها رماة من الأروام والإيطاليين أمده بهم الإنجليز

ولسكن الأتقي لم يتل من دمنهور مثالا ، إذ دافع أهلها عنها رجالا ونساء دفاع الأبطال وردوا هجمات المماليك المرة بعد المرة . وفي خلال الحصار أرسل أهلها إلى السيد عمر مكرم وإلى محمد علي باشا بما يجدر بهم عمله فجاءهم الجواب بوجوب الاستمرار على المقاومة ، وأمدحهم السيد عمر بكل ما يحتاجون إليه من الذخيرة والميرة ، قال الجبرتي في ترجمة محمد بك الأتقي أنه « رجع إلى البحيرة وأراد دمنهور فامتنع عليه أهلها وحاربوه وحاربهم ولم يتل منهم غرضاً والسيد عمر مكرم يقويهم ويمدحهم ويرسل إليهم البارود وغيره من الاحتياجات »

وظل الأتقي زهاء شهر يحاول الاستيلاء على دمنهور فيرتد عنها خائبا ، وقد أثر هذا الفشل في تطور الأحوال تأثيراً كبيراً ، قال فولابل في هذا الصدد : « يمكن اعتبار دفاع دمنهور ذلك الدفاع الذي جمع بين الشجاعة والثبات ، وكذلك تحاذل رؤساء المماليك ، من أهم الأسباب المباشرة التي أحبطت الخطة المرسومة بالاشتراك بين الباب العالي والإنجليز (١) » ويقول المسيو جومار في هذا المعنى : « إن أهالي دمنهور قد أظهروا مثل هذه الشجاعة والمثابرة أثناء الحملة الفرنسية في ظروف تختلف عن الظروف التي قاوموا فيها قوات الأتقي مما يدل على ما فطروا عليه من الشجاعة (٢) »

---

(١) فولابل . مصر الحديثة

(٢) مانجان . تاريخ مصر في حكم محمد علي الجزء الأول ص ٤٤٣

حبوط مؤامرة العزل

اتهنز محمد على فرصة انهماك الألفى في محاصرة دمنهور فاتصل بحاشية صالح باشا بالهدايا والرشوة ليحوّطهم إلى صفه ، وقد أحدث المال في نفس صالح باشا ونفوس بطانته تحولا كبيرا في وجهة نظرهم ، وزاد هذا التحول خيبة الألفى في الاستيلاء على دمنهور وما تبين لصالح باشا من انقسام المماليك وتخاذلهم ، فإن البرديسى لما رأى ارتباط الألفى بالإنجليز أعرض عن تأييده لحقائه عليه ولأنه من أنصار الانتجاع إلى فرنسا ، وقد تبين لصالح باشا عبث الاعتماد على المماليك والركون إليهم لأن الألفى تعهد أن يؤدي له ١٥٠٠ كيس كانت ثمن إعادتهم للحكم ، وأوفد رسولا إلى زملائه إبراهيم بك الكبير وعثمان بك البرديسى وعثمان بك حسن وكانوا وقتئذ بالصعيد يسألهم معاوتته في أداء هذا المبلغ ، ولكنهم ردوا الرسول خائبا وعلم صالح باشا بذلك فغضب على الألفى وأخذ يفكر في تغيير خطته ، ورأى أن تأييد زعماء الشعب لمحمد على ، ورفضهم ولاية موسى باشا وتضعضع الألفى في حصار دمنهور وتخاذل المماليك فيما بينهم كل هذه الأسباب تبرر تحويل شراعه إلى ناحية محمد على

وفي غضون ذلك وردت من الباب العالى إلى صالح باشا رسالة تطلق يده وتفوض إليه أن يتصرف على ما يراه صالحا ، ومعنى ذلك أن حكومة الاستانة رجعت عن فرمانها القاضى بعزل محمد على باشا من ولاية مصر ، فصححت عزيمة صالح باشا على تثبيت محمد على في الولاية ، وتم الأمر على ذلك في مقابل أن يؤدي إلى الباب العالى ٤٠٠٠ كيس ، وأن يجعل ابنه إبراهيم بك ( باشا ) رهينة بالاستانة على هذا المبلغ ، وانتهت المشكلة بورود مرسوم إلى محمد على يتضمن « إبقاءه واستمراره على ولاية مصر حيث أن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس » ، فزينت القاهرة لهذا النبأ ثلاثة أيام متواليات فرسوم التثبيت مبنى إذن على أن محمد على باشا مؤيد من الشعب مرضى عنه

من زعمائه موثوق في عدله ، ومن ذلك يتبين أن الزعامة الشعبية كما كانت صاحبة اليد الطولى في اختيار محمد علي باشا لولاية الحكم فإنها كانت العامل الأكبر في توطيد مركزه وإحباط المؤامرة الواسعة النطاق التي كادت تقتلعه عن عرشه

وانتهت تلك المؤامرة بالإخفاق والفشل وأفلح القبودان صالح باشا بعمارته من أبو قير يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ ( ٥ شعبان سنة ١٢٢١ ) قاصدا الاستانة يصحبه موسى باشا وإبراهيم بك بن محمد علي ، وترك صالح باشا وكيله بمصر ليعجل توفية الأربعة الآلاف كيس التي تعهد بها لحكومة الاستانة

وبذل محمد علي جهده فأدى الأربعة آلاف كيس كاملة في أوائل نوفمبر سنة ١٨٠٦ ، فجاءه رسول من الاستانة يحمل فرمانين أحدهما بإقراره في حكمه والثاني يأمره فيه بتسفير المحمل وإرسال القمح المطلوب إلى جدة

وبذلك استقر محمد علي على عرش مصر وحبطت المؤامرة التي كان يقصد منها عزله

### وفاة البرديسي

كانت العناية الإلهية تلحظ محمد علي باشا في أدوار حياته ، ففي الوقت الذي انتهت فيه مؤامرة الباب العالي والانجليز بالإخفاق والفشل جاءه الخبر بوفاة عثمان بك البرديسي أحد زعماء المماليك الذين يطمحون إلى ولاية الحكم وأحد الذين يخشى منهم على عرشه الجديد ، فالبرديسي ما فتى يتحين الفرص لتحقيق مظامعه إلى أن عاجلته المنية يوم ٨ رمضان سنة ١٢٢١ ( ١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٦ ) ، فدفنه أتباعه في الصعيد وأسروا عليهم شاهين بك المرادى خلفا له ، وشاهين بك هذا كان خصما لدودا للآلئى فكانت أمارته حائلة دون توحيد صفوف المماليك وسببا لاطمئنان محمد علي من هذه الناحية

وغنى عن البيان أن محمد علي باشا قد ابتهج بوفاة أحد خصومه الذين يتنافسونه

في الحكم ، ولم يكذب يمضي شهران على وفاة البرديسي حتى عاجلت المنية خصمه  
الآخر الألد محمد بك الألفي

### إخفاق الألفي ووفاته

لم يبئس الألفي أن يظاھرہ الانجليز في انتزاعه الحكم ، فاستمر متصلا بقنصل  
انجلترا في مصر يطلب من دولته النجدة والمدد ، وفي غضون ذلك انتقضت العلاقات  
بين انجلترا وتركيا . واعتزمت انجلترا احتلال مصر ، ومن هنا جاءت فكرة الحملة  
الانجليزية التي سيأتي الكلام عنها فيما يلي ، وقد أنبأه قنصل انجلترا بقرب وصول  
العمارة الانجليزية بهذه الحملة

فكان هذا النبأ باعثا له على البقاء في البحيرة ليتصل بالانجليز عند قدومهم ،  
وقد شدد الحصار على دمنهور ليفتحها ويتخذها معقلا له ، ولكن مقاومة دمنهور  
وامتناعها عليه أفسد خطته ، ذلك أن جنوده سثموا الاستمرار على الحرب والقتال  
واشتد بهم الحر والتعب ، ونفدت مؤوتتهم ، وكان ذلك في زمن القيظ فتمردوا  
عليه وأعلنوه بأنهم تاركوه إذا أصر على متابعة الحصار ، وانتظر هو عبثا ورود  
النجدة الانجليزية فلم تصل ( وكانت آتية في الطريق ) ، فاضطر أن ينقلب بجيوشه  
إلى الصعيد بعد أن خانته الحظ وخذله زملاؤه ، وتمرد عليه جنوده ، وأبطأ  
عليه حلقاؤه

فامتناع دمنهور واستعصاؤها على الألفي كان من أهم أسباب إخفاقه في  
سياسته ، قال المسيو مانجان في هذا الصدد : « ان دفاع دمنهور المجيد هو جدير بأن  
يسجل في صفحات تاريخ مصر الحرب فقد تولى أهلها الشجعان هذا الدفاع وحدهم  
دون أن يتلقوا أي مدد أو مساعدة حتى من محمد علي الذي كان هذا الدفاع دفاعا  
عنه فقاوم أولئك الشجعان بكل ثبات وبساله قوات الألفي كلها إلى أن تكفل دفاعهم  
بالنجاح فكان له تأثير كبير في إحباط خطة الباب العالي »

وقال الجبرتي في ترجمة حياة محمد الألفي يصف موقفه بعد رحيل صالح باشا إلى أن ارتد عن دمنهور : « ولما تنحت عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته وأتلفوا الطبخة وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر اسكندرية على الصورة المذكورة استأنف المترجم أمراً آخر ، وراسل الإنكليز يلتمس منهم المساعدة ، وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم كما التمس منهم في العام الماضي فاعتذروا له بأنهم على صلح مع العثماني وليس في قانون الممالك إذا كانوا في صلح أن يتعدوا على المتصادقين معهم ولا يوجهون نحوهم عساكر إلا بإذن منهم أو بالتماس لمساعدة في أمرهم ، فغاية ما يكون المسكلمة والترجي ، ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره ولم يتم الأمر ، فلما خاطبهم بعد الذي جرى صادف ذلك وقوع النفرة بينهم وبين العثماني ، فأرسلوا إلى المترجم يوعدونه بإنفاذ ستة آلاف لمساعدته ، فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور ، وكان ذلك أوان القيظ وليس ثم زرع ولا نبات ، فضاقت على جيوشه الناحية ، وقد طال انتظاره للإنكليز ، فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد ، وفي كل حين يوعدهم بالفرج ويقول لهم اصبروا لم يبق إلا القليل ، فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا إليه وقالوا له إما أن تنتقل معنا إلى ناحية قبلي فإن أرض الله واسعة وإما أن تأذن لنا في الرحيل في طلب القوت ، فما وسعه إلا الرحيل مكظوما مقهوراً من معاندة الدهر في بلوغ المآرب - الأول مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل ، الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده أن يجعلها معقلاً ويقوم بها حتى تأتيه النجدة ، الثالث تأخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا إلى الرحيل ، الرابع ، وهو أعظمها ، بجانب إخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام إليه ، فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل الاخصاص ،

عاد الألفي قاصدا الصعيد بعد خذلانه في حصار دمنهور ، وقد تولاه اليأس والقنوط ، وسار كشيياحزينا ومعه القوات العديدة التي كان يحسب أنها تصل به إلى



عرش النيل . فكان تحت لوائه ستة آلاف من العرب وستائة من فرسان المماليك  
وثمانمائة من الترك والنوبيين ومعه من آلات القتال عشرة مدافع وعدد لا يحصى  
من البنادق والأسلحة ، وكانت الميرة والمؤونة تحملها آلاف عدة من الإبل

رجع الألفي بهذه القوات الحاشدة في أوائل يناير سنة ١٨٠٧ ، فكان لا يمر ببلدة  
إلا أباها لجيشه نبها وسلبا ، فكان أهل القرى ينزحون عن بلادهم إذا ما اقترب  
منها ويخولونها من الميرة والمتاع والماشية نجاة بها من النهب

وبلغت هذه الجموع المخربة إلى الجيزة ، فأوجس محمد علي باشا خيفة من مجيء  
خصمه الألد بهذه القوة الرهيبة ، وأخذ يستعد للمقاومة ، فجمع نحو أربعة آلاف  
من جنوده في شبرا ( ١٢ يناير سنة ١٨٠٧ ) وعبر بهم النيل إلى امبابه واتخذها معسكره  
العام ، ولكنه رأى من كثرة جموع الألفي ما جعله يحجم عن مهاجمته

وكانت طلائع الألفي تحت قيادة شاهين بك قد تقدمت واحتلت قرية الكوم  
الأسود التي تقع على مسير ساعة ونصف من امبابه جنوبا ، وسار الألفي بك حتى  
بلغ شبرامنت ، ولم تغادره السكابة التي لازمته من يوم رحيل العازة التركية ورفع  
الحصار عن دمنهور ، وزاد في غمه أبناء وصلته عن تخاذل رؤساء المماليك في الصعيد  
وتخليهم عن نصرته وقد كان يؤمل أن يتخذوه رئيساً لهم بعد وفاة البرديسي ، فاشتد  
غیظه وانفجر صدره كمدأ وصرعه المرض فأحس بدنو أجله ، فدعا البسكوات  
المماليك من اتباعه وأمّر عليهم شاهين بك الألفي خليفة له ، ثم قضى نحبه ليلة ٢٨  
يناير سنة ١٨٠٧ ( ١٩ ذو القعدة سنة ١٢٢١ )<sup>(١)</sup>

كتب المسيو مانجان عن مصرعه أنه خرج للتنزه تمتطياً جواده فرأى عرباناً  
من جيشه يتلفون مزرعة قح فثارت نزوة الغضب في رأسه فانقض عليهم وقتل  
أربعة منهم كان بينهم شيخ قبيلة ولما انقلب إلى خيمته اعتراه فيء مستمر وأصابه مرض

(١) اعتمدنا في هذا التاريخ على رواية الجبرتي ، وهي تختلف قليلا عن رواية المسيو

مانجان الذي جعل تاريخ الوفاة ٣٠ يناير

قتال قيل انه السكوليرا ولم يممه إلا ساعات حتى أودى بحياته وكان له من العمر خمس وخمسون سنة ، وأوصى بأن يدفن في البهنسا

وذكر الجبرتي أنه لما وصل إلى قرب قناطر شبرامنت جلس على ربوة هناك وزادت هواجسه وآلامه وأخذ يودع أحلامه وآماله ثم تحرك به خلط دهموي وتقياً دماً وأحس بدنو أجله فقال : « قضي الأمر وخلصت مصر لمحمد علي ،

مات الألفي في الوقت الذي كان الانجليز يسرون حملتهم على مصر ، وقد وصلت هذه الحملة إلى الإسكندرية بعد موته بنحو أربعين يوماً ، وقد يكون موته من أسباب إخفاق تلك الحملة كما سيحيى ، وبموته تخلص محمد علي من ألد أعدائه وأقواهم بأساً وأصعبهم مراساً

### الحملة على المماليك في الصعيد

قضى الألفي نحبته في الوقت الذي كان محمد علي باشا يجهز تجريدة لمحاربة المماليك في الوجه القبلي ، فلما أعد معدات الحملة بدأ بالرحف ، وكان جيشه مؤلفاً من ثلاثة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان وست سفن مسلحة ، وأقلت الحملة نحو ثمانمائة مركب ، وأصيب محمد علي هو أيضاً بالسكوليرا لكن طبيبه الخاص عني به احسن العناية وتغلّبت ببنيته القوية على المرض فشفي منه وكان في أيام مرضه موضع العطف من العلماء والأعيان ، فلما نقسه وانتهض اعترم السير إلى الصعيد فعهد بإدارة الإمن إلى كتنخدها وغادر القاهرة يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٠٧ (١)

وعلم أن قوات المماليك احتشدت في المنيا فقصده إليها بجيشه ولما وصل إلى بني سويف أرسل إلى زعماء المماليك رسلا من العلماء يسعون للصلح ، وكانت تلك

(١) مانجان . تاريخ مصر في حكم محمد علي جزء ١ ص ٢٦٧

خدعة منه ، وأخذ في الوقت نفسه يجتذب إليه بعض العربان الموالين الباليك ويستميلهم بالمال ، ثم تقدم ذات ليلة إلى معسكر المماليك ولما كانت حراسته موكولة إلى أولئك العربان توصل إليه بإرشادهم فانقض على المماليك وهم نائمون فأوقع بهم واستولى على كل مدافعهم ومهماتهم وتعقب الفارين منهم إلى حدود الصحراء

وبعد أن هزمهم بالقرب من أسبوط احتل المدينة واتخذ معسكره فيها ، وهناك تلقى أخبار الحملة الإنجليزية

## الفصل الثاني

### الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ وإخفاقها

لم تكدم مصر تنجو من خطر رجوع المماليك إلى الحكم حتى واجهت أزمة أشد وأعظم خطراً ، وهي الحملة التي جردتها عليها إنجلترا سنة ١٨٠٧ لاحتلالها وتحقيق مطامعها في وادي النيل

#### أسباب الحملة

ترجع أسباب تلك الحملة إلى انتفاض العلاقات بين إنجلترا وتركيا وما اعترها من الجفاء والعداء لانحياز تركيا إلى جانب فرنسا ، فنقمت إنجلترا من الحكومة التركية تلك السياسة وانفقت هي والروسيا على السكيد لها ، وسامت العلاقات بين الدولتين حتى انتهت بإعلان الحرب بينهما ، ودخل الأسطول الإنجليزي بقيادة الأدميرال دو كورث ( Duckworth ) بوغاز الدردنيل واعتزمت إنجلترا أن تضرب تركيا في مصر فتتال بذلك غرضين رهما إذلال تركيا من جهة وتحقيق أطماعها في مصر من جهة أخرى

#### حالة الأفسكار في القاهرة والأقاليم

جردت إنجلترا حملتها على مصر بقيادة الجنرال فريزر ، وكانت على اتفاق مع محمد بك الألفي أن يؤيدها ويشد أزرها على أن تكفل للمماليك الاستيلاء على حكومة البلاد

لكن مصر لم تستسلم لتلك الغزوة ، بل قاومتها بكل ما أوتيت من حول  
وقوة ، وظهرت الامة بذات الروح التي نهضت بها يازاء الحملة الفرنسية أى بروح  
المقاومة والبذل والتضحية والدفاع والمحاماة عن الذمار حتى انتهت الحملة  
بالخيبة والفشل

جاءت مصر أخبار الحملة الإنجليزية قبل قدومها وعلم الناس بها من الرسائل  
الواردة من الإستانة ، فأخذوا يعدون لمقاومتها كاستعدادهم لمقاومة الحملة الفرنسية  
التي تقدمتها بنحو عشر سنوات ، وتولى السيد عمر مكرم زعامة المقاومة الشعبية  
بما عهد فيه من شجاعة وحزم وإخلاص

ذكر الجبرتي حالة البلاد قبيل مجيء هذه الحملة فقال في حوادث ذى الحجة سنة  
١٢٢١ ( فبراير سنة ١٨٠٧ ) : « شرع أهل الإسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها  
وكذلك أبو قير ، وأرسل كتخدأ بك ( نائب محمد علي باشا ) من يتقيد ببناء قلعة  
بالبراس ، وحصل بمصر قلق ولغط ، وغلت الأسعار في البضائع المجلوبة وعملوا  
جمعيات في بيت كتخدأ بك وبيت السيد عمر النقيب وانفقوا على إرسال تلك  
المراسلات إلى محمد علي باشا بالجهة القبلية بحجة ديوان أفندي ( سكرتيره ) ،

أقبلت العمارة الإنجليزية إلى مياه الإسكندرية في شهر مارس سنة ١٨٠٧ ،  
فأرسل السعاة أخبار مجيئها إلى القاهرة ، وكان محمد علي باشا غائبا عنها يقاتل المهاليك  
في الصعيد ، فلما استفاضت أخبارها هاجت الخواطر وقلق الناس ، واجتمع ولاية  
الأمور يتشاورون فيما يجب عمله للدفاع عن البلاد

قال الجبرتي : « فلما وصلت تلك المسكاتبات اجتمع كتخدأ بك وحسن باشا  
وبونا بارتة الخازندار وطاهر باشا والدفتر دار والروزنامجي وباقي أعيانهم ، وذلك  
من الغروب ، وتشاوروا في ذلك ، ثم أجمع رأيهم على إرسال الخبر بذلك إلى محمد علي  
باشا يطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو أولى وأحق  
بالاهتمام ، ففعلوا ذلك وانصرفوا إلى منازلهم بعد حصة من الليل ، وأرسلوا



خريطة مواقع الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧

وترى فيها البلاد والمواقع التي ورد ذكرها في الفصل الثاني ، والجمعات التي مرت بها الحملة منذ نزول الجنود الإنجليزية بشاطئ العجمي ( غربي الاسكندرية ) إلى هزيمتهم في رشيد والحمام ، والخريطة مرسومة حسب تخطيط سنة ١٨٠٧ ، وتجد بها ترعة الاسكندرية التي كانت موجودة في ذلك العهد وأنشئت مكانها ترعة الحمودية سنة ١٨١٩ وقد أشرنا إلى تخطيطها في الخريطة منقوطة

تلك المكتابة إليه في صبح يوم الجمعة حجة هجانين ، وشاع الخبر وكثر لغط الناس في ذلك ،

قلنا إن الحملة الإنجليزية جاءت على اتفاق سابق مع الألفي زعيم المماليك ، لكن الأقدار الإلهية قضت أن يموت الألفي قبل أن تهبط الحملة إلى مصر ، ولو أنها تقدمت في مجيئها أربعين يوما فجاءت والألفي على قيد الحياة وحوله تلك الألوف من المقاتلة لكان محتملا أن يتحول مجرى الحوادث في مصر ، بيئد أنها وصلت بعد موت الألفي وتشدت أنصاره وانفضاض جيشه ، فكان ذلك من الأسباب التي هيأتها العناية الإلهية بجانب المقاومة التي أبدتها مصر لإخفاق هذه الحملة

### مجيء العمارة الإنجليزية

في أوائل مارس سنة ١٨٠٧ أقبلت سفينة إنجليزية إلى مياه الاسكندرية دون أن تخبر بأسباب حضورها ، ولعلمها كانت سفينة استطلاع لتعرف الحالة في الثغر ، فلما كان يوم ١٤ مارس جاءت سفينة حربية أخرى واستدعت القنصل الإنجليزي<sup>(١)</sup> فلي الدعوة ومضى مسرعا لمقابلة من فيها ، ولم يكده يعود إلى الثغر حتى يادر بإنقاذ عدة من السعاة يحملون رسائل إلى جهات بعيدة ، وقد ظن الأهالي أنها مرسله إلى الرعايا الانجليز لاستدعائهم إلى الثغر ، ولكن تبين بعد ذلك أنها مرسله إلى البكوات المماليك في الصعيد لإخبارهم بقرب وصول الحملة البريطانية واستدعائهم إلى الوجه البحري ، فدات هذه الرسائل على أن الحملة الإنجليزية جاءت باتفاق سابق مع الألفي على أن يمدّها المماليك بما لديهم من الرجال والعتاد قال الجبرتي في هذا الصدد : « وبعد موت الألفي بنحو الأربعين يوما وصات نجدة الانكليز إلى ثغر الاسكندرية وطلعوا إليها فبلغهم عند ذلك موت المذكور ،

(١) هو المايجور ميسيت Misset وكان قنصلا عاما لانجلترا في مصر

فلم يسهل بهم الرجوع فأرسلوا إلى الجماعة المصريين ( يريد المماليك ) ظانين أن فيهم أثر الهمة والشجدة يطلبونهم للحضور ويساعدهم الانكليز على ردهم لمملكتهم ، وقال في موضع آخر ما خلاصته : « إن هذه الطائفة من الانكليز ومن انضم إليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تأت إلى الثغر طمعاً في أخذ مصر ( ١ ) بل كان ورودهم وبجيتهم مساعدة ومعونة للألفي على أخصامه باستدعائه لهم واستنجاهه بهم ، وسبب تأخرهم في المجيء لما كان بينهم وبين العثماني من الصلح . فلما وقعت النفرة بينهم وبينه انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة ، وكان الألفي ينتظر حضورهم بالبحيرة ، فلما طال عليه الانتظار وضائق عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلاً وقضى الله بموته بإقليم الجيزة ، وحضر الانكليز بعد ذلك إلى الاسكندرية فوجدوه قد مات ، فلم يسعهم الرجوع فأرسلوا إلى الأمراء القبلين يستدعونهم ليسكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم إنا جئنا إلى بلادكم باستدعاء الألفي لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا الألفي قد مات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع فلا يكون عندكم تأخير في الحضور فإنكم لاتجدون فرصة بعد هذه وتندمون بعد ذلك إن تلسكأتم ،

يتبين من ذلك أن الحملة الانجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ كانت باستدعاء الألفي واتفاقه مع الانجليز على احتلال البلاد ، وهذا يؤيد الحقيقة التي بسطناها في الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية » ، وهي أن المماليك كانوا صنائع السياسة الانجليزية وظلوا صنائعها إلى أن استراحت البلاد منهم ، ولعلك لاحظت في رواية الجبرتي قوله ان الانجليز لم يأتوا إلى الثغر طمعاً في أخذ مصر الخ ... وهو قول من لم يدرك كنه السياسة الانجليزية ، والجبرتي معذور في عدم إدراكه حقيقة مقاصدها ، فلم يكن قد بلاها ، ولا عرف أسرارها ، وهو في اتخاذها بها أحق وأولى بالمعذرة من توهموا سنة ١٨٨٢ أي بعد نيف وسبعين عاماً من هذه الحوادث أن الانجليز جاءوا مصر للدفاع عن عرش الخديوية المصرية ، وكان عليهم أن يفهموا أنهم إنما جاءوا ليحتلوا البلاد ويبدطوا نفوذهم وسيطرتهم فيها



## احتلال الإسكندرية

في يوم ١٦ مارس عادت السفينة الإنجليزية تتبعها بارجة كبرى وبعض السفن الأخرى وألقت مراسيها بالميناء الغربية ، ونزلا منها ضابطان طلبا مقابلة محافظ الثغر في ذلك العصر ، واسمه أمين أغا ، وهو من ضباط الإستانة وكان متواطئاً مع الإنجليز أن يسلم لهم المدينة على رشوة من المال ، قال المسيو مانجان في كتابه ان الإنجليز قد اشتروا أمين أغا هذا بالمال . والذي أعطاه هذا المال هو قنصل إنجلترا فلما قابله الضابطان النازلان من العهارة الإنجليزية اتفق معهما على أن يسلم المدينة دون مقاومة ، ثم لم يكد يطلع يوم ١٧ مارس حتى أقبلت العهارة الإنجليزية مؤلفة من خمس وعشرين سفينة بقيادة الأميرال لويس Lewis وسدت مدخل الميناء الغربية ، وفي مساء ذلك اليوم أخذ جنود الحملة ينزلون إلى البر بشاطئ العجمي ، ثم زحف الإنجليز على الإسكندرية وعسكروا تحت أسوارها ، وأرسلوا فصيلة منهم لاحتلال قلعة (أبو قير) شرقي الإسكندرية ، واتقضى يومان في مفاوضات صورية بينهم وبين أمين أغا محافظ المدينة انتهت بأن سلم نفسه كأسير حرب ومعه حامية المدينة وعددها نحو ثلاثمائة مقاتل ، ودخل الإنجليز الإسكندرية ليلة ٢١ مارس دون أن تطلق رصاصة واحدة

هذا ما فعله أمين أغا محافظ الإسكندرية في ذلك العهد ، ولعلك تذكر موقف السيد محمد كريم حاكم الاسكندرية الوطني حين مجيء حملة نابوليون سنة ١٧٩٨ ومبلغ شجاعته في مقاومتها (١) وتقابل بين موقفه النبيل ومخزاة ( أمين أغا ) في استسلامه للحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ ، وأمين أغا هو من ضباط الإستانة لأن الحكومة التركية كانت تعد الإسكندرية إلى ذلك العهد تابعة لها مباشرة فكانت تعين حاكمها ، وأما السيد محمد كريم فقد كان في عهد الحملة الفرنسية حاكم المدينة الوطني ، فقابل

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، الفصل الخامس

بين موقف الحاكم الوطنى وشجاعته وجبن ضابط الإسكندرية ونذالته تجرد الفرق بين  
الاثنين عظيمًا

استولى الإنجليز إذن على الإسكندرية دون حرب ولا قتال ، لكن الجبرقى  
فى إيراد أخبار تلك الحملة ذكر فى يوميات شهر محرم سنة ١٢٢٢ ورود أنباء من  
الإسكندرية بوقوع قتال « وضرب بالمدافع الهائلة من البحر وهدم جانب من  
البرج الكبير وكذلك الأبراج الصغار » ، وكل ذلك لم يكن سوى إشاعات باطلة  
كانت ترسل إلى القاهرة فيتناقها الناس كما تروج الإشاعات الكاذبة أثناء الحروب  
ثم لا تلبث أن ينكشف بطلانها ، والواقع أنه لم يحصل ضرب بالمدافع الهائلة ولا  
هدم جزء من البرج الكبير أو الأبراج الصغيرة ، والجبرقى كان يذكر كل الإشاعات  
التي ترد أثناء وقوع الحوادث الخطيرة التي يدونها فقد ذكر أيضاً أنهم « أشاعوا  
أن الإسكندرية ممتعة عن الانكليز وأنهم طلوعوا إلى رأس التين والعجمى فخرج  
عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجأوهم عن البر ونزلوا إلى المراكب مهزومين  
وحرقوا منهم مركبين وأنه وصلت إليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية وحاربوهم  
فى البحر وأحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم إلا القليل »

ولم يكن شيء من ذلك صحيحاً ولا قريباً من الواقع ، بل كله مكذوب وكان  
مصدره الإشاعات الباطلة أو كما يقول الجبرقى بعد ذلك « واستمر الأمر فى هذا  
الخلط القبلى والبحرى عدة أيام ولم يأت من الإسكندرية سعاة ولا خبر صحيح ،  
وبعد أن أورد الجبرقى تلك الإشاعات ذكر أنه « فى ٢٠ محرم وردت الأخبار  
الصحيحة بأخذ الإسكندرية واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس تاسع الشهر  
ودخلوها وملسكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة النهار وسكن صارى عسكريهم بوكالة  
القنصل » فالجبرقى فى إيراد ( الأخبار الصحيحة ) لم يذكر أنه حدثت حرب أو  
قتال ولا ضرب بالمدافع الهائلة ولا هدم للأبراج ، وهذا يؤيد المصادر الصحيحة  
التي اتفقت روايتها على أن استيلاء الانجليز على الإسكندرية قد تم من غير مقاومة  
بفضل خيانه أمين أغا

كانت الحملة الإنجليزية مؤلفة من نيف و ٦٠٠٠ مقاتل<sup>(١)</sup> بقيادة الجنرال فريزر Fraser ويتألف هذا الجيش من فرقتين . الأولى بقيادة الجنرال ستوارت Stuart والأخرى بقيادة الجنرال ويكوب Wacop

ولعلك تعجب كيف جازف الإنجليز بهذا العدد الضئيل في الحملة على مصر في حين أن نابوليون بونابرت لم يقدم على غزوها إلا بجيش مؤلف من ٣٦٠٠٠ من المقاتلة و عمارة من أعظم الأساطيل البحرية ، واسكن هذه الدهشة لانتبث أن تزول إذا علمت أن الإنجليز كانوا يظنون أنهم لا يجدون في مصر مقاومة ذات شأن بسبب الاضطرابات التي مزقت شملها ، وكانوا من جهة أخرى يعتمدون على قوات المماليك في مصر ، ولذلك لم يصحبوا معهم قوة من الفرسان اكتفاء بما يظاهرون به صنائعهم المماليك ، وكانوا يعتقدون أنهم لا يلبثون أن يطأوا أرض مصر حتى يسارع إليهم المماليك من أنحاء البلاد لملاقاتهم والانضمام إليهم ، فلما دخلوا الإسكندرية ولم يروا لهم أثرا أرسل إليهم القنصل الإنجليزي يطالب من زعمائهم الحضور ليلتقوا بمنقذهم وحماتهم

ولما بلغت القاهرة أنباء احتلال الإسكندرية أحدثت انزعاجا كبيرا بين الناس وخاصة لما علموا أن محافظ الثغر قد سلم المدينة بدون قتال ، فأخذ زعماء الشعب يجتمعون ويتشاورون ، فاستقر رأيهم على أن يدعو الشعب إلى التطوع لصد الإنجليز عن البلاد

### موقف المماليك

وكان محمد علي لم يزل بالصعيد يقاتل قوات المماليك ، فلما جاءته الأنباء الأولى

---

(١) اعتمدنا في هذا الإحصاء على الوثيقة رقم ٢٠ من وثائق الحملة الإنجليزية التي أخرجتها الجمعية الجغرافية في كتاب ( مصر وإنجلترا - حملة سنة ١٨٠٧ ) للمسيو دوان

عن الحملة توجس خيفة منها واعتزم العودة إلى القاهرة ، على أنه قابل الخبر برباطة جأش ، وعمد إلى الدهاء في كسر حدة المماليك ليضمن عدم انخيازهم إلى صفوف الانجليز ، ففاوض زعماءهم في إبرام الصلح معهم ، وكانت شروطهم لقبول الصلح أن يترك لهم حكم الوجه القبلي ، وقد وجد محمد على أن الضرورة السياسية تقتضى المهادنة معهم حتى يدفع خطر الحملة الانجليزية ، فقبل منهم هذا الشرط على أن يؤدوا له خراج الصعيد وعلى أن يكونوا إلى جانبه في محاربة الانجليز ، فرضى المماليك بهذا الشرط ، ولو كان الأتقي بك على قيد الحياة لما رضى به ، ولكن خلفاءه لم يكونوا مرتبطين مع الانجليز بمثل الروابط والعهود التي قطعها الأتقي على نفسه ، فضلا عن أنهم خشوا إساءة سمعتهم واتهامهم بالخيانة إذا هم انضموا إلى الانجليز أعداء مصر والإسلام فقبلوا أن يحالفوا بمحمد على ، ولم يكونوا صادقين في التحالف ، بل كانوا يضمرون أن يتربصوا حتى تنكشف نتائج الحملة الإنجليزية فإن هي فازت انحازوا إليها وإن أصابها الفشل فهم على تحالفهم مع محمد على ، وكذلك كان شأنهم في كل عهد أن يكونوا مع الغالب ، على أن هذا الموقف في ذاته قد أفاد قضية مصر لأنه حرم الإنجليز عضدا قويا كانوا يعتمدون عليه في حملتهم أخلى إذن محمد على الصعيد ، وسار بجنوده إلى القاهرة فاحتل المماليك عواصم الوجه القبلي وتقدموا إلى الجيزة

واقعة رشيد

وهزيمة الإنجليز فيها

٣١ مارس سنة ١٨٠٧ ( ٢١ محرم سنة ١٢٢٢ )

كانت خطة الإنجليز في القتال أن يزحف المماليك على القاهرة فيحتلوها ، وأن يحتل الانجليز بمعاونة أسطولهم ثغور مصر ويزحفوا إلى الداخل وييسطوا أيديهم على حكومة البلاد مستعينين بصنائعهم المماليك

وقد تلقى الجنرال فريزر وهو بعد في الاسكندرية تقريراً من المستر بتروثشي Petrucci قنصل انجلترا في رشيد عن حالة مصر وإحصاء ما بها من القوات، فأمن النظر في هذا التقرير ودرس الموقف بمقدار ما بلغ إليه عليه ، ثم اعتزم الزحف على رشيد لاحتلالها واتخاذها قاعدة حربية يتزود منها الجيش ومنها يزحف إلى داخل البلاد ، وعهد بهذه المهمة إلى الجنرال ويكوب وأنفذه إليها في قوة من ٢٠٠٠ من الجنود

تحرك هذا الجيش من الاسكندرية يوم ٢٩ مارس قاصداً رشيد ، فمكث تحت أسوارها في اليوم التالي ، وأخذ يتأهب لدخولها صبيحة يوم ٣١ مارس كان محافظ رشيد وقتئذ يدعى على بك السلانكلي ، وهو رجل شجاع ثاقب النظر يختلف كثيراً في أخلاقه عن أمين أغا حاكم الاسكندرية ، وتحت أمره نحو سبعمائة جندي ، فعزم على مقاومة الجيش الانجليزي معتمداً على قوة الحامية وعلى مشاركة الأهالي في الدفاع عن المدينة ، ولأجل أن يبعث الحمية في نفوس جنوده ويحملهم على الاستبسال في القتال أمر بإبعاد مراكب التعدي إلى البر الشرقي للنيل حتى لا يجد رجال الحامية وسيلة إلى الارتداد إذا حدثتهم نفوسهم أن يسلبوا كما سلمت حامية الاسكندرية ، فلما تم له نقل جميع المراكب وشعر الجنود والأهلون عند اقتراب الجيش الانجليزي أن البحر من ورائهم ، والعدو من أمامهم ، صحّت عزيمتهم على المقاومة إلى النهاية ، وأمر على بك أن تراجع الحامية إلى داخل المدينة وأن يعتصموا هم والأهلون بالمنازل مستعدين للضرب والأيديءوا بحركة ما إلا عند ما تصدر لهم الإشارة بإطلاق النار

فتقدم الانجليز ، ولما لم يجدوا أثراً للمقاومة خارج البلد اعتقدوا أن حاميتها قد اعتزمت إخلاصها وتسليمها مخذبة بما فعله أمين أغا محافظ الاسكندرية ، فدخلوا شوارع المدينة مطمئنين ، و انوا قد أعيانهم السير في الرمال من الاسكندرية إلى رشيد ، فانتشروا في الطرق والأسواق يرتادون أمكنة يلبغون إليها ويستريحون فيها ، ولسكنهم ما كادوا يجوسون خلال الديار وتشتمل المدينة عليهم ، حتى أصدر

على بك أمره بإطلاق النار ، فاقترحمهم الرصاص من كل صوب ، وأخذ الأهليون يطلقون النار من النوافذ والسطوح ، فذب الرعب في قلوبهم ، وسقط الكثيرون منهم صرعى في الشوارع ، فقتل الجنرال ويكوب برصاصة أردته ، وقتل الكثير من ضباطه ، فاستولى الذعر على نفوس الإنجليز ولاذوا بالفرار ، وانتهت الواقعة بهزيمة الجيش الإنجليزي وارتداد الأحياء منه عن رشيد في حالة يأس وفشل ، فتقدموا إلى الاسكندرية بطريق أبو قير وبلغ عدد القتلى منهم في هذه الواقعة نحو ١٧٠ قتيلًا و ٢٥٠ من الجرحى وأسرى المصريين منهم ١٢٠ أسيرًا

رواية الجبرتي عن واقعة رشيد

ذكر الجبرتي عن واقعة رشيد ما يأتي :

« في يوم الجمعة رابع عشرين محرم سنة ١٢٢٢ وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الإنكليز وصلت إلى رشيد في صبح يوم الثلاثاء حادي عشرينه ( أي ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ ) ودخلوا إلى البلد وكان أهل البلدة ومن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وطلبوا الأمان فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبجوا منهم جملة كثيرة وأسروا الباقين وفرت طائفة إلى ناحية دمنهور<sup>(١)</sup> وكان كاشفها عندما بلغه ما حصل برشيد اطمأن خاطره ورجع إلى ناحية ديبه ومحلة الأمير وطلع بمن معه إلى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم وأخذ منهم أسرى وأرسلوا السعاة إلى مصر بالبشارة فضربوا مدافع وعملوا شنكا ،

(١) لعل الصواب أبو قير

### نصيب المصريين في المعركة

كان لأهالي رشيد النصيب الأوفر في هزيمة الجيش الانجليزي ، لأن حاميتها العسكرية كانت من القلة بحيث لا تستطيع أن تصد الجيش الراحف ، وقد سبق لنا القول أن أخبار الحملة الانجليزية قد استفاضت في مصر قبل مجيئها وعلم الناس بأمرها من الرسائل الواردة من الاستانة وأخذت الثغور تستعد لمقاومتها، ولم يقبل الأهليون في رشيد أو غيرها أن يطلبوا المدد من جنود القاهرة لما اشتهروا به وقتل من النهب والسلب إذ كان معظمهم من الأرنؤود والدلاة وأخلاق السلطنة العثمانية ، فأثر الأهالي أن يتولوا الدفاع عن المدينة بأنفسهم واحتملوا معظم العبء في المقاومة والقتال ، قال الجبرتي في هذا الصدد : « وفي يوم الثلاثاء ٧ محرم سنة ١٢٢٢ ( ٧ مارس سنة ١٨٠٧ ) عملوا جمعية بييت القاضي حضرها المشايخ والأعيان وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحسين الثغور أرسل الباشا ( محمد علي ) سليمان أغا ومعه طائفة من العسكر وأرسل إلى أهالي الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بأنهم إن كانوا يحتاجون إلى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم ، فأجابوا بأن فيهم الكفاية ولا يحتاجون إلى عساكر زيادة تأتيهم من مصر فإنهم إذا كثروا في البلد يأتي منهم الفساد والإفساد ، فعملوا هذه الجمعية لإثبات هذا القول ،

يتبين من ذلك أن الأهالي أبوا أن يطلبوا النجدة من العسكر توقيا لما يقع منهم من الفساد وانهم وطنوا النفس على تحمل أعباء القتال بأنفسهم ، وبما يؤيد تلك الحقيقة أن وقائع الحملة تدل على أن الحاميات العسكرية قد فر معظمها من الميدان ولم تواجه الجيش الانجليزي ، فقد مر بك ما فعله أمين أغا حاكم الاسكندرية وحامية المدينة من التسليم وكذلك فعلت حامية دمنهور فانها لما بلغت أخبار احتلال الانجليز الاسكندرية أخلت دمنهور وانسحبت إلى فوه ، وحاول الدمنهوريون أن يثوهم عن عزمهم وحرصوهم على البقاء بالمدينة لمقاومة

الانجليز ، فابوا إلا الهرب وأرسل الأهل إلى السيد عمر مكرم ينتبئونه بفرارهم ،  
قال الجبرتي في هذا الصدد :

« وفي ١١ محرم سنة ١٢٢٢ ورد مكتوب من أهالي دمنهور خطابا إلى السيد عمر  
التعقيب مضمونه أنه لما دخلت المراكب الانكليزية إلى اسكندرية هرب من كان  
بها من العساكر وحضروا إلى دمنهور فعندما شاهدتهم الكاشف ( الحاكم ) الكائن  
بدمنهور ومن معه من العسكر انزعجوا انزعاجا شديدا وعزموا على الخروج من  
دمنهور ، فخطبهم أكابر الناحية ( الأعيان ) قائلين لهم كيف تتركونا وتذهبون ولم  
تروا منا خلافا وقد كنا فيما تقدم من حروب الأتقي من أعظم المساعدين لكم  
فكيف لا يساعد الآن بعضنا بعضا في حروب الانكليز ، فلم يستمعوا لقولهم أشدة  
ما داخلهم من الخوف وعبوا متاعهم وأخرج الكاشف أنقاله وجبخته ومدافعه  
وتركها وعدى وذهب إلى فوه من ليلته ثم أرسل ثاني يوم في أخذ الأثقال ، فهذا  
ما حصل أخبرناكم به ،

ينتج مما تقدم أن النصر في معركة رشيد يرجع إلى الأهل وانهم هم الذين  
احتملوا معظم أعباء الجهاد وأبلوا أحسن بلاء في الدفاع عن المدينة

### نتائج واقعة رشيد

كان لموقعة رشيد تأثير كبير في تطور الأحوال ، لأن هذا النصر المبين قد ملأ  
قلوب المصريين حماسة ونفرا ، وضعضع الهيبة التي كانت للانجليز في نفوس الناس ،  
تلك الهيبة التي جاءت من انتصاراتهم السابقة على الجيش الفرنسي في مصر وعلى  
الأساطيل الفرنسية فوق ظهر البحار ، فلا غرو أن يبعث هذا النصر إلى نفوس  
الشعب روح الثقة ، ويحفزه إلى الاستمرار في المقاومة . ولقد كان لهذه الواقعة في  
نفوس المماليك تأثير بالغ فإنها كانت لهم صدمة شديدة أضعفت أملمهم في نجاح الحملة  
الانجليزية وجمعاتهم ينكشون في معاقلم بالوجه القبلي ، وبالتالي جعلت الجيش  
الانجليزى لا يتوقع المعاونة التي كان ينتظرها منهم ، فكل هذه الاعتبارات جعلت



لواقعة رشيد من الأهمية شأنها بالغاً في قيمته وخطره

وقد بادر على بك حاكم رشيد بعد الموقعة إلى إنفاذ الأسرى الانجليز إلى القاهرة ومعهم رموس قتلاهم ليكون ذلك إعلاناً للنصر الذي نالته رشيد ثم ليعت هذا المنظر في نفوس الجنود والشعب روح الأمل والثقة ، وكان يوم حضورهم يوماً مشهوداً

قال الجبرتي في وصفه ما خلاصته :

« فلما كان يوم الأحد ٢٦ محرم سنة ١٢٢٢ (ابريل سنة ١٨٠٧) أشيع وصول رموس القتلى ومن معهم من الأسرى إلى بولاق فهرع الناس إلى الذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم إلى ساحل بولاق وركب أيضاً كبار العسكر ومعهم طوائفهم لملاقاتهم فطلعوا بهم إلى البر وصحبتهم جماعة العسكر المتسافرين معهم فأتوا بهم من خارج مصر ودخلوا من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم فسيال (ضابط) كبير وآخر كبير في السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة في وسط العسكر ورموس القتلى معهم على نسيابت وعدتها أربعة عشر رأساً، والأحياء خمسة وعشرون ، ولم يزالوا سائرين بهم إلى بركة الأزبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع وطلعوا بالأحياء مع فسيالهم إلى القلعة وفي يوم الاثنين وصل أيضاً جملة من الرموس والأسرى إلى بولاق فطلعوا بهم على الرسم المذكور وعدتهم مائة وواحد وعشرون رأساً ، وثلاثة عشر أسيراً وفيهم جرحى ،

حالة الشعب النفسية

وتطوعه للقتال

تكلمنا عن نصيب أهل رشيد في المعركة التي دارت رحاها في شوارعها وفيما حاق بالجيش الانجليزى من الهزيمة ، ولقد بدت على سكان القاهرة تلك الروح التي تجلت في أهل رشيد ، فنبذ أن وردت أنباء المعركة الأولى استنفر الشيوخ

وفي مقدمتهم السيد عمر مكرم أهل القاهرة إلى التطوع للقتال ، وخطب خطباء المساجد في حث الناس على الجهاد ، فاستجابوا للدعوة راضين وأقبلوا على التطوع مختارين

### فضل السيد عمر مكرم

أخذ المتطوعون يذهبون في صبيحة كل يوم إلى أطراف المدينة يعملون في حفر الخنادق وإقامة الاستحكامات شمالي القاهرة لصد الانجليز إذا جاءوا بطريق شبرا ، وبادروا إلى العمل في ذلك وسارعوا إلى الاستعداد للقتال وعلى رأسهم السيد عمر مكرم ، وكان الفقراء يعملون متطوعين نصف النهار ثم يعودون إلى أعمال معاشهم عند الظهر

وظهرت العاصمة بتلك الروح التي تجلت فيها قبيل معركة الازهر سنة ١٧٩٨ وفي خلال ثورة الشعب على خورشيد باشا سنة ١٨٠٥ ، قال المسيو مانجان في هذا الصدد يصف ما شاهده :

« كان السيد عمر مكرم يذهب في صبيحة كل يوم يتبعه الجماهير إلى حيث يشتغل العمال في إقامة الاستحكامات ، وكثيرا ما يبقى هناك النهار كله في خيمة أعدت له ، وكان حضوره يثير الحماسة والشجاعة في نفوس الناس جميعا ، وقد بذل كل إنسان مافي وسعه لإقامة الاستحكامات (١) »

وقال الجبرتي يصف عمل السيد عمر مكرم :

« وفيه - يوم ٢٦ محرم - نبه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الانكليز حتى مجاورى الازهر وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك إلقاء الدروس »

(١) تاريخ مصر في حكم محمد علي . جزء ٢ ص ٢٧٩

فتأمل دعوة الجهاد التي بثها السيد عمر مكرم والروح التي نفخها في طبقات الشعب ، فإنك لترى هذا الموقف مماثلاً لموقفه عند ما دعا الشعب إلى التطوع لقتال الفرنسيين قبل معركة الأهرام ، ثم تأمل في دعوته الأزهريين إلى المشاركة في القتال ، تجد أنه لا ينظر إليهم كرجال علم ودين فحسب بل رجال جهاد و قتال و دفاع عن الذمار أيضاً ، فعملهم في ذلك العصر كان أعم وأعظم من عملهم اليوم وقال الجبرتي في موضع آخر يصف اجتماع زعماء الشعب ورجال الحكومة للتشاور فيما يجب عمله :

« وفي يوم الثلاثاء حصلت جمعية بيت القاضي وحضر حسن باشا وعمر بك والدفردار وكتخدا بك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرفاوي والشيخ الأمير وباقي المشايخ فتكلموا في شأن حادثة الانكليز والاستعداد لحربهم وقتلهم وطردهم فإنهم أعداء الدين والملة ويجب أن يكون الناس والعسكر على حال الالفة والشفقة والاتحاد وأن تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالإيذاء كما هو شأنهم وأن يساعد بعضهم بعضاً على دفع العدو ، ثم تشاوروا في تحصين المدينة وحفر خنادق ، فقال بعضهم إن الإنكليز لا يأتون إلا من البر الغربي والنيل حاجز بين الفريقين ، وإن الفرنسيون كانوا أعلم بأمر الحروب وأنهم لم يحفروا إلا الخندق المتصل من باب الحديد إلى البحر ( النيل ) فينبغي الاعتناء بإصلاحه ولو لم يكن كوضعهم وإتقانهم واتفقوا على ذلك ،

وقال في موضع آخر : « وفي يوم الأربعاء ٢٩ محرم ركب السيد عمر النقيب والقاضي والأعيان المتقدم ذكرهم ونزلوا إلى ناحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور وصحبهم قنصل فرنساوية وهو الذي أشار عليهم بذلك ، وصحبهم الجمع الكثير من الناس والأتباع والكل بالأسلحة ،

وقال عن اشتراك طبقات الشعب في حفر الخندق المذكور وإقامة الاستحكامات بما بلغ إليه جهد كل مطبق : « وشرعوا في حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجي

وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض أجرة خمسين وعشرين وكذلك أهل بولاق ونصارى ديوان المدكس (الجرى) والنصارى والأروام والشوام والأقباط واشتروا المقاطف والغلقان والفوس والقزم وآلات الحفر وشرعوا فى بناء حائط مستدير بأسفل تل قاعة السبتية ،

وقد حدثت كل هذه الاستعدادات ومحمد على باشا لم يزل غائباً بالصعيد ، وهذا يدل على أن الشعب كان متطوعاً من تلقاء نفسه للقتال عازماً على الحرب والمقاومة كما كان شأنه عند مجيء الحملة الفرنسية ، أما قنصل فرنسا الذى أشار إليه الجبرتي فهو المييو دروفى وكان فى الاسكندرية عندما جاءت العمارة الإنجليزية ، فغادر الشجر مخافة أن يقع أسيراً فى يد الإنجليز لما كان بين إنجلترا وفرنسا من العداء المستحكم فى ذلك الحين ، فرحل من الاسكندرية إلى رشيد ومنها انحدر إلى القاهرة فاشترك فى تنظيم وسائل الدفاع عنها

ولم يقتصر تطوع سكان القاهرة على الدفاع عن العاصمة بل هبوا لنجدة إخوانهم أهل رشيد ، وذلك أنه على الرغم من ردهم الجيش الإنجليزى الأول فإنهم استهدفوا لزحف الجيش الإنجليزى الثانى الذى جاء ليحرق أثر الواقعة الأولى ، فحضر الحصار على رشيد ، وركب المدافع على آكام أبى مندور التى تتسلط عليها ، وأخذ يضربها بالمدافع تمهيداً للهجوم عليها وفتحها عنوة ، وقد تهدم كثير من بيوتها ومات كثير من أهلها من ضرب المدافع وتساقط القنابل ، فأرسل السيد حسن كريت نقيب أشرف رشيد الرسائل إلى السيد عمر مكرم يستنجده ويطلب إليه إمداد المدينة بالرجال والعتاد ، فقرأ السيد عمر الرسالة الأولى على الناس وحضهم على التطوع لنجدة رشيد ، فاستجابوا وتطوعوا وحملوا السلاح وأزمعوا السفر لنجدة إخوانهم ، وبالرغم من أن (كنتخدا بك) لم يأذن لهم بالسفر حتى يحضر محمد على باشا من الصعيد فإن كثيرين منهم لم يعبأوا بهذا المنع وارتحلوا لنجدة أهل رشيد فى صد الجيش الإنجليزى

وتطوع كذلك أهالى البحيرة والبلاد المجاورة لرشيد وأقبلوا عليها يندفعون

عنها ، فكان ذلك مظهر آجليلا من مظاهر التضامن القومي والاشتراك في حمل  
أعباء الجهاد ، واتحاد الكلمة في ساعة الخطر ، وفداء كل موضع في البلاد بكل فرد  
من أهل البلاد

قال الجبرتي : « وفي يوم الخميس غاية محرم ورد مكتوب من السيد حسن كريت  
نقيب أشرف رشيد والمشار إليه بها ( أى كبير أعيانها ) يذكر فيه أن الإنكليز لما  
أوقع بهم رشيد ورجعوا في هزيمتهم إلى الاسكندرية استعدوا وحضروا إلى ناحية  
الحماد قبلى رشيد ومعهم المدافع الهائلة والعدد ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر  
( النيل ) إلى الجبل عرضا ، وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه ، فهذا ما حصل أخبرناكم  
وزجو الإسعاف والامداد بالرجال والجبخانه والعدة والعدد وعدم التأني والاهمال ،  
فلما وصل هذا الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التأهب  
والخروج للجهاد ، فامثلوا ولبسوا الأسلحة ، وجمع إليه طائفة المغاربة وأترك  
خان الخليل وكثيراً من العدوية والأسيوطية وأولاد البلد ، وركب في صبحها إلى  
كتخدنا بك واستأذنه في الذهاب فلم يرض وقال حتى يأتى أفندينا الباشا ( محمد على )  
ويرى رأيه في ذلك ، فسافر من سافر ، وبقي من بقي »

وقال في موضع آخر : « وفي يوم السبت ثنى صفر ( ١١ أبريل سنة ١٨٠٧ )  
وردت مكاتبة أيضاً من نجر رشيد وعليها إمضاء على بك السلانكلى حاكم النجر  
وطاهر باشا وأحمد أغا المعروف ببونابارت بمعنى مكتوب السيد حسن السابق  
ويذكرون فيه أن الانكليز ملكوا أيضاً كوم الأفراح وأبو منصور ويستعجلون  
النجدة ، وفي خامس صفر وردت مكاتبة من رشيد عليها إمضاء السيد حسن كريت  
يخبر فيها بان الانكليز محتاطون بالشجر ومتحلقون حوله ويضربون البلد بالمدافع  
والقنابل ، وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس ، وقد  
أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاعانة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء ، وما عرفنا  
لأى شيء هذا الحال ، وها هذا الاهمال ، فالله الله في الاسعاف ، فقد ضاق الخناق  
وبلغت القلوب الحناجر من توقع المسكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس

ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في  
ثاني صفر ١٢٢٠ ،

### معركة الخيـّاد

( ٢١ ابريل سنة ١٨٠٧ )

كانت واقعة رشيد ضربة شديدة أصابت الجيش الانجليزي ، فأراد الجنرال  
فريزر أن يمحو أثر الهزيمة التي حاقت به في تلك الواقعة ، واعتزم تجريد جيش  
آخر يستأنف الزحف على رشيد وعهد بقيادته إلى الجنرال ستوارت  
وفي غضون ذلك وصل محمد علي باشا إلى القاهرة عائدا من الصعيد فبلغها ليلة  
١٢ ابريل سنة ١٨٠٧ ( ٣ صفر سنة ١٢٢٢ ) (١) فاطلع على الأنباء الواردة عن  
هزيمة الانجليز في رشيد ، فاطمأن نفسا وألقى الحالة أقل خطورة مما كان يتوقع ،  
على انه لم يركن إلى ما حدث في تلك الموقعة ورأى بثاقب نظره ان الانجليز قد  
يستأنفون القتال والزحف ليستردوا هيبتهم الضائعة . فبادر إلى تجريد جيش أنفذه  
لمحاربتهم وصددهم عن التقدم ، وأتم عمل الاستحكامات التي بدء بها قبل حضوره ،  
ورااصل العمل في حفر الخنادق بين باب الحديد وبولاق لاقامة خط الدفاع عن  
القاهرة من الشمال وشق أخاديد أمام الخنادق تتصل بالنيل لتمتليء بالمياه وتعرقل  
تقدم الجيش الانجليزي ، وأغرق عدة من المراكب بين جزيرة بولاق والشاطيء  
لمنع مرور السفن الانجليزية في النيل إذا جاءت من رشيد ، ونصب بطاريات من  
المدافع في شبرا وامبابه وجزيرة بولاق ، واشترك العلباء والشعب في العمل  
بجحاسة وغيره وحمية  
وأخذ يدبر المال اللازم لنفقات الجيش ، وعاونه السيد عمر مكرم والعلباء

(١) رواية الجبرتي

في جمع ما استطاع تديره من المال فجمعوا تسعمائة كيس من سكان العاصمة خصصوها  
لننقعات الزحف

وتم تجهيز الحملة ، فكانت مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل من المشاة وخمسمائة  
وألف من الفرسان ، وسارت قاصدة إلى رشيد بقيادة طبوز أوغلي (١)  
أما جيش الجنرال ستوارت فكان عدده نحو أربعة آلاف مقاتل مجهزين  
بالمدافع والأسلحة والذخائر

تحرك هذا الجيش من الإسكندرية يوم ٣ ابريل زاحفا على رشيد ، ولما صار  
على مقربة منها أنفذ الجنرال ستوارت كتيبة منه احتلت (الحمداد) التي تقع جنوبي  
رشيد بين النيل وبحيرة ادكو (٢) ، وكان الغرض من احتلالها تطويق رشيد ، ومنع  
وصول المدد إليها من الجنوب وحماية ساقية الجيش الإنجليزي

واحتل الإنجليز أيضا آكام أبي مندور ، وركبوا عليها المدافع ليضربوا رشيد  
بالقنابل ، وعسكر معظم الجيش غربي رشيد وجنوبيها وأخذ يحاصرها (٧ ابريل)  
ويضربها بالمدافع

كان الانجليز يظنون أن ضرب المدينة بالمدافع ياتي الرعب في نفوس الحامية  
والاهالي ، ويضطرهم إلى التسليم ، وقد أندروهم غير مرة بأن يسلموا المدينة ،  
ولسكنهم رفضوا ، وكان انتصارهم السابق في واقعة رشيد قد بعث في نفوسهم الحمية  
والحماسة ، فصمموا على الاستبسال في الدفاع عن مدينتهم ، وبالرغم مما أحدثته  
القنابل من تخريب البيوت وقتل العدد الكثير من السكان فإنهم صابروا وصبروا  
واحتملوا هذه الشدائد بشجاعة ورباطة جأش ، وكانوا يخرجون من المدينة من  
آن لآخر لمناوشة القوات الإنجليزية ، واستمر الضرب والحصار نحو اثني عشر يوما

(١) هو كتحدا بك أي نائب محمد علي ، ويسميه الجبرتي (دبوس أوغلي) ، وهو

جد حسين رشدي باشا أحد رؤساء الوزارة السابقين

(٢) انظر موقعها بالخرريطة ص ٤٨

## دون أن يفوز الانجليز بطائل

كتب الجنرال ستوارت في رسالة له إلى الجنرال فريزر يقول (١) :

« ان ما أنبأتموني به من قرب حضور المماليك جعلني أترث في الهجوم على رشيد ، لقد ألحقنا بالمدينة أضراراً كبيرة ، وقد بلغ ما أطلقناه عليها من المدافع البعيدة المرمى ٣٠٠ قنبلة ، على أنه قد تبين لنا أن الأعداء لا يكثرثون بالمصائب التي تنزل بهم ، ان قواتهم لا تزيد على ما بلغنا على ٣٠٠ من الفرسان ، و ٨٠٠ من الأرناءوط وألف من الأهالي المسالحين ، ولسكن نظراً لسعة خطوط دفاعهم وطبيعة مواقعهم لم أر من الحكمة أن أتعجل اقتحام المدينة . وان نجاحنا معاق على نجدة المماليك ، فإذا جاءوا إلينا أمكننا أن نرسل إلى البر الشرقي من النيل قوة تشترك في القتال ، أما الآن فيستحيل علينا ذلك لأن العدو متفوق علينا في قوة الفرسان ، وليس لدينا مثل هذه القوة التي لها عمل كبير في الجهات المنبسطة كجهات الدلتا ، وفي انتظار تلك النجدة يتبين لنا مبلغ أهمية موقعنا في ( الحماة ) فاننا نتوقع أن يهاجمنا الأعداء فيها ، وسنبذل كل جهودنا لاستبقائها في يدنا ،

كان الإنجليز ينتظرون إذن أن ينجدهم المماليك ، ولسكن هؤلاء أخذوا يسوفون ويماطلون في الوفاء بعهدهم ، ويرقبون تطور الحوادث ، ثم تخلوا عن حلفائهم لما رأوا من حرج مركزهم

وفي غضون ذلك أخذ الأهالي يناوشون مواقع الانجليز في الحماة ، فأنفذ إليها الجنرال ستوارت مدداً من الجنود ، وركب المصريون أيضاً مدفعين على الشاطئ الشرقي وأخذوا يلقون القنابل على ميمنة الجيش الانجليزي بالبر الغربي ، فاجتاز الماجور ماكدونالد Macdonald النهر عند مسجد أبي مندور ( ١٦ ابريل ) ومعه قوة من ٢٥٠ جندياً واستولى على موقع المصريين وعلى المدفعين ، ثم تلقى المصريون مدداً فعاد ماكدونالد أدراجه إلى البر الغربي

(١) وثائق الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧ للسيو دوان وثيقة رقم ٤٦



واستمر الضرب والحصار إلى أن جاء المدد الذي أرسله محمد علي باشا بقيادة طبوزاوغلي ، فتغير الموقف الحربي تغيراً جوهرياً  
كان هذا المدد مؤلفاً من فرقتين ، الأولى يقودها طبوزاوغلي نفسه بالبر الشرقي للنيل ، والآخرى بقيادة حسن باشا بالبر الغربي ، وكانت الفرقتان تسير كلتاهما حذاء الأخرى على الشاطئين ، فلما جاءتا على مقربة من رشيد عسكرت فرقة حسن باشا بالبر الغربي تجاه ( الحماة ) ، وعسكرت الأخرى في ( برنبال ) بالشاطئ الشرقي وكان جنود الفرقتين يشاهد بعضهم بعضاً

ففي صبيحة ٢٠ ابريل تقدمت طلائع الجيش المصري من الفرسان ( من فرقة حسن باشا ) نحو مواقع الانجليز في الحماة ، والتقت بكتيبة منهم وسط المزارع ، فأراد هؤلاء الارتداد إلى القرية ، ولكنهم لم يحكموا انسحابهم وأحاط بهم فرسان الجيش المصري فقتلوا بعضهم وأسروا آخرين

فلما علم الجنرال ستوارت بهذا الاصطدام الأول أنفذ السكولونل ماكلود MacLeod معه مدد من الجنود والمدافع إلى ( الحماة ) لتثبيت مركز الانجليز فيها ، وعهد إليه بقيادة القوة المرابطة بها

كان موقع هذه القرية على جانب كبير من الأهمية ، وعليها يدور محور القتال لأنها واقعة في برزخ بين النيل وبحيرة ادكو ، وفي شمالها ترعة كانت في ذلك الحين جافة تصل من النيل إلى قرب البحيرة ، فلو أن الانجليز أحكموا الدفاع عن موقعهم بها لأمكنهم أن يسدوا الطريق أمام الجيش المصري فلا يستطيع اجتياز ذلك البرزخ ولا الوصول إلى رشيد ليهدمها بالنجدة

رتب السكولونل مواقع جنوده ليدافع بهم عن هذا البرزخ ، وكان عددهم ثمانمائة مقاتل تركز ميسرتهم إلى النيل بقيادة المايجور وجلسند Wogelsand ، وميمنتهم قرب بحيرة ( ادكو ) بقيادة الكابتن تارلتون Tarleton ، والقلب في قرية الحماة بقيادة المايجور مور Moor ، أما جمهرة الجيش الانجليزي فرابطت حول رشيد لحصارها

وانقضى يوم ٢٠ ابريل وموقع الانجليز في الحماد لم يستهدف في الظاهر للخطر، وكان السكولونل ما كلود مطمئنا إلى مركزه، لكن الجنرال ستوارت لاحظ حينما قتش خط الدفاع في الحماد (ليلة ٢١ ابريل) انه لا يحتمل في بعض جهاته ضغط قوات الجيش المصرى إذا تكاثر عددها، فعهد إلى السكولونل ما كلود ان يستبسل في الدفاع عن مواقعه قدر ما استطاع، وفي حالة تكاثر قوات الفرسان المصريين فعليه أن يرتد إلى شاطئ البحيرة، فإذا لم يستطيع ذلك فليترجع إلى مواقع الجيش الانجليزى الذى كان يحاصر رشيد

وأدرك الجنرال ستوارت ان القوات المصرية بعد ان جاءها المدد صارت أكثر عدداً من الجيش الانجليزى، فارتأى ان ينتظر إلى اليوم التالى (٢١ ابريل) واعتزم إذا لم تصله النجدة من المماليك أن ينسحب من الحماد ويرفع الحصار عن رشيد ويتراجع إلى الاسكندرية

أما طبوز اوغلى، قائد الجيش المصرى، فانه كان إلى ذلك الوقت مرابطاً في في برنبال بالبر الشرقى، متردداً في أى طريق يسلكه، هل يذهب رأساً لنجدة رشيد ليرفع الحصار عنها، أم يهاجم أولاً موقع الانجليز في الحماد، إلى ان تشجع بالنصر الذى ناله فرسان حسن باشا بالبر الغربى في الاصطدام الأول، فاعتزم اتباع الخطة الأخيرة، فعبر النيل ليلاً بجنوده، واقلتهم المراكب إلى العدو اليسرى، وانضموا إلى فرقة حسن باشا تاهباً لمهاجمة الحماد في صبيحة الغد (٢١ ابريل)

وفي الصباح شاهد السكولونل ما كلود قوات الجيش المصرى قد تكاثر عددها، وامتلاء السهل برجالها، فأرسل من فوره إلى الجنرال ستوارت ينبئه الخبر ويطلب إليه ان يقره على الانسحاب إلى مواقع الجيش الانجليزى حول رشيد، فبعث إليه ستوارت يقره على خطته، ويمده بفصيصة من الجنود، ولكن الرسول لم يصل إلى الحماد وكذلك لم يجيء المدد، لأن فرسان الجيش المصرى قد انسابوا في السهل وقطعوا المواصلات بين الحماد ورشيد، فاعتزم ما كلود الانسحاب من خط دفاعه؛ ولكنه لم يحكم خطته، وتفرقت قواته، فتمكن فرسان الجيش المصرى

من الانقراض عليها واحدة إثر أخرى في الوقت الذي احتل فيه المشاة المصريون قرية الحماد

تعقب الفرسان القوات الثلاث ، فأحاطوا بقوة القلب وكان معها السكولونل ما كلود ، وانها على الرصاص من كل صوب فقتل معظم رجالها وقتل من بينهم السكولونل ما كلود نفسه

وأحاطوا كذلك بالميمنة فقتل قائدها السكاين ترلتون ومعظم جنودها ، ولم ينج من القتل سوى خمسين وقعوا في الأسر

أما الميسرة فقد قاومت قليلاً وأحاط بها الفرسان من كل جانب ، فلم ير قائدها الماجور وجلسند بدأ من التسليم ، فلم هو والبقية الباقية من الانجليز ، وكان ذلك ختام المعركة

بدأت الواقعة الساعة السابعة صباحاً ، واستمرت ثلاث ساعات حمى فيها وطيس القتال ، وانتهت بهزيمة الجيش الإنجليزي المرابط في الحماد ، ولم ينج منه أحد ، فمن لم يدركه القتل لم يسلم من الأسر ، وبلغت خسارته نحو ١٦٤ من القتلى و ٤٠٠ أسير

كان الجنرال ستوارت مرابطاً أثناء الواقعة جنوبي رشيد ومعها بقية الجيش الإنجليزي ، فلما أدرك عظم النكبة التي حلت بقواته في الحماد سارع إلى رفع الحصار عن رشيد وبادر إلى الانسحاب قبل أن ينقض عليه الجيش المصري ، فأتلف مدافعه التي لم يستطع حملها وتراجع إلى طريق أبو قير يجر أذيال الخيبة والهزيمة

وبالرغم من كتمانته تدابير الانسحاب فإن أهالي رشيد والبلاد المجاورة تعقبوه في انسحابه إلى أن وصل إلى بحيرة ادكو وجرت مناوشات على شاطئ البحيرة بينه وبين المصريين انتهت بارتداد هؤلاء ومواصلة الانجليز الانسحاب حتى بلغوا أبو قير ومن هناك استقلوا السفن إلى الاسكندرية

رواية الجبرتي عن معركة (الحماد)

قال الجبرتي عن معركة الحماد ما يلي :

« في يوم الخميس ١٤ صفر حضر شخصان من السعاة وأخبرا بالنصر على الانجليز وهزيمتهم ، وذلك أنه اجتمع الجم الكبير من أهالي البحيرة وغيرها وأهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر ، وأهل دمهور ، وصادف وصول كتخدا بك واسماعيل كاشف الطوبجي إلى تلك الناحية ، فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة وأسروا من الانكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رهوس ، فخلع الباشا (محمد علي) على الساعين جوختين ، وفي اثر ذلك وصل أيضاً شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر ، وبالغا في الأخبار وان الانكليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبي مندور والحماد ، ولم يزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم إلى أن توسطوا البرية وغنموا جيخاتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين ،

وقال في موضع آخر يصف تطوع المصريين في القتال بعد معركة رشيد الأولى ونصيبهم في معركة الحماد وما أبلو فيها من البلاء الحسن ، وكيف غمط حقهم بعد ذلك ولم يعرف فضلهم في الجهاد والفوز :

« وكذلك أهل البلاد قويت همتهم وتأهبوا للبروز والمجاربة ، واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد ، وأكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق وأعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم ، وصرفوا على من انضم إليهم من الفقراء ، وخرجوا في مواكب وطبول وزمور ، فلما وصلوا إلى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ، وصدقوا في الحملة عليهم ، وألقوا أنفسهم في النيران ولم يبالوا برميهم ، وهجموا عليهم واختلطوا بهم ، وأدهسوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم ، فألقوا سلاحهم ، وطلبوا الأمان فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالأسرى والرهوس على الصورة

المذكورة وفر الباقون إلى من بقي بالاسكندرية ، ولبت العامة شكروا على ذلك أو نسب إليهم فضل ، بل نسب كل ذلك للبasha وعساكره ، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك ،

### تأثير معركة الحماد في الموقف الحربى

كانت معركة ( الحماد ) هزيمة ساحقة للانجليز ، فمات نفوس المصريين عزماً وفخراً وثقة ، وأسقطت هيئة الجيش الإنجليزى وخاصة لما جمع كتخداهم بك أسراهم وشحنهم فى المراكب إلى القاهرة ليتحقق الناس عظم النصر الذى أدركه الجيش المصرى

وصل أولئك الأسرى إلى بولاق يوم ٢ صفر سنة ١٢٢٢ ( ١٩ ابريل سنة ١٨٠٧ ) فسيقوا من بولاق إلى الأزبكية ومنها إلى القلعة ، وعددهم ٤٨٠ أسيراً وفى مقدمتهم من قواد الجيش الإنجليزى الماجور مور ، والماجور وجاسند ، وكان يوم حضورهم يوماً مشهوداً احتشدت فيه الجماهير من سكان العاصمة على جوانب الشوارع والطرق لرؤية منظر الأسرى ، وطيف برؤوس القتلى الانجليز ليراها الناس على الطريقة التى كانت مألوفة فى ذلك العصر فبلغ عددها ٤٥٠ رأساً أما الجنرال فريزر فقد أسقط فى يده بعد هزيمتى رشيد والحماد ورأى من العيب أن يعاود القتال ، فامتنع بالاسكندرية وأخذ فى تحصينها ، وبعث بالرسل إلى زعماء المماليك يذكرهم بوعود الألفى وينسأشدهم العهود ويحرضهم على إعادته ومعاضدته ليواصل القتال ويعيدهم إلى دست الأحكام ، ولكن المماليك لما علموا بما حل بالانجليز من الهزيمة صموا آذانهم عن الاستجابة لطلب الجنرال فريزر وظلوا يعيدون عن غمرات القتال

ولكى يأمن الجنرال فريزر على نفسه قطع سد أبو قير لتصفى مياه بحيرة أبو قير على مريوط وتحيط المياه بالاسكندرية من جميع الجهات ، وهذه هى المرة

الثانية التي قطع فيها الانجليز هذا السد ، وكانت المرة الأولى سنة ١٨٠١ حينما حاربوا الجنرال منو فأرادوا أن يحصروا في الاسكندرية فقطعوا السد (١)

ولا يخفى أن قطع السد يتلف ترعة الاسكندرية فيمنع وصول مياهها إلى الثغر ويخرب بلاداً كثيرة في جهات مريوط ، فالانجليز قد تسببوا في هذا الخراب مرتين

وأخذ محمد علي بعد العدة للزحف على الاسكندرية وإجلاء الانجليز عنها ، ولم يكدم يبدأ في إنفاذ عزمه حتى جاءه بالقاهرة رسول من قبل الجنرال فريزر يحمل رسالة منه ، فظن أن هذه الرسالة خاصة بالأسرى الانجليز الذين في القلعة ، ففضها فإذا فيها طلب الجنرال فريزر للمفاوضة في الصلح على أن يجسروا الجيش عن الاسكندرية ، ولم يكن محمد علي يتوقع جلاء الانجليز عن البلاد بهذه السهولة وهم الذين يتطلعون منذ سنوات عدة إلى احتلالها وبسط نفوذهم عليها ويبذلون الجهود والوسائل لتحقيق أطماعهم فيها ، فلم يرغب عن محمد علي ما بذله الانجليز من عهد الحملة الفرنسية لاحتلال مصر ولا مساعيهم لدى الباب العالي ودسائسهم المستمرة لتولية صنائعهم المماليك حكم البلاد وخاصة محمد بك الألفي ، ولا تجر يداهم تلك الحملة في هذا الغرض ، كل هذا لم يفت نظر محمد علي الشاقب ، ولذلك لم يكدم يصدق هذه الرسالة ، وحاول كتمان دهشته منها وابتهاجه لها ، وأجاب الرسول بأنه ذاهب بجيشه إلى دمنهور ، وهناك سيبحث بجوابه إلى الجنرال فريزر

والواقع أن انجلترا عازمت وقتئذ على العدول عن غزو مصر ، ولم يكن ذلك منها تورعاً ولا عدولاً عن تحقيق أطماعها الاستعمارية في وادي النيل ، بل لأن الحالة السياسية في أوروبا كانت لا تمكنها من متابعة حملتها على مصر ، وذلك أن الصراع بينها وبين نابليون استحرر وبلغ مبلغه في ذلك العهد ، وكان نابليون إذ ذاك في أوج قوته ومجده ، وقد كان له معظم القارة الأوروبية ، وعقد مع قيصر روسيا

(١) انظر الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ص ٢٥٢

صلح (تلميت) الشهير ، ذلك الصلح الذي وطد مركزه في أوروبا وضمن له صداقة القيصر ، فاستطاع أن يتفرغ لتوجيه قواته الهائلة لسحق إنجلترا ، فرأت هذه أن تجمع قواها لتدافع عن جزيرتها ، وآثرت ألا تغامر بجيوشها في حملات بعيدة وهي في حاجة إليها ، ورأت من جهة أخرى بعد ما أصاب جنودها من الهزيمة والخذلان في رشيد والحماد أن الحملة على مصر ليست مرجوة العواقب ، من أجل ذلك عدلت عن متابعة حملتها وأرسلت تستدعي جيشها من الاسكندرية . وأمرت الجنرال فريزر بالإقلاع بجنوده إلى صقلية ، ولا يعنى هذا أنها تخلت عن مطامعها في مصر ، بل رأت أن ترجى تحقيقها إلى أن تسنح فرصة أخرى ، وكذلك ظلت تضمثر الشرمصر وترقب الفرص إلى أن كشرت عن نايها أثناء اشتداد الصراع بين مصر وتركيا سنة ١٨٣٩ فتدخلت في المسألة المصرية ، وألبت الدول الأوروبية على مصر وحرمتها ثمرة انتصاراتها على الأتراك ، كما سيجيء بيانه ، وظلت بعد ذلك تتحين الفرص لاحتلال البلاد حتى سنحت لها الفرصة سنة ١٨٨٢ أثناء الثورة العراقية

### إبرام الصلح وجلاء الانجليز عن البلاد

اعتزم محمد علي إذن السفر إلى دمنهور وسار بجيشه من معسكره في امبابه إلى الرحمانية ، ومنها إلى دمنهور يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٠٧ (٧ جمادى الثانية) ، وكان جيشه مؤلفاً من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان مجهزين بمدفعية قوية

ولما بلغ دمنهور التقى بالجنرال شربروك Scherbrook الانجليزى الذى فوضه الجنرال فريزر فى الاتفاق على الصلح ، وهناك أبرم الطرفان المعاهدة (١) ، وهى

(١) بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، وقد نشرنا نصها فى قسم الوثائق وثيقة رقم ١

تقضى بجلاء الجنود الانجليزية عن الاسكندرية في مقابل استرجاعهم أسراهم  
وجرحاهم ، فبادر محمد علي بإفناذ أمره إلى القاهرة ليحمل الأسرى الإنجليز على  
الفور ، وأخذ الجرال فريزر يعد معدات الجلاء ويتسلم الأسرى ، وفي اليوم التاسع  
عشر من سبتمبر<sup>(١)</sup> تم جلاء الانجليز عن المدينة ، وتسلم الإسكندرية طوبوزاوغلى  
نيابة عن محمد علي ثم أفلعت السفن البريطانية ذاهبة بجنود الحملة إلى صقلية

قال الجبرتي : « وفي يوم الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٢٢٢ وصل المبشرون بنزول  
الإنكليز من نجر الإسكندرية إلى المراكب ودخل إليها كتحدا بك (طوبوزاوغلى)  
ونزل بدار الشيخ المسيرى ،

وبذلك طويت صحيفة الاحتلال البريطاني الثاني<sup>(٢)</sup> ، فكانت مدته  
سنة أشهر

فتأمل في هذا التاريخ ، سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، وارجع معي بفسرك إلى أكثر  
من مائة سنة خلت ، واعلم بأن انجلترا ما فتئت خلال هذه الأعوام الطوال ترقب  
فريستها وتتحين الفرص لتحقيق مطامعها القديمة في بلادنا العزيزة ، وما زالت تدبر  
الذرائع وتخلق الحوادث وتنصب الشباك حتى استطاعت بعد خمس وسبعين سنة  
من جلائها عن البلاد أن تحتلها سنة ١٨٨٢ ، ومن غرائب القدر أن يكون جلاء  
الانجليز في الاحتلال الثاني كان في شهر سبتمبر سنة ١٨٠٧ ودخولهم القاهرة في  
الاحتلال الثالث كان في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، فما أعظم الفرق بين التاريخين ،

---

(١) اعتمدنا في تاريخ هذا اليوم على الوثيقة رقم ١٢٩ من وثائق الحملة الانجليزية  
المنتقم ذكرها

(٢) سميناه الثاني تميزا له عن الاحتلال الأول الذي وقع سنة ١٨٠١ في أواخر عهد  
الحملة الفرنسية واستمر بعد انتهائها إلى سنة ١٨٠٣ ( راجع الجزء الثاني من تاريخ الحركة  
القومية ص ٣٣١ ) ، والاحتلال الثالث الذي رزمت به البلاد سنة ١٨٨٢ ولا تزال  
نعانيه إلى اليوم ( ١٩٤٦ )



فالاول يذكرنا بيوم سوّدد وفضار ، والثاني يثير في نفوسنا لوعة الأسى والاحزان ! كانت الاسكندرية خلال السنوات السبع الماضية في عزلة عن القطر المصرى بعيدة عن نفوذ محمد على ، ذلك أن الباب العالى كان يعتبرها تابعة مباشرة لحكمه ولم يكن للولاية ظل من النفوذ فيها ، فبقيت على هذه الحال إلى أن جلا الإنجليز عن البلاد وسار محمد على إليها ، فكان هذا الجلاء فرصة سعيدة لبسط نفوذ الحكومة المصرية على ربوعها ، ودخلها محمد على لأول مرة بعد جلاء الإنجليز وكان يوما مشهودا أطلقت فيه مدافع القلاع والأبراج ابتهاجا بانضمام الإسكندرية إلى جامعة الوطن

### عودة محمد على إلى القاهرة

ظل محمد على فى الإسكندرية إلى أن غادرها وسار برآ إلى رشيد يصحبه حسن باشا ، ومن هناك انحدر فى النيل إلى القاهرة ، وفى طريقه إليها انقلب به مركبه أمام (وردان) فاجتاز النهر سباحة وواصل سفره راكبا جواده ، فسكب به الجواد على غير عادته وسقط على الأرض ، فتطيرت حاشية الباشا من الحادثتين ، ثم وصل محمد على إلى القاهرة وبلغها فى شهر أكتوبر سنة ١٨٠٧

قال الجبرقى فى هذا الصدد : وفى ثالث شعبان سنة ١٢٢٢ ( ٦ أكتوبر سنة ١٨٠٧ ) وصل الباشا إلى ساحل بولاق ، فضربوا لقدمه مدافع من القلعة ، وعملوا له شنكا ثلاثة أيام ، وانفق أن الباشا فى حال رجوعه من الإسكندرية نزل فى سفينة صغيرة وصحبه حسن باشا طاهر وسليمان أغا الوكيل سابقا فانقلب بهم وأشرف ثلاثتهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقهم مركب أخرى أنقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند زفينة (١) ،

(١) على شاطئ النيل شمالى القناطر الخيرية من بلاد مركز قلوب وتسمى زفينة شلقان

ولما بلغت أنباء الجلاء عن الاسكندرية إلى الاستانة ابتهج السلطان محمود  
ابتهاجا عظيما لما كان بين تركيا وانجلترا من العداة في ذلك الحين ، فأرسل رسولا إلى  
محمد علي يظهر له ابتهاجه ويهدى إليه سيفا ثمينا وخلعة ، وكذلك أنعم على إبراهيم  
بك وطوسون بك وحسن باشا وطاهر باشا والسيد عمر مكرم وعابدين بك  
وعمر بك وصالح قوش بالرتب والخلع الثمينة

وأعادت الحكومة التركية إبراهيم بك ( باشا ) إلى مصر وكان بالاستانة رهينة  
حتى يؤدي محمد علي الأربعة الآلاف كيس التي التزم بأدائها ، فاطلقت الحكومة  
سراحه اعرابا على ابتهاجها بانتصار الجيش المصرى  
وصفوة القول ان إخفاق الحملة البريطانية سنة ١٨٠٧ وهزائم الانجليز في رشيد  
والحماد هي صفحات مجد ونخار لمصر والمصريين

### فتنة الجنود وإخمادها

سنة ١٨٠٧

كان محمد علي باشا معترضا بعد أن تخلص من الحملة الانجليزية أن يجرّد حملة على  
المماليك في الصعيد ليقضى على سلطانهم به ، لكنه علم وهو في الاسكندرية أن  
الجنود قد جنحوا في العاصمة إلى التمرد والفتنة ، فرأى أن يدع الحملة على المماليك  
حتى ينتهى من اخماد فتنة الجنود

عاد إلى القاهرة فطالعه الناس بالشكوى من مسلك الجنود واخلاقهم بالنظام ،  
والواقع ان هؤلاء الجنود كان دأبهم النهب والسلب والعدوان على الناس وانتهاك  
الحرمة والاستهانة بالأرواح والأموال

وكما كان للزعامة الشعبية الفضل الكبير في إحباط الحملة الانجليزية كذلك كن  
لها الفضل في مناصرة محمد علي باشا ومعاونته على اخماد فتنة العسكر

كان أولئك الجندي آفة على الأمن والنظام ، وكذلك كانوا خطرا على استقرار

محمد على باشا في الحكم ، وقد تخاص من العناصر الأكثر نزوعا إلى العصيان كالدلاة مثلا ، فانه بعد توليته حكم مصر سرح معظمهم وعهد إلى فرقه من الأرنامود ترحيلهم إلى الحدود السورية ، وفي أثناء جلائهم عن البلاد نهبوا قرى الوجه البحري وعاثوا وأفسدوا ، لسكن بقيت عناصر الأرنامود من الجنود غير النظاميين وبقية من الدلاة تحل بالأمن وتنزع إلى العصيان ، وكانو كلها نجحوا في فتنة ازدادوا تمردا وطغيانا ، وكلما عادوا من حملة أو تجريدة جاسوا خلال القرى آخذين ما تصل إليه أيديهم بالنهب والسلب

وقد رأى محمد على باشا من نزوعهم إلى العسف والاعتداء وانسلاهم إلى الأرياف والعاصمة للنهب والفتك بالأهلين عقب حملة سنة ١٨٠٧ ما جعله يصمم الرأي على تأديبهم وكبح جماحهم ، فلما استقر به المقام في القاهرة اعترزم إنفاذ هذا العزم . وكان ذلك عين الصواب لأن أولئك الجنود قد تهادوا في طغيانهم ولم يزعمهم وازع من سلطة أو نفوذ حتى تهددوا محمد على ذاته بالفتك به

ففي ٢٨ أكتوبر تجمهرت جموع حاشدة من الجنود الأرنامود وذهبوا بجمعهم وصخبهم إلى سراي الباشا بالأزبكية يطالبون برواتبهم المتأخرة ، فلم يجابوا إلى طلبهم ووعدوا بالدفع ، فلم يرضوا ، وأخذوا يطلقون النار من بنادهم على أبواب القصر ونوافذه ، ولما نفدت ذخيرتهم تهادوا من حيث أتوا ، ولم تمض ثلاث ساعات على هذا التجمهر حتى جاء رهط آخر من الجنود الدلاة وحذوا حذو الأرنامود في تمردهم وشغبهم ، ففزع الناس من هذه الفتنة وخشوا عواقبها واقفلوا الدكاكين والأسواق ، وأغلقوا بوابات الدروب والحارات من الغروب وسهروا خلفها بالأسلحة ، فأدرك محمد على خطر هذه الفتنة ، فاحتاط لنفسه قبل أن يصيبه شرها ، وكان ذلك من دلائل فراسته وبعد نظره ، فإن الجنود المتمردين كانوا قد أجمعوا الفتك به في سرايه بالأزبكية ، وكانت هذه السراي مكشوفة للمتمردين ، فعقد العزم على مبارحتها إلى القلعة ، لأنه رآها آمن مستقرا ومقاما

ففي اليوم التالي ( ٢٩ أكتوبر ) انتقل ليلا مع صحبه المختارين له إلى القلعة بعد

أن نقل إليها أمتعته الثمينة وخزائمه التي كانت بسرأي الأذربكية ، وقد تم انتقاله إلى القلعة سرأ بحيث لم يشعر به الجنود المتمردون ، فلما علموا بالخبر ثارت ثائرتهم وأقبلوا يهبون سرأي محمد علي ، وتجمعوا في أنحاء المدينة وأطلقوا أيديهم في النهب والسلب والاعتداء على الناس ، واستمرت الفتنة سبعة أيام حتى أنست الناس الاحتفال برؤية رمضان

استفحلت الفتنة واضطربت لها العاصمة وكادت تقضى على الأمن والنظام فيها ، فتدخل السيد عمر مكرم والعلماء ، واجتمعوا غير مرة طورا في القلعة ، وآونة في بيت السيد عمر مكرم ، وأنا في بيت السيد محمد المحروقي كبير التجار ، وبحثوا في خير الوسائل لإخماد الفتنة ، فانفقوا رأيا على أن تؤدي الحكومة للجنود المتمردين جزءا من رواتبهم المتأخرة قدره بألفي كيس ، ولما كانت خزانة الحكومة خالية من المال قرروا أن يتحمل الأهالي هذه الاتاوة الجديدة ، فوزعوها على التجار والملاك والصناع وأرباب الحرف ، وأقنعوا المتمردين بالإخلاق إلى السكنية مقابل هذا المبلغ من المال

نجيت الاتاوة ، ودفعت للجنود ، واستتببت السكنية مؤقتا على حساب الأهالي ، واعتزم محمد علي تلقاء خطورة هذه الفتنة أن يقتص من زعمائها ، فقرر نبي رجب أغا أحد رؤساء الجند الارناؤود وأشد هم زوعا إال العصيان ، وكان هذا الأغا يعمل من قبل في صفوف محمد بك الألفي رئيسا لقواته المشاة ، فلما مات الألفي جاء إلى القاهرة يصحبه رهط من رجاله وأخذ يبعث فسادا ، فلما قرر محمد علي نفيه استكبر وأصر وأبى أن يذعن للأمر ، وامتنع في باب الخلق ، وكادت تقوم في المدينة فتنة جديدة لولا أن تدخل في الأمر عمر بك وصالح قوش من رؤساء الجند الارناؤود ، فذهبا رجب أغا إلى بولاق وأنفذه إلى دمياط فارتحل منها إلى بلاده

دلت هذه الفتنة على أنه مادام جيش الحكومة خليطاً من تلك العناصر المتمردة النازعة أبدأ إلى الإخلال بالنظام فلا يسقر الأمن في البلاد ، ولا تستقيم شؤونها ،

ومن هنا خالجت محمد علي فكرة التخلص من الجنود غير النظاميين وإنشاء جيش جديد أساسه الطاعة والنظام الرؤساء ، وأخذ يتحين الفرص لانفاذ فكرته ، فكان من وسائل تحقيقها إرسال أخلاط الجيش غير النظامي إلى الحملات البعيدة في الحجاز والسودان ، وبذلك أخذ يتخلص منها تدريجاً تمهيداً لتأسيس الجيش المصري النظامي كما سيأتي بيانه

## الفصل الثالث

اختفاء الزعامة الشعبية من الميدان

الموقف السياسي

من الرجح أن محمد علي باينا كان يميل في ذات نفسه إلى التخلص من الزعامة الشعبية التي أجلسه على قمة المجد ، لأن هذه الزعامة كانت في هذه السنوات الأولى من حكمه بمثابة سلطة ذات شأن تستقصى عليه وتراقب أعماله مراقبة مستمرة ، وكانت ملجأ الشاكين ممن ينالهم الظلم أو تنحى عنهم مساوىء الحكام . ولا نزاع في أن هذا النوع من الرقابة لم يكن مألوفاً ولا سائغاً في ذلك العصر ، وإن كان محمد علي مديناً للزعامة الشعبية بولاية الحكم وتشديته وتذليل العقبات التي اعترضته وإحباط الدسائس والمؤامرات التي تدبر له ، فإن السلطة في ذاتها من شأنها أن تطغى صاحبها وتنزع به إلى الاستبداد بالأمر ؛ فمحمد علي بعد أن استقر في الحكم وثبتت قدمه طمحت نفسه إلى الاستبداد وبدأ يشعر بالغضاضة من تدخل العلماء وأهل الرأي في شئون الحكومة وسعيهم في رفع المظالم عن الناس ، ومهما يكن هذا التدخل شرعياً ولا غبار عليه لصدوره من قوم بايعوا محمد علي الولاية بشرط أن يسير في الحكم بالعدل والقسطاس ، فما لانزاع فيه أنه كان يميل إلى التخلص من هذه الرقابة بإقصاء الزعامة الشعبية عن الميدان

كل هذا صحيح واقع لا ريب فيه ، ولكن من الحق أن نقول أيضاً إن الزعامة الشعبية هي التي هدمت سلطتها بيدها ، وإنها كانت تحمل في عناصرها أسباب انحلالها ، ذلك أن زعماء الشعب لم يكونوا على وفاق وتضامن وإخلاص متبادل ، فأخذت أسباب التنافس والتحاسد والمطامع الشخصية تفرق بينهم ، ودبت في نفوس الكثيرين منهم عقارب الحسد لما ناله السيد عمر مكرم من المنزلة والرياسة ، ومع

أن عمر مكرم بلغ مكانته بجدارة واستحقاق لما له من فضل السبق في تكوين تلك تلك الزعامة وإقامتها على طريق السداد، ولما اشتهر عنه من الأنفة والحجة، والتعفف وعلو النفس، والبعد عن الصغائر ونزعات الهوى . فإن زملاءه في الزعامة قد حسدوه ونقموا عليه رياسته، فأخذوا يكيدون له لإضعاف مركزه، والنيل من مكانته، ولم يجدوا سبيلاً أقرب إلى تحقيق غرضهم من النزف إلى محمد علي والوقية بينه وبين عمر مكرم، فاتتهزها محمد علي فرصة للتخلص من الزعيم الشعبي الذي كان لديه كالقريب العتيد على أعماله، ثم للتخلص كذلك من الزعامة الشعبية بحملتها مرة واحدة

هذا هو السبب الجوهرى في تفكك عرى تلك الزعامة الشعبية وانحلالها، وإذا تأملت فيما ذكره الجبرتي خلال يومياته رأيت أن أسباب التخاذل وتفرق الكلمة قد بدأت تعمل في تقويض دعائم تلك الزعامة من أواخر سنة ١٨٠٥، واستمرت تلك الأسباب تبدو حيناً وتختفي حيناً آخر إلى أن بلغت مداها سنة ١٨٠٩، وانتهت بالوقية بالسيد عمر مكرم ونفيه إلى دمياط، وبمنفاه وإقصائه عن الميدان انهار ركن الزعامة الشعبية وهوى نجمها الساطع، وطويت صحيفتها إلى حين

ومما يستوجب الدهشة والأسف أن التخاذل بين الزعماء بدأ لأسباب واهية ما كان يجدر أن تفرق بين قوم حملوا دوراً خطيراً في حياة مصر السياسية، فقد كان أول سبب لانقسامهم هو نزاحهم على نظر أوقاف الأزهر .. ١

قال الجبرتي في حوادث رمضان سنة ١٢٢٠ (نوفبر سنة ١٨٠٥):

« وفي هذه الأيام وقعت بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور وأغراض نفسانية يطول شرحها، وتحزبوا حزبين حزب مع الشيخ عبد الله الشرفاوى، وحزب مع الشيخ محمد الأمير وهم الأكثر، وجعلوا الشيخ الأمير ناظرأ على الجامع (الأزهر) وكتبوا له تقريراً بذلك من القاضى وختم عليه المشايخ والشيخ السادات والسيد عمر أفندى النقيب، وكانت النظارة شاغرة من أيام الفرنسيين، وكان يتقلدها أحد الأمراء (المهاليك) فلما خرج الأمراء من مصر صارت تابعة لمشيخة

الأزهر لوقت تاريخه ، فانفعل لذلك الشيخ الشرقاوى ،

تخاذل الزعماء وحالتهم النفسية

كان هذا الخلاف من الحوادث الجوهرية التي لفتت نظر الكتاب الافرنج من تابعوا حوادث مصر في ذلك العصر ، فقد ذكره المسيو مانجان في كتابه بقوله :  
« إن العلماء اختلفوا فيما بينهم على من يتولى النظر على أوقاف الأزهر وانقسموا ريقين فريق أراد أن يكون ذلك للشيخ محمد الأمير ، وفريق تحزب للشيخ الشرقاوى وطلب أن يكون النظر إليه ، وقد فاز الأمير وحزبه فقرر له النظر ،

ثم أخذ هذا الخلاف يستفحل مع الزمن ، وسعى بعض الشيوخ البعيدين عن أسبابه ، وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن السجيني ، أن يحسموه خيفة أن يتصدع بناء الجماعة ، فدعاهم السجيني إلى داره وأعد لهم وليمة يدتخى بها أن يزول ما في نفوسهم من أسباب الجفاء ، قال الجبرتي في حوادث صفر سنة ١٢٢١ ( ابريل سنة ١٨٠٦ ) :  
« وفي هذه الأيام كان بين مشايخ العلم منافسات ومناورات ومحاسدات وذلك في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٢٠ ، وتعصبات بسبب مشيخة الجامع ونظر أوقافه وأوقاف عبد الرحمن كتحدا ، فاتفق أن الشيخ عبد الرحمن السجيني ابن الشيخ عبد الروف عمل وليمة ودعاهم إليها فاجتمعوا في ذلك اليوم وتصالخوا في الظاهر ، فتأمل كيف كانت المنافسة بين الشيوخ والزعماء لأسباب شخصية واهية وهي النزاحم على مشيخة جامع أو ادارة أوقاف ، وتأمل في قول الجبرتي اهم حينما اجتمعوا على مائدة الشيخ السجيني تصالخوا ، وكان صلحهم ( في الظاهر ) ، ومعنى ذلك أنه لم يكن إلا رياء ومداهنة ، وبقيت السرائر على ما طُويت عليه

لم يخف أمر هذا التنازع على محمد علي ، بل لا بد أن يكون قد ابتهج له في خاصة نفسه ابتهاجا عظيما ، وعزم على استغلاله لينفرد بالحكم ، ويتخاص من تلك الرقابة الشعبية ، وقد قويت فيه نغرة الانفراد بالحكم بعد إخفاق الحملة الإنجليزية ،



نما جعله ينزع إلى الاستئثار بالحكومة والقضاء على كل سلطة تراقبه أو تعارضه ،  
وقد بدأ بالتخلص من الزعامة الشعبية لأن هذه الزعامة مرتكزة على أساس راسخ  
من التفاف الشعب حولها وصحة المبادئ التي تعمل لها

ومن الحق أن نقول انه لم يكن من بين زعماء الشعب من كان يحسب له حساب ،  
كبير مثل السيد عمر مكرم ، فانه الرجل الذي كان يتمثل فيه دائما تاريخ الثورة ،  
فلم تلن قناته للمنافع والمغريات ، ولم تزعه السكوارث والتهميدات ، وقد ظل  
يمثل النزاهة والاستقامة حتى آخر نسمة من حياته ، وأيده في مسلكه بعض الشيوخ ،  
ولكن أغليبهم قد انصرفت إلى أسباب المنافع ، والاستكثار من الأموال  
والضياع والدور والقصور ، وأخذوا يقلدون البكوات المماليك في البذخ والرفاهية ،  
فأذلتهم الدنيا ، وضعفت نفوسهم أمام سلطة الحاكم ونفوذه

وكان محمد على عند فرضه الضرائب الجديدة على القرى والالتزامات قد راعى  
خاطر الشيوخ ليضمهم إليه ، فأعفى أملاكهم وضياعهم وما دخل في التزامهم من  
دفع ضريبة (الفائض) وكذلك شمل بهذا الإعفاء أملاك من ينتمون إليهم ، فأغتر  
الشيوخ بهذا التمييز في المعاملة ، وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها المحتاجين ،  
وتركوا الدنيا تمسد من طباعهم ، قال الجبرتي في هذا الصدد : « وافقتوا بالدنيا  
وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل  
بالكلية ، وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء ( المماليك ) واخذوا الخدم  
والمقدمين والأعوان وأجروا الحبس والتعزير والضرب وصار دينهم واجتماعهم  
ذكر الأمور الدنيوية والحصص والالتزام وحساب الميرى والفائض والمضاف  
والرماية والمرافعات والمراسلات ... زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد  
والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الأمور وحطوط الأنفس  
على الأشياء الواهية »

وغنى عن البيان أن هذه الحالة النفسية التي وصفها الجبرتي قد أدت إلى إضعاف  
مكانة الشيوخ وإزالة هيبتهم من القلوب ، ومهدت السبيل لمحمد على ليتسلم زمامهم ،

لأنه يكفي أن يلوح لهم بمنفعة جديدة أو يتهددهم بحرمانهم من منفعة قائمة ليضمن ولائهم وموافقتهم إياه في كل ما يرغب عمله ، وكانت الحكومة في غضون ذلك تفرض ماتشاء من الاتاوات والضرائب ، فطوراً تقرر الاستيلاء على نصيب من إيراد الملتزمين وتارة تقرر قروضاً إجبارية تسكره عليها الملاك والتجار ، وكانت فيما تقررته تعنى الشيوخ من الاتاوات ، ولسكنها قررت في أواخر أكتوبر سنة ١٨٠٧ ابطال هذا الامتياز وتعميم ما تفرضه من الضرائب العقارية الجديدة على أطيانهم

### الخلاف بين محمد علي والسيد عمر مكرم

كانت الحكومة كلما احتاجت إلى المال تفرض ضرائب وإتاوات جديدة على الأطيان والمتاجر وغيرها ، فساءت الحالة الاقتصادية ، ووقع الضنك واشتد الضيق بالأهالي ، وكثرت هجرتهم من القرى ، وزاد الحالة حرجاً نقص النيل نقصاً فاحشاً في فيضان أغسطس سنة ١٨٠٨ ، فارتفعت الأسعار ، واشتد الغلاء ، وقلَّت الغلال في الأسواق ، فلجأ الأهالي كعادتهم إلى العلماء ، وهؤلاء كلوا محمد علي في كثرة الضرائب وطلبوا إليه رفع تلك المظالم ، فغضب عليهم بالبasha ، ونسب إليهم ظلم الأهالي لأنه حينما أعفى أطيانهم من الضرائب الجديدة كانوا هم مع ذلك يقتضونها من الفلاحين ، وتهددهم بمراجعة ماناهم من هذا الباب ، فقبلوا المراجعة ، وكان هذا الجدل نذيراً باشتداد الخلاف بين محمد علي باشا والعلماء ، واتفقوا على إقامة صلاة عامة للاستسقاء ، رهى الصلاة التي تقام إذا ماشح النيل للدعاء إلى الله أن يرفع السكر ويجرى الماء

قال الجبرتي في هذا الصدد : « فلما كان يوم سبت ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٢٣ وخامس عشر مسرى القبطي نقص النيل نحو خمسة أسباع وانكشف الحجر الراقد الذي عند فم الخليج تحت الحجر القائم ، فضج الناس ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل ، وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان

الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال بالخروج إلى الصحراء وادعوا الله ، فقال له الشيخ الشرفاوى ينبغي أن ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم ، فقال أنا لست بظالم وحدى ، وأنتم أظلم منى ، فإني رفعت عن حصتكم الفروض والمغارم إكراماً لكم وأنتم تأخذونها من الفلاحين ، وعندى دفتر محرر فيه ماتحت أيديكم من الحصص يبلغ ألفى كيس ، ولا بد أنى أخص ذلك ، وكل من وسدته يأخذ الفرضة المرفوعة عن فلاحيه أرفع الحصص عنه ، فقالوا له لك ذلك ، ثم اتفقوا على الخروج والسقيا في صباحها بجامع عمرو بن العاص لسكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون إليه في زيادة النيل ، وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم والأطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا إلى الجامع المذكور بمصر القديمة ، فلما كان في صباحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد أن صلى صلاة الاستسقاء ، ودعا الله وأمن الناس على دعائه وحوال ردهاءه ، ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هناك ، وفي تلك الليلة رجع الماء إلى محل الزيادة الأولى واستقر الحجر الرائد بالماء ، وفي يوم الإثنين خرجوا أيضا ، وأشار بعض الناس بإحضار النصارى أيضا ، فحضروا وحضر المعلم غالى ومن يصحبه من الكتبة الأقباط ، وجلسوا في ناحية من المسجد يشربون الدخان ، وانفض الجمع أيضا ، وفي تلك الليلة التى هى ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودى بالوفاء وفرح الناس ، وطفق النصارى يقولون إن الزيادة لم تحصل إلا بفرحنا ، فلما كانت ليلة الأربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء ، وعمل الشئتك والوقدة تلك الليلة على العادة ، وفي صباحها حضر الباشا والقاضى واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا ،

وبالرغم من جريان النيل فإن الضائقة الاقتصادية لم تخف وطأتها ، وزادت الحكومة فى فرض الضرائب ، فازداد البؤس واشتد الضيق بالناس

ولما كانت سنة ١٨٠٩ قرر محمد علي باشا فرض ضريبة المال المبرى على الأراضى الموقوفة ، وهى المعروفة بالرزق الأحياسية أى المرصدة على المساجد والسبيل والخيرات ، وكذلك على أطيان الأوسية التى كانت ملكا خاصا للملتزمين ، وهذه الأطيان كانت كلها معفاة من الضرائب ، وقرر كذلك فحص أطيان الرزق والأوقاف وطلب حججها ممن يتولون النظر عليها ، وأمر حكام الإقليم (السكشاف) بالاستيلاء على تلك الأطيان إذا لم يقدم أصحابها إلى الديوان حجج لإنشاء الوقف ، ومعنى ذلك تمهيد السبيل لمصادرة معظم الأطيان الموقوفة ، لأن الكثير منها قد تقادم العهد على وقفه بحيث أصبحت حججه لا تنطبق عليه لتغير المعالم أو للنزاع فى الاستحقاق ، وتخويل حكام الأقاليم أمر فحصها معناه إطلاق يدهم فى إلغاء ماشاوا من الأوقاف

وقررت الحكومة أيضا إزام جميع الملتزمين بأن يؤدوا للحكومة نصف الفائض لهم من الالتزام ، أى نصف الصافي من إيرادهم من الأطيان الداخلة فى التزامهم ، ومعنى ذلك مقاسمة الملتزمين فى معايشهم

كانت هذه المحدثات سببا فى تبرم جمهور الملاك ونظار الأوقاف والمستحقين والملتزمين ، وهم طبقة كبيرة من السكان ، ومنهم المحتاجون الذين لا يرتقون إلا من غلة الأوقاف الموقوفة عليهم من أسلافهم ، أو من إيراد الأطيان الداخلة فى التزامهم ، فلا جرم أن تثير هذه المغارم فى نفوسهم عاصفة من الاستياء والسخط ، وإن يجأروا بالشكوى إلى الشيوخ الذين هم ملجأ المظلومين فى ذلك العصر

وكان مفهوما أن تكون هذه المحدثات سببا لاشتداد الخلاف بين محمد علي باشا والسيد عمر مكرم ، لأنه لم يكن منتظرا أن يقره عليها ، وكان له من النفوذ على الجماهير ما يجعل احتجاجه بمثابة إخراج لمركز الحكومة

فاعترض السيد عمر مكرم واحتججه كان أمرا ذا بال ، وله من العواقب فى إثارة الشعب ما لا يغرب عن البال ، وقد حدث ما كان منتظرا ، فاجتمع الناقدون

على المحدثات الجديدة ، واتفقوا على أن يقصدوا إلى الأزهر لرفع ظلامتهم إلى الشيوخ والعلماء ، وحدث من قبيل المصادفات أن ولاية الشرطة اعتقلوا طالبا من طلاب العلم في الأزهر يمت بصلة القرين إلى أحد علمائه ( السيد حسن البقلي ) ، فتشفع العلماء في اطلاق سراحه ، فلم يقبلوا وأرسلوه إلى القلعة ، فجاءت هذه الحادثة سببا جديدا لإثارة الخواطر فوق ثورانها بسبب الضرائب الجديدة

ففي يوم السبت ١٧ جمادى الأولى سنة ١٢٢٤ ( ٣٠ يونيو سنة ١٨٠٩ ) بينا الشيوخ حاضرون بالأزهر كعادتهم لقراءة الدروس أقبل الناس أفواجا من رجال ونساء ، ومنهم أهل الطالب المسجون يصرخون ويستغيثون ، وأبطلوا الدروس ، فاجتمع الشيوخ بالقبلة ، وأرسلوا إلى السيد عمر مكرم فحضر إليهم وأخذوا يتداولون الرأي فيما يجب عمله ، وتناشوا مؤقتا مناساتهم الشخصية ، واتفقوا على الدفاع عن مصالح الجمهور ، ثم انفض الاجتماع وذهبوا إلى بيوتهم على أن يجتمعوا ثانيا

واستأنفوا الاجتماع في الغد وتداولوا الأمر ، وأجمعوا الرأي على الاعتراض على المحدثات الجديدة من المظالم والمغارم عامة ، وأهمها فرض الضريبة على الأطيان الموقوفة وأطيان الأوسية ، ومقاسمة الملتزمين في إيرادهم ، وضريبة التبعة على المنسوجات والمصوغات والأواني ، واعتقال الطالب الأزهرى بغير ذنب جناه ، وحبسه بالقلعة ، واتفقوا على أن يرفعوا هذا الاحتجاج كتابة إلى محمد علي باشا

توافق الشيوخ في هذا الاجتماع على الإخلاص والتضامن ، وتعاهدوا وتعاهدوا على الاتحاد وترك المنافرة ، كما يقول الجبرتي ، ولكن هذا العهد لم يكن صادرا عن نية صادقة ، فإن حساد السيد عمر مكرم كانوا مضمريين في أنفسهم أن يخذلوه إذا حزب الأمر واشتدت الأزمة ، وأن يدعوه وجهسا لوجه أمام محمد علي

وظاهر من رواية الجبرتي أنهم اتفقوا رأيا على الاكتفاء بتقديم العريضة بمثابة

احتجاج على تصرفات الباشا وعدم الذهاب إليه خيفة أن يؤثر فيهم إذا اجتمع بهم ،  
أو تلين قنساتهم إذا صاروا بحضرته ، على أن محمد على اعترزم أن يفرق جمعهم  
باستدعائهم فيختلفوا في وجوب الذهاب إليه أو الامتناع عن مقابلته ، فتقع الفرقة  
بينهم ، وتظهر مكنونات ضمائرهم ، وهنالك يضرب الضربة التي اتفق مع المهدي  
والدواخلى على إيقاعها بالسيد عمر مكرم

### الوقعة بالسيد عمر مكرم

وتفصيل ذلك أن محمد على أوفد سكرتيره ( ديوان أفندى ) لمقابلة الشيوخ  
وتعرف نياتهم ، أو جس نبضهم كما يقولون ، فوجد منهم في اليوم الأول اتحاداً في  
الرأى ، وأصروا على عدم مقابلته والاكتفاء بالعرض الذى قدموه ، وفي ذلك  
معنى الغضب والاحتجاج الذى يخشى محمد على عواقبه في نفوس الجمهور

قال الجبرتي في وصف هذه المقابلة : « حضر ديوان أفندى وقال إن الباشا يسلم  
عليكم ، ويسأل عن مطلوباتكم ، فعرفوه بما سطره إجمالاً ، وبينوه له تفصيلاً ،  
فقال ينبغى ذهابكم إليه ، وتخطبونه مشافهة بما تريدون ، وهو لا يخالف أوامركم  
ولا يرد شفاعتكم ، وإنما القصد أن تلاطفوه في الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل  
وظالم غشوم <sup>(١)</sup> ولا تقبل نفسه التحكم ، وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم  
وعدم إنفاذ الغرض ، فقالوا بلسان واحد لا نذهب إليه أبداً مادام يفعل هذه  
الفعال ، فإن رجع عنها وامتنع عن إحداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا إليه  
وترددنا عليه كما كنا في السابق ، فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور ، فقالوا  
لهم ديوان أفندى وأنا قصدى أن تخطبوه مشافهة ويحصل إنفاذ الغرض ، فقالوا

(١) كذا في الجبرتي . وهذه الرواية تقرب في معناها من رواية المسيو مانجان في

لا يجتمع عليه أبدا ولا تثير فتنة ، بل نلزم بيوتنا ، ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا ، وأخذ ديوان أفندي «العرضحال» ووعدهم برد الجواب ، هذا ما ذكره الجبرتي عن اجتماع الشيوخ بسكرتير محمد علي باشا ، ومنه يتبين أنهم كانوا في بادئ الأمر يداً واحدة في الاعتراض على المظالم والضرائب الجديدة وأن ماسماه الجبرتي «عرضحالا» كان بمثابة احتجاج شديد له خطره وعواقبه ، وكثير من الثورات يكون منشؤها العرائض أو «العرضحالات» ، وقد كان هذا العرض مقرونا بالامتناع عن مقابلة الباشا ورفض المباحثة معه ، وهذا أمر خطير في ذاته وفي نتائجه ، وليس هذا الامتناع مقصوراً كما يقول الشيوخ على أن «يلزموا بيوتهم ويقتصروا على حالمهم ويصبروا على تقدير الله بهم وبغيرهم» بل هو إعلان للجمهور بأنهم غضبوا على من أجلسوه منذ سنوات على كرسي الحكم ، ومصارحة لهم بأنه خالف الشروط التي بايعوه عليها ، ففي هذا العمل السلبي تهديد صريح لمحمد علي بأن يجيب طلباتهم وإلا فإنهم «لا يجتمعون عليه أبدا» .

وبديهي أن محمد علي باشا أدرك بثاقب نظره ما ينطوي تحت هذه المقاطعة ، من المعاني ، وما يترتب عليها من النتائج ، فبادر أولاً إلى الإفراج عن الطالب الأزهرى «قريب السيد حسن البقلي» الذي كان محبوساً ، ليفهم الجمهور أن لا ظلم ولا حبس ولا تعذيب ، ثم أخذ يجهد الفسك لفصم عرآنك الزعامة الشعبية التي كانت تقلق باله وتقض مضاجعه ، ومضت أربعة أيام على اجتماع الشيوخ دون أن يبعث إليهم محمد علي بالجواب ، والظاهر أنه قضى هذه الأيام في استمالة بعض الشيوخ إليه والالتئام بالسيد عمر مكرم

وفي ذلك يقول الجبرتي : « إلى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم فتولى كبر السعي عليه سرا هو وباقي الجماعة حسداً وطمعاً ليخلص لهم الأمر دونه حتى أوقعوا به »

وكان بدء هذه المؤامرة أن اجتمع الشيخ محمد المهدي والشيخ محمد الدواخلي وناظر المهمات (محمد أفندي طبل) ، واتفقوا معاً على الخطة التي يتبعونها لإنفاذ

المؤامرة . وبعد تفرقهم ذهب المهدي والدواخلي إلى السيد عمر وأخذوا يدافعان عن محمد علي باشا ، ويرثانه بما نسب إليه ، وكان هذا الدفاع مقدمة انقلابهم على السيد عمر ، قال الجبرقي في هذا الصدد : « اجتمع الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي مع محمد افندي طبل ناظر المهمات ، وثلاثتهم في نفوسهم للسيد عمر ما فيها ، وتناجوا مع بعضهم ، ثم انتقلوا في عصرها وتفرقوا ، وحضر المهدي والدواخلي إلى السيد عمر ، وأخبراه أن محمد افندي المذكور ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق ( الأطيان الموقوفة ) ، وقد كذب من نقل ذلك ، وقال انه يقول إنني لا أخالف أوامر المشايخ ، وعند اجتماعهم به ومواجهته يحصل كل المراد ،

فالمهدي والدواخلي دافعا إذن عن محمد علي ، ونقضا الاتفاق الذي تم بين الشيوخ في اجتماعهم السابق ، ومضمونه ألا يذهبوا إلى محمد علي باشا إلا إذا أجاز مطالبهم ، لأن كلامهم الجديد للسيد عمر يدل على قبولهم الاجتماع بالباشا وتحبيذهم هذا الاجتماع

وقد فطن السيد عمر إلى سر الخطة الجديدة التي اتبعها المهدي والدواخلي ، أما هو فقد أصر على عهده بعد أن ألزم الشيخين الحججة ، إذ قال لهما : « أما إنكاره طلب مال الرزق والأوسية فهامى أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين مشتملة على طلب الفريضة (الضريبة) ونصف الفايض ( أى نصف إيراد الملتزمين ) ومال الأوسية والرزق ، وأما الذهاب إليه فلا أذهب إليه أبدا ، وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذي وقع بيننا فالرأى لسكم ،

وانقض المجلس ، وعلم محمد علي باشا بما دار فيه ، فأدرك أن السيد عمر مكرم لائمين قناته ، وأنه مصمم على المقاومة ، فأخذ كما يقول الجبرقي يدبر تفريق جمع الشيوخ ، « وخذلان السيد عمر لما في نفسه منه من عدم إنفاذ أغراضه ، ومعارضته له في غالب الأمور ، ويخشى صولته ، ويعلم أن الرعية والعامّة تحت أمره ، إن شاء جمعهم ، وإن شاء فرقهم ، وهو الذي قام بنصره ، وساعده ، وأعاناه ، وجمع الخاصة والعامّة حتى ملكه الإقليم ، ويرى أنه إن شاء فعل نقيض ذلك ، فطفق يجمع إليه



بعض أفراد من أصحاب المظاهر ويختلي معه ويضحك إليه ، فيغتر بذلك ، ويرى أنه صار من المقربين وسيكون له شأن إن وافق ونصح ، فيفرغ له جراب حقهده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة .

بهذه العبارة وصف الجبرتي موقف محمد علي باشا إزاء السيد عمر مكرم وصفاً دقيقاً ، فمحمد علي كان يخشى نفوذ السيد عمر ويتوجس من إثارة الجمهور عليه واقتلعه من مركزه ، كما اقتلع خورشيد باشا من قبل ، ولذلك أخذ يقرب إليه بعض أصحاب المظاهر وطلاب المنافع ويعدهم ويمنهم ليفصلهم عن السيد عمر

ورواية الجبرتي في مجموعها تتفق ورواية المسيو مانجان ( صديق محمد علي باشا ) في كتابه ، فقد ذكر أن السيد عمر مكرم لما حضر إليه سكرتير الباشا وعبدالله بكتاش ( ترجمانه ) يوم ١٢ يونيه سنة ٨٠٩ . وكان العلماء مجتمعين عنده ، طلبا إليه أن يذهب لمقابلة الباشا ، فرفض الذهاب ، وأقسم ألا يرى محمد علي باشا إلا إذا عدل عن مشروعه في فرض الضرائب الجديدة ، وانتقد سياسته انتقاداً شديداً قائلاً : « وإذا أصر الباشا على مظالمه فإننا نكتب إلى الباب العالي ، ونثير عليه الشعب ، وأنزله عن كرسيه كما أجلسته عليه »

فعمر مكرم كان معتمداً على منزلته عند الشعب ، وعلى سابقة يده على محمد علي ، أما منزلته الشعبية فكانت تزداد قوة على مدى الأيام ، لما تدينه الناس من بقائه على عهد ، واستمساكه بالمهمة التي أخذها على عاتقه ، وهي أن يكون ترجمان الشعب الصادق ورسوله الأمين في مراقبة ولاية الأمور ، ورفع المظالم عن الجمهور ، فكانت مكاتبه تعظم كل يوم بما كان يسديه من الخير إليهم ، يدلك على عظم مكاتبه الاجتماعية أنه أقام في ذلك الحين مهرجاناً لختان حفيده في شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ ( ابريل سنة ١٨٠٩ ) ، فكان من أعظم مآراته القاهرة روعة وجمالاً ، احتشدت فيه الجموع من كافة الطبقات ، واكتريت الأماكن لمشاهدته ، قال الجبرتي في وصفه : « واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ ، وفيه شرع السيد عمر مكرم نقيب الأشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ، ودعا الباشا والأعيان ، وأرسلوا إليه الهدايا

والتعاب ، وعمل له زفة يوم الاثنين سادس عشر ، مشى فيها أرباب الحرف والعربات  
والملاعب وجمعيات وعصب صعايدة وخلافهم من أهالي بولاق والكفور  
والحسينية وغيرها من جميع الأصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة ، فكان يوما  
مشهودا اكرتت فيه الأماكن للفرجة ، وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر  
بمصر ، فإنه حصل له عقب ذلك ماسيتلى عليك قريبا من النفي والخروج من مصر ،

### تدبير المؤامرة

علمت بما تقدم أن الشيخين المهدي والدواخلي كانا قوام الواقعة بالسيد عمر مكرم  
وأتهما أخفقا في إقناعه بالعدول عن موقف الصلابة والتشدد الذي وقفه إزاء  
محمد علي باشا

ويقول الجبرتي ان المهدي والدواخلي أعادا السكرة لإقناع السيد عمر بالعدول  
عن مقاطعة الباشا ، فذهبا إليه ثانيا صحبة سكرتيره وعبدالله بكتاش ترجمانه ، وطال  
بينهم الكلام والمعالجة ، ولكن السيد عمر أصر على الامتناع عن مقابلة الباشا ، ثم  
طلبا إلى الشيخ محمد الأمير أن يذهب معهما لمقابلته ، فاعتذر بوعكة ، والظاهر أنه  
أن يشترك معهما في المؤامرة على السيد عمر ، فرفض الذهاب معهما

وعندئذ أظهر المهدي والدواخلي مكنون نياتهما ، فذهبا وحدهما إلى محمد علي  
باشا بالقلعة ، واجتمعا به وهو ناله من أمر السيد عمر لكي يطمئن على مركزه  
إذا أراد أن يبطش به ، قال الجبرتي ما خلاصته ، ان الباشا قال في كلامه لهما : أنا  
لا أرد شفاعتكم ، ولا أقطع رجاءكم ، والواجب عليكم إذا رأيتم مني انحرافا أن  
تنصحوني ، ثم أخذ يلوم السيد عمر على تخلفه وبعثته ، ويشي على الباقيين ( أى الذين  
انفصلوا عنه ) ، وقال عنه انه في كل وقت يعاندني ويطل أحكامي ، ويخوفني بقيام  
الجمهور ، فقال الشيخ المهدي ( وهنا بيت القصيد ) : هو ليس إلا بنا ، وإذا خلا عنا  
فلا يسوى بشيء . إن هو إلا صاحب حرفة ، أو جاني وقف يجمع الإيراد ويصرفه

على المستحقين ، قال الجبرتي : « فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ( أى البطش بالسيد عمر ) ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر ، ثم تباحثوا معه حصة ، وقاموا منصرفين مذبذبين ، ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس ، غير مفكرين في العواقب ،

انتهى إذ هذا الاجتماع بالاتفاق بين محمد على والمهدى والدواخلى على الواقعة بالسيد عمر مكرم ، وكان الدواخلى حاضر الاجتماع أصالة عن نفسه ونسابة عن الشيخ عبد الله الشرقاوى ، أى ان الشرقاوى كان شريكا في المؤامرة ، ولسكنه لم يشأ أن يظهر فيها بشخصه تفاديا من اللوم وسوء الظن به ، وترك للمهدى والدواخلى أن يحكما فصولها ، ولم يكن المهدى والدواخلى والشرقاوى في موقفهم عاملين على هدم السيد عمر فحسب ، بل كانوا في الواقع يهدمون أنفسهم وزملائهم ، وكل عضو في تلك الزعامة الشعبية التي قامت بدور خطير في تاريخ مصر القومي ، وقد فاتهم وهم تحت تأثير الحقد والحسد وحظوظ النفس ، أن يقدروا عواقب عملهم ، فصدق فيهم قول الجبرتي أنهم كانوا « غير مفكرين في العواقب ،

ذهب المهدى والدواخلى ثانية إلى السيد عمر ليفضيا إليه بما شاء من حديث الباشا ، وكان غرضهما تبرير موقف محمد على ، وأرادا أن يدخلوا الرهبة في نفس السيد عمر حتى يذعن أو يسجلا عليه التمرد والعصيان إذا أصر على موقفه ، قال الجبرتي : « وحضروا عند السيد عمر وهو ممتلئ بالغضب مما حصل من الشذوذ ونقض العهد ، فأخبروه أن الباشا لم يحصل منه خلاف ، وأنه قال أنا لا أرد شفاعتكم ولسكن نفسي لا تقبل التحكم ، والواجب عليكم إذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا أن تنصحوني وتشفعوا ، فأنا لا أردكم ولا أمتنع عن قبول نصحتكم ، وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر فهذا لا يناسب منكم ، وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتيسيج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان الماليك ، فأنا لا أفزع من ذلك . وإن حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندي إلا السيف والانتقام ، فقلنا له : هذا لا يكون ، ونحن لانحب ثوران الفتن ، وإنما

اجتماعنا لاجل قراءة البخارى ، وندعو الله برفع الكرب ، ثم قال (أى محمد على) أريد أن تخبرونى عن اتبذ لهذا الأمر ، ومن ابتدأ بالخلف ، فغالطناه ، وأنه وعدنا بإبطال الدمغة ، وتخفيف الفايض إلى الربع بعد النصف ، وأنكر طلب ضريبة المال الميرى عن أطيان الأوسية والرزق من إقليم البحيرة ،

هذا ما ذكره الجبرتى ، ومنه يتبين أن المهدي والخواجى أرادا الإفضاء إلى السيد عمر بأن محمد على باشا يعتبر عمل الشيوخ حركة ثورية يتوعد بقمعها بالسيف والانتقام ، وأنه سأل عن المدبر لها ، فغالطاه فى الجواب أى لم يتهما السيد عمر بزعامتها ، على أنهما لم يصدقا السيد عمر القول ، فإن حديثهما مع محمد على كان يدور حول تحريضه على السيد عمر والتهوين من أمره وتصغير شأنه حتى وصفاه بأنه (صاحب حرفة) أى نقيب الأشراف ، ولعمري ان السيد عمر مسكرم لم ينل مانال من المكانة لتوليته نقابة الأشراف ، بل ان مكانته ترجع إلى شخصيته البارزة ونفسه العالية ، وشجاعته ونزاهته ، وترفعه عن الدنيا وسفاسف الأمور ، ولو لم يكن نقيبا للأشراف لما نقصت مكانته عما صارت إليه من العظمة ورفعة الشأن

انتهت المقابلة على غير جدوى ، وانفض ذلك المجلس ، والمؤامرة ماضية فى سبيلها ، أوكا قال الجبرتى : وقاموا منصرفين ، وانفتح بينهم باب النفاق ، واستمر القال والقال ، وكل حريص على حظ نفسه ، وزيادة شهرته وسمعته ، ومظهر خلاف ما فى ضميره ،

واستأنف محمد على باشا السعى لىكسب السيد عمر ويستميله إليه بالحسن ، وكان الشيوخ وسطاه فى هذا السعى ، فى أول جمادى الثانية سنة ١٢٢٤ اجتمع الشيوخ عند السيد عمر فى داره ، وأعادوا السكرة لإقناعه بمقابلة الباشا ، خلف السيد عمر أنه لا يطلع إليه ، ولا يجتمع به ، ولا يرى له وجها إلا إذا أبطل هذه الأحذوثات ، وقال إن جميع الناس يتهمونى معه ويؤمنون أنه لا يتجارى على شىء يفعلهُ إلا باتفاقى معه ، ويكفى ما مضى ، ومها تقادم يتزايد فى الظلم والجور ،

وعبثاً حاول الشيوخ إقناعه ، فأصر وأبى ، فاستقر رأيهم أن يذهبوا دون

السيد عمر لمقابلة الباشا ، وأرسلوا في طلب الشيخ محمد الأمير لهذا الغرض ، فاعتذر  
بوعك ، ومعنى ذلك أنه رفض الذهاب معهم ، وأنه كان واقفا على ما دبره زملاؤه  
للسيد عمر فإني أن يشترك في أدوار هذه المأساة ، فاتفقوا على ذهاب الشرفاوى  
والمهدى والدواخلى والفيومى ، وذلك على خلاف غرض السيد عمر ، وقد ظن  
أنهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والأيمان ، ولا يمكن لم يمنعهم العهد ولم تمنعهم  
الأيمان عن مقابلة الباشا ، فذهبوا إليه وتكلموا معه ، وقد فهم كل منهم لغة الآخر  
الباطنية ، ثم ذاكروه في أمر الاتوات التي فرضها ، وكانت موضع شكايات الناس  
وسخطهم ، فأخبرهم أنه يرفع ضريبة الدمغة وكذلك يرفع الضريبة عن الأطيان  
الأوسية والرزق ( الأطيان الموقوفة ) ويكتفى بأخذ ريع فايز يراد الملتزمين بدلا  
من النصف ، وانصرفوا من عنده وذهبوا إلى السيد عمر ليعرضوا عليه ما قرره  
الباشا ، لعله يرضى بذلك ، فقال لهم وهل أعجبكم ذلك ، فلم يجيبوا جوابا صريحا ،  
فقال انه أرسل يخبرنى بتقرير ريع المال الفايز فلم أرض وأبيت إلا أن يرفعه كله  
لأنه في العام الماضى لما طلب تقرير الريع قلت له هذه تصير سنة متبعة ، خلف أنها  
لا تكون بعد هذا العام ، وإنما طلبها لضرورة النفقة على العسكر ، وإن طلبها في  
المستقبل يكون ماعونا ومطرودا من رحمة الله ، وعاهدنى على ذلك ، وهذا في  
عليكم ، كما لا يخفى عليكم ، قالوا نعم ، قال وأما قوله إنه رفع طلب المال عن الأوسية  
والرزق فلا أصل لذلك ، وهاهى أوراق البحيرة وجهوا بها الطلب ، فقالوا اننا  
ذكرنا له ذلك فانكر ، وحاجبناه بأوراق الطلب ، فقال ان السبب في طلب ذلك  
من إقليم البحيرة خاصة ان المساحين لما نزلوا للكشف على أراضي الرى والشراقي  
ليقرروا عليها فريضة ( ضريبة ) الأطيان حصل منهم الغش والتدليس فإذا كان في  
أرض البلدة خمسمائة فدان رى جعلوها مائة وسموا الباقي رزقا وأوسية لإعفائها من  
المال فقررت ذلك عقوبة لهم في نظير تدليسهم وخيانتهم ، فقال السيد عمر : وهل ذلك  
أمر واجب فعله ، أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه في العام الماضى وهى فريضة  
الأطيان التي ادعى لزومها لإتمام نفقات العسكر ، وحلف أن لا يعود لمثلها ، وقد

عاد وزاد . وأتم توافقه وتسايرونه ، ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة ، وأنا وحدي مخالفًا وشاذًا ، ولامهم السيد عمر على نقضهم العهد والأيمان ، وانفض المجلس ، وتفرقت الآراء ، وراج سوق النفاق ، وتحركت حقائق الحقد والحسد ، وكثر سعيهم وتناجهم بالليل والنهار ، والباشا يرسل السيد عمر ويطلبه للحضور إليه والاجتماع به ويعده بإنجاز ما يشير عليه ، وأرسل إليه كتبخده (وكيله) ليترفق به ، وذكر له أن الباشا يرتب له كيسا (خمسمائة قرش) في كل يوم ويعطيه فورا ثلثمائة كيس خلاف ذلك ، فلم يقبل .

فمحمد على لما أخفق في استمالة السيد عمر بالوسطاء أراد أن يكسبه بالمال ، ولعله ظن أن شأنه شأن صالح قبطان باشا وسائر موظفي حكومة الاستانة « عبيد الدرهم . الدينار » كما قال فيهم ، وليكن السيد عمر مكرم كان على أخلاق كريمة . أخصها النزاهة والعفة ، فلم يؤثر فيه وعد أو وعيد ، ولا ترغيب أو تهيب

### اشتداد الأزمة

وفي غضون ذلك أخذ رسل السوء يزيدون هوة الخلف اتساعاً بين محمد على والسيد عمر مكرم ، ويتقاون إلى الباشا ما يقوله السيد عمر في مجالسه ، ويزيدون عليه ماسوات لهم أغراضهم ، والسيد مصرم تمتنع عن مقابلاته ، وأحيط بيته بالجواسيس لمراقبة حركاته وسكناته ، وإحصاء زواره ، وحدث في خلال ذلك أن حرر محمد على باشا بيانا رسم الحكومة التركية ، يذكر فيه ما أنفق في مصر من الخراج ، وقدره نحو أربعة آلاف كيس (١) وأنها صرفت في مهمات تخصص بشؤون البلاد ، فمنها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ، وما صرف على الحملات العسكرية لمحاربة المماليك ، وما أنفق على عمارة القلعة وترميم المجرة وحفر الترع ، وأوضح

(١) كانت الحكومة التركية تطالب بهذا المبلغ كباق الخصص لها

في بيانه ان الميرى قد نقص بسبب الشراقى ؛ وارسل البيان الى السيد عمر مكرم لإقراره والتوقيع عليه ؛ فامتنع وأظهر الشك في محتوياته ؛ وقال للرسول الذى حمله إليه : أما ما صرفه على سد ترعة الفرعونية فان الذى جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافا كثيرة ؛ ، واما غير ذلك فكله كذب لا أصل له ، وان وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من الغرض والمظالم لما وسعته الدفاتر ، وكان جوابا جافا شديدا للهجة ، فلما عاد الرسول إلى محمد على اشتد حنقه عليه ، وطلبه من جديد لمقابلته ، فأصر على الامتناع ، فلما كثر التراسل بينها في هذا الشأن قال السيد عمر : « ان كان ولا بد فاجتمع به في بيت السادات ؛ وأما طلوعى إليه فلا يكون ، فلما بلغ هذا الجواب مسامع محمد على باشا ازداد حنقه ؛ وكبر عليه أن يشترط السيد عمر مكرم أن تكون المقابلة بينها في دار غير مقر حكمه ؛ وقال : « هل بلغ به أن يزدرينى ويأمرنى بالنزول من من محل حكى إلى بيوت الناس ، ، وصمم على البطش به

ومع بلوغ الأزيمة إلى هذا الحد فان محمد على باشا كان يحسب حسابا كبيرا للمكانة السيد عمر في الجمهور ، فلم يفكر في أن يكون العقاب من نوع ما كان مألوفاً في ذلك العصر من القتل أو السجن ، بل اعتزم أن يعزله من نقابة الأشراف وينفيه إلى دمياط ليعده عن القاهرة حيث له من النفوذ ما يجعل أهلها رهن إشارة تصدر منه ، ورأى بثاقب نظره أن يكون عقابه متفقا (ظاهرا) مع الأوضاع الشرعية المألوفة وقتئذ ، بأن يدعو إلى الاحتكام فيما شجر بينهما من الخلاف إلى القاضى والشيخ ، وكان مطمئنا من قبل إلى حكمهم ، واثقا من تحيزهم ، وبهذه الوسيلة يضع السيد عمر في مركز حرج ، فإذا هو أجاب الدعوة وقبل حكم القاضى والشيخ خرج من التقاضى مغلوبا ، وحينئذ يكون لمحمد على باشا ان ينفيه جزاء خروجه بدون حق على ولى الأمر ، وإن لم يحضر كان امتناعه في ذاته خروجا أيضا على السلطة الشرعية ، فالؤامرة كانت إذن محكمة التدبير ، ولولا نقض الشيخ للعهود والمواثيق لما استطاع محمد على باشا أن ينال من خصمه منالا

### نفي عمر مكرم إلى دمياط

فلما أصبح يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٢٤ (٩ أغسطس سنة ١٨٠٩) نزل محمد علي باشا من القلعة وذهب إلى بيت ابنه ابراهيم باشا (وكان وقتئذ بك) بالأزبكية ، وطلب القاضى والمشايخ ، وأرسل إلى السيد عمر رسولاً من طرفه ورسولاً من طرف القاضى يستدعيانه للحضور ليحتكم وإياه لديهم ، فأدرك السيد عمر أن المؤامرة قد وصلت إلى دورها الأخير ، ورأى من العيب أن يذهب إلى محكمة يعلم من رأى أعضائها وتواطئهم مع خصمه ما يجعل الاحتكام اليهم عبثاً لا يجدى ، فأثر الامتناع عن إجابة الدعوة ، واعتذر بمرضه ، فلم يكن من محمد علي باشا إلا أن أمر فى حضرة القاضى والشيخ بعزل السيد عمر مكرم من نقابة الاشراف ، ونفيه من مصر ، وأن ينفذ الأمر فوراً ، وخلع على السيد محمد السادات خلعة نقابة الأشراف

وقد رأى الشيخ أن يُسراوا بالعطف على السيد عمر ، فتشفعوا عند الباشا أن يمهله ثلاثة أيام ، حتى يستعد للرحيل ، فأجابهم إلى ذلك ، ثم سألوه أن يأذن له بالذهاب الى أسيوط (مسقط رأسه) لتسكون منفي له ، فرفض محمد علي إجابة هذا الطلب ، وخيره بين النفي إلى دمياط أو الإسكندرية ، وانفض المجلس على ذلك أما السيد عمر فقد قابل هذه المحنة بالشباب ورباطة الجأش ، وقال فى هذا الصدد: وأما منصب النقابة فإنى راغب عنه زاهد فيه ، وليس فيه إلا التعب ، وأما النفي فهو غاية مطلوبى ، ثم طلب أن يكون النفي إلى جهة ليست تحت حكم محمد علي باشا إذا لم يأذن له بالذهاب الى أسيوط ، واختار الطور أو درنه (بطر ابلس الغرب) ، فعرض هذا الطلب على الباشا ، فرفضه ، وأصر على نفيه إلى دمياط ، فأخذ السيد عمر يستعد للسفر ، ووكل عنه السيد المحروقي كبير تجار القاهرة وعهد إليه إدارة أملاكه ورعاية أهل بيته



### رحيل السيد عمر مكرم إلى منفاه

كان رحيل السيد عمر إلى دمياط مشهداً مؤثراً ، فإن الجمهور قد أدرك عظم النسكبة وشعر الناس بوحشة كبيرة لنفي الرجل الذي كان ملاذمهم وملجأهم في رفع المظالم ، فاجتمعوا لوداعه وإظهار عواطفهم نحوه ، وكانت سيما الحزن والسكابة بادية على جمهور المودعين

قال الجبرتي في هذا الصدد : « واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٤ بيوم الأحد وفيه اجتمع المودعون للسيد عمر ، ثم حضر محمد كتخدای الألفي ( الذي عهد إليه اصطحابه إلى منفاه ) فعند وصوله قام السيد عمر وركب في الحال وخرج صحبته ، وشيعه الكثيرون من المتعممين وغيرهم ، وهم يتباكون حوله ، حزنا على فراقه ، واغتم الناس لسفره وخروجه من مصر ، لأنه كان ركنا وملاجأ ومقصداً للناس لتعصبه لنصرة الحق ، فسار إلى بولاق ، ونزل في المركب ، وسافر من ليلته بأتباعه وخدمه الذين يحتاج إليهم إلى دمياط ،

### موقف الشيوخ بعد نفي زعيمهم

لم يتورع الشيخ محمد المهدي عن إظهار مكنونات ضميره في الدور الأخير من أدوار المأساة ، ففي صبيحة الليلة التي ارتحل فيها السيد عمر إلى منفاه ذهب إلى محمد علي باشا يلتمس منه المكافأة على تدبير المؤامرة ، فطلب وظائف السيد عمر فانعم عليه الباشا بنظر أوقاف الإمام الشافعي ونظر وقف سنان باشا ببولاق ، وطلب كذلك ما كان منكسراً له من راتبه من الغلال نقداً أو عينا مدة أربع سنوات ، فأمر محمد علي بدفعها إليه نقداً من خزانة الحكومة وقدرها خمسة وعشرون كيساً وذلك كما يقول الجبرتي - في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر حتى أوقعوا به ما ذكره ، ولم يكتف الشيوخ بالتواطؤ مع محمد علي باشا على الوقيعة بالسيد عمر ، بل

أخذوا بعد نفيه يعملون على النيل من سمعته ، ولعلمهم رأوا مظاهر حزن الناس على فراقه ، وعظفهم عليه ، فأرادوا أن يحاربوه بسلاح الافتراء والتشهير ، ليسوا وغوا فعلتهم ، فكتبوا عرضا لإرساله الى الاستانة يبررون فيه عزل السيد عمر من نقابة الأشراف ونفيه ، نسبوا اليه فيه ، انه أدخل في دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلموا من الأقباط واليهود ، وانه قبض من محمد بك الألفي مبلغا من المال ليتمكن من حكم مصر في أيام قيام الجمهور على أحمد خورشيد باشا الوالى السابق ، وانه كان متواطئا مع الأمراء المماليك حين شرعوا في مهاجمة القاهرة يوم الاحتفال بوقاء النيل سنة ١٨٠٥ (١) ، وانه أراد أخيرا إحداث فتنة بين الجمهور لينخلع الباشا ويولى خلافه

وقد نتمق الشيوخ هذا البيان ، وطافوا به على زملائهم ليوقعوا عليه ، فامتنع كثير منهم عن التوقيع ، وبرموا السيد عمر بما رمى به وقالوا : وهذا كلام لا أصل له ، وحصلت مشادة بين رؤساء الشيوخ المدبرين لهذا المنشور وبين الممتنعين عن التوقيع ، ثم غيروا صورة المنشور ، وخففوا لهجته ليحملوا زملائهم على توقيعه فامتنع كذلك بعضهم ، وكان أشدهم إصرارا على استنكاره والامتناع عن توقيعه السيد احمد الطحطاوى مفتى الحنفية ، وكان من العلماء الصالحين المنزهين عن المطامع الدنيوية ، فسخط الشيوخ عليه وتهددوه بعزله من منصبه ، فلم يعبأ بهم ، فعزلوه ، وولوا بدله الشيخ حسين المنصورى ، وخلع عليه محمد على باشا خلع الإفتاء ، فلم يكثر السيد الطحطاوى لهذا الأمر ، ولم يأبه له ، وأعاد الى الشيخ السادات الخلعة التى خلعها عليه من قبل حينما تولى الإفتاء ، فاستاء السادات من هذا العمل ، وعده إهانة كبرى له ، واستمر السيد الطحطاوى يقبض عمل الشيوخ واعتزلم واعتكف فى داره وهمم بالغون فى ذمه والخط منه لكونه لم يوافقهم على شهادة الزور ، كما يقول الجبرتى ، فكان عمل الطحطاوى حجة بالغة على نفاق الشيوخ وريائهم

خلا الجو لحساد السيد عمر مكرم والمؤتمرين به ، ولسكنهم في الواقع قد جنوا على أنفسهم وعلى مكاتهم ونفوذهم ، فإن المؤامرة التي دبروها قد أسقطت منزلتهم في نظر الجمهور وفي نظر محمد علي باشا ، فالجمهور رأى في عملهم معنى الغدر والخيانة ، ومحمد علي رأى فيه الضعة وصغار النفس ، فلم يبق لهم عنده ذلك الشأن الذي كان لهم من قبل ، ولم يعد يعابأ برأيهم ، وسقطت تلك الزعامة الشعبية التي كانت لها المكانة العظمى والقول والفصل في تطور الحوادث مدى عشر سنوات متعاقبة ، وزالت عنهم تلك الهيبة التي اكتسبوها بجهادهم وإخلاصهم وتضامنهم ، وأضاعوها بتحاسدهم وتخاذلهم ، ودالت دولتهم ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، وحقت عليهم الآية الشريفة « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ،

وقد سجل عليهم الجبرتي رأيه فيهم بقوله : « ان الحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية والحسد ، مع ان السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى أهل البلد ، يدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم ، ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ، ولم يزالوا بعده في انحطاط وانخفاض » ، وقال في موضع آخر : « وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس ، وانهمكوا في الأمور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية »

### عمر مكرم في منفاه

أما السيد عمر مكرم فقد عاش في دمياط تحت المراقبة والحرس ملازمون له ، الى ان تشفع له قاضي قضاة مصر صدوق افندي لدى محمد علي باشا ، فأذن له بالانتقال إلى طنطا ، وذلك في ربيع الأول سنة ١٢٢٧ . فكأنه قضى بدمياط نحو أربع سنوات ، وبقي بطنطا الى ربيع الأول سنة ١٢٣٤ ( ديسمبر سنة ١٨١٨ ) إذ طلب الاذن له أن يؤدي فريضة الحج ، وكان محمد علي قد باع قبة المجد والساعة ، وقهر الوهابيين ، وذاع صيته في الخائفين ، فتذكر المنفى العظيم الذي كان له الفضل

أكبر الفضل في إجلاسها على عرش مصر، فتلطف بقبول طلبه، وأذن له بالذهاب إلى القاهرة  
وان يقيم بداره إلى أوان الحج، وذكر صديقه القديم بالخير، وقال لجلسائه: «انا  
لم أتركه في الغربية هذه المدة إلا خوفا من الفتنة، والآن لم يبق شيء من ذلك،  
فانه أبي، وبنى وبينه مالا أنساه من المحبة والمعروف،

### كتاب محمد على إلى السيد عمر مكرم

وقد بعث إليه بكتاب رقيق يبلغه اجابة طلبه، والسكتات تحتوي أرق عبارات  
الاحترام والتبجيل، ويدل على مبلغ ماله عنده من المكانة الرفيعة قال فيه:  
«مظهر الشماائل سنيها، حميد الشؤون وسميها، سلاله بيت المجد الأكرم، والدنا  
السيد عمر مكرم، دام شأنه

«اما بعد فقد ورد السكتاب اللطيف، من الجناب الشريف، تهنئة بما أنعم الله  
علينا، وفرحا بمواهب تأييده لنا، فكان ذلك مزيدا في السرور، ومستديما الحمد  
الشكور، ومجلبة لثناكم، واعلانا بنيل مناكم، جزيم حسن الثناء، مع كمال الوقار  
ونيل المنى، هذا وقد بلغنا نجلسكم عن طلبكم الاذن في الحج إلى البيت الحرام،  
وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام، للرجبة في ذلك، والترجى لما هنالك، وقد  
اذناكم في هذا المرام، تقر بالذي الجلال والاكرام، ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر  
العظام، فلا تدعوا الا بهتال، ولا الدعاء لنا بالقال والحال، كما هو الظن في  
الطاهرين، والمأمول من الاصفياء المقبولين، والواصل لكم جواب منا خطابا إلى  
كتنخدائنا، ولكم الإجلال والاحترام، مع جريل الثناء والسلام،

### عودة عمر مكرم إلى القاهرة ثم نفيه ثانيا

وبعث الباشا بالخطابين إلى السيد عمر صحبة حفيده السيد صالح، وأرسل إلى  
كتنخدائه يبلغه الأمر «وأشيع خبر مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب، حتى

وصل إلى بولاق يوم السبت ١٢ ربيع الأول سنة ١٢٣٤ ( ٩ يناير ١٨١٩ ) ،  
فركب من هناك وتوجه لزيارة الإمام الشافعي ، ثم ذهب إلى القلعة وقابل الكتبخدا  
وكان محمد علي باشا وقتئذ بالاسكندرية ، « وهنأه الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم  
الجوائز ، واستمر ازدحام الناس أياما ، ثم امتنع عن الجلوس في المجلس العام  
نهارا ، واعتكف بحجراته الخاصة ، فلا يجتمع عنده إلا بعض من يريد من  
الأفراد ، فانكف الكثير عن التردد عليه ، وذلك من حسن الرأي ،

يتبين من رواية الجبرتي أن منزلة السيد عمر مكرم في قلوب الشعب بقيت كما  
كانت عند منفاه ، ولم ينس الناس ما أسداه لهم من الخير ، مع انقضاء عشر  
سنوات على نفيه ، ورجع عظيما كما كان قبل نفيه ، ولولا ذلك لما هنأه الشعراء  
بقصائدهم وازدحم الناس على داره ، وظاهر أن عيون محمد علي باشا كانت منبثة  
حول داره ترقب بخذر ازدحام الجماهير على بابه ، وتستمتع تهاني الشعراء له ، وتشهد  
مظاهر تعلق الشعب بزعيمة القديم ، وكيف أن الزمن والمحنة والشيخوخة والنفي ،  
كل ذلك لم يؤثر في منزلته في القلوب ، ومن المحتمل أن هذه « المظاهرات » لم تكن  
لتروق لأصحاب السلطة وقتئذ ، ولا يبعد أن يكون قد بلغ السيد عمر أن مثل  
هذه « المظاهرات » مما يؤخذ عليه ، فأثر الاعتكاف في داره حتى لا تكون فتنة ولا  
تكون وقعة ، فكان ذلك « من حسن الرأي ، كما يقول الجبرتي ، وإن كلمة « حسن  
الرأي » تؤكد أن الاعتكاف كان سياسيا

على أن محمد علي لم يأمن على مركزه من نفوذ السيد عمر مكرم ، ولم يطمئن  
لبقائه طويلا في القاهرة ، وبالرغم من شيخوخته واعتكافه في بيته بمصر القديمة  
( بساحل أثر النبي ) فإنه كان مصدر قلق لمحمد علي ، وحدث أن قامت في القاهرة  
سنة ١٨٢٢ فتنة هاج فيها السكان استياء من فرض ضريبة جديدة على منازل العاصمة  
بعد فرضها على منازل البنادر في الأقاليم ، فأخذ الموظفون يطوفون بالمنازل لتقدير  
الضريبة عليها ، فوقعت مصادمات بين أهالي باب الشعيرية وبعض الموظفين الموكول  
إليهم تقدير الضريبة أدت إلى إقفال الدكاكين وهياج الأهالي ، وذهبت جمعهم إلى

دار الشيخ العروسي شيخ الجامع الأزهر ، وكان يسكن على مقربة من موطن الهياج ، وقد خرج الشيخ من داره قاصداً الأزهر ، فالتفت به الجماهير رجالاً ونساء يضجون ويصيحون ، وكادت تقع الفتنة لولا أن عاجلتها الحكومة بالحزم واتخاذ التدابير الكفيلة بحفظ الأمن ، ونفذت الحكومة الضريبة كما قررتها ، وقد ساورت الظنون محمد علي باشا ، وارتاب في ألا يكون للسيد عمر مكرم يد في تلك الفتنة ، والواقع أنه كان بعيداً عنها ، فأرسل إليه رسولا في داره (١) أنهى إليه أن محمد علي يأمره بمغادرة القاهرة والإقامة في طنطا ، ومعنى ذلك أنه أمر بنفيه ثانياً من مصر ، فأجاب السيد عمر باستعداده لمبارحة العاصمة بعد أن يعد مركبا ينقله إلى طنطا ، فأخبره الرسول ان المركب معداً لهذا الغرض في ساحل مصر القديمة ، فأدرك أن المراد أن يغادر المدينة فوراً ، ويرحل إلى منفاه ؛ فتلقى هذه المحنة الجديدة بالصبر ، ورح العاصمة مساء ذلك اليوم ؛ فكانت هذه هي المرة الرابعة التي يذهب فيها إلى المنفى ؛ فالأولى والثانية في عهد الحملة الفرنسية ، والمرتان الثالثة والرابعة في عصر محمد علي باشا

وهكذا كانت حياة ذلك المجاهد الكبير سلسلة من النفي والهجرة ، ومكافحة الخطوب والمحن ، ولم يعرف فضله ، ولا كوفي على جهاده بالشكر وحسن التقدير ، بل كان نصيبه النفي ، والحرمان ، والإقصاء من ميدان العمل ، ونكران الجميل ، وذلك كان جزاء أكبر شخصية ظهرت بين رجالات مصر في فجر النهضة القومية

(١) يوم ١٥ ابريل سنة ١٨٢٢ ، وقد كانت وفاته في هذه السنة

## الفصل الرابع

انفراد محمد علي بالحكم

يدل منطق الحوادث على أن نية محمد علي في الانفراد بالحكم قد بدأت تتملكه، كما ألمعنا إلى ذلك، بعد عودته من الاسكندرية عقب جلاء الانجليز عن البلاد، وذلك أن مركزه قد توطد إذ تغلب على دسائس الباب العالي أولاً، ثم هزم الحملة الانجليزية ثانياً، وبسط نفوذه وسلطانه على بلاد خارجة عن نطاق حكمه كالاسكندرية التي كان الباب العالي يعتبرها تحت مطلق سلطته، فانتصار الجيش المصري على الانجليز، واستخلاص البلاد من قبضة دولة قوية البطش عزيزة الجانب، جعل محمد علي ينزع إلى الانفراد بحكومة البلاد ويستأثر بها بلا معارض ولا منازع، وأخذ يعمل على ذلك تدريجاً، مستعيناً بما أوتي من الدهاء وسعة الحيلة

وإذا تأملت في مجرى الحوادث عقب عودته إلى القاهرة تجد أنه قد أخذ فعلاً من ذلك الحين يعمل على تحقيق هذا الغرض، ذلك أنه اغتتم الفرصة في ثورة الجنود الأرنؤود ومطالبهم برواتبهم المتأخرة وإخلائهم بالنظام كعادتهم، فاعتزم الانتقال من سرايه بالأزبكية إلى قلعة المقطم، واتخاذها مقرآ له، ومعنى انتقاله إلى القلعة عزمه على أن يحكم البلاد بالقوة، لأنك إذا رجعت بذاكرك إلى نحو أربع سنوات مضت قبل وقوع هذه الحوادث تجد أن خورشيد باشا حينما انتقل من سرايه بالأزبكية إلى القلعة<sup>(١)</sup> كان معزماً أن يحكم البلاد بالقوة، دون أن يعبا برأى شيوخها وزعمائها ومطالب جماهيرها

(١) انظر الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية »، ص ٣٦١

والواقع ان سكنى ولى الامر فى الازبكية أى فى قلب العاصمة يجعله أميل الى الإصغاء لمطالب الشعب اذا هاجت خواطره ، لان الازبكية كانت الميدان الذى تحتشد فيه الجموع إذا حفزها حافز من شكوى او احتجاج ، فاذا ماسكنها ولى الأمر كان أقرب الى رؤية مظاهرات الشعب وأدنى الاستماع الى صيحاته ومطالبه

أما اذا استقر فى القلعة ، فكأنه يريد أن يتمتع فى قبة الجليل ، ويضع نفسه مع المدافع المتسلطة على البلد ، ويصمّ اذنيه عن سماع صيحات الجماهير ، وينظر إلى القاهرة كما ينظر النسر المحلّق فى السماء الى فريسته على الأرض

ولا يذهبن عنك أن القلعة تربض على ذروة المقطم كما يربض الأسد فى عرينه ، وهى بآراجها ومدافعها تشرف على القاهرة وتسلط عليها ، فكأنما بناها صلاح الدين الايوبى فى ذلك الموقع ليتخذها الملوك والسلاطين معقلا يتسلطون منه على المدينة العظيمة وأهلها ، ويكفيك أن تصعدىوما الى القلعة ، وتمنظرك الى ما يتناوله الأفق ، لتتضال القاهرة أمامك ، إذ تراها مبسوطة لعينيك بشوارعها ، وميادينها ، وقصورها ، ومبانيها ، وأشجارها ، وحدائقها ، كرقعة صغيرة تكاد تكون فى قبضة يدك وعلى بسطة ذراعك ، أو كأنها لوحة صغيرة من الرسوم الصامتة ، ولا تكاد إذ ترى أشباح الناس تتحرك فى شوارعها وطرقاتها أن تميز بين مسيرهم وديبب النمل ، وهيات أن تبلغ سمعك أصواتهم مها علت أو اكتظت بهم الميادين فى مختلف نواحيها القريبة والبعيدة ، فالحاكم المستبد إذ يشاهد من القلعة تلك المدينة السكبرى منبسطة أمام نظره ، صامتة لا يسمع لها صوتاً ، جامدة لا يحس لها ركزاً ، ويرى نفسه فى ذلك العلو الشاهق ، تحف به الأبراج وفيها المدافع متحفزة فاغرة أفواها على المدينة ، لاجرم أن تعتريه وساوس السلطة المطلقة ، وتملكه نزعات الاستبداد والبطش بمعارضيه

فمحمد على باشا قد انتقل الى القلعة واتخذها معقلا له حينما قامت فى المدينة فتنة الجند الارناؤود ، ومن يومئذ وهو معزوم أن يستأثر بالحكم لا ينازعه فيه منازع ،



فبعد أن اخذ فتنة الجند اتجهت عزيمته الى التخلص من الزعامه الشعبيه ، فتم له ما أراد كما رأيت في الفصل السابق ، ثم صحت عزيمته على التخلص من خصومه المماليك ، فانهم بالرغم من تقليم أطرافهم كانوا لا يفتأون يتحينون الفرص لمناواته ومنازعة الحكم والسلطان

### موقف محمد علي ازاء المماليك

كان عدد المماليك في ذلك الحين يبلغ ٢٥٠٠ من المقاتلة كما قدرهم المسيو مانجان<sup>(١)</sup> ، وقد استعان محمد علي باشا على رؤسائهم منذ سنة ١٨٠٧ بالحيلة ، فابتدأ باستمالة شاهين بك الألفي خليفة محمد بك الألفي ، وما زال يعرض له المودة والصفاء حتى اجتذبه الى القاهرة ووافقه على أن يقيم بالجيزة ويكون له ايراد اقليم الفيوم وثلاثين قرية في اقليم الهنسا ، وعشر قرى في الجيزة ، وأطلق له التصرف في ذلك كله التزاما وكشوفية<sup>(٢)</sup> وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى الاسكندرية ، وكتب له الحجة بذلك

فارتضى شاهين بك بهذا الصلح ، وطابت له نفسه ، وجاء القاهرة لزيارة محمد علي باشا ، فاکرم مشواه ، ودعاه الى مأدبة عند ابنه طوسون ، ثم سكن شاهين بك بالقصر الذي أعد له بالجيزة ( شوال سنة ١٢٢٢ - ديسمبر سنة ١٨٠٧ ) ، وضرب صفحا عن عيشة الكفاح والقتال ، وحذا حذوه بعض الامراء المماليك ، فبدلوا الطاعة لمحمد علي باشا ، وأرسل في أوائل سنة ١٨٠٨ ( ذى القعدة سنة ١٢٢٢ ) الى زملائه المماليك في الصعيد يرغبهم في الاذعان والولاء لمحمد علي كان لدعوة شاهين بك أثرها في كسر حدة المماليك ، فوقفت حركات القتال في

(١) في كتابه ( تاريخ مصر في عهد محمد علي ) الجزء الأول

(٢) اي يتولى حكم تلك البلاد ويستولى على ايراد أطيانها بعد أداء الميري

الصعيد ، وهدأت الحالة هدوءا نسبيا ، ويرجع سبب هذا الهدوء الى ما أصاب  
المماليك من الضعف ، والى اليأس الذى تسرب الى نفوس زعمائهم ، فان ابراهيم بك  
السكبير قد أضعفته الشيخوخة ، فصار أقرب الى الراحة والسكون بعد ما هدأت  
السنون من نشاطه وقوته ، وكذلك عثمان بك حسن ، وهذان هما كبير المماليك  
المعترف لهما بالزعامة بعدموت الالفي والبرديسى ، على انها مع ماتوا لهما من الضعف  
واليأس ظلا على عهدهما القديم من كراهية محمد على باشا وعدم الثقة فى مقاصده  
حيال المماليك ، أما شاهين بك المرادى ( خليفة البرديسى ) فلم يكن له نفوذ بجانب  
ابراهيم بك وعثمان بك حسن

كان محمد على باشا يعلم نفسية ذينك الزعيمين ، ويعرف أن التجارب جعلتها  
لا يطمئنان اليه ، ولا يثقان به ، فتخطاهما وصرف مساعيه الى استمالة صغار  
البكوات والكشاف من اتباعهما ، فانتز فرصة الهدوء النسبى الذى ساد صفوف  
المماليك وجعل يوفد رسله إليهم يدعوهم الى الإخلاق للطاعة على أن يرتب لهم  
رواتب تقوم بأودهم فى القاهرة ، وانتهى بهذه الوسيلة إلى فصم عرى المماليك  
واجتذاب بعضهم إلى العاصمة

ولما مات شاهين بك المرادى خليفة البرديسى ( مايو سنة ١٨٠٨ ) أراد محمد على  
أن يظهر سطوته وأنه ولى الأمر ، فعين سليم بك المحرجى رئيسا للمماليك المرادية ،  
خلفا لشاهين بك ، وخلع فى الوقت نفسه على مرزوق بك ابن ابراهيم بك السكبير  
خلعة حاكم جرجا ، فوضع المماليك بهذا التعيين المزدوج أمام الأمر الواقع ، وجمع  
فى الوقت نفسه بين إعلان سلطته عليهم واجتذاب ابراهيم بك بتعيين ابنه حاكما  
لجرجا ، ولم يعهد المماليك أن يتحكم فيهم الولاية الأتراك السابقون ويتدخلوا فى  
شؤونهم إلى هذا الحد الذى وصل إليه محمد على ، فإنهم كانوا محتفظين باستقلالهم فى  
اختيار زعمائهم وكان الصعيد تحت مطلق تصرفهم

اجتمع رؤساء المماليك ، وتشاوروا فيما يكون موقفهم حيال هذا التدخل ،  
وبعد الأخذ والرد استقر رأيهم على قبول الأمر الواقع

لسكنهم لم يؤدوا ما على البلاد التي تحت سلطنتهم من الأموال الأميرية ، فقد آ  
أو غلة ، فهددهم محمد علي بتجريد حملة عليهم إذا لم يؤدوها ، بتوسط شاهين بك  
الآلاني بين الفريقين ، واتفقوا على أن يؤدوا ثلث ما عليهم من غلال الحكومة ،  
وقدر ذلك سبعة آلاف ومائة ألف أردب ( مارس سنة ١٨٠٩ ) ، ولسكنهم لم  
يقوا بها ، فجرد عليهم ، في سبتمبر سنة ١٨٠٩ ، جيشا لإخضاعهم واستخلاص  
الصعيد من أيديهم

على أن المماليك لم يفكروا في مقاومته ، فانسحبوا إلى الجبال القريبة من جرجا  
وأسيوط . فرأى محمد علي أن الفرصة سانحة ليتولى حكم الوجه القبلي ، فسار في  
شهر أكتوبر من القاهرة في جيش يبلغ ستة آلاف مقاتل . فلم يكذب يبلغ أسيوط  
حتى بادر المماليك إلى طلب الصلح ، فاشترط عليهم محمد علي أن يرحلوا عن الوجه  
القبلي ، ويقيموا في القاهرة ، على أن يعطيهم بعض الجهات يستغلونها ويدفعون  
أموالها والضرائب التي تفرض عليها . وهذه الشروط تدلك على مبلغ ما وصل إليه  
المماليك من الضعف ، فإن شروطهم السابقة كانت أن يتولوا حكم الصعيد على دفع  
الخراج ، أما الشروط الأخيرة فأساسها التخلي عن الحكم والإقامة في القاهرة تحت  
حكم محمد علي

تم هذا الاتفاق في ٢٧ رمضان سنة ١٢٢٤ ( نوفمبر سنة ١٩٠٨ ) بأسيوط ،  
وطلب المماليك مهلة ثلاثة أشهر يقضون فيها مصالحهم ، فقبل محمد علي هذه المهلة ،  
وعاد إلى القاهرة ، ولما انقضت المدة طلبوا مدها شهرا فرضى بذلك ، ولما  
انتهى الأجل أنذرهم إذا لم يحضروا أن يجرد عليهم الجيش ، فأذعنوا وأزمعوا  
الرحيل إلى العاصمة

سار ابراهيم بك وزملاؤه إلى القاهرة ( مايو سنة ١٨١٠ ) ، فلما كان قريبا  
من الجيزة عسكر بالبر الغربي ، ونصب خيامه على رمية المدفع من الجيزة ، وهناك  
ترددت الرسل بين ابراهيم بك ومحمد علي باشا ، وكان الباشا مقبلا وقتشد بقصره  
بشبرا ، وتعددت مقابلات الرسل على غير طائل ، إذ أن ابراهيم بك كان قليل الثقة

في مقاصد محمد على باشا ، كما أن محمد على نفسه لم يكن يبغى من هذه المفاوضات إلا كسب الوقت لتقليم أظافر المماليك وإذلالهم ، واستاء إبراهيم بك من المعاملة التي عومل بها ، إذ لم تضرب لحضوره المدافع كما كان ينتظر ، وتركه محمد على باشا في الجزيرة دون أن يكثر له ، فاعتزم العودة إلى الصعيد ، ناكثا الصلح ، وبذلك تجدد الخصام بين محمد على باشا والمماليك

وقد توصل إبراهيم بك إلى إقناع شاهين بك خليفة الألق بتقضى اتفاقه هو أيضا مع محمد على ، والرحيل عن القاهرة إلى حيث يتحد وإخوانه ، فاستجاب له وانسل من الجزيرة ، وتبعه في انسحابه البكوات والكشاف المماليك الذين لبثوا بمصر سنتين راضين بحكم محمد على ، وعاد الاتحاد إلى صفوف المماليك ، فاستاء محمد على من هذه الحركة ، وجرّد جيشا جديدا لمحاربة خصومه

تجدد القتال ، وزحف الجيش على الصعيد ، فانتصر على المماليك في البهنسا واللاهون ، واستولى على إقليم الفيوم ، وانسحب إبراهيم بك وعثمان بك حسن وسليم بك زعماء المماليك إلى اسوان ، منهوكة قواهم منحلة عزائمهم ، ورجع شاهين بك الألقى يطلب العفو من محمد على باشا ، فعفا عنه وسمح له بالإقامة في القاهرة وأقطعه داراً جميلة ليسكن فيها بالأزبكية ( أكتوبر سنة ١٨١٠ ) ، ولعله أراد اجتذابه هذه المرة ليلقى حتفه في مذبح القلعة كإسيجي . بيانه ، وكذلك فعل كثير من البكوات والكشاف والمماليك ، فانهم طلبوا من محمد على الأمان ، فأمنهم على أنفسهم وعفا عنهم ، وأذن لهم بالعودة إلى القاهرة والإقامة فيها

أخضع محمد على الصعيد لحكمه ، ودانت له مصر قاصيها ودانيها ، ورجع المماليك الذين قدموا طاعتهم إلى القاهرة ، وأخذوا ينصرفون إلى أسباب الرفاهية والرغد ، وأغدق عليهم محمد على من خزائنه الحكومة ما جعلهم يستطيعون الإقامة في القاهرة ، ويؤثرونها على عيشة الكفاح والقتال ، وانصرفوا إلى ترتيب عيشتهم الجديدة ، وتجميل بيوتهم وتأثيثها بفاخر الرياش والأثاث ، وشرع معظمهم في التزوج وإعداد الأفراح والمسرات ، وخيل إليهم أنهم استراحوا من شظف العيش ،

وأهوال السكر والفر ، وأنهم مقبلون على حياة الهناء والرفاء والبنين ، ولم يدروا ماخبأ لهم القدر من خاتمة رهيبية

ذلك أن محمد على باشا أوجس نخيفة من بقاء المماليك في القاهرة ، وخاصة لما اعتزم تجريد الحملة على الحجاز لمحاربة الوهابيين تلبية لأوامر الإستانة ، وخشى إذا غادر الجيش مصر وضعفت قوته الحربية أن يعودوا لمناواته وانتزاع السلطان من يده ، فرأى أن لا وسيلة للاحتفاظ بسلطانه وانفراده بالحكم سوى التخلص من البقية الباقية من المماليك ، ومن هنا نبئت في رأسه فكرة اغتيالهم في المؤامرة المعروفة بمذبحة القلعة

### مذبحة القلعة

أول مارس سنة ١٨١١

إذا ذهبت يوماً إلى قلعة صلاح الدين لتتعرف ما تشتمل عليه من المواقع والمباني والآثار ، فقف قليلاً تحت منارة جامع السلطان حسن ، وانجبه بنظرك إلى القلعة ، تجدها ماثلة أمامك ، بموقعها المنيع ، وأسوارها العالية ، وأبراجها الشاهقة وأبوابها الضخمة ، وأول ما يلفت نظرك قباب جامع محمد علي وماآذنه الهيفاء البديعة الصنع التي تداعب السحاب في علوها ، فإذا رجعت الطرف في هذا المنظر فدعه جانبا ، لأنه لم يكن موجودا بتمامه في العصر الذي نكتب عنه ، إذ لم يكن محمد علي باشا قد بنى جامعته إلى هذه السنة ( عام ١٨١١ ) ، وانظر أمامك ، تجد باباً ضخماً غائراً في الجبل ، تعلوه أبراج قديمة ، هذا الباب هو المسمى ( باب العزب ) وهو باب القلعة من الجهة الغربية ، ويقع على الميدان المسمى الآن ميدان ( صلاح الدين ) ، وكان يسمى في ذلك العهد ميدان الرميطة ، فإذا دخلت هذا الباب تجد طريقاً وعراً متعرجاً ، منحوتاً في الصخر ، تسير فيه صعوداً بالجهد والعناء إلى رحبة القلعة ، وتصل من هذه إلى جامع محمد علي : ثم إلى قصره

فإذا تعرفت تلك المواقع ، وثبتت صورتها في ذهنك ، فاسمع ماجرى فيها يوم  
أول مارس سنة ١٨١١

لما عاد محمد علي باشا من الوجه القبلي أخذ يجهز جيشا ينفذه إلى الحجاز لمحاربة  
الوهابيين ، تلبية لنداء الحكومة التركية ، وجعل يهيء معدات الحملة في أوائل سنة  
١٨١١ ، وعقد لواء قيادتها لابنه أحمد طوسون باشا ، وأعد مهر اجانا فخما  
بالقلعة ، حدد له يوم الجمعة أول مارس سنة ١٨١١ للاحتفال بإلباس ابنه خلعة  
القيادة ، ودعا رجال الدولة وأعيانها وكبار الموظفين العسكريين والملكيين لشهود  
ذلك الاحتفال الفخم ، وكان الترتيب أن يلبس طوسون باشا خلعة القيادة ، ثم  
ينزل من القلعة في أهته وموكبه مخترقا أهم شوارع المدينة ليصل إلى معسكر  
الحملة في القبة (١)

وكان مثل هذا الاحتفال من المواقب المشهودة التي تحتشد لها الجماهير ، وقد  
دعا الباشا جميع الامراء والبكوات والسكشاف المماليك وأتباعهم لحضور الحفلة ؛  
فعد المماليك هذه الدعوة علامة الرضا من محمد علي باشا ، وركبوا جميعا في زينتهم  
وكبكبتهم ، وارتدوا أجمل وأثمن ما عندهم من الملابس ، وامتنوا خير مالداهم من  
الجياد ، وذهبوا صبيحة ذلك اليوم إلى القلعة قبل الموعد المضروب لركوب  
طوسون باشا

وقبل ابتداء الحفلة دخل البكوات المماليك على محمد علي باشا في قاعة الاستقبال  
السكبرى ، فتلقاهم بالبشر والحفاوة ، وقدمت لهم القهوة ، وشكركم الباشا على  
اجابتهم دعوته ، وأمع الى ما ينال ابنه من التكريم إذا ما ساروا معه في موكبه ،  
فأجابوه بالشكر ، واعتذروا عن تخلف بقية اخوانهم الذين مازالوا في الصعيد ولم  
يحضروا للاشتراك في الاحتفال ، فقابل الباشا الاعتذار بالتجاوز والإعراب عن  
تسامحه وحسن مقاصده للتخلفين ، وتجادب هو وضيوفه أطراف الحديث هنيهة

---

(١) الضاحية المروفة شمالي العاصمة ، وتسمى قبة العزب

ثم مالبث أن أذن مؤذن الرحيل ، فقرعت الطبول وصدحت الموسيقى ، فكان ذلك إعلانا بالتأهب لتحرك الموكب

وعندئذ نهض المماليك وقوفا ، وبادلوا الباشا وبادلهم عبارات التحية والاحترام وساروا إلى حيث يأخذون مكانهم في الموكب الفخم ، ولما تقلد الأمير طوسون باشا اللواء بدأ الركب يسير منحدرًا من القلعة

تحرك الركب ، تتقدمه طليعة من الفرسان الدلاة يقودها ضابط يدعى أوزون علي ، يتبعها والى الشرطة ، والأغا (محاظف المدينة) والمحتسب ، ويلهم الوجاقلية ، ثم كوكبة من الجنود الارنامود يقودهم صالح اق قوش ، ثم المماليك يتقدمهم سليمان بك البواب ، ومن بعدهم بقية الجنود الارنامود فرسانا ومشاة ، وعلى أثرهم كبار المدعون من أرباب المناصب

سار الموكب على هذا النظام ، منحدرًا إلى باب العزب المتقدم ذكره ، منسربا في ذلك الطريق الضيق الوعر الذى وصفناه آنفا

فاجتازت الباب طليعة الموكب ، ثم رئيس الشرطة ، ثم المحافظ ومن معه ، ثم الوجاقلية ، ولم يكده هؤلاء يجتازون باب العزب حتى ارتج الباب وأقفل من الخارج على حين فجأة إقفالا محكما فى وجه المماليك ، ومن وراءهم الجنود الارنامود ، فلما رأى هؤلاء الجنود الباب قد أقفل ، وكانوا عالين بما تدل عليه هذه الإشارة ، تحولوا عن الطريق فى صمت وسكون ، وتسلقوا الصخور التى تسكتفها وتعلوه يمينا وشمالا ، وأخذوا مكانهم على الصخور والأسوار والحيطان المشرفة عليه ، ولم يتنبه المماليك بادى الأمر الى أن الباب قد أقفل ، واستمروا يتقدمون متجهين اليه ، ولكن لم تسكد تبلغه صفوفهم الأولى حتى رأوه مقفلا فى وجوههم إقفالا محكما ، وأبصروا الارنامود يتسلقون الصخور المشرفة عليهم ، فتوقفوا قليلا عن المسير ، وتضامست صفوفهم المتلاحقة بعضها اثر بعض ، ولم تمض هنيهة حتى دوى طلق الرصاص من نوافذ احدى الشكنات ، فكان هذا نذيرا بإنفاذ المؤامرة ، ذلك انه لم تسكد تلك الطلقات تدوى فى الفضاء حتى انهال الرصاص دفعة واحدة على

المماليك وهم محصورون في هذا الطريق الغاز في الأرض ، فالباب الضخم مقفل في وجوههم ، والجنود الارناؤود من وراءهم ، ومن فوقهم ، وعن يمينهم ، وشمالهم ، يتناولونهم برصاص بنادقهم

لم يستطع المماليك دفاعا عن أنفسهم ، ولم يكن لديهم الوقت ولا القدرة على الحركة ، أو الرجوع القهقري ، أو النزول عن جيادهم ، لضيق المكان الذي حصروا فيه ، ولأنهم جاءوا الاحتفال من غير بنادق ولا رصاص ، ولم يكونوا يحملون سوى سيوفهم ، وهيات أن تعمل السيوف في ذلك الموقف شيئا ، فأنصب عليهم الرصاص ، وحصدهم حصدا ، وجاءهم الموت من كل مكان

ولما سقطت الصفوف المكشوفة من المماليك تحتبط بدماؤها ، أمكن الباقين أن يترجلوا عن جيادهم ، وأرادوا النجاة بأنفسهم من تلك الحفرة المهلكة التي كانوا مكدسين فيها ، فتسلق بعضهم الصخور المحيطة بالطريق بعد أن خلعوا ما كان عليهم من الفراوى والملابس الثمينة والثياب الفضفاضة ليسهل عليهم الفرار ، ولأن الرصاص كان يتلقفهم أينما سعدوا ، فلا تلبث أن تتساقط جثثهم في جوف الطريق ، ومن هؤلاء شاهين بك الألفي الذي تمسكن في عدة من مماليكه أن يتسلق الحائل وصعد إلى رجة القلعة وانتهى إلى عتبة قصر صلاح الدين ، فعاجله الجنود الارناؤود برصاصة أردته صريعا ، واستطاع سليمان بك البواب أن يجتاز الطريق وجسمه يقطر دما ، ووصل إلى سراي الحرم ، واستغاث بالنساء صائحا (في عرض الحرم) ، وكانت هذه الكلمة تسكني في ذلك العهد لتجعل من يقولها في مأمن من الهلاك ، ولكن الجنود عاجلوه بالضرب حتى قطعوا رأسه ، وطحرت جثته بعيدا عن باب السراي ، وتمكن بعض المماليك من الوصول إلى حيث كان طوسون باشا راكبا جواده منتظرا أن تنتهى تلك المأساة . فتراثوا على أقدامه طالبين الأمان ، ولكنه وقف جامدا لا يبدى حراكا ، وعاجلهم الجنود بالقتل ، وتكدست جثث القتلى بعضها فوق بعض في ذلك المضيق وعلى جوانبه حتى بلغ ارتفاع الجثث في بعض الأماكن إلى أمتار ، واستمر القتل إلى أن أفنى كل من دخلوا القلعة من



المماليك ، ومن لم يدركه الرصاص من وقع تحت جثث الآخرين أو فرّ في نواحي القلعة أو تخلف عن الموكب ، ساقه الأرنامود حياً إلى السكتخدا بك فأجهزوا عليه ضرباً بالسيوف ، واستمر القتل من ضحوة النهار إلى هزيع من الليل حتى امتلأ فناء القلعة بالجثث

وهكذا دخل القلعة في صبيحة ذلك اليوم أربعائة وسبعون من المماليك وأتباعهم ، قتلوا جميعاً ، ولم ينج منهم إلا واحد يسمى ( أمين بك ) ، فإنه كان في مؤخرة الصفوف ، فلما رأى الرصاص ينهال على زملائه طلب النجاة فصعد بجواده إلى المسكان المشرف على الطريق وبلغ سور القلعة ، ورأى الموت محيطاً به ، فلم يجد منجى إلا أن يرمى بنفسه من أعلى السور إلى خارج القلعة ، وكان الخطر المحقق في تلك المحاولة ، إذ يعلو السور عن الأرض ستين قدماً ، ولسكنه خاطر بنفسه مؤثراً الموت على القتل ، فأسكن جواده ، فقفز به متردياً ، ولما صار على مقربة من الأرض قفز هو مترجلاً ، وترك الجواد يتلقى الصدمة ، فهشم الجواد لفوره ، ونجا أمين بك من الموت ، ومضى يعدو في طريق الصحراء ، وما زال يطوى الفدافد متفكراً حتى بلغ إلى جنوب سورية (١)

أحكم محمد علي باشا تدبير المؤامرة ، فلم يقف على سرها إلا أربعة من خاصة رجاله ، وهم حسن باشا قائد الجنود الأرنامود ، والسكتخدا بك محمد لاط اوغلي ، وصالح قوش أحد ضباط الجند ، وإبراهيم أفا حارس الباب ، وصالح قوش كما مر بك كان يقود كوكبة الجنود الأرنامود في الموكب ، وهو الذي أمر بإقفال باب العزب وأعطى إشارة القتل إلى رجاله وبينما كان صالح قوش يتأهب لتنفيذ المؤامرة كان محمد علي باشا جالساً في

---

(١) ذكر المسيو فولابل في كتابه ( مصر الحديثة ) أن هذا المملوك بقى على قيد الحياة حتى ظهور كتابه سنة ١٨٣٢ وأنه لجأ إلى الاستانة حيث دخل في خدمة السلطان

قاعة الاستقبال ، ومعه امانؤه الثلاثة ، وفد ظل في مكانه هادئا الى أن بدأ الموكب يتحرك ، واقتربت اللحظة الرهيبة ، فساوره القلق والاضطراب ، وساد القاعة صمت عميق ، الى أن سمع اطلاق أول رصاصة ، وكانت ايدانا بيد المذبحة ، فوقف محمد على وامتقع لونه ، وعلا وجهه الاصفرار ، وتنازعت الانفعالات المختلفة ، وأخذ يسمع دوى الرصاص وصيحات الذعر والاستغاثة وهو صامت لا يتبس بكلمة ، إلى أن حصد الموت معظم المماليك ، وأخذ صوت الرصاص يتضام ، وكان ذلك إعلانا بانتهاء المؤامرة ، وعندئذ دخل عليه المسيو ماندريشى طبيبه الايطالى وقال له : « لقد قضى الأمر واليوم يوم سعيد لسموكم ، فلم يجب محمد على بشيء ، وطلب قدحا من الماء فشر به جرعة طويلة ، وخرج السكتخدا بك وأخذ يجيز على الباقين من المماليك

لم يكن أحد من سكان القاهرة يتنبأ قبل أن تقع المذبحة بما خبأه القدر بين أسوار القلعة ، فكانت الجماهير يعلوها الابتهاج محتشدة في الشوارع المعدة لسير الموكب تنتظر مروره ، ولقد مرت طليعة الموكب بين جموع المتفرجين ، وأخذ الناس يترقبون بلهف مرور الصفوف التي تليها ، ثم انقطع تلاحق الصفوف ، فعجب الناس وطفقوا يتساءلون عن السبب ، وذهبت أفكارهم في تفسير ذلك مذاهب شتى ، وفيما هم ينتظرون قدوم الصفوف المتأخرة سمع المحتشدون في ميدان الرميلة الذى بأسفل القلعة صوت الرصاص يدوى في الفضاء بعد أن أقفل باب العزب ، فسرى الذعر الى الناس إذ وصل خبر المذبحة الى الجماهير القريبة من القلعة وصاح صائح : « قتل شاهين بك » ، وسرعان ما ذاع الخبر بسرعة البرق الى مختلف الأحياء . فتفرقت الجماهير وأقفلت الدكاكين والأسواق ، وهرع الناس الى منازلهم ، وخلت الشوارع والطرق من المارة ، وأعقب هذا الذعر نزول جماعات من جنود الأرنؤود إلى المدينة يقصدون بيوت المماليك في أنحاء القاهرة ، فاقتمحوها وأخذوا يفتكون بكل من يلقونه فيها من أتباعهم ، وينهبون ما تصل اليه أيديهم ، ويغتصبون من النساء ما يحمان من الجواهر والحلى والنقود ، واقترفوا في ذلك

اليوم واليوم الذي تلاه من الفظائع ماتقشعر منه الأبدان ، ولم يكتفوا بالفتك بمن  
يلقونه من المماليك ونهب بيوتهم وأغتصاب نسائهم ، بل تجاوزوا بالقتل والنهب إلى  
البيوت المجاورة ، وبلغ عدد المنازل التي نهبها خمسمائة منزل ، وأصبح اليوم التالي  
( السبت ) والسلب والنهب والقتل مستمر في المدينة ، واضطر محمد علي باشا إلى  
النزول من القلعة في ضحوة ذلك اليوم وحوله رؤساء جنده وحاشيته لوضع حد  
للنهب والاعتداء ، فمر بالأحياء المهمة التي كانت هدفا لاعدوان الأرنؤود ، وأمر  
بقطع رموس من استمروا في النهب والاعتداء ، وكذلك فعل طوسون باشا  
قال الجبرتي : « ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية  
المدينة وحصل منهم غاية الضرر »

وتنبه على الأرنؤود بأن يقتصروا على القبض على المماليك الذين بقوا أحياء  
لتخلفهم عن الذهاب إلى القلعة في اليوم المشهود ، وإرسالهم إلى القلعة ، فكان  
السكرتخدا بك يأمر بقطع رموسهم ، ولم ينج منهم إلا من هرب من المدينة محتفيا  
وهاجر إلى الوجه القبلي ، وكذلك صدر محمد علي أمره إلى كشف المديريات باعتقال  
كل من يلقونه من المماليك وقتلهم

بلغ عدد من قتلوا من المماليك في القلعة وفي أنحاء القاهرة والمديريات في تلك  
الأيام الرهيبة نحو ١٠٠٠ من أمراء وكشاف وأجناد ومماليك

وقد ذكر الجبرتي أسماء من لهم شهرة ممن قتلوا بالقلعة وبلغه خبرهم ، وهم شاهين  
بك كبير المماليك الألفية ، ويحيى بك ، ونعمان بك ، وحسين بك الصغير ، ومصطفى  
بك الصغير ، ومراد بك ، وعلى بك ، وهؤلاء من الأمراء الألفية ، ومن غيرهم  
أحمد بك السكيلارجي ، ويوسف بك أبودياب ، وحسن بك صالح ، ومرزوق  
ابن إبراهيم بك الكبير ، وسليمان بك البواب ، وتابعه أحمد بك ، ورشوان بك ،  
وابراهيم بك ، وقاسم بك تابع مراد بك الكبير ، وسليم بك الدمرجي ، ورستم  
بك الشرقاوي ، ومصطفى بك أيوب ، ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن ، وعثمان  
بك إبراهيم ، وذو الفقار تابع جوهر ، ومن الكشاف ( الحكام ) على كاشف

الحاز ندار ، وعثمان كاشف الحبشى ، ويحيى كاشف ، ومرزوق كاشف ، وعبدالعزیز كاشف ، ورشوان كاشف ، وسليم كاشف ، وفايد كاشف ، وجعفر كاشف ، وعثمان كاشف ، ومحمد كاشف ، واحمد كاشف الفلاح ، واحمد كاشف صهر محمد أغا ، وخليل كاشف ، وعلى كاشف قيطاس ، واحمد كاشف ، وموسى كاشف

نفذ القضاء فى ذلك اليوم على فئة المماليك ، ولم يبق منهم إلا عدد ضئيل ممن بقوا مع ابراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن اللذين لم يطمئنا من قبل لمصالحة محمد على باشا وبقيا فى الصعيد ومعهما ذلك الرهط من المماليك ، فلما بلغهم نبأ مذبحه القلعة مضوا جنوبا الى ماوراء أسوان وأوغلوا فى إقليم النوبة وذنقتة ، ونجا أيضا من القتل عدا هؤلاء نحو ستين مملوكا فروا إلى سوريه

### الرأى فى مذبحه القلعة

تلك هى الواقعة الشهيرة بمذبحه القلعة ، ونحن هنا لا نريد أن ندافع عن المماليك ، فإننا عددنا عليهم من المساوىء التى ارتكبوها والمضار التى جلبوها على البلاد ما يغنى عن البيان ، ولسكن مهما بلغت سيئاتهم فإن القضاء عليهم بوسيلة الغدر أمر تأباه الإنسانية . ولو أن محمد على باشا استمر فى محاربتهم وجها لوجه حتى تخلص منهم فى ميادين القتال لكان ذلك خيرا له ولسمعته ، ولا يسوغ فعلته أن هذه الوسيلة كانت مألوفة فى ذلك العصر ، وأن هذه المؤامرة هى صورة مكبرة لما أمر به الباب العالى سنة ١٨٠٤ من الفتك بالمماليك ، إذ عهد إلى الصدر الأعظم والى حسين قبطان باشا أن يقضى عليهم بهذه الطريقة نفسها (١) ، فإن تكرار السيئات لا يبررها ، وبالجملة فمذبحه القلعة كانت نقطة سيئة فى تاريخ محمد على باشا وقد حاول بعض المؤرخين تبريرها بقولهم انه اضطر إليها دفاعا عن نفسه وان

(١) انظر الجزء الثانى من تاريخ الحركة القومية ، ص ٣١٥ وما بعدها

المماليك كانوا يأتمرون به حين ذهب إلى السويس يتعهد شؤون العمارة المعدة لتقل  
الحملة الوهابية ، ونمى إليه انهم ينوون الفتك به عند عودته الى القاهرة ( فبراير سنة  
١٨١١ ) فخرج من السويس ليلا على غير ميعاد وأمرع في السير حتى دخل القاهرة ،  
ولما تحقق انه لا يأمن فترك المماليك به وخاصة إذا أنفذ الحملة على الحجاز وخلت  
البلاد من الجنود اعزم قطع دابرهم ، وهذه الرواية لم نجد لها سنداً قويا ، ولا نعتقد  
أن هذا الحادث هو الذى أوحى إلى محمد على تدبير مذبحه القلعة ، بل أغلب الظن  
أنها كانت نتيجة تفكير عميق وتدبير واسع المدى سابق على ذلك الحادث وكان  
قبله بمدة

ولم تلق مذبحه المماليك تبريرا قويا حتى من أصدقاء محمد على المدافعين عنه وعن  
حكيمه ، فانظر مثلا إلى ما كتبه المسيو مانجان وهو صديق للباشا تراه يقول :  
« اننى أبعد ما أكون عن تبرير الفتك بالمماليك ، على أتى أعده من بعض  
النواحي خيرا لمصر ، فإن بقاءهم يفضى إلى حرب هي أضر على البلاد من الإيقاع  
بهم ، كما ان ارادة الباب العالي كانت تؤدي الى استمرار تلك الحرب ، فالضربة  
الجريئة التي ضربها محمد على تنفيذاً لأوامر الباب العالي السرية قد قضت على نظام  
كانت تركيا تعمل على التخلص منه تدريجاً ، ومن هذه الناحية يمكن تبرير عمل  
الباشا ، ومن جهة أخرى فإن الدفاع عن سلامته كان يقضى أن يلجأ الى طرق  
حازمة ، فقد كان محاطاً بجنود فطروا على الشعب والفوضى ، وكان مضطراً الى إنقاذ  
جزء كبير من قواته الى جزيرة العرب ، فكان عليه أن يفكر في إضعاف خصومه  
الذين يزدادون في هذه الحالة قوة ونفوذاً ، فقد بلغه على ما قيل انهم كانوا  
يأتمرون به ليختطفوه عند عودته من السويس ، ولما علم ان السياح من الافرنج  
يلومونه في رحلاتهم وكتبهم على اغتيال المماليك ويعدونه عملاً منافياً للانسانية  
صرح بأنه ينبغي أن يرسم صورة يوضع فيها مذبحه المماليك بجانب حادثة اغتيال  
الدوق دانجان (١) D'Engein ليحكم الناس على الحادثتين ،

(١) الذى اتهمه نابليون ظالماً بالتآمر عليه وأمر بقتله في محاكمة صورية

ويقول المسيو جومار وهو الذي جعله محمد على باشامديرا لأول بعثة مدرسية  
مصرية في فرنسا :

« لو أمكن نحو تلك الصحيفة الدموية من تاريخ مصر لما صار محمد على هدفا  
لأحكام التاريخ القاسية ،

هذا ، وإذا نظرنا إلى هذه الحادثة من الوجهة القومية البحتة وجدنا إن البقية  
الباقية من المماليك كان قد ضعف شأنهم وتقلبت أظفارهم حتى لم يبق من وجودهم  
خطر على نفوذ محمد على وسلطانة ، فإذا كان يستطيع ابراهيم بك وعثمان بك حسن  
وغيرهما أن يفعلوه وليس معهم سوى ذلك العدد الضئيل من المماليك الذين كانوا  
يحيطون بهم ؟

وماذا كان يستطيع أن يفعله شاهين بك وسليمان بك البواب ومرزوق بك  
وغيرهم وقد تركوا اخوانهم في الصعيد وجاءوا القاهرة مستأمنين خاضعين وغادروا  
حياة السكر والفر لينعموا بالفاهية ورغد العيش ؟ ما نظن مطلقا أن ثمة خطرا كان  
يهدد محمد على من هذه الناحية ، وما نظنه كان في حاجة إلى التخلص من تلك البقية  
الباقية من المماليك بتلك الوسيلة المنطوية على الغيلة والغدر

ومن جهة أخرى فإن الفتك بالمماليك على هذه الصورة الرهيبة قد كان له أثر  
عميق في حالة الشعب النفسية ، لأن مذبح القلعة أدخلت الرعب في قلوب الناس  
وكان من نتائجها أن استولت الرهبة على القلوب ، فلم يعد ممسكنا الى زمن طويل  
أن تعود الشجاعة والطمأنينة الى نفوس الناس ، والشجاعة خلق عظيم تحرص عليه  
الأمم الطامحة إلى العلا ، وهي قوام الأخلاق والفضائل القومية ، فإذا فقد الشعب  
الشجاعة وحلت الرهبة مكانها كان ذلك نذيرا بانحلال الحياة القومية وفسادها ،  
فالرهبة التي استولت على النفوس بعد مذبح القلعة كان لها أثرها في إضعاف قوة  
الشعب الخلقية والمعنوية ، وتلك خسارة قومية كبرى ، فإنما الأمم أخلاق وفضائل ،  
أضف إلى ذلك أن هذه الحادثة وقعت في الوقت الذي كانت فيه النفوس قد تطلعت  
إلى مراقبة ولاة الأمور ودبت فيها روح الحياة والديمقراطية ، وتعددت مظاهر

هذه الروح بما رأيت من اجتماعات الشعب واحتجاجاته على المظالم ، فنحسب أن  
مذبحة القلعة قد قضت على هذه الروح إلى زمن طويل ، وأحلت في مكانها روح  
الرهبنة من الحكام ، ولعل هذه الروح الجديدة قد جعلت محمد علي باشا أكثر  
اطمئنانا على انفراده بالحكم ، فلم يبدُ من الشعب في خلال السبع والثلاثين سنة التي  
قضاها في الحكم بعد تلك الحادثة روح معارضة أو محاسبة أو انتقاد ، وغنى عن  
البيان انه مع ما أسداه محمد علي من الخير للبلاد في خلال حكمه فإنه لم يعرض على  
الشعب ما فقدته من تلك الناحية الخلقية ، ناحية الشجاعة الأدبية والروح الديمقراطية ،  
تلك الناحية التي هي من أركان عظمة الأمم ومن دعائم حياتها القومية

## الفصل الخامس

### تحقيق الاستقلال القومى

#### هروب مصر في عهد محمد على

نظرة عامة في تلك الحروب من الوجهة القومية

ان حروب مصر في عهد محمد على باشا هي التي مكنتها من تحقيق استقلالها القومى ، ولولا تلك الحروب لما تسكون ذلك الاستقلال ولرجعت البلاد إلى عهد الحكم التركى وبقية زمننا لا يمكن تقديره ولاية حكمها تركيا كما كانت تحكم سائر ولايات السلطنة العثمانية ، يتعاقب عليها الولاية كل سنة أو سنتين ففي ميدان الحروب تكونت الدولة المصرية الحديثة ، وحققت استقلالها ، وكذلك قضت سنة الله في الأمم أن لا يأتيا استقلالها رغدا ، بل تخوض اليه غمار المتاعب والضحايا والآلام ، تناله بالقوة ، وتحافظ عليه بالقوة ، وإذا ماتراخت قوة الأمة واعتراها الوهن والضعف ، أو تطوحت وركبت من الشطط ، أو تحاذل أبنائها وتفرقت كلمتهم ، التوى عليها القصد ، واستهدف استقلالها للخطر ، ولا يلبث أن تعصف به ، أطماع الغزاة والمستعمرين ، وقضت سنة الله في خلقه ان الدول الفتية لا تتسكون ولا تنشأ إلا في ميادين القتال والنضال ، وما المعاهدات التي تعترف بوجود الدول الحديثة واستقلالها إلا منظمة ومقررة لنتائج الحروب والانقلابات التي يتحقق فيها ذلك الاستقلال

فتلك الحروب التي خاضت مصر غمارها في عهد ( محمد على ) هي السبيل التي



أوصلتها إلى تحقيق استقلالها ، وتأليف وحدتها ، وحفظ كيائها ، وبلوغ مركزها  
الدولى ، والمكانة التى نالتها بين الدول هى ثمرة تلك الحروب أولا  
على هذا الاعتبار ننظر إلى حروب مصر فى عهد محمد على ، فهى من الوجهة  
القومية سبيل الاستقلال الذى نالته فى تاريخها الحديث ، وما الوقائع ، والمعارك ،  
والأسماء ، والحوادث التى تخللتها إلا معالم لهذا السبيل ، لذلك وجب علينا أن  
نستعرض هذه الحروب وتتابع وقائعها ، ونبين نتائجها فى تكوين مصر المستقلة

### الحملة الإنجليزية سنة ١٠٨٧

إن الحملة الإنجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ كانت أول حرب اشتبكت فيها مصر  
دفاعا عن كيائها ، وكانت فاتحة سعيدة لحروب مصر فى ذلك العصر ، لأنها انتهت  
بإخفاق إنجلترا فيما كانت ترمى إليه من احتلال مصر ، وقد استوفينا الكلام عن  
تلك الحرب فى الفصل الثانى

### الحرب الوهابية

١٨١١ - ١٨١٩

إن جزيرة العرب هى أول ميدان لحروب مصر الخارجية فى عهد محمد على ،  
وكانت الحرب فيها من أشق الحروب التى خاضت غمارها وأطولها مدى ومن  
أكثرها ضحايا ومتاعب ، جردت مصر فى خلالها حملات عدة كلفتها الضحايا  
الكثيرة فى الأرواح والأموال ، ولقى فيها الجنود الشدائد والأهوال فى قطع  
المراحل البعيدة المترامية بين الفيافي والقفار ، ونالهم المتاعب والأوصاب ، من  
وعورة الطرق ، وشدة القبط ، تضطرم به الأرض والسماء ، إلى قلة المؤونة وندرة

المياه وفقدانها في معظم الجهات ، الى محاربة عدو مستبسل بذل النفس والنفيس  
دفاعا عن وطنه

تحملت مصر في الحرب الوهاية خسائر جسيمة ، وان فداحة تلك الخسائر  
لقدعونا أن نتسامل عن السر في اهتمام محمد علي باشا بخوض غمار تلك الحرب  
الضروس ، وبذل ما اقتضته من الجهود والضحايا ، واحتمال أعبائها سنوات عدة  
متوالية بلا هوادة ومن غير أن يتردد في متابعتها أو يثنيه عنها ما أصاب الجيش في  
بعض أدوارها من الهزائم والمهالك ، بل كان كلما أخفقت حملة جرد الأخرى حتى  
بلغ النصر والظفر

تسامل عن ذلك وخاصة لأن الحرب الوهاية قد تبدو غير ضرورية ولا لازمة  
لمصلحة مصر ، ولم يخض غمارها إلا استجابة لنداء تركيا ، فان حكومة الاستانة  
مافتنت في مختلف المناسبات تدعوه إلى تجريد جيوشه لمحاربة الوهابيين ، طلبت اليه  
ذلك في أواخر ديسمبر سنة ١٨٠٧ قبل أن يمضي عامان على ولايته ، إذ ورد إليه  
فرمان بتجديد ولايته واستناد منصب الدفتر دار ( مدير الشؤون المالية ) الى ابنه  
ابراهيم ، وتكليفه في الوقت ذاته إرسال الجنود الى الحجاز لقمع الفتنة الوهاية ،  
وجددت تركيا هذا الطلب بل ذلك الأمر سنة ١٨٠٨ ثم ١٨٠٩ . وكان محمد علي  
في كل مرة يتعمل باشتغاله بمحاربة المماليك ، فلما انتهت من حملته عليهم بالوجه  
القبلي وعاد إلى القاهرة في سبتمبر سنة ١٨١٠ الفى رسولا من الاستانة يحمل إليه  
رسالة جديدة تقضى بتكليفه الإسراع في تجريد الجيش لمحاربة الوهابيين ، فلم يستطع  
وقد فرغ من محاربة المماليك أن يتمحل الأعذار القديمة في التأجيل والتسويق ،  
وبادر إلى الاستجابة ، وأبدى اهتماما كبيرا بتهيئة معدات الحرب في الحجاز ، ومن  
يومئذ اعتزم السير بالحملة حتى تصل الى غايتها وهي القضاء على الدولة الوهاية في  
شبه جزيرة العرب ، فهاهى اذن مصلحة مصر ومصلحة محمد علي باشا في الإقدام  
على تلك الحملة الشاقة ؟

ان محمد علي لم يكن ليغفل عما بينه وبين تركيا من سوء الظن المتبادل ، ولم

يعرب عن ذهنه ان حكومة الاستانة سمعت غير مرة لتقتلعه من عرش مصر، وان القوة هي التي ردت يدها وحالت ذون تحقيق مرادها، ولسكنه لبي أخيرا نداءها في الحملة على الحجاز لأنه رأى في خوضه غمار الحرب الوهاية تمسكينا لسلطته ورفعاً لشأنه وشأن مصر وإعلاء لمكانتها

ذلك أنه لما استفحلت الدعوة الوهاية أنفذت تركيا لإخادها حملات عدة رجعت بالخيبة والفشل، وتعطلت شعائر الحج، وامتنع ورود عشرات الآلاف من الحجاج من أنحاء الشرق، فزلزلت هبة تركيا وأثرت هذه الحالة فيها تأثيراً كبيراً، ووقع الشك في مقدرة السلطان العثماني على الاضطلاع بمهمة «حامي الحرمين الشريفين»، تلك التي كانت تجعل لتركيا المقام الممتاز بين الممالك الاسلامية

فرأى محمد علي انه إذا نجح حيث أحققت تركيا واستطاع بقوة جيشه أن يقضى على دولة الوهايين ويستخلص منهم الأراضي المقدسة، فلا جرم أن يتوعد مركزه وتسمو مكانته حيال تركيا، فلا تعود تفكر في عزله أو تغييره، ولا تستطيع أن تعامله معاملة سائر الولاة الذين كانت تتصرف فيهم بالعزل والنقل، بل يدعوها تطور الحوادث إلى أن تعامله معاملة النددلند، أو الخليف للحليف، ويتدرج مركزه من وال تابع إلى حاكم مستقل، أضف إلى ذلك انه إذا لم يلب دعوة السلطان ويتأهب لمحاربة الوهايين فان ذلك يكون مبرراً لعزله، ولم يكن مركزه بعد قد استقر حتى لا يحسب حساباً لاوامر الاستانة، بل كان عليه أن يتقي شرها حتى ترسخ دعائم ملكه

فالخرب الوهاية كانت اذن وسيلة لتوطيد مركز محمد علي، كما انها سبيل لرفع شأن مصر، وإعلاء مكانتها، وتمهيدا لتنبؤ المركز الذي نالته من بعد بين الدول وأغلب الظن أن فكرة الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر قد بدأت تملك عليه مشاعره من ذلك العهد، وأنه أخذ يعمل لها من طريق الفتوح والحرب، وليس ثمة حرب تعلى مكانة مصر وتنيلها مركزاً متمسكاً وتكسبها عطف الشرق والعالم الإسلامي مثل الحرب الحجازية، فقد كان الغرض منها إنقاذ الحرمين

الشريفين من تحكّم فرقة الوهابية ، وتجديد ما بين الأمم الإسلامية من الصلات  
الأدبية والاقتصادية ، وإعادة مناسك الحج وتأمين السبيل للحجاج الذين يأتون  
كل عام من مشارق الأرض ومغاربها

وإذا رجعت إلى الماضي وتذكرت ما فعله على بك الكبير رئيس المماليك عندما  
تولى حكم مصر سنة ١٧٦٣<sup>(١)</sup> تجد انه عندما سعى إلى الاستقلال والتخلص من  
الحكم العثماني وأعلن انفصاليه عن تركيا وعزل الوالي التركي كان أول ماوجه إليه  
عزمه أن جرد جيوشه على جزيرة العرب وفتح معظمها وبسط نفوذه على الحجاز ،  
فاستحق اللقب الذي أسبغته عليه شريف مكة وهو «سلطان مصر وخواقان البحرين»  
فحمد على قد خاض غمار الحرب الوهابية لالمصلحة تركيا ، بل تشبهاً لمركزه ،  
وإعلاء لشأن مصر ، وقد حققت الأيام صدق نظره ، إذ عظمت منزلته حيال  
تركيا خلال الحرب الوهابية وبعد انتهائها ، وعلت مكانة مصر الحربية والسياسية ،  
وامتدت سلطتها إلى جزيرة العرب ، وانبسطت رقعتها واتسعت حدودها ، فان  
الجيوش المصرية التي جردها محمد على لحرب الوهابية لم تنسحب منها بعد كسر  
الوهابيين ، بل ظلت تحتلها وأخذت الحكومة المصرية تبسط سلطانها في أصقاع  
الجزيرة وتنصب لها الحكام وقواد الجنود ، كما أن تركيا كافأت محمد على باسناد مشيخة  
الحرم المكي وولاية جدة إلى ابنته ابراهيم ، فاتسع فعلا نطاق مصر ، وضمت إليها  
بلاد الحجاز ونجد والعسير وجزءا من اليمن ثم وصلت سيادتها إلى شاطئ الخليج  
الفارسي ، أي أن نفوذ مصر قد امتد إلى معظم جزيرة العرب ، وظل كذلك إلى  
أن اضطربت الأحوال السياسية سنة ١٨٤٠ واضطرت مصر إلى سحب جنودها  
كما سيحكيه بيانه

وكان لمحمد على أغراض أخرى محلية أدركها من الحملة الوهابية ، أهمها التخلص من  
طوائف الجنود الأرنؤود والدلاة الذين ألقوا التمرد والشغب ، فقد رأيت كيف

(١) انظر الجزء الاول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٥٨

ازداد طغيانهم وتمردهم حتى صاروا خطرا على الأمن وعقبة دون استقرار سلطة الحكومة (١) ، فكانت الحملة الوهابية خير فرصة اتزها محمد علي ليقذف بتلك الطوائف المتمردة إلى الأصفاع النائية من جزيرة العرب ، لعله في غيبتهم يستطيع أن يدخل النظام الجديد في الجيش المصرى ، وقد سعى إلى ذلك فعلا خلال الحملة الوهابية وإن كانت ظروف الأحوال لم تمكنه من إنفاذ مشروعه فأرجأه إلى سنة ١٨٢٠ كما سنذكره في حينه

وكذلك كانت الحملة ذريعة لإطلاق يد الحكومة في فرض ماتشاء من الضرائب والاناوات من غير أن يجد الشعب مسوغا للاعتراض عليها ، فإن حجة محمد علي باشا فيما فرضه أثناء الحملة الوهابية من مختلف الضرائب والاناوات الفادحة أن الحكومة في حاجة إلى المال لإنفاقه على حرب مقدسة ترمى إلى استرداد الحرمين الشريفين وتأمين سبيل الحج ، فهي من هذه الناحية جهاد مفروض وكذلك الاتفاق عليها

تلك هي البواعث التي جعلت محمد علي يقدم على تلك الحرب الشاقة ، والآن فلنقل كلمة عن الوهابية ونشأتها ، ثم نتكلم بعد ذلك عن الحملة ووقائعها

### الدعوة الوهابية

ظهرت الدعوة الوهابية في جزيرة العرب حوالي منتصف القرن الثامن عشر على يد زعيمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولذلك نسبت إليه وسمى أتباعه وأنصاره الوهابيين

ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ (١٧٠٣ م) في (العميسنة) من بلاد نجد ، ونشأ بها وقرأ القرآن وحفظه ، وتلقى العلم عن أبيه الذي تولى القضاء في

بعض بلدان العارض<sup>(١)</sup> ، وحج إلى بيت الله الحرام وهو بعد في سن الشباب ، ثم قصد إلى المدينة المنورة وأقام بها نحو شهرين ، ثم عاد إلى بلده واشتغل بدراسة الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكان حادّ الفهم ، شديد الذكاء ، سريع الإدراك والحفظ قوى الرغبة في العلم ، رحل في طلب العلم فقصد إلى البصرة والحجاز مرارا ، وجاء ( الحسا ) وكانت آهلة بالمشايخ والعلماء ، وطالت اقامته بالبصرة يتلقى فيها العلم ويقرأ كثيرا من كتب الحديث والفقه واللغة ، فانسع في كل ذلك ، ثم عاد إلى أرضه وموطنه

كان محمد بن عبد الوهاب حنبلي المذهب ، يميل إلى الشدة في التعامل الدينية ، ولا يأخذ بالرخص ، فاستنكر كثيرا من البدع الفاشية بين المسلمين ورأى فيها شركا بالله ، فدعا إلى التوحيد وصنف فيه كتابا ، وحدثه نفسه أن ينقح الدين ويخلصه مما دخله من البدع ، فدعا قومه إلى نبذها وطرح كل ما لم يرد في القرآن والسنة من الأحكام والتعاليم ، والرجوع بالدين إلى فطرته وبساطته الأولى ، وقد أخذ دعوته من طريقة الإمام ابن تيمية ، فالمذهب الوهابي هو في أصوله المذهب الحنبلي ، والفكرة التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب في أصلها وجودها ففكرة صالحة . ولكنه غلا فيها وتشدد ، حتى صار أساسها تكفير كل من لم يأخذ أخذه ولا يتبع تعاليمه ، واعتباره مشركا بالله ، ومن هنا جاءت تسمية الوهابيين للبخالفين لهم ( مشركين ) ، ومثل هذه الدعوة قد تصادف نجاحا وتجد لها الأتباع في بلاد فطر أهلها على الخشونة والبداوة ، ولكنها تتعارض ومقتضيات الحضارة وال عمران

فمن تعاليم الوهابية تحريم لبس الحرير وشرب الدخان والتبناك . وكذلك تحريم إقامة المزارات ونصب القباب على القبور واعتبارها مخالفة لإحكام الدين ثم الدعوة إلى هدمها ، وغير ذلك من التعاليم المنطوية على التشدد والغلو . على أن

(١) من أقاليم نجد

هذا الغلو لم يسيء إلى الدعوة الوهابية بمقدار ما أساء إليها اسراف أنصارها في القسوة وارتكابهم الفظائع مع مخالفيهم في المذهب والعقيدة

دعا محمد بن عبد الوهاب قومه إلى الأخذ بتعاليمه ، فنالت دعوته نجاحا بين أهل نجد ، وأخذ يكسب الأعداء والأخصاء خلال عدة من السنوات دون أن تأبه له الحكومة العثمانية ، ولكن حدث يوما أن قدمت إليه امرأة متهمة بالزنى ، وثبتت عليها التهمة ، فأمر برجمها فقتلت على الفور ، ولم تكن هذه العقوبة بما تسيغه النفوس ، فأحدثت استياء شديدا وانتهى نبؤها إلى حاكم الحسا التي تمتد سلطته إلى العيينة ، فأرسل يتهدد الشيخ بالقتل إذا لم يرجع عن طريقته ، ولما علم بذلك أنصاره أقبلوا يعرضون عليه أن ينزل بينهم ويكون في حماهم ، فرحل إلى مدينة ( الدرعية ) إذ كان أميرها ( محمد بن سعود ) ، فأعجب الأمير بدعوته واعتنقها ، وأوى إليه محمد بن عبد الوهاب

كانت ( الدرعية ) من أكبر بلاد نجد ، فرأى فيها محمد بن عبد الوهاب خير مثابة لنشر دعوته ، وأخذت من ثم تستفيض بين القبائل

وأعلن الأمير محمد بن سعود مناصرته للتعاليم الوهابية ، وتعاهد والرعي على التعاون في نشر الدعوة على أن يؤيد سيادة الأمير بين العرب ( سنة ١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م ) ، ومن يومئذ اتخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ( الدرعية ) مقرا له ، وأخذ يبت منها دعوته وكان يأتي إليه فيها أتباعه ومناصروه يتلقون عنه ، وأخذ هو كذلك يوفد الرسل إلى البلاد لنشر الدعوة إلى التوحيد ، وأيد الأمير محمد بن سعود هذه الدعوة بحد السيف ، فدعا القبائل والبلاد المجاورة إلى الأخذ بها أو يقاتلهم ، فلم تمض عدة من السنوات حتى عمّت الدعوة معظم بلاد نجد ، وحارب الأمير قبائل عدة كانت تناوى الوهابية إلى أن توفي سنة ١٧٦٥

فخلفه في تلك السنة ابنه الأمير ( عبدالعزيز بن سعود ) ، وكان من أشد أنصار الدعوة ، فأصابت في عهده نموا وانتشارا ، وامتد نفوذه السياسي إلى معظم بلاد نجد وتجاوزها إلى بعض أنحاء الحجاز وأطراف العراق ، وتوفي محمد

ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩٢ م) بعد أن قويت دعوته واستفاضت بين القبائل

وقد حاول شريف مكة ( الشريف غالب بن مساعد ) أن يصد دعوة الوهابيين ونفوذهم بقوة السيف والقتال ، وزحف رجاله على نجد ولكنه انهزم أمام قوات عبد العزيز وعاد إلى الحجاز

وظلت الدعوة بعد وفاة زعيمها ومؤسسها تنمو ونضطرر بفضل تأييد عبد العزيز لها ، وتنكليه بالقبائل التي لا تدين بها ، فامتد نفوذ الوهابيين إلى ولاية البصرة ، وزحفوا على ( كربلاء ) ماثبة الشيعة واستولوا عليها ( سنة ١٨٠١ ) ، وأمعنوا في أهلها قتلا ، ونهبوا المدينة ، وهدموا مسجد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وأخذوا مافي قبته من النفائس والجواهر

ضح المسلمون في سائر الأقطار وخاصة الشيعية من غزوة ( كربلاء ) وما ارتكبه الوهابيون فيها من الفظائع ، فجاء الدرعية شيعي متنكر واغتال الأمير عبد العزيز وهو قائم يصلي العصر في جامع الدرعية ( سنة ١٨٠٣ )

فخلفه ابنه ( سعود ) في الامارة ، واستمر الوهابيون في قوة ومنعة ، ولم يستطع الولاة الترك الغلبة عليهم لاني عهد عبد العزيز ولا في عهد سعود ، فإن سليمان باشا والى العراق جرد حملة على ( الحسا ) لمحاربة الوهابيين فمادت الحملة مدحورة

وصل ( سعود بن عبد العزيز ) في فتوحاته إلى حدود مسقط ، وامتد نفوذه إلى شواطئ الخليج الفارسي ، واعتزم فتح الحجاز ، فجرد جيوشه على الشريف غالب ، وزحف الوهابيون على ( الطائف ) التي تعد مفتاح مكة فاحتلوها ( سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠٢ م ) ، ثم دخل سعود مكة ظافراً بعد أن جلا عنها الشريف غالب وجنوده إلى جدة ( محرم سنة ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م )

وكتب ( سعود ) إلى السلطان سليم الثالث سلطان تركيا ينبئه بهذا الفتح ويخبره أنه قد هدم القباب التي فوق القبور ، ويطلب إليه منع مجيء المحمل من



دمشق أو القاهرة « فإن ذلك ليس من الدين في شيء »

وفي هذه الرسالة ، وإخراجه من كان بمسكة من الترك ، إعلان بتقلص ظل السلطنة العثمانية عن مكة

واستولى الوهابيون على ( المدينة ) بعد فتح مكة بسنتين ، ونهبوا نفائس الحرم النبوي وما فيه من الجواهر ، وكانت قيمتها لا تقدر بمال ، ذكر الجبرتي ما ذاع عن قيمتها فنقل انها ملأت أربع صحاحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيم القدر ، من ذلك أربعة شمعدانات من الزبرجد وبدل الشمعة قطعة ماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام ، ونحو مائة سيف قراباتها ملبسة بالذهب الخاص المطعم بالماس والياقوت ، ونصاها من الزبرجد والبشم ، وسلاحها من الحديد الموصوف وعليها دمغات بإسم الملوك والخلفاء السالفين ،

امتدت دعوة الوهابيين إلى ( عسير ) و ( اليمن ) واتجهت أنظارهم إلى الشام ، فزحفوا عليها ووصلوا في زحفهم إلى حدود فلطين . ولكن دعوتهم لم تلاق في سورية تأييداً لما ارتكبوه من القسوة والفظائع ومنعهم المحمل الذي يصحبه الحجاج من دخول مكة ، وقد خرج عبد الله باشا العظم والى الشام بالمحمل فنعه الوهابيون من التقدم وقتلوا جنوده ونهبوا الحجاج

تعطلت مراسم الحج السنوية واضطربت تركيا بإزاء امتداد دعوة الوهابيين واستيلائهم على الحرمين الشريفين ومنعهم الحجاج الذين لا يتبعون تعاليمهم من الحج وانتصارهم على الولاة في العراق والشام ، فاستنجدت بمحمد علي باشا وطلبت إليه محاربتهم ، وكان نفوذهم في ذلك الحين قد بلغ أقصى مداه ، ولم تجيء سنة ١٨١١ التي جهز فيها محمد علي جيشه لقتالهم حتى كان سلطانهم قد امتد من أقصى الجزيرة إلى أقصاها

#### معدات الحملة

اتخذ محمد علي جهة ( القبة ) القريبة من القاهرة معسكراً للحملة إلى أن يتم

تجهيزها ، وعقد لواها لتجلبه ( احمد طوسن باشا ) وكان في السابعة عشر من عمره ،  
ورتب له أبوه حفلة حافلة لإلباسه خلعة القيادة وانتقاله إلى معسكر الحملة ، ولما  
وقعت مذبحه المالميك بالقلعة في اليوم الذي كان محمدا لها ( أول مارس سنة ١٨١١ )  
أرجئت الحفلة إلى يوم ٣٠ مارس ، ففي اليوم المعهود تحرك موكبه من القلعة إلى  
معسكر الحملة بالقبة وأخذت الحفلة تجهيزها بالرجال والعتاد وقطعت في ذلك  
سنة أشهر ونيفا إلى أن صارت على أهبة الرحيل ، وبلغ عدد رجالها ٨٠٠٠ مقاتل  
منهم ستة آلاف من المشاة وألفان من الفرسان بينهم الكثير من البدو

وتولى إدارة مهماتها السيد محمد المحروقي كبير تجار مصر <sup>(١)</sup> ، وكان له في  
إعدادها وتجهيزها ورسم خططها شأن كبير ، قال الجبرتي في هذا الصدد لمناسبة  
رحيله إلى الحجاز : « وفيه - ١٢ رمضان سنة ١٢٢٦ ( ٣٠ سبتمبر سنة ١٨١١ )  
خرج السيد محمد المحروقي ليسافر صحبة الركب وخرج في موكب جليل لأنه هو  
المشار إليه في رئاسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخهم ،  
وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر ألا يفعل شيئا من الأشياء إلا  
بمشورته وإطلاعه ، ولا ينفذ أمرا إلا بعد مراجعته »

كان خط سير الحملة أن تطلع السفن بالجنود المشاة من نجر السويس إلى ( ينبع )  
ميناء المدينة المنورة ، أما الفرسان وعلى رأسهم طوسون باشا فيسيرون برأ من  
طريق برزخ السويس فالعقبة حتى يبلغوا ( ينبع ) فيلتقوا بالمشاة بها ومن هناك  
يزحف الجيش إلى وجهته <sup>(٢)</sup>

وقد استوجب نقل المشاة والمهمات بجزر إنشاء عمارة بحرية من السفن ، لأن  
مصر لم يكن لها إلى ذلك الحين أسطول في البحر الأحمر ( ولا في البحر الأبيض )

---

(١) هو ابن السيد احمد المحروقي الذي أوردنا ترجمته في الجزء الثاني من « تاريخ

الحركة القومية » ص ٣٠٥

(٢) نجد خط سير الحملة برا مرسوما على الخريطة الملحقه بهذا الفصل

فاعتزم محمد على إنشاء أسطول لنقل الحملة ، وأبدى في سبيل ذلك من عذو الهمة ماجعله مضرب الأمثال في قوة الإرادة ومضاء العزيمة ، ذلك أن كل المهمات والأخشاب والمواد اللازمة لإنشاء الأسطول كانت تنقصه ، فجلب الأخشاب من أشجار مصر ، واستكملها من الخارج وخاصة من الأناضول ، وبادر إلى إنشاء السفن في « ترسانة » بولاق ، وجمع لهذا الغرض كل من استطاع جمعهم من صناعات المراكب ، وتولى الإشراف بنفسه على العمل ، فأخذ الصناع يقطعون الأخشاب ويفصلونها قطعاً ويضعون على كل قطعة رقماً خاصاً بها ، ثم تنقل على ظهور الجمال إلى السويس لتركب هناك ، ويقال إن عدد الإبل التي استخدمت لهذا الغرض بلغ ثمانية عشر ألفاً ، ولم تمض عشرة أشهر حتى أنشئ بالسويس ثمانية عشر مركباً كبيراً تسع أكثر ما أعد للحملة من الجنود والمؤن والذخائر والمهمات

وباشر محمد على ترحيل الحملة ومهماتهما من السويس ، فأقلعت بها السفن يوم ٣ سبتمبر سنة ١٨١١ قاصدة بنبع ، وعاد هو إلى القاهرة ، ثم ارتحل طوسون باشا من بركة الحاج يوم ٦ أكتوبر يقود حملة الفرسان يتبعها عدد كبير من الإبل ، تحمل ماتحمل من المهمات والمؤونة والذخائر

وكان يصحب الحملة طائفة من الصناع من كل حرفة ، وصحبها السيد محمد المحروقي مدير المهمات كما قدمنا ، ومضى معها أربعة من العلماء من أئمة المذاهب الأربعة ، وهم السيد أحمد الطحطازي الحنفي ، والشيخ محمد المهدي الشافعي ، والشيخ الحانكي المالكي ، والشيخ المقدسي الحنبلي ، وكان مقرراً سفر السيد حسن كريت نقيب أشرف رشيد ( الذي كان له شأن في مقاومة الحملة الإنجليزية سنة ١٨٠٧ ) ، والشيخ علي خفاجي من علماء دمياط ، ولما كنهما اعتذرا عن مصاحبة الحملة فأعفيا من السفر

### وقائع الحملة

قلنا أن الحرب التي خاضت مصر غمارها في صحارى جزيرة العرب وجبالها

من أشق الحروب وأصعبها ، لأن الجيش المصرى واجه قوة الوهاية فى أوجها ، وعلى رأسهم أمير شديد المراس قرى الشكيمة بعيد النظر وهو الأمير ( سعود بن عبد العزيز ) الملقب بسعود الكبير ، يمتاز موقفه بأنه يحارب حرباً دفاعية ، فى بلاده ومفاوزه ، وبين معاقله ورجاله ، على أن الجيش المصرى قد وجد معاضدة من سكان الثغور الحجازية كجدة وينبع ، لأن انقطاع طريق الحج ألحق بهم ضرراً كبيراً ، إذ كانت أرزاقهم تأتيهم من الحجاج ، فكانوا ناقلين على الوهايين ودعوتهم ، وكذلك أشرف مكة ، وخاصة الشريف غالب ، فإن نفوذ الوهايين قد محق سلطته وإن كانوا قد سُمحوا له بالإقامة فى مكة ، وفضلاً عن ذلك فإن محمد على ونجليه طوسون وإبراهيم استطاعوا أن يستميلوا إليهم بعض رؤساء القبائل من أنصار الأمير سعود بالعطاء والوعود ، فكانت هذه الوسائل من العوامل التى أيدت مركز الجيش المصرى فى الحملة على الحجاز

### احتلال ينبع

وصلت الحملة بطريق البحر إلى ميناء ( ينبع ) فاحتلتها دون مقاومة تذكر ، ولم يكن بها سوى حامية من ثلاثمائة من الوهايين فر قائلهم وبعض رجاله ووقع الباقون قتلى أو أسرى

### احتلال بدر

ثم جاء طوسون باشا بطريق البر يتقدم فرقة الفرسان ، فلما وصلت الفرقة ( أكتوبر سنة ١٨١١ ) وتلاقت وحدات الجيش أمر طوسون بالزحف على ( المدينة ) فتحرك الجيش من ينبع وسار إلى ( بدر ) وكان الوهايون تمتنعين بها ، فاشتبك بهم فى معركة دامت ساعتين انتهت باحتلال ( بدر ) وارتد الوهايون إلى

وادي ( الصفراء ) (١) حيث تحصنوا بها وأقاموا الاستحكامات للاقامة  
الجيش المصري

### هزيمة الصفراء

زحف طوسون على وادي ( الصفراء ) في قوة تبلغ ثمانية آلاف من الجنود  
وهاجمها الجند حتى صاروا إلى طرق ضيقة يشرف عليها الوهايون من عل ،  
فانهالت القذائف على الجنود وفتكت بهم فتكا ذريعا ، فانقلبت الصفوف الاولى  
منهزمة ، ووقع الذعر فيما وراءها ، فاحتل نظام الجيش وكانت عليه الهزيمة ،  
وتشتت الجند تاركين مضاربهم وأناقلمهم ومدافعهم وتراجعوا يرمى بهم الرعب  
قاصدين الساحل

كانت هذه الواقعة هزيمة كبرى فقد فيها الجيش المصري نحو ستائة قتيل ،  
وفقد معظم مدافعه وذخيرته وأرزاقه ، ورجعت قلوبه بغير نظام إلى ينبع . وقتل  
منهم عدة آلاف في الطريق بحيث لم يبق من الجيش بعد أن رجع إلى ينبع غير  
ثلاثة آلاف ، ولو أن الوهايين الذين دافعوا عن وادي ( الصفراء ) كانوا أكثر  
عددا وأكثر دراية بفنون القتال لتعقبوا جيش طوسون باشا بعد الهزيمة وكان  
من المحقق ألا ينجو منه أحد

بعث طوسون بنبا هذه الهزيمة إلى أبيه ، ونسبها إلى اختلاف قواده وتقصيرهم  
وكان أكثر الجنود والضباط اساريين من الأرنؤود ، ثم طلب طوسون المدد كي  
يسد الفراغ الذي وقع في صفوف الجيش ، فأنثر محمد علي باشا هذه الهزيمة تأثرا  
شديدا ، وأرسل يستدعي رؤساء الجيش المسئولين عنها ، وعاد بعضهم إلى مصر

---

(١) تجد بالخريطة الملاحقة بهذا الفصل مواقع البلاد التي يرد ذكرها في

من تلقاء أنفسهم ، فغضب عليهم محمد علي وأقصاهم عن مراكرهم ونفاهم من مصر ، وكان منهم ( صالح قوش ) رئيس الجند الأرنؤود الذي كان له شأن خطير في مذبحه المالك بالقلعة

لم تضعع هذه الهزيمة من عزيمه محمد علي باشا ، بل قابلها بالجلد والثبات ، وأخذ يعد العدة لإرسال حملة جديدة إلى الحجاز ، قال الجبرتي في هذا الصدد :  
« ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا واستمر على همته في تجهيز عساكر أخرى وبرزوا إلى خارج البلدة ،

واضطر محمد علي باشا للقيام بنفقات الحملة إلى فرض ضرائب جديدة ، فاستوفى الضريبة من باقي الأطيان الموقوفة ، وطلب اتاوة من القرى ، وكان الفلاحون بمنزلة من الضنك والفاقة ، فأذن لهم أن يؤدوها غلالا ، وأمكته أن يمؤن منها الجيش المصري في الحجاز

### موقف طوسون باشا

بقى الوهايون بعد انتصارهم في واقعة ( الصفراء ) في معاقلم لا يفكرون في مهاجمة طوسون باشا ينبع ، واكتفوا بتحسين المدينة ، وانتهز طوسون هذه الغفلة وأخذ في فترة انتظار المدد من مصر يستميل القبائل الضاربة بين ينبع والمدينة بالمال والهدايا ، وقد رأى أن هذه الوسيلة أعود عليه بالنفع من الانتصار على الوهايين في معركة بل معارك ، كما أنها هي الوسيلة الفعالة في التغلب عليهم ، وقد نجح فعلا في خطته هذه ، وأرسل له محمد علي باشا صناديق الأموال والكساوى لتفريقها على رجال القبائل ، فهدت له السبيل للاستيلاء على المدينة ومكة

### احتلال الصفراء

تلقى طوسون باشا المدد ، فتحرك قاصدا المدينة ، وانضم إليه كثير من القبائل من عرب ( جهينة ) ( وحرب ) ، واحتل الصفراء بدون مقاومة بفضل مؤازرة العرب المواليين له

قال الجبرتي في هذا الصدد : « في ٢٤ رمضان سنة ٢٢٧ ( أول أكتوبر سنة ١٨١٢ ) وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك <sup>(١)</sup> على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتدير شريف مكة ( الشريف غالب ) ، ولم يجدوا بها أحدا من الوهابيين ، فعند ما وصلت هذه البشائر ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من القلعة ،

### فتح ( المدينة )

تابع الجيش سيره حتى بلغ أسوار المدينة ، وكانت الرحلة إليها شاقة مضنية تكبد فيها الجنود المتعب والأهوال لوعورة الطرق وبعد المسافات واشتداد الحر ، فأمر الجنود أن يسيروا في الليل ويستريحوا في النهار ، فقطع الجيش في رحلته ثلاث ليال حتى بلغ المدينة ، فضرب عليها الحصار ، وتفادى إطلاق القنابل عليها خشية أن تصيب الحرم النبوي الشريف ، فاستعاض عن الضرب بوضع لغم تحت سور المدينة استعدادا لنسفه ، وأنذر السكان بأن يلزموا بيوتهم حتى لا يصيبهم مكروه ، وفي الموعد المضروب أشعل اللغم فنسف جزءا كبيرا من السور وفتح ثغرة دخل منها الجنود ، فقتلوا من أدركوهم من الحامية الوهابية واحتلوا المدينة ،

(١) كذا يسمى الجيش المصرى ، وكان الجبرتي يعطف كثيرا على الوهابيين ويدافع عنهم وينتقد الحملة عليهم

فكان اجتلالها أول انتصار كبير للجيش المصرى فى حرب الحجاز ، وأرسل  
طوسون مفاتيح المدينة إلى أبيه فى مصر وبشره بهذا النصر المبين ، فأذيع الخبر  
فى العاصمة وأطلقت المدافع من القلعة ابتهاجاً بهذه البشرى

قال الجبرتى فى هذا الصدد : ، فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٢٧ يوم الأضحى  
وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة  
المنورة ، ونزول المتولى بها على حكمهم ، وأن القاصد الذى أتت بشائره وصل إلى  
السويس وصحبته مفاتيح المدينة ، فحصل للباشا ( محمد على ) بذلك سرور عظيم ،  
وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد ،

وتقدم المصريون فاحتلوا ( الحناكية ) شمالى المدينة

فتح مكة ( يناير سنة ١٨١٣ )

عاد طوسون باشا إلى ينبع وأقلع منها إلى جدة فاحتلها ، واستقبله بها  
الشريف غالب وسار منها إلى مكة فدخلها دخول الظافر ، وكان لمعاونة الشريف  
غالب وقبائل عرب الحجاز التى استمالها بالمال أثر كبير فى استيلاء الجيش  
المصرى عليها

وقد وردت الأنباء إلى مصر بفتح مكة فزينت المدينة خمسة أيام متواليات  
ابتهاجاً بهذا الفتح المبين

قال الجبرتى : ، وفى يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٢٢٨ ( ٩ فبراير سنة ١٨١٣ )  
وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب ،  
فضربوا مدافع كثيرة ، ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق ،  
فزينت خمسة أيام أولها الأربعاء وآخرها الأحد ،



## احتلال الطائف

وبعد أن وطد طوسون باشا مركزه في مكة تقدم إلى ( الطائف ) فاحتلها في

٢٩ يناير سنة ١٨١٣

## تخرج موقف الجيش المصري

رأيت مما تقدم مبلغ ماناله الجيش المصري من الانتصارات المتوالية ، واحتلال المدينة ومكة وأهم مواقع الحجاز ، على أن هاتيك الانتصارات لم تلبث أن أعقبها تخرج مركز الجيش ، ذلك أن الأمير ( سعود بن عبد العزيز ) ظل منذ نزول الجيش المصري إلى ينبع يرقب تطور القتال دون أن يخاطر فيه ، وترك لبعض أنصاره الاشتباك مع الجيش المصري في المعارك المتقدمة ، وأخذ هو في خلال الفترة يدرس أساليب الجيش المصري في الحرب ، ويتعرف مبلغ قوته ، ويرسم الخطة ، ويستعد لملاقاته في الوقت المناسب ، فلما بلغه نبأ احتلال ( الطائف ) أمر قواته بالزحف ، وكانت مؤلفة من جيشين ، الأول يقوده هو بنفسه ، والثاني بقيادة ابنه ( فيصل ) ، فزحف الجيشان بجموعهما على مكة والمدينة وأخذ الوهابيون يقطعون المواصلات بين المدينتين

أدرك طوسون حرج موقفه ، فبادر إلى ملاقاته ، وشرع في مهاجمة المراكز

التي احتشد فيها الوهابيون

## هزيمة الجيش المصري في ( ترَبَة )

اتخذ فيصل مدينة ( ترَبَة ) معسكرًا له وأحاطها بالخنادق ، فأنفذ طوسون

شاهًا بقيادة مصطفى بك أحد قواده لمهاجمته فيها ، فسار إليها مصطفى بك بجنوده

وضربوا عليها الحصار ، لكن الوهابيين انقضوا عليهم ، وكانوا بقيادة سيدة من نبلائهم تدعى غالية . أثارت فيهم الحمية والحماة فأعملوا في الجيش المصرى قتلا إلى أن وقعت عليه الهزيمة ، وارتد بغير نظام إلى الطائف بعد أن ترك مدافعه وذخيرته

### إخلاء الحناكية

وفي الوقت نفسه أخذ الأمير ( سعود بن عبد العزيز ) في قوة من عشرين ألفا يهاجم الحناكية التي كانت ترابط بها حامية من الجيش المصرى بقيادة عثمان كاشف ، وهى تبعد عن المدينة بنحو عشرين فرسخا ، فدافعت عنها الحامية دفاعا شديدا ، لكننها اضطرت للنسليم أمام جموع الوهابية ، فاحتل الوهابيون ( الحناكية ) وساروا قاصدين الزحف على المدينة

تغير الموقف الحربى ، ورجحت كفة الوهابين ، فإن هزيمة الجيش المصرى فى ( تربة ) وإخلاء ( الحناكية ) قد أضعف مركز طوسون باشا ، وأخذ الوهابيون يهاجمون المخافر الامامية للجيش المصرى بدون انقطاع أو هوادة .

### خسائر الجيش

وزاد فى حرج الموقف انتشار الأمراض فى الجيش المصرى ، وما أصاب الجنود من الإعياء لشدة القيظ وقلة المؤونة والماء ، ورداءة الطقس والمتاعب الهائلة التى أنزلتها بهم المعارك ، وقطع المراحل الشاسعة فى صحراء الحجاز ، ولم يكن فى الجيش أطباء لمعالجة المرضى وتدير الوسائل الصحية ، ففتكت بهم الأمراض فتكا ذريعا ، وقد أصاب الجيش من المعارك والأمراض خسائر فادحة ، بلغت من بدء القتال نحو ثمانية آلاف قتيل ، وفقد الجيش من مؤناته نحو خمسة وعشرين

ألف رأس من الماشية ، وتكلفت الحملة إلى ذلك الحين ٣٥٠٠٠ (١) كيس أي ١٧٥٠٠٠٠ جنيه ، وهذا الإحصاء يدل على ما تكبدته مصر من الضحايا والخسائر الجسيمة في الدور الأول وحده من الحرب الحجازية  
رأى طوسون باشا بعد تلك الخسائر أن يلزم خطة الدفاع ، واعتصم هو وجيشه بمكة والمدينة وجدة وينبع ، وأرسل إلى أبيه بطلب المدد

### سفر محمد علي إلى الحجاز ( أغسطس سنة ١٨١٣ )

تلقى محمد علي باشا هذه الأنباء بالجلد والثبات ، وأجمع أن يسير بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتال إلى نهايته والقضاء على الوهابيين وبسط نفوذ مصر في جزيرة العرب ، فحشد ما وسعه أن يحشد من الجنود في مصر ، وفرض اتاوات على التجار ، وجرّد حملة جديدة ، وسار إلى الحجاز في شهر أغسطس ١٨١٣ ليقود الجيش المصري في تلك الحرب الآكلة

أبحر محمد علي من السويس ونزل بجدة ، فشدد وصوله من عزائم الجيش لما كان يبعثه في النفوس من القوة المعنوية ، وأخذ أثناء مقامه في جدة يدرس الحالة عن كثب ليضع الخطة التي تضمن له الفوز والغلبة ، ثم مضى قاصدا مكة وأدى مناسك الحج ، ومن هنا جاء لقبه ( الحاج محمد علي )

### اعتقال الشريف غالب

وكان أول ما اتخذته اعتقاله الشريف غالب ، ذلك انه ارتاب في إخلاصه ، ورأى منه تراخيا في معاونة الجيش المصري مما يحتمل أن يكون سببه رغبته في إطالة الحرب ليخدم مصالحه الذاتية ، ووقر في نفسه أن مسلكه كان من أسباب

(١) إحصاء فولابل في كتابه « مصر الحديثة » ، ج ٢ ص ٥٨

استفحال الدعوة الوهابية وأن بقاءه في مركزه قد يحول دون فوز الحملة وسرعة وصولها إلى غايتها . فأمر بالقبض عليه واعتقله في نوفمبر سنة ١٨١٢ وبعث به إلى القاهرة (١) وولى بدله ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور

وولد محمد علي مركزه في مكة ليجعلها بمنجاة من هجمات الوهابيين ، ثم اعتزم السير لمهاجرتهم في معانقهم فعهد إلى ابنه طوسون باشا أن يتخذ ( الطائف ) قاعدة للزحف ، فسار ومعه جيش من خمسة آلاف من المشاة والفرسان وستة من المدافع ، وفيما هو يعد هذه المعدات كان سعود يرقب حركات خصمه ، وامتنعت قواته في ( بيشه ) و( رانية ) و( تربة ) ، (٢) فسار طوسون باشا من الطائف قاصداً الاستيلاء على ( تربة ) وضرب عليها الحصار ولسكنه لم ينل منها منالاً وكانت الحملة عليها شاقة منهكة للجنود مضنية لهم فساعت حالتهم ونفقات مؤوتهم

فأكره طوسون علي رفع الحصار عن تربة والارتداد بجنوده . فتعقبهم الوهابيون ورجع الجيش أدراجه إلى الطائف بعد أن أحرق خيامه تفسادياً من وقوعها في يد الأعداء

### احتلال قنفذه ثم اخلاؤها

وقدر أي محمد علي أن أهل العسير يناصرون الوهابيين ويناوشون وحدات جيشه في الحجاز ، فأنفذ حملة إلى ميناء ( قنفذه ) فاحتلتها وأمر بتحصينها توطئة للزحف على داخل البلاد . وأبقى بها حامية من ألف ومائتي جندي ، ولسكن هذه

(١) وصل الشريف غالب إلى القاهرة بعد أن صادر محمد علي أمواله ، ثم نقل إلى

سلانيك حيث توفي بها سنة ١٨١٦

(٢) بالقسم الجنوبي من نجد ، بالقرب من حدود الحجاز ، وتقع تربة على بعد

ثمانين ميلاً من الطائف ، وبيشة على بعد مائة ميل من تربة

الحامية لم تلبث قليلا حتى اضطرت إلى اخلائها ، ذلك أن قومندان الحامية فانه ان يحتل عين الماء التي تستقي منها البلدة فاحتلها العربان وقطعوا الماء عن الحامية ، فأنفذ اليها القومندان كتيبة من الجنود لاستخلاصها ولكن العرب هاجوهم بقيادة زعيمهم ( طامى بن شعيب ) وردوهم على أعقابهم فوقع الرعب فى جنود الحامية ولم ير قائدهم وسيلة لانقاذهم من الظمأ سوى اخلاء المدينة والرجوع الى جدة فنجا من الحامية من استطاع النجاة بركوب السفن وقتل الوهايون عددا كبيرا ممن أدركوهم قبل أن يتمكنوا من الفرار ، وبذلك فشلت الحملة على قنفذه

#### طلب محمد على المدد من مصر

وبدئى أن هزيمة طوسون فى ( ترّبة ) ، واخلاء قنفذه ، ومناوشات الوهايين المستمرة لوححدات الجيش المصرى ، كان من شأن ذلك كله أن يبعث اليأس والقنوط ، لسكن محمد على باشا كان ذا عزيمة حديدية لا تنثنى أمام الصعاب مهما عظمت ، وهذه العزيمة من أخص صفاته ، وهى من عوامل عظمته ومجده ، فقابل هذه الهزائم بالثبات وعلو الهمة ، وكان قد أرسل الى كتخدبا بك فى مصر ( محمد لاظ أوغلى ) يطلب اليه أن يوافيه بالمدد والمؤن ، فأمدّه بسبعة آلاف من الجنود وسبعة آلاف كيس ، وتحملت مصر فى إعداد هذه الحملة الجديدة تضحيات جسيمة ، فان السكتخدبا بك زولا على أمر محمد على استولى على أملاك الملتزمين ( فبراير سنة ١٨١٤ ) فتذمر الناس من هذا الإرهاق وقصدوا إلى المشايخ ليجولوا دون إنفاذه ، فذهبت شكواهم عبثا ، وجمع السكتخدبا سبعة آلاف كيس من المصادر وفرض الاتاوات واستطاع أن يجند السبعة الآلاف مقاتل من مختلف طبقات المجتمع بطريقة التطوع للخدمة العسكرية ، وقد تأخذك الدهشة اذ تسمع فى هذا المقام عبارة التطوع ، لأن المفهوم أن مثل هذه الحملات البعيدة كان يحشد لها الناس بالقوة ، ولكن ما ذكرناه مستفاد من رواية الجبرقى فقد أشار إلى هذه

الطريقة في حوادث ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ ( مارس سنة ١٨١٤ ) بقوله : د وفي ليلة الاثنين سادسه حضر ميمش اغا من ناحية الحجاز مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور إلى الحجاز ، وكان قبل ذلك بأيام أرسل يطلب سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس ، فشرع كبتخدابك في استكتاب أشخاص من اخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحى القرى ، فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه فيكتبونه ، وإن كان وجيها جعله الكبتخدا أميراً على مائة أو مائتين ،

### وفاة سعود بن عبد العزيز

وصل هذا المدد الى جدة ، وفيما كان محمد على باشا يتأهب للزحف ساعدته العناية الإلهية بوفاة خصمه الشديد البأس الأمير ( سعود بن عبد العزيز ) ، توفى بالدرعية فى ابريل سنة ١٨١٤

خلفه فى الامارة نجله ( عبدالله بن سعود ) ، ولم يكن على صفات أبيه من الشجاعة والإقدام وبعد النظر وعلو الهمة ، بل كان على العكس شديد التردد ضعيف الفؤاد لين العريكة لا يميل إلى الحرب والقتال ، فكانت وفاة سعود بن عبد العزيز من الأسباب التى ساقطها الأقدار لنجاح محمد على ، وهكذا كان للحظ أثر كبير فى حياة ذلك الرجل العظيم

### حصار الوهايين الطائف

أنفذ محمد على عابدين بك أحد قواد جيشه لاحتلال وادى زهران الذى يفصل اليمن عن الحجاز ، فزحف ولم يبق بادية الأمر كبير مقاومة ، ثم ما لبث الوهايون أن عادوا مهاجمون الجيش المصرى حتى اضطر الى الانسحاب ونالته الخسائر الفادحة ، فكان انسحابه هزيمة للبصريين ، وظفروا للوهايين ، وتعقبه

هؤلاء حتى ( الطائف ) واقبلوا بجموعهم الحاشدة وضربوا عليها الحصار وكان فيها طوسون باشا  
بلغ محمد على هذا النبأ وهو في جدة فأخذ يعمل فكرة لإنقاذ ابنه من الحصار  
فاهتدى الى حيلة حربية تدل على شدة ذكائه وحضور ذهنه ، ذلك انه ركب في  
عشرين من رجاله وسار بهم نحو الطائف ، ووقف على جبل يشرف عليها ، فشاهد  
مركزها وهي محصورة ، وفيما هو كذلك جاءه رجاله بفارس عربي من الوهابيين  
وقع أسيرا في أيديهم ، فلما رآه محمد على أخذ يسأله عن قوات الوهابيين فيجيبه  
على ما يسأل ، ثم عرض عليه أن يطلق سراحه على أن يحمل رسالة الى ابنه طوسون  
في الطائف ، وأخذ عليه موثقا أن يؤدي الرسالة ، فوفى الرجل بعهده ، وحمل  
الرسالة إلى طوسون باشا فاذا هي تحوى الكلمة الآتية : « انى قادم اليك فاحضر  
والحق بنا فوق الجبل ،

### رفع الحصار عن الطائف

وقد اطلع الوهابيون على خيومي الرسالة ، فتوهموا أن جيشا عرمرما قد أقبل  
لنجدة طوسون ، وانهم سيقعون حينئذ بين نارين ، والحقيقة أنها خدعة ابتكرها  
محمد على لإيهام الوهابيين أنه قادم في قوة كبيرة ، وقد كان لهذه الخدعة أثرها الفعال  
في سير القتال ، فان الوهابيين أجمعوا على الانسحاب ورفعوا الحصار عن الطائف

### التأهب لمعاودة القتال

عاد محمد على ونجله الى مكة ( يونيه سنة ١٨١٤ ) ومنها الى جدة وأخذ في تدريب  
السبعة الآلاف من الجنود الذين بعث بهم السكتخدا بك ، وبقي في جدة ثلاثة أشهر  
يعد العدة لاستئناف القتال ، وفيما هو يتأهب للزحف شبت الثورة في قبائل البدو  
الضارية بين ينبع والمدينة ، وسببها أن حاكم المدينة قتل شيخ قبيلة حرب ، فقامت

القبائل للأخذ بالثأر وقطعت السبل بين جدة ومكة وينبع والمدينة وكادت الثورة تستفحل لولا أن عاجلها محمد علي باشا بالحكمة فساو طوسون الى ينبع ومنها الى بدر حيث التقى برؤساء القبائل فتمعهد لهم بعقاب حاكم المدينة عقابا يتكافأ مع جريمته فهدأت بذلك حدة غضبيهم ، وساعده على تهدئتهم ما بذله لهم من المال فكان من نتائج ذلك أن تخلوا عن وادي الصفراء الذي يحتلونه

وفي خلال تلك الحوادث تلتقى طوسون باشا من المدينة نبأ وفاة حاكمها الذي شبت الثورة بين القبائل بسببه ، فأذاع طوسون هذا النبأ بين القبائل وأفهمهم أن أباه هو الذي أمر بقتله عقابا له على فعلته ، فهدأت القبائل وجنحت الى السلم وكفت عن قطع الطرق ، وكان موسم الحج قد أقبل فصار طريق الحج مأمونا ، وحج محمد علي للمرة الثانية وأقبل الحجاج من مصر ومن سائر الاقطار الاسلامية وأدوا الفريضة آمنين مطمئنين

### واقعة ( بسمل ) ( يناير سنة ١٨١٥ )

وبعد أن تمت مراسم الحج ، تجددت الحرب ، وأنفذ محمد علي جنوده الى ( الطائف ) تميدا للزحف ، وكان الوهايون قد جمعوا من المقاتلة نحو عشرين ألفا حشدوهم بقيادة فيصل بن سعود بين ( بسمل ) ( وتربه ) وكان لهم عدا ذلك احتياطي من نحو عشرة آلاف مقاتل ، فزحف محمد علي في نحو أربعة آلاف مقاتل على ( بسمل ) الواقعة بين الطائف وتربه ، والتقى فيها بجيش الوهايين ( يناير سنة ١٨١٥ ) فدارت رحى القتال بين الفريقين واستمرت نار الحرب واستمرت المعركة من الفجر حتى المساء ، وانتهت بهزيمة الوهايين وقتل منهم نحو ستائة وتشنت الباقون ، وتعد واقعة ( بسمل ) من أكبر وقائع الحرب الوهاية بل من أهم المعارك في تاريخ مصر الحربى



### احتلال ( ترَبَه ) و ( ورَنيَه ) ثم ( بيشه )

تابع المصريون زحفهم بعد واقعة بسل فاحتلوا ( ترَبَه ) ثم احتلوا كذلك ( رنيه ) و ( بيشه ) ولقى الجيش خلال هذه الغزوة متاعب هائلة ولم يكن غذاء الجنود في الغالب سوى النمر ، وكان محمد علي يقاسمهم شطف العيش ليشجعهم على احتماله

### احتلال قنفذة

ثم رجع إلى الشاطئ واحتل ميناء ( قنفذة ) وأبقى فيها حامية مصرية وذهب منها إلى جدة ومنها إلى مكة تحف به أعلام الظفر

### احتلال الرُّس

وزحف طوسون من المدينة على القسم الشمالي من نجد متشجعاً بتلك الانتصارات، فبلغ في زحفه إلى الرُّس<sup>(١)</sup> إحدى مدن نجد المهمة فاحتلها ، ثم احتل ( الشَّيبِيَّة ) الواقعة على طريق الدرعية عاصمة الوهايين ، واستعد الجيشان فأخذ كل منهما يتأهب لمعركة فاصلة

### طلب الوهايين الصلح

على أن طوسون رأى من المغامرة أن يبدأ بالهجوم لأنه أدرك أنه أمام قوات

---

(١) تبعد عن المدينة نحو ٢٧٠ ميلاً شرقاً بشمال

تفوقه عدداً ، فتشاور وقواد جيشه واتفقوا رأياً على الانسحاب إلى المدينة ،  
ولسكنه لم يكذب يستقر رأيه على هذا العزم حتى أوفد إليه الأمير (عبد الله بن  
سعود) رسولا يعرض الصلح والطاعة ، فدهش طوسون لهذه المفاجأة على حين  
كان يشعر بأن مركز عدوه قوى متين ، لسكن ضعف (عبد الله بن سعود) وما  
جبل عليه من التردد كان من أهم البواعث التي مالت به إلى التسليم والخضوع  
فأجاب طوسون على طلب الصلح انه لا يستطيع أن يجيب الطلب إلا بعد  
عرض الأمر على والده ، وأنه يمنح الأمير الوهان هدية عشرين يوماً حتى يراجع  
والده ، فقبل عبد الله بن سعود ، وتهادن الفريقان ووقفت الحركات الحربية ،  
وبقي كل جيش مكانه ينتظر الهدنة أن تنتهي

### رجوع محمد علي إلى مصر

وفي غضون ذلك عاد محمد علي إلى مصر فجأة ؛ ذلك أنه تلقى من مصر أنباء  
شغلته وأهاجت وساوسه ، إذ علم منها ان ثمة مؤامرة دبرها (لطيف باشا) في  
غيبته كما سيحيى بيانه ، وبلغه كذلك أن حوادث خطيرة توشك أن تقع في  
أوروبا إذ الصراع بالغ أشده بين نابليون والدول المتألمة عليه ، وعلم من الأنباء  
الأخيرة أن نابليون بعد أن هزمه الحلفاء ونفوه إلى جزيرة (البا) قد أفلت من  
منفاه ورجع إلى فرنسا واسترد عرشه وسلطته ، فخشى محمد علي أن تكون عودة  
نابليون سبباً في تجدد الحرب والقتال في أوروبا واستهداف مصر لحملة جديدة  
إذ يفكر نابليون ثانية في غزوها ، ومع ان هذه الفكرة لم يهجمس بها نابليون بعد  
عودته من منفاه الا أن محمد علي كان شديد الحذر كثير الهواجس خوفاً على  
مركزه ، فأسرع بالرجعة إلى مصر لكي يتقى المفاجآت التي ليست في الحسبان وعاد من  
طريق (القصير) فقنا فالقاهرة ، وذكر الجبرتي نبأ عودته في حوادث رجب سنة  
١٢٣٠ ، فقال انه حضر إلى الجزيرة ليلة ١٥ رجب (٢٣ يونيو سنة ١٨١٥)

مؤامرة لطيف باشا

أمامؤامرة لطيف باشا فحكايتها كما يذكرها جمهور المؤرخين أنه كان من مماليك محمد على شاب اسمه ( لطيف أغا ) قرّبه إليه واختصه وجعله أمين خزانته ، فلما جاءت الأنباء باستيلاء الجيوش المصرية على ( المدينة ) واستخلاصها من أيدي الوهابيين أوفده محمد على إلى الاستانة ليزف البشرى إلى الديوان العالى ، فأنعمت الحكومة التركية على لطيف أغا برتبة الميرميران فصار ( لطيف باشا ) ، فدخله الزهو والخيلاء ، وزين له بعض رجال ( المالين ) أن يآتمر بسيدته ومنسوه الأمانى ووعدوه بالمساعدة على أن يخلفه فى ولاية مصر ، فقبل لطيف باشا هذه المهمة ، وخيل له زهوه وغروره أنها فكرة ناجحة ، وخاصة لأن محمد على عازم على التوجه إلى الحجاز فيكون غيابه خير فرصة لتنفيذ مهمته واعتلائه عرش مصر ، وعاد إلى القاهرة ونفسه مملوءة آمالا كبارا ، وبدا عليه فى مصر من الغطرسة والسكبرياء ماجعل الظنون تحوم حوله ، واستشف محمد على بثاقب نظره تغيرا فى أطواره وحركاته ، فارتاب فى أمره ، وما أكثر ما يستهدف الناس للشبهات والريب فى ذلك العصر ، وزاد فى ارتيابه أن كنتخدها ( محمد لاظ اوغلى ) المشهور بكرهيته لجنس المماليك نعم على لطيف باشا كبريائه وخيلاءه وهما ناله من المزايا والرتب ، فألقى فى روع محمد على انه يسرف فى بذل المال ويستكثر من الاتباع والمماليك فعسى أن يتخذهم جنندا ويحدث بهم حدثا ، فتزعزت ثقة محمد على فيه ، ولما مضى إلى الحجاز عهد إلى محمد لاظ اوغلى أن يرقب حركات لطيف باشا وأطلق له أن يتخذ ما يراه فى شأنه ، وكان السكتخدا معتزما بالتنكيل به ، فأخذ يؤلب عليه رؤساء الحكومة مثل حسن باشا ، وظاهر باشا ، وطبوز اوغلى ، ومحبوبك ومحمود بك الدويدار ، وكذلك أوغر عليه صدر اسماعيل باشا ابن محمد على ، وصمم على قتله بعد أن أخذ للأمر عدته

وفي اليوم الموعد باغته بدعوته إلى اجتماع يعقد في القلعة للنظر في بعض الشؤون ، وخيره بين أن يحضر أو يغادر الديار المصرية ، وكان لطيف يعلم ما وراء هذه الدعوة من المهالك ، فخار في أمره ، وبينما هو يفكر في حيلة ينجو بها أبصر فرأى بيته يحاصره نحو ألفين من الجنود جاموا ليقبضوا عليه وأخذوا يطلقون الرصاص على داره ، فعلم أن قد أحيط به ، وفكر في الفرار ، فاستتر في مخبأ بداره ومعه نساؤه ومملوك له حتى جن الليل ، فقتل هو إلى بيت خازن داره واختفى فيه

أما العسكر فاقترح جماعة منهم دار لطيف باشا وكشفوا خباياها ، وقشوها تفتيشا دقيقا ، فعثروا على النساء والمملوك ، ولم يجدوا ضالهم أي لطيف باشا ، ولما كان الغد أراد لطيف أن يغادر بيت خازن داره خشية أن تقع عليه عيون الرقباء لقربه من بيته ، فصعد إلى سطح البيت ، واعتزم أن يقفز من سطح إلى سطح ليلوذ بالهرب ، وبينما هو يقفز من سطح خازن داره أبصره أحد الجنود المراقبين له فصاح به لينبهه إليه الرقباء ، فرماه لطيف بأشبار صاصة جندلته ، ولسكنها أيقظت نظر الرقباء فتمتعبوه ، ولم تمض ساعات حتى ألقوا القبض عليه فسكبوه وساقوه إلى السكتخدا لمحاكمته

فبعد السكتخدا ديوانا من كبار رؤساء الحكومة واتفقوا على إعدامه ، وسبق لطيف باشا إلى ساحة الإعدام تحت سلام سراى القاعة وقطع رأسه

ويلوح لنا أن ما ذكره جمهور المؤرخين من أن قتل لطيف باشا يرجع إلى ممالأته لحكومة التركية على انتزاع ولاية مصر من محمد علي أمر مشكوك فيه ، ولا يسهل تصديقه ، لأن الوقت لم يكن مناسباً لخلع محمد علي وهو منصرف إلى توجيه كل قواته لمحاربة الوهابيين ، وحكومة الاستانة لم تكن في ذلك الحين تخشى بأس محمد علي بل كانت في حاجة إليه لتفرغ من الدولة الوهابية التي تنازعها السلطة والسيادة وتهدها بإنشاء دولة عربية قد تنزع منها الخلافة ، فمحمد علي كان وقتئذ

مشمولاً برضا الحكومة التركية ، ولا يتفق منطق الحوادث مع تأمرها عليه في هذه الظروف

وأغلب الظن أن محمد علي وحاشيته قد ساءم الانعام على لطيف باشا بالباشوية إذ لم يسبق للسلطان أن أنعم بها على أحد بعد تولية محمد علي غير أبنائه ، وأخذت بطانة الباشا وخاصة كتخداؤه محمد لاظ أوغلي ينظرون بعين المقت والارتياب إلى لطيف باشا ، وزادهم مقتاً له ما بدا عليه من الغطرسة والخيلاء بعد عودته من الاستانة ، وكان لاظ اوغلي معروفاً عنه كرهه للماليك ، ولطيف باشا كان في الأصل مملوكاً ، فحقد عليه واعتزم التنكيل به كما تقدم ، واتخذتمة المؤامرة وسيلة لإنفاذ عزمه

وقد ذكر الجبرتي حكاية المؤامرة ، ولم يؤيدها في روايته ، وكذلك لم يروها مانجان بلهجة تفيد اليقين

### مشروع الصلح وإخفاقه

في خلال الهدنة التي عقدها طوسون باشا مع ( عبد الله بن سعود ) جاءه كتاب من والده ينبئه بأنه سافر إلى مصر لشؤون هامة وأنه نرك له عدداً عظيماً من الجنود بقيادة خازنداره ، ويوصيه بالمبادرة إلى الزحف على ( الدرعية ) عاصمة الوهابيين لاستئصالهم والقضاء عليهم

ورد خطاب محمد علي إلى ابنه فأرسل يستدعي الخازندار إلى مدينة ( الرس ) قبل انقضاء أجل الهدنة ، وتشاور طوسون باشا هو ووقواد الجديش وورق ساء القبائل الموالية ، واستقر رأيه على قبول الصلح ، واشترط لذلك شروطاً أهمها أن تحتمل الجيوش المصرية ( الدرعية ) وأن يرد عبد الله بن سعود كل ما أخذه الوهابيون من الحجرة النبوية من النفائس والجواهر وأن يكون رهن أوامر طوسون باشا حتى إذا طلب إليه السفر إلى أي جهة كائنة ما كانت أذعن للأمر ، وأن يؤمن

سبيل الحج ويكون خاضعا لحاكم المدينة ، وألا يتم تمام الصلح الا بعد عرضه على محمد علي باشا وإقراره

وأرسل عبد الله بن سعود وفدا إلى القاهرة ليعرض الصلح على محمد علي ، ووصل الوفد إلى مصر في سبتمبر سنة ١٨١٥ ، ولما كان محمد علي أظهر تشددا ولم يرض بالشروط التي عرضها ابنه ، وصمم على معاملة أمير الوهابيين معاملة الخوارج والعصاة ، ولعله كان يرمى إلى بسط حكمه على جزيرة العرب ، فرأى في بقاء ظل لدولة الوهابيين مهما تظاهر عبد الله بن سعود بالخضوع والولاء حائلا دون استقرار حكمه في الجزيرة ، فأثر أن يمحى قوته ويأخذه أسيرا ليقضى على دولته القضاء الأخير ، فطلب إلى الوفد قبل أن يصفح عن أميرهم أن يرد جميع ما أخذه الوهابيون من نفائس الحرم النبوي وأن يسلم الدرعية إلى حاكم المدينة وأن يحضر بنفسه ويذهب إلى الاستانة ليسكون رهن أوامر السلطان وليقدم له حسابا عن أعماله ، وكان محمد علي يتوقع ألا تقبل شروطه القاسية وخاصة سفر عبد الله بن سعود إلى الاستانة لأن معنى ذلك تسليم عنقه إلى يد الجلال ، وقد تحقق ما توقعه فان عبد الله بن سعود لما بلغه نيا هذه الشروط أرسل يقول انه لم يبق لديه شيء من النفائس التي ائتمرها أبوه حتى يرد منها شيئا ، ورضى بأن يعين محمد علي نائبا عنه في الدرعية يتولى قبض الخراج أو أن يحدد الخراج بمبلغ معلوم يتعهد بادائه ، ورفض شرط الذهاب إلى الاستانة

فأرسل محمد علي يتهدهد بالحرب وينذره جيشا جرارا يكتسح بلاده ويخربها ، وبذلك أخفقت مفاوضات الصلح ، وتأهب عبد الله بن سعود للحرب والقتال ، وجرى محمد علي حملة جديدة على الحجاز بقيادة أكبر أجياله ابراهيم باشا

رجوع طوسون باشا إلى مصر

علم طوسون باشا وهو في الحجاز بأبناء الفتنة العسكرية التي أثارها الجنود

الأرناؤد بالتماهرة وما وقع منهم من النهب والتمرد مما سيجيء بيانه . فقرر العودة إلى مصر ، وسار من المدينة إلى ينبع ، ومنها إلى السويس بحرا ، وكان وصوله إليها في غاية شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٠ ، وقدم القاهرة يوم ٥ ذى الحجة ( ٨ نوفمبر سنة ١٨١٥ ) ، وكان الاحتفال باستقباله عظيما بانحسا ، قال الجبرت في هذا الصدد : « في رابع ذى الحجة سنة ١٢٣٠ بودي بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا سرورا بقدمه ، فلما أصبح يوم الثلاثاء خامسه احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ، وعملوا له موكبا حافلا ، ودخل من باب النصر ، وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة ، وطلع إلى القلعة وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحرقات ،

### استئناف الحرب في الحجاز

#### بقيادة ابراهيم باشا

أبدى محمد على همة كبيرة في تجريد الحملة الجديدة ، وظل ستة أشهر يعد معداتها ، وعقد لوامها لابنه الأكبر ابراهيم باشا (١) ، فأمر بجمع المراكب في ساحل بولاق لنقل المؤونة والذخائر والمدافع والمهمات إلى قنا ومنها تنقل برا إلى ثغر (القصير) لتقلع منه إلى (ينبع) بحرا ، وسار ابراهيم باشا من بولاق يوم ٥ سبتمبر سنة ١٨١٦ قاصدا قنا ، ولما وصل إلى أسيوط جند ألفين من الفلاحين لينضموا إلى الحملة ولما بلغت الحملة إلى قنا نقلت على ظهور الإبل إلى القصير ، وأعد ابراهيم باشا ستة آلاف جمل قدمها عرب العبايدة لهذه الغاية ، فضت الحملة إلى ميناء القصير وأقلعت بهم سفن الأسطول المصرى إلى ينبع ، فبلغتها يوم ٢٩ سبتمبر ، وكان

(١) أنعم عليه السلطان بالباشوية مكافأة لآبائه على خدماته ، وكان يبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة

يصحب ابراهيم باشا ضابط فرنسي من ضباط أركان الحرب وهو المسيو فيسير  
Vaissiere وطبيب وجراحان وصيدلي من الإيطاليين  
ولم يكذب يستقر به المقام في ينبع حتى سار إلى المدينة ، فأدى فروض الزيارة  
النبوية ، وأخذ يستعد للزحف والقتال

وفي اليوم الرابع من عيد الأضحى سار بجيشه وقصد ( الصويدرة ) شمالى  
المدينة واتخذها معسكره العام وأخذ يجهز المعدات ويجمع الإبل للزحف على نجد ،  
ولكنه عانى مصاعب كثيرة في بدء الحملة ، منها أن معظم القبائل كانت ممائلة  
للهواريين على محاربة الجيش المصرى ، فأخذوا يناشون القوافل بين الصويدرة  
والثغور البحرية ، فأنفذ ابراهيم باشا لمحاربتهم قوة من ألفى جندى التقت بهم على  
مسيرة يومين وأوقعت بهم الهزيمة

ثم أخذ العرب يؤثرون الجانب المصرى على الوهايين لما لم يجدوا من  
هؤلاء منفعة أو طائلا ، فانضموا إلى ابراهيم باشا وتعهدوا بتقديم ما يطلب من  
الإبل وغيرها

زحف ابراهيم باشا من ( الصويدرة ) وسار إلى ( الحناكية ) وعسكر بها  
وتحصن فيها . واتخذها نقطة ارتكاز لزحفه ، ثم تحرك منها قاصدا ( الرس ) التى  
اتخذها عبد الله بن سعود معسكرا له ، وكان الوهايون قد احتلوها بعد عودة  
طوسون باشا إلى مصر

### وفاة طوسون باشا

سبتمبر سنة ١٨١٦

رجع طوسون باشا إلى مصر كما قدمنا ، وبعد أن استقر به المقام تولى قيادة  
الفرق التى أنفذها محمد على لترابط على فرع رشيد ، وكان غرض محمد على توزيع



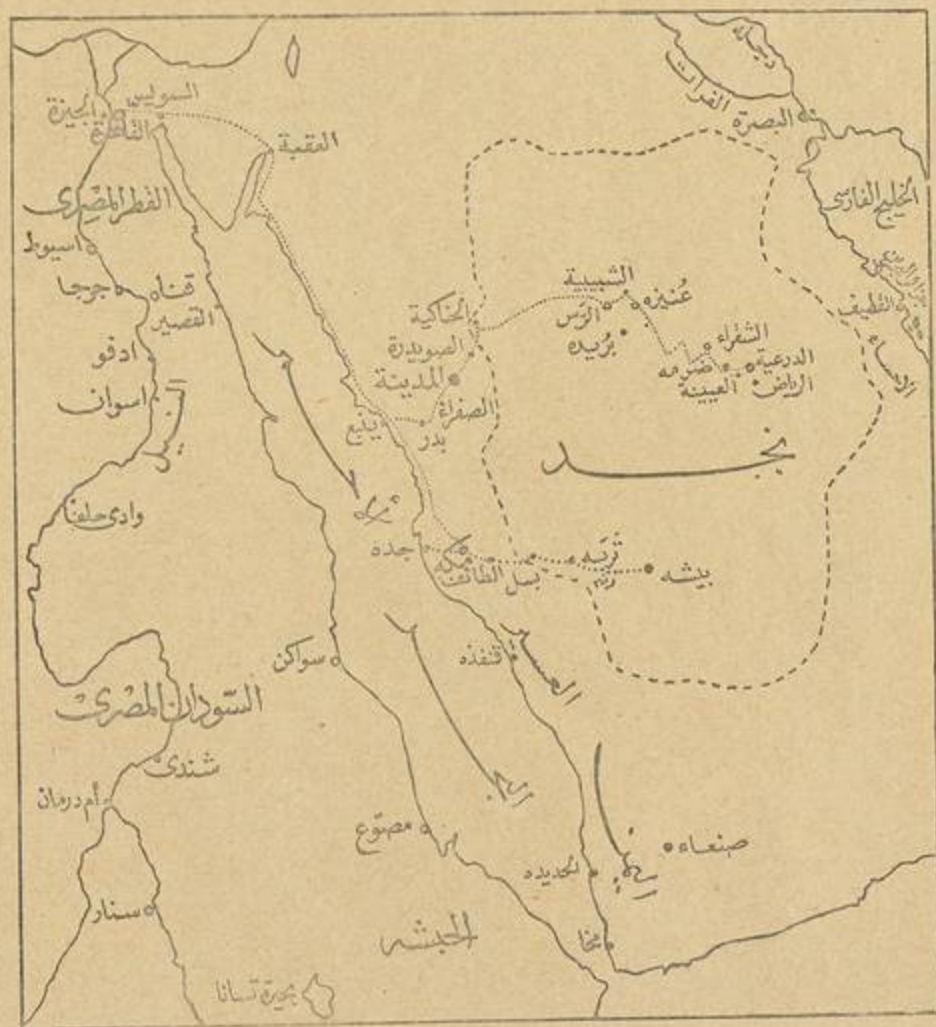
الجنود في مختلف أنحاء الوجه البحرى حتى لا يكون احتشادهم في القاهرة خطراً على النظام بعد ما بدأ منهم من التمرد والعصيان ، ولكى يلقى في روعهم أنه لا يقصد تشييتهم أو معاقبتهم أمر بأن يصحبهم في معسكراتهم الجديدة بعض أبنائه ورؤساء جنده ، فتولى طوسون باشا قيادة بعض تلك الفرق كما قدمنا ، واتخذ معسكره في ( برنال ) الواقعة بالبر الشرقى للنيل تجاه رشيد ، والنس بها الراحة من عناء المعارك التى خاضها في الحجاز ، فاتخذ الموسيقيين والراقصين والراقصات والمغنيات ومجالس اللهو ، وبقي بها إلى أن عاجلته منيته ليلة ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦ إثر مرض ناز به فجأة ، قبل إنه نشأ من تهالكه على اللذات ، ولم يممه أكثر من عشر ساعات ثم فاضت روحه ، فنقلت جسثه بطريق النيل إلى القاهرة ودفن في مقابر الإمام الشافعى

توفى طوسون وهو فى مقتبل الشباب إذ لم يتجاوز العشرين من عمره ، فجزع أبوه على فقده جزعاً شديداً وحزن الناس لوفاته لما كان عليه من الشجاعة والجد والميل إلى الشعب

### حصار ( الرّس )

اشتبكت طلائع الجيش المصرى بالوهايين على مقربة من ( الرس ) ، فكانت الغلبة للجيش المصرى ، لما امتاز به من النظام والتسلح بالبنادق الحديثة ، ومعاونة العربان من قبيلة حرب

هزم الوهايون ورجعوا القهقرى ، وامتنع عبد الله بن سعود فى ( الرس ) ، فضرب عليها ابراهيم باشا الحصار ، وجلب المدافع لرميها ، وأقام الاستحكامات حولها ، لسكنها كانت على قوة ومنعة ، فاستمر الحصار ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً دون أن ينال منها طائلاً ، ودافع عنها الوهايون دفاع الأبطال بالرغم من قتالهم جيشاً مسلحاً بالبنادق الحديثة ، ولم يكن عندهم إلا البنادق من الطراز العتيق الذى



خريطة الحرب الوهاية  
وفيها بيان المواقع التي ورد ذكرها في الفصل الخامس

يطلق بالفتيلة ، ومع ذلك صدوا هجمات الجيش المصرى ثلاث مرات وكبدوه خسائر جسيمة ، وبلغ عدد قتلاه مدة الحصار ٢٨٠٠ جندى ، على حين لم يقتل من الوهابيين سوى ١٦٠ مقاتلا ، وهذا يدل على فداحة الخسائر التى أصابت الجيش المصرى فى حصار ( الرس )

وقد أدرك إبراهيم باشا أن خسائره ستفاقم إذا هو استمر فى الحصار ، وأن ذخيرته نقصت ومؤونته كادت تنفذ ، وأصبح الجيش هدفا للجاعة . أضف إلى ذلك ما خامر نفوس الجنود من الملل واليأس ، وما قاسوه من الشدائد والأهوال ، ثم انتشار الأمراض بينهم . وهبوب الزعازع والأعاصير التى كانت تقمط الخيام فترمى بها فلا يجد الجنود وخاصة المرضى والجرحى مأوى لهم

فاضطر إبراهيم باشا أن يرفع الحصار عن ( الرس ) ، وأن يقبل من عبد الله ابن سعود شروط لوقف القتال ما كان ليرضاها لو لم تمتنع عليه ، فصالحه على أن يرفع الحصار عن المدينة وأن يضع أهلها سلاحهم ويقيموا على الحياد ، ولا يدخل الرس أحد من جنود إبراهيم باشا أو ضباط جيشه ، ولا يجبر الأهالى على تقديم شيء من المؤونة للجيش ، ولا يؤدوا اتاوة ، وأنه إذا استولى الجيش على مدينة ( عنيزة ) تسلم له ( الرس ) بدون قتال ، وإن لم يقلح يعود القتال ثانية

سار إبراهيم باشا قاصدا ( عنيزة ) ، واحتل فى طريقه ( الخبراء ) بعد أن ضربها بالمدافع عدة ساعات ، واستراح الجيش بها أحد عشر يوما ، ثم سار إلى ( عنيزة ) وحاصرها ستة أيام إلى أن سلها حاكمها محمد بن حسن على ألا تؤسر الحامية الوهابية وأن يؤذن لها بالذهاب أتى شامت بشرط أن تتخلى عما لديها من الأسلحة والذخائر والمؤونة ، فرضى إبراهيم باشا بهذه الشروط ودخل المدينة ، ثم أرسل كتيبة من الجنود لاحتلاك ( الرس ) طبقا للشروط التى اتفق عليها من قبل

كان لسقوط ( عنيزة ) بهذه السرعة أثر كبير فى سير القتال ، لأنها من أهم مواقع نجد فراجع عبد الله بن سعود إلى ( الشقراء ) ، وأخذ يحصن ( الدرعية ) بيقظة أن تتداعى بتأثير ضربات إبراهيم باشا ، وحدثت التباثل فى بلاد القصيم

إلى التسليم خوفا من بطش إبراهيم وأذعنت له

فتح الشقراء (يناير سنة ١٨١٨)

استأنف إبراهيم باشا الزحف ، فاحتل (بريدة) بعد قتال طفيف ، وبقى بها شهرين تلقى في خلالها المدد من مصر ، ثم سار في أواخر ديسمبر سنة ١٨١٧ قاصدا (الشقراء) وهي من أمنع بلاد نجد فوصلها يوم ١٣ يناير سنة ١٨١٨ وضرب عليها الحصار ، وأخذ يشدد في حصارها ويضربها بالمدافع حتى طلب أهلها التسليم ، ورضى منهم ألا يأخذ منهم أسرى وأن يؤذن لهم بالذهاب حيث شاءوا على ألا يحملوا السلاح ثانيا لقتال الجيش المصري وإذا نقضوا عهدهم استحل دماءهم

ودخل إبراهيم باشا المدينة دخول الظافر يوم ٢٢ يناير سنة ١٨١٨ كان فتح (الشقراء) انتصارا كبيرا للجيش المصري لما لموقعها من الشأن والخطر ، ولما وصلت إلى مصر أنباء هذا الفتح قوبلت بابتهاج عظيم قال الجبرتي في هذا الصدد :

« وفي أواخر ربيع الثاني سنة ١٢٣٣ (فبراير سنة ١٨١٨) حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا وأنه استولى على بلدة تسمى (الشقراء) ، وأن عبد الله بن سعود كان بها فخرج منها هاربا إلى الدرعية ليلا ، وأن بين عسكر الأتراك والدرعية مسافة يومين ، فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدمه مدافع من أبرج القلعة وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشر ينة ،

فتح الدرعية (سبتمبر سنة ١٨١٨)

أفشا إبراهيم باشا في الشقراء مستثنى وترك بها فصيلة من الجنود ، وسار

قاصدا (الدرعية) عاصمة الوهايين ، وكانت تبعد عن المدينة المنورة التي اتخذها إبراهيم باشا قاعدة للحركات الحربية بنحو ٤٠٠ ميل ، وهذا يدل على عظم المراحل التي قطعها الجيش في الحرب والقتال

فخرج في طريقه إلى (الدرعية) على (ضربة) إذ علم أن بها كثيرا من المؤنة والجياد ، فامتعت عليه ، فضربها بالمدافع ودافع حاكمها وأهلها عن مدينتهم دفاعا شديدا وقتلوا كثيرا من المهاجمين ، واستمر القتال حتى طلب الحاكم التسليم على أن يخلي البلد ، فأخلاها وترك الأهالي هدفا لبطش الجيش ، وأمر إبراهيم باشا بقتلهم عقابا لهم على ما كبدوا الجيش من الخسائر ، فقتلوا جميعا

بقى إبراهيم باشا شهرين في (ضربة) حيث عاقته الأمطار عن الزحف ، ثم غادرها في ٢٢ مارس سنة ١٨١٨ قاصدا (الدرعية) عاصمة الوهايين ، فخطت تجاهها يوم ١٦ أبريل في جيش مؤلف من خمسة آلاف وخمسمائة من المشاة والفرسان مجهزين باثني عشر مدفعا

تألف (الدرعية) من خمسة أحياء متجاورة يحيط بكل منها سور ، فكانت المدينة محصنة تحصينا منيعا وفيها بعض المدافع يستعملها الوهايون في القتال رتب إبراهيم باشا مواقع جنوده وأعد العدة لمهاجمتها ، وعاونه في رسم خطط الحصار الضابط الفرنسي الذي يصحبه وهو المسيو فيسيير Vaissiere ، وبدأ إبراهيم يضرب المدينة بالمدافع ، ولما امتنعت عليه ودافع عنها الوهايون دفاع الأبطال واشترك نساؤهم في القتال فكان دفاعهم مجيدا

استمر الحصار أكثر من شهرين والمدينة مستعصية على الجيش المصري ، فبدأ مركزه يتحرج ، وزاد في حرجه أن الطبيعة أصابت الجيش بنكبة كادت تؤدى به لولا ثبات إبراهيم باشا وعزيمته الحديدية ، فقد هبت عاصفة على معسكر الجيش يوم ٢١ يونيو ١٨١٨ أطارت نارا كان أحد الجنود يوقدها ، فاندلعت النار إلى خيمة منصوبة على قرب من مستودع الذخيرة ، فاحترقت الخيمة وامتدت ناراها إلى المستودع فانفجر لساعته ونسف الانفجار من القنابل والرصاص ما ذهب بنصف

ذخيرة الجيش ، فذعر الجنود لدوى الانفجار ولما أصاب الذخيرة من التدمير ، وكادت تحل الهزيمة بالجيش ويحتل نظامه لولا أن قابل إبراهيم باشا تلك الكارثة بالشجاعة والجلد ، وما يؤثر عنه في هذا الموقف أنه قال لمن حوله : « لقد فقدنا كل شيء ، ولم يبق لدينا إلا الشجاعتنا فلنتذرع بها ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض ، وأخذ يشجع الضباط والجنود ، وأرسل يطاب الذخيرة من المواقع التي تحتلها الجيش المصري ، كالشقراء ، وبريدة ، وعنيزة ، ومكة والمدينة ، وينبع  
رغم الوهايين بما حل بذخيرة الجيش المصري ؛ فقررُوا الهجمة عليه لعلمهم بأخذونه من ضعف ، وهاجموه فعلا في اليوم التالي ؛ ولكن إبراهيم باشا أحكم خطط القتال وأمر جنوده بالاعتصام في الذخيرة فرد الوهايين على أعقابهم ، واستمرت الحرب سجالا إلى أن جاءت الذخيرة فسد بها النقص ، وتقى من أيه رسالة بأنه ممد بثلاثة آلاف من المقاتلة بقيادة خليل باشا ، فاعتزم إبراهيم باشا أن يضرب الضربة القاضية قبل أن يتلقى المدد لسكى لا يشاركه خليل باشا في غر الظفر بالوهابية

### رواية الجبرتي

أشار الجبرتي إلى تلك الحوادث بقوله :

« وفي منتصفه (رمضان سنة ١٢٣٣ - يولية سنة ١٨١٨) وصل نجّاب رآخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه ، وترك عرضيه (جيشه) ، فاعتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضى على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانه (الذخيرة) ، فعند ذلك قوى الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برأ وبجرأ يتلو بعضهم بعضا في شعبان ورمضان ، وبرز عرضى (جيش) خليل باشا إلى خارج باب النصر ، وقال في حوادث شوال من تلك السنة : « وفي ثامنائه ارتحل خليل باشا مسافرا إلى الحجاز من القلزم وعساكره الحياالة على طريق البر ، ومعنى هذا ان المشاة ذهبوا

من السويس بحرا وسار الفرسان برا من طريق برزخ السويس الى الحجاز، فتأمل  
عظم المراحل التي كان يقطعها الجنود والمتاعب الهائلة التي كانوا يتكبدونها في  
تلك الحرب الشاقة

قلنا ان ابراهيم باشا اعتزم أن يضرب الدرعية الضربة القاضية ، فوجه قواته  
الى كل حى من أحيائها ، واحد اثر آخر ، فاستولى على الأول ثم على الثاني ثم على  
الثالث ، وبذلك ضاق الحنّاق على الوهابيين ، وكان الحصار قد دام خمسة أشهر ،  
فرأى عبد الله بن سعود أن ليس في مقدوره المقاومة بعد أن فدحته الخسائر ونالته  
الأوصاب من طول الحصار وأهواله ، فجنح الى الصلح والنسليم ، وأرسل يوم ٩  
سبتمبر سنة ١٨١٨ رسولا إلى ابراهيم باشا يطلب وقف القتال حتى يتم الاتفاق  
على الصلح

فابتهج ابراهيم باشا لهذه الرسالة ابتهاجا عظيما . وأذن بوقف القتال ، ثم جاء  
عبد الله بن سعود بنفسه الى معسكر ابراهيم باشا ، فتلقاه القائد العظيم بالخفاوة  
والإكرام ، وتم الاتفاق بينهما على أن تسلّم ( الدرعية ) إلى البطل ابراهيم وأن يتعهد  
بالإبقاء عليها ، والا يوقع بالوهابيين أو يناههم بضرر ، وأن يذهب عبد الله بن  
سعود إلى مصر ثم إلى الاستانة كما هي رغبة السلطان ، فرضى عبد الله بن سعود  
بهذه الشروط ، واستولى الجيش المصرى على الدرعية بعد حصار دام نحو ستة  
أشهر ، وبعد فتح الدرعية لم تلبث المدن الباقية من نجد أن سلمت وخضعت لقائد  
الجيش المظفر

كان محمد على في خلال تلك الوقائع قلقا على مصير الحملة التي يقودها ابنه في  
فيافي نجد ووهادها . وتأخرت عنه أخبارها ، فاشتدت هواجسه ومرض بعينيه  
وطلب من العلماء أن يقرءوا البخارى ويتوجهوا إلى الله بدعواتهم مبتلين أن  
ينصر جيشه ، قال الجبرتي في حوادث رمضان سنة ١٢٢٣ ( يولييه سنة ١٨١٨ ) :  
« وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود خبر  
يسر بسماعه ،

إلى أن جاءت به البشرية بانتصار إبراهيم باشا ودخوله الدرعية ، فابتهج لهذه  
البشرى أيما ابتهاج ، وأطلقت المدافع من القلعة يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٨١٨ ، اعلانا  
لهذا النصر المبين

### اتهاء الحرب الوهاية

اتتهت الحرب الوهاية بانتصار الجيش المصرى وبسط نفوذ مصر فى بلاد  
العرب ، وكانت هذه الحرب من أشق حروب مصر فى عهد محمد على وأكثرها  
ضحايا وأعظمها نفقات ، وقد تخللتها هزائم ومواقف عصبية كادت تقضى على  
الحملة المصرية ، فإن الجيوش اتى جردها محمد على تستهدف للخطر فى مواطن عدة  
وخاصة فى هزيمة (الصفراء) الأولى ، وحصار (الرس) عند ما استعصت على  
إبراهيم باشا ، وفى حصار الدرعية ، وعند ما التهمت النار ذخائر الحملة تحت  
أسوارها ، فى تلك المرات الأربع كادت الحملة المصرية تقع فى الأسر لولا أن  
القيادة الوهاية كان يعوزها الحزم والكفاية والنظام

ومن الأسباب التى أدت إلى اضمحلال قوة الوهاية ضعف عبد الله بن سعود  
والأموال التى بذلها طوسون وإبراهيم ومحمد على واشتروا بها ذمم البدو ، فإن القبائل  
التي انحازت إلى جانب الجيش المصرى قد عاونته مع اونة كبيرة ، ولولا ذلك  
لكانت مواصلاته عرضة للانقطاع ولما استطاع أن يقطع تلك المراحل الشاقة فى  
بلاد مقفرة ، أضف إلى ذلك أن عزيمة محمد على وإبراهيم ، وما احتمله الجيش  
المصرى من الصبر على المشاق والاهوال ، نل ذلك كانه الفضل الأكبر فى ما أدركه  
من الفوز ، وبفضل تلك التضحيات الجسيمة أمكن مصر أن تبسط نفوذها فى  
مفاوز جزيرة العرب تلك التى يصعب على أى دولة أن تخضعها ، وقد ظل هذا النفوذ  
مبسوطا على انحائها إلى أن تقلص ظله فى أواخر عهد محمد على كما سيحىء بيانه



### الحفلات الحربية في عهد محمد علي

كان للأبناء التي جاءت بفتح الدرعية وانتهاء الحرب الوهابية أثر ابتهاج عظيم في مصر ، وقوبلت باحتفالات بالغة وصفها الجبرتي بقوله :

« في سابع ذى الحجة سنة ١٢٣٣ ( اكتوبر سنة ١٨١٨ ) وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الورداني أمير الينبع بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما ، وانجلى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على المبشر ، وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وفي ثاني عشر وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر إلى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع، وصادف ذلك شنك أيام العيد ، وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل تجاه الترسانة ببولاق ،

وتجددت الحفلات في شهر محرم سنة ١٢٣٤ ( نوفمبر سنة ١٨١٨ ) لمناسبة ورود تفاصيل الانتصارات التي نالها ابراهيم باشا ، وأسهب الجبرتي في وصف تلك الحفلات بما يدل على ضخامتها وبهاياتها

فقد نودي بزينة المدينة سبعة أيام ، ونصبت السراقات خارج باب النصر ، ومن بينها سرادق محمد علي باشا وباقي الأمراء لمشاهدة الحفلات ، وهي مناورات حربية تتخللها حركات فرسية قام بها الخيالة والمشاة ، واقتربت بإطلاق المدافع بكثرة هائلة « بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة المتراخين رعودا هائلة ، وفي الليل كانت توقد المصابيح والمشاعل ، وتطلق السواربخ واخرافات ، وتضرب المدافع

وبعد انقضاء السبعة الأيام أعدت حفلات أخرى في جهة بولاق تختلف في نظامها وأوضاعها عن حفلات باب النصر ، هذه كانت برية ، أما حفلات بولاق فكان ميدانها النيل وشاطئيه ، واعلمها لذلك كانت أبداع وأروع ، فقد استؤجرت الأماكن المظلة على البحر بأجور مرتفعة لتزاحم الناس على شاهدها واستجلاء مناظرها ، وكان قوام الحفلات مناورات بحرية تقوم بها السفن والمراكب تمثل فيها المعارك البحرية ، ولبست بولاق حلة من الرونق والبهاء ، وأقبل الناس ن كل صوب لمشاهدة معالم الزينة « زين أهالي بولاق أسواقهم وحوالياتهم وأبواب دورهم ، ودقت الطبول والمزامير والنقرانات في السفان وغيرها ، وطلبخانة ( موسيقى ) الباشا تضرب في كل وقت ، والمدافع الكثيرة تضرب في ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء ، وتوقد المشاعل وتعمل أصناف كل الحراقات والسواربخ والنفوط ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين ،

واعلمك تلحظ من التأمل في وصف الجبرتي لهذه الحفلات أنها فاقت في جلالها وفخامتها كل ما تقدمها من الحفلات في مختلف المناسبات ، ولم نجد فيما وصفه بعد ذلك من الحفلات لغاية انتهاء كتابه ( سنة ١٨٢١ ) ما يبدانها في الروعة والبهاء ، وهذا يدل على عظم تقدير الشعب للانتصارات الحربية وما تستثيره في النفوس من روح الفخر والعزة ، ولا جرم أن الحفلات الحربية هي مظهر من مظاهر تقدم الشعوب وتقديرها لمفاخرها القومية وتكريم الفضائل والأخلاق الحربية ، فالحفلات التي وصفها الجبرتي تنطوي على هذه المعاني السامية . وليس عجيبا أن تحتفل مصر بفتح الدرعية فإن فتحها هو أعظم انتصار نالته في أول حرب خارجية خاضت غمارها في تاريخها الحديث ، فالدرعية هي عاصمة الوهابيين ، وفتحتها توجت حرب شاقة دامت سبع سنوات وكالت بالنصر والظفر

### مقتل عبد الله بن سعود

جاء عبد الله بن سعود إلى مصر أسيرا فنزل القاهرة يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨١٨ وتلقاه محمد علي في قصره بشبرا فأكرم مشواه ، ثم أمر برحيله إلى الاستانة ، فوصلها وهناك قتل بأمر السلطان

### تخريب الدرعية

لم يف محمد علي بعهود ابنه ابراهيم في شروط الصلح ، فأرسل إليه قبل مغادرته الحجاز يأمره بهدم حصون الدرعية وأسوارها وتخریب منازلها وأن يرسل إلى القاهرة اخوة عبد الله بن سعود ، فنزل ابراهيم على أمر أبيه وأرسل اخوة ابن سعود وخرّب الدرعية وأحرقها

### عودة ابراهيم باشا إلى مصر

بقى ابراهيم باشا بعد سقوط (الدرعية) يوطد نفوذه في تلك الأصقاع ، وظل كذلك إلى أن اعتزم العودة إلى مصر ، فرجع من طريق القصير فقنا ، وانحدر في النيل حتى بلغ الجيزة يوم ٩ ديسمبر سنة ١٨١٩ ، وقابل والده في قصره بشبرا ، فضمه إلى صدره مفتخرا بابنه العظيم ، ثم دخل ابراهيم القاهرة من باب النصر في اليوم التالي دخول الظافر ، وشق المدينة من باب النصر إلى القلعة في موكب مهيب ، واحتشدت الجماهير لمشاهدته وتحيته ، وجاء محمد علي إلى مسجد الغورى وشاهد موكب ابنه أثناء مسيره ، ولما بلغ ابراهيم باشا القلعة استأنف سيره في موكبه إلى مصر القديمة وقصد من هناك إلى قصره بجزيرة الروضة ، وزينت المدينة ابتهاجا

برجوع القائد الكبير ، وظلت في أفراس وزينات سبعة أيام متواليات أو كما يقول الجرجي : « استمرت الزينة والوقود والسهر بالليل ، وعمل الحراقات ، وضرب المدافع في كل وقت من القلعة ، والمغائن والملاعب في مجامع الناس سبعة أيام بلياليها ، في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الاخطاط ،

فتح سيوه ( فبراير سنة ١٨٢٠ )

كان محمد علي لا يفتأ يعمل لتوسيع تخوم الديار المصرية والوصول إلى حدودها الطبيعية ، فمن ذلك أنه جهز تجريدة من ١٣٠٠ جندي بقيادة حسن بك الشماشرجي لفتح واحة سيوه ، فسار إليها حسن بك يقود هذه الحملة ونشب قتال بينه وبين أهلها دام ثلاث ساعات وانتهى بهزيمة الأهلين وخضوعهم وطلبهم الأمان واعترافهم بالطاعة والولاء للحكومة المصرية ( فبراير سنة ١٨٢٠ ) ، وانضمت هذه المنطقة من ذلك الحين إلى حظيرة الوطن ، وقد أبدى حسن بك الشماشرجي في تلك الحملة حزمًا ودراية

ومما هو جدير بالملاحظة ان فتح سيوة وقع في أوائل سنة ١٨٢٠ أي قبيل الحملة التي جردها محمد علي لفتح السودان ، وأغلب الظن انه أراد أن يأمن على حدود مصر الغربية قبل الزحف جنوبًا

وقد انتظمت شؤون سيوة في عهد الحكم المصري ، وقصدها رواد الاكتشاف وجابوا انحاءها لتعرف أحوالها واكتشاف آثارها ، وعاونهم حسن بك الشماشرجي في مهمتهم ، ومن هؤلاء المسيو لينان دي بلفون Linant de Bellefonds كبير مهندسي محمد علي ، والمسيو دروفتي Drovétti قنصل فرنسا العام في مصر ، والمسيو ريتشي Ricci من أطباء ايطاليا وغيرهم ، فكان الفتح المصري ممهدا السبيل للفتح العلمي والحضارة

## الفصل السادس

### فتح السودان

(سنة ١٨٢٠ - ١٨٢٢)

السودان جزء لا يتجزأ من مصر ، والحدود الجغرافية والقومية لمصر تشمل وادى النيل من منبعه إلى مصبه ، فمصر والسودان جزءان لا ينفصلان من وحدة سياسية واقتصادية لا تقبل التجزئة ، تربطها روابط الوطن والتاريخ واللغة والدين ، وصلات الدم والنسب والمرافق المشتركة

والسودان معدود منذ القرون الغابرة جزءاً من مصر ، ولقد أثبت (ما. برو) وغيره من المؤرخين ما بين مصر والسودان من الروابط التاريخية القديمة ، وثبت من النقوش الهيرغليفية أن الملك (نخوتمس الأول) توغل حتى إلى منطقة البحيرات واحتل بعض النقاط الحربية التي كانت على النهر<sup>(١)</sup> ، وإذا كان السودان قد فصل عن مصر في بعض الأزمنة قديماً أو حديثاً فلم يكن ذلك إلا خروجاً على القاعدة الأزلية وهي أنه جزء لا يتجزأ من مصر

إن ارتباط مصر والسودان ضرورة حيوية لهما ، وخاصة لمصر ، فإنها تستمد حياتها من النيل ، فهي هبة النيل كما قال هيرودوت ، أو كما يقول المعاصرون : مصر هي النيل والنيل هو مصر ، فلا تطمئن على حياتها إذا تملسكت منابع النيل دولة أخرى ، ولا يتحقق استقلال مصر التام إلا إذا شمل وادى النيل من منبعه إلى مصبه ، وصارت هي والسودان وحدة سياسية تتألف منها الدولة المصرية المستقلة ،

(١) شاي لو نج بك . مصر وهدرياتها المفقودة ص ٤٠

ولا تمييز في ذلك لمصر على السودان في هذه الوحدة ، فكلاهما جزء لا يتجزأ من هذا الوادى ، وكلاهما يكمل الآخر ولاغنى له عنه ، فمصر لا تستطيع أن تقف على قدميها منفصلة عن السودان ، والسودان أيضاً لا يستطيع أن يقف على قدميه منفصلاً عن مصر ، وإذا انفصلا يفقد كل منهما كيانه ويصبح كلاهما إقليماً تنقصه مشخصات الدولة ومقوماتها

هذه المبادئ وتلك الحقائق التي برهنت على صحتها عظات التاريخ على تعاقب العصور ، ونظقت بها الحوادث السياسية في مدى مائة العام الأخيرة ، قد عمل محمد على باشا على تحقيقها ، فلم يكذب يوطد مركزه وينال الانتصارات العظيمة ، التي فاز بها الجيش المصرى في حرب الوهايين حتى صحت عزيمته على فتح السودان ونشر علم مصر الخفّاق في أصقاعه وربوعه

إن فتح السودان هو ثالث الحروب التي خاضت مصر غمارها في عهد محمد على لتأليف وحدتها السياسية ، ولو لم تلحّ عليه تركيا في المبادرة إلى تجريد الجيوش على شبه جزيرة العرب لكان فتح السودان أول حروبه بعد أن ردّ الغزوة الإنجليزية ، لأن محمد على لم يكن ليغفل عن أهمية السودان الحيوية لمصر ، لسكن الضرورات السياسية هي التي شغلته ردحاً من الزمن عن فتحه وجعلته يبدأ بحرب الوهايين

### أسباب فتح السودان

يذكر المؤرخون بواعث وأسباباً عدة لفتح السودان ، فمنها رغبة محمد على في اكتشاف مناجم الذهب والماس التي تناقل الناس أنها موجودة في أصقاع السودان ، وخاصة في سنار ، ثم إمكان تجنيد السودانيين في الجيش المصرى النظامى لما اشتهر به الجنود السودانيون من الصبر والشجاعة والطاعة للرؤساء ، ثم رغبته في التخلص من الفرق الباقية من عسكر الأرنؤود وغيرهم من الجنود غير النظامية (الباشبورق) ممن لم تهلكهم حروب جزيرة العرب ، وعادوا إلى مصر وظلوا على ماجلوا عليه

من النزوع إلى العصيان والتمرد والإخلال بالنظام ، فرأى محمد علي تخلصا منهم أن يجردهم على السودان ، وخاصة لأنه شرع وقتئذ في تأسيس الجيش المصرى النظامى كما سيحدث ببيان ، ومن أغراضه أيضا القضاء على البقية الباقية من المماليك الذين كانوا الأجثين إلى إقليم دنقلة ، وهم على ما بلغوا إليه من الضعف كانوا مصدر قلق لمحمد علي ، فاعتزم القضاء عليهم لكي لا يستردوا قوتهم يوما ما ويزحفوا على مصر ، وكان يرمى كذلك إلى توسيع ملك مصر من الجنوب . واكتشاف منابع النيل ، وإيجاد الروابط الاقتصادية بين مصر والسودان ، وتوسيع نطاق المعاملات التجارية بينهما ، إذ لم يكن يقصد السودان من المشتغلين بالتجارة سوى فئة قليلة من التجار المخاطرين بأنفسهم من سكان الوجه القبلى ، وكانت أسفارهم فى الغالب عرضة للخطر ، وتحولت معظم متاجر السودان إلى طريق سواكن ومصوع من ثغور البحر الأحمر وكاد ينقطع ورودها إلى مصر ، فرأى محمد علي أن يبسط نفوذ مصر فى السودان لتسكون طريقا لمتاجرها ، وأدرك أن فى توسيع نطاق التجارة بين مصر والسودان فائدة لعمران البلدين وتنمية لما تجنيه الحكومة من المكوس على المتاجر فيزداد دخلها ، ويعوضها بعض ما فقدته من الأموال والنفقات فى الحرب الوهابية

هذه هى الأسباب والبواعث التى يذكرها جمهور المؤرخين لفتح السودان ، وكلها كما ترى أسباب صحيحة ووجيهة ، ولا يمكن يلوح لنا أن ضمان سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية والاطمئنان على منابع النيل كانت من أهم البواعث التى حفزت محمد علي إلى فتح السودان ، فإن ما اشتهر به ذلك الرجل العبقري من بعد النظر وصدق العزيمة لا بد قد جعله يقدر أهمية السودان لمصر ، ويدرك أن الاستقلال لا يتحقق إلا إذا تملك مصر مجرى النيل من منبعه إلى مصبه

قال فى هذا الصدد (سدى بيل) أحد نبلاء الانجليز فى كتابته (١) : كانت العوامل

التي حملت محمد علي أن يفتح السودان كثيرة ، واسكنه من المعتقدين في فوائد الري  
ومنافعه ، فيرجح كثيرا أن الاطمئنان على سلامة النيل الأعلى أحد أغراضه .  
ويقول إبراهيم باشا فوزي في كتابه :

« قضى ساكن الجنان محمد علي باشا محي الديار المصرية لبائنتين من فتح السودان ،  
بل تخلص من ورطتين كبيرتين ، فقد علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد علي  
باشا أن دولة أوربية كبيرة كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل ، فاهتم لهذا  
الخبرا كبراهتمام واستشار كثير من المهندسين الأوربيين الذين جاء بهم من بلادهم إلى  
القطر ، فأقروا بالإجماع أن وقوع منابع النيل تحت برائن هذه الدولة بما لا تحمد  
مغبته حيث تصير حياة مصر في يدها فصمم على إنفاذ الحملة إلى السودان ، (١)  
وغير خاف أن تلك الدولة التي يشير إليها فوزي باشا في كتابه هي إنجلترا ، فهي  
التي كانت تناوى محمد علي وتدأب للسعي في احتلال مصر وبسط نفوذها عليها ،  
وقد شرعت فعلا في احتلالها سنة ١٨٠٧ وجردت عليها حملة الجنرال فيزر كما  
تقدم بيانه في الفصل الثاني وهزمت هذه الحملة في رشيد والحماد ، مما اضطرها إلى  
الجلام عن البلاد ، فأادت بعد ذلك أن تسيطر على مصر من الجنوب بعد أن  
أخفقت من الشمال

ففتح السودان هو إذن - رب قومية بحثة ، والغرض منها من أسمى أغراض  
الحروب وأنبها قصدا ، إذ كانت الغاية منها تأليف وحدة وادي النيل ، ولا يخفى  
أن مساحة السودان تزيد عن ضعف مساحة مصر إذ أنه يبلغ مسطح القطر المصري  
مرتين ونصفا ، ومساحته تضاهي ربع مساحة القارة الأوربية ، فبفتح السودان  
اتسعت رقعة الدولة المصرية فبلغت ثلاثة أمثال ما كانت عليه ، ووصلت إلى معظم  
حدودها الطبيعية ، فلا غرو أن نعد فتح السودان خير حروب مصر في عهد  
محمد علي

(١) كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر جزء ١ ص ٥٨



وليس في فتح السودان أى غضاضة على أهله ، فإن الحروب كثيرا ما كانت دعامة للوحدة القومية ، فقديمًا حاربت إنجلترا اسكتلندا ( الجزء الشمالى للجزيرة البريطانية ) حروبًا متواصلة ، وما زالت بها حتى أخضعتها وصارت جزءاً من المملكة البريطانية بعد أن كانت منفصلة عنها ، ولم يقل أحد ان إنجلترا كانت باغية على اسكتلندا ، ولا كانت هذه الحروب سبباً لدعاية انفصالية بين الاسكتلنديين بعد انضمامهم إلى حظيرة الوطن البريطانى ، بل صاروا مواطنين بريطانيين مخلصين على تعاقب السنين لا يفكر واحد منهم فى الانفصال عن وطنهم

وهل أتاك حديث الحرب الأهلية التى نشبت فى الولايات المتحدة الأمريكية بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية فى القرن التاسع عشر ؟ إن سبب هذه الحرب ان ولايات الجنوب ظهرت فيها نزعة الانفصال عن ولايات الشمال ، وأعلنت انفصالها عن حكومة الاتحاد الأمريكى ، فحاربتها هذه حرباً استمرت أربع سنوات من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٥ ، ولم تنته إلا بعد أن قهرت حكومة الاتحاد جيوش الولايات الجنوبية فى معارك هائلة بلغت خسائر الفريقين فيها نيفاً وستمائة ألف نفس ماتوا قتلاً أو من الجروح والأمراض ، وبذلك استقرت وحدة الولايات المتحدة وصارت أمة واحدة ودولة واحدة ، ولم يقل أحد من سكان الجنوب أن تجريد الولايات الشمالية جيوشها على الولايات الجنوبية قد أذلها واستثار فيها نزعة الانفصال ، بل بالعكس كانت هذه الحروب تأييداً وتدعماً للوحدة الأمريكية ، على ما كان بين الولايات الشمالية والجنوبية من الفوارق فى الطبيعة والمناخ والأخلاق والعادات ، والآن لا يفكر أحد من سكان الجنوب فى تسوية نزعة الانفصال التى جاشت بها وقتاً ما نفوس أسلافهم ، ولا يلوم أحد منهم حكومة الاتحاد على حرب كان الغرض منها تأييد الوحدة القومية التى هى أساس عظمة الولايات المتحدة

فما يثيره بعض دعاة الانفصال من اتخاذ فتح السودان الأول ثم الثانى ذريعة لبث دعائهم ندحضه الشواهد التاريخية والنوابع الطبيعية ، وهم بهذه الدعاية إنما

يعملون بقصد أو بغير قصد على فصم عرى الوحدة بين مصر والسودان ، والتمكين  
للطماع الاستعمارية من تحقيق أغراضها في وادي النيل ، والحقيقة التي تخلص لك  
من تتبع الحوادث قديمها وحديثها أن لا أمن ولا استقلال لسكان الشمال  
والجنوب من أبناء وادي النيل إلا في ظل وحدة هذا الوادي العظيم

اعتزم محمد علي إذن تجريد الحملة على السودان عقب انتهائه من حرب الوهايين ،  
وهذا يدل على قوة إرادته ومضاء عزمته ودأبه على توسيع ملك مصر ، فإنه  
لم يكذب ينهي من تلك الحرب الشاقة ويبسط نفوذ مصر على جزيرة العرب حتى  
يأدر إلى خوض غمار حرب أخرى أعظم غاية ، وأكثر منفعة ، وأعود بالخير  
والرفاهية على مصر والسودان وعلى الحضارة والإنسانية ، كانت حرب السودان  
على كثرة ضحاياها أقل مشقة وأقصر مدة من حرب الوهايين ، فقد كان  
الجيش المصري يواجه في جزيرة العرب قوماً مدربين على القتال ، اشتهروا بشدة  
البأس وعاشوا للكر والفر ، وهم فوق ذلك معتزون بانتصاراتهم على الحملات  
العثمانية من قبل ، أما الجيش الذي تحرك لفتح السودان فلم يلق أمامه سوى  
قوات مشتتة عزلاء لا سلاح معها إلا الرماح وما إليها من الأسلحة البائدة ،  
وهي تجهل أساليب القتال وفنونه ، ولم يلق الجيش المصري مقاومة تذكر إلا في  
بلاد الشايقية وهم قبائل يسكنون جنوبي دنقلة ، وفي كردفان التي كانت تابعة لسلطنة  
دارفور ، وفي مملكة سنار ، والعقبة السكوود التي اعترضت الجيش المصري في  
فتح السودان هي الحميات والأمراض الوبائية التي حصدت طوائف الجنود ، فكانت  
أشد خطراً على الجيش من القتال وخوض المعارك

#### مقدمات الحملة

لجأ بقية المماليك بعد مذبحه القاعة إلى جنوبي النوبة فيما يلي شلال أسوان ،  
واتخذوا مديرية دنقلة معقلاً لهم ، فأوفد محمد علي اليهم بعض حاشيته تدعوهم إلى  
العودة إلى مصر والإقامة فيها على شروط أهمها ألا يتوطنوا المدن المصرية إلا

ياذن منه وأن يحضروا العاصمة يخفونهم بعض ضباطه حتى لا ينهبوا شيئاً من القرى والبلاد التي يمرون بها في طريقهم إلى القاهرة . وأن يتنازلوا عن امتيازاتهم القديمة ولا يطالبوا بما أخذ منهم بعد مذبحه القلعة

كان محمد علي يدرك أن المماليك لا يقبلون هذه الشروط المهينة المذلة ، وبذلك يجد الموسوع لتجريد الحملة للقضاء عليهم ، وقد رفضوا فعلاً قبولها ، وأخذوا يتوعدون بالدخول في حدود مصر ، فلما جاء جوابهم محمد علي أمر من فوره بمحشد جيش في مصر القديمة لفتح النوبة ودنقله وعقد لواءه لثالث أنجاله اسماعيل باشا وقبل أن يأمر بالزحف ذهب بنفسه الى حدود مصر العليا في سبتمبر سنة ١٨١٩ يصبحه حسن باشا قائد الجنود الارناؤود ومحمد لاط اوغلي ( ككتخدابك ) ووصل الى ماوراء شلال اسوان ليرتاد تلك الجهات ويرتب مواقع جنوده ويرسم خطط الزحف ، ثم عاد الى الجيزة في ١٥ نوفمبر سنة ١٨١٩ وأخذ يتم معدات الحملة التي أعدها لفتح السودان

#### معدات الحملة

تألف الحملة عند بدء الزحف من ٤٠٠٠ مقاتل كما أحصاهم المسيو فرديريك كايو العالم الفرنسي الذي صحب الحملة ، وقد تلقى هذا الإحصاء من عابدين بك رئيس أركان حرب اسماعيل باشا ، من هؤلاء ١٢٠٠ من الفرسان العثمانيين ، و ٤٠٠ من فرسان العرب والمغاربة ، و ٦٠٠ من المشاة ، و ٣٠٠ من رجال المدفعية ، و ٨٠٠ من المشاة العرب والمغاربة ، و ٧٠٠ من عرب العباودة ، فيكون مجموعهم ٤٠٠٠<sup>(١)</sup> ثم تلقى اسماعيل باشا خلال الزحف مدداً من ١٤٠٠ مقاتل فبلغ الجيش ٥٤٠٠ مجهزين بأربعة وعشرين مدفعاً

(١) فرديريك كايو ، رحلة في مروى والنيل الأبيض وفازوغلي جزء ٢ ص ٥٠

وأنفذ محمد علي جيشا آخر بقيادة صهره محمد بك الدفتردار لفتح كردفان بلغ عدده ٤٠٠٠ جندي مجيزين بعشرة مدافع ، فيكون بمجموع الجيشين اللذين توليا فتح السودان نحو عشرة آلاف مقاتل

وصحب الحملة ثلاثة من العلماء مهمتهم دعوة الأهلين في البلاد التي يبلغها الجيش إلى الدخول في الطاعة والاعتراف بساطة الحكومة المصرية حقنا للدماء ، وهوؤلاء العلماء هم الشيخ محمد الاسيوطي الحنفي ، والسيد أحمد البقلي الشافعي ، والشيخ السلاوي المغربي

وصحب الحملة أيضا بعد فتح دنقلة ، المسيو فرديك كايو Cailliaud المتقدم ذكره بقصد الاكتشاف والبحث عن مناجم الذهب ، وله في رحلته بالسودان كتاب ضخيم يعد من أهم مراجع فتح السودان (١)

احتشد الجيش في مصر القديمة حيث أعد محمد علي باشا ثلاثة آلاف مركب لنقل الجنود والمهمات والذخائر والمؤن بطريق النيل ، وأمر بإعداد نحو ثلاثة آلاف من الإبل في (إسنا) للسير منها برا ، وسار في خدمة الحملة ألفان من الأتباع

### وقائع الحملة

ركب الجنود المشاة المراكب فأنحدروا في النيل ، وسار الفرسان ورجال المدفعية بالبر الغربي ، وتقدمت الجيش طليعة مؤلفة من خمسمائة من الفرسان ، وتحركت الحملة قاصدة حدود دنقلة

وتحرك اسماعيل باشا وحاشيته في ٢٠ يولييه سنة ١٨٢٠ بعد سفر الحملة يومين فبلغوا أسوان ، والتقوا فيها ببقية الجنود الذين سبقوهم إليها ، فأقاموا بهارثما يجتاز

---

(١) رحلة روي والنيل الأبيض وفازو على المسيو فرديك كايو في خمسة أجزاء

المراكب الشلال الأول . ثم تقدموا جنوبا ، ففر المماليك الذين كانوا بالدر . ودانت البلاد لاسماعيل باشا

### فتح دنقلة

سارت الحملة من اسوان إلى ( وادي حلفا ) على ظهور المراكب ، أما الفرسان فقطعوا المسافة برا في اثني عشر يوما (١) وأقامت الحملة في ( وادي حلفا ) نحو عشرين يوما حتى اجتازت المراكب الشلال الثاني ثم زحفت على مديرية دنقلة فسارت من وادي حلفا إلى ( سكوت ) ، ومن سكوت إلى ( دنقلة ) ، ولم تلق مقاومة تذكر من المماليك ، فقد استسلم بعضهم ، ورحل البعض إلى ( شندي ) يريدون الالتجاء إلى ملكها ، ولكنه لم يقبل إيوامهم ، فنشبتوا بين القبائل السودانية وسلبهم السودانيون أسلحتهم حتى انقطع دابرتهم وقضى على البقية الباقية من المماليك وسلمت البلاد التي مر بها الجيش كسكوت و ( المحس ) و ( ارقو ) ، فقدم أهلها وحكامها الطاعة ، وكانوا يظنون أن الجيش المصري راجع إلى مصر بعد تشتيت شمل المماليك إذ كان ظهم انه جاء لمحاربتهم ، فلم يعدوا لمقاومته فاتهنز هذه الفرصة واحتل بلاد دنقلة كلها

معركة كورتى ( ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ )

ولما دخل الجيش بلاد ( الشايقية ) جنوب دنقلة تجمعوا لقتال اسماعيل باشا بالقرب من ( كورتى ) الواقعة بالشاطىء الغربى للنيل ، ولم يكن معه من الجنود سوى ٨٠٠ فارس ، اما بقية الحملة فقد أبطأ قدومها لتأخر المراكب في اجتياز الشلالات ، فانقض الشايقية على رهط من رجاله وقتلوا منهم ٧٥ مقاتلا ، فاشتبك اسماعيل والشايقية في معركة دامت ثلاث ساعات ( ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٠ ) انتهت بهزيمة الشايقية حيث فتكت بهم نيران البنادق فقتل منهم نحو ٨٠٠ وقتل من جنود

اسماعيل باشا نحو الثلاثين ، وقد أبدى الشايقية بساله كبرى في قتالهم ، فأعجب بهم اسماعيل باشا ، وعرض عليهم بعد انتهاء القتال أن ينتظموا في سلك الجيش المصرى ، فاستجابوا إلى طلبه ، وبذلوا ولاءهم للحكم المصرى وظلوا محافظين على عهدهم على مدى السنين

ثم تقدم اسماعيل بعد المعركة وبلغ (كورن) عاصمة الشايقية من أعمال مديرية دنقلة فأحرقها ، وانتظر بهاريثما تكامل جيشه ثم استأنف الزحف في ٢١ فبراير سنة ١٨٢١<sup>(١)</sup> مجتازا صحراء (بسيوضه) يصحبه الفرسان حتى بلغ النيل تجاه (بربر) وكانت الرحلة إليها شاقة منهكة للقوى احتمال فيها الجند متاعب مضنية ، أما المشاة فقد ساروا حذاء النيل

### من بربر إلى أم درمان

فتح الجيش المصرى (بربر) في ١٠ مارس سنة ١٨٢١ ، وقدم ملسكها نصر الدين خضوعه ، فأقره اسماعيل على بلده ، ثم (شندى) يوم ٨ بعد أن قدم ملسكها الملك (نمر) ولاءه ، وتابع الجيش زحفه جنوبا إلى أن بلغ (حلفايه) الواقعة على مقربة من ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض فاحتلها ، ثم احتل (أم درمان) الواقعة على النيل الأبيض ، واجتاز الجنود النيل فبلغوا مكان مدينة الخرطوم (٢) التي كانت قبل الفتح محلة صغيرة لا تحتوى أكثر من عشرة بيوت من الغاب ، ثم أنشئت بها مدينة (الخرطوم) التي صارت عاصمة السودان ومبعث الحضارة والعمران في أنحاء

(١) كابو جزء ٢ ص ٧٦

(٢) على بعد نحو ١٨٠٠ كيلو متر من أسوان مع حسابان تعاريج النيل

وبعد أن وطد اسماعيل مركزه في الخرطوم ترك بها خامية عسكرية وسار  
بباقى جيشه لإتمام فتح مملكة سنار (١)

### فتح سنار

ففتح مملكة (سنار) واحتل (ود مدني) من أهم مدنها ، وقدم ملكها الملك  
نادي ولاه ، ثم دخل اسماعيل (سنار) عاصمة المملكة في ١٢ يونيه سنة ١٨٢١ (٢)  
ودانت البلاد للحكم المصري من جنوبي وادي حلفا إلى سنار

### فتح كردفان

قلنا إن محمد علي عهد إلى صهره محمد بك الدفتردار فتح كردفان ، وكانت تلك  
البلاد تابعة لسلطان دارفور ، فبينما كان اسماعيل باشا يزحف على سنار سار جيش  
الدفتردار الى وجهته بطريق دنقلة وأبي قس ، وكانت الرحلة إلى كردفان شاقة  
مهلكة للجنود لأنهم ساروا سبعة أيام متوالية يقطعون الفيافي في صحراء لاماء  
فيها ولا زرع

والتقى الدفتردار بجيش نائب السلطان محمد الفضل سلطان دارفور فاشتبك  
الفريقان في واقعة موية ببلدة (باره) شمالي الأبيض (ابريل سنة ١٨٢١) انتهت  
بانتصار جيش الدفتردار واحتلال (الأبيض) عاصمة كردفان

كانت معركة (باره) أشد معركة خاضها الجيش المصري في الفتح الأول ، وقد  
أبدى فيها جيش كردفان شجاعة كبيرة ، ولسكن مدافع الجيش المصري غلبتهم على أمرهم  
وحاول سلطان دارفور بعد المعركة أن يسترد كردفان وأغار عليها لسكنه عاد خانبا

(١) كانت مملكة سنار تمتد من ربر شمالا الى فازوغلي جنوبا

(٢) كايو الجزء الثاني ص ٣٣٠

### فتك الأمراض بالجنود

اعترض الجيش المصرى فى فتح السودان خصم لدود أشد وطأة من الحرب وأهوالها ، وهو فتك الأمراض وانتشارها ، وخاصة أمراض المناطق الحارة ، ولم يكن يصعب الحملة إلا قليل من الأطباء خالين من الكفاءة ففتسكت الأمراض بالجنود واجتاحت عدداً عظيماً منهم

قال المسيو كايو الذى صحب الحملة فى سنار (١) ان الجيش الذى سار به اسماعيل باشا لفتح البلاد الواقعة على النيل الأزرق مات منه لغاية سبتمبر سنة ١٨٢١ ستائة مقاتل ، ثم زاد عددهم إلى ١٥٠٠ فى أكتوبر (٢) وبلغ عدد مرضاه ٢٠٠٠ مريض ، وكان عدد المرضى يزداد كل يوم ، ولما ساءت حالة الجيش من هذه الناحية أرسل اسماعيل إلى أبيه يشكو إليه سوء الحال ، قال وكانت حالة الجنود من جهة المأكل والملبس وقلة العناية بهم تدعو إلى الإشفاق ، فقد كانوا يأكلون نوعاً رديئاً من الذرة يضر بصحتهم ، ثم ان ملابسهم بليت فلم يجدوا ما يقيهم جو تلك الأصقاع ورطوبتها وكثرة أمطارها ، وكانوا إذا ناموا يفترشون الأرض فتصيدهم رطوبتها ، ولم يكن بالجيش أطباء ولا أدوية ، فكثر عدد المرضى وفشت العدوى واشتدت وطأة الأمراض بالجنود فى سنار حتى لم يبق لدى اسماعيل باشا من العسكر الصالحين للخدمة سوى خمسمائة ، وتبرم الجند هذه الحالة وظهرت بين الأهلىين بوادر الانتفاض وراجت الإشاعات السيئة عن حالة الجيش فى سنار وكردفان ، فأخذ اسماعيل باشا يبنى الجنود بأن مراكب المؤونة والعتاد قادمة عن قريب من جهة شندي

بجىء ابراهيم باشا ثم عودته

بقى اسماعيل باشا متوقفاً عن الزحف قلقاً على مصير جيشه إلى أن جاءه إبراهيم

(١) رحلة كايو جزء ٢ ص ٣١٣

(٢) د د د ٢ ص ٣١٧



باشا بطل الحجاز<sup>(١)</sup> يصحبه بعض الأطباء لمكافحة الأمراض ومعه المؤونة والملابس للجنود، فانعش الجيش لقدمه، ودبت فيه روح الأمل والشجاعة، ولا غرو فإن قدوم بطل الحجاز وقاهر الوهابيين جدير بأن يرد إلى الجنود قوتهم المعنوية، وقد وزع المؤونة والملابس على الجنود ودفع لهم رواتبهم المتأخرة وجاء على أثره مدد من الجند

وأخذ إبراهيم باشا يدبر مع أخيه اسماعيل خطة فتح ما بقى من السودان، فاتفقا على اقتسام الزحف كل منهما في ناحية وتوزيع الجيش إلى فرقتين، فرقة بقيادة اسماعيل باشا لفتح البلاد الواقعة على النيل الأزرق لغاية إقليم فازوغلى<sup>(٢)</sup> والأخرى بقيادة إبراهيم باشا ليخترق جزيرة سنار إلى بلاد الدنكا على النيل الأبيض ويمد فتوحات مصر إلى أعلى النيل

### فتح فازوغلى

وبعد أن تمت معدات الزحف تركا حامية من الجنود في سنار واتخذ كل من الأميرين سبيله في الجهة التي اعتزم فتحها، وسكن إبراهيم باشا مرض بالدوننتاريا أثناء الفتح، ولم يتجاوز في حملته جبل (القربين) في وسط الجزيرة، ثم عاد إلى سنار، ومنها إلى مصر

ووصل اسماعيل باشا في زحفه إلى بلاد (فازوغلى) فداننت له (يناير سنة

---

(١) يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٢١ كما يقول كايو جزء ٢ ص ٣١٨  
(٢) سمي باسم الجبل المعروف بجبل فازوغلى جنوبي سنار ويقع على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق ويمتد حذاء النهر إلى بلدة فامكة التي أسسها محمد علي واتخذها عاصمة مديرية فازوغلى، أما عاصمتها القديمة قبيل الفتح فهي قرية صغيرة تدعى (فازوغلى)

(١٨٢٤) وقدم له ملكها (الملك حسن) ولاءه وخضوعه

وقد تسكبد الجيش متاعب هائلة في تلك الحملات البعيدة ، ونالت منه الجهود والأوصاب ، وبعث اسماعيل إلى أبيه يطلب الإذن له بالعودة إلى مصر ، ولكنه أرسل يلومه على هذا الطلب وكلفه البقاء في السودان إلى أن يتم مهمته ، وقد أذعن وبقي زمنا يوطد دعائم السيادة المصرية في تلك الأصفاح ، ثم أشفق محمد علي على صحة ابنه فأرسل يأذن له بالرجوع إلى مصر والسكن هذا الإذن لم ينجح من الردى

### البحث عن مناجم الذهب

وبعد أن فتح اسماعيل باشا بلاد فازوغلي سار إلى جبل ( بنى شنقول ) جنوبي فازوغلي للبحث عن مناجم الذهب . يصحبه المسيو كايو ، فحفر أماكن عدة ، لكنه لم يعثر على ضالته ولم يكتشف إلا شذورا قليلة من التبر ، فقبل راجعا إلى سنار

وفي غيبته طارت اشاعات السوء عن جيشه ، وأرجف المرجفون أن قد أحيط به وبرجاله فبدت بوادر التمرد في بعض البلاد ، وقتل بعض الضباط في القرى ، فاضطر اسماعيل أن يعود إلى سنار أيوطد سلطته بها ( فبراير سنة ١٨٢٢ )

وفشت الحميات بين الجنود في ( سنار ) لكثرة هطول الأمطار ، فانتقل بجنده إلى ( ودمدني ) لاعتدال مناخها ، وبنى بها قشلاقا كبيرا من الطوب ببيت آثاره إلى عصرنا الحاضر

### مقتل اسماعيل باشا

مكث اسماعيل زمنا في سنار يدبر أمر الحكومة التي أسسها ، ثم أرسل أفواجا

من الأسرى السودانين يصحبهم رهط من الجنود إلى اسوان لتجنيدهم في الجيش  
المصري النظامي الذي كان محمد علي جاداً في تأسيسه ، واستعد هو أيضاً للعودة إلى  
مصر مصعداً في النيل

وعلم في غضون ذلك أن أهالي حلفاية وشندى وما حولها ثاروا في وجه السلطة  
المصرية ، وكانت مساوى الجنود وخاصة الأرنامود من أسباب هياج الأهاليين  
وثورتهم ، فاحتشد الثوار حول حلفاية وشندى وهجموا على قوافل الأرقاء السودانين  
وانزعوم من أيدي الجنود الموكلين بهم ، ورجعوا إلى شندى فرحين بهذا النصر المبين  
علم اسماعيل باشا بهذا النبأ ، فقام من فوره قاصداً ( شندى ) ومعه بقية  
الجيش ، وكان الملك ( نمر ) ملك شندى هو المدير لهذه الثورة ، فجاء اسماعيل  
المدينة بجأة في أواخر أكتوبر سنة ١٨٢٢ ، وأمر بإحضار ملك شندى أمامه ،  
فلما مثل بين يديه أخذ يقرعه ويسرف في تأنيبه ، ثم تهادى فلطمه على وجهه  
( بالشبك ) ، فلم يجب الملك على هذه الإهانة البالغة ، ولسكنه أسرها في نفسه  
وعزم على أن يغسلها بانتقام ذريع

أما اسماعيل باشا فقد عفا عنه مقابل غرامة مالية جسيمة يوفىها في خمسة أيام  
وألف من الرقيق ، فأظهر الملك نمر الإذعان وقبل أن يحمّل الغرامة ، ثم دعا  
اسماعيل باشا وبطانته إلى وليمة في قصره بشندى ، وكان من القش ، فأجابوا الدعوة  
وذهبوا إلى القصر واستووا فيه ، ورحب بهم الملك ترحيباً عظيماً ، وأمر أعوانه  
أن يجمعوا ما استطاعوا من الحطب والقش والتبن حول القصر بحجة العلف لخيل  
الباشا ، ولم يدر بخلد الضيوف أن ثمة مؤامرة رهيبية تدبر لهم ، فلما فرغوا من  
طعامهم وأكثروا من شراب ( المريسة ) أخذوا يتأهبون للعودة إلى معسكرهم ،  
فإذا النار قد طارت في أكوام الحطب والقش المحيطة بالقصر ، وإذا هي قد عمّتها  
واندلت فيما حولها ، فجعلت القصر شعلة من الجحيم ، وحصرت النيران اسماعيل  
باشا وحاشيته فلم يستطيعوا الإفلات من هذا الحصار الجهنمي لهول النار المشتعلة

ولإحاطة جنود الملك بهم يرمونهم بالنبل والسهام من كل ناحية ، فسُدَّت المسالك  
في وجوههم حتى ماتوا عن آخرهم ، ولم يستطع الجنود نجاتهم إذ كانوا في معسكرهم  
بعيسدين عن مكان المأساة ، ولما وقعت الكارثة انقض عليهم رجال الملك نمر  
فقتلوا بهم ، ولم ينج منهم إلا من هرب به العمر

كانت هذه النازلة كارثة كبرى أثرت تأثيراً سيئاً في مركز الجيش المصري ،  
وتصدعت لها هيئته ، فإن مقتل قائد الجيش بهذه الطريقة الجهنمية من شأنه أن  
يبعث اليأس والرعب في نفوس الجنود

فلما بلغ الخبر محمد علي باشا<sup>(١)</sup> حزن حزناً شديداً لقتل ابنه اسماعيل وخاصة  
بعد أن فقد منذ أعوام معدودة ابنه طوسون ، على أنه تلقى المصيبة بالجلد والصبر  
واعترزم المضي في سبيله

وكان محمد بك الدفتردار وقت هذه الكارثة في كردفان ، فلما جاءه نبؤها بادر  
من فوره بالزحف على شندى للتأر والتنكيل بمن اشتركوا في الواقعة ، وقد خرب  
شندى ، وأسرف في التنكيل والقسوة بما جعله مضرب الأمثال في الميل إلى القتل  
وسفك الدماء ، وقتل آلافاً من الناس ليثأر لصهره ، وسبي من الصبيان والنساء  
آلافاً أخرى أرسلهم إلى القاهرة ، وتعقب الملك نمر لسكنه لم يدركه لفراره إلى  
حدود الحبشة

### ما ذكره الجبرتي عن فتح السودان

دوّن الجبرتي في كتابه حوادث مصر لغاية سنة ١٨٢١ ، أي أنه أدرك ابتداء  
فتح السودان ، وذكّر عنه شذرات متفرقة خلال يومياته ، تناول فيها الكلام

---

(١) علم به في ٥ ديسمبر سنة ١٨٢٢ كما ذكر ذلك مانجان جزء ٢ ص ٢٥٢ ، ويقول  
ان اسماعيل باشا لم يمت حرقاً بل قتلًا وروايته لا تتفق مع معظم المراجع

عن مقدمات الحملة وبعض وقائعها ، وانتهى إلى ذكر فتح سنار ، وقد رأينا تقديرا لهذا المرجع التاريخي القومي الجليل أن نورد هنا ما ذكره في هذا الصدد قال في حوادث ذى الحجة سنة ١٢٣٤ ( سبتمبر سنة ١٨٩١ ) ما يأتي :

« وفي منتصفه سافر الباشا ( محمد علي ) إلى الصعيد ، وسافر صحبته حسن باشا طاهر ومحمد أغا لآظ ( لآظ أرغلي ) المنفصل عن الكتخدائية ، وحسن أغا ازرجاني وغيرهم من أعيان الدولة ،

وهذه هي الرحلة التي سافر إليها محمد علي باشا قبل فتح السودان ليرتاد حدود مصر ويرسم الخطط للزحف على النوبة ودنقلة  
وقال في حوادث محرم سنة ١٢٣٥ :

« وفي ٢٧ ( ١٥ نوفمبر سنة ١٨١٩ ) حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل في سرحته إلى الشلال ، وكان الناس تقولوا على ذهابه إلى قبلي أقاويل ، منها أنه يريد التجريد على بواقي المصريين ( المماليك ) المتقطعين بدنقلة ، فإنهم استفحل أمرهم ، واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البسارود والمدافع وغير ذلك ، ومنها أنه يريد التجريد أيضا وأخذ بلاد دارفور والنوبة ويهد طريق الوصول إليها ، ومنها أنهم قالوا أنه ظر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد ، وأن ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه ، وبطل كل ماتوهموه وخمنوه برجوعه ،

فالجبرتي في هذه النذرة يذكر عودة محمد علي من رحلته إلى أسوان ، ويذكر أقاويل الناس في البواعث لهذه الرحلة ، ومنها ( أخذ بلاد دارفور والنوبة ) أي فتح السودان ، والبحث عن مناجم الذهب ، والمعادن الأخرى ، ثم يقول أن ماتوهمه الناس وخمنوه بطل برجوعه ، والواقع أن الجبرتي كان واحما فيما يقول ، فإن محمد علي إنما رجع لتجهيز الحملة على السودان ، وأن ماتوهمه الناس كان صحيحا  
ثم قال في حوادث ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ ( يناير سنة ١٨٢٠ ) : « في أوله

عزل الباشا محمد بك الدفتردار عن إمارة الصعيد وقد عوضه أحمد باشا بن طاهر باشا وسافر في خامسه ،

ويلاحظ لنا أن لهذا النبأ علاقة بفتح السودان ، لأن محمد علي فصل الدفتردار عن حكم الصعيد لينضم إلى الحملة ويعاون اسماعيل باشا في فتح السودان وقال عن تعيين اسماعيل بن محمد علي لقيادة الحملة وتجهيز معداتها :

د وفيه ( جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ - فبراير سنة ١٨٢٠ ) قوى عزم الباشا على الإغارة على السودان ، فن قائل ، إنه متوجه إلى سنار ، ومن قائل إلى دارفور ، وصارى العسكر ( القائد العام ) ابنه اسماعيل باشا وخلافه ، ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهة القبليية ، وعمل بالقسماط والذخيرة ببلاد قبلي والشرقية ، واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضا يا حضا مشايخ العربان والقبائل ،

نقول واستدعاء المشايخ والقبائل كان الغرض منه تجنيد العربان في الحملة ، ومن المعلوم أنها كانت تضم في صفوفها كثيرا من فرسان العرب المصريين كما ذكرناه آنفا

وقال في حوادث رجب سنة ١٢٣٥ ( أبريل سنة ١٨٢٠ ) : د وفي عشرينه سافر محمد أغا لاط ( لاط أوغلي ) وهو المنفصل عن السكتخدائية إلى قبلي ، بمعنى أنه في مقدمة الجردة يتقدمها إلى الشلال ،

ثم قال في حوادث رمضان ١٢٣٥ ( يونيه سنة ١٨٢٠ ) : د واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين والاهتمام حاصل ، وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين إلى بلاد السودان ، ومن جملة الطلب ثلاثة من طلبية العلم يذهبون صحبة التجريدة ، فوقع الاختيار على محمد افندي الأسيوطى قاضى أسيوط ، والسيد أحمد البقلي الشافعيين والشيخ أحمد السلاوى المغربى المسمى ،

وقال عن تشييت شمل الممالك في دنقلة وتسليم بعضهم :

د وفي هذا الشهر ( شوال سنة ١٢٣٥ - يوليه سنة ١٨٢٠ ) حضرت طائفة من بواقى الأمراء المصريين ( الممالك ) من دنقلة إلى بر الجيزة ، وهم نحو الخمسة

وعشرين شخصاً وملا بسهم قصان يرض لاغير . فأقاموا في خيمة ينتظرون الإذن وقد تقدم الإرسال بطلب الأمان عنا ما بلغهم خروج التجاريد ، وحضر ابن علي بك أيوب وطلب أماناً لأبيه ، فأجيبوا إلى ذلك وأرسل لهم أماناً لاجمعهم ماعدا عبد الرحمن بك الذي يقال له المنفوخ ، فلا يعطيهم أماناً ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلي بك أيوب وتأهب للرحيل حقدوا عليه ( أي المماليك ) وقتلوه ،

وقال أيضاً في هذا الصدد : « وفي أوائل ربيع الأول سنة ١٢٣٦ ( ديسمبر سنة ١٨٢٠ ) حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية ( المماليك ) البواقى في حالة رثة وضعف وضمير واحتياج ، وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان فأجيبوا لذلك ، وقال : « وفي أواخر رجب سنة ١٢٣٦ ( أبريل سنة ١٨٢١ ) حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة سناجق أحدهم أحمد بك الألفى زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير ،

وقال عن سفر اسماعيل باشا قائد الحملة ومحمد بك الدفتردار ثم إبراهيم باشا : « وفيه ( ذى القعدة سنة ١٢٣٥ — أغسطس سنة ١٨٢٠ ) سافر اسماعيل باشا إلى جهة قبلى ، وهو أمير العسكر المعين لبلاد النوبة ، كل ذلك والباشا الكبير ( محمد على باشا ) على حاله بالإسكندرية ،

« وفي ١٧ رجب سنة ١٢٣٦ ( أبريل سنة ١٨٢١ ) ارتحل محمد بك الدفتردار مسافراً إلى دارفور ببلاد السودان بعد أن تقدم طوائف كثيرة عساكر أتراك ومغاربة ،

وذكر عن سفر إبراهيم باشا في حوادث ذى القعدة سنة ١٢٣٦ ( أغسطس سنة ١٨٢١ ) :

« وبعد سفر الباشا إلى الإسكندرية سافر أيضاً إبراهيم باشا إلى ناحية قبلى قاصداً بلاد النوبة ،

وقال عن وقائع الحملة :

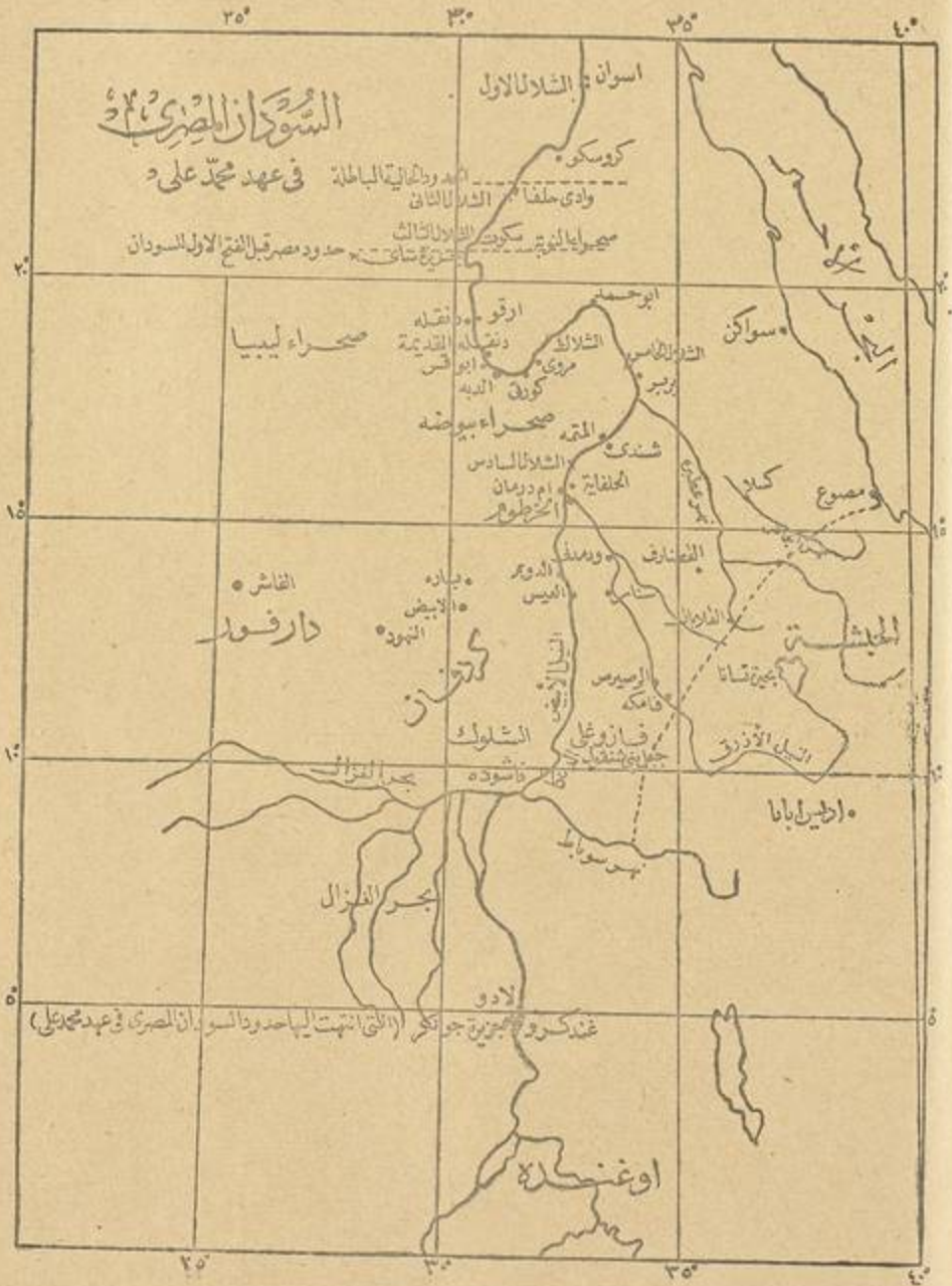
« واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٦ (٣٠ أغسطس سنة ١٨٢١) وفيه خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤسائهم وفيهم محو بك ومغاربة وآلات الحرب كالدفاع وجبجانات البارود واللغمجية وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان ، وفيه سافر محمد كمتخدا لاظ (لاظ أوغلي) المنفصل عن السكتخدائية إلى اسنا ليتاقى القادمين ويشيع الزاهين ، وفيه وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة ، فضرت لتلك الأخبار مدافع من القلعة ،

### نظام الحكم في السودان

جعل محمد علي باشا على السودان حاكما يسمى ( حاكم دار السودان ) يجمع في يده السلطة العسكرية والمدنية ويرجع في إدارته إلى ديوان ( وزارة ) الداخلية بمصر ، ولبعد المسافة بين البلدين وصعوبة المواصلات كان لحاكم دار السودان سلطة مطلقة في إدارته ، وجعلت مدينة الخرطوم التي انشئت في عهده عاصمة السودان ومقر الحاكم العام ؛ ومع الزمن قسمت البلاد إلى مديريات لسكل منها مدير يحكمها تحت إدارة حاكم دار السودان ويتولى قيادة الجند فيها ، وقسمت المديريات إلى أقسام لسكل قسم ناظر ، وكانت الإدارة تتبع نظام الإدارة المصرية ، وصار عدد المديريات في أواخر عهد محمد علي سبعة ، وهي دنقلة ، وبربر ، والخرطوم ؛ وكردفان ، وكسله ، وسنار ، وفازوغلي

وجعل لسكل مدير وكيل ، ومعاونين وكتابا ، وبجانبه القاضى والمفتى ومجلس أهلى وضبطية ، وأبقى حكام البلاد الأقدمين من الأهلين في مراكزهم كشايخ النوبة ودنقلة وبربر والحلفاية والرصيرص وفازوغلي ، وملك سنار وكان المديرون ومن اليهم من الموظفين تحت رقابة الحاكم العام ) ، وما لاذاع فيه أن كثيرا من أولئك الموظفين كانوا ينزعون إلى الظلم والعسف ،





كما أدى إلى تبرم الأهلين ، وقد ظهر عسفهم على الأخص في حمايتهم لتجار الرقيق الذين كانوا ينتزعون الأهلين من قراهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة

### الجيش المصرى بالسودان

يقول المسيو دارنو المهندس الفرنسى الذى أقام بالسودان من سنة ١٨٣٨ إلى سنة ١٨٤٢ ان الجيش المصرى المرابط هناك كان يبلغ ( سنة ١٨٣٨ ) ٦٨٠٠ جندى ، منهم ٦٠٠ من الجنود النظامية يتألف منهم الايان ، و ٤٠٠ من الشايقية من سكان البلاد المعروفة باسمهم و ٤٠٠ من المغاربة

وقد زاد بعد تلك السنة حتى بلغ ١٨٠٠٠ إحصاؤهم كما يأتى :

١٦٠٠٠ خمس أليات من الجنود النظامية المصرية

١٠٠٠ فرسان من الترك

٤٠٠ مغاربة

٤٠٠ شايقية من أهل البلاد

٢٠٠ مدفعية

١٨٠٠٠ المجموع

ويقول الدكتور بيرون Bignon ان الجيش المرابط بالسودان سنة ١٨٤٣ بلغ خمس الايات ، كل الاى مؤلف من ٣٠٠٠ مقاتل ، أى أن عددهم ١٥٠٠٠ ، وهو قريب من إحصاء المسيو دارنو

وكانت وحدات الجيش المصرى موزعة على العواصم والمدن المهمة مثل الخرطوم والأبيض وبارة وود مدنى وسنار وكسلا

وقد دخل فى هذا الجيش عدد كبير من السودانيين أخذ يزداد مع الزمن ، وأثبتت التجارب كفايتهم وولاءهم وحسن ادايتهم للخدمة العسكرية ، وصار السودانيين

ينظمون في الجيش المصرى كالمصريين ، تظلمهم راية واحدة هي الراية المصرية ،  
ويدينون بالولاء لدولة واحدة هي الدولة المصرية

### حكمدارو السودان في عهد محمد على

بقى محمد بك الدفتردار بعد مقتل اسماعيل باشا يتولى حكم السودان ، إلى أن  
جاءه الأمر فرجع إلى مصر ، وتعاقب بعده الحكمدارون الذين عهد إليهم محمد على  
حكم تلك البلاد ، واستمر ولاية السودان ( الحكمدارون ) في عهده وعهد خلفائه  
يتولون حكمه على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ من مصر إلى أن فصلته عنها السياسة الاستعمارية  
الانجليزية سنة ١٨٨٤ بعد شبوب الثورة المهديّة

### عثمان بك

ففي سنة ١٨٢٣<sup>(١)</sup> جعل لأمير الاي عثمان بك حكمداراً للسودان ولم يكن عهده  
عهد اصلاح وعمران ، فانه عسف الأهلين بما فرضه عليهم من الضرائب الفادحة ،  
وجرد عليهم الجنود لجبايتها ، فأسرفوا في القسوة والقتل والتنكيل ، أدى إلى هجرة  
الكثير من الأهلين ونقص عدد السكان ، ومات عثمان بك قبل أن تمضى على ولايته  
سنتان فكان عهده وعهد الدفتردار من أسوأ أزمنة الحكم في السودان

### محو بك

وأقيم في مكانه محو بك ، فكان عادلاً رحيمًا ، أحسن السيرة بين الأهلين ، وكف

(١) اعتمدنا في بيان هذه السنة على ما ذكره اللواء المصرى محمد مختار باشا في كتابه  
التوقيعات الالهامية ص ٦١٩ مع مقارنته بما ورد في الوقائع المصرية ، عدد ١٢

اعتداه الجنود عليهم ، وحبب فيه مشايخ البلاد وأهلها بما اشتهر عنه من العدل ،  
وبنى بالخرطوم ثكنة لإقامة الجنود ، واحتقر في الطرق البعيدة عن النيل آبارا  
يستقى منها الناس والقوافل تعرف إلى عصرنا الحاضر بآبار محو بك (١)

### خورشيد باشا

هو أعظم ولاية السودان شأنًا ، وأنبههم ذكرًا ، وأحسنهم سيرة ، وأطولهم ،  
عهدًا ، خلف محوبك في ولاية السودان سنة ١٨٢٦ ، فسار سيرة عدل واستقامه وعنى  
باصلاح ما أفسده الدفتردار وعثمان بك ، فبذل همه في تعمير البلاد وتأمين الأهالي  
على أموالهم وأرواحهم ، وأذاع منشورا بالأمان إلى الفارين الذين هاجروا إلى  
دارفور وجبال النوبة ، فعادوا واطمأن الأهلون إلى حكمه ، وعمر مدينة الخرطوم  
كما سيحىء بيانه ، وهو الذى أدخل في السودان صناعة بناء الدور بالطوب بعد أن  
كان الأهالي يقيمونها بالخشب والجلود ، وقد أمدهم بالطوب والأخشاب والألواح تيسيرا  
عليهم وترغيبا لهم في العمران ، ونظم الدواوين ، ووطد الأمن في البلاد وانشأ  
مسجدا في الخرطوم وآخر في سنار ، وعنى بالزراعة ، وطلب من محمد على مساعدته  
في أسبائها ، فأرسل إليه طائفة من المزارعين المصريين منهم بعض مشايخ البلاد وبعض  
( الخولة ) لتمرين الأهالي على الزراعة

وقد وسع فتوحات مصر فاحتل ( القلابات ) شرقي السودان ، وكان موقعها  
هاما من الوجهة الحربية والاقتصادية لوقوعها بالقرب من حدود الحبشة ، فجعل  
بها حامية عسكرية ثابتة ، وأخضع جبال قلى وغزا قبائل الشلك وقبائل سبدرات  
وقد أتى عليه محمد على وأنعم عليه برتبة الباشوية سنة ١٨٣٥ جزاء ما بذله من  
الهمة في تنظيم شئون السودان

(١) السودان بين يدي غردون وكتشنر لبراهم باشا فوزى الجزء الأول ص ٦٥

وبقى في منصبه إلى سنة ١٨٣٧ حيث اعتزله وخلفه أحمد باشا أبو ودان

### أحمد باشا أبو ودان

حذا أحمد باشا أبو ودان حذو خورشيد باشا فأحسن السيرة بين الأهالي ،  
وحجب فيه الأمراء ورؤساء القبائل من السودانيين ، وأتم عمل خورشيد باشا في  
تعمير مدينة الخرطوم وتنظيم المديرية ، وضم إليها العرب الرحل الضاريين في  
في أوديتها ، وبذلك انتظمت إدارتها . وجلب من مصر كثيرا من الحيوانات  
المستأنسة والنباتات النافعة وبذورها فتحسنت الزراعة وارتقت شئونها ونشطت  
الصناعة في ( ترسانته ) الخرطوم ، واستكتر من السفن الأميرية في النيل وزاد من  
طرق المواصلات ، فانتسعت حركة التجارة والمعاملات بين مصر والسودان والبلاد  
القاصية من أواسط أفريقيا ، وصارت الخرطوم ملتقى المتاجر ، وكثر ورود التبر  
وريش النعام والعاج والصبغ إليها ، وفي عهده فتح إقليم التاكا ( كسلا ) الواقع  
بين نهر عطبرة والبحر الأحمر سنة ١٨٤٠ ، وأسست مدينة ( كسلا ) وجعلت عاصمة  
له ، وتوفي ودفن بالخرطوم

### أحمد باشا المنكلي ثم خالد باشا

وأقلم في مكانه أحمد باشا المنكلي فأخذ الثورة التي نشبت في بلاد التاكا والتي  
أثارها سوء إدارة الموظفين ، وبقي حكامدارا للسودان إلى أن عاد إلى مصر سنة ١٨٤٥  
وخلفه خالد باشا وهو آخر من عين حكامدارا للسودان في عصر محمد علي

### رحلة محمد علي في السودان

١٥ أكتوبر سنة ١٨٣٨ - ١٥ مارس ١٨٣٩

اعتزم محمد علي أن يرود بنفسه أصقاع السودان ليتعهد شئون الإدارة المصرية

فيها ، وليبحث عن مناجم الذهب ، فسار إليها في أكتوبر سنة ١٨٣٨ (١) عن طريق دنقلة . ثم قصد الخرطوم مارا بطريق صحراء بيوضة ، فبلغها يوم ٢٣ نوفمبر وأقام بها ٢٢ يوما قابل فيها الأعيان وتفقد أحوال الإدارة وشؤون البلاد ، ثم زار ستار وقصد إلى جبال فازوغلى للبحث عن معدن الذهب ، واسكن البحث لم يفض إلى نتيجة يرضاها ، ففقل إلى الخرطوم وأقام بها أياما قليلة ثم عاد إلى مصر عن طريق صحراء النوبة من ( أبو أحمد ) إلى وادي حلفا ( مارس سنة ١٨٣٩ ) وقضى في رحلته خمسة أشهر

وكان يصحبه في رحلته هذه طائفة من المهندسين والباحثين منهم المسيو ليفر Lefevre والمسيو دارنو D.Arnaud والمسيو لامبير Lambert ، وقد قضى الأول نخبه أثناء رحلته بحبى أصابته ، وظل الآخرون يبحثان وينقبان ولمناسبة زيارة محمد على للسودان أمر بإلغاء تجارة الرقيق لما رآه من فظاعة النخاسين (تجار الرقيق) وما يرتكبونه من القسوة في جلب الأرقاء وترحيلهم إلى مختلف الأمصار ، وأنفذ رسلا يعلنون هذا الأمر في جميع البلاد ، ولكن رغم هذه الأوامر بقي الاتجار بالرقيق ذاتما إلى أن أبطله الخديو اسماعيل

### عمران السودان في ظل الحكم المصري

يطيب لبعض الكتاب السياسيين دعاة الاستعمار الانجليزي أن يرموا الحكم المصري في السودان بكل نقيصة ، وينسبوا الحضارة التي دخلت ربوعه إلى الإدارة الانجليزية ، وهي دعوى باطلة تقوم على أساس الإرجاف وتشويه الحقائق وفي الحق ان الفضل في حضارة السودان منذ الفتح الأول ثم الفتح الثاني يرجع إلى الحكم المصري ، وإلى الدماء المصرية ، والسواعد المصرية والجهود والأموال المصرية

(١) في عهد حكمدارية أحمد باشا أبو ودان

فلنبين في هذه العجالة ما أفاده السودان من الحكم المصري في عهد الفتح الأول ،  
أى عهد محمد على حيث يقتصر موضوع الفصل السادس  
ضحى المصريون بأرواحهم ودمائهم في سبيل فتح السودان وإقرار سلطة الأمن  
في ربوعه ، فقد بلغ عدد من فقدم الجيش المصرى في الفتح الأول سواء ممن قتلوا  
في المعارك أو الرحلات البعيدة الشاقة أو من اجتاحتهم الأمراض نحو ثلاثة  
آلاف رجل

لقد حقق الفتح المصرى الوحدة القومية لمصر والسودان ، ثم انه نشر لواء  
الحضارة وال عمران في أصقاعه ، فقد أسس في البلاد حكومة منتظمة كان لها  
الفضل الكبير في بسط رواق الأمن وإقامة قواعد العمران في السودان ، ولم ينظر  
المصرى إلى السودان كمنعمرة للاستغلال ، بل نظر إليه كجزء لا يتجزأ من مصر ،  
فعنى بعمرانه كما يعنى بعمران الغربية أو الدقهلية وسائر مديريات القطر المصرى

### تأسيس المدن

كان تأسيس المدن من أول ما عنى به الحكم المصرى في السودان ، فأنشأ مدنا  
زاهرة صارت مبعث الحضارة والتقدم في أنحاءه

### الخرطوم

يقول المسيو ديهيران في كتابه (١) : ان المصريين حينما فتحوا السودان لم  
يختاروا بلدة من بلاده القائمة مثل بربر أو سنار أو الأبيض عاصمة لأملاكهم ،  
بل أنشأوا عاصمة جديدة وهى (الخرطوم) ، ولم يكن في مكانها قبل الفتح المصرى

(١) السودان المصرى فى عهد محمد على ص ١١٧

سوى محلة صغيرة للصيادين ، ففي سنة ١٨٢٢ أسس بها معسكر ثابت للجنود ، وفي سنة ١٨٣٠ اتخذها خورشيد باشا حكامدار السودان مقرا للحكم ، فصارت الخرطوم من ذلك الحين عاصمة السودان ، وقد اختار لها المصريون هذا الموقع لأهميته حيث يلتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض وسميت الخرطوم لأن ملتقى النيلين يشبه رأس خرطوم الفيل . قال وقد أقيمت فيها المباني والعمائر منذ إنشائها ، وأهمها سراى الحكومة وكانت مبنية بالطوب الأحمر ، ومؤلفة من دورين ، وكان منظرها نفخا ، وسراى مديرية الخرطوم مقر مدير المديرية والموظفين ، ومسجدان أحدهما كبير بناه خورشيد باشا ، والآخر صغير أقيم من بعده ، ودار لإحدى البعثات الدينية المسيحية أنشئت سنة ١٨٤٨ أي في أواخر عهد محمد علي <sup>(١)</sup> وأنشئت بها أيضا تسكنة كبيرة للجنود شرق المدينة ، ومستشفى <sup>(٢)</sup> ، ومعمل للبارود تصنع فيه ذخائر الجيش ، ومخازن للمؤن والمهمات ، ثم ترسانة كبيرة كانت تشمل مسبكا للحديد ومعملا للنجارة ، وفيها بنيت السفن النيلية التي أخذت تنقل الجنود والمتاجر على النيل ، ويتخلل تلك العمائر الكبيرة بيوت للسكن ، وقد أكسب المدينة موقعها على النيل روعة وجمالا ، وزادتها الحدائق التي أنشأها المصريون حولها رونقا ونضرة ، وكانت هذه الحدائق تشغل مساحات واسعة من الأراضى كما أنها موضع عناية القائمين بها ، ولها منظر بديع ، وكان معظمها يحاذى النيل الأزرق ولا يفصله عنه إلا رصيف ضيق ، وفيها كل ماتنتبت الأرض من الخضر والتين والبرتقال والليمون والموز والنخيل والدوم ، ويتألف من مجموعها منظر بهيج يدخل السرور في نفوس القادمين <sup>(٣)</sup>

وبعد أن أسست المدينة صارت ملتقى المتاجر القادمة من أنحاء السودان وباطن

---

(١) هي التي اتخذها غردون باشا مستودعا للذخائر أثناء حصار المهدي للخرطوم

(٢) ذكره مانجان ج ٣ ص ٤٩٦

(٣) ديبيران ، السودان المصرى فى عهد محمد على ص ١٢٠



افريقية أو الواردة إليها من مصر والخارج ، فازدهر العمران فيها ، وصارت محطة من أعظم المدن التجارية في افريقية ، كما أنها صارت مركزا للرحلات والاكتشافات الجغرافية والعلمية ، ومرسى للسفن النيلية التي تنقل في أنحاء النيل الأزرق والنيل الأبيض

وتزايد مع الزمن عدد سكانها ، فقد جاءها الناس من مختلف أنحاء السودان كسنا و بربرود ونقله وشندي وغيرها ، وقدموا إليها للتجارة ، وأقام فيها الموظفون ورجال الجهادية ، فبلغ عدد سكانها في عصر محمد علي ثلاثين ألف نسمة كما قدرهم المسيو مانجان في كتابه (١) واستمر عددهم يطرده في عهد خلفائه ، فبلغوا أربعين ألفا سنة ١٨٥٤ وخمسين ألفا سنة ١٨٥٦ ، وقدرهم الكولونيل ستوارت من ٥٠ إلى ٥٥ ألفا سنة ١٨٨٣ ، ثم جاءت الفتنة المهديّة فدكت معالم العمران فيها وفي أنحاء السودان

### مدينة كسلا

وأنشئت أيضا مدينة كسلا التي صارت عاصمة إقليم التاكا من أهم أقاليم السودان بل عاصمة السودان الشرقي ، ذكر اراهيم باشا فوزي في كتابه (٢) أن أحمد باشا أبو ودان حاكم دار السودان أسس مدينة (كسلا) وحصنها ، وقال في موضع آخر ان كسلا اسم مدينة هي عاصمة إقليم التاكا الذي بين محافظتي مصوع وسواكن وحدود الحبشة ، وأغلب سكانها مصريون مثل سائر مدن السودان (٣) وكانت محصنة بسور منيع من الحجارة ، وفيه أبراج ، ومعدات الدفاع متوفرة

(١) تاريخ مصر في حكم محمد علي جزء ٣ ص ١٠٨

(٢) السودان بين يدي غوردون وكاتشنر جز ١ ص ٦٥

(٣) وضع فوزي باشا كتابه بعد استرجاع السودان الأخير وطبع سنة ١٣١٩ هـ

فهي منذ دخلت في أملاك الخديوية المصرية على عهد ساكن الجنان محمد علي باشا (١) ويقول المسيو ديهيران ان مدينة كسلا أنشئت على عهد أحمد باشا أبو ودان ، وذلك أنه أثناء فتح التاكا اتخذ معسكره على نهر ( الجاش ) بسفح جبل كسلا ، ولما غادرها ترك بها حامية ثابتة من الجنود ، فأقبل عليها الأهالي المجاورون واتخذوها موطناً لهم ، وبذلك تأسست كسلا التي صارت من أهم مدن السودان (٢)

### فامكه

وكذلك أنشئت مدينة فامكه على النيل الأزرق سنة ١٨٤٠ في إقليم سنار على بعد ٢٥ ميلاً من الرصيرص جنوباً ، وجعلت عاصمة مديرية فازو غلى ، وقد بنى محمد علي باشا على نحو خمسة أميال منها جنوباً قصر أوه عملاً لاستخراج الذهب بقيت آثارهما إلى عصرنا الحاضر

### توطيد دعائم الأمن

مهما اختلف الكتاب الإفرنج في تقديرهم للحكم المصري في السودان على عهد محمد علي فانهم مجمعون على امتداحه والاعتراف له بالفضل في بسط رواق الأمن في أصقاعه النائية ، كانت الرحلة اليه قبل الفتح المصري محفوفة بالأخطار إذ كانت الطرق مقطوعة ، والأمن فيها مضطرب ، وسلطة الرؤساء ضعيفة ، وكانت قوافل التجار والحجاج تستهدف في كل وقت للسلب والنهب . وليكن الحكم المصري قد قضى على الفوضى الضاربة أطنابها في البلاد وبسط رواق الأمن عليها

(١) جزء ٢ ص ٨٦

(٢) كتاب السودان في عهد محمد علي ص ١٠٩

قال المسيو ديهيران في هذا الصدد : ان ما قام به محمد على من بسط رواق الأمن في مصر هو من أجل أعماله كما يرى المستر بورنج (١) في تقريره عن مصر ، وهذا الرأي يجب تعميمه ليشمل كل بلد حكمها محمد على ؛ فثبنا بسط نفوذه وحكمه نهض بالأمن ووطد دعائمه ووصانه بعين رعايته ، وعلى العكس إذا تقلص نفوذه عادت البلاد الى الفوضى واختل الأمن فيها ، خذ لذلك مثلاً أنه لما انسحبت قواته من الحجاز سنة ١٨٤١ واستردها سلطان تركيا شعر التجار بأنهم لم يعودوا آمنين على متاجرهم هناك ، وكذلك لما جلا إبراهيم باشا عن سورية اضطرب فيها جبل الآن وعادت الفتنة بين المسلمين والمسيحيين ، أما البلاد التي يسود فيها حكم محمد على فان الإنسان يأمن على نفسه أن يذهب إلى أى ناحية بها ، ويقول السكونت بنديتي Benedetti قنصل فرنسا في مصر ان الأهالي والأجانب على السواء يستطيعون أن يذهبوا إلى شاموا في البلاد التي يحكمها محمد على سواء أكان ذلك في وادى النيل إلى أقصى حدود السودان ، أم في سورية وجزيرة العرب ، فإن صرامة العدل الذى أقام ميزانه في كل ناحية لا تقبل هواناً ولا ضعفاً ، فالسودان قد سادته الأمن كما ساد غيره من البلاد التي حكمها . ففي كردفان مثلاً حيث لم يكن أى تاجر يأمن على نفسه أن يسير منفرداً استطاع الرحالة بالم Pallme أن يجتاز البلاد من غير أن يصحبه إلا خادم واحد ، ولم يقع عليه أى اعتداء أو أذى ، كذلك ساح فيه الرحالة كوتشى Kotchy مطمئناً سنة ١٨٣٩ ، وساح الأمير الألماني بكر موسكو Muskau في السودان إلى الخرطوم دون أن يناله سوء ، وجاءت عائلة المسيو ملى Melly إلى الخرطوم سنة ١٨٥٠ للزهوة كما لو ساحت في ربوع إيطاليا (٢)

وقد كان من نتائج بسط الأمن في السودان وتأمين طرقه نشاط المعاملات التجارية في أقاليمه وبينه وبين مصر وباطن أفريقيا

(١) سيامى أنجليزى ساح في مصر على عهد محمد على وله عنها تقرير واف

(٢) (م - ١٣)

(٢) ديهيران ص ٢١٥

ومن نتائجه تنظيم البريد ، وقد جعلت الخرطوم مركزا له ، وكان ينقل في السفن ثم يحمل على الهجن فيرسل إلى مصر وجميع مديريات السودان ، وله في الطريق محطات تستريح فيها الهجن وتبدل ، وكانت الرسائل تصل من مصر إلى الخرطوم مرتين في الشهر وتقطع المسافة بينهما في خمسة وعشرين أو ثمانية وعشرين يوما ، وكان البريد يروح ويغدو ويحتمل تلك المراحل الشاسعة دون أن تنقطع عليه الرحلة ، قال المسيو جومار في هذا الصدد : « من ذا الذي كان يظن قبل أربعين عاما بل قبل خمسة عشر عاما فقط أن تصلنا الرسائل من ضفاف النيل الأبيض إلى ضفاف السين (النهر الذي يمر بباريس) في اثنين وثلاثين يوما ، وتصلنا من قزنفور (جنوبي فازوغلي) عند الدرجة العاشرة من خط الاستواء في خمسين يوما ؟ » (١)

### الزراعات وأعمال العمران الأخرى

وأدخل المصريون في السودان الزراعات المصرية كالقمح والخضر ، وغرسوا فيه أشجار الفاكهة المختلفة أنواعها كالبرتقال والليمون والمان والعنب. ونسقوا الحدائق الغناء

قال الدكتور لو نيل ستوارت Stuart في هذا الصدد : « ان المصري يميل بطبعه ميلا شديدا إلى الزراعة ، ففي السودان ، وفي أي مكان يعسكر الجنود المصريون ، لا يمضي على إقامتهم ستة أشهر حتى يكون من المحقق أن ينبت فيه الزرع والخضر ، ومن أعمال العمران التي تمت في عهد محمد علي بناء ديوان اللبديرية في مدينة (سنار) وئسكنة للجنود وجامع بها ، وما قام به خورشيد من أعمال الإصلاح التي تقدم الكلام عنها

وقد أمر محمد علي باحتفار الآبار في الطريق بين كروسكو وأبو حمد ، وهو

(١) مانجان الجزء الثالث ص ٤٨١

طريق شاق يخترق صحراء النوبة ويحتمزه المسافر في تسعة أيام ، فأمر بإصلاحه  
وحفر الآبار فيه تسهيلا للمواصلات بين مصر والسودان



خريطة الخرطوم في عهد محمد علي باشا  
كما رسمها المهندس الفرنسي دارنو الذي أقام بالسودان من سنة ١٨٣٨ إلى سنة ١٨٤٢

### الرحلات والبعثات الجغرافية

ان للفتح المصري فضلا كبيرا على العلم والعمارة بما شجع العلماء ورواد  
الكشف والاستطلاع على الرحلات العلمية لاكتشاف أصقاع السودان الثمينة ،  
وخاصة منابع النيل ، وقد كان لمحمد علي عناية كبيرة بتعصيد الاكتشاف وتشجيع  
الباحثين والعلماء على الرحلة إليها ، وشملهم برعاية الحكومة وعهد إلى جنده حمايتهم  
في رحلاتهم ، ولولا تلك المساعدات لما استطاعوا أن يسيروا خطوة في تلك  
الجهات ، وقد صارت مدينة الخرطوم مركزا للرحلات الجغرافية التي سارت منها

لا اكتشاف منابع النيل وأواسط أفريقية، ولعلك تلاحظ دلائل عداية محمد علي بأعمال الكشف والتنقيب عما رأيته من اصطحاب ابنه اسماعيل باشا بعض المهندسين مثل المسيو فرديك كايو أثناء فتح السودان كما تقدم ببانه، ومن أن محمد علي ذاته قد رحل إلى السودان يجوب أنحاءه ويتفقه معادنه، وقد اصطحب في رحلته بعض المهندسين والباحثين، ثم انه لما عاد من رحلته تولى بنفسه تنظيم البعثات والرحلات الجغرافية البعيدة المدى للكشف عن منابع النيل، فللحكيم المصري في السودان فضل كبير على الاكتشافات الجغرافية التي تمت في عهده وإرادته، وهذه الاكتشافات ذاتها قد مهدت السبيل للرحلات التي جاءت من بعده إلى أن تم اكتشاف منابع النيل بأكملها، ولئن كان تمام اكتشافها في سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠ و ١٨٦٢ حينما انتهى الرحالتان (اسيك) و (جرانت) إلى بحيرة فيكتوريا نيانزا وشلالات ريبون، فلا نزاع أن الرحلات والتجاريدي في عهد محمد علي قد عمدت الطريق للمكتشفين وأنارت لهم السبيل وفتحت بلادا ومناطق لم يكن في قدورهم أن يجوبوها لو لم يبسط الحكيم المصري رواق الأمن في أنحاءها، فالفتح المصري فضلا عن نتائجه التومية قد ساعد العلم والحضارة مساعدة كبرى من تلك الناحية، وقد كان العامل الأول في الرحلات التي تمت في عهد محمد علي اتجاه فكره وفكر أبنائه إلى اكتشاف منابعه التي كانت إلى ذلك العهد مجهولة لعلماء الجغرافية

قال المسيو ديهيران في هذا الصدد: ان محمد علي بإنفاذه الرحلات والبعثات لاكتشاف منابع النيل قد حقق الأمل الذي كان يطمح إليه علماء الجغرافية وكافة رجال العلم في عصره (١)

وقال عن ابراهيم باشا انه كان شديد التطلع إلى تحقيق هذه الغاية، وقد أفضى ببرناجه إلى المسيو كايو حينما قابله يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٢١ فقال له: «اننا سنكشف النيل الأبيض في حملة من مراكب مسلحة وعدد كبير من القوارب

(١) السودان المصري في عهد محمد علي ص ١٢٨

الخفيفة التي تستطيع أن تمضي في النهر بسهولة دون أن تعترضها الشلالات وستكون وجهة هذه العمارة النيلية أن تنحدر في النهر وروافده حتى تصل إلى منابعه ،

وكان اسماعيل باشا ابن محمد علي يطمح أيضا إلى ما كان يفكر فيه أخوه إبراهيم ، فقد قال للمسيو كايو حينما استأذنه في العودة إلى مصر ( ٨ فبراير سنة ١٨٢٢ ) : « إذا ذهبت إلى فرنسا فانشر ما وصلت إليه من المعلومات ، ثم عد إلى مصر فإنك ستجد أني لا يقنع بالاكشافات الضئيلة التي وصلنا إليها ، بل سنبدل جهوداً أخرى ، وسأصحبك بنفسى إلى منابع النيل الأبيض ،

وقد شجع محمد علي الرحلات الجغرافية في حوض النيل من يوم أن بسط نفوذه في السودان ، فساح فيه الرحلتان هاي Hay و هوشت Hocht ووصل سنة ١٨٢٤ إلى مايلي رأس الخرطوم جنوبا ، وفي سنة ١٨٢٧ انحدر المسيو لينان دي بلقون ( لينان باشا ) في النيل إلى مايلي الخرطوم ، وفيما بين سنة ١٨٢٨ و ١٨٣١ ساح فيه ابراهيم كاشف ونزل النيل الأبيض ووصل إلى بلاد الشلوك والدنكا قريبا من بحر الغزال

### حملات البكبباشى سليم بك قبطان

ولما ساح محمد علي في السودان كان معتزما أن ينفذ الحملات والتجاريد لاكتشاف منابع النيل الأبيض ، فعهد بهذه المهمة إلى البكبباشى المصرى سليم بك قبطان أحد ضباط البحرية المصرية ، وجعل تحت تصرفه قوة من الجنود و عمارة نيلية من المراكب

فاضطلع البكبباشى سليم قبطان بهذه المهمة ، وقام بثلاث حملات متعاقبة كانت موضع إعجاب علماء الجغرافية ورواد الاكتشاف

## الحملة الأولى

تحركت الحملة الأولى من الخرطوم يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٢٩ برأسة سليم بك  
قبطان يصحبه سليمان كاشف أحد ضباط الجيش المصري ورجل فرنسي اسمه المسيو  
تيبو Thibaut كان يتسمى باسم ابراهيم افندي . وتتألف قوة الحملة من ٤٠٠ جندي  
اختيروا من جنود الالاي الأول والالاي الثامن المرابطين وقتند في سنار ،  
وكانت العمارة التي أقلت الحملة مؤلفة كما يقول سليم بك (١) من ثمانى زهبيات مسلحة  
كل واحدة بها مدفعان ، ومركبين آخرين و ١٥ قاربا ، وبها من الذخائر والمؤونة  
ما يكفي الحملة لمدة ثمانية أشهر ، وقد وصلت الحملة إلى بلدة ( العيس ) جنوبي  
الخرطوم (٢)

ثم حالت الموانع في النهر دون تقدم العمارة ، فهادت إلى الخرطوم ، وفي  
عودتها عرجت بنهر سوباط أحد روافد النيل لاكتشافه وانحدرت فيه (٦ فبراير -  
٦ مارس سنة ١٨٤٠) إلى أن حالت قلة المياه دون تقدمها ، فرجعت إلى الخرطوم  
وبلغتها يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٤٠ بعد أن دامت رحلتها ١٣٥ يوما

وقد وضع البكباشي سليم قبطان رسالة ضمها تفاصيل هذه الحملة ، وألحق بها  
جدولا بالأرصاء الجوية التي قيدها ، فكانت هذه الرسالة أول مرجع رجع إليه  
العلماء في اكتشاف باطن أفريقية ، وقدمت هذه الرسالة إلى الجمعية الجغرافية  
الفرنسية بباريس بواسطة المسيو جومار رئيس البعثة المصرية بفرنسا ، ونشرت  
في مجلة الجمعية الجغرافية ( أعداد يولية وأغسطس وسبتمبر سنة ١٨٤٢ ) ، فحازت

---

(١) مجلة الجمعية الجغرافية الفرنسية عدد يولية سنة ١٨٤٢ ص ٨ رسالة البكباشي

سليم بك

(٢) انظر موقعها على الخريطة الملحقه بهذا الفصل



إعجاب علماء الجغرافية بفرنسا ، ومهد لها المسيو جومار بمقدمة أثنى فيها على همة  
سليم بك قبطان وقال فيها :

ان هذه الحملة المؤلفة من ٤٠٠ رجل بقيادة ضابط مصرى وغايتها  
الاكتشافات الجغرافية هي أول حملة من نوعها ، والتقرير المذون به يوميات الحملة  
محرر بالأوضاع التي يحررها الرحالة الأوروبيون ، ولا جرم أن هذه الرحلة هي  
إحدى ثمرات الحضارة التي دخلت مصر منذ ربع قرن ،

### الحملة الثانية

تحركت الحملة الثانية من الخرطوم يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٤٠ بقيادة سليم  
قبطان يصحبه أيضا سايمان كاشف قائد القوة البرية ، وصحبه من الأوروبيين  
المهندسان الفرنسيان دارنو Darnaud وساباتيه Sabatier والرحالة الألماني فرن  
Verne والمسيو تيبو المتقدم ذكره

وقد سارت الحملة في النيل الأبيض ، وتخطت الجهة التي بلغتها الحملة الأولى ،  
ثم مضت في سبيلها حتى بلغت يوم ١٥ يناير سنة ١٨٤١ جزيرة (جونكر) الواقعة  
على الخط الخامس من خطوط العرض (١) . فتكون الحملة قد اجتازت نهاية  
الحملة الأولى بمراحل شاسعة ، والمعالم أن جزيرة (جونكر) تقع تجاه (غندكرو)  
التي تبعد عن الخرطوم نحو ١٠٨٠ ميلا جنوبا ، فهي قرية من البحيرات التي ينبع  
منها النيل ، وقد صارت غندكرو وقتما عاصمة مديرية خط الاستواء في عهد  
الحديو اسماعيل (٢)

(١) انظر موقعها على الخريطة

(٢) قبل أن تصير مدينة (لادو) عاصمة لها

ولم يبق بين الحملة وبلوغ منابع النيل إلا مرحلة وجيزة بالنسبة لما قطعته من المراحل ، ولا يمكنها لم تستطع متابعة سيرها لهبوط مياه النيل جنون هذه الجهة ، ولوجود الجنادل والشلالات التي تحول دون تقدم السفن في ذلك الجزء من النيل ، ولا تزال هذه العقبات تعطل المواصلات النيلية في هذه الجهة إلى عصرنا الحاضر ، فاستقر الرأي على العودة إلى الخرطوم ، وفي عودتها عرجت أيضا بنهر سوبات ، فسارت فيه إلى أن تذر المسير فرجعت وتابعت سيرها إلى الخرطوم فبلغتها في ١٨ ابريل سنة ١٨٤١

والمسيودارنو رسالة عن هذه الرحلة نشرت في مجلة الجمعية الجغرافية الفرنسية ( عدد نوفمبر سنة ١٨٤٢ ) ثم طبعت على حدة

### الحملة الثالثة

تحركت الحملة الثالثة من الخرطوم يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٤١ بقيادة سليم قبطان ذاته وكان سيرها بطيئا لمعاكسة الريح ، وأصيب بعض البحارة والجنود بالأمراض ومات بعضهم في الطريق ، على أنها تابعت سيرها ، ولما لم تتجاوز النقطة التي بلغتها الحملة السابقة وعادت إلى الخرطوم يوم ٦ مارس سنة ١٨٤٢

وكان محمد علي ماضيا في إنفاذ فكرته معتزما أن يستأنف حملات الاستكشاف حتى يصل إلى منابع النيل ، ويبسط نود مصر في تلك الأصقاع ، ولكن المرض الذي انتابه في أواخر عهده بالحكم حال دون إتمام قصده ، على أن هذه الحملات الثلاث قد أدركت نتائج عظيمة ، ولو أن البكباشي سليم قبطان قام بهذه الجهود في بلد أوروبي ووصل إلى هذه النتائج لقدرت له أمته بطولته وخدماته حق قدرها ، ولشادت بذكوره ، وعاونته ، وكافأته ، وشجعته بمختلف وسائل التعزيز ، وبذلك تشجذ الأمم عزائم أبنائها ويكثر فيهم العلماء والمكتشفون والنوابغ في كل علم

وفن ، أما في مصر فقلما تحفل بهم الأمة والحكومة ، فلا جرم أن تضمحل العزائم ويتعثر التقدم القومي في سيره

اكتشفت هذه الحملات بلادا ومناطق كانت إلى ذلك الحين مجهولة، ولم يترقها من قبل ساحح أو مكتشف ، ودرست جغرافيتها ، وعرفت أحوال سكانها ونباتها وأشجارها ومناخها وحيوانها ، فأفادت الحضارة والعلم فوائد جمّة ، ثم إنها بسطت في طريقها نفوذ مصر ، خفقت الراية المصرية لأول مرة في تلك الأصقاع النائية، تحمل في طياتها رمز الحضارة والتقدم ، فلا غرو أن كان لهذه الحملات فضل كبير من الوجهة القومية ، ولقد مهدت السبيل للحملات التي نظمها الحديو اسماعيل ، فأكمل العمل الذي قام به محمد علي ، ووصل بحدود مصر إلى منابع النيل

### حدود السودان المصري في عهد محمد علي

إن حدود مصر الجنوبية قبل الفتح الأول للسودان كانت تنتهي إلى جزيرة (ساي) جنوبي وادي حلفا ، فرقعة مصر كانت إذن أوسع مما تقرره الحدود الحالية ، تلك الحدود الباطلة التي تجعل حدها الجنوبي شمالي وادي حلفا ( أنظر الخريطة ص ١٨٧ )

وبفتح السودان في عهد محمد علي انضمت الأقاليم السودانية إلى حظيرة الوطن ، ووصلت حدود السودان المصري شرقاً إلى البحر الأحمر ، فقد فتحت الجنود المصرية سنة ١٨٤٠ إقليم التاكا (نسلا) الواقع بين نهر عطبرة والبحر الأحمر أي السودان الشرقي ، وجعلت مدينة كسلا عاصمة له كما تقدم بيان ذلك ، وكان لفتح هذا الإقليم أهمية كبيرة لخصوبة أرضه وكثرة مراعيه ولكونه صلة الاتصال بين السودان ونجرى سواكن ومصوع

وفتحت الجنود المصرية أيضا (القضارف) بالقرب من حدود الحبشة

و ( القلابات ) الواقعة على شاطئ نهر عطبرة بالقسم الجنوبي من إقليم التاكا فوصلت إلى حدود الحبشة شرقا

وكذلك دخلت سواكن ومصوع في حدود السودان المصري ، فقد استأجرهما محمد علي باشا من سلطان تركيا ، إذ كانتا من قبل من أملاك السلطنة العثمانية القديمة ، فلما رأى محمد علي ضرورتها للسودان لأنهما منفذاه على البحر الأحمر وخاصة لإقليم التاكا استأجرهما من السلطان بإيجار دائماً مقابل مبلغ سنوي قدره ٥٠٠٠ كيس أي ٢٥٠٠٠ جنيه ، وبذلك دخلتا تحت ظل الحكم المصري منذ عهد محمد علي

أما من جهة الجنوب فقد بلغت الحملات والتجاريذ التي أنفذها محمد علي في النيل الأبيض إلى جزيرة ( جونكر ) تجاه ( غوندكرو ) كما أسلفنا ، فإلى تلك النقطة ينتهي الفتح الأول للسودان ، ولم يتعدّها لعدم تحظى الاكتشافات الجغرافية هذه الجهة ، فالفتح الأول قد جعل من النيل نهراً مصبغاً إلى آخر نقطة وصل إليها الاكتشاف الجغرافي في ذلك العصر

أما مايلي ( جونكر ) جنوباً وهو الإقليم المعروف بمديرة خط الاستواء وأوغنده ويشمل منطقة البحيرات فقد فتحته مصر في عهد الخديو اسماعيل ومن جهة الغرب قد شمل الحكم المصري كردفان ، أما سلطنة ( دارفور ) فلم تفتح إلا في عهد اسماعيل باشا ، ولما دخلت رسمياً في أملاك مصر على عهد محمد علي وذلك بمقتضى فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ الذي أسند إليه ولاية أقاليم السودان ، وهي كما وردت في فرمان المذكور : « النوبة ، ودارفور ، وكردفان ، وسنار وجميع توابعها وملحقاتها »

ولم تسكن دارفور قد فتحت بعد ، بإصرار محمد علي باشا على دخولها في فرمان دليل على أنه يعدها من أملاك مصر الطبيعية ، وغير خاف أن هذا فرمان قد صدر بتصديق الدول ، فامتلاك مصر للسودان قد حاز الصفة الرسمية والدولية فضلاً عن الحق الطبيعي والصيغة القومية

ولو كان محمد علي ضاعف عنايته بإكمال فتح السودان إلى منابع النيل ، وبذل  
في تثبيت ملكه ونشر لواء الحضارة والعمران فيه ما بذله في حروب سورية  
والأناضول ، لو طرد دعائم الوحدة القومية بالوصول إلى منابع النيل ، فإن الحدود  
الطبيعية لمصر والسودان هي وادي النيل وملحقاته من البحر الأبيض شمالا ، إلى  
البحر الأحمر شرقا ، وصحراء ليبيا غربا ، وإلى منابع النيل والاقيانوس  
الهندي جنوبا



خريطة حرب اليونان وفيها بيان المواقع التي ورد ذكرها في الفصل السابع

## الفصل السابع

### حرب اليونان

سنة ١٨٢١ - ١٨٢٨

انتهت حرب السودان ببسط نفوذ مصر في ربوعه ، وانصرف محمد علي وقتنا ما إلى توطيد دعائم الدولة المصرية العظيمة التي نشأت على ضفاف النيل ، وامتدت إلى شبه جزيرة العرب . وأخذ يعنى بإكمال تنظيم الجيش على الأساليب الحديثة ، وفتح المدارس وشق الترع وإقامة المصانع ، وتوفير أسباب العمران في ذلك الملك الواسع ، وبينما هو ماض في هذا السبيل إذا بالسلطان محمود يدعو إلى حرب جديدة واسعة المدى كثيرة المتاعب ، ميدانها في البر والبحر ، وهي حرب اليونان ، فكلفه إخماد الثورة الأهلية التي أثارها اليونانيون ورفعوا لواءها بغية تحرير بلادهم من النير التركي وتحقيق استقلالهم القومى

#### الثورة اليونانية

كانت بلاد اليونان إلى أوائل القرن التاسع عشر جزءاً من السلطنة العثمانية ، يحكمها الولاة الأتراك الذين ترسلهم حكومة الاستانة ، وظلت على هذه الحال إلى أن ظهرت فيها بوادر الثورة الأهلية ، فألف أعيانها وشبانها الجمعيات الثورية لتنظيم الثورة وبت تعاليمها في أنحاء البلاد واستمالة الرأى العام في أوروبا ، واتخذوا مركز هذه الجمعيات في روسيا والنمسا لتكون على اتصال بالحكومات الأوروبية وبمنجاة من اضطهاد الحكام الأتراك ، وأهم هذه الجمعيات جمعية كبيرة تسمى ( هيتريا )

تألفت سنة ١٨١٥ لتحرير اليونان من الحكم التركي وبث روح الثورة في النفوس ، وقد انضم إليها كل ذى مكانة في اليونان من الأعيان والشبان ورجال الدين ، وعضدها كثير من أمراء أوروبا ووزرائها وسرايتها وذوى الرأى فيها ، وساعدها بأموالهم ونفوذهم ، وعضدها قيصر روسيا اسكندر الأول الذى كان يؤيد مطالب اليونان تأييداً كبيراً ، وقرب اليه بعض زعمائهم ، فاستوزر منهم المسيو كابودستريا Capo Distria وجعله موضع ثقته ، واستخدم في الجيش الروسى ضابطاً يونانياً يسمى اسكندر ايسلنتى جعله ياوره وكان له شأن أیما شأن فى الثورة اليونانية

وإلى هذه الجمعية يرجع الفضل الأكبر فى تعميم الدعوة إلى الثورة فى بلاد اليونان وقد ظلت حتى سنة ١٨٢١ تعمل فى السر وتدأب فى خلال تلك المدة على دعوة الشعب اليونانى إلى تأييدها والاندماج فى صفوفها ، ثم تشعبت فروعها فى الأقاليم وفى عواصم ولايات البلقان حتى بلغ أعضاؤها سنة ١٨٢١ نيفا وعشرين ألف عضو يحملون السلاح متهيئين للهوت فى سبيل الاستقلال

اتصلت هذه الجمعية بقيصر روسيا ، وكان سببها اليه وزيره ( كابودستريا ) والضابط ايسلنتى ، فاعتزت بهذه الصلة وبتعضيد أنصارها ، ووضعت يادى الأمر برناجها واسع النطاق مؤداه استقلال امارات البلقان كلها وطرده الأتراك من أوروبا وإحياء الدولة البيزنطية القديمة ، وعمدت برياستها إلى الضابط اسكندر ايسلنتى المتقدم الذكر

فشبت الثورة بزعامته فى ( ياسى ) من أعمال ولايتى البغدان والأفلاق ( رومانيا ) فى شهر مارس سنة ١٨٢١ ، واختارت الجمعية تلك الجهة لقربها من روسيا حتى تمدها بجيوشها

لكن الثورة لم تصادف فى دورها الأول تعضيدا حرييا من الرويا ، لأنها قامت فى الوقت الذى كان ملوك أوروبا بالمستبدون ومنهم قيصر روسيا ياتمرون بالحركات القومية ويتألبون عليها لقمعها ، وكان ( مترینخ ) وزير النمسا الأكبر



قوام هذه المؤامرة وله الكلمة النافذة على الحكومات المؤتمرة . فالثورة التي  
تولى زعامتها (ابسلنتي) قامت وقيصر روسيا يتفاوض في مؤتمر (بياخ) لإخضاع  
الثوار في مملكة نابولي ، فكان من التناقض أن يأتمر بالثورات القومية ثم يشد أزر  
الثورة في البلقان ، ومع أن الثورة إنما قامت بتحريض قيصر روسيا فإنه  
اضطر إلى إنكارها وتخلي عن ابسلنتي وأعوانه ، وتركهم وجها لوجه أمام تركيا  
فجردت عليهم جيشا ع.بر الدنوب وهزمهم ، ففر ابسلنتي إلى المجر حيث اعتقلته  
الحكومة النمساوية (يونيه سنة ١٨٢١) ففشلت بذلك الثورة اليونانية شمال البلقان

### إعلان الثورة في المورة

٢٥ مارس سنة ١٨٢١

على أن الثورة لم تكن قاصرة على شمال البلقان ، بل كانت جذورها متصلة في  
بلاد اليونان نفسها ، أي في شبه جزيرة المورة ، فهبت الثورة فيها ، وكان لها طابع  
ديني ، فلا غرو أن كان أول من أعلنها ونادى بها على رؤوس الأشهاد هو القس  
جرمانوس أسقف بازاس (شمال المورة) ، فقد غادر بازاس وسار إلى  
كلافريتا Klavarita يتبعه الأنصار والأعوان ، وهناك ، في يوم ٢٥ مارس سنة  
١٨٢١ ، نادى بالثورة ودعا قومه إليها ، واتخذ شعارها : الإيمان ، والحربة ، والوطن  
فلبى اليونانيون الدعوة ورفعوا علم الجهاد في البر والبحر ، ففي البحر أخذت  
سفنهم المسلحة تقطع الطريق على المراكب التركية يبحر الأرخيل وتأسرها أو  
تدمرها ، وتوقع بركابها قتلا وأسرا وهبها ، وفي البر استولى الثوار على أهم مدن  
المورة ، وأحرقوا (تريبولتسا) عاصمتها ، ونكلوا بالأتراك المقيمين بها تنكيلا فظيما ،  
ثم تألفت (جمعية وطنية) من ستين نائبا يمثلون المقاطعات الثائرة ، وانعقدت في

يشار سنة ١٨٢٢ (١) وأعلنت استقلال الأمة اليونانية ، ووضعت لليونان  
دستورا قوميا

ثم اتخذت الحكومة الثورية منذ سنة ١٨٢٣ مدينة ( نوبلي ) عاصمة ومقرا لها ،  
وقد ساعد الثورة في بدماء عهدا أن الجنود التركية بقيادة خورشيد باشا (٢) كانت  
مشغولة بمقاتلة علي باشا الثائر الشهير في يانينا ، فلما أخذت ثورة علي باشا وانتهت  
بقتله زحفت الجنود التركية على الموره ، وكانت لها الغلبة في بدء القتال ، ثم دارت  
عليها الدائرة وتضعضع الجيش التركي وظهر عليه الثوار . وازداد الثوار جرأة بما  
نالوه من الفوز في بحر الارخبيل حيث أحرقوا كثير من السفن التركية ، وعاثوا  
في البحر فسادا ، وأحيوا عهد القرصنة

### استعانة تركيا بالأسطول المصري

ولما استفحل أمر السفن اليونانية في البحر أرسل السلطان محمود إلى محمد علي  
يعهد إليه أن يجرد أسطوله لتطهير البحر من قرصنة هذه السفن ، وكان ذلك سنة  
١٨٢١ ، أي قبل الحملة المصرية على الموره

ذكر المسيو مانجان (٣) أن محمد علي أعد الأسطول في الاسكندرية حيث

---

(١) بمدينة اييدور Epidaure برأسه اسكندر مافرو كروداتو

(٢) هو الذي كان وليا على مصر سنة ١٨٠٤ وثار عليه الشعب وخلعه وأجلس  
محمد علي باشا مكانه سنة ١٨٠٥ كما بينا ذلك بالجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ،

ص ٣٥٧

(٣) في كتابه تاريخ مصر في حكم محمد علي ج ٢ ص ٢٤٠

أُقلع منها في ١٠ يولية سنة ١٨٢١ بقيادة الاميرال اسماعيل جبل طارق (١) وكان مؤلفا من ١٦ سفينة كاملة السلاح والعتاد وبها ٨٠٠ مقاتل بقيادة طوبوز اوغلي فاتجه الاسطول الى مياه رودس لمطاردة السفن اليونانية والتقى بالاسطول التركي في الدردنيل ثم عاد الى الاسكندرية في مارس سنة ١٨٢٢ ليتأهب لنقل الحملة الى جزيرة كريت

### رواية الجبرتي

أشار الجبرتي إلى بعض هذه الوقائع في حوادث ذى القعدة سنة ١٢٣٦ أغسطس سنة ١٨٢١ ( وهو آخر مادونه في كتابه ) قال :

(١) تذكره بعض المراجع الفرنسية باسم اسماعيل جبل طارق وبعضها باسم اسماعيل الجبل الأخضر ، مما يجعلنا نشك في هذا اللقب الذي ليس من الأعلام المألوفة في ذلك العصر ، فالاسم الموثوق به أنه الاميرال اسماعيل بك ، ويقول اسماعيل باشا سرهنك في كتابه ( حقائق الأخبار عن دول البحار ) ج ٢ ص ٢٣٨ ان الاسطول الذي اقلع لتأديب الثوار اليونان في ذلك العهد كان بقيادة محرم بك ، ويورد أمرا من محمد علي إليه في هذا الصدد تاريخه ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦ ( يوافق ٢٥ يونيه سنة ١٨٢١ ) وهذا نصه : « قد علم لكم أنه أحيل تأديب وتربية الأورام الثائرين على الدولة العلية على عهدتي ، وبما أن السفن الحربية التي جرى استعدادها لغاية الآن قد بلغت أربع عشرة سفينة . ولو أن قيادتها عائدة علي ، إلا أنه لكثرة أشغالي قد عينتكم بدلا عن قيادتها ، فتوكلوا على الله وامرعوها بالإفلاح بها للجهة المقصودة وأدروا الخدمة اللازمة عليكم في هذه الأمور بحسب ما تقتضي عليكم حقوقها المقدسة ، وقد تحررت صورة من هذا الأمر إلى مطوش قبودان الذي تعينت سفينته بمميتكم »

نقول وهذا لا يمتنع أن نرجح رواية المسيو مانجان لأنه عاصر الحوادث التي كتب عنها ، وروايته تؤيدها المراجع الفرنسية الأخرى ، ويجوز أن محمد علي عهد إلى الاميرال محرم بك بقيادة الاسطول نيابة عنه كما جاء في الأمر لسكن الذي سافر فعلا وقاد الاسطول هو اسماعيل بك كما يقول مانجان (٢-١٤)

وفي منتصفه سافر الباشا إلى الاسكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم  
وخرجهم عن الذمة ، ووقفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر . وقطعهم  
الطريق على المسافرين ، واستنصاهم بالذبح والقتل ، حتى أنهم أخذوا المراكب  
الخارجة من استانبول وفيها قاضي العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من  
السفار والحجاج ، فقتلواهم ذبحا عن آخرهم ومعهم القاضي وحرابه وبناته وجواريه  
وغير ذلك ، وشاع ذلك بالنواحي ، وانقطعت السبل ، فنزل الباشا إلى الاسكندرية  
وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدونامة السلطانية ، وسيأتى تمة هذه الحادثة، (١)

### الحملة المصرية على كريت

شبت الثورة في جزيرة كريت سنة ١٨٢٠ كما شبت في بلاد الموره نفسها وفي  
جزر الأرخيبيل ، وظهر الثوار على الحاميات التركية التي اضطرت إلى الامتناع في  
بعض القلاع بالجزيرة ، فعهد السلطان محمود إلى محمد علي إخماد الثورة فيها ، فأعد  
محمد علي حملة من . . . جندى بقيادة حسن باشا واقلمت بهم العارة المصرية من  
الاسكندرية قاصدة إلى جزيرة كريت فنزل الجنود إلى البر في يونيه سنة ١٨٢٢ ،  
واستمرت الحرب سجالا إلى سنة ١٨٢٣ ، وقاتل المصريون الثوار قتالا شديدا  
وأنقذوا الحاميات التركية المحصورة في القلاع ، ومات حسن باشا خلال الفتح  
تخلفه حسين بك في قيادة الجند ، ودامت الحرب إلى أن ظفر المصريون بالثوار  
وضيقوا عليهم وحصروهم في جهة من الساحل وشتتوا شملهم وفر الكثير منهم إلى  
الجزر اليونانية الأخرى ، واستتببت السكينة في الجزيرة  
وكذلك أخذ الجنود المصريون الثورة في جزيرة قبرس

(١) لم يرد ذكر لهذه التمة لأن كتاب العلامة الجبرتي ينتهى بمحادث ذى الحجة

سنة ١٢٣٦ ( سبتمبر سنة ١٨٢١ )

### الحملة على الموره

أما في بلاد الموره ذاتها فقد استمرت الحرب سجالاتا بين الجيش التركي والثوار إلى سنة ١٨٢٣ ، وشعر السلطان العثماني بعجزه عن إخماد الثورة وأدرك ما كبدهته إياه من الخسائر الجسيمة ، ورأى في الوقت نفسه أن محمد علي باشا أخذ في تنظيم جيشه على الطراز الحديث وثبتت دعائم ملكه العظيم ، فخشى إذا استمر ماضيا في هذا السبيل أن يقوى على تركيا ويحقق فكرة الانفصال عنها وإعلان الاستقلال ، فأراد أن يشركه في الحرب اليونانية ليحقق بذلك غرضين ، أولهما الاستعانة بالجيش المصري على إخماد ثورة اليونان ، والثاني صرف محمد علي باشا عن المضي في تنظيم الجيش ومضاعفة قوته ، فهدد اليه بتجريد جيشه على الثوار في بلاد اليونان وأصدر له فرمانا يدعو به إلى ذلك ويخوله ولاية الموره

كان هذا فرمان بمثابة توسيع لنطاق الدولة المصرية وبسط نفوذها فيما وراء البحار ، وبالتالي يرفع من شأن محمد علي ويزيد من مكائده ، ولم يكن محمد علي ليرفض أن يعاين لو شأنه ويتسع ملكه ، كما أن استنجد تركيا بجيشه كلها قصرت يدها وعجزت عن مقاومة الثورات سواء في الحجاز أو في اليونان مما يزيد نفرا ويوطد مركز الدولة المصرية التي أسسها ، فلم يكن هناك بد من تلبية دعوة تركيا ، هذا فضلا عن إنه إذا رفض ما عرضه عليه السلطان من التكريم والتكليف فإن رفضه يكون حجة في يد الساعين إلى خلع عرشه وإظهاره بمظهر الخارج على إرادة السلطان ، وهو لم يكن قد توصل بعد إلى تقرير مركز مصر السياسي حيال تركيا ، فقد كان لم يزل ( واليا ) عينه السلطان ، وللسلطان ( رسميا ) أن يعزله

وقد وازن محمد علي بين هذه الاعتبارات واستشار أعضاء أسرته وكبار رجال حكومته ، فاستقر رأيه على أن يجيب دعوة الباب العالي

### معدات الحملة

بذل محمد على همه كبرى في تجهيز معدات الحملة على الموره ، فأعد جيشا بريا من الجيش النظامى الجديد بقيادة نجله الأكبر ( ابراهيم ) بطل الحجاز وقاهر الوهابيين ، يتألف في بدء الحملة من ١٧٠٠٠ مقاتل من المشاة ، واربع بلوكات من المدفعية ، وسبعائة من الفرسان ، وجرهم بالمدافع والبنادق والذخائر ، وأعد عمارة بحرية مصرية لنقل الحملة ومهايتها بحر سها الأسطول المجرى بقيادة الاميرال اسماعيل جبل طارق ، وكانت القيادة العليا ل ابراهيم باشا

تألفت العمارة من ٥١ سفينة حربية و ١٤٦ سفينة نقل (١) واجتمعت في ميناء الاسكندرية ، فكان منظرها يأخذ بالآلباب ، قال المسعودريو في هذا الصدد: قد اشترى محمد على من أوروبا كثيرا من السفن بحيث صار عنده عمارة ضخمة تشبه الأرمادا (٢) ، ولم ير الشرق حملة تدانها في ضخامتها منذ حملة بونابرت ، فكان الشرق أراد أن يغزو الغرب جوابا على حملة أوروبا عليه ، وهكذا تنقلب الأطوار في سير التاريخ (٣)

### الحرب البحرية على شواطئ الأناضول

أقلعت العمارة المصرية من ثغر الاسكندرية في شهر يوليه سنة ١٨٢٤ ، ولم

---

(١) اعتمدنا في هذا البيان على إحصاء المسير دروفتي قنصل فرنسا الذى رأى العمارة في الاسكندرية وكتب عنها الى وزير الخارجية الفرنسية فى رسالة وردت ضمن وثائق الموره التى نشرتها الجمعية الجغرافية وثيقة رقم ١٤  
(٢) هى العمارة الكبيرة التى أعدها فيليب الثانى ملك إسبانيا لمحاربة البحارة فى القرن السادس عشر

(٣) دريو ، تاريخ اليونان السيامى ج ١ ص ٢٥٧

تقصد الى شبه جزيرة الموره رأسا ، بل اتجهت الى مياه رودس ، ومنها الى خليج  
( ماكرى ) على شاطئ الأناضول لتلتقى بالأسطول التركى الذى نيط به مطاردة  
السفن اليونانية فى مياه بحر الأرخيبل وتطهير البحر من قرصتها واخماد  
الثورة فى الجزر

ولما وصلت العماره إلى خليج ( ماكرى ) أزل ابراهيم باشا جنوده إلى البر  
وتها إلى الإقلاع بأسطوله شمالا ليتصل بالأسطول التركى الذى جاء من الدردنيل  
بقيادة خسرو باشا ، فالتقى به فى ميناء بودروم (على شاطئ الأناضول) فى أواخر  
أغسطس ، ولما التقى الأسطولان ظهر الفرق جليا بين نظام الأسطول المصرى  
وفوضى الأسطول التركى ، وكان هذا الأسطول قد لاقى الأهوال من مهاجمة سفن  
الثوار اليونان ، فقد كان هؤلاء مهارة كبيرة فى ركوب البحر وحولوا معظم  
مراكبهم التجارية إلى سفن مسلحة أعدوها لغزو السفن التركى ، وكان أشدها  
فنكا السفن المعروفة بالحراقات فانها كانت تقذف بنفسها على السفن العثمانية فتحرقها  
بنارها ، وقد اشتبكت بأسطول خسرو باشا واعترضت طريقه فى مياه جزيرة  
ساموس فأحرقت بارجة الأدميرال وسفينتين آخرين ، وتراجعت العماره التركى  
جنوبا حتى التقت بالعماره المصرية فى مياه ( بودروم ) كما أسلفنا

هاجمت السفن اليونانية العمارتين بالتقرب من بودروم ودارت رحى القتال بين  
الفريقين ، فلاذ الأسطول التركى بالفرار من الميدان ، أما ابراهيم باشا فقد صمد للسفن  
اليونانية حتى أضطرها إلى التقهقر ( سبتمبر سنة ١٨٢٤ )

واتصلت العمارتان المصرية والتركية ثانيا وسارتا إلى مياه جزيرة ( مدالى ) ثم  
تابعت العماره التركى سيرها شمالا إلى الدردنيل

ورجع الأسطول المصرى جنوبا ، فاعترضته السفن اليونانية فى مياه جزيرة  
( ساقر ) واشتبكت به فى معركة شديدة أفضت إلى غرق سفينتين مصريتين (أكتوبر  
سنة ١٨٢٤ ) ثم عاد ابراهيم بأسطوله إلى ميناء ( بودروم )

أدرك ابراهيم باشا من هذه الوقائع أن هزيمة اليونان لا تكون على ظهر البحر

حيث لهم السفن المنبثة في نواحيه ، وأن خير وسيلة للغلبة عليهم هي القضاء عليهم  
برأى في شبه جزيرة الموره ، فرجع أدراجه إلى ميناء (مرمريس) جنوبا ، ثم أقلع  
إلى جزيرة كريت في ديسمبر سنة ١٨٢٤ ورسا بالعمارة في خليج السودان حيث  
أخذ يتحين الوقت المناسب للإقلاع إلى ساحل الموره

ولقد برهن ابراهيم باشا خلال هذه الوقائع البحرية على شجاعته التي امتاز  
بها في حروب البر ، فإنه صمد عدة أشهر لقتل السفن اليونانية التي اشتهرت بعظيم  
قدرتها في خوض غمار البحار ومهارتها في مهاجمة السفن الحربية ، ولولا عزيمته  
ورباطة جأشه في مواجهته المخاطر لنشبت العمارة المصرية وتبددت أمام هجمات  
السفن اليونانية ، قال المسيو (دوان) في هذا الصدد (١) :

« مضت خمسة أشهر على مغادرة العمارة المصرية لثغر الاسكندرية ، خمسة أشهر  
تقضت في جهود شاقة ، ومتاعب لا هوادة فيها ، ومخاطر تجدد كل يوم ، وان  
ما أبداه ابراهيم باشا في هذه الظروف من الثبات ورباطة الجأش لما يسترعى النظر ،  
فان قيادة أسطول بحري تصحبه عمارة من سفن النقل لمن المهام التي لايسهل الاضطلاع  
بها ، وان ابراهيم باشا في قيادته عمارة من مائة سفينة تقل نحو عشرين الف رجل  
من جنود وبحارة قد اضطلع بمثل المهمة التي حملها بونابرت من قبل ، مع حفظ  
النسبة بين الموقفين ، حينما اجتاز البحر الأبيض في أواخر القرن الماضي بعمارة  
من ٢٨٠ سفينة تقل ٣٨٠٠٠ مقاتل ، وإذا تذكرنا أن مصر لم يكن لها إلى ذلك  
الحين أسطول منتظم ، ولا تقاليد بحرية ، ولا هيئة من الضباط البحريين الا كفاء  
ولا العدد السكاني من البحارة المدربين ، وكان على ابراهيم باشا أن يتكسر  
وينظم على الفور كل ما يلزم الحملة البحرية من سفن حربية وسفن للنقل ، ورجال  
وعتاد ، وأن يروض نفسه على ركوب البحر والقتال بين أمواجه وأهواله ، إذ  
تذكرنا كل ذلك ، فانه يحق لنا أن نعجب كيف أن العمارة التي حشدتها محمد علي

(١) في كتابه « فرقاطات محمد علي الأولى ، ص ١٢



أمكنها أن تبقى خمسة أشهر تجوب البحار دون أن تنفكك أوصالها ، وكيف استطاعت أن تثبت أمام الوثبات والهجمات الشديدة التي استهدفت لها وأصابها من عدو له حظ كبير من المهارة من غير أن تخسر سوى سفينتين حربيين وبضعة نقالات ، لا شك أن هذه الحقائق تدلنا على مضاء عزيمة ابراهيم باشا وعلو همته ، وتطالعنا بما تحتويه نفسه من صفات العظمة ومزايا الرياسة والقيادة ، كما أن مواقفه في ميادين القتال ورباطة جأشه في مغالبة المحن تدل على شجاعة كبرى لا يسع أي انسان إلا أن يبادر بالإعجاب بها ،

### النزول الى بر الموره

قلنا إن ابراهيم باشا مضى بعمارته إلى جزيرة كريت وأخذ يتحين خلو البحر من السفن اليونانية ليقلع إلى شواطئ الموره ، وقد تهيأت له الفرصة إذ وقع اضطراب بين بحارة السفن اليونانية لتأخر عطايمهم وتنازع زعمائهم من رؤساء الحكومة الثورية ، فأبى البحارة الاستمرار في القتال فلما علم ابراهيم باشا بهذا النبأ انتهز الفرصة فأقلع بعمارته من (خانيه) إلى ميناء (مودون) جنوبي الموره وأنزل جنوده الى البر في فبراير سنة ١٨٢٥ وألحق القوات التركية في أسوأ حال لغلبة الثوار عليهم بجرأ وبرأ ولم يبق تحت يد الترك من المواقع سوى (مودون) التي نزل بها ابراهيم باشا ، وميناء (كورون) التي كان يحاصرها اليونانيون

### حصار نافارين

أقام ابراهيم باشا في (مودون) قليلا يدبر شؤون جنده ويرسم خطة الزحف على داخل البلاد ، ثم سار منها مع نخبة من جيشه قاصدا (كورون) لنجدتها ، فغلب اليونانيين وفك الحصار عنها وأدخل إلى الجنود المحصورة المدد والمؤن ، ثم أنفذ فرقة من جيشه لضرب الحصار على مدينة (نافارين) التي كان الثوار قد

استولوا عليها وامتنعوا بها ، وكانت من أهم مواقع الموره ، فحاصرها برأ وبحراً واشتدت مقاومة اليونانيين وتكبد المصريون الأهوال في حصار المدينة ، فقام ابراهيم باشا مع بقية جيشه من ( مودون ) ليشدد الحصار على نافارين ، فهاجمته في طريقه اليها فرقة من اليونانيين يبلغ عددها ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل أتوا لنجدة حامية ( نافارين ) فهزمهم ابراهيم باشا وأسر قائدهم وبدد ثملهم وشدد الحصار على المدينة برأ وبحراً وكادت تشرف على التسليم لولا قدوم جيش من متطوعي اليونانيين يبلغ تسعة آلاف مقاتل جاءوا لرفع الحصار عن المدينة وقهر الجيش المصرى

ليكن ابراهيم باشا قابل هذا الجيش بشجاعة ونظام بديع ، فصف جنوده على ترتيب محكم ، ولما أصبح الأعداء على عشرة أميال ركب المدافع القوية حول المدينة وترك جزءاً من جيشه يتولى حصارها وقام ببقية الجيش والتقى باليونانيين على مقربة من من البلد ، فهجم هؤلاء بحماسة عظيمة ولكن من غير نظام ، أما ابراهيم باشا فقد أمر جنوده بالثبات في مواقعهم دون أن يطلقوا النار حتى تصدر اليهم الأوامر بذلك فلما صار العدو على مائة متر قابله الجنود المصريون بإطلاق النار ، دفعة واحدة ، فحصد الرصاص الصفوف المتقدمة حصداً وألقى الرعب في قلوب المهاجمين واختلت صفوفهم ، ولم يمض قليل حتى قتل معظم جنود اليونانيين وتشتت الباقون في الجبال وفي أنحاء اليونان

كانت هذه الواقعة هزيمة كبرى أصابت اليونانيين وفشتت في عضدهم وزلزلت آمالهم ، كما أنها كانت نصراً مبيناً للجيش المصرى ، انتهت بسحق الجيش اليونانى وغنم المصريون فيها غنائم كثيرة وأسروا عدداً عظيماً من الأسرى فيهم عدة من الضباط ورؤساء الجنود الذين عليهم اعتماد اليونانيين في تنظيم حركاتهم الحربية

وقد رفعت هذه الواقعة من شأن الجيش المصرى ، فانها أول معركة خاضها في القارة الأوروبية بعد حروبه السابقة في آسيا وأفريقية ، وكانت فاتحة انتصاراته في حرب الموره ، وقد شهد الجميع للجيش المصرى بالنظام والشجاعة والثبات ، وكان

مسلك الجنود فيها حيال اعدائهم مسلحاً إنسانياً رائعا ، فلم يرتكبوا شيئا من الفظائع ، وكانوا يحسنون معاملة الأسرى اليونانيين ، كما أن أطباء الجيش المصري كانوا يعنون بتضميد جراحهم إنفاذا لأوامر إبراهيم باشا

تمكن الجيش المصري بعد هذه الواقعة من تشديد الحصار على ( نافرين ) برا ، وليكن المدينة لوقوعها على البحر كان يأتيها المد والموث ، فرأى إبراهيم باشا أن لا سبيل إلى منع وصول المدد إليها إلا إذا استولى على جزيرة اسفاختريا التي تحجب المرفأ لئلا يتمكن من تركيب المدافع بها وإقفال مدخل الميناء ومنع دخول المدد إليها ، وكان اليونانيون يعرفون ما لهذه الجزيرة من الأهمية ، فحصنوها ووضعوا فيها عدة بطاريات من المدافع ، فكان الاستيلاء عليها من أشق الأمور ، على أن إبراهيم باشا بعد أن شاور أركان حربه رأى أن فتح ( نافرين ) مستحيل بغير الاستيلاء على هذه الجزيرة فصمم على احتلالها وعهد هذه المهمة إلى سليمان بك ( باشا ) الفرنساوى <sup>(١)</sup> ( مايو سنة ١٨٢٥ )

فاختار سليمان بك نخبة من الجنود ممن مهروا في النظام الجديد وسار بهم من ( مودون ) بجزر أفساد ( نافرين ) ، ولما علم اليونانيون بأن هذه القوة آتية لاحتلال الجزيرة عززوا حاميتها بقوة من شبانهم ومقاتلتهم

فلما صارت السفن المصرية على مرى المدفع أطلقت قلاع العدو المدافع عليها فلم تنزل قلوب المصريين ، وأجابوا بضرب المدافع من السفن ، ونزلت العساكر البرية منهم في الزوارق وقصدوا الجزيرة تحت وابل من القنابل ، فتمكثوا من الوصول إلى البر ، وترامى الفريقان بإطلاق البنادق ، ثم هجم المصريون هجوما الأبطال وكان عددهم ١٢٠٠ مقاتل ، واحتلوا الجزيرة عنوة بعد أن دافع اليونانيون دفاعا شديدا عنها ، وليكن المصريين غلبوهم بحسن نظامهم وشجاعتهم ورفعوا العلم المصري على استحكامات الجزيرة

(١) فولابل ، مصر الحديثة جزء ٢ ص ٢٢١

## استيلاء المصريين على نافرين

مايو سنة ١٨٢٥

كانت نتيجة هذه الواقعة أن شدد الجيش المصرى الحصار على نافرين برا وبحرا ، وقد حاول اليونانيون أن يمدوا المدينة المحصورة بالرجال والعتاد ، فكان إبراهيم باشا يفسد كل محاولة من هذا القبيل ، فلما ينس الجنود المحصورون من وصول المدد اليهم طلبوا من إبراهيم باشا أن تسلم إليه المدينة بقلاعها وما فيها من المؤن والذخائر والأسلحة بشرط أن يؤمنهم على حياتهم ، فاستجاب لهذا الطلب ( ١٨ مايو سنة ١٨٢٥ ) ودخل المدينة فكان دخول الجيش المصرى اليها من أعظم الانتصارات التى تزين تاريخه الحربى ، وكان لسقوطها أثر بالغ فى الموقف الحربى جعل اليأس يدب فى صفوف اليونانيين ، ووطد مركز الجيش المصرى ، لأن ( نافرين ) و ( مودون ) و ( كورون ) هى قواعد حربية هامة يتسلط منها الجيش على الموره

### نشاط السفن اليونانية

وفى خلال القتال تمكنت السفن اليونانية التى بميناء نافرين من الإفلات من الحصار إلا سفينتين وقعتا فى أسر المصريين ، وانضمت إلى السفن اليونانية التى تمخر فى بحر الأرخيبيل ، فأخذت تنشط لمحاربة العمارة المصرية ، وتمكن الاميرال اليونانى ( ميوليس ) من الاقتراب من ميناء ( مودون ) التى كانت العمارة المصرية راسية بها <sup>(١)</sup> واستطاعت الحراقات اليونانية أن تشعل النار فى السفن المصرية الراسية خارج الميناء ، وكانت الريح شديدة ، فاندلعت النار إلى باقى السفن ، فتعذر اطفائها ، ولم ينج بحارتها بأنفسهم إلا بعد عناء شديد ، وذهب كثير من السفن ،

في هذا الحريق ، وامتدت النار إلى المدينة فالتهمت جزءاً منها ، وتناولت مخازن البارود فنسفتها وتهدم بناؤها وهدمت الأماكن المجاورة لها ، وقد وقعت هذه هذه الحادثة أثناء حصار نافرين ، فلم تفت في عضد ابراهيم باشا ولم تثنه عن عزمه ، ودأب في القتال إلى ان استولى على المدينة

### مهاجمة السفن اليونانية سواحل مصر

وفي غضون الحرب استهدفت السواحل المصرية لقرصنة السفن اليونانية التي أحفظها اشتراك مصر في الحرب ، فأقبلت ثلاث من حراقات اليونان إلى بوغاز الاسكندرية ودخلت واحدة منها إلى الميناء ووصلت أمام طابية صالح وأشعلت نارا تريد إحراق الأسطول المصري الذي كان راسيا أمامها وهي الطريقة التي اشتهرت بها الحراقات اليونانية ودمرت بها كثيرا من السفن العثمانية ، ولسكن حراس القلعة بادروا إلى اطلاق المدافع على السفينة اليونانية ، وبادرت السفن الحربية المصرية إلى إرسال بعض زوارقها المسلحة بالمدافع فهاجمتها وأخذت ناراها ، وبرهنت في تلك الحركة على مهارتها ويقظتها ، فلما رأت السفينتان اليونانيتان الآخرتان ما حل بالأولى لاذتا بالفرار

ولما علم محمد علي باشا بهذه المحاولة الجريئة أصدر أمره إلى محرم بك أميرال الأسطول المصري ووكيله بلال أغا بالخروج مع خمس سفن حربية لتعقب الحراقتين اليونانيتين ، وخرج محمد علي صحبة هذه الحملة على ظهر السفينة الحربية ( جناح بحرى ) ، ولسكن الحملة لم تستطع للحاق بالحراقتين ، وقد تابع محرم بك تجواله بالأسطول حتى بلغ مياه رودس حيث كانت السفن اليونانية ، فلما أبصرت الأسطول المصري لاذت بالفرار وأقلعت إلى مياه الأرخبيل

فتح كلاماتا Kalamata

لماسقطت ( نافرين ) اعتصم الثوار اليونانيون وعددهم نحو خمسة آلاف بقيادة ( بترو بك ) في ميناء ( كلاماتا ، وكانوا من سكان الجبال المشهورين بالشجاعة وشدة اليأس واجمعوا الاستبسال في مقاومة الجيش المصرى ، ففضى إليهم ابراهيم باشا ، ولما وصل إلى ( كلاماتا ) اشتد القتال بين الجيش المصرى والثوار اليونانيين وانتهى بهزيمة اليونانيين ودخول الجيش المصرى المدينة ، واحتل ابراهيم باشا كذلك القلاع والقرى الصغيرة القريبة من كلاماتا بعد مقاومات محلية قتل فيها حاميات تلك القرى أو وقعت فى الأسر وفتح كذلك ( اركاديا ) الواقعة على البحر غرب الموره ( انظر مواقع هذه البلاد بالخرطة ص ٢٠٨ )

فتح مدينة تريبولتسا Tripoltza

يونيه سنة ١٨٢٥

كانت ( تريبولتسا ) عاصمة الموره والواقعة فى قلب شبه الجزيرة معقلا منيعا للثوار ، اختاروها وجعلوها مثابة للبقاومة الأهلية لمنعة موقعها وصعوبة الوصول إليها ، فقرر ابراهيم باشا الزحف عليها للقضاء على الثورة فى معقلها فشرع فى اجتياز جبل ( تاجننت )

وكان اجتياز مضائق هذا الجبل الوعر من أشق الأمور لوعورة الطرق واستهداف من يجتازها للاخطار ، وقد هزم ابراهيم باشا عند مضيق كورشيكا قوات الثوار التى كان يقودها الثائران الشهيران ( كولوكترونى ) و ( بترايكو ) وكان غرضهما أن يسدا الطريق أمام ابراهيم باشا ويحميا مجموعتهما موقع ( تريبولتسا ) و لكن الجيش المصرى قهر هذه القوات وقتل فى هذه المعركة نحو خمسمائة من اليونانيين ودخل مدينة تريبولتسا فوجدها خالية من السكان إذ

أخلاها أهلها بعد أن أضرموها فيها النار قبل رحيلهم وأووا الى الجبال  
وبعد أن تم لابراهيم باشا فتح مدينة (تريبولتسا) تابع زحفه لمطاردة القوات  
اليونانية فقصده وادى أرجوس Argos وقهر حشدا من الثوار بقيادة إبسلانتي ،  
وفي ٢٧ يولييه سنة ١٨٢٥ عرج بوادي (لاكونيا) حيث كان الثوار يرابطون في  
معاقله فهزمهم واستولى على استحكاماتهم ، وكذلك احتل باتراس ، وبذلك صار  
شبه جزيرة (موره) في قبضة الجيش المصرى عدا مدينة (نوبلى) عاصمة الحكومة  
الثورية فأخذ يتأهب لحصارها

فتح مدينة ميسولونجى

٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦

بينما كان ابراهيم باشا يتأهب لحصار (نوبلى) جاءه نبأ من رشيد باشا قائد  
الجيش التركية يطلب منه النجدة والمدد ليعاونه في حصار ميسولونجى ، فعدل  
مؤقتا عن حصار (نوبلى) وولى وجهه شطر (ميسولونجى)  
كان رشيد باشا يحاصر هذه المدينة منذ مدة طويلة دون أن ينال منها متلا ،  
وكان موقعها ذا منعة لوقوعها على خليج (باتراس) واتصالها بالبحر حيث كان  
يحييها المدد من طريقه ولم تستطع العمارة التركية أن تحصرها من هذه الناحية لوجود  
السفن والحراقات اليونانية بقيادة الاميرال (ميوليس) تمنعها الدنو من المدينة  
فلما عجز رشيد باشا عن متابعة حصار ميسولونجى ، واستعصت عليه ، بعث  
يستنجد بالجيش المصرى ، فأرسل ابراهيم باشا لوالده ينبئه بذلك ، ويطلب منه أن  
يوافيه بالمدد ، فأرسل له مددا كبيرا من الجنود والعتاد  
فلما تلقى ابراهيم باشا ذلك المدد ترك بيلاده (موره) ما يكفيها من الحاميات  
وعهد الى السكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) قيادة القوات المصرية فى

تريبولتسا وسائر بلاد الموره ، وقام من فوره في عشرة آلاف من المشاة وخمسمائة من الفرسان إلى باتراس ثم عبر الخليج وسار (بحرا) قاصدا مدينة ميسولونجي (فبراير سنة ١٨٢٦) فاشترك مع رشيد باشا في الحصار واتبع أولا خطة رشيد باشا فأخفقت ورجع عنها منهزما ، فطرح جانبا خطط رشيد باشا ، ورسم لنفسه الخطة التي نجحت في حصار (نافارين) وشدد الحصار عليها برا وبحرا ، وكانت العمارة المصرية البحرية يقودها الأميرال محرم بك ، واحتل الجزر الواقعة على مدخل الميناء وحصنها لينع ورود المدد بحرا إلى (ميسولونجي) كما فعل في نافارين

وقد أراد ابراهيم باشا بادية الامو أن يتفادى أهوال القتال وسفك الدماء فطلب من المدينة التسليم فأبى أهلها أن يسلموا وأجمعوا أمرهم على المقاومة إلى النهاية مهما كلفهم من الضحايا ، وأرسلوا إلى القائد اليوناني (كرايسكاكي) وكان على مقربة من المدينة ينبئونه بأنهم عزموا على الخروج جميعا في ليلة ١٢ ابريل سنة ١٨٢٦<sup>(١)</sup> وطلبوا إليه أن يهاجم الجيش المصري في ميعاد حدوده ، فلما خرجوا في الوقت المعلوم في هدوء وسكون مستترين في جنح الظلام قابلهم الجيش المصري بنار كالصواعق حصدت صفوفهم حصدا ، فارتدوا إلى المدينة من غير نظام ، وتعقبهم المصريون حتى دخلوا المدينة في أعقابهم ، وأعملوا فيهم السيف والنار وقتلوا منهم مقتلة عظيمة

ولما ضاقت السبل بالبقية الباقية من المدافعين اجتمعوا في مستودع الذخائر وكان عددهم نحو ألفين مابين شيوخ وأطفال ونساء وانفقت كلتهم على أن يؤثروا الموت على التسليم ، فوضعوا البارود وأشعل فيه رئيسهم النار فانفجر وخر المكان على من فيه وقتلوا جميعا ، وقد احتمل المصريون في فتح المدينة خسائر جسيمة فقد بلغ عدد قتلاهم في الهجمة الأخيرة نحو ألفي قتيل

(١) فولابل . مصر الحديثة ٢ ص ٣٥١



### حصار أثينا

انفصل الجيش التركي عن الجيش المصرى بعد فتح (ميسولوجى) فعاد ابراهيم باشا الى (موره) وقصد الجيش التركى الى مدينة (أثينا) لفتحها ولم يكن بها من القوة ما يكفي لصد هجماته فبادر القائد اليونانى (كرايسكاكى) والكولونل (فافيه) الفرنسى الى نجدة المدينة ولكن رشيد باشا أحكم حصارها ومازال يشدد الحصار حتى سلبت (يونيه سنة ١٨٢٧)

### إعداد محمد على حملة جديدة

كانت حالة الثورة اليونانية فى أوائل سنة ١٨٢٧ تدعو إلى اليأس ، فلم يكن بقى فى أيدى الثوار سوى مدينة (نوبلى) فى بلادالموره ، وأثينا فى الأتيك ، وتمركزت قوة الثوار فى جزيرة (هيدرا) و (اسبترىا) من جزر بحر الأرخيبيل ، وقد عاث الثوار فى البحر فسادا ، وازدادت قرصنتهم ، وكثرت انتهاهم للمتاجر التى تحملها السفن

فاعتزم محمد على بعد سقوط ميسولوجى تجريد حملة جديدة بالاشتراك مع تركيا للقضاء على آخر معقل للثورة اليونانية

فأعد مدداً من عدة آلاف من الجنود حشدتم فى الاسكندرية كى يرسلهم إلى ابراهيم باشا ، واجتمع بمينائها معظم الأسطول المصرى وكان قد عاد من ميناء اليونان لإصلاح ما عطب من سفنه ، والعمارة التركية التى جاءت للغرض نفسه ، وانضم إليهما من السفن الحربية الجديدة التى كان محمد على أوصى بها من قبل فى ثغور مرسيليا وليفورن وفينسيا (البندقية) ، فكانت الاسكندرية فى ابريل سنة ١٨٢٧ قاعدة لحملة كبيرة بربية وبحرية تستعد للإقلاع إلى مياه اليونان للقضاء على آخر معقل للثورة فى جزيرة هيدرا واسبترىا وميناء نوبلى

### تدخل الدول

وفي غضون ذلك كانت الدولة الأوروبية لا تفتأ تتفاوض لإنقاذ الثورة اليونانية، وترجع مفاوضاتها إلى ما قبل سقوط ميسولونجى ، ذلك أن الجمعيات اليونانية المنبثقة في بعض العواصم الأوروبية كانت تحرك الرأى العام الأوروبي وتستصرخه للأخذ بناصر اليونان ، وقد تحرك أيضا نصراء الثورة اليونانية من رجال السيف والقلم في روسيا وإنجلترا وفرنسا لدعوة الدول إلى التدخل لإنقاذ الثورة ، ونهض منذ ابتداء الحرب جماعة من أقطاب الشعراء والأدباء أمثال اللورد بايرون وفيكتر هيجو وشاتوبريان وغيرهم يستصرخون الرأى العام الأوروبي ، ويضربون على الوتر الدينى الحساس لتوجيه هيول الأمم والحكومات فى أوروبا إلى نجدة اليونانيين ، وبلغ باللورد بايرون انتصاره لهم أن تطوع فى صفوفهم ومات فى ميسولونجى سنة ١٨٢٤ ، وجاشت العداوة القديمة بين تركيا وروسيا ، فكانت الحكومة الروسية أسبق الدول إلى الرغبة فى التدخل ، وخاصة بعد أن تولى عرشها القيصر نقولا الأول خلفا للإسكندر ( ديسمبر سنة ١٨٢٥ ) فإنه كان أقوى شكيمة من سلفه ، فاعتزمت روسيا أن تتدخل بمفردها لصالح اليونان ، لكن إنجلترا خشيت أن تنفرد روسيا بالتدخل فيقوى نفوذها فى البلقان والشرق ، ويعلو على نفوذ إنجلترا ، فأوفدت إليها الدوق ولنجتون سفيرا لديها لتوحيد أغراض الدولتين ، وعقدتا اتفاقا مبدئيا فى ( ٤ ابريل سنة ١٨٢٦ ) يرمى إلى تخويل اليونان استقلالها الداخلى مع بقاء السيادة التركية ، ولما سقطت ميسولونجى كان لسقوطها تأثير كبير فى الرأى العام الأوروبي لأن البطولة التى أظهرها أهلها فى الدفاع عنها زادت من عطف الأوروبيين عليهم ، وتجددت المفاوضات بين الدول ثم أسفرت عن إبرام معاهدة لندرة ( ٦ يوليه سنة ١٨٢٧ ) ، وهى المعاهدة التى اتفقت فيها كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا على التدخل بين تركيا واليونان لتقرير مصير المسألة اليونانية على قاعدة استقلال اليونان الداخلى مع بقاء السيادة التركية عليها ، وقضت

بأن تطلب الدول من الجانبين وقف حركات القتال تمهيدا للوساطة بينهما ، واتفقن فيما بينهن على أن يعرضن على الباب العالى هذه الوساطة ، فإذا لم يقبلها في مدة شهر من إبلاغه نبأها يلجأن إلى القوة في تنفيذ مطالبهن

أما النمسا فلم تشترك في المعاهدة ولا في التدخل اتباعا لمبدأ وزيرها الأكبر مترنيخ وهو الا يعضد أية ثورة يقوم بها شعب ضد حكومته الشرعية

كانت هذه المعاهدة إنقاذا للثورة اليونانية لانها أبرمت في الوقت الذي اشرفت فيه الثورة على الاحتضار وكانت تلفظ النفس الأخير ، وقد تحاذل زعماءها وسرى اليأس إلى نفوس أنصارها ، فلما أبرمت المعاهدة ابتهج لها اليونانيون ابتهاجا عظيما ، وعاودهم الأمل في تحقيق مطالبهم بمعونة الدول الأوروبية

وكان الحلفاء يعلون إصرار تركيا على رفض طلباتهم ، فانفقوا على إرسال أساطيلهم إلى مياه اليونان لتأييد مطالبهم بالقوة ولمنع السفن المصرية والعثمانية من الوصول إلى شواطئ اليونان وإرسال المدد إلى الجيش المصري والتركي بها

فأنفذت إنجلترا إلى بحر الأرخيبيل أسطولا مؤلفا من ١٢ سفينة بقيادة الأميرال كودرنجتون Codrington وجاء بعده الأسطول الفرنسي وعدده سبع سفن بقيادة الأميرال ريني Rigny ، أما الأسطول الروسي وعدده ثمان سفن فقد جاء متأخرا من طريق بحر الباطيق بقيادة الأميرال هيدن ، فانضم إلى الأسطول الانجليزي والفرنسي ، وتولى القيادة العامة للأساطيل الثلاثة الأميرال الانجليزي كودرنجتون

### إقلاع الحملة المصرية إلى مياه نافرين

وأم محمد على تجهيز الحملة التي أعدها لإمداد إبراهيم باشا ، فأقلمت العمارة البحرية من الإسكندرية في أوائل أغسطس سنة ١٨٢٧ بقيادة الأميرال محرم بك ،

وكانت مؤلفة من ١٨ سفينة حربية مصرية ، و ١٦ سفينة تركية ، وأربع سفن  
تونسية ، وست حراقات وأربعين مركبا لنقل الجنود وعددهم ٤٦٠٠ مقاتل ،  
وكان الغرض الأول من الحملة محاصرة جزيرة ( هيدرا ) التي كانت أهم معقل  
للشورة اليونانية

رست العمارة بميناء نافارين في ٩ سبتمبر ١٨٢٧ ، وانضمت إلى أسطول تركي  
آخر جاء من الاستانة بقيادة الاميرال طاهر باشا وعدده ٢٣ سفينة ، وتولى ابراهيم  
باشا القيادة العامة لقوات البر والبحر ، وأخذ يتأهب لحملة بحرية على جزيرة ( هيدرا )  
وحملة برية ينفذها إلى شمالي ( الموره )

أما أساطيل الحلفاء فقد اتخذت مكانها باديء الأمر بين جزيرتي هيدرا وترنميا  
وكان الاميرال كودرنجتون لا يفتأ يتجسس أخبار العمارتين المصرية والتركية  
لمنعهما من الوصول إلى سواحل اليونان ، وإزال المدد بالبر ، ولسكنهما وصلتا  
نغر نافارين دون أن يشعر بهما الحلفاء ، فلم يجدوا سبيلا لمنعهما من دخول الميناء  
أو ازال المدد ، وبذلك أخفقوا في خطتهم الأولى

وأخذت السفن المصرية والتركية مكانها في الميناء ، وبدا الفرق جليا بين  
الأسطولين ، فقد تفوقت السفن المصرية بحسن نظامها وترتيبها وجودة سلاحها ،  
وفي هذا الصدد يقول السكبتن فيلوز أحد ضباط الأسطول الانجليزي الذي جاء  
يستطلع أخبار العمارتين في نافارين : « ان السفن الحربية المصرية كانت تبدو في  
حالة جيدة جدا »

#### مقدمات واقعة نافارين البحرية

سأه الحلفاء وصول العمارة المصرية التركية إلى نافارين وإيوائها إلى مكان  
حصين ، فتحركت سفنهم وقصدت إلى تلك الميناء لإملاء شروط الحلفاء على  
ابراهيم باشا ، وكان الأسطول الإنجليزي أسبق الأساطيل المتحالفة إلى الحضور ،

فقد وصل قبالة نافارين يوم ١٢ سبتمبر ، ثم أعقبه الأسطول الفرنسي فجاء يوم ٢١ منه ، أما الأسطول الروسي فلم يجيء الا في أوائل اكتوبر

وقد بادر الاميرال كودرنجتون بفتح باب الشر ، فأرسل إلى ابراهيم باشا رسولا ( يوم ١٩ سبتمبر ١٨٢٧ ) يبلغه مطالب الحلفاء طبقا لمعاهدة لوندره ، ومضمونها وقف حركات القتال برأ وبحرآ ، وأبلغه أن الحلفاء أرسلوا أساطيلهم لمنع وصول السفن الحربية أو القوات البرية إلى أى جهة من اليونان أو إلى جزائر بحر الأرخييل ، ومعنى هذا البلاغ إنذار ابراهيم باشا بالسكف عن إرسال الحملة البحرية إلى جزيرة ( هيدرا ) أو تحرك جنود البر داخل شبه جزيرة الموره

ولما جاء الأسطول الفرنسي قابل قومندانه الاميرال ريني ابراهيم باشا ، وكرر عليه مطالب الحلفاء ، ثم قابله مرة أخرى لهذا الغرض يصحبه الاميرال كودرنجتون وكان القصد من هذه البلاغات والمقابلات إرهاب ابراهيم باشا وتهديده كي يعود بأسطوله إلى الاسكندرية ، لكن البطل ابراهيم قابل تهديد الحلفاء بالثبات ورباطة الجأش ، وكان جوابه أنه سيرسل إلى والده بالاسكندرية وإلى الباب العالى بالاستانة يطلب تعليماتهما فى الموقف الذى يتخذه ، وإلى ان يتلقى هذه التعليمات فإنه يتعهد ببقاء الأسطول فى نافارين

لم يكن الحلفاء صادقين فى مسألتهم ، لأن المعاهدة كانت تقضى بوقف حركات انقتال من الجانبين ، لكن خطة الحلفاء الحقيقية كانت ترمى إلى فرض هذا الشرط على الجانب المصرى والتركى فقط ، مع ترك اليونانيين أحرارا فى حركاتهم البحرية والبرية داخل شبه جزيرة الموره أو فى بحر الأرخييل ، وبذلك يقوى جانبهم ويتسنى لهم أن يجمعوا صفوفهم من جديده وأن يتلقوا المدد ويهاجموا الحاميات المصرية ويوقعوا بها

ولم يفت نظر ابراهيم باشا الثاقب إدراك هذه الخطة ، فقد فطن إليها وتحققها ، ومما يؤثر عنه فى هذا الصدد أنه قال الاميرال ريني خلال حديثه معه : « انكم تطالبون منى وقف كل حركات القتال ، وفى الوقت نفسه تتركون الأروام يفعلون ما يشاءون ،

أن هذا ليس من الإنصاف في شيء ،

فسوء النية من ناحية الحلفاء كان أمرا ثابتا لانزاع فيه ، وهو الذي أدى إلى معركة نافارين البحرية ، على أن ابراهيم باشا أراد أن يتفادى مسؤولية القتال لأن العلاقات بين تركيا والحلفاء كانت في الظاهر ودية حتى ذلك الحين ، فتعهد ببقاء أسطوله في نافارين إلى أن ترد التعليمات من محمد علي والباب العالي ، ورضى بهذا العهد مع أنه كان على تمام الأبهة لإنفاذ الاسطول إلى جزيرة هيدرا ، ولو هو سار إليها لسحق آخر معقل لليونان ، ولكن سياسة الحلفاء أثبت عليه ذلك

عقدت إذن هدنة وقتية بين ابراهيم باشا والحلفاء ، ولكن اليونانيين انتهزوها فرصة وقاموا بحركات عدائية في خليج كورنت واعتزموا مهاجمة ( باتراس ) شمالي الموره بمعاونة الحلفاء ، وكان الجيش المصري يحتلها ، فابلق ابراهيم باشا الخبر إلى الاميرال كودرنجتون كي يمنع هذه الأعمال المناهية للهدنة ، فلم يلق جوابا مقنعا ، فاعتزم إمداد ( باتراس ) وسار بحراً في عمارة من بعض السفن الحربية

فثارت نائرة الحلفاء ، وعدوا هذا العمل نقضا للهدنة ، على حين أن ابراهيم باشا إنما تعهد بعدم مهاجمة جزيرة هيدرا ، ولم يتعهد بالامتناع عن نجدة الحاميات المصرية في الموره ، وكان مفروضاً أن يحترم الأروام الهدنة ولكنهم نقضوها بحركاتهم الحربية ، فاضطر ابراهيم باشا إلى معاونة الحامية المصرية في باتراس ، ولكن الاميرال كودرنجتون لم يكن يصغي لحكم المنطق ، بل كانت لديه خطة مدبرة ينفذها ، فتعقب العمارة المصرية باسطوله ، ولحق بها تجاه رأس ( باباس ) شمالي الموره وتهدها بالحرب إذ لم ترجع عن سيرها ، فاضطرت أن تعود أدراجها إلى نافارين

ثم جاء ابراهيم باشا جواب محمد علي بأنه عرض الأمر على الباب العالي ، وسيرسل إليه تعليماته النهائية إذا ورد الرد ، وفي انتظار هذه التعليمات يوصيه بالتزام خطة السلم وتجنب الاصطدام مع الدول أو التحرش بها حتى ولو طلب إليه الباب العالي ذلك ذلك أن محمد علي رأى بعين حكيمته أن محاربة الحلفاء أمر لا تحمد عاقبته ، لأنهم أقوى عددا واستعدادا ، وخاصة لأنهم ما السكون ناصية البحار ، فالتحرش بهم يعرض

### الأسطول المصري للدمار

وقد عمل ابراهيم باشا بهذه الوصية ، والتزم في نافرين خطة الدفاع ، وكان ابراهيم يقدر أساطيل الحلفاء وبلغها من القوة ويعلم انها وان كانت أقل عددا من العمارة المصرية التركية ، إلا أنها أرقى منها نظاما ، وبوارجها أقوى سلاحا ، ومدافعها أشد فتكا وأبعد مرمى ، وقوادها وضباطها أكثر علما وكفاءة ، فكان يرى الحكمة في تجنب الاصطدام بأساطيل الحلفاء ، ووافق رأيه في هذا الصدد رأى محمد علي لكن قواد الحلفاء انفسهم لم يقنعوا بخطة الدفاع ، بل يبتغوا الشر للأسطول المصري والتركي ، واتفقوا فيما بينهم على تدميره مهما كان مسلك ابراهيم باشا ، ومن هنا وقعت كارثة نافرين ، وهذه المؤامرة قد دبرتها السياسة الإنجليزية وأوعزت بها إلى الحلفاء ، وغايتها منها أن تقضى على العمارة المصرية الفتية التي أنشأها محمد علي ، فلا تعود مصر تنافسها السيادة في البحر الأبيض المتوسط ، وهكذا كانت إنجلترا ولم تزل تبرص بمصر وتدبر لها المكائد في كل ناحية وتحول دون أخذها بأسباب القوة والمنعة في البر والبحر

### واقعة نافرين

٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧

غادر ابراهيم باشا نافرين في منتصف أكتوبر ، وزحف بجزء من جيشه داخل الموره لإنجاد الحاميات المصرية ، وأوصى الأميرال محرم بك قائد الاسطول المصري والأميرال طاهر باشا قائد الاسطول التركي بالألا يتحرشا بالاسباطيل الدولية ولا يخرجوا ازامها عن قواعد المودة والجمالة ، لأن العلاقات بين الحلفاء وتركيا ومصر لم تكن قطعت ولا أعلنت الحرب بين الفريقين وبعد أن بارح نافرين أرسل اليه قواد أساطيل الحلفاء إنذارا يبلغونه فيه أنه نقض الهدنة ، ويلقون عليه تبعه هذا العمل وعواقبه الخطيرة ، جاء الرسول إلى

نافرين حاملا هذا الإنذار يوم ١٨ أكتوبر ، أى قبل الواقعة بيومين ، فلم يلق ابراهيم باشا ، فعاد بالرسالة إلى الأميرال كودرنجتون ، ولم تكن هذه الرسالة إلا ذريعة لإنفاذ الخطة التى اتفق عليها الحلفاء ، وهى القضاء على أسطول ابراهيم باشا

فاجتمع قواد الحلفاء فى ذلك اليوم وتداولوا فى الأمر ، فاستقر رأيهم على الدخول باساطيلهم ميناء نافارين ليكون ذلك ، فى نظرهم ، أدعى إلى اجبار ابراهيم باشا على تنفيذ مطالبهم ، وتظاهروا بأنهم يعملون فى حدود معاهدتولو ندره ، وانهم لا يقصدون إلا المحافظة على السلم ، ومنع وقوع الحرب ، وهكذا تكذب السياسة فى لغتها وأساليبها ، فهى تبيّت الشر والحرب ، وتبهيء وسائل الخراب والدمار ، وتظاهر فى الوقت نفسه بالمحافظة على الصلح والسلام

كانت السفن المصرية والتركية مصطفة داخل الميناء على ثلاثة صفوف شبه متوازية ، كل صف فى شكل نصف دائرة ، يمتد طرفاها من نافارين الجديدة الواقعة على يمين البوغاز إلى جزيرة اسفاختريا التى تحجب عن الميناء أمواج البحر ، ووقفت البوارج والفرقاطات الكبيرة فى الصف الأول ، وفى الصف الثانى سفن الكورفيت ، وبها سفن الابريق وغيرها ، وتجد على الخريطة ( ص ٢٣٦ ) موقع السفن

وكان يحمى مدخل الميناء استحكامات قلعة نافارين وبطاريات من المدافع فى طرف جزيرة اسفاختريا ، يعاونها أيضا سفن خفيفة من الحراقات ، وهى مراكب تندفع والنار مشتعلة فيها على بوارج الأعداء لتحرقها بنارها ، وكان على ظهر بعض السفن المصرية طائفة من الضباط الفرنسيين الذين استخدمهم محمد على لإصلاح البحرية ، فأرسل إليهم الأميرال رينى <sup>(١)</sup> قومندان الأسطول الفرنسى يدعوهم إلى الانسحاب من الدونمة المصرية حتى لا يجاروا اخوانهم ومواطنيهم ، فلبوا الدعوة واستأذنوا من الأميرال محرم بك فى مغادرة الأسطول ، فلم يسعه إلا الإذن لهم بما طلبوا ، وتركوا الأسطول المصرى يوم ١٨ أكتوبر فى أشد الأوقات حرجا

(١) يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٨٢٧



وفي صبيحة ١٩ أكتوبر جمع الاميرال كودرنجتون قباطين الحلفاء على ظهر بارجته (آسيا) وأصدر اليهم تعليماته فيما يجب عليهم عمله عند بدء القتال وأحكم قواد الحلفاء تدايرهم في الوقت الذي كان الاميرال محرم بك والاميرال طاهر باشا مطمئنين إلى الموقف موقنين أن ليس ثمة حرب ولا قتال وانقضى يوم ١٩ أكتوبر والحلفاء معتمرون اقتحام البوغاز وتدمير العمارتين المصرية والتركية ، وكانوا يزمعون إنفاذ خطتهم ذلك اليوم ، ولكن الريح لم تساعد السفن على دخول الميناء ( وكانت السفن الحربية إلى ذلك الحين تسير بالشرع لا بالبخار ) فارجأوا هجومهم إلى اليوم التالي

ففي نحو الساعة العاشرة من صبيحة ٢٠ أكتوبر بدأت سفن الحلفاء تتأهب لدخول الميناء عند أول إشارة تصدر اليها ، ففي ساعة الظهر أخذت البارجة (آسيا) التي تقل الاميرال كودرنجتون تتجه على سمت من الخليج ، تحيط بها بقية السفن الانجليزية ، تتبعها العارتان الفرنسية والروسية

وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر اصدر كودرنجتون أمره إلى أساطيل الحلفاء بالتأهب للقتال ، وعند تمام الساعة الثانية اقتحمت البوغاز

فأرسل الاميرال محرم بك قائد الأسطول المصري رسولا إلى البارجة آسيا يطلب إلى كودرنجتون أن يمنع عمارة الحلفاء من الرسو في نافرين ، فأجاب الاميرال الإنجليزي الرسول في لهجة جافة بأنه لم يجيء ليتلقى أمرا ، بل جاء ليملي أوامره ، وكان هذا الجواب دليلا على نية الشر والعدوان التي تختلج في نفوس الاميرال الإنجليزي وزملائه . واستمرت البارجة (آسيا) في طريقها يتبعها بقية الأسطول وأخذت سفن الحلفاء مكانها الذي رسم لها من قبل ، فاصطفت تقريبا على شكل نصف دائرة في مواجهة اسطول ابراهيم باشا ، واقتربت معظم السفن حتى صارت أمام السفن المصرية والتركية وجها لوجه ( أنظر الخريطة ) وصار بعضها على مرعى المسدس منها ، فلم يكن ثمة شك في أنها جاءت تتحداها للقتال

ووفقت البارجة الإنجليزية دارتموث على رأس الصف لتعطل عمل الحراقات



ميناء نافارين والواقعة البحرية  
٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧

لمصرية الراسية في مدخل الميناء ، وطلب قومندانها إلى إحدى هذه الحراقات أن يغادرها بحارتها وجنودها ، أو أن تنسحب من موقعها ، وكان هذا الطلب ذريعة إلى إشعال نار القتال ، فإن الرسول الذي حمل هذا الطلب إلى السفينة المصرية ذهب إليها في قارب مسلح متحفزاً متحدياً للقتال ، وقد زعم مؤرخو الحلفاء ، أن رصاصة أطلقت من السفينة المصرية أصابت أحد جنود الحلفاء وكانت السبب في إضرار نار القتال ، وذلك زعم لا يخفى حقيقة الواقع ، وهو أن الحلفاء اقتحموا الميناء بسفنهم مضميرين الشر والعدوان ، وسواء أطلقت تلك الرصاصة أم لم تطلق

فإنهم جاءوا عازمين على تدمير الأسطول المصري التركي وأخذ غيلة وغدرا، ولو لم تطلق تلك الرصاصة، إن صح أنها أطلقت، لما عدوا وسيلة أخرى يتذرعون بها إلى إطلاق النار

كانت العمارة المصرية التركية عند ابتداء القتال تتألف من ٦٢ سفينة حربية وأساطيل الحلفاء ٢٧ سفينة، فهي أقل منها عددا، ولا تكن كفة الحلفاء كانت أرجح، لأن لديهم من البوارج الكبرى عشر بوارج، في حين أن المصريين والتركي لم يكن لديهم منها سوى ثلاث فقط، ومع لموم أن البوارج هي قوام الأساطيل البحرية، لأنها عبارة عن قلاع كبيرة متحركة تحطم السفن الحربية الأخرى، دون أن تتمكن هذه من أن تنالها بسوء، وخاصة قبل اختراع المدمرات الحديثة والغواصات، أضف إلى ذلك أن الحلفاء جاءوا مستعدين للضرب، على حين أن الترك والمصريين لم يكونوا متوقعين حربا ولا قتالا، فلم تطلق مدافع القلاع قنابلها على سفن الحلفاء أثناء اجتيازها البوغاز، ودخلت آمنة سالمة، هذا فضلا عن أن سفن الحلفاء كانت أشد بأسا وأقوى سلاحا وأكثر استعدادا وأرقى قيادة من سفن الترك والمصريين، وكانت هذه داخل المرفأ، فحصرتها سفن الحلفاء في مكان ضيق لا يسهل عليها فيه الحركة، ولم تمض برهة على دخول الأساطيل الدولية الميناء حتى ابتداء القتال، وأطلقت بوارج الحلفاء مدافعها على السفن المصرية والتركية، وتجاوب الأسطولان للضرب، واستعرت نار الحرب والهبجاء، فانقلب المرفأ بركانا من الجحيم، واجتمعت بين جوانبه أسباب الهلاك والدمار، وصممت الأذان من قصف آلاف المدافع التي كانت تطلق من الجانبين، ومن دوى انفجار السفن التي كانت تنسفها قنابل الحلفاء أثناء المعركة، وغشيت ميدان القتال طبقات متصاعدة من الدخان المتكاثف، تتخللها النيران المشتعلة، فكان المشهد رهيبا مروعا، ولم تعد السفن يميز بعضها بعضا إلا على ضوء اللهب الذي كان يتصاعد بين آونة وأخرى من السفن المحترقة، ولم تستطع القيادة العامة متابعة حركات القتال، فأخذت أساطيل الحلفاء تتبارى في الفتك بالسفن المصرية والتركية

لم تقصر السفن المصرية والتركية في الضرب ، وأبدى رجالها بسالة في القيام  
بواجبهم ، ولم يسلموا في أية سفينة من سفنهم ، واشتركت مدافع القلاع في القتال  
قدر ما استطاعت ، ولكن ضرب الحلفاء كان أشد فتكا وأقوى أثرا ، فدمر معظم  
السفن المصرية والتركية

ابتدأت الواقعة في منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر ، واستمرت إلى نحو الساعة  
الخامسة مساء ، وانتهت بالقضاء على العمارة المصرية ، التركية ، فقد هلك معظمها  
نسفا وغرقا ، وجنحت البقية الباقية على السواحل ، فأحرق البحارة أغلبها حتى  
لا تقع في أيدي الأعداء ، وبلغ عدد قتلى المصريين والترك ثلاثة آلاف ، في حين  
لم يخسر الحلفاء سوى ١٤٠ من القتلى و ٣٠٠ من الجرحى

تعد واقعة نافارين من الوقائع القليلة التي يتمثل فيها العذر ونقض العهود والمواثيق ،  
فانها وقعت من غير أن تعلن حرب بين تركيا والدول المتحالفة ، وأخذ الحلفاء  
السفن المصرية والتركية غيلة من غير أن تنذرها أو تستعد للقتال ، وكل ذلك مناف  
لأبسط قواعد الحروب المتفق عليها بين الدول المتقدمة

وقد فقدت مصر في هذه الواقعة أسطولها الذي قضى محمد علي السنين الطوال  
يبدل الجهود العظيمة وينفق الأموال الجسيمة في إنشائه ، فكان معظم الخسارة في  
هذه المعركة واقعا على مصر وبحريتها ، وهكذا شامت السياسة الإنجليزية أن تبيدت  
الشر لمصر وأسطولها حتى أوقعت به في كارثة نافارين

لم يشهد إبراهيم باشا واقعة نافارين ، إذ كان أثناء وقوعها داخل بلاد (موره)  
يعمل على إخضاعها ، فلما بلغه تدمير العمارة المصرية عاد إلى (نافارين) وشهد بنفسه  
آثار الواقعة ، فحزن لها حزنا شديدا ، ثم أمر بأعداد بعض السفن التي نجت من  
الكارثة وتعويم بعض التي غرقت وانفذها إلى الإسكندرية ، ثم رأى أن  
يلزم خطة الدفاع ، فأخلى مدن الموره وامتنع بمعظم جنوده في ثغرى (كورون)  
و (مودون) حتى يأتيه أمر أبيه

اختلاف وجهة نظر تركيا ومصر بعد الواقعة

اختلفت وجهة نظر تركيا ومصر بعد معركة نافارين  
أما تركيا فإنها رغم تدمير أسطولها في المعركة قد أصرت على رفض مطالب  
الدول المتحالفة ، وطالبتها بتعويض عما لحق أسطولها من الدمار ووقفت موقف  
الصلابة والعناد بإزاء الحلفاء

فأعلنت روسيا الحرب عليها واحتلت (أدرنة) وأرسلت فرنسا إلى بلاد اليونان  
جيشا مؤلفا من ١٨٠٠٠ جنسدي بقيادة الجنرال (ميزون) لإجلاء المصريين  
والترك عنها

وانتهت الحرب الروسية التركية بمعد معاهدة أدرنة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩)  
وفيها وافقت تركيا على قرارات الدول في معاهدة لوندرة ، فاعترفت باستقلال  
اليونان استقلالاً داخلياً والى يكون لها عاينها سوى حق السيادة الاسمية ، ثم اتفقت  
الدول على تخويلها الاستقلال التام (٣ فبراير سنة ١٨٣٠)

أما مصر فقد رأى محمد على أن لا فائدة تنالها من مواصلة القتال بعد أن فقدت  
أسطولها في واقعة نافارين واقطعت مواصلاتها البحرية مع جيوشها في بلاد  
اليونان ، فلا سبيل إلى إمدادها . ولأن فرنسا انقذت إلى الموره جيشا عهدت اليه  
تحقيق ما اتفق عليه الدول بقوة السيف ، وتعجل جلاء الجيش المصري ، فأدرك  
محمد على باشا أن ليس من مصلحة مصر مشايعة تركيا في عنادها ، وخاصة بعد أن  
تسكبت خسائر جسيمة في الأواح والأفقس واحتملت نفقات فادحة تنوء بها  
خزانتها ، وتحقق أيضا أن محاولة استرجاع اليونان عبث لا يجدي ، فرأى من  
الحكمة ألا يجعل سياسة مصر مقيدة بسياسة تركيا وأن يتفق مع الحلفاء على وقف  
القتال وجلاء الجيش المصري عن الموره

وقد جنح به إلى سلوك هذه الخطة ما تلقاه من قنصا صل الدول في مصر عن  
صميم الحلفاء على تحرير اليونان ، واستهداف مصر لكوارث الحرب إذ اهدى استمرت  
على اتباع سياسة تركيا ، وفي غضون ذلك جاء الأميرال كودرنجتون قائد العبرة

الإنجليزية إلى مياه الإسكندرية وأنذر بتخريب المدينة إذا لم يبادر محمد علي إلى استدعاء إبراهيم باشا من الموره ، وسعى المستر باركر قنصل إنجلترا في مصر إلى إقناع محمد علي بالسكف عن القتال ، فاستمع لهذه النصائح والتهديدات وعقد (١) اتفاقا مع الحلفاء ، على إخلاء الجيش المصرى لبلاد الموره على شروط وهى :

( أولا ) يتعهد محمد علي بإعادة الأسرى اليونانيين وتحرير من بيع منهم في مصر (٢)

( ثانيا ) يتعهد الأميرال الإنجليزي بإرجاع الأسرى المصريين وإعادة السفن المصرية التى أسرت أثناء القتال

( ثالثا ) أن تخلى الجنود المصرية الموره وينقلهم محمد علي باشا على سفنه ( رابعا ) ألا يكره اليونانيون المقيمون بمصر على الرحيل عنها ولا يجبرون على البقاء فيها ، وكذلك يسمح لمن يشاء من اليونانيين أن يصحبوا الجيش المصرى فى عودته لمصر

( خامسا ) يجوز لإبراهيم باشا أن يترك فى (موره) عددا من العساكر لا يزيد عن الف ومائتين للبحانظة على ( مودرن ) و ( كورون ) و ( نافارين ) و ( باتراس ) و ( كستل توريزه ) ، أما المواقع الأخرى فتخلى فورا وقد أبلغ إبراهيم باشا هذه الشروط وهو فى اليونان فقابلها بالسخط الشديد لما رأى أن جهود جيشه قد ضاعت فضلا عن الخسائر التى تكبدها وخاصة ضياع العمارة المصرية ، ولكنه اضطر للإذعان ، فأصدر أوامره بإخلاء المدن اليونانية والسير إلى الثغور ، ثم أفلعت بهم السفن إلى مصر ( اكتوبر سنة ١٨٢٨ )

---

(١) فى أغسطس سنة ١٨٢٨

(٢) يقول المستر باركر قنصل إنجلترا فى مصر وقتئذ ان عدد هؤلاء الأسرى ٥٥٠٠ وزعوا على بيوت الكبراء فى الاسكندرية والقاهرة ، ولما أبرم هذا الاتفاق لم يقبل منهم العتق سوى أربعائة وأما الباقون ففضلوا البقاء فى مصر

وهكذا رجع الجيش المصرى من اليونان الى الإسكندرية بعد أن أنهى حركته الحروب والأمراض ، وتسكبت مصر فى هذه الحملة متاعب وضحايا هائلة ونفقات جسيمة ، وحسبك أن تعرف أن الجيش الذى جردته فى حرب اليونان بلغ اثنين وأربعين ألفاً خسرت منه ثلاثين ألفاً ، وبلغت نفقات الحملة ٧٧٥ ألف جنيه ، وفقدت أسطولها الحربى فى واقعة نافارين ، فكانت خسائرها فى الحملة فادحة وتضحياتها بالغة

### نتائج الحرب اليونانية

إن مصر لم تنل من الحرب اليونانية من الوجهة المادية شيئاً سوى ضم جزيرة كريت إليها ، فقد عهد السلطان محمود إلى محمد على ولاية تلك الجزيرة مكافأة له على خدماته فى حرب الموره ، فإذا صح القول بأن مصر لم تسكسب من ناحية التوسع والفتح ، فما لا نزاع فيه أن هذه الحرب قد أكسبتها منزلة معنوية كبيرة ، لأن هذه أول حرب أوروبية خاض الجيش المصرى غمارها ، ولقد برهن فيها على كفاءته وأثبت أنه يضارع أرقى الجيوش الأوروبية فى ميادين القتال ، فلا غرو أن ارتفع شأن مصر ونال جيشها شهرة عالمية ، وهذه المكانة تعد من أركان عظمة مصر الحديثة ومن عوامل مجدها الخالد ، والأمم الحية تقدر مجدها الحربى تقديراً كبيراً وتبذل فى سبيله الجهود والتضحيات

هذا فضلاً عن أن الجيش المصرى قد اكتسب فى تلك المواقع مراناً على الكفاح ، وممارسة لفنون الحرب وخطتها وأساليبها الحديثة ، ولا ريب أن خوض الجنود والضباط والقواد غمار المعارك المتوالية مما يغرس فى نفوسهم الفضائل والأخلاق الحربية ، ويعظم همهم ويزيدهم شجاعة وإقداماً ، ويبصرهم بمواقع الحروب ويزيدهم علماً وتجربة

ولا يخفى من جهة أخرى أن الحرب اليونانية كانت خير إعلان عن قوة الجيش

المصرى ، وحسن نظامه ، وكفاءة قواده ، وشجاعة جنوده ، واقد ظهر في تلك الحرب أرفع شأننا وأشد بأسا من الجيش التركي ، فكان لهذه الميزة أثرها في توطيد دعائم الدولة المصرية الفتية وإعلاء شأنها حيال تركيا ، بحيث لم يعد سهل على السلطان أن ينظر إلى محمد علي كوالٍ من ولاية السلطنة العثمانية ، بل جعلته الحرب نداء له وما كان مهيب الجانب ، قوى البأس والسلمتان ، فلا غرو أن قويت في نفس محمد علي بعد تلك الحرب فكرة إعلان الاستقلال ، تلك الفكرة التي ساورته منذ رسخت قدمه في الحكم وكان يعمل لها بثبات وحكمة وينتظر الفرص ويهيئ الوسائل ويرسم الخطط لتحقيقها ، فانت الحرب اليونانية مرحلة شجعت على تحقيق تلك الفكرة الجليلة

وكان من نتائج الحرب اليونانية أن أخذت مصر تنكسب مركزا دوليا ، لأن الدول الأوروبية قد فاوضت محمد علي رأسا دون وساطة تركيا ، فكسبت بالفعل مركزا ممتازا بين الدول ، وهكذا كانت الحرب اليونانية وسيلة لظهور شخصية مصر الدولية ، وقد كان لحسن نظام الجيش المصرى وما أبداه من المهارة والشجاعة والكفاية الفضل الأكبر في ما نالته مصر من المكانة ، إذ خاطبت الدول محمد علي لا كما تخاطب واليا من ولاية السلطنة العثمانية ، بل مخاطبة الند للند ، وأرسلت اليه الحكومة الإنجليزية تبدي شديد أسفها على ما لحق بالأسطول المصرى في واقعة نافارين ، وتظهر رغبتها في جعل علاقتها بالباشا علاقة ودية ، وفاوضته فيما يكون مركز إنجلترا حيال مصر إذا نشبت الحرب بين الانجليز والترك ، فتعهدت له بأن يكون موقفها حيال مصر موقف حياذ

فالحرب اليونانية قد جعلت من مصر دولة مستقلة فعلا عن تركيا ، وبذلك نالت مركزا ممتازا ، وكان من مظاهر هذا المركز أن عقدت والدول اتفاق ( أغسطس سنة ١٨٢٨ ) رأسا مع مصر ، ووقع هذا الاتفاق بوغوص بك وزير خارجية مصر ، وهذا أول وثيقة سياسية أبرمها وزير خارجية مصر مع دولة اجنبية في عصر محمد علي



ويتبين لك مبلغ تصميم محمد علي باشا على إنفاذ فكرة الاستقلال والانفصال عن تركيا من امتناعه عن مديد المساعدة لها في حربها مع روسيا ، فلقد ألح عليه السلطان في إرسال المدد ، لكنه أصر على الامتناع ، واعتذر ببعد المسافة بطريق البر وعدم توافر السفن التي تنقل الجنود بطريق البحر ، واعتذر أيضا بتفشي الوباء في مصر والشام ، وكل هذه أعذار ظاهرة ، أما السبب الحقيقي لحظته الجديدة فهو طموحه إلى الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر ، ولذلك لم تكفد تنهى الحرب اليونانية وينفض الجيش المصرى غبار المعارك التي خاضها حتى بدأت مقدمات الحرب ضد تركيا ، إذا أخذ محمد علي يتأهب لمنازلتها في ميادين القتال كي يؤلف الدولة المصرية المستقلة بقوة السيف والمدفع

## الفصل الثامن

### الحرب في سورية والأناضول

خرجت مصر من الحرب اليونانية دون أن تظهر بفتوحات جديدة ، ففي حين أن الحرب الوهابية قد انتهت ببسط نفوذها في جزيرة العرب ، وضم إليها فتح السودان الشطر المكمل للدولة المصرية ، فإن الحرب اليونانية لم تكسبها فتحاً جديداً ، بل انتهت بجلاء الجيش المصرى عن بلاد المورة وعودته إلى مصر

وقد أرادت تركيا أن تعوض محمد على باشا بعض ما فقدته في الحرب اليونانية ، فأسندت إليه جزيرة كريت ، لسكن هذا العوض لم يكن ذا قيمة إذ لم يكن من السهل أن تحكم مصر تلك الجزيرة أو تبسط سيادتها عليها أو تستفيد منها انزوع أهلها إلى العصيان ولأنها كانت أرض فتن وثورات

فلا غرو أن طمح محمد على إلى ضم سورية إلى مصر ، ولم يكتف نيته عن الحكومة التركية ، فإنه طلبها منها تعويضاً عما تكبده الجيش المصرى من الخسائر في حرب المورة ، ولما سئل السلطان لم يجبه إلى طلبه ، فاعتزم أن يناله بحد السيف ، ورأى ضرورة ضم سورية إلى مصر لأنها كحاجز حصين بين الدولة المصرية والدولة العثمانية ، وبها تتقى مصر شر تركيا إذا حدثتها نفسها بغزو مصر

### أسباب الحملة على سورية

ان حرب الشام يصح اعتبارها حرباً دفاعية ، وحرباً هجومية . أما كونها حرباً دفاعية فلأن محمد على كان يعلم أن تركيا لا تفتأ تسعى لاسترداد مركزها في مصر ما وجدت

سبيلا إلى ذلك ، وأن السلطان محمود لم يكن خالص النية نحوه ، بل كان ينظر بعين الحسد إلى تقدم مصر وما كسبته من المكانة العالية ، ولم ينس كذلك أن مصر امتنعت عن مساعدته في حربه مع روسيا ( سنة ١٨٢٨ ) . فاضطغن السلطان على محمد علي باشا ، وأخذ يترقب به لينتقم منه ويتززع منه حكم مصر ، ولم يكن يحول بينه وبين ذلك سوى ارتباك أحوال الدولة العثمانية وضعفها ، فإذا ما سنحت الفرصة فإنه لا يتردد في التخاصم من خصمه ، فطموح محمد علي إلى فتح سورية كان الغرض منه أن يدافع عن مصر وعن مركزه فيها

وإذا تأملت فيما كتبه الدكتور كلوت بك في هذا الصدد رأيت أنه يعبر عن وجهة نظر محمد علي في الحملة على سورية إذ يقول : « إن ضم سورية إلى مصر كان ضروريا لصيانة ممتلكات الباشا ، فنذ تقرر في الأذهان أن إنشاء دولة مستقلة على ضفاف النيل يفيد المدنية فائدة عامة وجب الاعتراف بأنه لا يمكن إدراك هذه الغاية إلا بضم سورية إلى مصر ، وقد رأينا فعلا أن موقع البلاد الحربي لا يجعلها في مأمن من الغزوات الخارجية خصوصا عن طريق بزخ السويس ، فإذا استثنينا غزوة الفاطميين المغاربة وغزوة الفرنسيين بقيادة بونابرت نجد أن سائر الغزوات جاءت من طريق سورية كغزوة الفرس في عهد قميز وغزوة الإسكندر والفتح الإسلامي وغزوات الأيوبيين والأتراك ، وعلى ذلك لا يمكن الاطمئنان إلى بقاء مصر مستقلة إلا باعطائها الحدود السورية لأن حسدودها ليست في السويس بل في طوروس ،

فال حرب السورية من هذه الوجهة كانت اذن حربا دفاعية

لكنها كانت أيضا حربا هجومية ، وكان الغرض منها التوسع في الفتح والسلطان ، فان محمد علي كان يطمح الى ضم سورية منذ سنة ١٨١٠ ، وكان يأمل أن يصل الى حكمها بموافقة السلطان ، كتب الماسيودزوف في قنصل فرنسا في مصر ، وكان من أكبر أعوان محمد علي ، رسالة الى حكومته سنة ١٨١١ يقول فيها : « ان محمد علي يطمع

في ولاية سورية ، وقد قال لي يوما انه لا يستبعد أن ينالها مقابل مبلغ من المال سبعة أو ثمانية ملايين قرش يدفعها لخزانة السلطان ، وقد أخذت فسكرة الاستقلال تزداد رسوخا عنده منذ استظهم - اراه على أع - دائه وقمه فتنة الجنود وتخلصه من الارتيابات المالية ،

وقد أشار المسيو دروفتي في رسالة أخرى لحكومة الى معدات الحملة المصرية على الوهابيين فأظهر الشك فيما أضمن محمد علي منها ، وهل يقصد بها الحج - از أم سورية ، قال في هذا الصدد :

« ان جميع الاستعدادات التي يعدها الباشا تدل على أن الحملة تخترق الصحراء وتصل منها الى سورية ، ولا تزال غايتها الحقيقية سرا مكتوما في ضميره ، وخطته في هذا الصدد لم تتغير ، وهي التآني ثم التصرف مع الأحوال بحسبها ،

وقد طلب فعلا من السلطان خلال الحرب الوهابية أن يعهد اليه بولاية الشام وكانت حجته في ذلك أنه في حاجة إلى مدد منها لمعاونته على قتال الوهابيين

ففكرة ضم سورية إلى مصر كانت إذن تختلج في نفس محمد علي باشا منذ سنة ١٨١٠ ، ولقد صرفه عنها انهماكه في الحرب الوهابية ، ثم فتح السودان ، ثم الحرب اليونانية ، فلما انتهى من هذه الأخيرة أخذ يفكر في إنفاذ فكرته القديمة ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث أن مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم اليها البلاد العربية في أفريقية وآسيا ، ففي أفريقية قد استقل بمصر وفتح السودان ، وفي آسيا قد فتح معظم جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية ، وبطموحه إلى سورية أراد أن يؤسس الدولة المصرية الكبيرة

ويؤيد هذه الفكرة رجحانا بعض تصريحات فاه بها ابراهيم باشا خلال الحرب السورية ، فقد ذكر المسيو كادلفين وبارو في كتابهما أنه بينما كان الحصار مضروبا على (عكا) سئل ابراهيم باشا إلى أي مدى تصل فتوحاته إذا تم له الاستيلاء

على عكس فقال ، مامعناه إلى مدى ما يتكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربي (١) وقد  
 قابله البارون ( ليو الكونت ) بالقرب من طرسوس بالأناضول سنة ١٨٢٣  
 بعد عودته من كوتاهيه ، وكان له معه حديث طويل ، فذكر عنه ، ان ابراهيم باشا  
 يجاهر علنا بأنه ينوى إحياء القومية العربية ، وإعطاء العرب حقوقهم ، وإسناد  
 المناصب اليهم سواء أفي الإدارة أم في الجيش ، وأن يجعل منهم شعبا مستقلا  
 ويشركهم في إدارة الشؤون المالية ، ويعود لهم سلطة الحكم كما يجتمعون تكليفه ، وتحتل  
 فكرته هذه في منشوراته ومحاطباته لجنوده في الحرب الأخيرة بسورية ، فانه  
 لا يفتأ يذكرهم بمفاخر الأمة العربية ومجدها النالد ، ويتصل بهذا المعنى مجاهرته بأن  
 كل البلدان العربية يجب أن تنضم تحت لواء أبيه ، وقد قال لي ان أباه يحكم مصر  
 والسودان وسورية ، ومن الواجب أن يضم العراق الى حكمه ، وان جزيرة  
 العرب تابعة لأبيه الذي يعمل الآن على إتمام فتحها ، وهو في صلته مع أهل  
 البلاد يستخدم اللغة العربية ، ويعد نفسه عربيا ، ولذلك لا ينفك يطعن في الأتراك ،  
 وقد لاحظ عليه ذلك أحد جنوده وخاطبه بتلك الحرية التي كان يشجع رجاله عليها  
 وسأله كيف يطعن في الأتراك وهو منهم ، فأجابه ابراهيم باشا على الفور : « أنا  
 لست تركيا ، فإني جئت مصر صديا ، ومنذ ذلك الحين قد معسرتني شمسها وغيرت  
 من دمي وجعلته دما عربيا (٢) .

فهذه البيّنات تدل على ما اتجه اليه فسكر ابراهيم باشا من تأسيس دولة عربية  
 مصرية تجمع شمل الناطقين بالضاد وتحتي عهد الفاطميين والأيوبيين والسلاطين  
 البحرية والبرجية حين كانت مصر تضم إلى رقعتها سورية وجزيرة العرب  
 وكان لمحمد علي في فتح سورية اغراض اقتصادية ، فانه أراد استغلال مواردها

(١) كادفان وبارو . حرب مصر ضد الباب العالي في سوريا والأناضول سنة

١٨٣١ - ١٨٣٣ ص ٤١٢

(٢) كتاب مهمة البارون ليو الكونت ص ٢٤٨ و ٢٤٩

من الخشب والفحم والنحاس ، تلك الموارد التي كانت مصر مفتقرة إليها ، فهي في حاجة إلى الأخشاب للوقود ولبناء السفن الحربية والتجارية ، وإلى الفحم والنحاس والحديد لترقية صناعاتها وخاصة بعد أن أنشأ محمد علي المصانع الكبرى ، الفابريقات ، التي تحتاج إدارتها إلى الفحم والحديد والنحاس

وكذلك كان يرمى إذا بسط نفوذ مصر في سورية أن يجند من سكانها في الجيش المصري فيزداد الجيش عددا وقوة

تلك هي الأسباب الحقيقية التي نزعتم بمحمد علي باشا أن يطمح إلى فتح

سوريه

وقد كانت الظروف في سنة ١٨٣١ ملائمة لإنفاذ مشروعه ، فان تركيا قد خرجت من الحرب اليونانية ، ثم من الحرب الروسية سنة ١٨٢٩ ، مضعضة منهوكة القوى ، وزاد في ضعفها كثرة الفتن والاضطرابات الداخلية فيها ، وقد ألغى السلطان محمود سنة ١٨٢٦ فرقة الانكشارية التي كانت قوام الجيش العثماني ، وذلك لما كانت عليه من الفوضى ، وأبادهم ، ولسكنه لم يجد متسعا من الوقت لينشئ بدلا منهم جيشا جديدا نظاميا ، بل كانت القلاقل والاضطرابات تحول دون إنفاذ عزمه ، في حين أن محمد علي كان على تمام الأهبة للدخول في حومة الوغى ، معتمدا على الجيش النظامي الذي قضى سنوات عدة في إنشائه وتدريبه ، وعلى الاسطول الذي انشأه في ترسانة الاسكندرية ، ولم يكن السوريون متعلقين بالحكم العثماني لسكثرة ما عانوا من مساوئه ومظالمه ، فلم يكن متوقعا ان يلقى الجيش المصري في زحفه على سورية مقاومة من الأهالي ، وخاصة لان محمد علي باشا قد اجتذب إليه الامير بشير الشهابي كبير أمراء لبنان منذ سنة ١٨٢٢ وتوثقت بينها العلاقات من ذلك الحين ، اذ كانت الحكومة العثمانية قد عزلته من امارة الجبل ، فاجأ إلى محمد علي في مصر فتشفع له لدى الدولة فأصدرت عفوها عنه وحفظ له هذا الجبل ، فكان له عضدا كبيرا في الحملة السورية ، واستمال ايضا الشيخ حسين عبد الهادي من زعماء ناباس ومصطفى

أغا بربر<sup>(١)</sup> الذي عينه إبراهيم باشا أثناء الفتح متسلما لطرابلس ، فكان الثلاثة من أعوانه في الفتح

فمحمد علي لم يكن يخشى مقاومة من جانب الاهالي ، اما الجيش العثماني فكان يأمل ان يظهر عليه لتفوق الجيش المصري عليه بحسن النظام والتدريب وكفاية القيادة

### الاسباب المباشرة للحملة

تلك هي البواعث الحقيقية للحملة السورية ، والآن فلنعقب عليها بالاسباب المباشرة التي تذرع بها محمد علي باشا لزعج الشام

وبيان ذلك أن كثيرا من الفلاحين المصريين قد فدحتهم أعباء السخرة والضرائب التي فرضها محمد علي باشا ، فهاجروا جماعات إلى الأقطار السورية المتاخمة لمصر فرارا من هذه المكاره ، وتخلصوا من الخدمة العسكرية ، وقد طمّ سبل المهاجرين حتى بلغ عددهم ستة آلاف من الفلاحين ، وخشى محمد علي من عواقب هذه الهجرة وما تفضي اليه من المضار الاقتصادية ، فطلب من عبد الله باشا وإلى صيدا<sup>(٢)</sup> أن يرجع المهاجرين المصريين إلى بلادهم ، فرفض عبد الله باشا طلبه محتجا بأن المصريين من الرعايا العثمانيين ولهم الحق أن يقيموا أنى شاءوا . فغضب محمد علي من هذا الجواب ، وكتب اليه يتوعده وينبئه أنه قادم ليعيدهم جميعا يزيدون واحدا ، وهو عبد الله باشا ذاته

---

(١) ذكرهما مع الامير بشير الشهابي البارون لبوا لكونت في رسائله عن سورية في عهد الفتح المصري ، ص ٢٢٨ من كتاب ( مهمة البارون لبوا لكونت )

(٢) ولاية صيدا قاعدتها عكا ولذلك تسمى احيانا ولاية عكا

وكان عبد الله باشا ذا نفوذ كبير في ولايته ، فهو حاكم شبه مستقل فيها ، وتمتد سلطته إلى بلاد فلسطين وقسم من الشام  
وكان هذا المركز مما جعل لمحمد علي باشا مندوحة في تجريد الحملة عليه ، فلم يكن في الظاهر محاربا لتركيا ولا بجاهرا بعصيانها ، وما فتئ خلال الدور الأول من الحملة يتظاهر باخلاصه ويزعم أنه إنما يحارب حاكما شبه مستقل خارجا على الدولة ، وما يجدر ذكره أن محمد علي باشا كانت له يد سابقة على عبد الله باشا هذا ، فقد عزلته الحكومة التركية من ولاية صيدا سنة ١٨٢٢ ، فتشفع له محمد علي فعفت عنه وأبقته في ولايته ، ولسكن عبد الله باشا لم يحفظ هذه اليد لمحمد علي إذ كان من الباشوات الكثيرى المطامع ، فقد استأثر بالسلطة في ولاية صيدا وطمع كذلك في ضم ولاية الشام اليه وكان يخشى على سلطته من امتداد نفوذ محمد علي ، فلم يراع جانبه ولم يكثر له غضبه ، وكان فضلا عن إيوائه المهاجرين المصريين يساعد قوافل التجارة على تهريب المتاجر من الجمارك المصرية ونفويتها من طريق صحراء سوريا فأضر ذلك بالخرانة المصرية

فلما امتنع عن إرجاع المهاجرين المصريين صمم محمد علي أن ينفذ الحملة على سورية

### تأليف الحملة

كانت الحملة المصرية على سورية مؤلفة في بدامتها من ٦ أليات من المشاة وأربعة من الفرسان ، وعدتهم ٣٠٠٠٠ مقاتل بقيادة إبراهيم باشا ، مجهزين بأربعين مدفعا من مدافع الميدان وعدة من مدافع الحصار ، وما يكفيهم من الذخائر والمؤن ، واحتشد جنود الحملة ، فريق في ضواحي القاهرة ( بالخانكة ) وفريق في الاسكندرية

واشتركت العهارة المصرية في الحملة ، فنقلت جزءا من الجيش بطريق البحر ، وحملت المدافع الضخمة والذخيرة والمؤونة ، وخاضت في بعض المواطن غمار



القتال ، وكانت مؤلفة من ١٦ سفينة حربية و ١٧ سفينة نقل معقودا لواؤها الأميرال عثمان نور الدين بك ( باشا ) وهو من خريجي البعثات المصرية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا ونبغ في الفنون الحربية والبحرية وكان ناظراً للمدرسة الحربية التي أنشأها ثم جعله محمد علي أميرالاً للأسطول المصري لما عهد فيه من الكفاية والإخلاص ، وسنعود إلى الكلام عنه

تمت معدات الحملة في أوائل سنة ١٨٣١ ، وكان موعد زحفها في صيف تلك السنة ، ولكن وقوع الوباء ( الكوليرا ) في مصر وقتئذ أخر زحف الحملة ، فقد فتك بالأهل إلى فتكا ذريعاً ، ودام فتكها أربعة وثلاثين يوماً ، ومات به نحو ١٥٠ ألف نسمة ، واستطاع في الجيش ، فأودى بحياة خمسة آلاف من الجنود (١) ، فتوقفت الحملة عن السير حتى تكافح الحكومة هذا الوباء

### سير الحملة

ولما جاء شهر أكتوبر سنة ١٨٣١ أصدر محمد علي أوامره بتحريك الحملة ، وكان خط سيرها أن يسير معظم الجيش براً عن طريق العريش إلى حدود سورية ، وأن تقلّ العمارة إبراهيم باشا القائد العام وأركان حربه وجزءاً من الجيش والمدافع الضخمة والذخيرة والمؤونة من الاسكندرية إلى يافا

ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٨٣١ (٢) بدأ الجيش البري يتحرك من معسكر ( الخازكة ) بقيادة إبراهيم باشا يكن (٣) قاصداً الحدود السورية

(١) كان عدد الجيش يبلغ وقتئذ نحو ٩٠ ألفاً

(٢) كما ورد في كادافين وبارو ص ٦٢

(٣) هو الذي تعبر عنه المراجع الفرنسية بإبراهيم باشا الصغير تمييزاً له عن إبراهيم

باشا بن محمد علي

ماراً ببلبيس، فالقرين، فالصالحية، فمقطية، فبئر العبد، فسعودية، فالعريش حيث استراح بها يوماً، ثم دخل التخوم السورية فاحتل خان يونس

### احتلال غزا ويافا وحيفا

واحتل (غزة) بعد أن فرت منها الجنود العثمانية، ثم زحف على (يافا) فأخلتها الحامية التركية واحتلها الجيش المصري، وفي غضون ذلك أقامت العمارة المصرية من الاسكندرية تحمل باقى الجيش ونقل القائد العام ابراهيم باشا يصحبه أركان حربهم ومنهم السكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوى وكان لم يزل بك) وعباس حلى باشا (١)

وصلت العمارة إلى يافا ثم إلى حيفا حيث ألفت مراسيها وأزلت بها الذخائر والمدافع، والتقت القوات التي جاءت برأ بالقوات الآتية بجرأ، واتخذ ابراهيم باشا (حيفا) قاعدة للحركات العسكرية وجمع فيها الذخائر والمؤونة وشرع في مهاجمة عكا

### حصار عكا

نوفمبر سنة ١٨٣١

كانت عكا على جانب عظيم من المنعة، ولا غرو فهي التي أعجزت نابليون منذ نيف وثلاثين سنة عن فتحها، وقد زاد احمد باشا الجزائر في استحكاماتها القسدية بعد انسحاب الفرنسيين من سورية فصارت أمتنع بما كانت، فكان عبد الله باشا مطمئناً إلى امناعه بها، واثقا من عجز الجيش المضرى عن اقتحامها، وكانت حامية

(١) هو عباس باشا الأول الذى تولى الحكم عقب وفاة ابراهيم باشا

المدينة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل ، فاعتزم أن يدافع عنها دفاع المستميت  
زحف الجيش المصرى على عكا وضرب عليها الحصار منذ يوم ٢٦ نوفمبر  
واشتركت العمارة المصرية فى حصارها من البحر ، فكان الحصار مضروبا عليها  
برأ وبحراً ، وأطلقت مدافع البر والبحر قنابلها على أسوار عكا وحصونها ، ولكن  
الحصون جاوبتها بنار حامية وأحدثت أضراراً ببعض السفن المصرية مما اضطرها  
الى الرجوع للاسكندرية لإصلاح ما أصابها من العطب ، فاستعصت عكا على الجيش  
المصرى ، وانقضت ثلاثة أشهر دون أن ينال منها منالاً ، وأخذ ابراهيم باشا فى  
خلال هذه المدة يحتل المواقع المهمة فى ولاية صيدا وما حولها ، فاحتلت فرقة من  
الجنود المصرية بقيادة حسن بك المناسترى صور وصيدا وبيروت وطرابلس  
واحتلت كتيبة أخرى مدينة (القدس) وكان الجيش كلما نزل ببلدة سلبت له  
بدون قتال

### موقف تركيا

اضطرت تركيا أمام زحف الجيش المصرى ، وبادرت فى بادىء الأمر إلى  
إرسال مندوب عنها إلى محمد على باشا يطلب اليه الكف عن القتال ، وكان الباشا  
يعلم بارتباك أحوال تركيا وعجزها عن حشد جيش يصد زحف الحملة المصرية ،  
فأخذ بمأطل فى الجواب ، وتظاهر بالاخلاص للدولة العثمانية ، وفى الوقت نفسه  
أرسل الى ابراهيم باشا يأمره بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يفتحها  
قبل أن يصل الجيش التركى لتجدتها إذا فسكرت تركيا فى إمدادها  
وقد حشد الباب العالى نحو عشرين الف مقاتل تحت قيادة عثمان باشا اللبيب  
والى طرابلس وعهد اليه رفع الحصار  
فزحف الجيش العثمانى برى إليها ، وضم اليه كل من لقيهم فى طريقه من جموع  
الأكراد والعرب

علم ابراهيم باشا بتحرك هذا الجيش ، فعقد مجلسا حريا من نخبة ضباطه وأركان  
حربه ليتدبر في الأمر ، فاستقر رأيه على أن يترك حول عكا القوة الكافية لمتابعة  
الحصار ، وأن يتحرك بالجزء الآخر من جيشه ليصادم الجيش التركي في الطريق ،  
ويتغلب عليه قبل أن يصل إلى عكا

تقدم عثمان باشا يقود بضعة آلاف من جنوده وانتهاز فرصة اشتغال  
ابراهيم باشا في حصار عكا فهاجم طرابلس التي كانت تحتها حامية مصرية فدخل  
المدينة ، ولسكن جنود الحامية ردوا المهاجمين على أعقابهم ، على أن مركزهم لم  
يلبث أن تخرج بازدياد قوات الأعداء ، وصارت طرابلس مهددة بسقوطها في يد  
الترك ، فبادر ابراهيم باشا إلى نجدها وسار إليها بطريق الساحل فلما اقترب منها  
ارتد عنها عثمان باشا

### انتصار المصريين في الزراعة

١٤ ابريل سنة ١٨٣٢

تعقب ابراهيم باشا الترك إلى حمص ، ثم رأى أن يرجع الى ( بعلبك ) ليمتار  
منها بالذخيرة الكافية قبل أن يمضي في مطاردة الجيش العثماني ، فوصل إلى  
سهل الزراعة (١)

وقد توهم عثمان باشا أن هذا التراجع علامة الضعف ، فتقدم لمهاجمة الجيش  
المصري ، فالتقى به في سهل ( الزراعة ) ، ومع أن الجيش العثماني كان أكثر عدداً  
إلا أنه دون الجيش المصري في النظام وكفاية القيادة

كان جيش عثمان باشا مؤلفاً من فرسان العرب والأكراد ، فهجموا على الجيش  
المصري وأحاطوا به من كل جانب ، وخيل لهم أنه أصبح في قبضة يدهم ، لكن

(١) قرية جنوبي حمص ، انظر موقعها على الخريطة الملحقه بهذا الفصل ص ٢٥٦

ابراهيم باشا بمعاونة سليمان بك ( باشا ) الفرنسي رتب الجنود المصرية على هيئة صفوف منتظمة مترابطة ووضع وراءها المدافع حتى لا يراها المهاجمون ، فاتخذ القائد التركي بهذه الحيلة وهجم بكل قواته على الصفوف المصرية ، فلبثت هذه ساكنة حتى إذا صار الأعداء على مسافة قريبة ارتد المصريون وراء المدافع وانفجرت هذه بقنابلها فحصدت المهاجمين مشاة وركبانا ، ف وقعت بهم الحسائر الفادحة واختل نظامهم وتفرق جمعهم ونسكسوا إلى الورااء فسار المصريون في أعقابهم حتى دفعوا بهم إلى نهر العاصي (١) حيث غرق الكثير منهم ، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش التركي وارتد عثمان باشا وجنوده إلى مدينة ( حماه ) ومكث بها كي يتلقى المدد ، أما ابراهيم باشا فقد عاد بعد واقعة ( الزراعة ) إلى بعلبك يتأهب لاستئناف الزحف وفي خلال ذلك اغتتم عبد الله باشا فرصة نقص القوات المحاصرة لعسكا إذ هبطت إلى عشرة آلاف فخرج من معاقله ، وهاجمهم وظهر عليهم ، واستولى على الكثير من مدافعهم ، على أن ابراهيم باشا لم يعبأ بهذا النصر الذي ناله عبد الله باشا لوثوقه أن النصر الحاسم هو فوزه على جيش عثمان باشا

### فتح عسكا

٢٧ مايو سنة ١٨٣٢

ومكث ابراهيم باشا في بعلبك يرقب حركات الجيش العثماني مخافة أن يعاود كربة الهجوم ، ولكنه ما لبث أن علم أن عثمان باشا أنقذ يطلب المدد من الاستانة ، وهذا دليل على ضعف مركزه ، ولما كان المدد لا يمكن أن يصل إلا بعد شهرين إذا أعجله الباب العالي ، فقد اطمأن ابراهيم باشا من هذه الناحية وواعد الى (عسكا)

(١) نهر ينبع في لبنان بالقرب من بعلبك ويمر بحمص وحماه وانطاكية ويصب عند السويدية ، انظر موقعه على الخريطة الملحقة بهذا الفصل ص ٢٥٦



خريطة الحرب في سورية والأناضول - أنظر الشرح ص ٢٥٧

خريطة الحرب في سورية والاناضول ( أنظر الصفحة المقابلة )

وفيها بيان المواقع والبلاد التي ورد ذكرها في الفصل الثامن ، وقد بينا على الخريطة خط سير الحملة المصرية برا وبحرا ، ورسمنا بها حدود مصر الشمالية (التقريبية) طبقا لاتفاق ( كوتاهيه ) سنة ١٨٣٣ ، وكانت هذه الحدود تبدأ من مجرى نهر الساجور أحد روافد الفرات وتمتد شمالا بغرب الى مضيق ( كوكك ) بجمال طوروس ثم تنحدر جنوبا الى البحر الأبيض

ورسمنا أيضا حدودها الشمالية التي قررتها الدول في معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ولم يقبلها محمد علي كما سيحىء بيانه ، وكانت تشمل فلسطين وتبدأ من رأس الناقورة شمالا عكا الى مصب نهر السيسبان في شمالى بحيرة طبرية ، ثم تتبع الشاطئ الغربى لتلك البحيرة ، فالضفة اليمنى لنهر الأردن ، فالشاطئ الغربى للبحر الميت ، ومن هنا تمتد الحدود جنوبا على خط مستقيم الى رأس خليج العقبة على البحر الاحمر ، ثم تتبع الشاطئ الغربى لخليج العقبة ثم الشاطئ الشرقى لخليج السويس حتى مدينة السويس ذاتها

وشدد الحصار عليها من البر والبحر ، وساعده في ذلك العرب والدروز والموارنة  
الذين أتوه طائعين

حمل ابراهيم باشا على المدينة وأخذ يرمى سورها بالمدافع القوية ، ومازال  
الضرب مستمرا حتى تصدع السور وفتحت فيه ثغرتان كبيرتان وأخرى صغيرة ،  
وعندئذ صمم ابراهيم باشا على مهاجمة المدينة بجيشه وحشد للهجوم يوم ٢٧ مايو  
سنة ١٨٣٢

ففي صباح ذلك اليوم حملت الجنود المصرية على الثغرات الثلاث ، فاستولوا  
على اثنتين منها ، وتردد الجنود الذين قصدوا الاستيلاء على الثغرة الثالثة ولقوا  
مقاومة شديدة ، فارتدوا إلى الورا ، فلما أبصر ابراهيم باشا ارتدادهم بادر إلى  
نجدتهم بجزء من الاحتياطي وتقدم هو الجنود شاهرا سيفه ، فدبت الحمية في نفوسهم  
وعادوا إلى الثغرة فاقتحموها ، ودار قتال استمر حتى المساء ، ودافعت الحامية  
دفاعا مجيدا ، وأبدى الفريقان شجاعة كبيرة إلى أن عظمت خسائر الحامية وكلت  
عن مواصلة الحرب . فطلب عبد الله باشا التسليم وسلم المدينة في مساء ذلك اليوم  
وبذلك انتهى حصار عكا بتسليمها للجيش المصري بعد أن استمر ستة أشهر ،  
وقد وقعت بالفريقين خسائر فادحة ، فبلغت خسائر الجيش المصري أربعة آلاف  
وخمسائة قتيل ، وخسرت الحامية ١٤٠ قتيل ، وهي خسارة تدل على شدة ما احتمله  
الفريقان ، فلا غرو أن كان لفتح عكا دوى عظيم تجاوب في الخافقين ، فإن عكا  
هي التي امتنعت على نابليون منذ نيف وثلاثين سنة وعجز عن فتحها وارتد عنها  
خائبا ، فانتصار ابراهيم باشا في فتحها هو صفحة مجد ونخار للجيش المصري

ومن الواجب تقرير الحقيقة أن نوه بان العقبات التي اعترضت نابليون في  
حصار عكا كانت أشد وأبلغ مما اعترض الجيش المصري ، فإن نابليون حاصر عكا  
من البر ، وكان الأسطول الانجليزي يدافع عنها من البحر ويمنع موصلات الجيش  
الفرنسي من هذه الناحية ، ولم يجد نابليون أمامه سوى طريق الصحراء الشاق ،  
فانقطع عنه المدد ، بينما كان الجزار يتلقى المدد والمؤونة والذخيرة بحرا ، أما الجيش



المصري فقد عاوته العمارة المصرية من البحر ، فكانت المدينة في حصار محكم برا وبحراً ، فضلا عن ان ابراهيم باشا كان على اتصال مستمر بشغور مصر وسواحلها بواسطة العمارة المصرية ، واستطاع أن يتابع الحصار ستة أشهر كاملة ، فابراهيم باشا كان من هذه الوجهة أكثر توفيقا من نابليون ، على أنه لا يغرب عن البال أن ما أبداه الجنود المصريون من الجلد والصبر على مكاره القتال ، وما امتازت به قيادتهم من الدربة والسكفاية ، كل ذلك كان له الفضل الأكبر في ذلك الفتح المبين وقد كان لسقوط عكا تأثير ابتهاج عظيم في مصر فأقيمت الزينات في القاهرة ثلاثة أيام متواليات

أما عبد الله باشا والى عكا فانه بعد أن سلم نفسه تلقاه ابراهيم باشا بالحفاوة والإجلال ، وأرسله إلى الاسكندرية حيث أحسن محمد علي مشواه واسكنه في قصر خصص له ، وحفه بالرعاية والإكرام<sup>(١)</sup>

### فتح دمشق

١٦ يونيه سنة ١٨٣٢

اعتزم ابراهيم باشا بعد أن أراح جنوده ورتب شؤونه في عكا أن يمضي شمالا قاصداً فتح دمشق ، فغادر عكا في يوم ٩ يونيه سنة ١٨٣٢ في جيش مؤلف من ١٨٠٠٠ من المقاتلة ، منهم ٩٠٠٠ من الجنود النظامية و ٩٠٠٠ من العربان المصريين والبدو السوريين والدروز ، فلما اقترب من دمشق وقعت مصادمة خارج المدينة بين الجيش المصري والجيش العثماني انهزم فيها الترك ، وفرّ والى الشام بجنوده ولم يكن الأهالي معترمين بمقاومة الجيش المصري لأن مساوىء الحكام الاتراك

(١) يقول الدكتور مشاقفة في كتابه (مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان) ص ١٠٤ ان عبد الله باشا طلب أن يأذن له محمد علي بالذهاب إلى الحجاز فذهب إليه ومات هناك

جعلتهم لا يميلون إلى المقاومة بل كانوا أقرب إلى الرغبة في تغيير حكاهم  
نخرج وفد من أعيان المدينة وقابلوا إبراهيم باشا وقدموا طاعتهم ، فدخل  
المدينة يوم ١٦ يونيه ونصب الجيش خيامه خارج البلد ، واحترم الجنود المصريون  
أملاك الأهالي وأموالهم ، فسكان سلوكهم مدعاة للإعجاب مما حبيب الحكم المصري  
إلى نفوس السوريين وخاصة حينما تابلوا هذا المسلك بما اعتاده الجيش العثماني من  
أنواع الاعتداء المنسكرة

وأقام إبراهيم باشا في دمشق ثمانية عشر يوماً ، وحضر صلاة الجمعة في الجامع  
الأموي ، ورتب الإدارة فيها على نظام جديد فعين أحمد بك اليوسف أحد أعيانها  
متمسلاً عليها ، وأنشأ (ديواناً) مؤلفاً من عشرين من أعيان المدينة سماه (ديوان  
المشورة) يختص بنظر دعاوى الرعية والحكومة

### واقعة حمص

٨ يولييه سنة ١٨٣٢

جزع الباب العالي لسقوط (عكا) في يد الجيش المصري ، وكان يظن أنه  
ترده خائباً كما ردت نابليون من قبل ، فلما واجهته الحقائق خشى على مركزه أن  
يتزعزع أمام انتصارات المصريين ، وكان قد أعلن عصيان محمد علي (١) أثناء حصار  
عكا وحشد جيشاً مؤلفاً من ستين ألف جندي لقتاله ، وأعد أسطولاً من خمس  
وعشرين سفينة للإقلاع من الدردنيل ومحاربة الأسطول المصري

وعهد بقيادة جيش البر إلى السر عسكر حسين باشا قاهر الانكشارية ومنحه  
لقب (سردار أكرم) ، وكان من أكفأ قواد تركيا ، ووهب له ولاية مصر وكرت  
إذا هو قهر الجيش المصري ، فلو كتب له الفوز لوقعت مصر في وهدة الفوضى التي

(١) في أوائل مايو سنة ١٨٣٢

كانت تتردى فيها في عصر الولاية الأتراك، ولقضى على الاستقلال المصري في مهده،  
ولكن بطولة الجيش المصري حالت دون وقوع الكارثة ومنعت عودة مصر الى  
فوضى الحكم التركي

تقدم جيش عسرين باشا ببطء، فلم يصل الى مضائق جبال (طوروس) إلا في  
أوائل شهر يولييه سنة ١٨٣٢، ولم يشأ قائده أن يتقدم بمجموع جيشه للملاقاة الجيش  
المصري، بل ظل على مقربة من (انطاكية) وأنفذ محمد باشا والى حلب وتحت  
أمرته مقدمة الجيش وأمره بالتحصن في (حمص)

كان هذا التدبير خطأ حريياً كبيراً، لأن انفصال المقدمة عن باقي قوات  
الجيش وتورطها في مقاتلة الجيش المصري يعرضها للهلاك المحتوم، فلما علم ابراهيم  
باشا بهذا الخطأ عزم على مواجهة مقدمة الجيش التركي وسمحتها ثم مهاجمة باقي  
الجيش بعد ذلك، فتقدم من دمشق زاحفاً على (حمص)، واستدعى من بعلبك  
وطرابلس بقية جنده الذين كانوا بقيادة عباس حلي باشا وحسن بك المناسترلي  
فصارت قوة الجيش عند ما بلغ (حمص) نحو ثلاثين ألف مقاتل<sup>(١)</sup> وصار أمام  
معسكر محمد باشا والى حلب، وهناك وقعت الواقعة المشهورة بمعركة حمص  
(٨ يولييه ١٨٣٢)

تقع مدينة (حمص) على الشاطئ الأيمن من نهر العاصي، وموقعها غاية في  
الأهمية، لأنها ملتقى عدة طرق، فهي على طريق بعلبك ودمشق جنوباً، وطريق  
انطاكية وحلب شمالاً

وقد عسكر محمد باشا قائد الجيش التركي بجنوده على نهر العاصي، جنوب  
حمص وتحت أسوارها، ورتب جيشه على صفوف ثلاثة، فوقف المشاة في الصف  
الأول، تمتد مسيرتهم على مقربة من ضيعة متهدمة على مسافة نصف فرسخ،  
والصف الثاني من خلفهم، ويتألف من الأيمن من المشاة، وعن يمينهم وشمالهم

ألايان من الفرسان ، ويليهم الصف الثالث ، ومعظمه من الجنود غير النظامية (الباشبوزق) ، وتحمي المدفعية جناحه الايمن ، أما الصف الأول والثاني فلم يكن يسندهما سوى عدد ضئيل من المدافع ، وهذا من سوء التدبير ، أما الجيش المصرى فقد رابط فى مواجهة الجيش التركى على ثلاثة صفوف ، فوقف فى الصف الأول فريق من المشاة يبلغ عددهم ثلاثة أليات ، وعن يمينهم وشمالهم ألايان من الفرسان ، وفى الصف الثانى وقف جنود الحرس والمشاة ، يشد أزهرم من الجانبين ألايان آخران من الفرسان ورابط الاحتياطى من الفرسان والمشاة فى الصف الثالث

ونصب ابراهيم باشا مدافعه على ترتيب بديع ، فجعل أمام الصف الأول ثلاث بطاريات ، واحدة فى القلب ، وأخرى على اليمين ، والثالثة على اليسار ، ووضع بين النصف الثانى والصف الثالث ثلاث بطاريات أخرى ، وفيها المدافع الثقيلة ، وبينها وبين الاحتياطى مهات الجيش وأمتعته ، وعلى جانبي الصف الثالث فرسان البدو من العرب الهنادى وغيرهم

يدل هذا الترتيب وحده على دقة فى التدبير وكفاية فى القيادة ، ولو تأملت فى خريطة الواقعة (ص ٢٦٦) لتبينت بداهة ذى بدء مبلغ الفرق بين قيادة الجيش المصرى وقيادة الجيش التركى

ولقد كان ابراهيم باشا أسرع من خصمه إلى رسم خطط القتال ، فبينما كان محمد باشا قائد الجيش العثمان مترددا فى أى طريق يأخذه ، استقر رأى ابراهيم باشا بعد أن استشار خاصة أركان حربه على أن يكون البادىء بالهجوم فأمر كتائب الفرسان التى ترابط على ميمنة الصفوف الثلاثة بالزحف شرقا لتقوم بحركة التفاف حول ميسرة الترك ، وتولى بنفسه قيادة هذه الحركة ، لأن على نجاحها يدور مصير المعركة

\* فتحرك الفرسان وفقا لهذه الخطة ، واجتازوا الضيقة المتهدمة المتقدم ذكرها بنحو الفين إلى ثلاثة آلاف خطوة ، وتقدموا لمهاجمة فرسان الترك من الجنود غير

النظاميين الذين كانوا على مقربة من الضيعة ، وكان الهجوم شديداً محكم الوضع ،  
فتراجع الترك أمام قوة الهجوم وشدة الضرب ، وتفرقوا بددا ، واحتل المصريون  
الأرض الواقعة بين الضيعة وحدائق حمص ، ثم تقدم الفرسان الترك النظاميون  
الذين كانوا يرابطون في ميسرة الصف الثالث لصد هجمة المصريين ، فأمد إبراهيم  
باشا فرسانه بقوة من جنود الحرس والمشاة والمدافع ، فأطلق المصريون مدافعهم  
وبنادقهم على فرسان الترك فأوقعوا بهم وفرقوا جمعهم ، وتراجع هؤلاء إلى حدائق  
حمص ، وهجم المشاة المصريون من القلب هجمة صادقة فتقلقل الترك عن مراكزهم  
وتقهقروا إلى الورا وبذلك انهزم الجناح الأيسر من الجيش التركي بأكمله ونحلى  
عن مواقعه

وقامت ميسرة الجيش المصري بحركة بديعة ، ذلك أن فرقة منها زحفت غربا  
واجتازت القناة التي تتفرع عن نهر العاصي ، تتبعها المدافع ، واحتلت شاطئ القناة  
الأيسر ، وبذلك سدت الطريق أمام ميمنة الترك ، وصار من المتعذر عليهم أن  
يهمسوا بالهجوم من هذه الناحية

تخرج مركز الجيش التركي أمام هجمات المصريين ، وزاد مركزه حرجا أن  
المدافع المصرية كانت تطلق قنابلها بمهارة وإحكام ، فتصيب الهدف وتحصد صفوف  
الترك حصد الثبات ، في حين أن المدافع التركية كانت منصوبة على غير هدى ، وفي  
مواضع لا تصيب منها الهدف ، فضلا عن قلة الخبرة والدرية في رماتها ، وقد بقي  
الكثير منها منصوبا في مؤخرة الصف الثالث فلم يعمل عملا في صد هجمات  
المصريين

ولما رأى محمد باشا قائد الجيش التركي حرج مركزه أمر صفوفه بالهجوم ،  
ولسكن المشاة المصريين من جنود الصف الأول قابلوهم برصاص بنادقهم ففتكت  
بهم السيران فتسكا ذريعا وارتدوا على أعقابهم ، فوقع الذعر في صفوف الترك  
وولوا الأدبار مدحورين

ولقد كان مظلونا أن يعود الترك للقتال بعد أن يلبوا شملهم ، إذ كانت قلعة

حمص تحمى ظهورهم ، ومرت لحظة توقع المصريون أن يعاود الترك السكره ويستأنفوا القتال ، وزاد هذا الظن رجحانا أن مدافع القلعة كانت تطلق قنابلها ، ولسكن هذا الظن مالباث أن تبدد ، ولم يقوَ الترك بل لم يفكروا في معاودة القتال ، وتقدم ابراهيم باشا بجيشه الظافر ، فاحتل المواقع التي كان الترك يربطون بها ، وصف جيشه على شكل مربع ووضع المدافع على زواياه الأربع ، فزاد مركزه قوة ومنعة ، فتابع الترك تفهقرهم منهزمين ، وبذلك انتهت واقعة حمص بانتصار الجيش المصرى بعد ان دام القتال نحو أربع ساعات ، إذ بدأت وقت العصر وانتهت عندما أرخى الليل سدوله ، وبادر ابراهيم باشا فارسل الى أبيه ينبئه بهذا النصر المبين

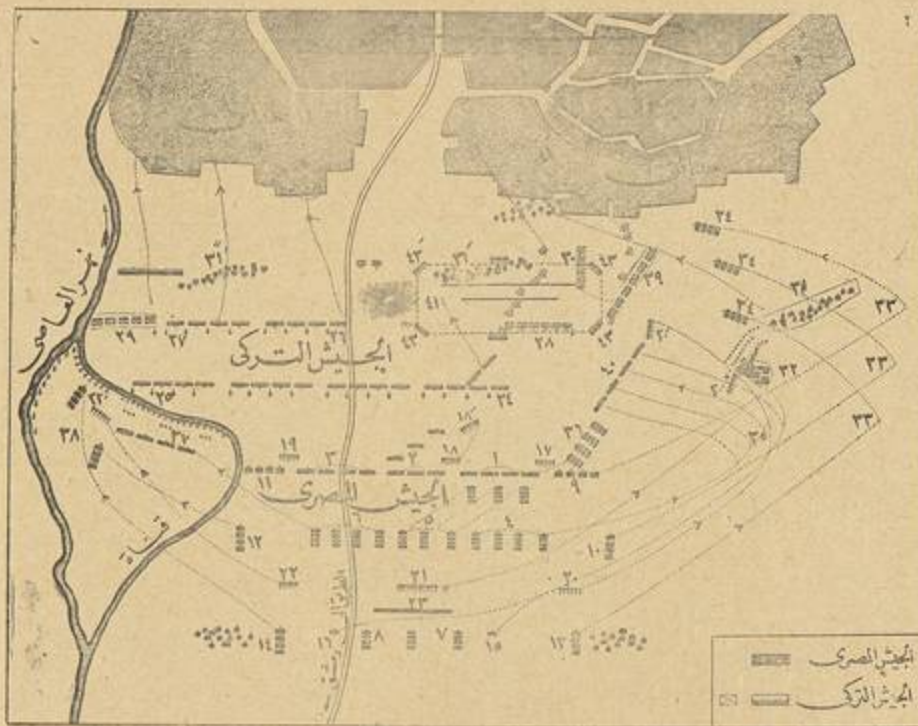
بلغت خسائر الجيش العثماني في واقعة حمص ٢٠٠٠ من القتلى و ٢٥٠٠ من الاسرى ، واستولى الجيش المصرى على عشرين من مدافعه وعلى ذخائره وأمتعته ، واما خسائر المصريين فلم تزد عن ١٠٢ من القتلى و ١٦٢ من الجرحى ، ودخل المصريون في اليوم التالي مدينة ( حمص )

وتعد هذه الواقعة من أهم المعارك التي خاضها الجيش المصرى ، فقد كانت أول معركة كبيرة اقتتل فيها الجيشان المصرى والتركى وجها لوجه (١) ، وكلاهما يتبع بقدر استطاعته النظام الحربى الحديث ، وكانت قوات الجيشين متعادلة ، فكلاهما مؤلف من نحو ثلاثين الف مقاتل ، ولسكن الجيش المصرى امتاز ببراعة القيادة وحسن النظام وبسالة جنوده والتفوق في المران العسكرى ، فلا غرو أن كسب المعركة وكان لترتيب الخطط الحربية فضل كبير في انتصاره ، وهنا تبدو كفاية ابراهيم باشا في القيادة ومهارته في الفنون الحربية

---

(١) ان حصار عكا وان كان أسبق من واقعة حمص الا أنه لا يعد معركة ، والمقصود من المعركة اصطدام جيشين في ميدان مكشوف . أما واقعة ( الزراعة ) فهي وان كانت أيضا أسبق من معركة حمص الا أنها لاتعد من المعارك الكبيرة بالنسبة لوقائع حمص وبيلان وقونيه ونصيبين

وقد دلت معركة حمص على تفوق الجيش المصرى على الجيش التركى فى ميادين القتال ، فكان لهذه الدلالة تأثير كبير فى الأذهان ، لأن أحداً لم يكن يتصور ان جيش السلطان يهزم أمام الجيش المصرى الذى كان معدودا الى ذلك الحين جزءا من الجيش « الشاهانى » ، وتلك أول مرة ظهر فيها الجيش المصرى على الجيش التركى فى معركة كبيرة ، فحت هذه المعركة ذكرى هزيمة الجيش المصرى فى معركة ( الريدانية ) أمام جيوش السلطان سليم فى بدء الفتح العثمانى لمصر ، أى منذ نيف وثلاثة قرون ، وغسلت الذلة التى لحقتها فى تلك الهزيمة ، وإذا كانت معركة ( الريدانية ) قد قضت على استقلال مصر وجعلتها ولاية تركية فلا ريب أن معركة ( حمص ) والوقائع التى تلتها أرجعت لمصر استقلالها وقضت على الحكم العثمانى فيها ، فلم تقم له بعد ذلك قائمة



خريطة واقعة حمص ( ٨ يوليه سنة ١٨٣٢ ) وفيها البيانات الآتية :

### موقع الجيش المصرى

الصف الأول من المشاة مؤلفا من الألاى الثانى عشر (نمرة ١)	٣٢٢١
والألاى الثالث عشر (نمرة ٢) ، والألاى الثامن عشر (نمرة ٣)	
الصف الثانى من المشاة مؤلفا من ألاى الحرس (نمرة ٤) ، والألاى	٦١٥٤
الخامس من المشاة (نمرة ٥) والألاى الحادى عشر (نمرة ٦)	
الصف الثالث ( الاحتياطى ) مؤلفا من الألاى الثامن من المشاة	٨ و ٧
ألاى من الفرسان عن يمين الصف الأول	٩
الثانى	١٠
الأول يسار	١١
الثانى	١٢



١٤ و ١٣	الفرسان على جانبي الصف الثالث
١٦ و ١٥	كتيبتان من الرماة على جانبي الصف الثالث
١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢	المدافع موزعة أمام الصف الأول وبين الثاني والثالث
٢٣	مهمات الجيش وأمتعته

### موقع الجيش التركي

٢٥ و ٢٤	الصف الأول من المشاة
٢٧ و ٢٦	الصف الثاني من المشاة
٢٨ و ٢٩ و ٣٠	فرسان الترك النظاميون
١٠	المدافع موزعة هنا وهناك
٣١ و ٣١ و ٣١	الفرسان غير النظاميين (الباشبوزق) ومنهم يتألف معظم الصف الثالث

### حركات الجيشين

٢٢	الضيعة المتهدمة التي اتجهت في طريقها ميمنة الجيش المصري
٢٣	الموقع الذي انجبه اليه الفرسان المصريون للالتفاف بميسرة الترك ومنه تقدموا وهاجموا الفرسان الباشبوزق (نمرة ٣١) قريبا من الضيعة
٢٤	الموقع الذي وصلوا اليه بعد الهجوم المتقدم
٣٥	الموقع الذي تقدمت اليه طوابير الحرس (نمرة ٤)
٢٠	وصول البطارية ٢٠ إلى يسار الضيعة واحتلال الرماة المصريين ١٥ و ١٦ تلك الضيعة
٣٦	الموقع الذي اتجه اليه الألاي نمرة ١ لشد أزر جنود الحرس
١٨	الموقع الذي اتجهت اليه البطارية ١٨ لمعاونة الألاي نمرة ٢ في هجومه على الترك وقد تقدم الألاي نمرة ٥ ليحل محل الألاي نمرة ١ وليشد

أزر الآلاى نمرة ٢ فى هجومه

- ٢٧ الموقع الذى اتجه اليه الآلاى نمرة ٦ لسد الطريق أمام ميمنة الترك
- ٢٨ الموقع الذى اتجه اليه الآلاى نمرة ١٢ و نمرة ١٤ ( من الفرسان ) لشد أزر الحركة المتقدمة
- ٢٢ انتقال البطارية نمرة (٢٢) الى موقعها الجديد للغرض نفسه
- ٢٩ الموقع الذى تقدم اليه الفرسان الترك نمرة ٣٠ بعد هزيمة الباشبوزق لصد هجمة الفرسان المصريين
- ٤٠ الموقع الذى وصل اليه جنود الحرس المصريون وعن يمينهم البطارية ٢٠ و ضربهم فرسان الترك يعاونهم الفرسان من الموقع ٣٤
- ٤١ و ٤١ و ٤١ تقهر ميسرة الترك بعد هزيمتهم
- ٤٢ و ٤٢ و ٤٢ تقهر ميمنة الترك
- ٤٣ و ٤٣ و ٤٣ المربع الذى احتله الجيش المصرى بعد هزيمة الترك

### الموقع الحربى بعد واقعة حمص

ارتد الجيش العثمانى بعد هزيمته فى واقعة ( حمص ) قاصداً حلب  
 أما جيش حسين باشا فى مكان قد بلغ ( انطاكية ) بينما كان جيش محمد باشا  
 والى حلب والجيش المصرى على وشك اللقاء فى معركة حمص ، وهكذا يتبين  
 لك أن انفصال الجيشين العثمانيين بعضهما عن بعض مكن الجيش المصرى من  
 الانقراض على كليهما واحداً بعد واحد ، ولو كانت القيادة التركية على شىء من  
 السكفاية لما تقدم جيش محمد باشا وحده ، ولا تنتظر قدوم جيش حسين باشا قبل  
 مواجهة الجيش المصرى ، ولكن عجز القيادة التركية وارتباك حكومة الاستمارة كانا  
 من الأسباب التى أفضت إلى هزيمة الجيش التركى  
 بارح جيش حسين باشا انطاكية قاصداً الى حمص ، فالتقى فى طريقه بفلول  
 الجنود المهزومة من جيش محمد باشا ، وعرف منهم نبأ هزيمة حمص ، فارتد الجميع

الى ( حلب ) ليتخذوها قاعدة حربية لقتال الجيش المصرى ، وطاب حسين باشا من أعيانها أن يمدوه بالمؤونة والرجال ، وليكن أهالى حلب كانوا كارهين للحكم التركى وأشفقوا على مدينتهم أن يحل بها الخراب اذا استهدفت للحرب ، فأبوا على الجيش التركى أن يدخل أحد من جنوده الى مدينتهم ، ولم يسمحوا الا للجنود الجرحى والمرضى بالدخول ، وأغلقوا أبواب المدينة فى وجه الجيش التركى وفى خلال ذلك كان اراهيم باشا يتقدم بالجيش المصرى نحو حلب ، ولم يجد حسين باشا مكانا حصينا يأوى اليه ، فانسحب شمالا الى مضيق ( بيلان ) جنوبى الاسكندرونة ، وهو أحد مفاتيح سورية من الجهة الشمالية وحصن فيه مواقعه تحصينا منيعا وساعدته طبيعة تلك المواقع على الامتناع بها

#### واقعة بيلان

٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢ (١)

تقدم الجيش المصرى فاحتل من غير مقاومة ( حماه ) ثم ( حلب ) ومكث بها بضعة ايام استراح فيها ، وجاءته بها وفود من ( اورفا ) و( ديار بكر ) تعلن خضوع المدينتين لحكم محمد على ، ثم تأهب لاستئناف الزحف وتابع زحفه حتى صار على مقربة من مواقع العدو فى بيلان

كان الجيش العثمانى الذى يقوده حسين باشا مؤلفا من نحو ٤٥ الفا من الجنود النظامية ، لديها السلاح الكافى ويميزها ١٦٠ مدفعا ، وهى قوة لا يستهان بها ترابط فى مواقع منيعة ، ولكن قيادتها تعوزها السكفاية والخبرة ، وحالة الجنود المعنوية لم تكن على مايرام ، فان ما حل بالجيش التركى من الهزائم المتوالية وما تعاقب عليه من تغيير القواد واندحارهم قد خذل روح الجند ، وعلى عكس ذلك كان موقف

(١) اعتمدنا فى بيان يوم الواقعة على رواية كادلفين وبارو ص ٢٠٦

الجيش المصرى ، فإن ذكرى الانتصارات المتتالية قد ملأت جنوده قوة وحماسة وجعلتهم يركنون الى قائدهم الباسل ابراهيم باشا الذى سار بهم من نصر الى نصر تقع مدينة بيلان جنوبي الاسكندرونة وشمالي المضيق والجبل المعروفين باسمها ويصل اليها طريقان ، طريق من كليس ، وطريق من انطاكية ، ويقرب الطريقان في سفح الجبل بحيث يفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر ، ثم يلتقيان في المضيق جنوبي بيلان ، فيصبحان طريقا واحدا يصل الى المدينة ، وترى على الخريطة نقطة تلاقيهما (ص ٢٧٣) وقد اتخذ الجيش التركي مواقعه على قمم جبال بيلان ، فاحتشد المشاة فوق هضبة على خط منكسر يصل طرفه الايمن - حيث ميمنة الجيش - الى طريق وعري يخترق الجبل آتيا من (خان قرموط) ذاهبا الى بيلان ، وطرفه الايسر (حيث القلب) الى الطريق الوسط الواصل الى بيلان نفسها ، أما ميسرة الجيش فكانت ترابط على امتداد ذلك الخط فيما يلي هذا الطريق يشد أزرها بعض المدافع المنصوبة على أكمة قريبة من الطريق ، وأقام الترك أمام صفوف المشاة استحكامات نصبوا فيها مدافعهم ، وأمامها الفرسان

أما الجيش المصرى فقد عسكر في السهل المنبسط تحت المضيق غربى الطريق الواصل من كليس الى انطاكية ، وتجدد موقعه بالخريطة (نمرة ١ - ٢) ، فاتخذ المشاة مواقعهم في الصفوف الامامية ، والفرسان من ورائهم والمدفعية في الوسط ، وخلف هذه الصفوف مهات الجيش وأمتعته

ذلك هو موقع الجيشين قبيل المعركة

أنهم ابراهيم باشا النظر في مواقع الترك على جبل بيلان ، فرآها منيعة يصعب على الجيش المرابط في السهل المنبسط في سفح الجبل أن ينال منها منالا ، فاجتمع وخاصة قواده وضباطه ، وأخذ يتداول وإياهم الآراء في الخطة التى تكفل الفوز ، فاستقر رأيه بعد دراسة الموقف الأليهاجم الترك مواجهة ، لاستحالة ذلك ، ورأى الخطة المثلى أن يدور حول ميسرتهم من الجنب تمهيدا للإحاطة بها ، ثم يحتل أكمات تتسلط على القلب ، فيجعل المشاة الترك هدفاً لتييران المدافع المصرية ، وفي الوقت

نفسه يرسل جزءاً من قواته للإحاطة بيمينته الجيش التركي وعملها هذه الخنطة أنفذ جنود الحرس والألأى الثامن والثامن عشر من المشاة الى طريق كليس - بيلان ، فساروا اليه واحتشدوا وراء أكمة تمتد الى الطريق (نمرة ١٨) ووراهم المدافع في بطن الوادى غربى الطريق (نمرة ١٩ و ٢٠) ، ثم أخذت كمنابهم تتحرك شرقاً في اتجاه ميسرة الجيش التركي ، تتبعهم المدافع الكافية وقد تولى ابراهيم باشا بنفسه قيادة هذه الحركة ، لأن عليها يدور مصير المعركة ، وأنفذ في الوقت نفسه الألأى الثالث عشر من المشاة بقيادة حسن بك المناسترلى تصحبه بطارية من المدافع ، فزحف صوب الطريق الآخر الذاهب من انطاكية الى بيلان ، ووصل الى الطريق واحتل الموقع الذى يذهب اليه (نمرة ٢١) ، وتبعه الألأى الخامس من الفرسان لتتألف منه قوة احتياطية له في هجومه على يمينته الجيش التركي ، فاستقر وراءه (نمرة ٢٢)

كانت هاتان الحركتان ، وخاصة حركة اليمينته التى تولى ابراهيم باشا قيادتها ، تكتنفها مصاعب جمة ، لأن المصريين اضطروا أن يسيروا صعوداً فى طرق وعرة ، فاحتملوا فى اجتيازها المتاعب والشدائد الهائلة ، ولما لمع الترك تقدمهم صوبوا اليهم مدافعهم وأطلقوا القنابل عليهم ، فأمر ابراهيم باشا بنصب المدافع وراء الأكمة التى احتشد فيها المشاة ، وأطلق القنابل على وجهة الجيش التركى بين القلب والميسرة ، وتبادل الفريقان إطلاق القنابل

واستمر المصريون فى زحفهم شرقاً ، الى أن تخطوا مواقع الجناح الأيسر من الجيش التركى ، فهاجموه من الأمام وهن الجنب هجومًا شديداً ، فنقل الترك عن مواقعهم واضطروا الى الارتداد شمالاً ، فابتدأت هن يمينتهم ، واستمر المصريون يتعقبونهم وفى خلال هذه الحركة استولى الرماة المصريون على المدافع المنصوبة على الأكمة التى تحمى الجناح الأيسر (نمرة ١٧) ، ووصل المصريون الى مرتفعات (نمرة ٢٤) تشرف على مواقع الترك ، وعلى طريق بيلان ، وركبوا فيها المدافع ، فاستهدفت ميسرة الترك فى انسحابها لئيران المدافع والبنادق المصرية ، فوقع فى صفوفها الاضطراب والفشل ، وحلت بها الخسائر الجسيمة

وتقدم فريق من جنود الألاي الثامن عشر من مكانهم (نمرة ١٨) ، واقتربوا من فرسان الترك المحتشدن أمام قلب الجيش العثماني ، وهاجموه (بالموقع نمرة ٢٥) وقت إحاطة جنود الحرس والألاي الثامن بميسرة الترك فتخرج مركز الفرسان العثمانيين أمام هذا الهجوم الهائل ، وخاصة بعد أن احتل المصريون المرتفعات المشرفة على مواقعهم ، فلم يقاوموا طويلا ، وسارعوا إلى الارتداد شمالا نحو بيلان من غير نظام ، وتفرق شملهم وتبددت جموعهم ولما ارتدت ميسرة الترك ووصل المصريون في تقدمهم إلى طريق بيلان نفسه تخرج مركز قلب الجيش العثماني ، إذ رأى ما حل بالميسرة ، وأدرك أن خط الرجعة إلى بيلان أصبح مقطوعا بوصول المصريين إلى الطريق ، فلم تثبت جموعه أمام دجمة المصريين ولاذوا بالفرار وتخلوا عن مواقعهم وتشتتوا في الجبال وأصاب الجناح الأيمن مثل ما أصاب القلب ، فقد تقدم المصريون من جنود الألاي الثالث عشر لمهاجمته ، ووصل رماثهم ومعهم المدافع إلى أكمة قريبة من أقصى الميمنة (نمرة ٢٧) ، على أن الترك لم يصمدوا للقتال بعدما علموا بما أصاب الميسرة ، وتخلوا عن مواقعهم وتقهقروا في الجبال تخلى الترك إذن عن مواقعهم على طول الخط ، فاحتلها المصريون ، وبذلك انتهت الواقعة بهزيمة الجيش التركي بعد قتال دام ثلاث ساعات فقد فيه الترك من رجالهم نحو ٢٥٠٠ من قتيل وجريح ، وأسر منهم المصريون ٢٠٠٠ أسير وغنموا ٢٥ مدفعا وكثيرا من الذخائر

وبعد انتهاء الواقعة احتل المصريون بيلان تخفق على صف وفهم أعلام النصر والظفر أما الترك فقد فرت فلولهم إلى الاسكندرونة لتلاجأ إلى العمارة التركية ، ولكنهم لم يدركوا العمارة لأنها أقلعت من الميناء بعد هزيمة بيلان ، فسار المصريون في أعقابهم وأسروا الكثيرين منهم واحتلوا الاسكندرونة ، ثم تقدم فرسانهم وساروا حذاء الساحل واحتلوا (بياس) شمالي الاسكندرونة وأسر فيها ١٩٠٠ مقاتل من الجيش التركي ، وسلمت أيضا (انطاكية) و(اللاذقية) و(السويدية)

كانت نكبة الجيش التركي في هذه الواقعة نكبة ساحقة، واختفى قائده العام علي



خريطة واقعة بيلان ( ٣٠ يولييه سنة ١٨٣٢ ) وفيها البيانات الآتية :

وجهه متتكرًا خوفًا من الفضيحة ، ونجاةً بنفسه من القصاص الذى هو لا بد ملاقيه  
إذا عاد إلى الاستانة وفي تبعته هذه الهزيمة

### موقع الجيش المصرى

- |      |   |
|------|---|
| ٢- ١ | موقع الجيش المصرى قبل الواقعة على سفح مضيق بيلان ، غربى الطريق<br>الذاهب من كليس إلى انطاكية ، وقد اصطفت قواته بالترتيب الآتى : |
| ٣    | الآلئ الحرس   |
| ٤    | الآلئ الثامن من المشاة  |
| ٥    | الثامن عشر من المشاة  |
| ٦    | الثالث  |
| ٧    | الثانى من الفرسان   |

الألاى الرابع من الفرسان	٨
الخامس	٩
المدافع ويلها مهمات الجيش وامتعته تحرسها كتيبة من العرب المصريين	١٠

موقع الجيش التركى ( ١ ١٢ و ١٣ ١٤ )

المشاة التركى منتشرون فوق هضبة على خط منكسر ، تصل يسراه إلى طريق انطاكية - بيلان ، ويمناه الى أكمة تفضى إلى طريق جبلى يصل من خان قرموط الى بيلان ، ومن هذا الخط يتألف الجناح الأيمن وقلب الجيش التركى	١١ - ١٢
الجناح الأيسر	١٣ - ١٤
الفرسان الترك	١٥ - ١٦
المدافع منصوبة أمام المشاة	١٧

حركات الجيش المصرى قبيل بدء القتال

وقبل ابتداء الواقعة اتخذ ابراهيم باشا المواقع الآتية للجيش المصرى :

تحركت جنود الحرس والألاى الثامن من المشاة من مواقعها الأولى ( نمرة ٣ و ٤ ) ووصلت إلى الموقع ١٨ وراء الأكمة	١٨
اجتمعت كتائب من الفرسان ببطن الوادى غربى الطريق الذاهب الى بيلان بالموقع نمرة ١٩	١٩
المدفعية الاحتياطية وراء الفرسان ، الألاى الثامن عشر ( نمرة ٥ ) يتبع الألاى الثامن والحرس	٢٠



- ٢١ الألاى الثالث عشر من المشاة ( نمرة ٦ ) يتجه نحو الطريق الذاهب  
من انطاكية الى بيلان ويحتل الموقع نمرة ٢١ على الطريق
- ٢٢ الألاى الخامس من الفرسان ( نمرة ٩ ) يتبع الألاى الثالث عشر  
ويحتشد خلف الموقع ( ٢١ ) ليسكون له بمثابة الاحتياطى فى هجومه  
على ميمنة الترك . بطارية من المدافع تتبع الألاى الثالث عشر  
الى الموقع ٢١
- ٢٣ نقلت مهمات الجيش الى الموقع ٢٣ تحميها فضيلتان من العرب

### حركات القتال

زحف جنود الحرس والألاى الثامن من الموقع نمرة ١٨ الى منبع نهر صغير  
للإحاطة بميسرة الترك ١٣ - ١٤ ، وهاجموا الميسرة من الأمام ومن الجنب  
واستولى الرماة المصريون على المدافع التركية المنصوبة على الأكمة ١٧ ، ووصل  
المصريون الى المرتفعات نمرة ٢٤ ، وتحت تأثير الهجوم ارتدت ميسرة الترك بغير  
نظام الى بيلان ، وكانت فى انسحابها هدفا لنييران المصريين ، فحلت بها الخسائر الجسيمة  
وترى على الخريطة تقدم الألاى الثامن عشر وفريق من الألاى الثامن من  
الموقع ١٨ الى الموقع ٢٥ لمهاجمة قلب الجيش التركى مع فرسانه وقت إحاطة جنود  
الحرس والألاى الثامن بميسرتهم ، وانسحاب الفرسان الترك من الموقع ١٥ و ١٦  
وتشتت شملهم ، ثم ارتداد قلب الجيش التركى بغير نظام وتشدته فى الجبال  
وترى زحف الألاى الثالث عشر من المشاة على ميمنة الترك ، فقد تحرك ومعه  
عدد من المدافع الى الموقع ٢٦ ، ووصل الرماة الى الأكمة ٢٧ تمهيدا لزحف بقية  
الجنود ، ولكن الترك لم يصمدوا للقتال بعد ما علموا بما حل بالميسرة ، فتنهقروا  
فى الجبال ونخلوا عن معاقلمهم كما تخلى بقية الترك عن مواقعهم على طول الخط ،  
انتهت الواقعة

## زحف الجيش المصرى فى الاناضول

اجتاز المصريون بعد واقعة ( بيلان ) حدود سورية الشمالية ، ودخلوا ولاية ( ادنه ) من بلاد الاناضول ، وعبروا نهري ( جيحون ) و ( سيحون ) واحتلوا ( ادنه ) وطر سوس ، وأخذ ابراهيم باشا يوطد مركزه وينظم الولايات التى فتحها قبل أن يزحف بجيشه الى الامام ، واحتشد معظم الجيش فى مدينة ( ادنه ) اذ كانت مفتاح الزحف على الاناضول وكانت أيضا صلة المواصلة بطريق البحرين مصر والجيش المصرى ، وأنفذ ابراهيم باشا كتائب من جنده فاحتلوا ( اورفا ) وعينتاب ومرعش وقيصريه

لم تنكسر عزيمة السلطان محمود أمام الهزائم التى حاقت بجيشه ، وأعد جيشا جديدا عهد بقيادته الى الصدر الأعظم محمد رشيد باشا<sup>(١)</sup> ، كان هذا الجيش مؤلفا من ٥٣ الف مقاتل<sup>(٢)</sup> ، هم خليط من أجناس السلطنة العثمانية لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم غاية ، فلا غرو أن يفقد الجيش أهم عامل لقوته المعنوية وخاصة إذا كان الجيش الذى يقاومه قويا بوحدته متماسك الصفوف معتزا بقيادته

كان رشيد باشا من خيرة قواد تركيا ، لسكنه دون ابراهيم باشا فى الكفاية والمران ، وقد اشترك معه من قبيل فى حروب ( الموره ) وخاصة أمام مدينة ( ميسلونجى ) ، ومن تهكم الأقدار أن هذين القائدين اللذين اشتركا معا فى ميدان القتال زماناً ما وكانا يدافعان عن غاية واحدة ، صاروا عدوين لدودين يعمل كل منهما ليمسحق الآخر

احتشد الجيش التركى فى الاستانة ، وعرضه السلطان محمود بنفسه لبيت فى

---

(١) هو غير مصطفى رشيد باشا الصدر الأعظم فى عهد السلطان عبد المجيد وصاحب الإصلاحات المشهورة

(٢) إحصاء كادلفين ص ٢٩٥

قلوب رجاله روح الشجاعة والإقدام ، وزوده ببعض الآليات المشاة النظاميين  
وعدد وافر من المدافع

ثم تقدم رشيد باشا بهذا الجيش العرمرم في بطاح الاناضول ، ليلتقي بالجيش  
المصرى ، وكان ابراهيم باشا يواصل زحفه في الاناضول ، فأنفذ قوة من الجند  
احتلت مضيق ( كوكك ) من مضائق جبال طوروس ، وأقصت عنه الترك ، وباحتلال  
هذا المضيق ذلت عقبة من أكبر العقبات التي تعترض الجيش المصرى فى زحفه  
على الاناضول ، ثم اعترضتهم عقبة أخرى وهى واد منبع بلى المضيق كان الترك  
متمنعين فيه بالقرب من مدينة ( شفت خان ) فأنفذ ابراهيم باشا قوة أخرى من  
الجند بقيادة سليم بك الحجازى و ابراهيم أغا الجوخدار (١) فهاجموا الترك فى الوادى  
وشببت معركة انتهت بانسحاب الترك بعد أن فقدوا ٣٠٠ قتيل وثلثمائة أسير ،  
وكذلك أمتنع الترك فى ( أولوقشلاق ) وهاجمهم فيها المصريون وأجلوهم عنها ،  
وبعد هزيمة الترك فى أولوقشلاق جلاوا أيضا عن هرقله ( اركلى ) فانفتح الطريق  
أمام الجيش المصرى ومضى فى زحفه حتى بلغ ( قونيه ) التى أخلاها الأتراك من  
غير قتال ، فانخذها ابراهيم باشا قاعدة عسكرية وأخذ يتأهب لملاقاة الجيش التركى  
ويدرب جنوده على التمرينات فى المواقع التى توقع نشوب القتال فيها ، فكان ذلك  
دليلا على نفاذ بصيرته وبعد نظره وبراعته فى القيادة ، ولئن كان جيشه أقل عددا من  
الجيش التركى اذ بلغ نحو ثلاثين ألف مقاتل (٢) منهم الف من العرب ( البدو )  
المصريين إلا أنه يمتاز بحسن النظام وكفاية القيادة والمران على القتال فى المعارك  
العديدة التى خاض غمارها ، ولا غرو أن بعثت الانتصارات التى أحرزها فى نفوس  
الجنود روح الأمل والثقة ، فكانت هذه الروح من أقوى أسباب النصر والظفر

(١) كاد لغين وبارو ص ٢٤٤

(٢) إحصاء مانجان ج ٣ ص ٥١ و ايكاريوس ص ٧٨

## واقعة قونية

٢١ ديسمبر سنة ١٨٢٢

في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٢٢ وصلت طلائع الجيش التركي بقيادة رموف باشا إلى شمالي (قونية) وكانت مؤلفة في الغالب من الجنود غير النظامية ، فناوشهم ابراهيم باشا ليتحقق مبلغ قوتهم ، ولما آانس منهم ضعفا أراد أن يكرههم على القتال ، لكن رموف باشا تجنب الدخول في معركة ، فانقضى يوما ١٨ و١٩ ديسمبر في مناوشات حربية استولى فيها المصريون على كثير من الأسرى وغنموا فيها بعض المدافع

وفي صبيحة يوم ٢٠ ديسمبر تقدمت جيوش رشيد باشا إلى قونية ، وأخذ كل من القائدين يرتب مواقع جنوده

وفي اليوم التالي ، يوم الواقعة ، كان الضباب يخيم على ميدان القتال من الصباح فحال دون اكتشاف كل من القائدين موقع الجيش الآخر ، على أن ابراهيم باشا كان يمتاز على رشيد باشا بأنه درس الجهة التي دار فيها القتال دراسة دقيقة ، ومرن جنوده على المناورات فيها قبل اشتباك الجيش

وقد رابط الجيش المصرى شمالي (قونية) ، وعلى مقربة من ميمنته شمالا بشرق مستنقعات من المياه ، وعلى مسيرة فرسخ من ميسرته تقع مدينة سيله ، وأمامه الجبال ، وعلى سفحها رابط الجيش التركى الذى كان الضباب يحجبه عن أنظار المصريين

وكان البرد قارسا ، ولا غرو فالمعركة وقعت في شهر ديسمبر في أشد أيام الشتاء ، فنزلت درجة البرد يوم الواقعة الى ١١ فوق الصفر

واصطف الجيشان في مواقعهما ، يفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر ، ومررت لحظة خفت فيها وطأة الضباب قليلا ، فأمكن ابراهيم باشا أن يلبح موقع الجيش

التركي ، وقد رتب خطة الهجوم ترتيبا محكما ، فرأى أن الهجوم على يمينه الترك أمر لائحمد عواقبه ، لأنها مرابطة على سفح الجبل في مواقع حصينة ، بعكس الميسرة التي كانت تستند الى مستنقعات مكشوفة

وقبل أن يبدأ ابراهيم باشا بالهجوم تقدمت صفوف الترك حتى صارت على هدنحوستائة متر من مواقع المصريين ، وأخذت المدافع التركية تطلق القنابل عليهم ، فلم يجب المصريون على الضرب بضرب مثله ، الى أن تعرف ابراهيم باشا على صوت الضرب مواقع الترك ، وتقدم الصف الثاني من المصريين حتى اقترب من الصف الأول تفاديا من فتك القنابل التركية التي كانت تنصب عليه

واتجه ابراهيم باشا الى بئر ( نمره ٢٣ على الخريطة ص ٢٨٢ ) تقع على يمين الصف الثاني من الجيش المصرى ليزداد علما بمواقع الترك ، وكان يصحبه من خاصة أركان حربه مصطفى مختار بك <sup>(١)</sup> وكان بك ، واحمد افندى <sup>(٢)</sup> ، ومعه قوة من ألف وخمسمائة من العرب

وهناك لمح مواقع الترك ، وعرف بثاقب نظره نقطة الضعف التي يصيب منها الهدف ، ذلك أن قوة الفرسان كانت تولف ميسرة الجيش التركي ، وقد أخطأت القيادة التركية في أنها لم تحكم الصلة بين الفرسان والمشاة أثناء التقدم ، فحدث بينهما ثغرة يبلغ طولها نحو ألف خطوة جعلت الميسرة في شبه عزلة عن بقية الجيش ( كما تراه على الخريطة )

فانتهم ابراهيم باشا هذه الفرصة ، واعتزم الدخول بقوات الحرس والفرسان في هذه الثغرة ليخترق صفوف الترك ، وبأدر فعلا فأصدر تعليماته بتحريك هذه القوات ، وتولى بنفسه قيادة هذه الحركة ، فزحفت قوة الحرس يتبعها الفرسان

---

(١) من خريجي البعثات المصرية وقد درس الفنون الحربية بفرنسا ، وهو الذي

تولى فيما بعد رئاسة ديوان المدارس أى وزارة المعارف العمومية

(٢) من خريجي البعثات أيضا

وأجتازت البر بقليل ، ثم انعطفت نحو الشمال حيث ميسرة الترك وهاجمتها هجوما شديدا ، وشدت المدفعية أزرها ، فصبت قنابلها على الترك وأخذتهم من الجنب ، وكان الهجوم شديدا ، والضرب محكما ، فتقلقل الترك من مرا كزهم لشدة الهجوم وتقهقروا شمالا من غير نظام في المستنقعات ، وبذلك انهزمت ميسرة الجيش التركي ثم تابع المصريون تقدمهم وتوسطوا ميدان المعركة حيث واجهوا الصف الثالث من مشاة الترك الذين اقتحموا الميدان ووصلوا الى تلك الناحية ( نمرة ١٧٥ ) فأصلتهم المدافع نارا حامية ، وأحاط بهم المصريون وضربوهم ضربا شديدا وأوقعوا بهم حتى سلموا سلاحهم

ولما أدرك الصدر الأعظم أن ميسرته قد وقع فيها الاضطراب والفشل أراد أن يلم شعنها ويثبت الحمية في نفوس رجاله ، فنزل الى حيث مواقع الجند ، لسكنه لم يفر بطائل ، وضل الطريق لكثرة تكاثف الضباب ، وبينما هو يسير على غير هدى وقع في أيدي العرب المصريين ، فأحاطوا به وجرده من سلاحه ، واقتادوه أسيرا الى ابراهيم باشا ، وكان قد مضى على نشوب القتال نحو الساعتين

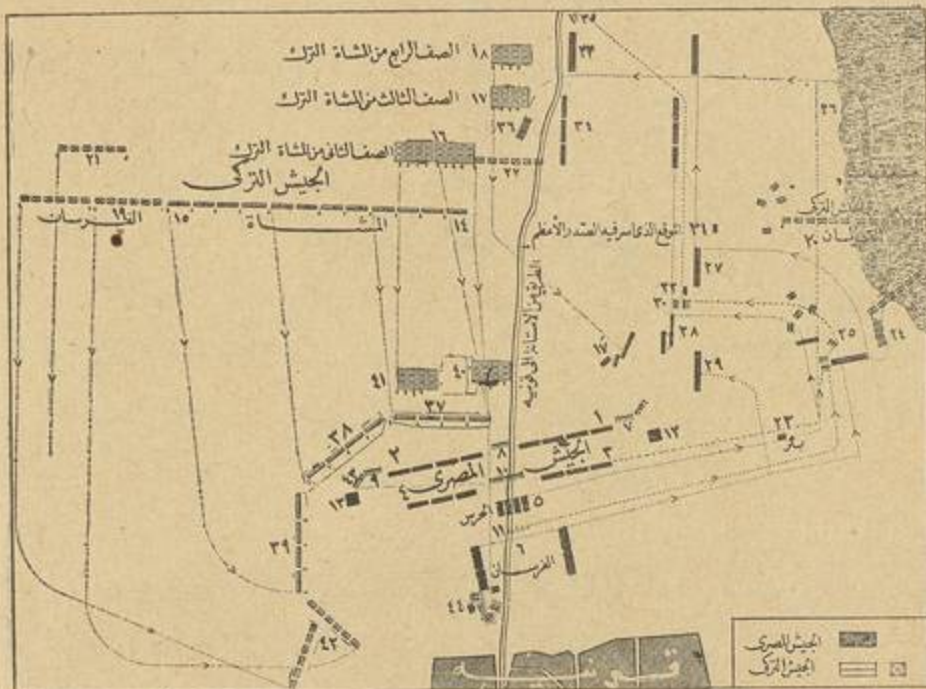
وتابع المصريون من المشاة والفرسان تقدمهم شمالا ، واستاقوا معهم بعض المدافع ، وهاجموا الصف الرابع من مشاة الترك ، فخاقت به الهزيمة وسلم وتمزق شمله ، وبذلك تم للجيش المصري الفوز على ميسرة الترك والصف الثالث والرابع من مشاتهم

وبينما كانت قوات الحرس والفرسان تقوم بهذه الحركات والهجمات الموفقة تقدم الصف الأول من صفوف الأعداء نحو ميسرة الجيش المصري واتخذوا مواقعهم حولها في خط منكسر بقصد الإحاطة بها ، واشترك في هذه الحركة الصف الثاني من صفوفهم ، وعاونهم فرسانهم ، فكانت الهجمة هائلة ، عنيفة في شدتها ، خطيرة في عواقبها ، ولسكن ميسرة الجيش المصري تلقته بثبات وشجاعة وتحركت مدافع الاحتياطى فشدت أزر المدفعية التي تحمي الميسرة ، وصبت المدافع المصرية قنابلها على صفوف الترك ، فحصدت صفوفهم حصدا ، واستبسلت الميسرة في الضرب

والقتال ، وكان على دفاعها يتوقف مصير المعركة ، واستمرت الملمحة ثلاثة أرباع ساعة ، ثم أسفرت عن كسر هجمة الترك وهزيمتهم وتشتيت شملهم في الجبال وكأما أراد الترك أن يبذلوا آخر جهد في المعركة ، فتحركت قوة من الفرسان ووصلت تجاه الصف الأول من الجيش المضرى ، فلم يحفل بها المصريون لأنها كانت سائرة نحو الفشل المحقق ، فإزالت تتقدم حتى وصلت الى ما وراء صفوف الجيش المضرى ، وهناك تشتت شملها وولت الأدبار

انتهت الواقعة بهزيمة الجيش التركى ، ودام القتال فيها سبع ساعات ، إذ بدأت في الظهر وانتهت بعد غروب الشمس بساعتين ، ولم تزد خسارة المصريين عن ٢٦٢ قتيلًا و ٥٢٠ جريحًا ، أما الجيش التركى فقد أسر قائده ونحو خمسة آلاف الى ستة آلاف من رجاله ، من بينهم عدد كبير من الضباط والقواد ، وقتل من جنوده نحو ثلاثة آلاف ، وغنم المصريون منه نحو ٤٦ مدفعًا وعددًا كثيرًا من الرايات فلا غرو كانت معركة قونية نصرًا مبینًا للجيش المضرى ، وصفحة نثار في تاريخ مصر الحربى

ولقد كانت من المعارك الفاصلة في حروب مصر ، لأنها فتحت أمام الجيش طريق الاستانة ، إذ أصبح على مسيرة ستة أيام من البوسفور ، وكانت الطريق مخلاة لا يعترضه فيها جيش ولا معقل ، فلا جرم ان ارتعدت فرائس السلطان محمود بعد هذه الواقعة إذ رأى قوائمه عرشه تنزل أمام ضربات الجيش المضرى وانتصاراته المتوالية



خريطة واقعة قونيه ( ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ ) وفيها البيانات الآتية:

### مواقع المصريين

- |       |  |
|-------|--|
| ١ - ٢ | الصف الأول من صفوف الجيش المصري يقوده سليم بك المناسترلى   |
| ٣ - ٤ | الصف الثاني بقيادة سليمان بك ( باشا ) الفرنسي على بعد ثلثمائة خطوة فقط من الخط الأول ، وقد اقرب منه الى هذا الحد بسبب تكاثف الضباب صبيحة يوم الواقعة وتساقط قنابل الترك عليه |
| ٥     | جنود الحرس يقودهم سليم بك الحجازى (١) ويتألف منهم الصف الثالث  |
| ٦     | الفرسان يقودهم أحمد بك ( باشا ) المنكلى وأحمد بك الاستانبولى   |

(١) ذكره كادلفين وبارو باسم سليم بك فقط ، ولكن ابكار يوس بك ذكره في كتابه ( المناقب الابراهيمية ) ص ٧٦ بلقبه بالحجازى



٩ و ٨ و ٧	المدافع وقد نصبت في الميمنة والقلب والميسرة بقيادة سليم بك قائد الطوبجية
١٠	بطارتان من مدافع الاحتياطي
١١	بطارية من مدافع الاحتياطي مع الحرس
١٢ و ١٣	أورطتان في هيئة مربعين لحماية الجناحين

### مواقع الترك

١٤ - ١٥	الصف الأول من المشاة
١٦	د الثاني من د
١٧	د الثالث د د
١٨	د الرابع د د
١٩	ألايان من الفرسان على يمين الصف الأول من المشاة
٢٠	ألايان من الفرسان على يسار الصف الأول من المشاة
٢١	ألاي من الفرسان خلف ١٩
٢٢	د د د عن يسار الصف الثاني من المشاة
٢٣	مدافع الترك موزعة أمام صفوف المشاة والفرسان
٢٤	موقع البئر التي اتجه اليها ابراهيم باشا ليستطلع مواقع الترك
٢٤	الموقع الذي وصل اليه الفرسان المصريون لمهاجمة الجناح الأيسر للجيش التركي بمعاونة جنود الحرس
٢٥	الموقع الذي وصلت إليه المدافع المصرية لشد أزر هذه الهجمة
٢٦	النقطة التي ارتد اليها الجناح الأيسر للجيش التركي في المستنقعات بعد هزيمته أمام هجمة الفرسان المصريين
٢٧ و ٢٨ و ٢٩	المواقع التي وصل اليها المصريون من الفرسان والحرس في تقدمهم وأحاطوا بالصف الثالث من المشاة الترك نمرة ١٧ الذي زحف من

- موقعه الأصلي الى حيث سلم سلاحه في الموقع نمرة ١٧
- ٣٠ الموقع الذى تقدمت اليه المدافع المصرية الآتية من ٢٦ لتسهل ترك في الحركة السابقة
- ٣١ المكان الذى أسر فيه الصدر الأعظم محمد رشيد باشا قائد الجيش التركى
- ٣٢ المكان الذى كان به ابراهيم باشا حينما وقع الصدر الأعظم أسيرا
- ٣٤ و٣٣ المواقع التى وصل اليها المصريون فى تقدمهم شمالا
- ٣٥ الموقع الذى تقدمت اليه المدافع المصرية آتية من الموقع ٣٠
- ٣٦ الموقع الذى هزم فيه الأتراك التركى نمرة ١٨ أمام هجوم المصريين
- ٣٧ و٣٨ و٣٩ المواقع التى تقدم اليها الصف الأول من مشاة الترك نمرة ١٤ - ١٥ للاحاطة بميسرة الجيش المصرى
- ٤٠ و٤١ المواقع التى تقدم اليها الصف الثانى من مشاة الترك نمرة ١٦ للاشتراك فى الحركة السابقة
- ٤٢ المواقع التى تقدم اليها الفرسان الترك نمرة ١٩ و ٢١ للاشتراك فى الحركة السابقة
- ٤ انتقال المدفعية المصرية من الموقع ١٠ وانضمامها إلى مدافع الجناح الأيسر حيث اشتركت فى كسر هجمة الترك وتشتيت شملهم
- ٤٤ المواقع التى تقدم اليها الفرسان الترك نمرة ٢٢ حيث تشتت شملهم

## حركات الاسطول المصرى

كان للأسطول المصرى فضل كبير فى معاونة الجيش خلال الحرب السورية من مبدئها الى منتهاها ، فان هذه الحرب لم تقتصر على البر . بل تعدته الى البحر ، ولانا اذا كرون هنا ما قام به الاسطول من الاعمال الجليلة التى ساعدت الجيش على بلوغ النصر

اشترك قسم من الاسطول فى حصار عكا كما قدمنا ، فقد أصدر ابراهيم باشا تعليماته الى سر عسكر الدونمة المصرية الاميرال عثمان نور الدين بك بضرب قلاع عكا من البحر فتقدم الاسطول ( ديسمبر سنة ١٨٣١ ) واصطفت سفنه أمام حصون المدينة ، وأخذت تضربها بالمدافع

كان عدد هذه السفن تسع بوارج ثقيل ٣٨١٠ من البحارة ، وسلاحها ٤٨٤ مدفعا ، وهذه أسماءها كما ذكرها اسماعيل باشا سر هنك (١) ، وهى : الفرقاطة ( كفر الشيخ ) وعليها القومندان برسيك الانجليزى ، والفرقاطة ( الجعفرية ) وقومندانها برغمه لى احمد قبودان وعليها علم الاميرال الاول قائد الاسطول ، والفرقاطة ( البحيرة ) وقومندانها عبد اللطيف قبودان ( الذى صار باشا وتولى نظارة البحيرة فيما بعد ) وتحمل علم الاميرال الثانى مصطفى مطوش باشا ، والفرقاطة ( رشيد ) وعليها السيد على قبودان ، والفرقاطة ( شير جهاد ) وعليها نورى قبودان والفرقاطة ( دمياط ) وعليها هدايت محمد قبودان ، والفرقاطة ( مفتاح جهاد ) وعليها مصطفى قبودان الجزائى ، والسفينة ( بومبه ) وعليها بيجان قبودان ، والسفينة ( رهبر جهاد ) وعليها على رشيد قبودان

أخذت هذه البوارج تطلق مدافعها على حصون عكا طول النهار ، ولكنها لم تصبها بضرر يذكر لمتانتها ، ثم رست مع باقى سفن الاسطول التى لم تشترك فى

(١) فى كتابه ( حقائق الاخبار عن دول البحار ) ج ٢ ص ٢٤٥

الضرب ، وأصيبت بعض السفن المصرية باضرار اضطرتها الى العودة للاسكندرية وكان للاسطول المصري جولات مهمة على ظهر البحار خلال الحرب ، فقد تلقى محمد علي باشا من إحدى سفن العمارة المصرية في شهر يونيه سنة ١٨٣٢ نبأ خروج الاسطول التركي من الدردنيل بقيادة الاميرال خليل باشا رفعت ليشارك في القتال ، وكان مؤلفا من خمس وثلاثين سفينة حربية ، فأصدر تعليماته الى العمارة المصرية بالإقلاع إلى بحر الأرخبيل لتبحث عن الاسطول العثماني وتقاتله . فسارت إلى مياه رودس وكان الاسطول العثماني قد اتجه في ذلك الحين إلى نجر الاسكندرية لإمداد الجيش التركي بالرجال والمؤونة والعتاد .

فلما وصل إلى الاسكندرونة كانت الهزيمة قد حلت بالجيش التركي في حمص ، ثم وقعت هزيمة ( بيلان ) ، فعاد أدراجه وأقلعت سفينته إلى جزيرة رودس تاركة كميات كبيرة من المؤونة لم يده تطع الترك حملها لما كانوا فيه من العجلة

أما العمارة المصرية فكانت مؤلفة من سبع وعشرين سفينة حربية معقودا لواؤها للأميران عثمان نور الدين باشا ، فسارت تمخر العباب باحثة عن الأسطول العثماني ، واجتمع الأسطولان بعد واقعة ( بيلان ) في مياه قبرص ، ومع أن الأسطول التركي كان أكثر عددا وعددا من العمارة المصرية فإن قبودانه نجح في الاشتباك في قتال مع الاسطول المصري ، وخشى أن يلحقه البوار إذا اصطدم به . فأثر أن يلزم خطة الدفاع ، وأخذ الاميرال عثمان نور الدين باشا من ناحيته يرقب حركات الاسطول العثماني ، دون أن يسعى لمهاجمته ، وبقي الاسطولان طويلا في هذا الموقف ، إلى أن سار أميرال الاسطول التركي إلى ميناء ( مرمريس ) من نغور الأناضول ليأوى إليها ، فتعقبته العمارة المصرية ، وحاصرت الميناء . ولكن هياج البحر واشتداد الأنواء في ذلك الفصل من الشتاء حالا دون استمرار الحصار ، فاتجه نور الدين باشا بالعمار المصرية إلى خليج السوداء بجزيرة كريت ، وبعد أن بقي الاسطول التركي في نجر مرمريس عشرين يوما اقلع إلى مياه الدردنيل ثم رجعت العمارة المصرية إلى الاسكندرية

وقد كان للأسطول المصري عامة فضل كبير في تسهيل المواصلات البحرية بين مصر وسورية ، ولولاه لما وجدت مصر من سبيل إلى إهداد جيشها إلا بطريق البر المحفوف بالمتاعب والاختار ، ولتعذر عليها الاتصال به وبالبلاد التي فتحتها ، فللأسطول المصري فضل كبير في نجاح الحملة على سورية

### المسألة المصرية

#### وتدخل الدول

استرعت انتصارات الجيش المصري أنظار الدول الأوروبية ، وفتحت باب المسئلة المصرية على مصراعيه

إن المسألة السياسية العالمية المعروفة بالمسئلة المصرية بدأت تظهر - في تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية ، فمن ذلك العهد اتجهت المطامع السياسية الدولية إلى مصر ، وتعددت المنازاع في شأن مصيرها ، فالحملة الفرنسية أول مشار للمسئلة المصرية إذ أنها كانت صراعا بين فرنسا وانجلترا على فتح مصر واستعمارها ، أما قبل ذلك فان التنافس بشأنها كان في الغالب تنافسا اقتصاديا ، فلما جرد نابليون سمته على مصر تحول إلى صراع سياسي ، وأخذت مطامع انجلترا تتجه نحو فتح مصر والسيطرة السياسية عليها ، ولقد رأيت مما فصلناه في الجزأين الأول والثاني من تاريخ الحركة القومية ، ان الصراع بين فرنسا وانجلترا بشأن المسئلة المصرية استمر طوال الحملة الفرنسية ، وبعد انتهائها ، وان انجلترا لم تكن تحارب فرنسا لإجلائها عن مصر فحسب ، بل لتحل فيها محلها والى تحقيق مطامعها السياسية والاستعمارية في وادي النيل (١)

واستمرت المسئلة المصرية مشارا للمطامع الانجليزية منذ اسس محمد على الدولة

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٦٣ و الجزء الثاني ص ١٢٨ و ٤٣٤

المصرية الحديثة ، فلما اشتبكت مصر وتركيا في الحرب السورية اقترنت المسئلة المصرية بالمسئلة الشرقية ، فاشتدت المنازعات الدولية بشأنها وانبعثت المطامع القديمة التي كانت تسعى لها كل دولة حيال السلطنة العثمانية

فالروسيا نظرت بعين الخوف والوجل إلى تقدم الجيش المصرى واقترابه عن عاصمة تركيا ، وخشيت إذا اطردها هذا التقدم أن يستولى محمد على باشا على عرش السلطنة ويمد نفوذ الدولة المصرية إلى ضفاف البوسفور والدردينل والبحر الأسود فيؤسس دولة قوية تقوم على أنقاص السلطنة العثمانية المتداعية الأركان المختلة النظام ، وليس مما يوافق سياسة روسيا أن يقع هذا الانقلاب لأنه يحول دون تحقيق اطماعها في الوصول إلى البواغيز والبحر الأبيض المتوسط ، فبادرت إلى التدخل لمعاونة تركيا ، وأوفدت الجنرال مورافيف Mourawief إلى السلطان محمود ليعرض عليه استعدادها للدفاع بقواتها البرية والبحرية عن السلطنة العثمانية ، ومعنى هذا الدفاع من روسيا بسط حمايتها الفعلية على تركيا ، فحال فرنسا وانجلترا أمر هذا التدخل وخشيتا على سياستهما ومصالحهما أن تستهدف للخطر إذا بسطت روسيا حمايتها أو نفوذها في تركيا ، واتقاء لهذا الخطر بذلتا جهودهما لوقف تقدم الجيش المصرى حتى لا تجد روسيا مسوغا لحماية تركيا ، ففرنسا وانجلترا لم تقصد من تدخلهما في المسئلة المصرية والمسئلة الشرقية مصلحة مصر ولا مصلحة تركيا ، بل كانتا تعملان لتحقيق أغراضهما الذاتية

واستخدمت فرنسا علاقاتها الودية مع مصر لإقناع محمد على بتسوية الخلاف بينه وبين السلطان ، وأوفدت إلى الاستانة الأميرال روسان Roussin سفيرا لها ليسعى في فض الخلاف بين تركيا ومصر ويمنع التدخل الروسى وبذلك صارت مصر قبلة انظار الدول الأوروبية ، إذ كان مناط آمالهن إقناع محمد على باشا بتسوية الخلاف مع تركيا حتى لا يؤدي تدخل روسيا إلى أزمة أوروبية قد تنتهى بتحكيم السيف بينهن

فعلى خطة مصر في ذلك الحين كان يتوقف التوازن الأوروبى ، من أجل ذلك

وقدت رسل التفاهم على محمد علي باشا من كل صوب  
جاء الجنرال مورافيف إلى الاسكندرية ، وقابله وعرض عليه الوساطة بينه  
وبين السلطان ، فأكرم محمد علي وفادته وأحسن لقاءه ، ولما تمسك بوجهة نظره  
وكذلك أرسل السلطان بإيعاز من السفارة الفرنسية مندوبا عنه وهو خليل  
باشا ليفاوض محمد علي في حسم الخلاف وديا ، وأرسل الأميرال روسان إلى محمد  
علي يطلب إليه ألا يشتط في طلباته حقنا للدماء ، وأن يكتفي من فتوحه بولايات  
صيدا ( عكا ) وطرابلس والقدس ونابلس

فرفض هذه الشروط وأصر على ضم سورية وولاية أدنه إلى مصر ، وقد  
أصر على الاحتفاظ بأقليم أدنه وهو من صميم الأناضول لما اشتهر عنه من كثرة  
مناجمه ووفرة أخشابه ، ولأنه ينتهي بجبال طوروس التي أراد محمد علي جعلها الحد  
الفاصل بين مصر وتركيا ، أما تركيا فقد ازدادت خضوعا للروسيا ورضيت أن  
تحميها بقواتها البحرية والبرية ، وجاء أسطول روسي ورسا في ميساه البوسفور ،  
ونزلت قوة من الجنود الروس إلى الشواطئ التركية الاسيوية لتسدع غزوة  
الجيش المصري

وقد رأى محمد علي باشا أن الدول إنما تسعى إلى هضم حقوق مصر إرضاء  
لتركيا ، فوقف تجاهها موقفا مشرفا استمسك فيه بحقوق مصر ، وبعث في هذا  
الصدد برسائل عدة تدل على قوة يقينه ومضاء عزمه ، وأهمها الخطاب الذي أرسله  
إلى الأميرال روسان سفير فرنسا في الاستانة بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٨٢٣ ردأ  
على رسالته إليه ، قال فيه :

« تلقيت رسالتكم المؤرخة ٢٢ فبراير التي تسلمتها من ياورك والتي تعترضون  
فيها على وتعلنوني بأن للاحق لي في المطالبة بمعدا بلاد عكا والقدس ونابلس  
وطرابلس الشام ، وأن الواجب على أن أسحب جيشي فوراً ، وتندرونني بأنني في  
حالة الرفض استهدف لأخطر العواقب ، وقد أضاف ياورك شفويا بنساء على

تعليماتكم بأنى إذا بقيت متمسكا بمطالبى فسيجىء الاسطول الانجليزى والروسى  
إلى سواحل مصر

« على إني يا جناب السفير أتساءل بأى حق تطلبون منى هذه التضحية ؟ ان أمتى  
بأجمعها تؤيدنى فى موقفى ، وان فى استطاعتى بكلمة منى أن أحرص شعوب الروملى  
والاناضول على الثورة فيلبوا نداءى ، ويمكننى بتأييد أمتى أن أفعل أكثر من ذلك ،  
لقد امتدت سيطرتى على أقطار عدة ، والنصر حليفى فى كل الميادين ، ومع أن رأى  
العام يؤيدنى فى امتلاك سورية بأكملها فانى قد وقفت زحف جنودى رغبة  
منى فى حقن الدماء ولكى يتسع الوقت أمانى لأتعرّف ميول الدول الأوروية ،  
ومقابل هذا الاعتدال وسن النية وتلك التضحيات العديدة التى بذلتها أمتى ، التى  
نلت الانتصارات الباهرة بفضلها وبفضل تاييدها لى ، تطلبون منى أن أتخلى عن  
البلاد التى فتحتها وأن أنسحب بجنودى إلى منطقة صغيرة تسمونها ولاية ! أليس  
فى هذا حكم علىّ بالإعدام السياسى ؟

« على أن لى ملء الثقة الاتأبى فرنسا وانجلترا الاعتراف بحقوقى ومعاملتى  
بالإنصاف فان ذلك مرتبط بشرفهما ، وإذا خاب أملى فليس أمانى إلا أن اذعن  
لقضاء الله ، وهنالك أوثر الموت الشريف على احتمال الذل والعار ، وسأبذل نفسى  
بكل ابتهاج فداءاً لقضية أمتى ، مغتبطاً بخدمة بلادى حتى آخر نسمة من حياتى ،  
ذلك ما صممت عزمى عليه ، وقد روى التاريخ أمثلة عديدة لمثل هذا الاخلاص ،  
ومهما يكن فان لى وطيد الأمل فى أنكم ستقدرون عدالة مطالبى وتؤيدون اقتراحاتى  
الأخيرة التى قدمتها الى خليل باشا ، وفى انتظار تحقيق هذا الأمل قد كتبت لكم  
هذا الخطاب الودى الذى تسلمه منى ياوركم يدأ بيد ،<sup>(١)</sup>

محمد على  
والى مصر

الاسكندرية فى ٨ مارس سنة ١٨٢٢



## احتلال كوتاهية ومغنيسيا

### وإقامة الحكم المصرى فى أزمير

وفى غضون ذلك تقدم ابراهيم باشا بجيشه فاحتل ( كوتاهية ) وصار على مسافة خمسين فرسخا من الاستانة ، ثم أنفذ كنيبة من الجنود احتلت ( مغنيسيا ) بالقرب من أزمير ( انظر الخريطة الملاحقة بهذا الفصل ) ، وأنفذ رسولا إلى أزمير ليقيم الحكم المصرى بها ، وقد وصل الرسول إليها ولم يلق بها مقاومة ، وعزل حاكم المدينة ( طاهر بك ) وأقام بدلا منه أحد أعيانها منصور زاده ( فبراير سنة ١٨٢٣ ) ، ورحبت المدينة بهذا الانقلاب ، ولكن الأدميرال روسان سفير فرنسا فى الاستانة تدخل فى الأمر حتى لا يستفحل النزاع وتتخذ الروسية احتلال أزمير ذريعة إلى حماية تركيا ، فأرسل إلى ابراهيم باشا يعترض على ما فعله رسوله فى أزمير وينذره بقطع العلاقات ، فلم يسع ابراهيم باشا إلا الاجابة بأنه لا يقصد احتلال أزمير ، وبذلك انتهى الخلاف وعاد الحاكم القديم إلى منصبه ( مارس سنة ١٨٢٣ )

### اتفاق كوتاهية ( ابريل - مايو سنة ١٨٢٣ )

بذلت فرنسا جهودها لحسم الخلاف بين محمد على و تركيا ، ووجدت مسعاها بين الفريقين ، وكان ابراهيم باشا يهدد تركيا بالزحف على الاستانة إذا لم تجب مطالبه ، فاضطر الباب العالى إلى الإذعان وأرسل إلى كوتاهية ، حيث كان ابراهيم باشا يقيم بها ، مندوبا عنه يدعى رشيد بك (١) يصحبه البارون دى فارين سكرتير السفارة الفرنسية

(١) هو الذى صار فيما بعد الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا صاحب الإصلاحات المشهورة فى عهد السلطان عبد المجيد

ليقوم بالوساطة بين الطرفين . وبعد مفاوضة دامت أربعة أيام تم الاتفاق ، على الصلح في ٨ أبريل سنة ١٨٢٢ ، وهو المعروف باتفاق كوتاهية ، ويقصى بأن يتخلى السلطان محمد على عن سورية واقليم ادنه ، مع تثبيتته على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل أن يحل الجيش المصرى عن باقى بلاد الاناضول

وقد صدرت التوجيهات ، السلطانية بمضمون هذا الصلح ، وأرسل الصدر الأعظم إلى محمد على وثيقة مكتوبة (١) بفحوى هذه التوجيهات ، وفيها إسناد ولاية سورية اليه والحاقها بولاية مصر وكريت

ولكن هذه التوجيهات كان ينقصها اقليم ادنه ، فبان من ذلك أن الباب العالى اراد الرجوع عن اتفاق كوتاهية بالنسبة لهذا الأقليم ، وقد بقيت المسألة موضع خلاف بين الطرفين ووقف ابراهيم باشا جلاء الجيش حتى ينفذ الباب العالى ماتم الاتفاق عليه ، فلم يسع السلطان الا أن يسلم بالتنازل عن ادنه ، وأصدر فرمانا في ٦ مايو سنة ١٨٢٢ بمضمون الاتفاق ، بتمامه ، أعلن فيه تثبيت محمد على باشا على مصر وكريت وإسناد ولايات سورية اليه ، وتجديد ولاية ابراهيم باشا على جدة مع مشيخة الحرم المكي ، أى إسناد إدارة الحجاز إلى عهده ، وتخويله إدارة اقليم ادنه (٢)

وبمقتضى اتفاق (كوتاهية) صارت حدود مصر الشمالية تنتهى عند مضيق (كولك) بجبال طوروس ، ويسمى بوغاز كولك تبعاً لتسمية الترك المضائق بالبواغيز (وترى موقعه على الخريطة ص ١٩٧)

---

(١) منشورة صورتها القونوغرافية باللغة التركية فى كتاب ( خلاصة الوثائق التركية فى مصر ) للسيو جان دىنى Deny لوحه نمرة ٢٣

(٢) فى فرمان أنه خول تحصيل أموال الجباية فيها ، ومعنى هذا إدارة الولاية فعلا كما يستفاد من التقارير الدولية التى تبودلت فى هذا الصدد ، فقد أورد البارون دى تمستا فى كتابه ( مجموعة معاهدات الباب العالى ج ٢ ص ٣٧٧ ) رسالة المسترماند فيل =

وبذلك انتهت الحرب السورية بتوسيع نطاق الدول المصرية وبسط نفوذها على سورية وادنه وتأييد سيطرتها على كريت وجزيرة العرب

ولا يعزب عن البال أن السلطان لم يقبل اتفاق كوتاهيه إلا مرغما ، وكان يضم السعى لنقضة إذا تهيأت له الفرصة في المستقبل ، بذلك على ذلك أنه لم يكذب يقر صلح ( كوتاهيه ) حتى عقد سرا مع روسيا المعاهدة المعروفة بمعاهدة هنكار اسكله سي ( ٨ يولييه سنة ١٨٣٣ ) وهي معاهدة دفاعية هجومية التزمت كل دولة بمقتضاها أن تساعد الدولة الأخرى إذا استهدفت لخطر خارجي أو داخلي ، وتعمدت تركيا بأن تأذن للاسطول الروسي بالمرور من البحر الاسود إلى البحر الابيض المتوسط ، وتسد البواغيز في وجه جميع السفن التابعة للدول الأخرى ، ومؤدى هذه المعاهدة تخويل روسيا مديها في شؤون تركيا وبسط حمايتها الفعلية عليها ، وهذه المعاهدة لم يبرمها السلطان على ما فيها من سهانة لتركيا إلا ليسعى في نقض اتفاق كوتاهيه ، لأن تركيا لم تكن مهددة في ذلك الوقت بخطر خارجي أو داخلي إلا من ناحية مصر . فإبرام معاهدة ( هنكار اسكله سي ) غداة اتفاق كوتاهيه معناه أن تركيا لم تكن خالصة النية في إبرام هذا الاتفاق ولا في إقراره

---

== سفير انجلترا في الاستانة الى اللورد بالمستون وزير خارجيتها بتاريخ ١٨٣٣ مايو سنة ١٨٣٣  
ينبته فيها ، بأن السلطان خول ابراهيم باشا ادارة ولاية ادنه باسناد تحصيل أموال الجباية فيها الى عهده ، ، وكذلك رسالة ابراهيم باشا الى السلطان يشكره فيها على إسناد حكومة أدنه اليه ،  
ولذلك كان الحكم المصري في افليم أدنه لا يختلف في حدوده ومظاهره عن مثيله في الاقاليم السورية

## الحكم المصرى فى سورية

دخلت الشام فى حكم الدولة المصرية بعد صلح ( كوتاهيه ) الذى توج انتصارات الجيش المصرى ، وأصبحت مصر المرجع الأعلى لحكومة الشام ، وصار إبراهيم باشا حاكما عاما للبلاد السورية وقائداً للجيش المصرى

### نظام الحكم المصرى فيها

وأخذ إبراهيم باشا فى تنظيم سورية وتدير أمورها الإدارية والسياسية والحربية ، فعنى بإقرار الأمن والنظام فى ربوعها ، وأمن الطرق ، ومنع اعتداء البدو على غلات الأهالى وأملاكهم وأرواحهم وأخذ من الوجهة الحربية يعنى بتوطيد مركز مصر فى سورية ، فأمن حدودها الشمالية وعنى بتحسين مضائق جبال طوروس لصد هجوم الترك إذا حدثهم أنفسهم بالزحف على الشام ، ورم حصون عكا وأسوارها ، وشيد الثكنات والمستشفيات ، وخطط الطرق الحربية ، واستقرت الحاميات المصرية فى أهم المدن السورية

وبلغ عدد الجيش المرابط فى سورية نحو سبعين ألف مقاتل رابط معظمه فى الجهات الشمالية القريبة من الحدود التركية واتخذ إبراهيم باشا مقره العام فى ( انطاكية ) لموقعها الحربى وقربها من التخوم الشمالية وعين محمد شريف بك ( باشا ) (١) حاكما عاما على سورية سنة ١٨٢٢ (٢)

---

(١) هو الذى صار وزير مالية مصر فى أواخر عهد محمد على ، وهو غير شريف باشا الكبير رئيس الوزارة فى عهد توفيق باشا وصاحب المواقف المشهودة فى التمسك بالسودان (٢) العدد ٤٥٥ من ( الوقائع المصرية ) الصادر فى ٢٤ جمادى الثانية سنة ٢٤٨ ( نوفمبر سنة ١٨٢٢ )

ولقب « حكامدار عربستان » ، وظل في معظم سنوات الحكم المصري يتولى إدارة الإيالات السورية جميعا

وجعل سليمان باشا الفرنساوى على إيالة صيدا (عكا)، وعين اسماعيل بك سنة ١٨٣٨ حاكما لولاية حلب ، وعين محمود نامى بك احد خريجي البعثات المصرية محافظا لبيروت وبقى في هذا المنصب من سنة ١٨٣٣ إلى سنة ١٨٤٠

وجعل على إدارة الشؤون المالية حنا بك بحرى أحد أعيان السوريين ، فصار صاحب النفوذ الأكبر في إدارة شؤون الحكومة وأحوالها المالية ، وقد ذكر المسيو جومار أن تعيين أحد السوريين الأكفاء في هذا المنصب الكبير دليل على رغبة ابراهيم باشا في إسناد كبار المناصب إلى أبناء البلاد ، وهو ما لم يكن مألوفا في عهد الإدارة التركية ، وتال الدكتور مشاققة (١) ، وهو معاصر للحكم المصرى :

« لم يمض على حصار عكا زمان حتى أرسل محمد على تفويضا إلى حنا البحرى في سن المنظمات لحكومة سورية على النمط الحديث ، وكان حنا البحرى على جانب عظيم من اعصالة الرأى ، وله القدر المعلى في السياسة المدنية ، وكان العدل والانصاف شأنه والنزاهة زمامه ، لا فرق عنده بين القوى المثرى والضعيف الفقير أو المسلم والذمى ، وكان يعاملهم بالقسط والعدل حسب وصية محمد على باشا الذى كان عارفا أن لا قيام للدولة إلا بالعدل والانصاف ،

وعين ابراهيم باشا لكل بلد متسلما أى حاكما يتولى إدارتها وألف في كل مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين ألف نسمة مجلسا يسمى (ديوان المشورة) يتراوح عدد أعضائه بين ١٢ و ٢١ عضوا ينتخبون من بين نهباء (أعيان) البلد وتجارها ، وتنظر هذه المجالس في مصالح كل بلدة ومطلوبات الميرى وإليها ترفع بعض الدعاوى للفصل فيها ووحيد الإدارة ووظد سلطة الحكومة المركزية ، وأبطل سلطة الامراء

(١) في كتابه ( مشهد اعيان بحوادث سوريا ولبنان ) ص ١٠٢

والرؤساء الإقطاعيين وخضد شوكتهم ، وضرب على أيدي الأشقياء وقطاع الطرق ، وبسط رواق الأمن في البلاد ، ونظم طرق الجباية ، وعامل الأهلين بالعدل والمساواة من غير تفريق بين الطبقات والمذاهب والأديان ، وكان ذلك أجل أعمال الإدارة المصرية في سورية

ونشطت التجارة والزراعة في عهد الحكم المصري ، فعمم إبراهيم باشا تربية دود الفز ( الحرير ) ، وأكثر من غرس أشجار التوت لهذا الغرض ، وغرس في ضواحي انطاكية أشجار الزيتون ، وازدهرت زراعة العنب ، وعنى باستخراج بعض المعادن ولا سيما الفحم الحجري في لبنان ، وراجت التجارة واتسع نطاقها ، وكثرت المعاملات بين سورية والبلاد الأوروبية

وقد كان دخل الولايات السورية أقل من الخرج أى أن غلاتها تقل عن نفقاتها ، وخاصة لما يقتضية الإنفاق على الجيش الموزع على المدن من المال ، فكانت الخزانة المصرية توازن بينهما ففسد عجز الميزانية وتحتمل مصر هذا الغرم في مالها كانت الإدارة المصرية في سورية رغم ما بها من عيوب أصلح من الحكم التركي السابق ، وحسب هذه الإدارة فضلا أنها أقرت الأمن في البلاد واستنقذتها من الفوضى ويكفيك لتتحقق مبلغ تقدم الإدارة السورية في ظل الحكم المصري أن تقرأ ما كتبه مؤرخو سورية في هذا الصدد

قال الأستاذ محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق (١) خلال كلامه عن الفتح المصري :

« كان من أول أعمال إبراهيم باشا الجليلة في بلاد الشام ترتيب المجالس المسكية والعسكرية وإقامة مجالس الشورى وغيرها من النظم الحديثة ، وترتيب المالية ، فجعل نظاما لجباية الخراج ومعاملة الرعايا بالمساواة والعدل ، لاتفاوت في طبقاتهم ومذاهبهم ، ولذلك لم يلبث الأمراء والمشايخ وأرباب النفوذ أن استنقلوا ظل

(١) في كتابه خطط الشام ج ٢ ص ٥٧

الدولة المصرية . وتمنوا رجوع العثمانيين ليعيشوا معهم كالحلمة الطفيلية تمتص دماء الضعفاء ، وينالهم من ذلك مصة الوشل ، مع أن البلاد رأت في أيام ابراهيم باشا إبطال المصادرات وتقرير حق التملك ، وتوطد الأمن في ربوعها ، وأجريت الزراعة والتجارة والصناعة ، وعممت تربية دود القز ( الحرير ) ، واستخرجت بعض المعادن ولا سيما معدن الفحم الحجري في قرنايل ( لبنان ) ، وفرض على لبنان ٦٧٨٢ كيسا يتقاضى الأمير ضعفيها ويدخل في خزائنه الخاصة المال الزائدة على المفروض

« وأكد كثيرون أن بعمله هذا استعادت أكثر قرى حوران وعجلون رحاة وحصص وغيرها من أعمال الشام عمرانها القديم ، وأخربت بعض القلاع التي كان يعتصم فيها الثارون أحيانا مثل قلاع جبل اللسكام وقلعة القدموس ، وقرب العلماء والشعراء ، ورخص للأجانب في إرسال معتمديهم إلى دمشق ، وكانوا يمنعون من دخولها قبله ، فينزل وكلاؤهم السواحل مثل صيدا وعكا وبيروت وطرابلس ، ويقال على الجملة إن الناس حمدوا دولة محمد علي في الشام ، ولم يتبرموا بها لولم يقم ابنه ابراهيم عملا بياعاز أيه بتجنيد الشبان ولو لم يثقل كاهل الأهلين بالضرائب ، وأقل الضرائب الشخصية ١٥ قرشا وأظمها خمسمائة قرش ، فإن هذا مما نفرت منه بعض القلوب ولاسيما من كان يقع عليهم عبء معظمها مثل أهل حلب وأهل دمشق ،

وقال الدكتور أسد رستم أحد أساتذة التاريخ بجامعة بيروت الأمريكية بمناسبة الكلام عن محمود نامى بك محافظ بيروت في عهد ابراهيم باشا :

« لما عزم عزيز مصر على إرسال بعض ضباط بحريته إلى فرنسا وانجلترا لإتمام علومهم وممارسة الفنون الحربية انتخب حسن أفندى الاسكندراني ووشان أفندى وإلأمير محمود نامى وأرسلهم إلى فرنسا ، فتلقى محمود علومه العالية وتخصص في الرياضيات ، ولما رجع من فرنسا ، عينه محمد علي باشا محافظا على بيروت ، وأبقاه في هذا المنصب سبع سنوات ( ١٨٢٣ -- ١٨٤٠ ) تشقت بيروت في خلالها

نسيا منعشا من الغرب المتمدن ، فاستيقظت من سبات العصور الوسطى ، وخطت خطواتها الأولى في سبيل رقيها الحديث ، وكان محمد علي باشا وابنه ابراهيم وعامله الأمير محمود نامى لبيروت أول العثمانيين الذين أخذوا الأفكار الحديثة فيما يتعلق بالحكومة والإدارة وهم أول من وضعها موضع الإجراء والتنفيذ ، نعم إن سلطتهم في بيروت كانت مطلقة ، ولكنهم أحكوا التدبير وأحجموا عن الحكم الاستبدادى ، فشكروا في هذه المدينة من سكانها مجالس تباحثوا مع أعضائها في جميع أعمالهم المتعلقة فكان هناك مجلس للشورى يدعى مجلس شورى بيروت وديوان للصحة وآخر للتجارة (١) .

وقال سليمان بك ابو عز الدين أحد أدياب سورية (٢):

« على أنه لا يسع المنصف إلا الاعتراف بأن المبادئ التي شاء محمد علي أن يؤسس عليها الإدارة والقضاء في سوريا كانت صحيحة بوجه عام ، لأنها كانت ترمى إلى تنظيم الاعمال وتوزيع الاختصاص بين هيئات مختلفة ، ومنع الاستبداد بتقييد الحكام وغيرهم من الموظفين بالنصوص القانونية ، وتدريب الأهلين على إدارة شؤونهم المحلية ، غير أن جهل الحكام كيفية تطبيق القوانين وفطرتهم الاستبدادية وعدم وجود مراقبة فعالة على أعمالهم وعدم مراعاة تقاليد البلاد وعاداتها وكثرة الاضطرابات في البلاد حالت دون بلوغ الغاية التي وضعت تلك القوانين من أجلها ، ولا ابراهيم باشا فضل خاص في الستين الأولى بعد الفتح في ضبط الأحكام وشدة مراقبة الحكام وإجراء العدل بين الأهلين ، وقد كان شديد الوطأة على المستخدمين الذين يحددون عن السبيل القويم ، فعاقب كثيرين منهم بالطرده والضرب والحبس للاعتداء على أهل البلاد أو عدم النزاهة أو غير ذلك مما يخرج عن جادة الاستقامة ، فلو استمرت حكومة محمد علي في سوريا ناهجة هذا المنهج القويم الحكيم للملكت

(١) مجلة السككية (التي تصدر عن جامعه بيروت) مجلد ١٣ ص ١٣٠

(٢) في كتابه (ابراهيم باشا في سوريا)



قلوب السوريين ، (١)

وقال في موضع آخر : من التغييرات الاجتماعية التي نشأت عن حكم محمد علي في سوريا إطلاق الحرية الدينية ، ونشر روح الديموقراطية بالضرب على أيدي الزعماء والمتغلبين ، ونزع السلطة من أيديهم ، وإنشاء العلاقة ما بين أفراد الشعب وحكامه مباشرة ، وتأليف مجالس مشورة تمثل الشعب بعض التمثيل ولها حق النظر في الشؤون المحلية بعد أن كان النظر في جميع الشؤون منوطاً بحكم مستبدين ، (ص ٢١١)

ثم قال في موضع آخر : لم تقم حكومة محمد علي في سوريا بأعمال عليية وأدبية ذات شأن ، فالمدارس التي أنشأتها كانت قليلة العدد والتأثير ، وكانت في معظم الأوقات مشغولة بالفتح وتسكين الاضطرابات وانحاد الثورات ومقاومة الدسائس والاعتداءات الداخلية والخارجية ، على أن قيامها في سورية مهدد السبيل لنهضة عليية أدبية ، لأن تنظيماتها استوجبت اختيار المتنورين لإدارة الأحكام والقيام بالأعمال القضائية والمالية والكتابية ، وسهلت قدوم الإفرنج من مرسلين دينيين وتجار وغيرهم ، فانشدت بواسطتهم المدارس ، كما أن إرسال بعض الشبان لدرس الطب في القطر المصري واستخدام بعض السوريين في حكومة محمد علي باشا أنشأ صلة أدبية دائمة بين القطرين ، فامتدت تلك الصلة وتناجها إلى وقتنا الحاضر ، وادخلت حكومة محمد علي روحا عليية إلى البلاد في أعمالها ، فانشأت مجراً صحياً في بيروت وبذلت اهتماما يذكر في الأمور الصحية . وكانت تجرى فيها حسب مشورة الأطباء الصحيحة كما فعلت في دمشق بإنشاء مصارف للبياه الراكدة ، واستخدام المهندسين في ذلك وفي الانشاءات التي تحتاج إلى معرفة فنية ، (٢)

هذا ، وقد زار المارشال مارمون (الدوق دي راجوز) ، سورية سنة ١٨٢٤

(١) (كتاب ابراهيم باشا في سوريا) لسليمان بك أبو عز الدين ص ١٣٩

(٢) ص ٣١٥

فأعجب بما رآه من إقرار السكينة والأمن فيها ، وكتب في رحلته يقول :  
« إذا بقيت أعمال محمد علي وبقى الأمن الذي بسطه فيما فتحه من البلاد كما صار  
إليه الآن من الاستقرار الذي يدعو إلى الإعجاب فان حالة هذه البلاد سيئته  
شأنها وستتطور تطورا كبيرا (١)

ويقول المسيو لويس بلان المؤرخ الفرنسي في كتابه (تاريخ عشر سنوات) :  
« إذا أردنا أن نعرف ما أفادته سوريه من انتقالها من الحكم التركي إلى حكم  
المصريين فما علينا إلا أن نلقى نظرة على سهول انطاكية التي اكتست بأشجار الزيتون  
وضواحي بيروت التي كثرت فيها الكروم ، والنشاط الذي انبعث في حلب ودمشق ،  
صحيح أن محمد علي أظهر جنفا وقسوة في حكم سورية ، ولكن في ظل هذا الاستبداد  
العارض الذي كان ضرورة ولزاما حيث سادت الفوضى في تلك البلاد ، قد  
نالت سورية النظام والعمران ، (٢)

### الثورات في الشام

لكن الإدارة المصرية في سورية لم تلبث أن اصطدمت بثورات محلية نشبت  
في مختلف الجهات ورزأت مصر بضحايا كثيرة ، وحملتها متاعب وجهودا  
كبيرة لاحتدامها

فلنتكلم عن أسباب هذه الثورات

وعد إبراهيم باشا السوريين بأن يعفيهم من التجنيد ويخفض الضرائب ولا  
يكلنهم إلا دفع الأموال الاميرية ، وقد بر بوعده في السنوات الأولى من حكمه ،  
نخفف عنهم بعض الأعباء المالية ، وأخذ في تنشيط الزراعة والتجارة ، فشعر

(١) رحلة المارشال الدوق دي راجوز ج ٣ ص ٢٨

(٢) تاريخ عشر سنوات الجزء الخامس ص ٤٢١

السوريون بالاطمئنان إلى الحكم المصري وركنوا إليه  
ولسكن هذه الحالة ما لبثت أن تبدلت لما أصدره محمد علي باشا إلى ابنه في  
أواخر سنة ١٨٢٣ وأوائل سنة ١٨٢٤ من الأوامر التي أثقلت كاهل الأهالي بأعباء  
فادحة وهي :

( أولاً ) احتكار الحرير في البلاد السورية  
( ثانياً ) أخذ ضريبة الرموس من الرجال كافة على اختلاف مذاهبهم  
( ثالثاً ) تجنيد الأهالي  
( رابعاً ) نزع السلاح من أيديهم  
وقد تبرم الأهالي بهذه المحدثات وتذمروا منها ، لأن احتكار الحكومة للحرير  
من شأنه إلحاق الضرر بمنتجيه ومنع تنافس التجار على شرائه وحرمان المنتجين  
مكاسبهم منه

وقد نفر وا كذلك من ضريبة الرموس وخاصة المسلمين لانهم ما كانوا ملزمين  
بها من قبل ، وزاد في تذمرهم تسخير الحكومة للأهالي في الأعمال العامة  
وكان التجنيد بطريفة قاسية تثير الخواطر ، وكان كثير من المجندين يرسلون إلى جهات  
لا يقع إلى أهلهم شيء من أخبارهم فيها ، وجاء نزع السلاح نالته الأثافي ، لأن معظم  
الأهالي كانوا يحملون السلاح ليدفعوا به سطوات البدو والرحل وعدوانهم ، فانتزاع  
السلاح من أيديهم أمر لا تقبله نفوسهم عن طاعة واختيار ، ومن هنا نشأت  
الثورات والفتن

وقد كان للدسائس التركية والانجليزية عمل كبير في تحريك تلك الثورات ،  
فان الترك والانجيز ما فتئوا يستفزون السوريين إلى الثورة ويوزعون عليهم الاسلحة  
ويحرضونهم على القتال ويستميلون اليهم رؤساء العشائر والعصبيات ، تارة بالمال  
وطوراً بالوعود ، حتى أفلحوا في تهيشة البلاد للثورة ، كما أن بعض اصلاحات ابراهيم  
باشا كانت من أسبابها ، فقد مر بك أنه أبطل سلطة الرؤساء الإقطاعيين وضرب على

أيدى الأشقياء وقطاع الطرق الذين كانت لهم سطوة كبيرة في بعض البلاد ، فهؤلاء وأولئك قد ساءم انتزاع السلطة من أيديهم ، فكانوا مدفوعين بوازع المنافع الشخصية إلى تحريض الأهلين على الثورة بالحكم المصري ، قال الدكتور مشاقة في هذا الصدد خلال كلامه عن نظام الحكم المصري في سورية :

« هذا النظام وإن يكن عادلاً وشريفاً قد كان باعثاً قوياً على كره الأمراء والمشايخ للمصريين حيث كف يدهم وأوقف مطامعهم عند حد لا يمكن اجتيازه ، وأما استبدادهم بالشعب ، وجعلهم أمام الشريعة سواء لا امتياز ولا فرق بينهم وبين أفراد الرعية ، فخنقوا على الدولة المصرية وودوا ازالتها وإرجاع الحكومة التركية (١) » .

### وقائع الثورة

#### ثورة فلسطين

وصلت أوامر محمد علي بالمحدثات الجديدة إلى إبراهيم باشا وكان في ( يافا ) ؛ فبادر من فوره إلى اذاعتها بين القبائل وفي أنحاء البلاد ، فثقلت هذه الأوامر على الناس وطلبوا رفعها ، فلم يجابوا إلى طلبهم ، فظهرت بوادر الاضطرابات في فلسطين ابتدأت الثورة على شواطئ نهر الأردن بالقرب من ( بيت المقدس ) في شهر أبريل سنة ١٨٣٤ ، وتوالت القبائل في هذه الجهات على ألا يدعنوا لتلك الأوامر ، وفي هذا إعلان للثورة

فلما علم إبراهيم باشا بنياً هذا العصيان سار بالجيش من يافا إلى بيت المقدس ، وقد كان لمبادرته تأثير كبير أضعف عزيمته الثوار ، وهناك جمع نهب القوم وأكبرهم ( أبريل سنة ١٨٣٤ ) فاستوضحهم مقصدهم ؛ فأجابوه بأنهم لا يعارضون في احتكار الحكومة للحجير ، لكنهم يعارضون أشد المعارضة في نزع السلاح وفي تجنيد شبان البلاد في الجيش ، وأنهم تلقاء ذلك يؤدون الضريبة ضعفين ويقدمون بعض

أولاد المشايخ رهينة لضمان غايتهم وإخلاصهم ، غير أن إبراهيم باشا أبى أن يتهاون في تنفيذ أوامره ، فاستمهلوه مدة يراجمون قومهم وعشيرتهم ، وانفض الاجتماع على غير طائل ، وعاد إبراهيم باشا إلى يافا ينتظر الجواب الأخير الذي وعد المجتمعون بإبلاغه إياه بعد مشاوره الأهالي ، ولـسـكى ينتظر ورود النجدة والتعليقات من مصر ، وكان انتشار الوباء في هذه الجهات مما دعاه إلى التعجيل بمغادرة بيت المقدس فأثر البقاء في يافا إذ لم يكن الوباء وقع فيها

أخذت الثورة تستفحل ، وخاصة لما ذاع بين الأهالي من أن تركيا تتأهب بجيش جديد لاسترجاع الشام من محمد علي ، فجنح البدو الضاربون بجوار ( البحر الميت ) إلى العصيان ، وامتدت الثورة إلى نابلس

### قع العصيان

كان زعماء العصيان في تلك الجهات حاكم ( نابلس ) المسمى الشيخ قاسم الأحمد ، وهو من رؤساء العشائر ذوى العصبية القوية ، وكان منهم زعيم آخر لا يقل عنه نفوذا ومكانة وهو ( أبو غوش ) صاحب قرية العنب الواقعة بين بيت المقدس ويافا هاجمت جماعة ( أبو غوش ) المخافر المصرية المعهود إليها تأمين السبل بين يافا وبيت المقدس من سطو قطاع الطرق ، فقفلت الحامية راجعة إلى يافا لقله عددهم إزاء المهاجمين

وكذلك هاجم العصاة حامية ( بيت المقدس ) ، وكانت تبلغ ألف مقاتل ، فقتل منهم خمسون جنديا واضطر القائد إلى الامتناع في قلعة المدينة حتى يأتيها المدد فلما علم إبراهيم باشا بهذه الواقعة أنفذ ألياً من الفرسان بقيادة الميرلاى حسن بك لنبجدة الحامية وللتكامل بقبيلة ( أبى غوش ) ، ولـسـكن النجدة المصرية لم تقو على مقاومة العصاة ، ورجعت مهزومة مضعضعة بعد أن قتل قائدها ونحو ثلاثين من جنودها ، وتكاثر الثوار على القدس واقتحموا باب داود ( من أبواب المدينة )

ودخلوا منه ، ووقع قتال شديد بينهم وبين الحامية المحصورة في القلعة ، ونهبوا حوانيت المدينة وبعض بيوت لليهود ، كذلك هاجم العصاة ( الخليل ) وقتلوا حاميتها وكان عددها ٢٠٠ جندي

فلما علم ابراهيم باشا باستفحال الثورة جمع جيشا من ستة آلاف جندي وقام على رأس هذا الجيش . فسار من يافا في شهر يونية سنة ١٨٣٠ . وزحف على معقل العصاة في قرية ( العنب ) التي امتنع بها جماعة ( أبي غوش ) ، وكانت محصنة تحصينا منيعا ، فحاصرها الجيش المصري واستمر القتال حولها ثلاثة أيام متوالية ، وفي اليوم الثالث دخل المصريون القرية ، فكان سقوطها في يدهم سببا في تشتت العصاة ، واحتل المصريون الطرق المفضية إلى ( بيت المقدس ) وفرق الجيش جموع العصاة ودخل المدينة بعد أن فر كثير من أهلها بمن انضموا إلى الثوار ، ووقعت ثلاث معارك بين الجيش المصري والعصاة كان النصر فيها للمصريين

على أن هذا القتال قد حمل الجيش خسائر جسيمة ومتاعب هائلة ، فتنحصر ابراهيم باشا في بيت المقدس

وفي غضون ذلك عمل على التفريق بين القبائل وضرب بعضها ببعض على الطريقة التي اتبعها في حرب الحجاز . وأفلح في استمالة بعض القبائل فتفسكت عراها ، وعقد سليمان باشا الفرنسيات مع اولاد ( أبي غوش ) تعهدوا فيه أن يؤمنوه على اجتياز معاقهم وأن يوالوا الحكومة المصرية على أن تطلق سراح أبيهم الذي كان سجينا في عكا ، وعلى العفو عنهم ، وبذلك أمنت الطريق بين يافا وبيت المقدس

وفي أثناء ذلك عرض الشيخ قاسم حاكم نابلس على ابراهيم باشا أن يقدم طاعته على ان يعنى الثابلسيون من الخدمة العسكرية ، وجرت بينهما في هذا الصدد مفاوضات ، فلما تم الاتفاق مع جماعة ( أبي غوش ) واستوثق ابراهيم باشا من ولائهم قطع تلك المفاوضات

### حضور محمد علي باشا

لما استفحل أمر الثورة اعترزم محمد علي باشا المحي إلى فلسطين ليظمن بنفسه على الموقف وليشرف على حركات القتال التي كان الغرض منها قمع العصيان ، فحضر إلى يافا يصحبه عدد كبير من الجنود ، وكان إبراهيم باشا وقتئذ في القدس ، فذهب لاستقباله في يافا

وكان العصيان قد امتد إلى ( صفد ) ، فقطع أهلها الطرق ونهبوا اليهود ، فعهد محمد علي إلى الأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان ، وكان على ولاء تام للحكومة المصرية ، أن يخدم هذا العصيان ، فصاع بالامر وزحف على ( صفد ) وحاصرها وسلبت من غير قتال وأعاد العمامة مانهبوه من اليهود وقد بر إبراهيم باشا بوعده لآل أبي غوش فأطلق سراح زعيمهم وعين أحد أبنائه متسلما ( حاكما ) للقدس

### إنحساد الثورة

وجرد جيشا لمحاربة ( الشيخ قاسم ) حاكم نابلس ، فدار قتال شديد بينها انتهى بهزيمة الشيخ قاسم وفراره مع اتباعه إلى ( الخليل ) وفي غضون ذلك عاد محمد علي باشا إلى الاسكندرية بعد أن اطمان من ناحية الجيش المصري ومركزه ، فوصل إلى الاسكندرية في يولييه سنة ١٨٣٤ احتل الجيش المصري قري ( نابلس ) ؛ ثم تعقب الشيخ قاسم ورجاله الأشداء إلى ( الخليل ) ، وتطاحن الفريقان ثلاث ساعات انكسر بعدها الشوار ، فدخل الجيش ( الخليل ) وانسحب المنهزمون إلى ( السكرك ) و( السلط ) فتعقبهم إبراهيم باشا إلى ( السكرك ) ولقي جنوده مشقات هائلة في هذه الحملة لاشتداد القيظ والعطش ، وسقط منهم نحو ثلثمائة مصابين بالرعن ( ضربة الشمس ) ، واحتل الجيش المصري

السكر ، وحمى القتال حول قلعتها التي اعتصم بها الثوار ، وتكبد المصريون خسائر جسيمة في هجومهم على القلعة وارتدوا عنها قليلا ريثما تبلغهم المدفعية ، فانهز الثوار هذه الفرصة وأخلوا القلعة وانسلخوا منها الى (السلط) ، وتقدم ابراهيم باشا إلى السلط فسلم أهلها من غير قتال

وفر الشيخ قاسم ومن معه من زعماء العصيان الى البادية ، وزلوا على عرب عنزة ، ولسكن ابراهيم باشا تعقبهم وما زال بهم حتى أخذهم جميعا وقتلهم ، وبذلك تم إخماد الثورة في فلسطين ، وأذعنّت القبائل لسطوة ابراهيم باشا وشدة بأسه

### اضطرابات أخرى

وقد هاجت الخواطر في دمشق لما أوقع التجنيد من الحزن في نفوس أهالي المجندين ، وفر عدد كبير من الناس الى البادية والى الجبال ، وخشى شريف باشا والى إيالات الشام أن يعم الهياج ، وخاصة بعد ورود أنباء ثورة فلسطين ، فكف عن التجنيد ، لسكنه جمع السلاح من أيدي الأهالي

وكذلك وقعت اضطرابات في طرابلس (سنة ١٨٢٤) واتتمر الأهاليون الحامية ، فاضطرت أن تنسحب الى الميناء ، فأرسل ابراهيم باشا المدد الى طرابلس ، وعاقب مشيرى الفتنة بإعدام ثلاثة عشر منهم وثارّت الفتن في (عكار) و(صافيتا) و(الحصن) ، فأخمدتها القوة المسلحة ، ووقعت كذلك اضطرابات أقل شأناً منها في (حلب) و(انطاكية) وبعلبك وبيروت

### ثورة النصيرية

وشبت الثورة في بلاد (النصيرية) شرقي اللاذقية في أكتوبر سنة ١٨٣٤ ، وكانت أهم ثورة بعد ثورة فلسطين ، وهاجم الثوار (اللاذقية) فأمدّها ابراهيم باشا ،



وزحفت قواته على بلاد (النصيرية) ونشبت معارك عدة بينها وبين الثوار انتهت بانتصار الجيش المصري ونزع السلاح من أيدي الثوار وتجنيد نحو أربعة آلاف من أهل تلك البلاد

وقد نفذ إبراهيم باشا قاعدة نزع السلاح والتجنيد في البلاد التي اخمد الثورة فيها . واستتب الأمن في ربوعها ، وكان اللبنانيون يعاونون الجيش المصري في اخماد تلك الثورات فترك لهم سلاحهم الى سنة ١٨٢٥ ثم عمد الى تجريدهم منه وبدأ بالدروز وخادع المسيحيين أنه لا يريد نزع أسلحتهم ، فعاونوه على تجريد الدروز ، وبعد أن تم له ذلك عاد الى أولئك فجردهم من سلاحهم ، واستتببت السكينة في سورية ولبنان ، فعمدت الحكومة الى تجنيد الأهالي من البلاد كافة ، وترتب على ذلك فرار الكثير من الشبان الى البادية مما أضر بالحالة الاقتصادية ضررا بليغا

### ثورة حوران

كان إبراهيم باشا قد أعنف دروز حوران من التجنيد ، ثم تراءى له أن يطبق عليهم نظام التجنيد ، وحجته أنه في حاجة الى زيادة عدد الجيش استعدادا لمقاومة هجوم العثمانيين الذي جاءت الأخبار بقرب وقوعه

فتمرد الدروز على طلب حكومة دمشق ، وكان من ذلك نشوب ثورة خطيرة في حوران ( نوفمبر سنة ١٨٢٧ ) وهي أشد ثورة عاناها الحكم المصري في سورية أنفذ إبراهيم باشا ثلاث حملات لكفاح تلك الثورة وإخمادها ، فالحملة الأولى ألفها من ٤٥٠ من فرسان الهوارة<sup>(١)</sup> ، ففازت في بدء القتال على الثوار في (بصرى) ولسكن الثوار استدرجوها الى الجهات الجبلية الوعرة في بلاد اللجاة<sup>(٢)</sup> ، وأمر

(١) احصاه الدكتور مشاقه في كتابه مشهد العيان ص ١٦

(٢) على حدود حوران جنوبي دمشق بشرق

قائد الحملة بالزحف عليها ، حتى اذا بلغ الوعر وانحصر فيه ، انقضَّ عليه الدروز ، فدارت بين الفريقين معركة بطش فيها الدروز بالحملة المصرية ، فقتل قائدها وبادت الحملة قتلا وأسراً وتشريداً

ولما أبلغ ابراهيم باشا نبأ هذه الواقعة وكان في ( انطاكية ) أجمع لحملة جديدة يقودها بنفسه ، لسكنه علم باحتمال تقدم الترك نحو الحدود الشمالية ، فاضطر إلى البقاء في ( حلب ) وأرسل إلى أبيه يستمده . ويطلب منه أن ينفذ إليه أحمد باشا المنكلي وزير الحربية المصرية لقيادة الحملة ، فجاء هذا على جناح السرعة ، وقاد الحملة الجديدة وكان فيها ٦٠٠٠ (١) مقاتل ، وزحف على حوران ، فأخذ الثوار يستدرجونها كما استدرجوا الحملة الأولى من قبل إلى أن أوغلت في الجهات الوعرة ، فقاتلها الثوار في معركة انتهت بهزيمة الحملة ، وخسرت من رجالها نحو أربعة آلاف بين قتيل وجريح ، وجرح قائدها أحمد باشا المنكلي جراحاً بالغة

تصدَّعت هيبة الجيش المصري بانتصارات الدروز ، واستشررت الثورة من حوران إلى ( وادي التيم ) فثار الدروز فيها بقيادة ( شبلي العريان ) وقطعوا موصلات الجيش

وجهن ابراهيم باشا حملة ثالثة من عشرين ألف مقاتل أطبق بها على ثوار حوران ووادي التيم

ونشبت الحرب وكانت سجالا ، إلى أن انتهت بتسليم دروز ( وادي التيم ) ، ثم تسليم شبلي العريان وانحصر الثورة في ( اللجاة ) ثم انتهت بإخماد ثورة اللجاة ( أغسطس سنة ١٨٢٨ )

وبذلك انتهت ثورة الدروز بعد أن استمرت تسعة أشهر تكبد فيها الجيش المصري خسائر فادحة ، ولقى فيها من الأهوال ما لم يلقه في إخماد الثورات

## السورية الأخرى

وغنى عن البيان أنه كان في إمكان مصر أن تتفادى هذه التضحيات الأليمة والخسائر الفادحة لو لم يتشدد محمد علي باشا في تجنيد السوريين ونزع أسلحتهم، إذ لم يكن من الحكمة ولا من حسن السياسة أن تبادر دولة فاتحة إلى تجنيد الأهالي في بلاد حديثة عهد بفحها ولما يستقر بعد حكمها فيها، وخاصة إذا كان أهلها قد اعتادوا من قديم الزمن حمل أسلحتهم ولم يألفوا نظام التجنيد الإجباري، ولو أن محمد علي جرى على الهُرى سنة في كلا الأمرين، وترك للزمن تحقيقها تدريجاً، لما استهدف الجيش المصرى لهذه الثورات التي أودت بحياة عشرة آلاف مقاتل ونيف، وذلك أكثر من العدد الذي استطاع تجنيده من السوريين، وأكثر مما خسره مصر في المعارك الحربية بسورية والأناضول، هذا فضلاً عن أن إخماد الثورات بالقوة والجبروت قد أوغر صدور السوريين على الحكم المصرى، فبعد أن استقبلوه في بدء الفتح بقبول حسن وفضلوه على الحكم التركي جنحوا بعد ذلك إلى قديمهم ولقيت الدعاية التركية بينهم مرعى ومأوى

على أنه يجب ألا يغرب عن البال ما كان للدسائس الانجليزية والتركية من الأثر الكبير في تحريض السوريين على الثورة كما قدمنا، ولكن بما لا نزاع فيه أن هذه الدسائس ما كانت لتفلق لو لم تلجأ الحكومة المصرية إلى إثارة الخواطر بنزع سلاح الأهلين وتجنيدهم جبراً، ومن جهة أخرى فإن الحكومة المصرية رغبة منها في منع ورود الأسلحة إلى البلاد أمرت بمنع دخول السفن التركية إلى الشغور السورية، وصددت ورود القوافل من جهات الأناضول، فأصاب التجارة من هذه وتلك ضرر كبير، وقد كان للدسائس الانجليزية وسوء الحالة الاقتصادية في أواخر عهد الإدارة المصرية أثر كبير في الحرب السورية التي شبت بين مصر وتركيا وحلفائها عقب إبرام معاهدة لوندرة، فان الجيش المصرى قد لقي فيها من مقاومة السوريين ما زاد مركزه حرجاً كما سيحكي بيانه

## الحرب السورية الثانية

وواقعة نصيدين ( ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ )

مافتئت تركيا بعد هزيمتها في معركة ( قونية ) وإبرامها اتفاق ( كوتاهيه ) تعد  
لمعدات وتبذل الوسائل لاسترجاع سوريه واقليم ادنه الى حوزتها ، فحشدت منذ  
سنة ١٨٢٤ جيشا في ( سيواس ) تاهبا للزحف على سورية عند سنوح الفرصة ،  
وعهدت بقيادته إلى رشيد باشا قائد الجيش العثماني الذي أسر في واقعة قونية ،  
فأخذ يستعد للزحف آملا أن يظفر بالجيش المصري فيمحوه مالحقمة من العار  
والهزيمة في واقعة ( قونية )

فتصميم تركيا على القتال واعتزامها استرجاع سورية بدأ عقب هزيمتها في ( قونية ) ،  
ولم يؤخرها عن امتشاق الحسام حتى سنة ١٨٣٩ إلا شعورها بأنها أضعف جندا  
من مصر ، فأخذت تتحين الفرصة المناسبة للتأثر . على أنها ماقتت طول هذه المدة  
تدس الدسائس لمصر في سورية وتحرض أهلها على الثورات وخلع أيديهم  
من الطاعة

ثم توفي رشيد باشا سنة ١٨٣٩ ، فخلفه في قيادة الجيش العثماني محمد حافظ باشا  
أحد قواد تركيا المشهورين في ذلك العصر

وفي خلال ذلك حدثت مفاوضات بين تركيا ومصر لتسوية الخلاف بينهما  
بطريقة ودية ، فأوفد السلطان محمود سنة ١٨٣٧ مندوبه ( صارم افندي ) ليقاوض  
في ذلك محمد علي ، لسكن هذه المفاوضات أخفقت إذ لم يتفق الطرفان على شروط يقبلانها

محمد علي وإعلان الاستقلال

ولما أخفقت تلك المفاوضات ورأى محمد علي دسائس الاستانة تزداد في سورية

اعتزم إعلان الاستقلال ليقطع آخر سبب يربط مصر بتركيا ، واستدعى وكلاء الدول في مصر واعلنهم بعزمه هذا ( مايو سنة ١٨٣٨ )  
وهذه هي المرة الثانية التي اعتزم فيها محمد علي إعلان الاستقلال ، فلمرة الاولى سنة ١٨٢٤ عقب الحرب السورية الاولى إذ صرح وكلاء الدول بما صمم عليه ، فرفضت الدول طلبه ، وحذرت من العاقبة <sup>(١)</sup> ثم جدد عزمه سنة ١٨٣٨ <sup>(٢)</sup> معتمدا على حق مصر ، ولأن استقلالها هو خير ضمانه لاستتباب السلام في الشرق وكان محمد علي يعتقد أن الدول لاتعارضه في إعلان الاستقلال أسوة بما فعلته حياال اليونان ، إذ عضدتها في تحقيق استقلالها وانفصالها عن تركيا وتأيدتها في مطالبها القومية ، ولسكن الدول الاوروبية تنظر الى مصر بغير العين التي تنظر بها الى اليونان ، فاعترضت على ما عزم عليه محمد علي ، وحذرت من جديد عواقب عمله ، وبدأ تحيزها لتركيا جليا ، وظهر تحاملها على مصر مما جرأ السلطان محمود على التحرش بمحمد علي ، فأدى ذلك الى وقوع الحرب السورية الثانية

#### مقدمات الحرب السورية الثانية

كان سفير انجلترا في الاستانة ( اللورد بونسونبي ) يحرض الباب العالي على التشدد في شروطه ، مما أدى الى إخفاق المفاوضات ، وكانت انجلترا لاتفتأ تضع العراقيل أمام سياسة محمد علي وتؤلب تركيا والدول الاوروبية على مصر فن ذلك انها توصلت في سنة ١٨٣٨ الى عقد معاهدة تجارية مع تركيا ، من شروطها إلغاء الاحتكار في جميع انحاء السلطنة العثمانية ، وكان المفهوم ان هذه المعاهدة تسرى على مصر لانها كانت الى ذلك الحين جزءا من السلطنة ، وقد وافقت فرنسا على هذه المعاهدة ( نوفمبر سنة ١٨٣٨ ) لأن ظاهرها يوافق المبادئ الانسانية ، ولم يكن من سبيل الى رفض مثل هذه المعاهدة وقد فطن محمد علي باشا الى ان المقصود من وضعها هو إخراجها . فلم يعلن اعتراضه

(١) و (٢) كادلفين وبارو . سنتان من تاريخ الشرق ج ١ ص ٤٦ و٢٢

عليها ولا يقوله إياها ، وتغيب عن مصر ذاهبا إلى السودان في رحلة طويلة ، وأظهر أنه ماضٍ للبحث عن مناجم الذهب في فازوغلي وتنظيم حكومة السودان ، ولكنه كان يقصد الغياب حتى لا يواجه طلبات كلاء الدول

وكانت تركيا تزداد تحفزا لتجريد جيشها على سورية ، ولم يكن غرضها استرجاع سورية فحسب ، بل كانت ترمي إذا ماظفرت بالجيش المصرى أن تستمر في زحفها حتى تغزو مصر ، وأخذت حركات الجيش العثماني تزداد نشاطا بالقرب من التخوم السورية

وفي غضون ذلك بذلت الدول الأوروبية مساعي عدة لحل الخلاف بالطرق الودية بين الدولتين ( مصر و تركيا ) فأخفقت في مساعيها لأن إنجلترا كانت من وراء تركيا تحرضها على القتال

### خطة الترك في الزحف على الشام

حصن المصريون مضيق ( كوك ) من مضائق جبال ( طوروس ) تحصينا منيعا ، إذ هو طريق الزحف على سوريا من ناحية الأناضول ، فشيّدوا فيه القلاع المحكمة ، وركبوا فيها المدافع الضخمة على الأساليب الهندسية الحديثة ، وبلغ عدد المدافع التي ركبها المصريون في قلاع المضيق ونواحيه ١١٥ مدفعا (١)

وبلغت الحاميات المصرية في ولاية ادرنة عشرة آلاف مقاتل ، وأصبحت مواقع المصريين من المناعة بحيث صار من المتعذر أن يهاجمها الجيش التركي ، فاعتزم قائده حافظ باشا أن يدع اجتياز هذه المضائق ويزحف على الشام من جهات ( اورفه ) وديار بكر ، حيث لا تفصلها عن الشام جبال وعرة كجبال طوروس

(١) إحصاء المسيو اوديفير في مباحثه عن ( الحكم المصرى في بلاد القرماني ) التي

نشرت بمجلة الشرق الفرنسية سنة ١٨٦٨ ص ٥٩٠

فلما علم ابراهيم باشا بهذه الخطة حشد معظم جنوده حول مدينة (حلب) ليرقب حركات الجيش التركي ويصد هجماته من كل طريق يجيء منه ، وكانت طلائعه ترابط في عينتاب وكليس القريبة من الحدود التركية

### عبور الترك نهر الفرات

ولما أتم حافظ باشا استعداداه اعتزم عبور الفرات ليزحف على الشام ، فعهد إلى اسماعيل باشا أحد قواده اجتياز هذا النهر عند بيرة جك<sup>(١)</sup> إلى عدوته البيئي ، فانتقل اسماعيل باشا إلى الشاطيء الأيمن يوم ٢١ ابريل سنة ١٨٣٩ ، ووصل هذا النبأ إلى ابراهيم باشا ، فأرسل إلى والده بمصر يسأله ماذا يكون موقفه إذا هاجمه الاتراك كما تدل الدلائل ، وأخذ في الوقت نفسه يحشد الجنود في حلب ، ويزيد موقفه مناعة في المدينة وما حولها ، وأرسل الطلائع من العربان لاكتشاف حركات الجيش التركي

### إرسال محمد علي المدد إلى الشام

وكان محمد علي قد بلغه تقدم الجنود التركية نحو الحدود ، فعلم أنها الحرب لا محالة ، وأمر بجمع الجند وإنقاذهم إلى الشام ومعهم الذخائر ، وعهد إلى وزير الحربية أحمد باشا المنكلي أن يلحق بابراهيم باشا ليعاونه في الحرب المنتظرة ، فكان سفر المنكلي باشا إعلانا بقرب وقوع القتال ، وقد علم وكلاء الدول بعزم المنكلي باشا على السفر فتدخل قنصل فرنسا العام<sup>(٢)</sup> لدى محمد علي لوقف سفر وزير

(١) وتسمى البيرة ، وهي واقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات

(٢) الميسو كوشليه

الحربية حتى لاتستعر نار الحرب ثانية بين تركيا ومصر ، فطلب اليه محمد علي أن تعطيه الدول موثقا ألا يزحف الجيش التركي على الشام ، وفي مقابل ذلك يمنع سفر وزير حربيته بل ويستقدم ابراهيم باشا أيضا ، فضمن له القنصل الفرنسي ذلك ، وارتكن على خطاب بهذا المعنى جاءه من سفير فرنسا بالاستانة ، وكان الحديث بحضور قنصل النمسا ، فالتفت اليه محمد علي وسأله : أتريد الرسائل الواردة له من السفير النمساوي مايقوله قنصل فرنسا ؟ فأجاب بالنفي ، فلم يسع محمد علي إلا أن صرح القنصلين بأنه إزاء هذا التضارب يرى من واجبه ان يتخذ وسائل الأبهة والاحتياط ، وأنفذ من فورهِ وزير الحربية الى حلب ، فوصل اليها بعد تسعة أيام من مغادرته مصر ، وكانت الحرب قاب قوسين أو أدنى

### حركات الجيش التركي قبيل واقعة نصيبين

احتشدت طلائع الجيش التركي في قرية ( نصيبين ) وحولها ، وهي بلدة واقعة في الأراضي العثمانية ، لكنها على مسيرة ساعات قليلة من الحدود التركية السورية (١)

---

(١) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيرة جك والاسكندرونة ، وموقعها غربي بيرة جك القائمة على الضفة اليسرى لهر الفرات ، وهي غير ( نصيبين ) التي بالجزيرة (هامش الطبعة الثالثة) - جرى نقاش حول اسم هذه الواقعة ، هل هو ( نصيبين ) كما هو معروف ومشهور ، أم هو ( نزيب ) كما نقش سنة ١٩٤٨ على قاعدة تمثال ابراهيم باشا ، ولأجل أن ندين وجه الحقيقة في هذه المسألة ، يجب بداءة ذي بدء أن نتعرف موقع المعركة . فبسي قد وقعت في قرية شمالي حلب على الطريق الواصل بين ( بيرة جك ) على نهر الفرات والاسكندرونة على البحر الابيض المتوسط أظن الخريطة ص (٢٥٦) وهذه القرية بهذا التحديد هي ( نصيبين ) . ووجه اللبس في هذا الصدد ان اسم نصيبين يطلق على بلدة مشهورة في الجزيرة فظن بعضهم أنها ليست البلدة التي وقعت فيها المعركة لأنها لم تقع حقا في الجزيرة . ولكن هذا اللبس يزول اذا تحققنا ان هذا الاسم ( نصيبين ) يطلق على ثلاثة =



وأخذ حافظ باشا يستعد للزحف ، فاحتلت طلائعه من القرى ما حول مدينة  
( عينتاب ) واجتازت سرية من الجيش التركي نهر الساجور (١) وهو الحد الفاصل  
بين سوريا وتركيا ، فتخطت بذلك الحدود المرسومة في اتفاق ( كوتاهيه ) ، وتقدمت  
القوات التركية فاحتلت قرية ( تل باشر ) بعد أن قتلوا وأسروا فريقا من حاميتها  
التي كانت مؤلفة من خمسمائة من عرب الهنادي

وفي غضون ذلك كان ابراهيم باشا قد أرسل إلى أبيه نبأ قطي الأتراك حدود  
اتفاق ( كوتاهيه ) وسأله ما يأمر به حيال هذا الاعتداء ، ولم ينتظر ورود جواب  
أبيه ، بل قام بجيشه من حاب لإجبار الأتراك على إخلاء ( تل باشر ) ، ولسكن  
هؤلاء إخلاء البلدة اثر وصول الجنود المصرية ( ٣ يونيه سنة ١٨٣٩ ) ثم احتل  
الترك مدينة ( عينتاب ) وأخلتها الحامية المصرية

وفي منتصف يونيه ورد جواب محمد علي باشا يعهد إلى ابنه بالألا يكتفي بإرجاع  
الأتراك إلى الحدود ؛ بل عليه حربهم وسحق جيشهم ماداموا لم يراعوا العهد  
والمواثيق ، فلما تلا ابراهيم باشا الجواب اطمأن اليه ، فأصدر أوامره إلى قواده  
بالاستعداد لمهاجمة الجيش التركي الذي احتشد في ( نصيبين )

---

== بلدان كما جاء في ( معجم البلدان ) اياقوت الحموي ( جزء ثان من ص ٩٢ - ٢٩٤ ) فهو  
يقول تحت كلمة ( نصيبين ) انها مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل  
إلى الشام . وأما أيضا قرية من قرى حاب . وأما أيضا مدينة على شاطئ الفرات  
تعرف بنصيبين الروم

فالاسم الصحيح لهذه البلدان الثلاثة هو ( نصيبين ) ولا محل لان نستبدل به اسم نزيب  
الذي هو اسم افرنجي أو تركي محرف عن نصيبين ولم يرد في أي معجم من المعاجم  
العربية . ولا مبرر لان نترك الاسم الاصل العربي الى الاسم المحرف

(١) نهر الساجور ينبع بالقرب من عينتاب ويمر بها ويصب في الفرات ، وهو الحد  
الفاصل بين املاك مصر وتركيا ، انظر موقعه على الخريطة ص ٢٥٦ ،

### قوات الطرفين

كان الجيش التركي يتألف من ٣٨ ألف مقاتل ويحتل مواقع حصينة ، ولم يكن ينقصه القواد الأكفاء لأن فريقا من الضباط الألمان وعلى رأسهم القائد الشهير البارون ( دى مواتك ) الذى انتصر فيما بعد على الفرنسيين فى الحرب السبعينية كانوا يرافقون القواد الترك ، وهم الذين تولوا تحصين نصيبين حتى جعلوها من أمنع المواقع الحربية ، ولو أن الأمر ترك كله للقواد الألمان لكان الحظ فى معركة نصيبين مترواحا بين الجيش المصرى والتركى ، ولكن القواد الأتراك وعلى رأسهم حافظ باشا لم يعملوا بنصائح ( دى مواتك ) وزملائه أثناء القتال ، فدارت الدائرة على الجيش التركى

أما الجيش المصرى فكان عدده أربعين ألف مقاتل (١) ، فالجيشان كانا متقاربين من جهة العدد ، لكن الجيش المصرى كان يفوق جيش الترك فى النظام وبراعة القيادة ، ودرية جنوده ، ومرانهم على القتال ، وثقتهم بأنفسهم وبقوادهم الذين خاضوا وإياهم المعارك ورفعوا معاً علم النصر من قبل ، فكان لهذه الميزة تأثير معنوى كبير فى نفوس الجنود ، هذا فضلا عن أن الجيش المصرى كان مؤلفا من جنس واحد وهم المصريون ، أما الجيش التركى فكان أخلاطا من الأتراك والأكراد وسائر عناصر السلطنة العثمانية

### واقعة نصيبين

( ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ )

اعتزم ابراهيم باشا أن يتبع خطة الهجوم فى واقعة ( نصيبين ) ، فحشد الجيش

(١) إحصاء كادلفين وبارو فى كتابهما ( سنتان من تاريخ الشرق ) ج ١ ص ٢٥٩

مشاة وركبانا على ضفاف نهر (السا جور) الذي كان يفصل الحدود المصرية والتركية وتحرك يوم ٢٠ يونيه سنة ١٨٣٩ صوب قرية (مزار) ليتخذها قاعدة للهجوم وتقع هذه القرية جنوبي (نصيبين) بغرب ، وهي على ساعتين من معسكر الجيش التركي ( أنظر خريطة الواقعة ص ٢٢١ )

لم يلق المصريون مقاومة تذكر في احتلال (مزار) فقد أخذتها الحامية التركية وانسحبت منها الى معسكر الجيش في نصيبين ، ورتب ابراهيم باشا مواقع جيشه في ضواحي (مزار) بالعدوة اليسرى من النهر المسمى باسمها

وفي اليوم التالي (٢١ يونيه) استقر رأي ابراهيم باشا على اكتشاف مواقع الأتراك أولا لمعرفة الجهة الضعيفة فيها فهاجمهم فيها ، فسار يصحبه سايان باشا لارتداد هذا الاكتشاف ومعها قوة مؤلفة من الف وخمسمائة من العرب وأربعة أليات من الفرسان وبطارتان من المدافع<sup>(١)</sup> ، واقربوا من مواقع الأتراك ، فأنفذت القيادة التركية بعض كتائب من الفرسان النظاميين ومن الجنود غير النظامية (الباشبورق) فاشتبكوا مع طلائع الجيش المصري في مناوشة ارتدوا على اثرها الى مواقعهم ، وتعقبهم المصريون ، فأمكنهم اكتشاف التحصينات المنيعة التي أقامها الأتراك أمام (نصيبين) ، فأدرك ابراهيم باشا انه يتعذر بل يستحيل على الجيش المصري أن يستولى على معسكر الجيش التركي مواجهة ، وعاد يجهد الفكر في الخطة التي تكفل له الفوز على خصمه ، فرأى أن خير وسيلة يتبعها هي الدوران حول مواقع الترك ليهاجمهم من الخلف

وغداة هذا اليوم (٢٢ يونيه) شرع ابراهيم باشا ينفذ هذه الخطة وأخذ ينسحب من مواقعه الأولى استعداداً للحركة الالتفاف

أما حافظ باشا فقد جمع مجلسا حريا ليقرر الخطة الواجب اتباعها حيال هذه المناورة ، فكان رأي البارون (دى مولتك) وزملائه الألمان أن يهاجموا المصريين

(١) احصاء كادلفين وبارو في كتابهما ( سنتان من تاريخ الشرق ) ج ١ ص ٢٤٧

أثناء حركة الالتفاف وقبل أن ترسخ قدمهم في المواقع الجديدة ، لكن حافظ باشا وزملاءه الأتراك لم يقبلوا هذا الرأي السديد ، وأبو أن يغادروا مواقعهم واستحكاماتهم المنيعه ويغامروا بقواتهم في مهاجمة الجيش المصرى فى العراء وفى سهل مكشوف خال من الاستحكامات التى تحميهم ، واستقر رأيهم على البقاء فى معانقهم بنصيبين

أنفذ إبراهيم باشا حركة الالتفاف ، فترك مواقعه الأولى ، وسار مشرقا ، محاذيا نهر مزار ثم نهر كرزين (١) بعد أن يلتقى هو ونهر مزار ، ثم انعطف شمالا حتى بلغ الطريق الموصل من حلب الى بيرة جك والمفضى الى ماوراء مواقع العدو فى نصيبين ، فسار فى ذلك الطريق الى أن بلغ قنطرة (هركون) القائمة على نهر كرزين ، وأمر الجيش بعبور النهر على هذه القنطرة ، ولو أن حافظ باشا فكر فى مفاجأة الجيش المصرى أثناء هذا العبور حيث كانت قواته موزعة على جانبي النهر لكان محتملا أن تتغير مصائر الواقعة ، لسكن القيادة التركية كانت فى غفلة من الجمود وعدم الكفاية ، فتركت هذه الفرصة تفلت من يدها ، وعبر الجيش المصرى بأجمعه نهر (كرزين) ليلا واحتشد على الضفة اليسرى خلف معسكر الجيش التركى ، وبذلك واجهه من الجهة الضعيفة ، فاضطر حافظ باشا أن يدير وجه جيشه ليواجه الجيش المصرى فى مواقعه الجديدة ، وأقام استحكامات على عجل بدلا من الاستحكامات القديمة التى كانت أمام وجهته القديمة ولم يعد لها عمل بعد أن تغير موقف الجيشين وانقضى يوم ٢٣ يونيه والجيشان يتأهبان للقتال

وفى ليلة ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ هاجم حافظ باشا المصريين فى جنح الليل آملا أن يأخذهم على غرة ويوقع النشل فى صفوفهم ؛ ولكنه ارتد بعد أن فشلت نيران المدافع المصرية بعدد كبير من جنوده ، واستمر إبراهيم باشا تلك الليلة يتأهب لمهاجمة الأتراك فى صبيحة الغد

(١) نهر كرزين هو نهر يصب فى الفرات وتقع نصيبين على ضفته اليسرى

## الواقعة

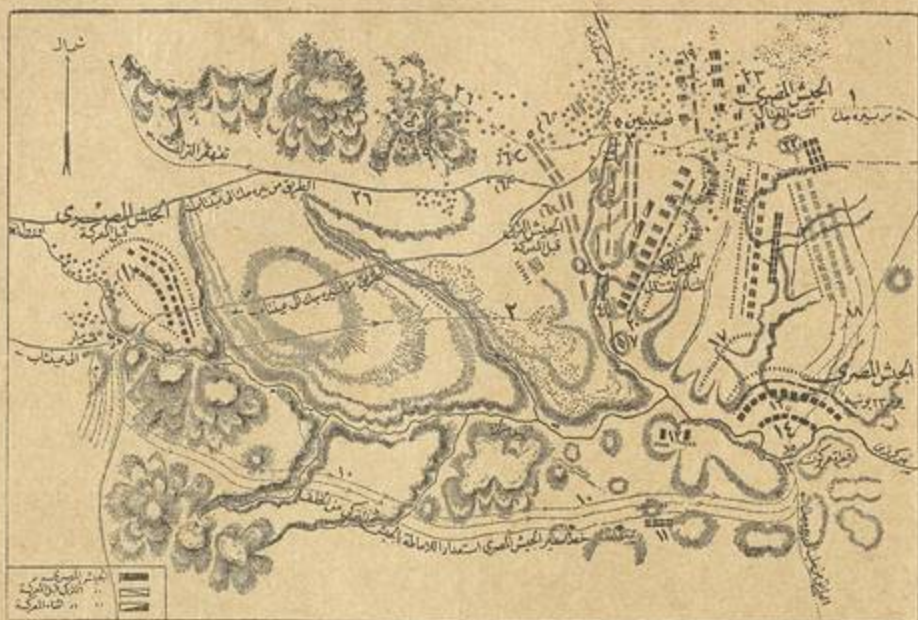
ففي صبيحة ذلك اليوم ، ٢٤ يونيو ، بدأت المعركة طبقا لخطة الهجوم التي رسمها ابراهيم باشا ، وكان الجناح الايمن للجيش التركي يرتكز على أخوار عميقة لاسبيل الى اجتيازها ، والقلب تحميه الاستحكامات التي أقامها الترك ، أما الجناح الايسر فكان يمتد الى نصيين ويتجاوزها قليلا مرتكزا إلى غابة من أشجار الزيتون ، فرأى ابراهيم باشا أن نقطة الضعف إنما هي في هذه الناحية ، فقرر مهاجمة الجناح الايسر ، وأمر بتقدم الصفوف المصرية لإنفاذ هذه الخطة

كان في هذه الحركة خطر كبير على الجيش المصرى ، إذ لم يكن له من سبيل إلى مهاجمة الجيش التركي من هذه الناحية إلا إذا سار أمام جناحه الايمن ، ثم أمام القلب ، وبذلك تتلقفه نيران الترك أثناء مسيره ، ولما سكت القيادة التركية لم تغتم هذه الفرصة ، وبقى حافظ باشا غاراً في معاقلة لا يباي حراكا ، وصمم على أن يدخر قوته إلى أن يهاجمه المصريون ، وترك الجيش المصرى ينتقل الى مواقعه الجديدة ، ولقد رتب ابراهيم باشا خطة الانتقال والهجوم بإحكام ودقة وفطنة استرعت إعجاب الضباط الأوروبيين الذين كانوا في معسكر الجيش التركي ، فقد شهدوا بأن حركات الجيش المصرى كانت تسير طبقا لخطط الجيوش الأوروية المدربة على أرقى فنون القتال العلمية

وما دل على براعة ابراهيم باشا في وضع الخطط الحربية أنه رأى أكمة عالية (نمرة ٢٢ على الخريطة ص ٣٢١) تجاه ميسرة الأتراك وقد أهملوا احتلالها ، فأمر لفوره سليمان باشا الفرنساوى الذى كان على يمينته الجيش المصرى باحتلال تلك الأكمة ، فبادرها ومعه فريق من الفرسان والمدفعية ونصبوا عليها المدافع ، فانكشفت أمام نيرانها مواقع الترك ، وكانت هذه الحركة مفتاح النصر في واقعة نصيين

وقد تنبه الترك إلى خطتهم في إهمال تلك الأكمة ، وحاولوا أن يحتلوها ، ورمأها حافظ باشا بقوة من فرسانه لإقصاء المصريين عنها ، ولكنهم عجزوا عن مقابلة النيران التي سلطها عليهم حماة الأكمة وأبطالها ، فارتدوا عنها إلى مواقعهم الأولى ولما اكتمل الجيش المصرى تجاه الجناح الأيسر أمر ابراهيم باشا بإطلاق المدافع على ميسرة الأتراك والهجوم عليهم ، فتلقى الترك الهجوم بثبات وشجاعة ، واشتد الضرب بالمدافع والبنادق بين الفريقين ، واستمر نحو ساعة ونصف حتى فيها وطيس القتال واستحرت ناره

وفي أثناء ذلك فرغت ذخيرة الجيش المصرى ، فانتظر جنود المدفعية وهدموا ريثما ترد إليهم الذخيرة ، بينما كان الترك يصبون عليهم ناراً حامية ، فتقلقل المشاة من الجناح الأيمن المصرى ، وارتدوا إلى الوراء ، فصدر الأمر إلى الفرسان بالهجوم ، فأقدموا ، لكنهم اضطروا إلى الارتداد أمام رصاص الترك ، وتقهقروا هم والمشاة ، ولاكن ابراهيم باشا تمكن بعد جهد شديد من وقف تيار التقهقر وفي غضون ذلك وردت الذخائر للمدفعية ، فصبّت نيرانها على الترك ، واشترك المشاة والفرسان والمدفعية في الضرب ، إلى أن تزلزلت صفوف الجيش التركى والتوت أمام هجمات المصريين ، وظهر الضعف في إطلاق مدافعهم ، فأخذ الأكراد يفرون متقهقرين ، فشدد ابراهيم باشا الهجوم على الميسرة ، فلم يقوَ الترك على صد هذا الهجوم ، ولجأوا إلى الفرار تاركين بنادقهم وذخيرتهم ، فاحتل الجيش المصرى مواقعهم ، وغنم جميع مدافعهم وذخائرهم وخيامهم وكل ما فيها من العتاد والميرة إذ لم يتمكن الترك من حمل شيء منها أثناء هزيمتهم ، حتى أن حافظ باشا ترك خيمته المزخرفة ، وفيها أوراقه وأوسمته ؛ فكانت معركة نصيبين نصراً مبيناً للجيش المصرى



خريطة واقعة نصيبين ( ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ ) وفيها البيانات الآتية :

- ١ موقع الجيش المصرى يومى ٢٠ و ٢١ يونيه ( على نهر مزار )
- ٢ حركة الاستطلاع التى قام بها ابراهيم باشا لاكتشاف مواقع الترك يوم ٢١ يونيه
- ٣ - ٤ - ٥ موقع الجيش التركى قبل المعركة ( على شكل مثلث )
- ٦ استحكامات لحماية وجهة الجيش التركى
- ٧ استحكامات لحماية ميسرة الجيش التركى
- ٨ ألى من المشاة الترك فى أكمة محصنة تحمى الجناح الأيمن
- ٩ بطارية من المدافع بالأكمة المذكورة
- ١٠ خط سير الجيش المصرى يوم ٢٢ يونيه وانتقاله من موقعه الأول على نهر مزار إلى موقعه الأخير استعدادا للإحاطة بالجيش التركى من الخلف
- ١١ الأيان من المشاة المصريين احتشدوا على يمين الجيش المصرى ومعهما بطارتان من المدافع لحماية أثناء انتقاله إلى موقعه الجديد

- ١٢ أليان من المشاة والفرسان المصريين احتشدا على يسار الجيش  
للغرض المتقدم
- ١٣ قنطرة هركون التي عبر عليها الجيش المصري نهر كرزين
- ١٤ موقع الجيش المصري يوم ٢٣ يونيه على الضفة اليسرى لنهر كرزين  
بعد اجتيازه قنطرة هركون
- ١٥ خيمة ابراهيم باشا القائد العام للجيش المصري
- ١٦ خيمة ساليان باشا الفرنساوى
- ١٧ موقع المدافع التركية ليلة ٢٤ يونيه بعد عبور الجيش المصري نهر  
كرزين
- ١٨ خط سير الجيش المصري يوم ٢٤ يونيه للإحاطة بالجيش التركي
- ١٩-٢٠ موقع الجيش التركي عند بدء القتال بعد أن أدار وجهه الى الخلف  
استعداداً لملاقاة الجيش المصري فى موقعه الجديد
- ٢١ استحکامات أقامها الترك أمام وجهة جيشهم
- ٢٢ الأكمة التى قصد اليها المصريون للتسلط على مواقع الترك ونصبوا  
فيها المدافع الثقيلة
- ٢٣ أليان من المشاة المصريين ، وأربع أليات من الفرسان ، وأربع  
بطاريات من المدافع الخفيفة فى أقصى اليمين لحماية هجوم الجناح  
الأيمن على مواقع الترك
- ٢٤-٢٥ موقع الاحتياطى المصرى من المشاة والمدفعية الذين احتلوا الآكام  
أثناء تقهقر الترك
- ٢٦ اتجاه تقهقر الترك



### نتائج الواقعة

بلغت خسائر الترك في معركة نصيبين نحو أربعة آلاف بين قتيل وجريح ، وكان من قتلهم بعض القواد والضباط ، وأسر منهم بين اثني عشر الف إلى خمسة عشر الف أسير ، واستولى المصريون على نحو عشرين الف بندقية و ٤٤ مدفعا ، واستولوا في اليوم التالي على ٣٠ مدفعا في حصن (بيرة جك) وكذلك استولوا على خزانة الجيش التي لم يتمكن الترك من أخذها عند الهزيمة ، وكان بها من النقد ما قيمته ستة ملايين فرنك

أما الجيش المصري فقد بلغت خسائره نحو أربعة آلاف بين قتيل وجريح ، وهي خسارة عظيمة ، ونسبتها كانت فداء للنصر المبين الذي نالته مصر في هذه الواقعة

قضت هذه الواقعة على قوة تركيا الحربية ، وأنقذت مصر من الخطر الذي كان يهددها من ناحية تركيا ، وكان فيها أكبر انتصار حازه الجيش المصري في حروبه مع تركيا ، وهي أعظم الوقائع التي خاض غمارها من جهة أهميتها الحربية ونتائجها السياسية ، أما من الوجهة الحربية فقد رأيت أنها تفوق المعارك الأخرى في عظم الجهود والخسائر التي بذلت فيها ، وأما من الوجهة السياسية فلأنها حفظت استقلال مصر ، وكانت له بمثابة السياج الذي صانه من الخطر ، فلو أن تركيا فازت في هذه المعركة لاستمرت في زحفها على سورية ثم على مصر ، ولقضت على استقلال مصر وردتها ولاية تركية لا تمتاز عن سائر ولايات السلطنة العثمانية في شيء

وهذه الواقعة تشبه أن تكون كواقعة (جيباب) التي فازت فيها جيوش الثورة الفرنسية على الجيش النمساوي وأنقذت فرنسا من خطر الغارة عليها وصانت كيانها ، وكذلك كان شأن واقعة (نصيبين) بالنسبة لمصر

وكان وقع هذه المعركة أليما شديدا المفضل على تركيا لأنها خاتمة الهزائم التي حاقت بجيوشها في معاركها المتعاقبة مع الجيش المصري

### وفاة السلطان محمود

توفي السلطان محمود في أول يولييه سنة ١٨٢٩ قبل أن يبلغه نبأ انكسار جيشه، إذ كان على فراش الموت، فأسلم الروح دون أن يعلم بالطامة التي حلت بالجيش التركي في تلك الواقعة الفاصلة، وخلف بعده السلطان عبد المجيد في الوقت الذي تزلزلت فيه قوائم السلطنة من ضربات مصر، ولم تكن سن السلطان الجديد تتجاوز السابعة عشرة، فلم يدرك كيف يأخذ في أمره ولا كيف يتجه بين العواصف التي هبّت على عرشه

### تقدم ابراهيم باشا

أما ابراهيم باشا فإنه استمر في تقدمه عقب انتصاره، واحتل (بيرة جك) على ضفة نهر الفرات اليسرى (ثم عينتاب) و (مرعش) و (أورفه)

### تسليم الأسطول التركي

وأعقب هذه الواقعة كارثة أخرى أصابت تركيا في أسطولها، وذلك أنه لما بدأت الحركات العدائية الأخيرة بين مصر وتركيا صدرت الأوامر للأسطول التركي بالتحرك من بوغاز الدردنيل بقيادة القبودان أحمد باشا فوزي لمنازلة العمارة المصرية، ولسكن فرنسا وانجلترا أرسلنا بعض السفن لمنع التصادم بين الأسطولين تنفيذاً للخطة التي كان عليها العمل بينهما من الخيلولة بين تصادم مصر وتركيا ولما هزم الجيش التركي في واقعة (نصيبين) وتولى السلطان عبد المجيد ورأى دعائم عرشه تتزلزل أمام فتوحات الجيش المصري، جنح للسلم، فبعث برسول يدعى (عاكف أفندي) إلى مصر يعرض على محمد علي باشا عقد هدنة يمكن في

خلالها لإجراء المفاوضات للاتفاق على حل يرضى الطرفين ، وعهد إليه أن يأمر فوزى باشا قائد العمارة التركية أن يعود إلى الاستانة ، ولكن فوزى باشا كان قلقاً على مركزه بعد موت السلطان محمود ، إذ كان مقرباً لديه وله اختصاص به ، فلما خلفه السلطان عبد المجيد عين خسرو باشا<sup>(١)</sup> صدراً أعظم ، وكان بينه وبين فوزى باشا عداً قديماً ، فعظمت وساوس فوزى باشا ، وظن أن استدعاه إلى الاستانة لم يكن إلا لعزله أو إتياله ، وزين له وكيله عثمان باشا أن يلتجئ إلى محمد علي باشا خصم خسرو باشا القديم وبسلبه الأسطول التركي بأكمله هدية خالصة ، فينال منه المكافأة وحسن الجزاء ، فأصغى فوزى باشا لهذه المشورة التي تنطوى في ذاتها على الخيانة والدناءة ، وأقلع بالعمارة التركية وخرج بها من الدردنيل ومضى إلى الإسكندرية ، وكانت هذه العمارة على شأن من القوة ، مؤلفة من تسع بوارج كبيرة ( غلايين ) واحدى عشرة سفينة من نوع الفرقاطة ، وخمس من نوع الكورفت ، وعلى ظهرها ١٦١٠٧ من الملاحين ، وأليان من الجنود يبلغ عددهم ٥٠٠٠ ، فيكون الجميع ١٠٧ ر ٢١

فلما وصل فوزى باشا على رأس هذه العمارة إلى رودس أرسل وكيله إلى محمد علي باشا بمصر يخبره بعزمه ، فابتهج محمد علي بهذه الفرصة السعيدة ابتهاجا عظيماً ، وأنفذ رسولا على السفينة البخارية (النيل) ليبلغه سروره بما أقدم عليه ، ثم أقلعت الدونمة العثمانية من رودس بقيادة فوزى باشا وبلغت الإسكندرية ، وكانت الدونمة المصرية خارج البوغاز لإجراء التريينات البحرية بقيادة الأميرال مصطفى مطوش باشا ، فدخلت الدونتان إلى الميناء معا ، وعدد سفنهما نحو خمسين سفينة حربية تقل نحو ثلاثين ألف مقاتل ، وعليها نحو ثلاثة آلاف مدفع ، فكان منظر دخول تلك العمارة الصخمة إلى ميناء الإسكندرية يملأ القلب جلالاً وروعاً ، وصارت

---

(١) هو الذى كان والياً لمصر سنة ١٨٠٣ واشتهر بعدائه لمحمد علي

مصر بهذه القوة البحرية المزدوجة أقوى دولة بحرية في البحر الأبيض المتوسط  
ولما علم جنود الأسطول العثماني بالأمر ، وكان مكتوما عنهم إلى ذلك اليوم ،  
هرب بعضهم على الصنادل وعادوا إلى الأستانة  
وتسلم محمد علي باشا هذا الأسطول الضخم ، فكان لهذا الحادث تأثير كبير في  
سير المسألة المصرية ، لأن تسليم الأسطول التركي إلى مصر بعد انتصارها في معركة  
نصيبين جعل كفتها الراجحة على تركيا في البر والبحر ، وبلغت مصر في ذلك الحين  
أوج قوتها على عهد محمد علي

## الفصل التاسع

معاهدة لندن

ومركز مصر الدولي

تدخل الدول بعد معركة نصيبين

إن انتصار الجيش المصرى فى معركة ( نصيبين ) قد وضع المسئلة المصرية والمسئلة الشرقية ومسئلة التوازن الأوروبى عامةً موضع البحث والنظر ، وهذه هى المرة الثانية التى استرعت فيها انتصارات مصر أنظار الدول الأوروبية وأوقعتهن فى الحيرة والارتباك ، فالمرّة الأولى كما تذكر كانت عقب انتصارات حمص وبيلان وقويه ، وهذه المرة الثانية بعد نصيبين ، وهذا يدل على مدى تأثير تلك الانتصارات الباهرة ، وحسبك دليلاً على عظمها أنها هزّت كيان التوازن الأوروبى هزّاً ، وتداعى لها أركان السلطنة العثمانية ، وفتحت باب المسئلة الشرقية ، فتجددت أطماع الدول المختلفة بشأنها ، مما جعل السلام مهدداً فى أوروبا ، وإذا تأملت صحائف تاريخنا الحديث لم تجد لمصر من التأثير البالغ فى السياسة الدولية الأوروبية مثلها كان لها عقب معركة نصيبين ، ولا يغيب عنك أن هذا يرجع أول وهلة إلى انتصاراتها الحربية فى ميادين القتال ، تلك الانتصارات التى هى صفحة نثار لمصر وجيشها وقائدها العظيم ابراهيم باشا ، وإنك لتلمح عظمة ابراهيم من كونه قاد الجيش المصرى فى ميادين النصر إلى حيث جعل تركيا والدول الأوروبية تقف مهوثة مضطربة أمام وثبات ذلك الفتح الكبير ، كما بما هى أمام القسدر

إن النتيجة المنطقية لمعركة نصيبين كان يجب أن تكون إقرار مصر فى حدودها التى نالتها بمقتضى اتفاق ( كوتاهية ) أى أن تشمل سورية وجزيرة العرب واقليم أدنه وجزيرة كريت

ذلك ما يقضى به الإنصاف ، لأن اتفاق (كوتاهيه) الذي تقدم ذكره قد أبرمته تركيا سنة ١٨٢٣ ، وأقرته الدول الأوروبية ، وكان أساساً للحالة الحاضرة Statu quo التي ما فتئت الدول تنادى بوجود المحافظة عليها ، وقد أرادت تركيا أن تنقض هذا الاتفاق بجحد السيف ، فتحرشت بالجيش المصري وتحديثه إلى القتال ، وهاجمت حدود مصر الشمالية التي رسمها اتفاق كوتاهيه ، وأجبرت مصر على خوض غمار القتال ، ف وقعت معركة ( نصيبين ) التي أنهت بهزيمة الجيش التركي ، فالنتيجة العادلة لهذه الهزيمة أن يبقى اتفاق كوتاهيه مرعياً من تركيا ومن الدول وخاصة ، لأن سورية أقرب إلى الدولة المصرية منها إلى تركيا ، إذ هي جزء من البلاد العربية التي جعل محمد علي غرضه أن يؤسس منها الدولة المصرية ، فالعدالة والمصلحة السياسية والاجتماعية ، والنتيجة المنطقية للمعركة ، كل أولئك يقضى بالاعتراف باستقلال مصر التام وانفصالها عن تركيا وانضمام سورية إليها

ولو أن الدول الأوروبية عاملت مصر بمثل العطف الذي عاملت به اليونان ، في ثورتها على تركيا ، لما كان هناك شك في إقرار تلك النتيجة ، لا بل إن مصر أولى بإقرارها على مطالبها العادلة ، لأنها فازت على تركيا بقوة جيشها وحده ، أما اليونان فقد انهزمت أمام تركيا ولم ينجحها من آثار الهزيمة سوى مظاهره الدول الأوروبية وتحالفهم على تركيا ، ومع ذلك فإن السياسة الدولية الأوروبية قضت لليونان باستقلالها التام ، أما مصر فقد حكمت عليها أن تبقى تحت السيادة التركية ، وإن تتخلى عن سورية وجزيرة العرب وادنه وكريت ، واتتمرت بها الدول وحاربتها وقصت أجنحتها ، وقضت عليها بإضعاف قوتها البرية والبحرية كما سيحجم بيانه ، وهذه المقارنة تصور لك الفرق بين معاملة أوروبا لامة غربية ومعاملتها للأمم الشرقية . وترى المكيال الواحد يسكب ويصغر ، كأن فيه روح شيطان ...

### موقف الدول

قلنا ان انتصار الجيش المصرى فى (نصيبين) حرك مسألة التوازن الأوروبى والمسألة الشرقية ، فوقفت الدول الأوروبية مواقف مختلفة تبعا لاختلاف اطرافها ونزعاتها

### موقف روسيا

أما روسيا فقد انتهز هذه الفرصة لبسط حمايتها الفعلية على تركيا بحجة الدفاع عنها

### موقف فرنسا

وفرنسا كانت تميل الى إقرار محمد على باشا على سوريا وجزيرة العرب طبقا لاتفاق كوتاهيه ولما أدت اليه معركة (نصيبين)

### موقف إنجلترا

وأما إنجلترا فانها جاهرت بعدائها لمصر ، وأعلنت وجهة نظرها فى وجوب المحافظة على كيان السلطنة العثمانية ، وان هذا الكيان لا يقوم إلا برّد سورية الى تركيا ، وإخضاع محمد على بالقوة ، وأخذت تؤلب الدول الأخرى على مصر ليشتركن معها فى إخضاعها ، ولم تكن المحافظة على كيان السلطنة العثمانية هى وجهة نظورها الحقيقية ، بل غايتها الجهرية هى إضعاف الدولة المصرية لأنها ترى فيها اذا قويت مزاحما لها فى سيادتها بالبحر الابيض المتوسط ورقيا عليها فى طريقها الى الهند ، ومن هنا كانت إنجلترا تتمسك بكل عزم وقوة بوجوب ردّ سورية الى تركيا ، لان امتداد نفوذ مصر فى البلاد السورية يجعلها دولة بحرية قوية من دول

البحر الأبيض المتوسط ، ويجعل لها الإشراف على طريق الهند من ناحية الفرات  
والعراق ، فضلا عن طريق البحر الأحمر وبرزخ السويس

وكانت تتمسك أيضا برد الاسطول التركي الى الدولة العثمانية لان اندماجها  
في الاسطول المصري يجعل لمصر قوة بحرية كبيرة تخيف انجلترا

إن عدااء انجلترا لمصر من القواعد الأساسية لسياستها الاستعمارية ، فمنذ أخفقت  
في احتلالها البلاد سنة ١٨٠٧ ، رأت محمد علي يعترضها في طريق مطامعها الاستعمارية ،  
فينشئ على ضفاف النيل دولة مصرية قوية ، ويمد نفوذها الى شبه جزيرة العرب ،  
ويصل الى نهر الفرات وشاطئ الخليج الفارسي ، وسواحل اليمن ، وهذه البلاد كلها  
واقعة في طريق الهند ، فلا جرم ان تحنق انجلترا على مصر الفتية القوية ، وتبغيتها  
الغوائل وتدس لها الدسائس ، فالسياسة الانجليزية هي التي سعت جهدها لتقليل  
أظفار مصر وقص أجنحتها ، وإبقائها تحت السيادة التركية ، وانقاص قوتها البرية  
والبحرية ، ترمى من ذلك الى إضعافها طبقا لمبدأها القديم وهو ألا تقوم في مصر  
دولة قوية تعترض طريقها الى الهند ، كأن استعمارها للهند يقتضى استبعاد جميع  
البلاد التي في طريقها اليها ، وهذا من أغرب ما يقتضى به الجشع الاستعماري

وكان لها من إضعاف مصر غاية أخرى هي التمهيد لامتلاكها ووضع يدها عليها  
عند ماتحين الفرصة ، ولو بقيت قوة مصر الجربية على ما كانت عليه في عهد محمد علي  
لتعذر على انجلترا تحقيق هذه الغاية ، فإضعاف قوة مصر هو من أغراض انجلترا  
الاستعمارية ، وقد ظلت هذه الغاية من قواعد السياسة الانجليزية طوال القرن التاسع  
عشر والى اليوم ، وأيدت الحوادث سوء نيتها نحو البلاد ، فانها أخذت تتحين  
الفرص وتخلق المشاكل حتى احتلتها سنة ١٨٨٢

كانت انجلترا إذن قوام المؤامرة الدولية على مصر في عهد محمد علي ، وقد تولى  
وزارة خارجيتها في ذلك العصر سياسيٌّ ذاهية من اكبر ساسة الانجائز ، وهو اللورد  
بالمريستون ، وكان مشبعا بروح العدااء لمصر عاملا على إضعاف مكاتها وتقليل



أظفارها تنفيذاً للسياسة التي أوضحناها ، فأخذ يبت مبادئه وأفكاره بين الدول الأوروبية ويعمل على انحيازها إلى صف إنجلترا في الواقعة بمصر ، وكان يتولى السفارة الإنجليزية بالاستانة في ذلك الحين سياسي أشد كراهية لمصر من اللورد المرستون ، وهو اللورد بونسونبي ، كان يجاهر بعدائه لمحمد علي باشا ، وما قىء يدس الدسائس للإدارة المصرية في سورية ويبدل المساعي المختلفة لإحداث الثورات والفتن فيها وتحريض سكانها على الانتفاض على الحكم المصري ، ويحرض دولته على محاربة محمد علي باشا ، فكان لهذين الرجلين ، بالمرستون وبونسونبي ، أثر بالغ في تدبير المؤامرة الدلية وتآليب الدول على مصر

### موقف النمسا وبروسيا

أما النمسا فكان وزيرها المشهور مترنيخ يميل إلى تعزيز مركز تركيا لغرضين ، أولهما ألا يجعل للروسيا ذريعة للتدخل في شؤون تركيا وبسط حمايتها عليها ، فان في ذلك خطراً على النمسا ، و ( الثاني ) أنه كان ينظر إلى قيام محمد علي ضد تركيا كشورة على الحاكم الرسمي ، ومبدأ مترنيخ مقاومة الثورات القومية التي يراد منها الخروج على سلطة الحكومات الرسمية

ولم يكن لبروسيا أطماع خاصة في هذه الأزمة ، بل كانت ترمي إلى المحافظة على السلم انقاءً للأخطار التي تنجم عن حرب أوروبية ، وكان ملكها يكره فرنسا من من ناحية أخرى لأسباب قومية ويميل إلى السياسة المناقضة لسياسة فرنسا

### موقف تركيا

تولى السلطان عبد المجيد عرش السلطنة بعد وفاة السلطان محمود الثاني ، وسنه كما قدمنا لا تتجاوز السابعة عشرة ، خلف السلطان محمود والسلطنة تتداعى أركانها

تحت ضربات الجيش المصري ، وتولى زمام الحكم والدولة لاجيش لها ولا أسطول  
فرأى من الحكمة أن يمنح إلى السلم والمفاوضة رأساً مع محمد علي لحسم الخلاف بين  
الدولتين بالحسن ، ومع أنه استوزر خسرو باشا المشهور بعدائه القديم لمحمد علي  
وجعله صدرأ أعظم إلا أنه هو ووزيره أبدىارغبتهما في إحلال الصفاء والسلام بين  
الدولتين محل الجفاء والخصام ، ولم يكد السلطان عبد المجيد يعتلى عرش السلطنة  
حتى أرسل إلى محمد علي مندوباً خاصاً وهو (عاكف أفندي) يحمل كتاباً من  
خسرو باشا يعرب فيه عن عواطف السلطان الودية نحو محمد علي ونسيانه ما وقع  
منه في الماضي ، ويخوله ملك مصر الوراثي ، ومع أن محمد علي كان لا يثق بحسن  
نية خسرو باشا ولا يفتأ يطلب عزله إلا أن من المحقق أنه لو ترك الأمر للحكومة  
التركية وحدها لرضيت بإبرام الصلح مع محمد علي باشا على قاعدة الاعتراف  
باستقلال مصر وإقرار سلطتها في سورية وجزيرة العرب

### مذكرة الدول إلى الباب العالي

٢٧ يوليه سنة ١٨٢٩

لكن مطامع الدول أبت على مصر أن تجني ثمار تضحياتها وانتصاراتها ، فقدم  
سفراؤها في الاستانة مذكرة إلى الباب العالي في ٢٧ يوليه سنة ١٨٢٩ يطلبون إليه  
بلسم الدول الخمس ، النمسا ، والروسيا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وبروسيا ، أن لا يبرم  
أمرًا في شأن المسئلة المصرية إلا باطلاعهم واتفاهم ، وكان الكونت مترنيخ  
وزير النمسا الأكبر هو المقترح لهذه المذكرة ، ووجهة نظره أن يحول دون انفراد  
روسيا بالتدخل في المسئلة الشرقية

وقد يبدو غريباً أن تشترك فرنسا في هذه المذكرة ، وهي التي كانت تنادى  
بتأييد مصر في تلك الأزمة ، ولكن السياسة الفرنسية كانت في مسالكها غير  
مستقرة ولا آخذة بالحزم وأصالة الرأي وبعد النظر ، فقد كانت تأمل عبثاً من

تدخل الدول أن تصل إلى التوفيق بين وجهتي نظر مصر وتركيا بطريق الوساطة ، وكانت تقصد من جهة أخرى إلى أن تدخل الدول في حل الأزمات بمنع انفراد روسيا بحماية تركيا ، ولكنها بتخبطها واضطرابها تركت الميدان للسياسة الانجليزية تملئ فيه إرادتها على الدول الأخرى

كانت مذكرة الدول إلى الباب العالي بمثابة إلغاء لنتائج معركة نصيبين ، وكانت من هذه الناحية انتصاراً لوجهة نظر إنجلترا ، أما تركيا فقد وضعتها المذكرة تحت وصاية الدول الأوروبية ، ففقدت بذلك استقلالها الفعلي

وقد انقضت أشهر في تبادل الآراء بين الدول الأوروبية بقصد التوفيق بين وجهات نظرها ، ولو سادت فرنسا في خلال تلك الأشهر خطة الحكمة والحزم لو فرت على مصر كثير من الأعباء والخسائر التي احتماتها فيما بعد ، فقد عرض اللورد بالمستون حلاً وسطاً للتوفيق بين وجهة نظر إنجلترا وفرنسا ، وهو أن يعطى محمد علي الحكم الوراثي لمصر وولاية عكا ماعداً مدينة عكا ذاتها أي جنوبي سورية ، فرفضت فرنسا هذا العرض وتمسكت بوجهة نظرها ، وكان هذا منها خطأً كبيراً تحملت مصر عواقبه ، فلو أنها قبلته لانتهدت الأزمات بخير مما انتهت به بعد ذلك ، إذ أدى رفض فرنسا إلى انفراد إنجلترا بالعمل وتأليبها الدول الأوروبية لإذلال مصر كما سيحيى بيانه

وانتهزت روسيا فرصة الخلاف بين فرنسا وإنجلترا في المسئلة المصرية فتوددت إلى الحكومة الإنجليزية ووافقتها على وجهة نظرها في المسئلة ، وأوفدت البارون برينوف Brunow إلى لندره لتوكيد العلاقات بين الدولتين ، وأصبح سهلاً على إنجلترا وقد انضمت روسيا إليها أن تكسب إلى صفها النمسا وبروسيا

تولى المسيو تيرس Thiers رئاسة الوزارة الفرنسية ووزارة خارجيتها في مارس سنة ١٨٤٠ ، وكان متمسكاً بوجهة نظر فرنسا في المسئلة المصرية ، وهي ضم سورية إلى مصر ، وسعى في أن تنتهي هذه المسئلة بالاتفاق رأساً بين الباب العالي ومحمد علي ، وعلم اللورد بالمستون بهذه المساعي ، فأخذ في إحباطها ، وعارضها بالمفاوضة

مع الدول الأخرى : روسيا والنمسا وبروسيا وتركيا ، لتقرير الحل النهائي بمعاهدة  
تضعها مصر وفرنسا أمام الأمر الواقع

إبرام معاهدة لندره وشروطها

١٥ يوليه سنة ١٨٤٠

كانت نتيجة هذه المفاوضات إبرام المعاهدة الشهيرة بمعامدة لندره في ١٥ يوليه  
سنة ١٨٤٠ بين إنجلترا والروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا ، والمعاهدة ملحق يتضمن  
الامتيازات التي تعهد السلطان بتحويلها لمحمد علي ، ويعتبر هذا الملحق جزءاً من  
المعاهدة ، وهاك خلاصة شروط المعاهدة والملحق :

(أولاً) أن يخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي ، ويكون له مدة حياته  
حكم المنطقة الجنوبية من سوريه<sup>(١)</sup> المعروفة بولاية عكا ( فلسطين ) بما فيها مدينة  
عكا ذاتها وقلعتها ، بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ  
تبليغه هذا القرار ، وان يشفع قبوله بإخلاء جنوده جزيرة كريت وبلاد العرب  
واقليم ادنه وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا ، وأن يعيد الى تركيا اسطولها  
(ثانياً) إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يحرم الحكم على ولاية عكا ،  
ويمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جنوده من جميع

---

(١) حددت هذه المنطقة في ملحق المعاهدة كما يأتي : يبدأ الحد من رأس الناقورة  
على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ( شمالي عكا ) إلى مصب نهر السيسبان في شمال بحيرة  
طبرية ، ثم يتبع الشاطئ الغربي لتلك البحيرة ، فالضفة التي أنهر الأردن ، فالشاطئ  
الغربي للبحر الميت ، ومن نهايته يمتد على خط مستقيم إلى رأس خليج العقبة على البحر  
الأحمر ، ثم يتبع الشاطئ الغربي لخليج العقبة . ثم الشاطئ الشرقي لخليج السويس حتى  
مدينة السويس ذاتها ( أنظر الخريطة ص ٢٤٦ )

البلاد العثمانية وإرجاع الأسطول العثماني ، فإذا انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان السلطان في حل من حرمانه ولاية مصر (ثالثا) يدفع محمد علي باشا جزية سنوية للباب العالي تتبع في نسبتها البلاد التي تعهد اليه إدارتها

(رابعاً) تسرى في مصر وفي ولاية عكا المعاهدة التي أبرمتها السلطنة العثمانية وقواينها (الأساسية) ، ويتولى محمد علي وخلفاؤه جباية الضرائب باسم السلطان على أن يؤدوا الجزية ، ويتولون الانفاق على الإدارة العسكرية والمدنية في البلاد التي يحكمونها

(خامساً) تعد قوات مصر البرية والبحرية جزءاً من قوات السلطنة العثمانية ومعدة لخدمتها

(سادساً) يتكفل الخلفاء في حالة رفض محمد علي باشا لتلك الشروط أن يلجأوا إلى وسائل القوة لتنفيذها ، وتتعهد إنجلترا والنمسا في خلال ذلك أن تتخذ باسم الخلفاء بناء على طلب السلطان كل الوسائل لقطع المواصلات بين مصر وسورية ومنع وصول المدد من أحدهما للأخرى ، وتعصيد الرعايا العثمانيين الذين يريدون خلع طاعة الحكومة المصرية والرجوع إلى الحكم العثماني وإمدادهم بكل ما لديهم من المساعدات (١)

(سابعاً) إذا لم يذعن محمد علي للشروط المتقدمة وجرّد قواته البرية والبحرية على الاستانة، فيتعهد الخلفاء بأن يتخذوا بناء على طلب السلطان كل الوسائل لحماية عرشه وجعل الاستانة والبواغيز بأمان من كل اعتداء

• • •

---

(١) ومعنى ذلك تحريضهم على العصيان لمناوأة الجنود المصرية داخل البلاد كي لا تتفرغ لمقاومة القوات الانجليزية والنمساوية البحرية والبرية التي اعتزمت الدولتان تعيبتها لمحاربة مصر

تم إبرام هذه المعاهدة بأن وقع عليها كل من اللورد بالمستون عن إنجلترا ، والبارون نومان السفير النمسي في إنجلترا عن النمسا ، والبارون بيلوف عن روسيا ، والبارون برينوف عن روسيا ، وشكيب افندي وزير تركيا المقوض في لندره عن الباب العالي ، وقد أبرمت المعاهدة بغير علم مصر وفرنسا ، فقد فوجئت الحكومة الفرنسية بخبزها مفاجأة ، فلما أذيع نبأ إبرامها أدرك المسيو تيررس ما في هذا العمل من التحدي لفرنسا والغضب منها ، وكان من نتائجها أن هاجت الخواطر فيها وتوترت العلاقات بينها وبين إنجلترا ، وكادت تقع الحرب ، فأرغت فرنسا وأزبدت ، وأخذت تستعد وتحرض محمد علي باشا على نبذ قرارات الدول ، لكنها أدركت آخر الأمر أن استعداداتها لا تغير من موقف الدول المؤتمرة ، وانها لا قبل لها بأن تخوض غمار حرب أوروبية ، فترأجت وتركت مصر وحدها أمام الدول المؤتمرة ، فاحتملت مصر نتائج سياسة فرنسا الخرقاء

إن معاهدة لندره تقضى بجعل حكم مصر وراثيا في أسرة محمد علي ، أي باستقلال مصر الداخلي التام ، وإرجاع مصر الى حدودها الأصلية قبل ورودها الأخيرة ، وحرمانها حكم جزيرة العرب وسورية وكريت واقليم ادنه ، وتخويل محمد علي مدة حياته حكم سورية الجنوبية

ولعلك تلاحظ في هذه المعاهدة تعهد الدول باتخاذ وسائل العنف والقوة لتنفيذ شروطها في حالة رفض محمد علي قبولها ، وتلاحظ أيضا تعهدا بحماية عرش آل عثمان والدفاع عن السلطنة العثمانية والبواغيز في حالة مهاجمة قوات محمد علي البرية والبحرية لها ، وهذا يصور لك ما بلغتته مصر في ذلك العصر من القوة والبأس ، مما دعا الحلفاء الى التكاتف والتعاون لإجبارها على احترام معاهدة لندره وحماية تركيبها من بأسها

### دسائس إنجلترا في سورية

أرادت إنجلترا كما قلنا أن تضع مصر بهذه المعاهدة أمام الأمر الواقع ؛

وأرادت أيضا أن تؤيد المعاهدة بالفعل ، فأخذت قبل امضائها تحرض سكان لبنان على خلع طاعة مصر ، ومما بذلته من الوسائل لهذا الغرض ان اللورد (بونسونبي) سفيرها في الاستانة أرسل المستر (رينشارد وود) ترجمان السفارة الانجليزية الى لبنان ، وكان قد تعلم اللغة العربية وجاب أنحاء البلاد من قبيل ، فأثار اللبنانيين واستمال اليه أمراءهم ومشايخهم وكانوا يتقمون على الحكومة المصرية بإشارها الأمير بشير الشهابي حاكم الجبل واختصاصه بالسلطة ، فأيدوا الثورة ، واتسع بهم مداها ، فعمت أنحاء لبنان

فالثورة على الحكم المصري في سورية كانت كما ترى من عمل الدسائس الانجليزية ، قال الدكتور مشاقه وهو من معاصري تلك الحوادث في هذا الصدد ما خلاصته :

دخلت سنة ١٨٣٩ والأمر في سورية على مارويناه لك ، وبما أن دوام الحال من المحال شاء ربك تغييرا في البلاد ، فجاءها جاسوس من قبل الدولة السكسونية ( الانجليزية ) ونزل في كسروان وانتحل من المعاذير أنه قدم ليتعلم لغة البلاد ، دخل الرجل الذي سميناه جاسوسا واسمه الحقيقي وود ، وكان ترجمانا لقتصل دولته بالاستانة ، وأظهر في بادىء الأمر ميلا غريبا الى تعلم اللغة العربية وتغلب على أمياله لدرس أحوال البلاد ونقد الحكومة الحاضرة ، ولسكن تظاهره لم يسدل على عيون النقاد وشاحا أعماها عن معرفة غرضه الرئيسي ، ولا مشاحه أن دولة الانجليز أكثر الدول استعمارا ، وكأنها أوجست خيفة من الدولة المصرية التي مع حداثة نشأتها أصبحت في مصاف الدول المتقدمة ، وكأنها لحظت أن محمد على باشا يطمع بعد ضم البلاد في احياء الدولة العربية القديمة وارجاع دولة اسلامية عربية هذا شأنها في تنظيم أحوال الرعية قامت على أساس العدل وجارت به الدول المتقدمة ولم تغفل بطلها ابراهيم باشا - نابليون مصر - بل ذكرته وذكرت كل حسنات دولة مصر الفتاة ، تخافت منها أن تكون مزاحمتها في الاستعمار ، فرامت مقاومتها ولذلك أرسلت رجلها الذي ذكرناه فأخذ يلقي بذور الشقاق في قلوب

الأهالي ويوغر صدورهم على الحكومة الحالية وجعل مركزه جبل كسروان ، (١)  
أخذ الثوار يناوشون الحاميات المصرية وقتلوا بعض الحكام المصريين ،  
وأعلنوا الامتناع عن أداء الضرائب والمؤن العسكرية ، ولكن ابراهيم باشا بادر  
بقمع هذا العصيان بما لديه من القوات ، وجاءه المدد من مصر بقيادة عباس باشا  
فتمكنه إخماد العصيان وأحرق بعض القرى وقبض على رؤساء الفتنة وعددهم ٥٧  
رجلا ، وأبعدهم إلى الاسكندرية ومنها إلى ( سنار ) بأقصى السودان حيث بقوا  
بها إلى أن انتهت الحرب وأعيدوا إلى بلادهم

ولم تنقطع الفتن في لبنان وسورية ، بل ظلت مستمرة خلال الحرب ، وكان لها  
أثر كبير في إخراج مركز الجيش ، وأخذ سليمان باشا في تحصين (بيروت) وغيرها  
من الثغور السورية توقعاً لمجيء السفن الانجليزية

ورأت إنجلترا في محمد علي عزيمة على المقاومة ، فقررت تجريد مصر من  
عمارتها البحرية لكيلا يستطيع محمد علي إمداد قواته في الشام بطريق البحر  
فيعجزه ذلك عن إمدادها برأ بطريق الصحراء المقفرة التي تفصل مصر وفلسطين ،  
فأصدرت أوامرها إلى السكومودور نابيير Napier قبل إمضاء المعاهدة بالإقلاع  
باسطوله إلى مياه مصر والشام ، وعهدت إليه إجبار محمد علي تسليم العمارة التركية  
وكلفته أسر العمارة المصرية أو تدميرها ، وكان بعض السفن الحربية المصرية  
وقئتند في مياه بيروت ، فلما علمت فرنسا بهذا النبأ بادرت بإرسال إحدى سفنها  
إلى بيروت لإبلاغ ابراهيم باشا الخبر ، فعادت السفن المصرية من فورها إلى  
الاسكندرية وجاء السكومودور ( نابيير ) إلى بيروت فلم يجدها وظل في عرض  
البحر يرقب الفرصة السانحة لأخذها

وأخذ محمد علي من ناحيته يرصد الأهبة للمقاومة والدفاع ، وأصدر أوامره  
إلى الاسطول بالمرابطة في ميناء الاسكندرية وعدم الخروج إلى عرض البحر كيلا

(١) مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ص ١٢٦



يستهدف للاساطيل الانجليزية ، لأن حكومة انجلترا كانت ممضية عزمها على تجريد مصر من قوتها البحرية

وفي أوائل شهر أغسطس سنة ١٨٤٠ استفاضت أنباء معاهدة لندره في الشام ومصر ، وأصدرت الحكومة الانجليزية أوامرها للاسطول الانجليزي بمحاصرة سواحل الشام ومصر وأسر السفن المصرية حربية كانت أو تجارية ، فرجع السكومودور (ناييه) الى بيروت وأستولى في طريقه على كل ما صادفه من المراكب وأعلن الجيش المصرى بإخلاء بيروت وعكا في أقرب وقت ، ونشر بين سكان سورية ولبنان منشورات أنبأهم فيها بما تم عليه اتفاق الدول في معاهدة لندره ، وخاصة ارجاع سورية الى الدولة العثمانية ، ودعاهم الى العصيان ونزع أيديهم من طاعة الحكومة المصرية ، فثار اللبنانيون على الحكم المصرى عوداً على بدء

رفض محمد على باشا

شروط المعاهدة

أغسطس سنة ١٨٤٠

كان محمد على مصمماً على التمسك بالبلاد التي فتحها الجيوش المصرية وأقرته عليها معاهدة كوتاهية ، وصمم ألا ينزل عن أى جزء من هذه البلاد ، وهو يعلم قبل إبرام معاهدة لندره أن الدول تأتمر به وأنها لا تتحجم عن مهاجمة مصر ذاتها لإكراهها على التسليم ، وتنوى نزع سوريه من أملاك مصر ، فأخذ في الاستعداد للدفاع ، وحشد الجنود في ثغور مصر ، ووزع السلاح على عمال المصانع (الفابريقات) وطلبة المدارس الحربية ، وعهد إلى إبراهيم باشا أن يكون على أهبة القتال وأن يتفقد ثغور الشام وحصونها وخاصة عكا وبيروت . وأمد الجيش المصرى في سورية بالرجال والعتاد

لم تغير المعاهدة إذن من موقفه ، واعتز ألا يعمل بها وألا يقر شروطها ، وكانت فرنسا تخرضه على رفضها وتعهده ألا تتخلى عنه ، وتمنيه بأنها تدافع عنه بقوة جيوشها وأساطيلها ، فزاد تمسكاً بموقفه ، ولو لم تعده الحكومة الفرنسية بمعاونته إذا حزب الأمر ، لكان له موقف غير موقفه هذا ، لأن محمد علي كان مشهوراً عنه الحكمة وبعد النظر ، وهو لا يفوته أن من وراء الطاقة ومن المتعذر على مصر محاربة دول خمس مجتمعات متألّبات عليها ، ولأنه كان مطهّناً إلى معاونة فرنسا الحربية ، فركب الشطط وارتدّ العناد ، وخسرت مصر من جراء ذلك حقوقاً ومزايا وتضحيات جسيمة ، ويتبين لك مبلغ هذه الخسائر من المقابلة بين ما أقرته معاهدة لندره ، وما اضطرت مصر لقبوله بعد حرب شاقة تكبدت فيها متاعب وأهوالاً

أرسلت تركيا مندوبها ( رفعت بك ) إلى الاسكندرية لإبلاغ محمد علي شروط المعاهدة ، فوصل يوم ١١ أغسطس ، والتقى بوكلاء الدول المتحالفة ، واتفقوا على الخطة التي يتخذونها لتنفيذ ما تأمر به الدول

فبدأ رفعت بك بمقابلة محمد علي في سراي رأس التين يوم ١٦ أغسطس ، وأبلغه نبأ المعاهدة ، وطلب إليه العمل بها ، فغضب محمد علي وأغلظ له في الجواب ، وأقسم ألا ينزل عن شبر أرض من أملاكه

فلما رأى رفعت بك أن بلاغه لم يصنع شيئاً طلب إلى وكلاء الدول أن يقوموا من ناحيتهم بتبليغ محمد علي شروط المعاهدة ، فجاءه قناصل إنجلترا وروسيا والنمسا يوم ١٧ أغسطس ، وأبلغوه الشروط ، وعرضوا عليه أن تكون مصر له ولورثته من بعده ، وأن تكون له ولاية عكا أي فلسطين مدة حياته ، وأمهله عشرة أيام ينهيها فيها للقبول ، ودونوا له مذكرة عليها توقيعاتهم ، كتبوا فيها ما قالوه ، وحذروه عواقب الامتناع عن تنفيذ المعاهدة

ولما انقضى الموعد ذهب إليه رفعت بك مصحوباً بوكلاء الدول ليتعرفوا ما استقر عليه ، فألفوه على رفضه ، وكان أشد تمسكاً بموقفه السابق ، فاعتزم رفعت

بك مغادرة الاسكندرية والسفر الى الاستانة، ولكن وكلاء الدول طلبوا إليه البقاء حتى يتموا الإجراءات التي تقضى بها المعاهدة

وفي اليوم التالي ذهبوا إلى محمد علي، وأبلغوه الإنذار الثاني، فاستشاط غضبا واجابهم بأنه سيزحف على الاستانة اذا تجددت الحرب

وإذ قد علم بعزم رفعت بك على السفر التفت الى وكلاء الدول الأربع وقال لهم: «أنعشم أن ترحلوا معه»

فأجابوه بأن ليس لديهم تعليمات بمغادرة مراكزهم، فقال لهم: «ولكني لم يعد لي ثقة فيكم. والعوائد المرعية تقضى في حالة الحرب أن يرحل وكلاء اعدائنا عن البلاد، فبقاؤكم لا يتفق مع هذه الحالة»

فانصرف الوكلاء من حضرته بعد أن أمهلوه العشرة الأيام الثانية المذكورة في المعاهدة ليراجع رأيه، وأبلغوه أنه لم يعد له حق في ولاية عكا، ولا تسمح له الدول إلا بولاية مصر له ولذريته

وفي خلال هذه المهلة استدعى محمد علي باشا رفعت بك وعرض عليه إنهاء الخلاف بينه وبين تركيا دون تدخل الدول الأجنبية. على أن ينزل عن ولاية ادرنه وجزيرة كريت وشبه جزيرة العرب، وأن يكتفى بملك مصر الوراثي وحكم سورية مدة حياته، وسلبه كتابا بهذا المعنى برسم السلطان، ولعله أراد أن يتفادى بهذه الوسيلة التقيد بميعاد العشرة الأيام التي تقضى بها المعاهدة، فان كتابه الى السلطان قد يفتح باب المفاوضات، ثم هو لا يعد رفضا صريحا

ولكن رفعت بك ووكلاء الدول جاءوا في نهاية المعاهدة، وطلبوا مقابلة محمد علي، فلم يقابلهم، واستقبلهم بوغوص بك وزير الخارجية، وسامى بك سكرتير الباشا، وأبلغاهم بنياً الخطاب الذي كتبه الباشا الى السلطان، وان هذا الجواب يعد قبولا للمعاهدة، فأجاب القناصل: واذا لم يقبل السلطان أن يخول الباشا حكم سورية فماذا يكون موقفه بعد؟ فقال بوغوص بك وسامى بك. انه ليست لديهما

تعليمات للرد على هذا السؤال ، فاعتبر القناصل ان هذا الجواب معناه رفض المعاهدة ،  
وحرروا محضرا بذلك

وغادر رفعت بك الاسكندرية ذاهبا الى الاستانة ليبلغ الباب العالي  
ما حدث ، وحمل معه خطاب محمد علي إلى السلطان ، فتشاور الصدر الأعظم مع  
سفراء الدول في الاستانة ، واستقر رأيهم على خلع محمد علي من ولاية مصر ،  
وأصدر السلطان فرمانا بذلك ، أرسل من فورهِ إلى الاسكندرية ، فوصل يوم  
٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٠ ، وبلغ إلى محمد علي

وفي اليوم التالي غادر وكلاء الدول الأراضى المصرية . فأصبحت مصر في حالة  
حرب مع تركيا وحلفائها

وأخذ محمد علي يتأهب للحرب ، وبادر إلى تقوية استحكامات الاسكندرية ،  
وعهد بذلك إلى لجنة مؤلفة من نجده سعيد بك ( باشا ) ، وسليم باشا ، والمسيو  
موجيل ، والمسيو هو سار ، ومظهر أفندى ( باشا )

### الحرب بين مصر والدول المتحالفة

#### وثورة السوريين على الحكم المصرى

انتهزت إنجلترا فرصة إبرام معاهدة لندره وأخذت في تنفيذها بالقوة ، فأمرت  
عمارتها البحرية بضرب الثغور السورية والاشتراك مع الجنود التركية في احتلالها ،  
وكان ابراهيم باشا قد استعد للدفاع عنها فجاء إلى بيروت وعسكر في ضواحيها  
وفي خلال سبتمبر سنة ١٨٤٠ جاءت العمارة الانجليزية إلى بيروت بقيادة  
الأميرال ( استوبفورد ) Stopford للاشتراك مع السكومودور ( نايبه ) في ضرب  
بيروت بالمدافع ، واشترك معها بعض السفن الحربية النمساوية والتركية ، وفي ١٠ منه  
جاءت الحملة البرية ، وكانت مؤلفة من ١٥٠٠ من الجنود الانجليز و ٥٥٠٠ من

العثمانيين ، ونزلت هذه القوة في ميناء جونيه <sup>(١)</sup> تحت حماية العهارة الإنجليزية وأرسل الأميرال الإنجليزي انذاراً إلى سليمان باشا باخلاء بيروت فوراً ، فطلب سليمان باشا ميعاد أربع وعشرين ساعة كي يراجع ابراهيم باشا في الأمر ، فلم يقبل طلبه ، وبدأ ضرب المدينة بالمدافع ، واستمر في اليوم التالي حتى تهدم أكثر مبانيها ، ولما سكن الحلفاء لم ينزلوا في ذلك اليوم جنودهم إلى المدينة خوفاً من أن يظهر عليهم الجيش المصري

قلنا إن ابراهيم باشا كان على أهبة الدفاع عن سورية ، وكان لديه من المقاتلة نحو تسعين ألف جندي ، ولم يكن لدى الحلفاء في بدء القتال سوى عشرة آلاف مقاتل على الأكثر ، ولذلك تردد قوادهم في احتلال بيروت رغم ضربها بالمدافع ، وبقيت وقتاً ما في يد الجيش المصري ، ولما كان جدّ في الموقف عامل جديد كان له تأثير سيء في مركز الجيش المصري ، ذلك أن الإنجليز قد بذروا بذور الثورة في نفوس السوريين واللبنانيين وألقوا في روعهم أن الدول المتحالفة مصممة على طرد الجيش المصري من الشام ، فانضموا اليهم وخاصة بعد أن وزع عليهم عمال الإنجليز الأسلحة والذخائر ، وبلغ عدد ما وزعوه عليهم من البنادق نحو ثلاثين ألف بندقية ، فتخرج مركز الجيش المصري وأدرك أنه صار هدفاً للنارين ، نار الحلفاء ونار الثورة ، وهذه كانت أشد وطأة من قوات الحلفاء ، فأثرت تلك الحالة في نفوس الجنود تأثيراً سيئاً نال من قوتهم ، وتقطعت مواصلات الجيش بين مختلف المدن

#### استيلاء الحلفاء على الثغور السورية

اشتبكت القوات المصرية المبعثرة مع قوات الحلفاء في بعض المواقع ، واستولى الحلفاء على ( جبيل ) شمالي بيروت ، ثم على البترون ، وكذلك احتلوا

(١) شمالي بيروت وتبعد عنها نحو عشرين كيلو مترا

حيثما وصور وصيدا ، ثم سقطت بيروت في يد الحلفاء ( اكتوبر سنة ١٨٤٠ ) بعد أن التقى المصريون والحلفاء في واقعة ( بحر صاف ) وكانت الغلبة فيها للحلفاء وكذلك جلا المصريون عن طرابلس واللاذقية واذنه من غير قتال ، فصار معظم الثغور في يد الحلفاء

### سقوط عكا ( نوفمبر سنة ١٨٤٠ )

اعتزم الانجليز احتلال عكا لأنها مفتاح فلسطين والشام . وكان لاحتلالها من الأهمية أكثر مما لبيروت ، فجاءت العمارة الانجليزية وأخذت تضربها بالمدافع يومية أول و ٢ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ، ولسكن ذهب الضرب عبثا وقاومتها الحصون والحامية المصرية مقاومة شديدة ، ثم جاءها مدد من السفن البريطانية ، فاعتزم الأميرال استوفورد استئناف الضرب يوم ٣ نوفمبر ، فاصطفت السفن الانجليزية في ذلك اليوم ، وكان عددها نحو عشرين سفينة حربية ، وصبّت قنابلها على الحصون وعلى المدينة ، فأجابت الحصون ضربا بضرب مثله ، ولسكن حدث أن أصابت القنابل الانجليزية مستودع الذخائر فنسفته وانفجر انفجاراً مروعا ، وهدم الانفجار نحو ثلث مباني المدينة ، وقضى على طابور بأكله من المشاة ، فرأى طابور الحامية المصرية أن استمرار المقاومة لا يجدي ، فأخلى المدينة واحتلها الانجليز والترك في صبيحة اليوم التالي

وعلى أثر تسليم عكا سلمت يافا ونابلس ، فزلزل مركز الجيش المصرى في الداخل ، لما اجتمع عليه من تقدم الحلفاء واحتلالهم الثغور ، وقطعهم المواصلات البحرية ، و ثورة الأهلين ، وانفصل عنه الأمير بشير حاكم لبنان لما رأى نجمة آخذاً في الأفول ، وعرض على الحلفاء انضمامه اليهم واستأسر لهم ، فلم يطمثنوا له ، ونفوه إلى مالطه ( أول نوفمبر سنة ١٨٥٠ )

### انسحاب فرنسا من الميدان

وفي غضون هذه الحرب تغير مسلك فرنسا حيال مصر تغيراً عظيماً ، فبعد أن كان المسيو تيرس رئيس الوزارة الفرنسية يشجع محمد علي ويطوع له رفض مطالب الخلفاء ويعدّه بمعاوضة فرنسا له ، تراجع ونكص على عقبيه ، وتبين لمحمد علي عدم استعداد فرنسا للحرب وانها لا تتم تأهبها إلا بعد انقضاء ستة أشهر ، وظهر كذلك أن المسير تيرس لم يكن جاداً في وعده ، ولو كان جاداً لبادر بنجدة اليه في سورية يتناسك بها الجيش المصري ، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، وعمد المسيو تيرس إلى سياسة التسوية ، فلم يعمل ولسكنه سيعمل ١١ ، ثم أخذ يتراجع في خطته ، فأوفد رسولا وهو المسيو والسكى إلى محمد علي باشا ليشير عليه بفتح باب المساومة مع الباب العالي في مطالبه ، فاتبع محمد علي مشورته وعرض الصاح على قاعدة تخويله حكم مصر الوراثي في أسرته وحكم سورية مدة حياته ، ونزوله عن كريت وأدنه وجزيرة العرب ، ولسكن الباب العالي رفض هذا الصلح

فحبط سعى المسيو تيرس وأمعن في تراجعه ، فاستدعى الأسطول الفرنسي الذي كان يراقب الأحوال في مياه الشرق ، وأمره بالعودة إلى فرنسا ، وهكذا أخفقت سياسة تيرس وتخبط من فشل إلى فشل . وعرض كرامة بلاده للامتهان ، وجنى على مصر بأن ورطها في رفض شروط معاهدة لندره وسوّأ لها ثم تخلى عنها وتركها وحدها إزاء الدول المتألمة عليها ، فأذعنّت واضطرت إلى قبول شروط أسوأ مما عرض عليها في المعاهدة ، فلم يجد المسيو تيرس تلقاء هذا الفشل إلا أن يقدم استقالته ، فاستقالت وزارته في اكتوبر سنة ١٨٤٠ ، وليته كان من الممكن ان يستقيل عمله ...

وألّف المارشال Soulé الوزارة الجديدة ، فنفضت يدها من المسألة المصرية البتة

وهكذا انسحبت فرنسا من الميدان ، وتركت مصر وجها لوجه أمام الدول الأوروبية بعد أن ورطتها في مقاومة قرار الدول المؤتمرة ، وكانت هذه السياسة الخرقاء من فرنسا سببا في ازدياد ضغط الدول على محمد علي وإنقاذ المزايا التي سوغتها معاهدة لندن لمصر ، ولو لم تجرئه فرنسا وتعدده وتغرها لقبول شروط المعاهدة فكان لا يضطر بعد ذلك إلى قبول شروط أكثر ضررا على مصر وأشد نكابة

ولقد حاول بعض المؤرخين الفرنسيين أن يبرروا مسلك فرنسا في أزمة سنة ١٨٤٠ ، فزعموا أن الحكومة الفرنسية أفهمت محمد علي من مبدأ الأزمته أنها لا تحارب أوروبا تأييدا لمطالبه وأن رسلها طلبوا إليه أن ينزل عن طرسوس وأدنه ، وأن الملك لويس فيليب وعده تلقاء ذلك أن يسعى لتخريبه ولاية مصر والشام له ولورثته من بعده ، ولسكن محمد علي رفض ما عرضه لويس فيليب ، وسلك خطة الانتظار والتردد ، فتارة كان يعد قناصل الدول بالخضوع للسلطان ، وطورا كان يبدى الرفض أن ينزل عن شيء .

وبلوح لنا أن هذا الدفاع لا يستند إلى وقائع صحيحة ، فإن الثابت أن الحكومة الفرنسية هي التي أغرت محمد علي بسلوك مسلك التشدد ثم تخلت عنه في آخر لحظة ، وهكذا كان انسحاب فرنسا من الميدان سنة ١٨٤٠ شبيها بانسحابها من المسألة المصرية سنة ١٨٨٢ ، أي بعد نصف وأربعين سنة ، فلما تركت إنجلترا في آخر لحظة تعمل وحدها على تحقيق مطامعها في مصر .

مهمة الكومودور ( نابيه )

ولما تم للحلفاء احتلال الثغور السورية وقطعت مواصلات الجيش المصري بحرا أنفذ القائد العام لقوات الحلفاء الاميرال استوفورد Stopford بعض السفن الحربية الانجليزية بقيادة الكومودور السير شارل نابيه Napier إلى مياه الاسكندرية



للقيام بمظاهرة بحرية أمام الثغر لتهديد محمد علي باشا وإجباره على الإذعان لمطالب الحلفاء

جاء السير شارل نابيه يقود العمارة الانجليزية ، وكان الشتاء قد أقبل ، فرأى أن التظاهر لا يصنع شيئاً ، وأنه لا بد لإكراه محمد علي على التسليم من قوة برية تحتل السواحل المصرية ، ولم يكن على ظهر العمارة الانجليزية جنود بريون ، فضلاً عن أن فصل الشتاء يحول دون مرابطة السفن المربية على مقربة من الشاطئ ، ولم يكن لدى الانجليز وحلفائهم من القوات البرية ما يكفي للنزول إلى البر والاستظهار على الجيش المصرى ، لأن الجيش كان على تمام الأهلية لرد عادية المعتدين ، ولولا ذلك لما ترددت إنجلترا في اغتنام تلك الفرصة لتحقيق أطماعها القديمة واحتلال البلاد ، كما فعلت سنة ١٨٠٧ ، ثم سنة ١٨٨٢ ، فالقوة التي أعدتها مصر للدفاع عن كيانها هي التي حالت دون مخاطرة الانجليز بإزالة جنودهم إلى الأراضى المصرية ، وهذا ما جعل محمد علي مطمئناً على مركزه ، وبما يذكر عنه في هذا الصدد أن قنصل إنجلترا (١) في مصر جاءه بعد التوقيع على معاهدة لندن وقابله بالاسكندرية وتهدهه بأن الدول مستعدة لإجباره بالقوة على الإذعان لشروطها ، وإن إنجلترا وحدها كفيلة بذلك ، ففهم محمد علي أن القنصل يرمى إلى التهديد باحتلال مصر ، فأجابته لهجة الحزم : « إذا كانت الدول المتحالفة تريد أن تسكرهني بالقوة على الإذعان فلتفضل بالمجيء ، فاني على استعداد لمقابلتها ، وإذا كانت إنجلترا تريد ذلك وحدها فاني أكثر استعداداً لمقابلتها ، انى لا أهاجم أحداً ، ولكنى مستعد للدفاع عن البلاد حتى آخر نسمة من حياتي ،

وقد تكرر محمد علي من هذه المناقشة ، وقال لمن حوله : « إن الانجليز يتهددونني بالنزول إلى بر مصر ، فليجربوا ولينفذوا وعيدهم افسهرون أننا على استعداد

لملاقاتهم ، وأن الأجنحة في بطون أمهاتهم ستشترك في قتالهم (١) ،

يتبين مما تقدم ان محمد علي كان على تمام الأهمية للدفاع عن البلاد ، ولقد أدرك السكوم دور نايبه أن لاسبيل إلى إخضاعه بالقوة ، فرأى أن يجرب معه خطة المفاوضة والمسالمة ، فأوفد له رسولا يحمل إليه خطابا (٢) يعرض عليه فيه رغبة الدول في أن تسكفل له ملك مصر الوراثي على أن يرد الأسطول التركي إلى الباب العالي ، وأن يسحب جنوده من سوريه ، وأعرّب له في الخطاب عن مقاصده الودية نحوه ، وانه إنما ينبغي إبداء النصيح إليه حقنا للدماء ، ولم يفته في كتابه أن يذبه إلى الخطر الذي يستهدف له إذا هو أصر على الحرب ، وان مصر ليست في المناعة التي يعتقدونها محمد علي ، وأن الاسكندرية يمكن أن تسقط كما سقطت عكا من قبل

كانت هذه الرسالة كلمة من سلم وكلمة من حرب ، ثم أعقبتها خطوة أخرى من السكومودور ، ذلك أنه جاء بنفسه وطلب مقابلة محمد علي ، فأذن له فيها ، فعرض عليه الإذعان لمطالب الخلفاء ، وكانت عباراته في المقابلة أشد من أسلوبه في الرسالة فأصر محمد علي باشا على الرفض ، فتهدده نايبه بإحراق المدينة ، فلم يعأبوعيده ، وأجابه في هدوء وسكينة : « هيا فاحرقوها ، فانسحب نايبه ، وامهل محمد علي أربعاً وعشرين ساعة ليقرر رأيه الذي سيستقر عليه

فبكر محمد علي الموقف مليا ، فرأى من الحكمة السياسية أن يمنح إلى السلم ويقبل العرض الذي عرضه السكومودور نايبه ، إذ لا طاقة لمصر بمحاربة الخلفاء مجتمعين ، وخاصة بعد تخلي فرنسا وانسحابها من الميدان ، كما أن أنباء الحرب في سورية تدل على حرج مركز الجيش المصري هناك . فان سقوط الثغور وخاصة

(١) موربيه . تاريخ محمد علي ج ٤ ص ٢٥٣

(٢) بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٤٠

عكا في يد الحلفاء وانسحاب الحاميات المصرية منها ، وقيام الثورات والفتن في مختلف النواحي ، مما رجح عنده فكرة الانسحاب من سورية ، فتبادل والكمودور نايبه المفاوضات في سبيل الصلح ، وانتهت بعقد اتفاق وقع به غوص بك وزير خارجية مصر والكمودور نايبه<sup>(١)</sup>

وهذا الاتفاق يقضى بأن يجلو الجيش المصرى عن سورية ، ويرد محمد على الأسطول التركى إلى الباب العالى . مقابل تخويله ملك مصر الوراثة بضمانة الدول وقد رفض الأميرال استوفورد قائد القوات البريطانية الاعتراف بهذا الاتفاق بحجة أن الكومودور نايبه لا يملك عقده ، ولم يكن منوطا به إجراء المفاوضات فيه ، وكذلك رفضه السلطان وتشبث بعزل محمد على ، واعترض عليه اللورد بونسني سفير إنجلترا فى الاستانة وأعلن بطلانه . لكن اللورد المرستون رأى فيه فضا لأزمة خطيرة لم يكن معلوما مدى عواقبها ، فأعلن باسم الحكومة إجازته للاتفاق ، وحمل الدول على قبوله ، فأرسلت إنجلترا والنمسا وروسيا إلى الباب العالى مذكرة ( فى ٣٠ يناير سنة ١٨٤١ ) تطلب فيها إليه الرجوع عن قرار العزل ، وتخويل محمد على حكم مصر الوراثة ، فاستجاب السلطان إلى طلبات الدول كما سيجىء بيانه ، وفى غضون ذلك أرسل محمد على باشا إلى ابنه ابراهيم يأمره بالجلء عن سورية والعودة إلى مصر تنفيذًا لاتفاقه مع نايبه

### إخلاء الجيش المصرى سوريه

اذعن ابراهيم باشا للأمر ، وأخذ يتأهب لاختلاء البلاد ، فبدأ رجوع الجيش المصرى فى أواسط ديسمبر سنة ١٨٤٠ واحتشد بالقرب من دمشق تمهيدا للانسحاب جنوبا ، فأخلاها فى ديسمبر سنة ١٨٤٠ ، وكان عدد الجيش المصرى وقتئذ نحو

(١) بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ، وقد نشرناه فى قسم الوثائق التاريخية

سبعين ألف مقاتل يتبعهم عدة آلاف من أفراد الأسر والبيوت المصاحبة للجيش من الموظفين وغيرهم ، ولاقى الجنود والملاكيون متاعب هائلة في انسحابهم لما أصابهم من الأعياء والجوع والعطش والتعب في قطع المسافات الشاسعة ، وما تحملوه من نقل المهات والمدافع ، وما استهدفوا له من مناوشات العرب ، فمات كثير منهم في الطريق ، وسار الجيش في انسحابه إلى ( المزيريب ) شرقي بحيرة طبرية ، ومن هناك توزع إلى ثلاثة فيالق أخذ كل فيلق طريقا إلى مصر ، فالفيالق الأولى وهو مؤلف من المشاة والخيالة النظاميين أخذ سبيله بطريق غزة فالعريش وكان يتولى قيادته أحمد المنكلي باشا ، والفيلق الثاني بقيادة سليمان باشا الفرنسي وكان مؤلفا من المدفعية ، سار بطريق الحج إلى معان ومنها إلى العقبة فالنخل فالسويس ، والفيلق الثالث وكان مؤلفا من جنود الحرس وفرسان الهنادى والباشبوزق بقيادة إبراهيم باشا ، اتخذ سبيله إلى غزة ومنها بجرا إلى مصر وقد لقي فيلق المنكلي باشا الأهوال في طريقه ، وفقد عددا كبيرا من رجاله بسبب الجوع والعطش والإعياء ووعورة المسالك ومناوشات العربان ، وخسر هذا الفيالق نحو نصف رجاله ، وسار فيلق سليمان باشا من طريق معان والعقبة ، وكابد كذلك المتاعب المهلكة ، غير أنه لم يلق ما لقيه الفيالق الأولى وفقد من رجاله نحو الف وخمسمائة

ووصل الفيالق الثالث بقيادة إبراهيم باشا إلى غزة بعد ما لقي من الأهوال في طريقه ، ومات عدد كبير من جنوده ومن الموظفين والنساء والأطفال الذين صحبوه في الانسحاب

ولما وصل غزة أرسل إبراهيم باشا إلى أبيه يطلب إليه إمداده بالمؤن والملابس والسفن لتنقل الجيش بجرا إلى الاسكندرية ، وأخلى غزة يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٤١ وبذلك تم إخراج الجنود المصرية لسوريه

وقد بلغ عدد الجنود الذين عادوا إلى مصر نحو أربعين الف مقاتل ، أى أن ما فقدته الجيش خلال الانسحاب بلغ نحو ثلاثين الفا ، أما الخسائر من الملكيين

فلم يتناولها إحصاء دقيق ، وقد أورد المسبو مورييه Mouriez (١) إحصاء مروعا قد يسكون فيه ثمة مبالغة لسكنه يدل على هـول الخسائر التي حاقت بالصريين في انسحابهم من سورية . فقد ذكر أن عدد أفراد الجيش والمحققين بهم من الملسكين والموظفين وعائلاتهم وحاشيتهم كان قبل الانسحاب ٢٠ الف نسمة . فلم يرجع منهم سوى ستين الفا ، وقال تعليقا على هذا الإحصاء ان هذا الانسحاب وما اقترن به من الأهوال والضحايا يعد من أفظع ما روى عن فجائع تقهر الجيوش في التاريخ

### رأى مؤرخي سورية في الحكم المصري

طويت صحيفة الحكم المصري في سورية بجلاء الجيش المصري عنها ، وصار ماله وما عليه ملكا للتاريخ ، ولعلك لاحظت بما فصلناه فيما تقدم أن انتقاض السوريين على الجيش المصري كان من أهم البواعث التي حملت محمد علي على تقرير الجلاء عن سورية ، ويحمل بنا في هذا المقام أن نثبت ما ذكره مؤرخو سورية عن الحكم المصري لمناسبة انقضاء عهده والمقارنة بينه وبين الحكم التركي ، وما أخذوه على السوريين واللبنانيين من الاستجابة لوسائل الإنجليز والترك ، وقيامهم في وجه الإدارة المصرية والجيش المصري ، واعتبار هذا المسلك من غلطات سياستهم القومية ، وفي هذا القول شهادة إنصاف للحكم المصري

قال الاستاذ محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي في كتابه خطط الشام (٢) ما يلي :

و كانت حسنة حكومة محمد علي في الشام أكثر من سيئاتها ، لأنها وضعت

(١) في كتابه تاريخ محمد علي جزء ٤ ص ٢٧

(٢) ج ٣ ص ٦٦

أصول الإدارة والجباية ورفعت أيدي أرباب الاقطاعات وأعطتهم من الخزائن رواتب تكفيهم على حد الكفاية ، ولم يخلص من ذلك إلا الأمير بشير الشهابي ، والى لبنان ، فإنه نال ولايته مباشرة من محمد علي في مصر وظل يتصرف بلبنان ، وبذلك رفعت سلطة المشايخ والأمراء المستبدين ، قال مشاقه (١) : وكانت الدولة التركية خيرة بأحوال الشعب أكثر من الدولة المصرية . فبعثت تدس الدسائس الى المشايخ وتغريهم بالمواعيد الفاحشة ليحضوا الشعب على شق عصا الطاعة طمعا بإرجاع نفوذهم ، وكان النصيرية أول من شق عصا الطاعة وتبعهم الدرزي في حوران ووادي التيم ، فقضى المصريون معظم أيام دولتهم في الشام في الحروب والقتال ، ومن مآثر الحكومة المصرية التي عددها مشاقه تجفيفها المستنقعات وتصريف الأقدار في مجار خاصة ، وتحديد أسعار اللحوم ، والعدل بين الرعايا على اختلاف أديانهم وطبقاتهم ، لا تكلف صاحب الحق نفقة لتحصيل حقوقه ، وانفاق كل مال في وجهه المخصص له ، ومع ذلك ظل الشعب يسومها العداوة ويناقشها الحساب لأنه اعتاد ان يكون محكوما للاحاكم نفسه ، عبدا لاجراء ،

وقال في موضع آخر :

« أثبتت حكومة محمد علي في فتوحها أن المصري بل العربي إذا تهيأ له زعيم عاقل لا يقل عن الغربيين في سيرته وجلادته ، وأنه لم يضره في القرون الماضية الا فتاؤه في الحكومة التركية ، وكانت حكومة محمد علي من أفضل ما رأته الشام من الحكومات منذ ثلاثة أو أربعة قرون ، بل ان الشام في القرون الوسطى والحديثة لم تسعد بما يقرب منها ، فضلا عما يمثّلها ، كتب المستر برانت فنصل بريطانيا في دمشق الى سفير دولته في الاستانة سنة ١٨٥٨ م . ما تعريبه : لما كانت الإيالة تحت حكم محمد علي باشا عاد كثير الى سكنى المدن والقرى المهجورة ، والى حراثة الأراضي المهملة ، وهذا ما حدث خاصة في حوران وفي الأرجاء الواقعة

(١) هو الدكتور ميخائيل مشاقه مؤلف كتاب (مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان)

حوالى حمص وفي كل الجهات الواقعة على حدود البادية ، وفي هذه الأماكن أكره العرب على احترام سلطة الحكومة ، وجعل السكان بمأمن من اعتداتهم ، وكان الشام بأسره تحت إدارة شريف باشا وقيادة الجيش الذى يبلغ عدده زهاء ٤٠ ألف جندى من منظم وغير منظم بإمرة ابراهيم باشا ، فبحسن إدارة الأول تضاعف نجاح الأهلين وحسنت المالية فى هذه النواحي ، كما أن نشاط ابراهيم وحزمه وطد الأمن ، ومد رواق الثقة ، وقد عدت الحكومة مظالمة لسكنها فى الحقيقة لم تكن تستطيع غير ذلك ، إذ كان عليها أن تصلح عدة أمور مختلفة وأن تبدل الفوضى والتعصب والقلاقل التى كانت سائدة بالعدل

، فأصحاب المقامات العالية والافندية والاغوات ( رؤساء الجند ) امتعضوا كثيرا من ذلك لأنهم كانوا يثرون من ابتزاز أصحاب التجارة والحرف وسائر الطبقات العاملة ، وقد سر هؤلاء كثيرا لخلاصهم من الظلم الذى أتوا تحت عبئه طويلا ، واغضب المسيحيون خاصة وفرحوا لنجاتهم من التعصب الذى أوصلهم الى درجة من الذل لا تطاق ، ولم يكن الفلاحون أقل سرورا منهم لانه وان كانت الضرائب المقررة تستوفى بكل شدة فلم يكن يستوفى منهم بارة زيادة ولا تضبط حاصلاتهم وغلالهم ولا يؤخذ منهم شىء دون دفع ثمنه ، ولم يجبروا على تقديم خدمة دون بدل ، وقد فرضت الخدمة العسكرية على المسلمين ، وهذا الأمر الجديد كان ينبوع استياء عظيم ، أما المسيحيون الذين كانوا يدفعون الخراج فأعفوا من الخدمة العسكرية ، والفلاحون الذين قطنوا القرى المهجورة أسلفوا مالا لاصلاح بيوتهم وتموينها ، وأعفوا من الضرائب مدة ثلاث سنين

، وقصارى القول ان جميع هذه المساعدات بذلت لزيادة الحاصلات ، وكمن مرة ذهبت الجنود بأمر ابراهيم باشا لإتلاف بيوض الجراد وما نفق منها ، وبفضل هذا الحكم الحازم العادل المحترم من الجميع أخذت البلاد تترقى فى مدارج النجاح والتمام ، فلو طال عليها الحكم المصرى لاستعادت الشام قسما عظيما من وفرة سكانها القدماء وأصاب شظرا كبيرا من الثروة التى كانت فى الماضى وآثارها لم تزل ظاهرة

للعيان في القرى والمدن العديدة في جهات حوران ، وفيما وجد في البادية حيث ترى فيها الطرق التي اختطها الرومانيون

قال : « ولم يكند المصريون يطردون من البلاد ويتقاص ظل سطوتهم - وقد كانوا أخضعوا الجميع لحكمهم الشديد - حتى عاد القوم الى بند الطاعة ، وخلفت الرشوة والتبذير في ادارة المالية الزاهة والاقتصاد ، ومنيت المداخل بالنقص ، واستأنف عرب البادية غاراتهم على السكان ، نخلت القرى والمزارع المأهولة جديدا بالندريج ، حتى أمكن القول انه لا يوجد ثم ظل للأمن على الحياة والاملاك وكل شيء بدل على عودة حالة الفوضى الى هذه البلاد التي تركها المصريون ،

ونقل الأستاذ محمد كرد على بك نبذة عن كتاب (بريه) وما كتبه اطراء للحكم المصرى ، ثم قال تعليقا عليه (١) :

« هذا هو الانصاف في الحكم على حكومة ابراهيم باشا ، وماهى في الحقيقة الا روح محمد على الكبير الذى كلن يستمد منه ابنه ، ولا يصدر الاعنه في الخطوب ، ولا يقطع أمرا دون الرجوع الى رايه حتى جاءت أحكام المصريين نموذجاً في الإدارة ، ولو أرادت الدولة العثمانية أن تستفيد من هذا الدرس لأرادت عملها على تطبيق خطط ابراهيم باشا في الإصلاحات التي قام بها خلال التسع السنين التي قضاهما في هذا القطر ، ولكن العثمانيين ابتلوا بالإهمال والغرور ، لا يعمدون الى حسن الادارة ولا يتظاهرون بالاحسان الا يوم الشدائد ، فاذا زالت عادوا الى طبائعهم في إعنات الرعية وإلقاء الحبل على الغارب ، ونسوا ما أعطوا من عهود وما وضعوا من القوانين ، وهذا مادعا الى ظهور الفروق السكثيرة بين الادارتين المصرية والعثمانية بعد رحيل جيش ابراهيم باشا عن هذه الديار ، وهو الجلاء الذى اقتضته الدول السكبرى ل الدولة البريطانية التي حملت الدول على موافقتها على رأيها لآمال لها تريد تحقيقها في مصر والشام ، لتسكون هي الحاكمة المتحكمة في مصالحها

(١) خطط الشام ج ٣ ص ٧٠



لا الدولة المصرية الفتية التي تحب فرنسا وتساهمها سياستها أحيانا ، وما مصر والشام الا طريق الهند الأقرب بل مفتاحها من البحر المتوسط ، واذا اردنا أن ننظر بعين المؤرخ المنصف زى بريطانيا العظمى هي التي اقتضت سياستها القضاء على أمان محمد علي بل أمان العرب من إنشاء دولة عربية ، وقال في موضع آخر :

« ولم يلبث القصد على ابراهيم باشا الا لما دخلت أصابع الأجانب وأخذوا يثيرون عربان نابلس وسكان كسروان وجبال النصيرية ودروز لبنان ووادي التيم وجبل حوران وكل من عرفوا بالمضام من سكان الجبال ، وأما المدن والسواد الأعظم من الناس فقد استقبلوه وأخلصوا له وشعروا بحسن إدارته ، إلى أن قال : « ولقد تجلّى في وقائع محمد علي في الشام تجليا لا مجال للريب فيه ، ان اختلاف المذاهب وتباين التربية كان من العوامل القوية في إبقاء الفتنة بين أبناء هذا الوطن وأن دول أوروبا عند أغراضها تستجلب بث بذور الشقاق بين المتآلفين ، وتستخدم وسائل غريبة في تكدير صفاء الأمنين ، وتبعث بعقول السذج المساكين ، وانها قلما اهتمت لمصلحة أمة من أمم الشرق . بل تهمها مصاحبتها فقط ، ولو كانت تريد الخير للشام لتركته يسعد ويرقى بحكم محمد علي الذي كان بإقرار رجالها من أرقى ما عهدته البلاد منذ قرون ، ولعل أبناء الشام أيقنوا بخطأهم في الانتقاض على الحكومة المصرية التي هي مثلهم عنصرا ولغة وعادات وأنهم كانوا على ضلال في الحنين إلى حكم العثمانيين ، وما كان من حقهم أن ينسوا في سنين قليلة كيف كان حكمهم يسارعون في الإثم والعدوان ، » وقال في موضع آخر :

« تبين الفرق بين الإدارتين المصرية والعثمانية ، ولو طال عهد المصريين أكثر - وكانوا في صدر الفتح يتخوفون بادرة العثمانيين كل حين - اسعدت البلاد حقيقة وأيقن حتى من كانوا ينعمون من دماء الأمة على العهد العثماني أن طريقة المصريين في المساواة بين الطبقات والمذاهب المختلفة . والشدة في انفاذ القوانين ، وتقليد الغرب في كل أمر جوهرى ، أفضل طريقة لراحة البلاد ، وكان

يرجى أن يألفوا في مدة قصيرة ما تأصل في فطرم على توالى القرون وتعودوه من حكم أرباب الاقطاعات الذين صدحهم المصريون عن تجارتهم الشائنة التي ألفوها زمن العثمانيين ، وهي الاتجار بالجباية يجهونها أضعافا ويسلبون الباقي من دم الأمة بمراى من الحكومة ومسمع ، ولم تكذب تخلى الجنود المصرية بلاد الشام حتى رجعت إلى حالتها قبل المصريين وثارَت العداوات القديمة في الصدور وزادت الدسائس الأجنبية ،

هذه الشهادة ناطقة بحسنات الحكم المصرى في سوريه ، وبما كان له من الفضل في نشر لواء الحضارة والعدل وال عمران فيها ، وإنه لقول حق ما ذكره الأستاذ محمد كرد على بك من أن الدسائس الأجنبية وخاصة الانجليزية هي التي خلقت العراقيل أمام الإدارة المصرية في سورية ، فلولا تلك الدسائس لسعدت سورية بانضمامها الى مصر ولتألفت منهما الدولة المصرية العربية التي كانت على عهد الفاطميين والأيوبيين والدواتين البحرية والبرجية ، واسكن المطامع الاستعمارية أحاطت مصر الفتية بالدسائس والفتن . وهذه الدسائس هي التي اعترضت مصر في طريق تقدمها ، وناهضتها في سورية . وفي كل ناحية ، داخل مصر وخارجها ، وحالت دون تأليف الدولة المصرية الكبرى التي كان محمد على يعمل لها . وما فتئت انجلترا تدبر المكاييد وتخلق المشاكل طوال القرن التاسع عشر حتى أوقعت مصر في أزمة سنة ١٨٨٢

فالسياسة التي رسمتها انجلترا إزاء مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر هي التي أملت عليها خططها في مناهضتها والسكيد لها في الداخل والخارج ، ولم تنل منها في عهد محمد على بمقدار ما نالت في عهد خلفائه ، ذلك لما كانت عليه مصر على عهده من القوة والمنعة ، فلما تراخت القوة ، وتفرقت الكلمة ، وانفتحت الثغرات ، تربصت انجلترا بالبلاد حتى احتلتها سنة ١٨٨٢ ، ذلك الاحتلال الذي لا تزال نعانيه إلى اليوم ( ١٩٤٩ )

لم أكن من جناتها علم الله وإنى بحرّها اليوم صالى

## إخلاء جزيرة العرب

كان محمد علي يحرص قبل معاهدة لندن على استبقاء نفوذه وسلطته في الحجاز لما في ذلك من إعلاء هيئته في أنحاء العالم الاسلامي باعتباره حاميا للحرمين ، ولذلك ماقتى . يعمل منذ الحرب الوهابية على توطيد مركزه في ربوع الحجاز وفي شبه جزيرة العرب ، ويأسناد تركيا ولاية جدة إلى ابراهيم باشا قد خولته حقوق السيادة التي كانت لها في شبه جزيرة العرب ، واتصل إمام مسقط ، بمحمد علي بروابط الود والصدقة والولاء

على أن القوات الحربية المصرية التي استقرت هناك كانت دائما عرضة لتوثر القبائل ، وقد نازعه في بسط نفوذه عامل آخر وهو السياسة البريطانية الاستعمارية ، فان انجلترا بعد أن وضعت يدها على عدن كانت تنظر متوجسة إلى القوات المصرية المجاورة لها في اليمن ، واحتجت بأن هذا الجوار مما يثير في نفوس الأهالي روح التعصب الديني ، على أن محمد علي ظل محافظا على سلطة مصر في جزيرة العرب رغم ما يقتضيه ذلك من النفقات الطائلة ، إلى أن تخرجت الحالة في ختام سنة ١٨٤٠ ورأى ملك مصر مهددا في سوريه ، فاسترجع قواته من الجزيرة

فالقوات المصرية بقيت محتلة الحجاز ومعظم جزيرة العرب مدى عشرين عاما تخللتها ثورات عدة احتملت مصر في سبيل إخمادها متاعب هائلة ونفقات طائلة ، وانا ذا كرون هنا لمعة من تاريخ الحكم المصري بها وما اعترضه من العقبات ففي سنة ١٨٢٤ ثار الوهابيون في بعض البلدان فاشتبكوا في مناوشات مع القوات المصرية حتى ظهرت عليهم

وفي سنة ١٨٢٧ نشبت ثورة في مكة حيث قتل الشريف يحيى ابن أخيه لاثامه بالانتماء به والتواطؤ عليه مع أحمد باشا يكن وإلى الحجاز من قبل محمد علي ، ولما كان يتوقعه الشريف من عواقب انتفاضه غادر مكة ولاذ بقبيلة حرب واستصرخها ، فثارت في وجه السلطنة المصرية

فقام أحمد باشا يكن لمحاربتها وقصاصها . لكنه انهزم بالقرب من جبل عرفات  
وامتد بذلك ساعد الثوار وانضمت إليهم القبائل ؛ فلما علم محمد علي نبأ هذه الثورة  
أنفذ إلى الحجاز مدداً من خمس أوط من الجنود النظامية والفرسان ،  
وعين الشريف محمد بن عون الذي كان نزيل القاهرة شريفاً لمكة بدلاً من الشريف  
يحيى الثائر . فذهب ابن عون بحجة المدد المصري إلى الحجاز ، فتشجع أحمد باشا  
يكن بهذا المدد واستظهر به ، وضرب الحصار على ( الطائف ) حيث امتنع الشريف  
الثائر واتباعه ، ثم توقع الشريف سقوط المدينة في يد الجيش المصري ، ففر منها  
فتعقبه الفرسان ومازوا على أثره حتى أخذوه هو وثلاثة من أشرف مكة الذين  
ناصروه في ثورته ، فحج بهم إلى القاهرة واستبقاهم محمد علي رهائن في يده ليضمن  
استقرار الأمن في الحجاز

وفي سنة ١٨٢٩ تارت هناك بعض القبائل وامتنعت عن أداء ما كان مضروباً  
عليها سنوياً من البن ، ومقداره ١٢٠٠ قنطار ، فأنفذ محمد علي إلى جدة قوة جديدة  
لإعادة النظام وإقراره

وفي سنة ١٨٣٢ شبت في جدة فتنة عسكرية قوامها بعض الضباط من العناصر غير  
النظامية من بقايا الجيش القديم . وكان والي الحجاز وقتئذ خورشيد بك ، فطالبه  
الضباط والجنود ومعظمهم من الأرنؤود والترك بما تأخر من عطايتهم ، وساروا  
بمجموعهم إلى مكة يتبعون زعيمهم ( زنار أغا ) و ( تركي بيلز ) ، فتوسط الشريف  
مكة بين خورشيد بك والمتمردين ، واتفقوا على أن يعود هؤلاء إلى جدة ويوافقهم  
بها خورشيد بك ، فذهب إليهم ولسكنهم أسروه ، ونادوا بتركي بيلز واليا على  
الحجاز ، وكان هذا العمل هو المجاهرة الصارخة بالتمرد والفوضى ، وانضم أهالي  
مكة إلى المتمردين نكابة بالمصريين ، فشب نار القتال بين الجنود المتمردة والحامية  
المصرية ، ولسكن الحامية ردتهم على أعقابهم

وفي خلال هذه الفتنة ورد إلى مكة نبأ استيلاء الجيش المصري على عكا ، وكانت  
الحرب السورية الأولى مستعرة ، فأخذ هذا النبأ جذوة المتمردين ، ولما لم الباب

العالي بالفتنة ابتهج بها وأرسل فرمانا إلى ( تركي بيليز ) يقره واليا على الحجاز  
نكاية بمحمد علي وتشغيباً عليه

وصل نبالاً هذه الفتنة إلى مصر ، فبادر محمد علي إلى إنفاذ الأوامر السابعة من  
الجنود النظامية و ١٥٠٠ من الفرسان ، فبلغت عدتها نحو ٤٠٠٠ مقاتل ، وعقد  
لواؤها لأحمد باشا يكن (١) وجعله رئيساً لعسكر الحجاز ، وناط به إخماد الفتنة ،  
وكان محمد علي عظيم الاهتمام بتوطيد نفوذ الحكومة المصرية في الحجاز واليمن  
لما للحرمين الشريفين من الأهمية السياسية والدينية ، ولأن ثغور الحجاز واليمن هي  
العقد الوثيقة في خيط الاتصال بين مصر ومناجر الهند وجزيرة العرب

وصلت الحملة المصرية بقيادة أحمد باشا يكن إلى ينبع ، وسارت منها إلى جدة  
فاحتلتها بعد أن انسحب منها تركي بيليز إلى ( قنفذة ) وكانت بها حامية مصرية ، فلما  
امتنعت عليه استمر في انسحابه إلى ( الحديدية ) من ثغور اليمن ، ثم استقر في ( مخا )  
ولم يقو إمام ( صنعاء ) على رده ، فمهد محمد علي إلى أحمد باشا يكن وإلى الحجاز  
بمطاردته ، ففي سنة ١٨٣٣ سار إليه في خمسة عشر ألف مقاتل ، وكان شيخ العسير  
مواليا للجيش المصري ، فحاصر ( مخا ) حتى فتحها عنوة ، وهرب تركي بيليز والتجأ  
إلى إحدى السفن البريطانية ، وبذلك انتهت الفتنة ، ولكن شيخ العسير نهب مخا  
نهباً مدمراً وكانت مستودعاً لمناجر الهند ، فبارت التجارة الهندية بسبب هذا النهب  
سنتين عدداً (٢)

وقد أجمع محمد علي أن يجتث جذور الثورة في جزيرة العرب ويستولي على  
اليمن ، وكانت الحملات والأمراض قد ثغرت في صفوف الجيش المصري فنقصتها  
وكذلك وزعت الحاميات العسكرية في قنفذة والحديدة وبعض بلاد اليمن ، فنقصت

---

(١) كان قد انفصل عن ولاية الحجاز إلى وقت ، ثم أعيد إلى منصبه ثانياً وقلده محمد  
علي رئاسة عسكر الأقطار الحجازية

(٢) مايجان ج ٣ ص ٦٤

قوة الوحدات المتحركة من الجيش ، وقد علم محمد على بهذه الحالة ، فأنفذ قوة جديدة من ثلاثة ألياب من المشاة وألفين من الفرسان بقيادة إبراهيم باشا يكن الذي جعله سر عسكر اليمن (سنة ١٨٢٦) ، فبلغ عدد الجيش المصرى فى جزيرة العرب ثمانية عشر الف مقاتل ، فضى إبراهيم باشا يكن بزحف على اليمن يعاونه الشريف عون

سارت الحملة إلى بلاد العسير ، وهناك احتمل الجنود هجمات هائلة من وعورة الطرق وسوء المناخ وقلة الماء وفداحة المتاعب ، ووقعت المصادمات والمناوشات بينها وبين القبائل ، فاندحر الجيش المصرى أمام البدو وحلت به الخسائر الجسيمة ، ورجع إبراهيم باشا أدرجه إلى الحجاز بعد أن فدحته الخسائر ثم استأنف زحفه على اليمن فاحتل الثغور وبعض المواقع فى الداخل

ولما علم محمد على بالانباء الأولى عن حملة اليمن عهد بقيادة جنود الحجاز إلى خورشيد بك الوالى السابق الذى وقعت فى عهده فتنة تركى بلز ، وكانت الهزائم التى حاقت بالجيش المصرى قد شجعت الوهابيين على الانتفاض فى نجد ، فاتجه خورشيد بزحفه شمالا ووصل إلى الدرعية ، وتخطى فتوحات إبراهيم باشا ، وزحف على الأحساء ووصل إلى شاطئ الخليج الفارسى ، وجمع عدة من السفن واحتل جزائر البحرين فى الخليج ، ولما رأت القبائل سرعة زحف الجيش المصرى أقبات تقدم الطاعة له وامتدت سلطة مصر إلى الخليج الفارسى ، ولكن السياسة الانجليزية هالها تقدم نفوذ مصر إلى مصب دجلة والفرات وإلى مياه الخليج الفارسى القريب من الهند ، وخشيت على سلطانها هناك أن يزعه امتداد نفوذ مصر إلى حيث بلغ ، كما أنها خشيت من نفوذها فى بلاد اليمن لأنها على طريقها للهند ، فاحتلت (عدن) وأرست قدمها فيها ، وبذلت مساعيها السياسية ومنها تهديد محمد على بأن تثير عليه تركيا والدول الأوروبية ، فاضطر إلى بحاملة انجلترا انقاء لشرها ، فأصدر أمره إلى خورشيد بك بإخلاء (البحرين) ، أما فى اليمن فقد أعلن إمام (صنعاء) ولامه لبراهيم باشا يكن يتقى بولائه بطش الانجليز بعد أن احتلوا عدن

ولما أوشكت على نهايتها سنة ١٨٤٠ رأى محمد علي أن بقاء الجيوش المصرية في جزيرة العرب يحتمل الخزانة نفقات لا قبل لها بها ، وأنه في حاجة إلى حشد جنوده حشداً واحداً حينما تأبى عليه الدول المتحالفة مع تركيا بعد معركة (نصيبين) ، فاستقر عزمه على استدعاء الجنود من جزيرة العرب ، ثم أخلاها إلى غير رجعة سنة ١٨٤١ تنفيذاً لمعاهدة لندره ، وبذلك طويت صحيفة الحكم المصري في الجزيرة

## مركز مصر الدولي

بعد معاهدة لندره

إن معاهدة لندره هي الوثيقة الأساسية لمركز مصر الدولي من سنة ١٨٤٠ إلى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، فهي التي حددت هذا المركز وجعلت لمصر شخصية دولية مستقلة ، ورفعت مركزها من ولاية كغيرها لا تختلف عن سائر ولايات السلطنة العثمانية إلى دولة مستقلة استقلالاً مقيداً بقيود السيادة التركية

إن مصر قد حققت استقلالها بالفعل في الحرب السورية الأولى التي انتهت باتفاق كوتاهيه (سنة ١٨٣٢) ، لسكها في نظر القانون الدولي لم تكن سوى ولاية ليس لها (رسمياً) من امتياز عن الولايات العثمانية الأخرى ، لكن معاهدة لندره وإن تكن حرمت مصر ثمة انتصاراتها وقيدت استقلالها بقيود شتى ، إلا أنها قد اعترفت بأن لمصر مركزاً دولياً مستقلاً عن تركيا ، إذ جعلت حكومتها وراثية في أسرة محمد علي ، ومعلوم أن ولاية الحكم ، وخاصة في ذلك العهد ، هي مظهر السيادة والاستقلال ، ومعنى ذلك أن معاهدة لندره اعترفت لمصر بالاستقلال مقيداً بالسيادة العثمانية ، ولم يعد لتركيا ، ولا لغيرها من الدول ، أن تعبت بهذا

## الاستقلال الذي أصبح مكفولاً بمعاهدة دولية

ولم يرد في معاهدة لندره من القيود العملية التي تحدد ذلك الاستقلال سوى دفع جزية سنوية للباب العالي ، وسريان معاهدات تركيا في مصر ، واعتبار قواتها الحربية جزءاً من قوات السلطنة العثمانية  
فمنه القيود هي مظاهر السيادة العثمانية التي فرضتها الدول على مصر في معاهدة لندره

ومن الواجب أن نوضح إيهاماً ورد في أحد بنود المعاهدة وهو البند (٥) من الملحق الذي ينص على أن « معاهدات السلطنة العثمانية وقوانينها تسرى في مصر » فقد يتبادر الى الذهن أن تركيا كان لها بمقتضى المعاهدة حق التدخل في التشريع بالنسبة لمصر ، وان قوانينها تسرى فيها ، وهذا ليس من الواقع في شيء ، فان هذا الإيهام قد أوضحه فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ و فرمان أول يونيه سنة ١٨٤١ الصادر كلاهما لمحمد علي ، و فرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ الصادر للخديوي اسماعيل ، فالفرمان الأول عبّر عن هذه القوانين بالخط الشريف المعروف بالكلخانة والقوانين الادارية للدولة العثمانية ، أي القوانين الأساسية الماثلة له ، وخط الكلخانة هو القانون الأساسي المعروف بالتنظيمات (١) الذي أصدره السلطان عبد المجيد بتقرير حقوق الأفراد في السلطنة العثمانية وتأمينهم على أرواحهم وأموالهم وشرفهم ومساواتهم أمام القانون وإلغاء المصادرة والسخرة ، فالمراد من هذا النص في المعاهدة أن تكفل حقوق الأفراد في مصر كما تكفل في تركيا طبقاً للقانون الأساسي المعروف بالكلخانة

ويؤيد هذا المعنى ماورد في فرمان أول يونيه سنة ١٨٤١ المكرر والمفسر

---

(١) سمي خط كلخانة لأنه قرىء في الكلخانة ، ومعناها دار الورد ، وهي إحدى

دوائر السراي القديمة ( طوب قيو ) بالاستانة



لأحكام فرمان ١٣ فبراير ، فقد جاء فيه صراحة ، ان القواعد المتضمنة لأمنية الأشخاص والأموال ، وصون الشرف والعرض ، هي من المبادئ التي قدستها أحكام ونصوص خطنا الشريف الهمايوني الصادر عن كلخانة ، وكافة المعاهدات المبرمة والتي ستبرم بين الباب العالي والدون المتحابة يقتضى أن تكون جميعها نافذة بكامل أحكامها في مصر ، وكل النظم التي سنها وسيسنها الباب العالي تكون أيضا مرعية في ولاية مصر مع ملاحظة الظروف المحلية المختصة بالعدل والحقانية ، وفرمان ٨ يونيه سنة ١٨٦٧ الصادر للخديوى اسماعيل صريح أيضا في أن المراد بالقوانين الأساسية الواردة في فرمانات سنة ١٨٤١ هو نخط الكلخانة دون سواه ، فقد جاء فيه :

« إن فرمان الهمايوني الذي منح نيابة مملكة مصر امتياز التوارث اشترط خلاف ما ذكر وهو أن تكون القوانين الأساسية الجارية العمل بموجبها في كافة أنحاء الممالك العثمانية مرعية الإجراء ونافذة أيضا في مصر بما يوافق الحق والعدل مع مراعاة عادات الأهلين وأخلاقهم أما القوانين الأساسية المذكورة فليكن معلوما أنها ان هي إلا المبادئ العمومية المنشورة في تنظييات كلخانة ، أعني تأمين الأرواح والأموال والشرف ،

هذا هو المعنى الرسمي لكلمة القوانين الواردة في معاهدة لندره ، فهي تشبه أن تكون كالإزام دولة لإزام دولة أخرى بأن تنفذ تشريع منع الرقيق مثلا ، وليس في ذكر هذه الكلمة ما يؤخذ منه لا صراحة ولا ضمنا أن تركيا حق التدخل في التشريع بمصر أيا كان نوعه ، وهذا ماجرى عليه العمل منذ صدور معاهدة لندره فان حكومة مصر في عهد محمد على وخلفائه لم تنازعها تركيا يوما ما في حقها المطلق في التشريع والتقنين بكافة أنواعه ، ولم تتدخل البتة في هذا الصدد اطلاقا

### قيود فرمانات

ذكرنا القيود التي كانت تحد استقلال مصر في معاهدة لندره ، و لكن فرمانات

التي أصدرتها تركيا تنفيذاً للمعاهدة قد تجاوزت في بعض المواطن القيود الواردة بها ، وظاهر أن السلطان العثماني اغتم فرصة تألب الدول الأوروبية في مصر ، فاشتط في الفرمانات التي أصدرها لمحمد علي وغلها بالقيود الثقيلة الوطأة ، وخاصة في الفرمان الأول المؤرخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ، مما دعا محمد علي إلى الاعتراض لدى الدول على تلك الشروط وأدى اعتراضه إلى تعديل فيها كما سيحىء بيانه

### فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١

وهاك خلاصة الأحكام التي تضمنها فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ :

( ١ ) إذا خلا مركز السدة المصرية يختار له السلطان من يشاء من أولاد محمد علي الذكور أو أولاد أولادهم الذكور ، فإذا انقرض نسل الذكور كان للباب العالي أن يختار من يشاء للولاية دون أن يكون لأولاد الإناث حق فيها  
( ٢ ) يلزم من يختار للولاية خلفاً لمحمد علي بالذهاب إلى الاستانة ليلتقي فرمان التقليد

( ٣ ) ان ولاية مصر بالرغم من حقهم الورثي تكون مرتبتهم بمائة لمرتبة وزراء الدولة في المخاطبات والمقابلات السلطانية

( ٤ ) المعاهدات التي أبرمها أو سيرمها الباب العالي وكذلك الخط الشريف المعروف بخط الكلخانة والقوانين الأساسية للدول العثمانية تنفذ في مصر  
( ٥ ) تكون جباية الضرائب ودخل الحكومة باسم السلطان ويتبع فيها النظام المعمول به في تركيا لسكيلا يقع الضيم بأهالي مصر

( ٦ ) يرسل ربيع إيرادات الحكومة المصرية الحاصل من دخل الجمارك والخراج والضرائب إلى خزانة الباب العالي ، ويخصص الثلاثة الأرباع الأخرى لشؤون مصر من نفقات الجباية والإدارة العسكرية والمدنية ، وحاجات الحكومة والغلال التي ترسل سنويا إلى مكة والمدينة ، وطريقة اداء نصيب الباب العالي من إيراد

الحكومة المصرية يعمل بها لمدة خمس سنوات ابتداء من أول عام سنة ١٢٥٧ (٢٣ فبراير سنة ١٨٤١) ، ويجوز استئناف نظرها بالتعديل تبعاً للظروف والأحوال في مصر

(٧) لما كان من المقتضى تحقق الباب العالى من مقدار دخل الحكومة المصرية فيلزم تعيين لجنة لمراقبة هذا الداخل تؤلف طبقاً للأوضاع التى يقررها السلطان فيما بعد بإرادة شاهانية

(٨) تكون السكة (النقود) في مصر باسم السلطان ، ولا تختلف النقود الذهبية والفضية التى تضرب في مصر عن نقدى الاستانة فى القيمة والنوع والعيار (٩) لا يزيد عدد الجيش المصرى فى زمن السلم عن ١٨٠٠٠ الف جندى ،

وللباب العالى أن يرفعه إلى ماشاء فى زمن الحرب ، ويتبع فى مصر نظام التجنيد المعمول به فى تركيا ، وهو يقضى بجعل مدة الخدمة خمس سنوات . وعلى ذلك يكتبنى من مقترعى الخدمة الموجودين الآن بعشرين يبقى منهم ١٨٠٠٠ فى مصر ويرسل ٢٠٠٠ إلى الاستانة ، ثم يسرح خمس عدد الجيش ( أربعة آلاف جندى ) كل سنة بطريق القرعة ، ويقترح بدلم أربعة آلاف مستجدون يبقى من هؤلاء بالقطر المصرى ٣٦٠٠ ويرسل ٤٠٠ إلى الاستانة . والذين يتمون خدمتهم العسكرية يعودون إلى بلادهم ولا يجوز اقتراعهم من بعد

(١٠) لا يختلف شوار الجنود والضباط المصريين وملابسهم وأعلامهم وأسمتهم عن مثلها فى الجيش التركى ، وكذلك ملابس البحارة والجنود والضباط فى الأسطول المصرى وأعلام السفن الحربية المصرية

(١١) لوالى مصر حق منح الرتب العسكرية لضباط البر والبحر اغاية رتبة صاغ قول أغاسى ، أما الرتب العليا فيرسم بها من السلطان

(٢) ليس لمصر أن تبنى سفننا حربية إلا بإذن صريح من الباب العالى (١٢) لما كان امتياز حكم مصر الوراثى المخول لمحمد علي واسرته مقروناً

بالشروط السابقة فالإخلال بأى منها يؤدي إلى سقوط حقهم في هذا الأمتياز (١)  
هذه خلاصة شروط فرمان ٣ فبراير ١٨٤١ ، ومن التأمل فيها يتبين مبلغ  
تجاوزها الأحكام معاهدة لندره ، فليس في المعاهدة كما قدمنا قيود عملية تحد استقلال  
مصر التام فيما عدا الجزية السنوية وسريان معاهدات تركيا واعتبار قوات مصر  
جزءا من قوات السلطنة العثمانية ، ولكن فرمان مغلل بالقيود الثقيلة التي لم ترد في  
المعاهدة ، فليس فيها مثلا نصوص تقيد عدد الجيش المصري وتحدده بـ ١٨٠٠٠ أو  
تحظر على مصر بناء سفن حربية إلا بإذن الباب العالي ، أو تقيد حق الحكومة  
المصرية في منح الرتب العسكرية ، أو تقضي بمراقبة مالية مصر ، فهذه القيود قد  
فرضها السلطان في فرمانه دون أن يكون لها سند في المعاهدة ، وكذلك مما لا يتفق  
مع روح المعاهدة تقويم الجزية بربع إيرادات الحكومة المصرية ، لأن ذلك  
فضلا عما فيه من الإرهاق والاعتساف فإنه يستتبع تدخل تركيا في شؤون مصر  
الداخلية ومراقبة أحوالها المالية بحجة تعرف مقدار دخلها والتحقق من نصيبها  
فيه ، وكذلك لا يتفق مع روح المعاهدة انتقال السلطان حق اختيار من يشاء من  
أولاد محمد علي أو أحفاده لتولى أريكة مصر ، فإن جعل حكم مصر الوراثي في سلالة  
محمد علي ليس معناه تحكيم الباب العالي في اختيار من يشاء منهم ، لأن هذا التحكيم  
يضيع قيمة هذا الحق ويطلق يد السلطان العثماني في اختيار من يأنس فيه الضعف  
والخضوع لإرادته من تلك السلالة ، وقد اعترض محمد علي لدى الدول على ما ورد  
في ذلك فرمان من الشروط الثقيلة الوطأة ، وطلب تعديله في نظام وراثته الحكم  
ومقدار الجزية السنوية وحق منح الرتب العسكرية

فقبلت الدول طلبه و أرسلت إلى الباب العالي مذكرة طالبت إليه فيها أن

---

(١) وأصدر السلطان فرمانا آخر في ذلك اليوم (١٣ فبراير) بإسناد أقاليم السودان  
(النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وماجقاتها) إلى محمد علي وهو الذي  
تكلمنا عنه في الفصل السادس

يعامل محمد علي طبقا للشروط المدونة في ملحق معاهدة لندن

لائحة ١٩ ابريل سنة ١٨٤١

فأجاب الباب العالي الدول بمذكرة في ١٩ ابريل سنة ١٨٤١ بتعديل شروط  
الفرمان السابق ، وهناك أهم ماقرره من التعديلات الجوهرية :

(أولا) إنه نظم وراثه عرش مصر بأن جعل حق الوراثة للأكبر سنا من  
سلالة محمد علي الذكور

(ثانيا) عدل عن تقويم الجزية بربع إيراد الحكومة وجعلها تبعاً لتقديره فيما  
بعد مع النظر لحالة الحكومة

(ثالثا) أن يكون لوالى مصر حق منح الرتب إلى رتبة أميرالاي ، أما مايعلوها  
من الرتب كدرجة أمير لواء وفريق فجعل حق منحهما بعد استئذان الباب العالي

فرمان أول يونيه سنة ١٨٤١

ثم أصدر الباب العالي في أول يونيه سنة ١٨٤١ فرمانا جامعاً يحتوى أحكام  
فرمان ١٣ فبراير ، مع التعديلات المتقدمة ، وأصدر فرمانا آخر بتحديد الجزية  
السوية بثمانين ألف كيس أى ٤٠٠٠٠ جنيه

وما يجدر ملاحظته أن القيود التي وردت في فرمانات الباب العالي بما لاتنص  
عليه معاهدة لندن لم تسكن قيودا دولية ولا شرعية ، بل كانت ذات صبغة داخلية  
بين تركيا ومصر ، بمعنى أنها لاترتكز على أسند دولى من معاهدة أو اتفاق ، والتحلل  
منها يكون فيما بين مصر و تركيا ويتم صحيحا بعمل يصدر من جانب إحداهما ، لأن  
هذه القيود أساسها فرمان صدر من جانب واحد وهو تركيا

ولذلك لم تنقيد مصر بمعظم تلك القيود ، وخاصة فيما يتعلق بعدد الجيش ،

فقد ترك هذا العدد لمقدرة الحكومة المصرية وإرادتها ، ولم يكن ثمة مراقبة على عدد الجيش المصرى

وتبين هذه الحقيقة من التأمل فى إحصاء الجيش المصرى ومقدار قوته من أواخر عهد محمد على الى عهد خلفائه لغاية الاحتلال الانجليزى ، وهاك البيان :

السنة	قوة الجيش
سنة ١٨٤٧ ( فى أواخر عهد محمد على )	٩٤٠٠٠
١٨٥٠ ( فى عهد عباس باشا الأول )	١٠١٠٠٠
١٨٥٩ ( فى عهد سعيد باشا )	٨٥٠٠٠
١٨٧٢ ( فى عهد الخديو اسماعيل باشا )	٩٢٠٠٠
١٨٧٩ ( فى أوائل عهد توفيق باشا )	٨٩٠٠٠ (١)

فيتبين من هذا الإحصاء أن مصر لم تنقيد فى عدد جيشها بالفرمانات السلطانية بل كان لها مطلق الحرية فى تحديد عدده

وكذلك استطاع الخديو اسماعيل أن يحرر مصر من معظم القيود الأخرى بفرمانات استصدرها رأسا من السلطان من غير تخابرات دولية

وغنى عن البيان أيضا أن الباب العالى كان له بمقتضى فرمانات أن يتنازل عن الحقوق التى خولتها له معاهدة لندره ، والعكس لا يجوز ، أى ليس له أن ينتقص حقوق مصر بفرمانات ، لأن هذه الحقوق مكفولة بمعاهدة دولية ، فليس للباب العالى ولا لى دولة أخرى أن تعيث بها ، وهذا ما قال به المسيو دى مارتانس

(١) رجعنا فى بيان قوة الجيش الى الإحصاءات الواردة فى كتاب تقويم النيل لأمين سامى باشا الجزء ٢ ص ٥٦٩ ، وهى احصاءات مستمدة من الدفترخانه المصرية ، وقد استخراجها الدفترخانه من دفاتر وكشوفات المعية السنية ودبوان الجهادية ( الحربية ) من سنة ١٨٠٣ الى سنة ١٨٨٢ وهى السنة التى ألغى فيها الجيش المصرى القديم عقب الاحتلال بإيعاز من الانجليز

الأستاذ بجامعة سان بطرسبرج إذ يقول : « إن فرمانات خاصة قدوسعت الحقوق والمزايا التي نالها نائب الملك ( الخديو ) بإزاء الباب العالي ، ولا يمكن من البديهي أن هذه فرمانات ليس لها قوة إلغاء أو انتقاص المركز الدولي المستقل الذي أوجده مؤتمر سنة ١٨٤٠ » (١)

### النتيجة

فركز مصر الدولي قد حددته في سنة ١٨٤٠ معاهدة لندره التي قضت بإرجاع الجيوش المصرية الى حدود مصر القديمة ، وضمان استقلالها مقيداً ومشوباً بالسيادة العثمانية ، ومصر طبقاً لهذه المعاهدة أصبحت دولة مستقلة غير مستكلمة السيادة ، والاستقلال الذي نالته منذ سنة ١٨٤٠ هو استقلال داخلي تام بكل مظاهره مضافاً اليه بعض مظاهر الاستقلال الخارجي ، مثل حق مصر في قبول ممثلي الدول الأجنبية كالتنصل والوكلاء ، وهو من مظاهر السيادة الخارجية

ولانزاع في أن قيود السيادة العثمانية التي قيدها بها معاهدة لندره هي نتيجة تأمر الدول الأوروبية على مصر وانحيازها الى تركيا ، فإذا كانت مصر لم تحقق في ذلك العصر كل أمانها وحقوقها الشرعية في الاستقلال المطلق من كل قيد فإنما يرجع ذلك إلى الاضطهاد الذي وقع عليها من الدول المتحالفة ، فالاضطهاد الأوروبي هو الذي حرم مصر ثمرة انتصاراتها ووقف كحجر العثرة في سبيل تحقيق استقلالها التام ، ولو عاملتها الدول الأوروبية سنة ١٨٤٠ كما عاملت اليونان سنة ١٨٣٠ - ١٨٣٠ لما وقع ذلك الاضطهاد ، فصر واليونان كاتاهما كانت ولاية من ولايات السلطنة العثمانية ثارت ضد السلطان في أوقات متقاربة ، والفرق بينهما أن اليونان هزمت في ميدان الحرب ، أما مصر فقد فازت وقهرت الجيوش العثمانية ، ومع ذلك كانت

(١) دي مارتانس ، المسألة المصرية والقانون الدولي سنة ١٨٨٢ ، ص ٥

النتيجة أن ساعدت الدول الأوروبية اليونان على تحريرها ، أما مصر فقد حالت أوروبا دون استقلالها التام ، وهذا من أغرب ماسمع في معرض الظلم الدولي ، ولا يخفى أن قوام الاضطهاد الذي وقع على مصر إنما هو أطماع إنجلترا وأهواؤها ، فإن الحكومة الانجليزية كما فضلنا ذلك هي التي أملت سياستها على الدول الأوروبية تحقيقاً لأطماعها الاستعمارية في الشرق

ومن الواجب أن نقول انه لولا حروب مصر المتواصلة وانتصاراتها في عصر محمد علي لما رضيت أوروبا ولا تركيا باستقلال مصر المقيد بالسيادة العثمانية ، بل لرجعت بها ولاية كسائر ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة الترك كل سنة أو سنتين ، فلولا تلك الحروب وما أظهرته مصر من القوة والمنعة لما احتفظت باستقلالها الذي نالته في ميادين القتال ، فالجهود التي بذلتها ، والدماء التي جادت بها ، والتضحيات التي احتملتها ، هي التي حفظت ذلك الاستقلال وصانته من الضياع ، فلم يعد في استطاعة تركيا ولا الدول الأوروبية أن تعيدها الى حالتها القديمة ، ولئن حرمت مصر كل ما تصبو اليه من نتائج انتصاراتها وتضحياتها ، فقد أدركت غايتين من أعظم المقاصد القومية ، فاقدت دعائم استقلالها وحققته وحدتها بضم السودان الى رقعتها ، ثم نالت مركزاً دولياً وطيداً لم يكن لها من قبل ، ومركزاً معنوياً يرفع من شأنها بين الأمم ، وإذا كانت الأمة الفرنسية تفخر بمبارك نابليون وحروبه العظيمة مع أنها لم تنل من ورائها سوى الخسران والتراجع الى ما وراء حدودها الأصلية ، وتعددها مع ذلك صفحات مجد زاهية في تاريخها القومي ، فأجدد بمصر أن تفخر بحروبها في عصر محمد علي ، تلك الحروب التي رفعت ذكرها في الخافقين ، وسارت باسمها مسير الشمس ، فضلاً عما أنتجته من تحقيق استقلالها وتوطيد دعائمها

فهذه الحروب هي اذن من أقوى دعائم الدولة المصرية المستقلة ، ومن أعظم أركان القومية المصرية ، وخاصة فتح السودان وحروب سورية والأناضول ، فإن فتح السودان قد أتم الوحدة القومية ، وحروب سورية والأناضول كانت



من أقوى المقومات المصرية ، إذ لا يخفى أنها فتحت أذهان المصريين الى أن لمصر  
شخصية منفصلة تمام الانفصال عن القومية التركية ، وجاء قيام محمد علي في وجه  
تركيا وهي وقتئذ دولة الخلافة الإسلامية تحطيا لفسكرة اندماج مصر في السلطنة  
العثمانية ، وعملا بعيد المدى كان له أثر كبير في تشييد صرح القومية المصرية

## الفصل العاشر

### دعائم الاستقلال

#### الجيش

إن الجيش هو الدعامة الأولى التي شاد عليها محمد علي كيان مصر المستقلة ، ولولاه لما تكونت الدولة المصرية ولا تحقق استقلالها ، وهو الذي كفيل هذا الاستقلال وصاله نيفا وستين سنة ، فلا غرو أن خصه محمد علي بأعظم قسط من عنايته ومضاء عزمته ، وليس في منشآت محمد علي مانال عنايته مثل الجيش المصرى ، ويكفيك دليلا على مبلغ تلك العناية أن منشآته الأخرى متفرعة عنه ، والفسكرة فى تأسيسها أو استحداثها إنما هى استكمال حاجات الجيش ، فهو الأصل وهى التَّبَع ، فتقرير محمد علي بأشياء لإنشاء مدرسة الطب مثلا يرجع فى الأصل إلى تخريج الأطباء الذين يحتاج إليهم الجيش ، وكذلك دور الصناعة ومصانع الغزل والنسيج ، كان غرضه الأول منها توفير حاجات الجيش والجنود من السلاح والذخيرة والسكاه ، واقتضى إعداد الأماكن اللازمة لإقامة الجنود بنساء الثكنات والمعسكرات والمستشفيات ، واستلزم تخريج الضباط لإنشاء المدارس الحربية على اختلاف أنواعها ، وكذلك المدارس الملسكية كان الغرض الأول منها تثقيف التلاميذ لإعدادهم على الأخص لأن يكونوا ضباطا ومهندسين ، وإرسال البعثات إلى أوروبا كان الغرض الأول منه توفير العدد الكافى من الضباط ومن الأسانذة والعلماء والمهندسين من يتصلون عن بعد أو قرب بالأداة الحربية ، صحيح أن هذه المنشآت وغيرها كان لها أغراض عمرانية أخرى ، لكن خدمة الجيش كانت أول ما فكر فيه محمد علي

فالجيش إذن فضلا عن مهمته الأولى من الدفاع عن استقلال البلاد كان أداة لتقدم العمران في مصر ، فهو من هذه الوجهة من أجل أعمال محمد على باشا

وكل ما بذل من الجهود والنفقات في سبيله قد أصاب حقه وموضعه ، فلم يكن عبثاً ولم يضع سدى ، إذ من المحقق أنه لولا قوة هذا الجيش لصاع الاستقلال الذي نالته مصر في عهده ، ولا استردت تركيا امتيازاتها القديمة في البلاد واتخذتها ولاية تحكمها مباشرة كما تحكم سائر ولايات السلطنة العثمانية ، أو لاحتلتها إنجلترا بجيوشها عندما ألبت عليها الدول الأوروبية وجردت عليها قواتها البحرية والبرية في سورية وعلى السواحل المصرية ، ولو لم يكن هذا الجيش متأهباً للقتال ذائداً عن الوطن لاستطاعت إنجلترا أن ترمى السكناة بجنودها ، ولاحتلتها كما فعلت سنة ١٨٨٢ ، حين لم يكن ثمة جيش ولا دفاع ، ولا معاقل لحماية الذمار

### مشروع تأسيس الجيش النظامي

أخذ محمد على باشا يؤسس الجيش المصري النظامي منذ سنة ١٨٢٠ ، وكان الجيش قبل ذلك العهد أخلاطاً من العناصر المفطورة على التمرد والفوضى يطلق عليهم لفظة (باشبوزق) أي الجنود غير النظاميين ، ومثل هذا الجيش لم يكن جديراً بالاعتماد عليه في رفع هيبة مصر والدفاع عن كيانها وتوسيع حدودها ، لذلك ما فتى محمد على منذ تبوأ عرش مصر يفسكر في إنشائه جيش على النظام الجديد

ولسكن الظروف لم تكن تواتيه ، فكان يؤجل إنفاذ فكرته إلى أن تحين الفرصة المناسبة ، وقد لاقى صعوبات كبيرة في تحقيقها ، لأن الجنود غير

النظاميين الذين كانوا يهتفون منهم الجيش القديم كانوا معتادين الفوضى والعصيان ،  
ويكرهون كل نظام

### المحاولة الأولى لتنفيذ المشروع وإخفاؤها

سنة ١٨١٥

وقد حاول لأول مرة إنفاذ فكرته سنة ١٨١٥ بعد عودته من حرب  
الوهابيين ، واماكن هذه المحاولة أخفقت وكادت تؤدي بمركزه لولا أن عدل عنها  
وأرجأها إلى وقت آخر

ذلك أنه لما عاد من الحجاز أمر بتدريب فرقة من جنود ابنه اسماعيل باشا  
على النظام الحديث ، وذهب هو لهذا الغرض إلى بولاق ( أغسطس سنة ١٨١٥ ) ،  
وأعلن رغبته في إدخال النظام الجديد في صنفهم ، وصارحهم بأن من لم يذعن لهذا  
النظام يعاقب على تمرده ، ولما عاد إلى شبرا تذر الجند من هذه الأوامر وأرجفوا  
بها ، فانتهز بعض رؤسائهم هذه الفرصة ليأتمروا بمحمد علي ، ويسبوا في خلعه ،  
وكادت تغلح المؤامرة لولا أن القوم أنضوا باتفاقهم إلى عابدين بك أحد رؤساء  
الارناؤود وكان قد عاد من الحجاز مريضاً ، فتوسم فيه المتآمرون الموافقة على  
مؤامرتهم وأجمعوا على أن يهاجموا محمد علي في قصره بالأزبكية ، فأفضى عابدين بك  
إلى محمد علي بهذا السر ، فبارح قصره وذهب إلى القلعة في منتصف الليل ، ودخلها  
من طريق باب الجبل ، وبالرغم من ذلك تنوفاً للمتمردون إلى ميدان الأزبكية  
وتبادلوا وحرس السراي إطلاق الرصاص ، فوقعت فتنة تشبه فتنة الجندي سنة ١٨٠٧ ،  
غير أنها كانت أوسع مدى وأعظم خطراً ، فلما لم يجدوا بغيتهم ذهبوا إلى ميدان  
الرمية ، ومن هناك انحطوا على الأسواق ينهبون ويسلبون ( ٣ أغسطس سنة  
١٨١٥ ) ، وقد نذر محمد علي بالحزم والحكمة في معالجة هذه الفتنة حتى أخذها ،

وأرجأ النظام الجديد في الجيش إلى وقت حتى يهيأ له وسائله ويتغنى ذرائعه

### رواية الجبرتي

ذكر الجبرتي نبأ محاولة محمد علي إدخال النظام الجديد في الجيش في رواية طويلة نوردها لما فيها من تأكيد لما قلناه ، وتفصيل لما أجملناه ، قال في حوادث ٢٥ شعبان سنة ١٢٣٠ ( ٢ أغسطس سنة ١٨١٥ ) :

وأمر الباشا جميع العساكر بالخروج إلى الميدان لعمل التعليم والراحة خارج باب النصر حيث قبة العزب ، فخرجوا من ثلث الليل الأخير . وأخذوا في الراحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود ، على طريقة الافرنج ، وذلك من قبيل الفجر إلى الضحوة ، ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين إلى المدينة في ككببة عظيمة ، حتى زحموا الطرة ، فنجحوا من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا من الناس بنجولهم ، بل وحميراً أيضاً ، وأشيع أن الباشا قصده إحصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الافرنج ، ويلبسهم الملابس المقمطة ، ويغير شكلهم ، وركب في ثلث يوم إلى بولاق وجمع عساكر ابنه إسماعيل باشا وصفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد ، وعرفهم قصده ، وفعل ذلك بجميع العساكر ، ومن أبي ذلك قابله بالضرب والطرده والنفي بعد سلبه حتى ثيابه ، ثم ركب من بولاق وذهب إلى شبرا ، وحصل في العسكر قلقلة ولغط ، وتناجوا فيما بينهم ، وتفرق الكثير منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم على النفور بعض أعيانهم ، وانفقوا على غدر الباشا ، ثم إن الباشا ركب من قصر شبرا وحضر إلى بيت الألبانية ليلة الجمعة ثامن عشرينه ، وقد اجتمع عند عابدين بك بداره جماعة من أكابرهم في وليمة وفيهم حجو بك وعبد الله أغا صاري جلة ، وحسن أغا الأزرجالي ، فتفاوضوا بينهم في أمر الباشا وما هو شارع فيه ، وانفقوا على الهجوم على داره بالألبانية في الفجر ، ثم إن عابدين بك غافلهم وتركهم في أنفسهم ، وخرج متنكراً مسرعاً إلى الباشا ،

وأخبره ورجع إلى أصحابه ، فأسرع الباشا في الحال إلى الركوب في سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه ، وأحاط المنزل بالعساكر ، ثم أخلف الطريق وذهب إلى ناحية الناصرية ومرمى النشاب ، وصعد إلى القلعة ، وتبعه من يثق به من العساكر ، وانحزم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع عن عزمهم ، فساروا إلى بيت الباشا يريدون نهبه ، فأنعمهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل بينهم أشخاص ولم ينالوا غرضاً فساروا إلى ناحية القلعة واجتمعوا بالرماية وقراميدان ،

ثم ذكر الجبرتي تفاصيل تمرد الجند وانسياهم في الأسواق منهمهم الدكاكين والمتاجر وإحداثهم من الشعب والاعتداء على أموال الناس وبضائعهم وإخلاقهم بالنظام ما جعل سكان العاصمة يضجون من مساوئهم

#### موقف محمد علي إزاء الجيش القديم

قلنا إن محمد علي باشا قابل هذه الحركة بالحلم والأناة ورجاحة العقل ، وقد استغلها لخدمة مشروعه في إنشاء جيش على الطراز الحديث قوامه النظام والطاعة ، ذلك أنه بادر إلى إظهار استيائه مما أحدثه الجنود المتمردون ، وقرر دفع تعويض لجميع التجار الذين نهب دكاكينهم ، وعهد بتقدير ذلك إلى السيد محمد المحروقي كبير التجار ، ودفعت الحكومة فعلاً التعويضات<sup>(١)</sup> لمن وقع بهم النهب والاعتداء ، فلهج الشعب بالثناء على محمد علي باشا وسخطوا على الجنود المتمردين ، وكان في هذا العمل أكبر دعاية للنظام الجديد ، وأخذ الباشا يهيء الوسائل لإدخال ذلك النظام ، ولسكنه لم يبدأ به إلا سنة ١٨٢٠ ، وهذا يدل على أناته وبعد نظره ،

(١) يقول مختار باشا في كتابه التوفيقات الإلهامية ص ٦١٥ أنها بلغت نيفاً

وقد مهد لذلك بتشتيت الجنود غير النظامية وإخراجهم من العاصمة حتى لا يكون احتشادهم فيها مدعاة لمردهم وتجديد الفتن ، فوزعهم على الثغور الواقعة على البحر الأبيض المتوسط كرشيد ودمياط ، وبعض البلاد القائمة على فرعى النيل ، ولسكيلا يسبق إلى قلوبهم أنه يقصد تشتيتهم أو معاقبتهم أمر بأن يرافقهم في معسكراتهم الجديدة بعض أبنائه كطوسون باشا و اسماعيل باشا ، ورؤساء جنده مثل محو بك وغيره ، وأمر بإقامة ثكنات في البلاد التي أعدها لإقامتهم

### رواية الجبرتي

قال الجبرتي في هذا الصدد : « وفي عاشر محرم سنة ١٢٣١ - ١٢ ديسمبر سنة ١٨١٥ - رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية ، وأول ما بدأ به إخراج العساكر مع كبرائهم إلى ناحية بحري و جهة البحيرة والثغور ، فنصبوا خيامهم بالبر الغربي والشرقي تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحتهم ومدافع وبارودا وآلات الحرب ، واستمر خروجهم في كل يوم ، وذلك من مكايده معهم ، وإبعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة ، فخرجوا أرسالا ، واستهل شهر ربيع الأول سنة ١٢٣١ وفيه سافر طوسون باشا وأخوه اسماعيل باشا إلى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد و ناحية أبي منصور (١) ، وحسين بك دالي باشا وخلافه مثل حسن أغا أزرجنلي ومحو بك وصارى جله وحجو بك جهة البحيرة ، وكل ذلك توطين وتليبس للعساكر بكونه أخرج حتى أولاده العزاز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم إلى جهة البحر الشرقي ودمياط ،

وقال عن بناء الثكنات للجنود الذين شتتهم محمد علي بالأقاليم : « إن الباشا

(١) هي التي يقال لها اليوم أبو مندور من أعمال مركز دسوق والتي كان لها شأن

في وقائع الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ انظر ص ٦٥

أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر بالأقاليم يسمونها القشلات بكل جهة من أقاليم الأرياف لسكن العساكر المقيمين بالنواحي لتضرهم من الإقامة الطويلة بالخيام في الحر والبرد واحتياج الخيام في كل حين إلى تجديد وترقيع وكثير خدمة ، وهي جمع قشلة بكسر القاف وسكون الشين ، وهي في اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء في لغتهم يسمى قش بكسر القاف وسكون الشين ، فكتب راسم إلى النواحي بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللبن ثم حرقه وحمله إلى محل البناء ، وفرضوا على كل بلد وقرية فرضا وعددا معيننا يفرض على القرية مثلا خمسمائة ألف لبنة أو أكثر بحسب كبر القرية وصغرها ، فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى ، ثم يفرض على كل شيخ قدرا وعددا من اللبن عشرين ألفا أو ثلاثين ألفا أو أكثر أو أقل ، ويلزم بضرها وحرقها ورفعها ، وأجلهم مدة ثلاثين يوما وفرضوا على كل قرية أيضا مقادير من أفلاق النخل ومقادير من الجريد ثم فرضوا عليهم أيضا أشخاصا من الرجال لمحل الأشغال والعمائر يستعملونهم في نقل أدوات العمارة في النواحي حتى الاسكندرية وخلافها ، ولهم أجرة أعمالهم في كل يوم لكل شخص سبعة أنصاف فضة لا غير ، ولما يعمل اللبن أجرة أيضا ، ولئن الأفلاق والجريد قدر معلوم لكنه قليل .

### البدء في تنفيذ المشروع

سنة ١٨٢٠

عاد محمد على إلى تحقيق مشروعه سنة ١٨٢٠ ، فاعتزم فتح مدرسة حربية في ( أسوان ) لتخريج ضباط الجيش . وكان من الضروري لإدخال النظام الجديد أن يختار ضباطا ومعلمين على بصيرة بأساليب ذلك النظام ، ولا مندوحة أن يكونوا من الأوروبيين ، لأن هذه الأساليب كانت مجهولة في الشرق إلى ذلك الحين ، وقد وجد محمد على عضدا كبيرا في ضباط فرنسي عظيم من ضباط الامبراطورية



انابليونية وهب نفسه لخدمة مصر وتقدمها ، وهو السكولونل سيف Seves الذي عرف بعد ذلك بسليمان باشا الفرنساوى ، فاليه يرجع الفضل الأكبر في معاونة محمد علي وموارزته في تأسيس الجيش المصرى على النظام الجديد ، بحيث صار يضارع أرقى الجيوش الأوروبية . وبرهن في ميادين القتال على أنه لا يقل عنها دربة وكفاية

سليمان باشا الفرنساوى

سنة ١٧٨٧ — ١٨٦٠

هو السكولونل سيف Seves ، وهو فرنسى الأصل ولد في ليون سنة ١٧٨٧<sup>(١)</sup> ، وكان أبوه صاحب مصنع في المدينة ، ودخل في مهمة البحرية وحضر واقعة الطرف الأغر ثم انتظم في سلك الجيش البرى وقاتل في حروب نابليون وارتقى في المراتب العسكرية حتى بلغ رتبة كولونل ( أميرالاي ) ، ولما انتهى عهد نابليون قضى على السكولونل سيف بالخروج من الجندية وانقطع للتجارة والزراعة ، ثم طلب إلى صديق له وهو السكونت دى سيجور السعى لدى شاه العجم في أن يعهد اليه تنظيم جيشه ، فنصحته بالذهاب إلى مصر ، فخامها سنة ١٨١٩ . وقابل محمد علي فأعجب به وعهد اليه تنظيم الجيش المصرى على الأساليب الحديثة فكان له الفضل الكبير في الاضطلاع بهذه المهمة كما تراه مفصلا في سياق الكلام ، وقد اعتنق الإسلام في مصر واختار لنفسه اسم سليمان فصار يعرف بسليمان بك واشترك في حرب المورة ثم في حرب الشام والأناضول كما فصلناه في موضعه

(١) كادلفين وبارو — سنتمان من تاريخ الشرق ( سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١ )

وأنعم عليه محمد على سنة ١٨٣٤ بالباشوية عقب الحرب السورية الأولى فعرف من ذلك الحين بسليمان باشا الفرنساوى ، واشترك في الحرب السورية الثانية ، وقد عين رئيساً عاماً لرجال الجهادية أياً للجيش المصرى واحتفظ بهذا المنصب في عهد إبراهيم وعباس الى سعيد باشا ، وتوفى في سنة ١٨٦٠ ، وهو المقام له تمثال في ميدان سايمان باشا بالقاهرة

### المدرسة الحربية الأولى بأسوان

جاء الكولونل سيف الى مصر كما قدمنا ، فلما آنس منه محمد على باشا الكفاءة لتعميق مشروعه أنفذه سنة ١٨٢٠ الى أسوان لتكوين النواة الأولى من الجيش ، وبدأ في العمل بأن قدم اليه خمسمائة من خاصة مماليكه ليديربهم على أن يكونوا ضابطاً في النظام الحديث ، وطلب الى بعض رجاله أن يحذوا حذوه ويقدموا من عندهم من المماليك ، فاجتمع لدى الكولونل ( سيف ) ألف من هؤلاء واولئك أخذ يديربهم مدة ثلاث سنوات على فنون الحرب وأساليبها الحديثة ، فصاروا نواة الجيش النظامى إذ تكونت منهم الطائفة الأولى من الضباط

وقد اختار محمد على ( أسوان ) لتخريج الطائفة الأولى من ضباط الجيش رجاءً أن ينفذ مشروعه بعيداً عن الدسائس والأنظار معا ، والى يتم في رهينة وسير دون أن يلتفت اليه الناس ، فاذا نجح فالنجاح ، وان أخفق لايسكون لآخفاقه رد فعل يزعزع مركز محمد على ، وكان ذلك من دلائل بعد نظره وفراسته ، وبما رغبه أبضاً عن القاهرة خشية أن يكون تعليم التلاميذ على يد ضباط أوروبى مشاراً لحياج الخواطر فيها ، وخاصة بين الجنود غير النظاميين الذين كانوا ينفرون من كل نظام جديد ، ثم لئلا يكون التلاميذ بمنجاة من أسباب اللهو بعبيدين عن أماكنه فلا يفسد عليهم الأخلاق الحربية ، فاختر لهم كما قلنا مدينة ( أسوان ) ، وأنشأ بها اربع ثكنات فسيحة لأقامتهم ولتكون مدرسة لهم ، وقد عنى محمد على بأمر هذه المدرسة

وتنظيمها وإمدادها بما تحتاجه من الأدوات والأسباب ، فهي أول مدرسة حربية  
انشأها لتكوين الجيش المصرى النظامى

وقد ذكر المسيو فولابل<sup>(١)</sup> وكوت بك<sup>(٢)</sup> أن الكولونل (سيف) لقي صعوبات  
كبيرة فى تدريب أولئك الشبان على الاساليب الحديثة ، لان قوام هذه الاساليب  
النظام والطاعة المطلقة للرؤساء ، والمماليك اعتادوا الصخب والضوضاء والإخلال  
بالنظام ، ولم يألفوا من الحركات العسكرية سوى الكر والفر ، فكان النظام  
والسكون اللذان لامندوحة عنهما أثناء المناورات والتمرينات العسكرية مما لا يروق  
لهم ، أضف الى ذلك انهم لم يعتادوا أن يتعلموا فنون الحرب على ضباط أوروبيين  
(مسيحيين) ، فحاشت نفوسهم بفكرة التمرد والعصيان ، ودبروا المؤامرات للفتك  
بالكولونل سيف على مثال مؤامرات المماليك لاغتيال بكواتهم القداماء ، فبينما  
كان ذات يوم يمرن أولئك الشبان على ضرب النار اذا بأحدهم قد رماه برصاصة  
كادت ترديه ، لولا انها انحرفت ومرت بجانب أذنه ، وسمع صفيرها ، فلم يتزعزع  
ولم يفقد شيئاً من شجاعته ورباطة جأشه ، بل استمر فى عمله وأمر التلاميذ بإطلاق  
النار كرتة جديدة

وحدث مرة أخرى أن نزع تلاميذه الى العصيان وتهددوه بالقتل ، فطلب  
اليهم أن يبارزوه متعاقبين واحداً تلو الآخر حتى لا يدنسوا أنفسهم بالخيانة والغيلة ،  
فكان لهذه الشجاعة والبطولة وسعة الصدر تأثير سحرى فى نفوس أولئك نقتيان  
الذين مهما يكن ما اتصفوا به من الغدر فاهم يقدرون الشجاعة حق قدرها ، فبعد  
ان كانوا ناقمين عليه صاروا من خاصة أوليائه يحيطونه باعجابهم وإجلالهم ، فتمكن  
الكولونل ( سيف ) من إتمام تعليمهم فى مدى ثلاث سنوات

واستمر على هذا النحو الى أن تكونت من تلاميذه الهيئات الأولى من الضباط

(١) فى كتابه مصر الحديثة جزء ٢ ص ٢٤٩

(٢) فى كتابه (لمحة عامة الى مصر) ج ٢ ص ٣١٩

وقد كان ابراهيم باشا يصحب أحيانا الكولونل سيف في اسوان ، وكان لوجوده تأثير كبير في حمل الشبان على الطاعة واتباع النظام الجديد يؤخذ من البيانات المتقدمة أن أول مدرسة حرية للجيش النظامي هي مدرسة أسوان ، وقد ذكر العلامة على باشا مبارك<sup>(١)</sup> ضمن كلامه عن مدينة اسوان مايلي : وعلى نحو ثلثي ساعة من جهتها البحرية قصر وبستان من إنشاء محمد بك لاطاوغلى سنة ١٢٣٨ هـ مدة اقامته بها من العساكر الجهادية الذين جعل العزيز محمد على عليهم سليمان باشا الفرنساوى لتعليمهم القوانين الافرنجية العسكرية ، وكان بقرب ذلك البستان قشلاق لاقامة ضباط العساكر ، ثم جعل مكتبا للتلامذة على طرف الميرى ، فالقشلاق الذى ذكره على باشا مبارك هو المدرسة الحربية بأسوان التى تكونت فيها نواة الجيش النظامي

### التجنيد

وبعد أن توفر العدد الكافي من الضباط أخذ محمد على يفسر في حشد الجنود وتنظيم صفوفهم ، وهنا نشأت صعوبة جديدة ، وهى طريقة اختيار الجنود ومن أى الطبقات يحشدهم لم يشأ فى المبدأ أن يجند الأتراك ولا الأرنامود فى النظام الجديد ، لما فطروا عليه من حب الشعب والنفور من النظام ، والرغبة عن الطاعة ، فأعرض عنهم ، ولم يشأ أيضا أن يفاجىء المصريين بتجنيدهم حتى لا يثير الهياج فى البلاد لأنهم لم يعتادوا التجنيد من عهد المماليك ، فخشى إذا هو عجل بحشدهم أن يعدوا بذلك عبثاً جديداً يشغل كاهلهم فوق أعباء الضرائب والاتاوات التى كانوا ينومون بها ، وخشى من جهة أخرى أن يؤدي تجنيدهم إلى حرمان مصر من قيامهم على الزراعة فتسوء

(١) المخطط الترفيقيّة الجزء ٨ ص ٦٧

حالة البلاد الاقتصادية وتزداد ضنكا على ضنك ، ففكر أولا في تجنيد السودانين من سكان كردفان وسنار ، وقد تقدم القول بأن من بواعث فتح السودان تجنيد أهله في الجيش المصرى ، ولقد هدى إلى إبنه اسماعيل باشا وصهره الدفتردار أن يرسل إليه حشدا من السودانين يجمعان له ما وسعهما الجمع . فجاءه منهم نحو عشرين ألفا وأنفذهم إلى بنى عدى (١) حيث بدىء في تدريبهم هناك على النظام الحديث على يد الضباط المماليك الذين نخرجوا من مدرسة أسوان ، وأعدت الحكومة لإقامتهم وتدريبهم الشكنات السكافة والمؤن والمستشفيات والأسلحة والملابس ، وبذل محمد على في هذا السبيل كل ما أوتي من قوة العزيمة والقدرة على التنظيم

وقد أشار على باشا مبارك إلى هذه الشكنات في كلامه عن بنى عدى (٢) بقوله :  
« وبها أثر قصر كان بناه محمد لآل أوغلى مدة إقامته هناك بالعساكر بعد قيامهم من ناحية أسوان ، ، فلا بد أن يكون هذا القصر الذى بقى أثره إلى حين تأليف الخطط التوفيقية ( ١٣٥ هـ - ١٨٨٧ ) أحد المباني التى أقيمت فى بنى عدى حينما شرع محمد على فى اتخاذها مكانا لتدريب الجنود على النظام الحديث ، ومحمد لآل أوغلى الذى يذكره على باشا مبارك هو كتنخدا ( وكيل ) محمد على باشا ، فهو إذن قد أقام هذا القصر بأمر من مولاه

على أن تجربة تجنيد السودانين لم تصادف النجاح المرغوب ، فان معظمهم وقع فيهم الموتان لعدم موافقة جو مصر لمزاجهم وصحتهم ، ولأنهم لم يطبقوا أعباء الخدمة العسكرية ، فأخذ محمد على يفكر فى الالتجاء إلى تجنيد المصريين ، وأنشأ شكنات لتدريب المجندين منهم فى فرشوط عدا ما أنشأه فى أسوان وبنى عدى

( ١ ) بالقرب من منفلوط وهى التى ذكرناها فى الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٤٢٠ وتسمى الآن بنى عديات  
( ٢ ) الخطط التوفيقية جزء ٩ ص ٩٤

وفي يناير سنة ١٨٢٣ تألفت الأورط الست الأولى من الجيش النظامي، وجعل المهاليك الذين تخرجوا من مدرسة أسوان باطالها، ومضت سنة ١٨٢٣ ثم الأشهر التالية إلى يونيو سنة ١٨٢٤ في إتقان تدريب تلك الأورط، فاغتبط محمد علي بهذه النتيجة الأولى، وأراد أن يشهد بنفسه مبلغ نجاح مشروعه، فأمر بنزول الأورط النظامية إلى القاهرة وعرضها في (الخانكة)، وكانوا عدة آلاف من المشاة (الزيادة) شاكي السلاح كاملی العدة قاموا بمناورات - ريبة أثبتوا فيها دربتهم وحسن نظامهم، فأعجب بهم محمد علي واغتبط بنجاح مسعاه، وأنشأ معسكراً عاماً للجيش في (الخانكة) <sup>(١)</sup> كان يحتوي دواما من ٢٠ إلى ٢٥ ألفاً من الجنود النظاميين، وصارت الخانكة وأبو زعبل مباءة للتعليم العسكري وما إليه، ففي أبي زعبل أنشئ المستشفى العسكري الأول، ثم مدرسة الطب، وأنشئت المدرسة الحربية للمشاة ومدرسة أركان الحرب في الخانكة

واعترم تجربة جنوده النظاميين في ميادين القتال، فأنفذ الأورطة الأولى إلى الحجاز حيث كانت الثورات لاتخمد جذوتها، والثانية إلى السودان، والأربع الأخرى إلى بلاد (الموره) لمحاربة اليونانيين تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا ومن الحق أن نعترف أن محمد علي لاقى صعوبات جمة في تجنيد الأهلين، وحدث بسبب تدمرهم من التجنيد بين تغاب عليها بالحزم والحكمة: ففي سنة ١٨٢٤ (١٢٤٠ هجرية) جاء القصير مغربي يسمى أحمد بن ادريس قادما من الحجاز فوقعت مشادة بينه وبين عمال الجرك على مكوس فيضوها على أمتعته، فسار إلى قنا ثم إلى إسنا، وحرص الأهالي هناك على الفتنة وكانوا مستعدين للمهاج لتدمرهم من التجنيد، وانضمت اليه الجموع الصاخبة وسار بهم إلى فرشوط، وكادت تستفحل الفتنة لولا أن الحكومة جردت عليهم القوات الكافية فشتتت جمعهم وطاردتهم إلى الجهات الصحراوية

(١) ويسمى معسكر (جهاد آباد) وموقعه بجوار الخانكة - هامش الطبعة الثالثة

و ترجع المصاعب في التجنيد الأهالى إلى أنهم كما قدمنا لم يألفوا الخدمة العسكرية ولم يكونوا مكلفين بها في عهد المماليك ، وهذا نقص كبير في أخلاق الشعب الحربية ، فانه ما من أمة تنزع إلى الاستقلال وتقدر الحرية إلا وتجعل الخدمة العسكرية فرضا حتما على أبنائها في طبقاتهم كافة ، فلما شرع محمد على في تجنيد المصريين قال الفلاحون هذا المشروع بالنفور والسخط ، ولم ينتظموا في صفوف الجندية إلا مكرهين ، فكانت الحكومة تقبض على المجندين وتسوقهم قسرا إلى المعسكرات ، ومن الأسف أنه مازالت كراهية التجنيد باقية في نفوس معظم طبقات الشعب إلى عصرنا هذا (١٩٣٠) ، فالتعلمون بكرهون التجنيد ويفرون منه ، والسواد الأعظم من الأمة يتحاماه ويمقته ، وكل من يطلب للتجنيد يود أن يفتدى نفسه بما يستطيع من المال ، ولا يمكن تدارك هذا النقص إلا إذا تقدمت الطبقات المتعلمة وأعطت المثال للطبقات الأخرى في احترام التجنيد والإقبال عليه باعتبار أنه واجب وطنى عام ، ومالم يتقدم المتعلمون والموسرون إلى الانتظام في سلك التجنيد فلا يجمل بنا أن نلوم الفلاحين على نفورهم منه ، لأنهم إذ يرون المتعلمين يترفعون عن الخدمة العسكرية فلهم العذر أن يتروهموا أنها سخرة تبلى بها الطبقات الفقيرة ، وهذا الوهم يفسد الروح القومية والحرية في طبقات الشعب

ولا يغيب عنك أن نجاح تجربة تجنيد المصريين في عهد محمد على وما برهن عليه الجيش من الكفاية والنظام يدل على مبالغ استعداد الأمة المصرية لأن تكون أمة حربية ، ويكفيك أن تتأمل في ما كان عليه الجيش من الفوضى والتأخر حينما كان مؤلفا من الأرنؤوط وغيرهم من أخلاط السلطنة العثمانية ، وكيف استعصى على محمد على أن ينشئ من تلك العناصر جيشا نظاميا ، وكيف انقاد له ذلك حينما اعتمد على المصريين دون سواهم ، فألف منهم الجيش الذى تردد ذكره في الخفاقين لما ناله من الانتصارات الباهرة في ميادين القتال

وجد إذن محمد على صعوبة كبيرة في تطبيع المصريين على نظام التجنيد ، على أنه وفق في مسعاه بفضل المثابرة وقوة العزيمة ، ولأن الفلاحين بعد أن كانوا

متهيئين من التجنيد رأوا الحياة العسكرية أرفق وأحسن حالا من معيشتهم في القرى  
طعاماً ولباساً ومظراً ، فأخذوا يالفونها ويعتزون بها

قال المسيو موريه Mouriez في هذا الصدد : « لما انتظم الفلاحون في صفوف  
الجيش النظامي ألفت بسرعة حياتهم الجديدة ، وبعد أن كانوا معتادين الذل والمسكنة  
في قرانهم استشعروا تحت راية الجيش بكرامتهم الانسانية ، وأخذوا يفخرون بأنهم  
جنود محمد علي ويقابلون غطرسة الترك بثباتها ، ولم يقبلوا أن يسموا فلاحين  
وعدوها تصغيراً لشأنهم لأن هذه التسمية كانت تشعر ( وقتئذ ) بشيء من المهانة ،  
ونالوا من الحكومة أمراً أن لا ينبرهم أحد بكلمة فلاحين .

ولما اتسعت دائرة التجنيد استدعى محمد علي من فرنسا طائفة من كبار الضباط  
ليعاونوه على تنظيم الجيش المصري ، فتكونت طوائف الضباط المصريين على يد  
المعلمين الأوربيين ، وأرسل طائفة من الشبان الى أوروبا لإتمام دروسهم الحربية  
هناك ، فعادوا الى مصر بعد أن حذقوا العلوم والفنون العسكرية ، وحلوا في  
المدارس الحربية محل المعلمين الأجانب ، وإذا تأملت في البعثات التي أوفدها محمد  
علي إلى أوروبا وجدت معظم أفرادها قد تخصصوا للفنون الحربية وما إليها من  
الهندسة والرياضيات

## المدارس الحربية

### مدرسة أسوان

قلنا ان مدرسة ( أسوان ) هي أول مدرسة حربية أسسها محمد علي باشا على  
النظام الحديث ، وقد أسست مدرسة حربية أخرى في فرشوط ، ومثلها في النخيلة  
وأخرى في أبار ( جرجا )



### مدرسة قصر العيني

وأنشئت سنة ١٨٢٥ مدرسة إعدادية للتعليم الحربى بقصر العيني ، كانت تعرف بالمدرسة التجهيزية الحربية ، وعدد طلبتها نحو ٥٠٠ تلميذ يعدون لدخول المدارس الحربية والمدرسة البحرية ثم للمدارس العالية الأخرى ، ونقلت إلى أبى زعبل بعد أن خصص قصر العيني لمدرسة الطب ، وقد زارها المارشال مارمون سنة ١٨٣٤ ، فأوفى بها من التلاميذ ١٢٠٠ تلميذ (١)

ويقول المسيو مانجان (٢) إن هذه المدرسة مكتبة كانت تحوى ( سنة ١٨٢٧ )  
١٥٠٠ مجلد

### مدرسة المشاة بالخانكة ثم بدمياط ثم أبى زعبل

وجه محمد على عنايته لتنظيم فرق المشاة ( البيادة ) فى الجيش المصرى ، وأنشأ لتخريج ضباط هذه الفرق مدرسة حربية فى ( الخانكة ) على أحدث نظام ، بلغ تلاميذها ٤٠٠ تلميذ قسموا إلى ثلاثة بلوكات ، يتعلمون فيها التمرينات والادارة الحربية ، واللغات العربية والتركية والفارسية ، ثم نقلت المدرسة إلى دمياط سنة ١٨٣٤ وكان ناظرها ضابطا من مقاطعة البيمونت بايطاليا واسمه المسيو بولونيني Bolognini كان من ضباط الامبراطورية النابليونية فاستخدمه محمد على ورفاه إلى رتبة قائممقام ، ثم نقلت المدرسة إلى أبى زعبل سنة ١٨٤١

(١) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ٣١٢

(٢) ج ٣ ص ١

### مدرسة الفرسان بالجيزة

ذكر كلوت بك في كتابه (١) أن تشكيل فرق الفرسان في الجيش المصرى لم يبدأ بحسب النظام الجديد إلا بعد عودة الجيش من حرب الموره ، ذلك أن ابراهيم باشا قد شاهد في خلال هذه الحرب حسن نظام الخيالة الفرنسيين فأدرك أهمية تنظيم الفرسان ، وعلى أثر عودته الى مصر شرع في تشكيل فرق الخيالة على النظام الأوروبى واستدعى لهذا الغرض عددا من المعلمين الأوربيين

أنشئت المدرسة الحربية للفرسان بالجيزة في قصر مراد بك (٢) فحول الى ثكنة جميلة للفرسان ، وتولى تنظيم المدرسة المسيو فازان Varin من ضباط الأباطورية الثابليونية ياور المارشال جوفيون سانسير Gouvion Saint Cyr . وتلاميذها من الشبان يتعلمون مناورات الفرسان وحركات المشاة ويلبسون أكسية تطابق ملابس الفرسان الفرنسيين ماعدا القبعة ، ويتولى التدريس في هذه المدرسة ضباط لقيادتهم ومدرسون يدرسون لهم اللغتين العربية والتركية

وكانت المدرسة تتبع نظام مدرسة سومور Saumur الحربية بفرنسا إلا بعض تعديلات طفيفة استلزمها الظروف المحلية ، وفيها أساتذة لتعليم اللغة الفرنسية والرسم والمبارزة وترويض الخيل ، وفيها رئيس للإدارة الحربية ، ويتعلم فيها الطلبة فوق ما تقدم استعمال النفير وسائر ضروب الموسيقى المستعملة في فرق الفرسان ، وطلبها خليط من الشبان المصريين والتركي يتخرجون منها ضباطا لفرق الفرسان ، وكان لهذه المدرسة ناظر يقوم على النظام فيها ، وله توقيع الجزاءات على من يستحقون العقاب من رؤوسيه ، وتوزيع الأغذية والعلف . ويتصل بناظر

(١) لمحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٣٢٤

(٢) انظر ما كتبه عن هذا القصر بالجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ،

## الحرية ويتبع أوامره

وقد زار المارشال مارمون هذه المدرسة سنة ١٨٣٤ وكان بها إذ ذاك ٣٦٠ تلميذا فأعجب بها وكتب عنها في رحلته ما يلي: (١)

« عندما شاهدت هؤلاء الطلبة في الميدان يقومون بالمناورات خيـالـيـة لي أنى أمام طابور من أبقـى الايات الخيـالـة عندنا ، ولئن كان ينقص المـاـرـة لتصل الى درجة الكمال بعض دروس في اللغة والرسم وغير ذلك ولاسكن مما لا نزاع فيه أنها من جهة تنظيم فرق الفرسان لا ينقصها شيء ، فالطلبة يجسدون ركوب الخيل ، والمناورات التي يقومون بها تجرى بخفة ودقة وإحكام ، ونظامهم وهندامهم على أحسن ما يكون ، والروح المعنوية فيهم على ما يرام ، فهم جنود بكل معاني الكلمة ، وحسلة الأبواق يؤدون عملهم بإتقان ،

## مدرسة المدفعية بطرّه

شكلت المدفعية النظامية في الوقت الذي نظمت فيه المشاة على الطراز الحديث ، وتولى تنظيمها جماعة من الضباط الفرنسيين ، وعاونهم في العمل ضباط من المصريين وفي مقدمتهم الضابط القدير ادوم ( باشا ) الذي أسس ترسانة القلعة وتولى إدارة المهات الحربية ثم رئاسة ديوان المدارس ( وزارة المعارف العمومية ) وانشئت في ( طره ) مدرسة حربية للطوبجية ( المدفعية ) تولى ادارتها ضابط اسباني يدعى السكولونل ( الميرالاي ) الدون انطونيو دي سيجرا Seguera ، وهو الذي عرض على محمد علي إنشاءها لتخريج ضباط المدفعية للجيش المصري ، وعرض مشروعه أيضا على ابراهيم باشا قائد الجيش العام فنال تأييده ، ومن ثم انشئت

(٣) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ٢٨٨

المدرسة على الوضع الذي اقترحه الميرالاي سيجيريا ، وقد ذكر العلامة على باشا مبارك هذه المدرسة في كلامه عن ( طره ) فقال : « وكان بطره مدرسة الطوبجية وهي مدرسة جلية من إنشاءات العزيز محمد على تربيها جملة من الامراء برعوا في فنون الطوبجية » (١) ، ثم نقل ما كتبه الدوق دي راجوز (المارشال مارمون) عنها مما سنذكره في موضعه

وقد اختير لهذه المدرسة من التسلاميذ ثلثمائة من خريجي مدرسة قصر العيني الاعدادية أخذوا يتلقون فيها الدروس الحربية ، واللغتين العربية والتركية والحساب والجبر والهندسة والميكانيكا والرسم والاستحكامات ، ويتمرنون على الرمي بالمدافع على يد معلمين حربيين ، وكان الكولونل سيجيريا نفسه يعلمهم دروس الرياضة والرسم ، وقد تقدموا في علومهم وبرهنوا على كفايتهم في الحرب السورية (٢) ، وتبارت المدفعية الثقيلة والمدفعية الخفيفة في النشاط والجدارة ، قال مانجان : وضباط المدفعية المتخرجون من هذه المدرسة متعلمون مثقفون

ولم يغرب عن بال محمد على باشا أهمية هذه المدرسة فأراد أن يرى بنفسه سير التعليم فيها فزارها واختبر شؤونها فأبدى ارتياحه وسروره من أسانيتها وتلاميذها ومعداتنا ، وكافأ الكولونل سيجيريا بالانعام عليه برتبة البسكوية مع لقب لواء ، وألحق بالمدرسة أشرطة للمدفعية المشاة وأشرطة أخرى للمدفعية الركبان ، وأنشئ لها ميدان لضرب النار للجنود والتلاميذ ، ووضع به أربع وعشرون بطارية من المدافع للتمرين عليها

وكان للمدرسة مستشفى خاص يديره طبيب يساعده صيدلي لمعالجة المرضى

---

(١) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٣٢

(٢) مانجان ج ٣ ص ١٢٩

### مدرسة أركان الحرب بالخانكة

أنشئت هذه المدرسة بالخانكة بناء على اقتراح عثمان نور الدين باشا بالقرب من المعسكر العام للجيش<sup>(١)</sup>

وقد ذكرها المسيو دور في كتابه عن التعليم العام بمصر<sup>(٢)</sup> وكوت بك<sup>(٣)</sup>، ولم يذكر تفصيلات عنها، ويسمىها رفاة بك رافع<sup>(٤)</sup> مكتب الرجال بالخانقاها

### مدرسة الموسيقى العسكرية

قرر محمد علي تنظيم الجيش المصرى على مثال الجيوش الأوروبية من كل وجه، فأمر باعداد طائفة من الموسيقيين لكل الألى . وأحضر من أوروبا ما يلزم الجيش من آلات الموسيقى ، وكذلك أحضر المدرسين الأوربيين لتعليم المصريين الموسيقى الافرنجية الحربية ، فأنشأ في ( الخانكة ) معهداً لتعليم الموسيقى يسع ١٣٠ تلميذاً تولى التدريس فيه أربعة من الموسيقيين الفنيين ، وعين المسيو كاريه Carre مديراً له ، وكانت تدرس فيه أيضا اللغة العربية على يد أساتذة مصريين

وقد أبدى التلاميذ المصريون إتقاناً و براعة ونبوغاً في فنون الموسيقى شهد بها الافرنج ، قال المسيو مانجان في هذا الصدد : وان أولئك الشبان الفلاحين قد أبدوا من السهولة في توقيح الألحان الصعبة من النوتات ما أدهش العارفين بالفن وخاصة الافرنج الذين اجتمدت بهم إلى وادى النيل شهرة محمد علي ،<sup>(٥)</sup>

(١) هامش الطبعة الثالثة — معسكر ( جهاد آباد ) بجوار الخانكة

(٢) ص ٢١١ (٣) ج ٢ ص ٥١٠ ، لمحة عامة الى مصر

(٤) في كتابه مناهج الالباب المصرية ص ٢٤٧ طبعة ثانية

(٥) مانجان ج ٣ ص ١٣٠

وهذه المدرسة كانت تخرج الموسيقيين الذين يحتاج إليهم الجيش المصرى ،  
ولم يكن الدكتور كلوت بك لاحظ في كتابه (١) أن برنامج المدرسة قام على قاعدة  
خاطئة ، ذلك أنه تضمن نقل الموسيقى الأوروبية بنغماتها وأناشيدها الأوروبية إلى  
نغمة شرقية لم تتعود الألحان الأوروبية ، فلم تؤثر في نفوس التلاميذ التأثير الفنى  
المطلوب ولم تتحرك لها قلوبهم ، وإن الواجب كان يقضى باحضار فنانين عارفين  
بالموسيقى العربية ليؤلفوا منها ومن الألحان الأوروبية موسيقى خاصة تتأثر لها  
نفوس المصريين ، ويقول إن الحكومة في عهد محمد على ذاته قد ألغت معهد  
الموسيقى بالخانكة مع أنه خرج عدداً لا بأس به من الموسيقيين القادرين واستعاضوا  
عنه بأن جعلوا الكل ألى من الجيش معلماً أوروبياً ، ولكن لم يكن من الميسور  
لمعلم واحد أن يضطلع بهذه المهمة ولذلك لم تصل الموسيقى الحربية في مصر إلى مجارة  
الموسيقى الأوروبية

### المدرسة البحرية بالاسكندرية

تكلمنا عنها في الفصل الحادى عشر

### مصانع الأسلحة والمدافع بالقلعة

رأى محمد على بثاقب نظره أن إنشاء جيش يحمى الذمار أمر لا قوام له إلا بأن  
يجد كفايته من السلاح والذخيرة والمدافع فى داخل البلاد ، إذ الاعتماد على جلب  
السلاح من الخارج يعرض قوة الدفاع الوطنى للخطر ويجعل الجيش والبلاد تحت  
رحمة الدول الأجنبية ، لذلك بذل جهده فى إنشاء مصانع الأسلحة فى مصر ،

(١) لمحة عامة الى مصر ج ٢ ص ١٢٤

فأسس قائد المدفعية أدم بك ترسانة القلعة لصنع الأسلحة وصب المدافع ،  
وتولى إدارتها

وقد حدث في القلعة حريق هائل سنة ١٨٢٤ امتد إلى مخزن البارود وتخرب معظم  
الترسانة وتخرب نحو خمسين منزلا من المنازل المجاورة للقلعة ومات في هذه الكارثة  
نحو أربعة آلاف نفس (١)

ويقول المسيو مانجان (٢) ان ترسانة القلعة لم تكن شيئا مذكورا إلى سنة  
١٨٢٧ ، ولا كنهها عظمت واتسعت أرجاؤها بمضى الزمن فصارت معاملها تمتد من  
قصر صلاح الدين إلى باب الانكشارية الذي يطل على ميدان الرميثة

وكان بها ٩٠٠ من العمال لصنع الأسلحة ، ويصنع فيها كل شهر من ٦٠٠ إلى  
٦٥٠ بندقية ، تتكلف كل بندقية اثني عشر قرشا مصريا ، ويدفع لرؤساء العمال  
مرتبات ثابتة ، أما العمال الآخرون فتدفع لهم أجور يومية

وكان بها قسم خاص لصنع زناد البنادق ، والسيوف والرماح للفرسان ،  
وحقائب الجنود ، وحمائل السيوف ، وكل ما يلزم لتسليح الجنود من المشاة والفرسان  
وحلية الخيل من الألبسة والسروج وما إليها ، وفيها مصنع واسع لعمل صناديق  
البارود ومواشير البنادق ، ومصنع آخر لصنع ألواح النجاس التي تستخدم لوقاية  
السفن الحربية

### معمل صب المدافع

وكان أهم مصانع الترسانة وأكثرها عملا وأولها باسترعاء النظر معمل صب

(١) رسالة المسيو دروفتي المؤرخة ٣٠ مارس سنة ١٨٢٤ الواردة في وثائق حرب

الموره وثيقة رقم ٦

(٢) مانجان ج ٣ ص ١٣٢

المدافع ، تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة من عيار أربعة وثمانية أرطال ،  
وتصنع فيه أحيانا مدافع الهاون ذات الثماني بوصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة  
ولا يقل عمال هذه الترسانة عن ١٥٠٠ عامل وتستهلك فيها كل شهر كمية عظيمة  
من الفحم والحديد (١)

### مخازن البارود والقنابل

أما مخازن البارود والقنابل فقد أعد لها محمد علي مكانا خاصا على سفح المقطم (٢)

### رأى المارشال مارمون في ترسانة القلعة

وقد زار المارشال مارمون ترسانة القلعة سنة ١٨٣٤ وأعجب بنظامها وأعمالها،  
وكتب عنها في رحلته مايلي : « زرت دار الصناعة بالقلعة وعينت بها فحفا وتقصيا ،  
فألفيت البنادق التي تصنع فيها بالغة من الجودة مبلغ ما يصنع في معاملنا ، وهي  
تصنع على الطراز الفرنسي . وتتخذ فيها الاحتياطات والوسائل التي نستعملها نحن  
لضمان جودة الأسلحة ، وتتبع النظام نفسه الذي تتبعه نحن في تصريف العمل  
وتوزيعه والرقابة عليه ، وكل ما يصنع فيها يعمل قطعة قطعة ، ومعمل القلعة يضارع  
أحسن معامل الأسلحة في فرنسا من حيث الإحكام والجودة والتدبير ، (٣)

(١) مانجان ج ٣ ص ١٣٣

(٢) هامش الطبعة الثالثة -- وعلى أثر انفجار وقع في أحد هذه المخازن أنشأ شرق  
(أثر النبي) بمصر القديمة مخازن أخرى للبارود (جبهانة) على سفح الجبل لا يزال بناؤها  
قائما إلى الآن (١٩٥٠)

(٣) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ٢٨٢



## ابراهيم أدهم باشا

تقدم القول بأن أدهم بك ( باشا ) كان في مقدمة الضباط الأكفاء الذين نهضوا بالمدفعية المصرية ، وانه تولى إدارة المهمات الحربية ، وأسس دار صناعة ( ترسانة ) القلعة لصنع الأسلحة وصب المدافع

وأدهم بك هذا هو من خيرة رجال محمد علي ومن أصدق من بذلوا جهودهم في تأسيس الجيش النظامي ، وهو أيضا ممن حملوا اللواء نهضة التعليم في مصر ، فقد تولى إدارة ديوان المدارس ( وزارة المعارف العمومية ) عشر سنوات ونيفا وقد ذكره العلامة على باشا مبارك فقال عنه انه : « كان من أشهر رجال الحكومة ، صادقاً في القيام بوظائفه مع الاجتهاد ،

وذكر عن ترجمته ما خلاصته <sup>(١)</sup> ان أصله من الاستانة ثم استوطن مصر في عصر محمد علي باشا حين تأليف الجيش النظامي ، فجعله ضابطاً في المدفعية ، وكان ملماً باللغات الفرنسية والعربية والتركية والتشكيلات العسكرية ، وتنظيم المهمات ، وقد جعله محمد علي ناظراً للمهمات الحربية <sup>(٢)</sup> « فبذل فيها جهده وحمده مساعياً ، وأقام بهذه الوظيفة زمناً ثم ترقى إلى رتبة أميرالاي ، وكان يتلقى عنه الهندسة جماعة من رجال الحكومة مثل ابراهيم بك رأفت وكيل ديوان المدارس ، ومصطفى راسم مدرس الهندسة بمدرسة القصر العيني ، وحسن افندي الغورى مدرس الهندسة بمدرسة المدفعية بطره

وقد وشى في حقه أحد حساده سنة ١٢٤٩ وأوغر عليه صدور رؤسائه ،

---

(١) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٥

(٢) جاء في العدد ٤٣٢ من الوقائع المصرية أنه أمير اللواء أدهم بك مفتش

المهمات الحربية

ففصل عن وظيفته ، وأقيمت عليه قضية استمرت نحو ثمانية أشهر وظهرت براءته منها ، وكان خلال ذلك لا يفتأ يؤدي واجبه نحو البلاد ببذل النصح والارشاد إلى إلى من يقصدونه من محبي العلم

قال علي باشا مبارك في هذا الصدد : « وكان المعلمون في الورش يحضرون إليه في منزله ويستفهمون منه عن العمل في البنادق والمدافع ونحو ذلك وهو يفيدهم بجد واجتهاد رغبة منه في خدمة الديار المصرية ،

ولما عاد ابراهيم باشا من الحرب السورية سنة ١٢٥٠ هـ ( ١٨٣٤ م ) أتني عليه عند محمد علي باشا وذكر نصحه واجتهاده في خدمته فأنعم عليه برتبة أميرلواء وأعيد إلى وظيفته ، وبعد وفاة مصطفى مختار بك أضيفت إليه شؤون المدارس فصار مدير ديوان المدارس ( وزير المعارف العمومية ) وتولى هذا المنصب نحو عشر سنوات ( ١٨٢٩ - ١٨٤٩ )

وفي زمن عباس باشا الأول تولى وزارة المعارف بضعة أشهر ( أكتوبر سنة ١٨٤٩ - مايو سنة ١٨٥٠ ) ، ثم نقل مديرًا للبهات الحربية وجعل له نظر أوقاف الحرمين الشريفين . وأنعمت عليه الحكومة جزاء خدماته بأرض مساحتها ٨٥٠ فدانًا في جهة ( سرباي ) بمديرية الغربية

وفي زمن سعيد باشا جعل ( محافظ مصر ) وأنعم عليه بالباشوية فصار يعرف بأدم باشا وأحيل عليه قلم الهندسة مع المهمات الحربية

وتولى من جديد في عهد اسماعيل باشا وزارة المعارف العمومية عدة أشهر ( يناير - يوليه سنة ١٨٦٢ ) ثم اعتزل الخدمة ، وكانت وفاته سنة ١٨٩٩

قال عنه علي باشا مبارك : « وكان رقيق القلب ، رحيماً ، كثير الصدقة ، يباشر المصالح بنفسه بلا تعاضم ولا تكبر ، ويلطف اصحاب الحاجات حتى يقف على حقيقة شكواهم ، ويقوم بنصرة المظلوم ، واعتنى بالمدارس واجتهد في أسباب الرغبة فيها ، فكان يجلُّ المجدين من التلامذة والمعلمين ، ويسعى في رقيتهم ليجتهد

غيرهم ، فظهرت النجابة في جميعهم أو أكثرهم وحصلوا في وقته تحصيلا جما ، ومن انشائه م كتب ( مدرسة ) السيدة زينب رضى الله عنها ، ومكتب بولاق ومكاتب أخرى ، وبالجملة فكان كالوالد لابناء المدارس وله اصلاحات أيضا بالجامع الأزهر زمن تظارته على الأوقاف ،

وقد التقى به المارشال مارمون خلال زيارته لمصر واسبغ به وبكفاهته فقال عنه : « انه تعلم اللغة الفرنسية بقوة ارادته على غير استاذ ، وأنه يتكلمها بلمهجة صحيحة ، وتبحر في الرياضيات ، وفنون المدفعية ، وصار في نظري يضارع أحسن ضباط المدفعية واكفأ مديري مهماتها ، وهو من أقوى من عرفتهم في حسن الادارة ، وان اختيار محمد على لمثل هذا الرجل لمعاونته... له لدليل على صدق نظره وفراسته وحسن توفيقه في اختيار رجاله ، » (١)

### مصنع البنادق في الحوض المرصود

لم يكتب محمد على بمصنع البنادق في القلعة بل أنشأ في الحوض المرصود حوالى سنة ١٨٣١ معملا آخر لصنع البنادق ، وكان من قبل معدا للنسيج ، وقد تكلم عنه المسيو مانجان (٢) ، فقال ان محمد على عهد بادارته الى رجل ايطالى من ( جنوه ) يسمى المسيو مارنجو ، وقد تسمى باسم على افندى ، قال عنه : « وقد اكتسب خبرته بعمله في ترسانة القلعة تحت إمرة ادوم بك ، وقد اشتغل بجد وعزيمة وتخرج على يديه طائفة من الصناع مهموا في صنع البنادق على اختلاف طرازها ،

وبلغ عدد عمال الحوض المرصود ( حوالى سنة ١٨٣٧ ) ٢٠٠٠ بين صناع ورؤساء عمال يصنعون في الشهر نحو ٩٠٠ بندقية من مختلف الانواع والاشكال ،

(١) رحلة الدوق دى راجوز ( المارشال مارمون ) ج ٣ ص ٢٨٢

(٢) مانجان ج ٣ ص ١٢٢

فنها ماهو للشاة ومنها ماهو للفرسان وللطوبجية على الطراز المنبع في الجيش  
الفرنسى ، وكذلك الحال في معامل القلعة

ومتوسط ما تتكلفه البندقية أربعون قرشا أى بأزيد مما تتكلفه البندقية التى  
تصنع بترسانة القلعة بثمانية وعشرين قرشا ، وقد سأل المسيو مانجان عن سبب هذا  
الفرق ، فقبل له ان ذلك راجع الى الفرق في عدد العمال وكمية الفحم والحديد في كلا  
المصنعين ، على أنه لم يقنع بهذا السبب

وكانت تعمل تجربة المدافع في كل اسبوع ، وقد لاحظ المسيو مانجان ان  
الحديد الذى كانت تصب منه المدافع التى شاهدها سنة ١٨٣٧ من نوع غير جيد ،  
فكانت النتيجة أن يستغنى عن خمس عدد المدافع المصنوعة لانه لم يحتمل التجربة ،  
قال : واذا كان الحديد من النوع الجيد الواجب استعماله لانتجاوزه الكمية المملغة  
منه السدس

ويقول ان البنادق التى تصنع في معامل القلعة والحوض المرصود كانت صناعتها  
جيدة ، ولايستطيع الاذنان أن يلاحظ عيبا في صناعتها إلا اذا كان على خبرة بسر  
الصنعة ، والعيوب آتية على الأرجح من نوع الحديد لامن عدم مهارة الصناع  
وقد ذكر المارشال مارمون في رحلته (١) انه شاهد مصنعا ثالثا للأسلحة في  
بنيواحي القاهرة ، وأن المصانع الثلاثة تصنع في السنة ٣٦ الف بندقية عدا  
الطبنجات والسيوف

### معامل البارود

وأقيم معمل للبارود في المقياس بطرف جزيرة الروضة ، وكان بناؤه فسيحا  
ومناسبا وبعيدا عن المساكن ، وقد تولى إدارته المسيو مارتل Martel الذى كان من

قبل مستخما. ما في معمل البارود بمدينة سان شاماس Saint Chmas وتولى العمل تحت إدارته تسعون عاملا موزعين على أقسام المعمل ، منهم ٨٣ عاملا كانوا يشتغلون في خلط السكريت والفحم وملح البارود و ٢١ عاملا يشتغلون في تقليب البارود في الطواحين وعددها عشرة ، ولشكل طاحون عثرون مدقة ، تحركها عشر آلات تديرها البغال ويقودها عشرة رجال ، وأربعون عاملا يشتغلون في صنع الرش ويصنع منه كل يوم ٢٥ قنطارا.

وكان يصنع البارود بطريقة التبخير ، وهذه الطريقة أوفر من طريقة النار وقد تعددت معامل البارود في مصر وكانت تسمى (كهرجالات) وهالك أسماؤها ومقدار الناتج منها سنة ١٨٣٣ (١) :

معمل القاهرة	٩٦٢١ قنطار
• البدرشين (٢)	• ١٦٨٩
• الأشمونين	• ١٥٣٣
• الفيوم	• ١٢٧٩
• اهناس	• ١٢٥
• الطرانة	• ٤١٢
	-----
	الجملة ١٥٧٨٤

(١) مانجان ج ٣ ص ٢٢٤

(٢) ذكر العلامة على باشا مبارك بالجزء التاسع من الخطط التوفيقية ص ١٤ في كلامه عن البدرشين ما يأتي : « وفي جهتها البحرية معمل بارود من زمن العزيز محمد علي مستعمل الى قبيل تولية الخديوي محمد باشا توفيق كانت تجلب له الاسباخ من منية رهينة وتلوي مصر العتيقة »

### ملابس الجنود ومراتبهم

وصف كلوت بك<sup>(١)</sup> ملابس الجنود في عهد محمد علي فقال انها غاية في البساطة ، تتألف بالنسبة للجنود من الطربوش الأحمر ، وصدار ، وبنطلون ، وهو يشبه السروال الواسع يشد بتكة على الوسط ، ويربط على الركبة برباط الساق (القاشين) ويتمنطق الجنود على خواصرهم بحزام ، وملابسهم في الشتاء من الجوخ ، وفي الصيف من قماش القطن السميك ، أما الفرسان ورجال المدفعية والحرس فيلبسون في الشتاء صدرا أزرق اللون ، وغيرهم يلبس صدرا أحمر ، ويرتدى رجال الجيش جميعهم في الصيف الملابس البيضاء . ويحتذون بأحذية من الجلد الأحمر (مراكيب) ولا يختلف رداء الضباط عن رداء العساكر ، الا في نوع الجوخ وما يزينه من التطريز ، واللون الأحمر يميز الضباط عن سواهم ، أما الشارات التي تميز بعضهم عن بعض بحسب مراتبهم ، فهي كما يلي :

يحمل الأونباشي شريطا واحدا على الصدر ، والجاويش شريطين ، والباشجاويش ثلاثة ، والملازم الأول يحمل على صدره من ناحية اليمين نجمة فضية ، واليوزباشي نجمة وهلالا فضيين ، والصاغ هلالا من الذهب ونجمة فضية ، والبكباشي هلالا ونجمة من الذهب ، والقائم مقام هلالا من الذهب ونجمة من الماس ، والأميرالاي هلالا ونجمة من الماس ، وأمير اللواء نجمتين في هلال كلها من الماس ، والفريق (الميرميران) ثلاث نجوم في هلال كلها من الماس

ويقول كلوت بك أيضا ان عطاء (مرتب) الجندي البسيطه قرشاً في الشهر ، ومرتب الأونباشي ٢٥ قرشا ، والجاويش ٣٠ قرشا ، والباشجاويش ٤٠ قرشا ، والصول ٦٠ قرشا والملازم الثاني ٢٥٠ قرشا ، والملازم الأول ٣٥٠ قرشا ، واليوزباشي ٥٠٠ قرش والصاغ ١٢٠٠ قرش (١٢ ج) ، والبكباشي ٢٥٠٠ قرش

(١) لحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٣٣١ (٣٢٣ الاصل الفرنسي)

(ج ٢٥) والقائم مقام ٣٠٠٠ قرش (ج ٣٠) والامير الاي ٨٠٠٠ قرش (ج ٨٠) وأمير اللواء ١١٠٠٠ قرش (ج ١١٠) والميرميران ١٢٥٠٠ قرش (ج ١٢٥) ومراتب كبار الضباط جسيمة كما ترى مما تقدم ، وقد لاحظ كلوت بك أن السبب في ذلك أن محمد علي باشا اراد استمالة الأتراك الى النظام الحديث على أثر ما أبدوه من النفور الشديد منه ، فضلا عن أن الرؤساء في الجيش تدعوهم طبيعة مراكزهم الى بسط اليد بالنفقة

### الإدارة الحربية

أنشأ محمد علي نظارة للحربية كانت تعرف بديوان الجهادية ، عهد إليها قيادة الجيش وادارة شؤونه ، وناط بهما جميع ما يجلب للجيش من سلاح ومهمات ونياب ، وهي التي تجلب من مخازن الحكومة ما يلزمه من الذخائر والمؤن والأدوية وما إليها

وقد نظمت الجيوش المصرية على نمط الجيوش الفرنسية ، وكذلك إدارتها الصحية ، وبكل أورطة العدد اللازم من الموظفين والأدوات لإقامة المستشفيات الخاصة بالأورط

### الروح الحربية

إن تأليف الجيوش النظامية والمران على الحياة العسكرية وخوض غمار القتال كل ذلك مما قوى الروح الحربية في نفوس الشعب صحيح أن المصريين لم يعتادوا الانتظام في سلك الجيش منذ الفتح العثماني ، ولكنهم لم يفقدوا الروح الحربية في عهد المماليك ، اعتبر ذلك بالمقاومة المستمرة البعيدة المدى التي قام بها المصريون قاطبة في وجه الحملة الفرنسية ، مما بسطنا الكلام

عنه في الجزمين الأول والثاني من تاريخ الحركة القومية ، وهم وإن كانوا لم يألفوا الاندماج في سلك الجيوش النظامية ولم يقبلوا على التجنيد الذي رسم محمد علي قواعده طائعين ، بل سيقوا اليه مكرهين ، الا أن الفلاحين الذين انتظموا في سلك الجيش مالبيشوا كما قلنا أن رأوا في حياة الجندي نظاما أرقى من حياتهم الفردية ، فأخذوا يألفونه مع الزمن ، وقد أفادهم الفوائد العظيمة ، فلا يغرب عن البسال أن ننظم الجيش كان له آثار بعيدة المدى في حالة البلاد السياسية والاجتماعية ، فان تأليف جيش قومي خاض غمار الحروب في ميادين عدة من شأنه أن يغرس في النفوس فكرة القومية ، إذ هو نفسه جِسم هذه الفكرة

قال المسيو مانجان في هذا الصدد : « ان محمد علي بهدمه الجيش غير النظامي ، وتجنيد الفلاحين على النظام الأوروني قد أكسب شعبه تقدما عظيما ، ورد إلى مصر قوميتها ،

ويقول كادلفين وبارو في كتابهما (١) :

« إن العرب ( يريد المصريين ) من سكان وادي النيل لم يسكن لهم منذ الفتح العثماني حق الانتظام في الجيش ، لسكن محمد علي قد أعاد إليهم هذا الحق ، وهو بتجنيدهم - ولو أن ذلك كان على كره منهم - قد رفع من شأنهم وانتشلهم من الوهدة التي نزلوا إليها ، وقد استردوا سمعتهم بما أظهروه من الشجاعة في ميادين الحروب التي خاضوها ،

ولا شك في أن انضواء الجنود والضباط تحت علم الجيش مما يعودهم حب النظام ، والنظام هو من العوامل الرئيسية لارتقاء الأمم وتقدمها ، فليس ثمة نهضة من غير أن يكون النظام رائدها . وكذلك من خصائص الحياة العسكرية أن تبت الشجاعة في نفوس الأمة وتغرس فيها مبدأ افتدائه الوطن بالنفس والنفيس ، ذلك

---

(١) حرب محمد علي ضد الباب العالي ص ٥٦



المبدأ الذى هو من أقوى دعائم الاستقلال والحرية ، فالروح الحربية المصرية قد تجلت تحت راية الجيش النظامى وساعدت على تألفه ، كما أن تكوين الجيش نفسه كان له أثر فعال فى نمو تلك الروح وبروزها واكتسابها  
هذا فضلا عما فطر عليه المصرى من الإيمان والقناعة والطاعة ، والصبر على المكاره ، والاطمئنان إلى قضاء الله وقدره ، وكل هذه الصفات جعلت من الفيالق المصرية النظامية جيوشا ضارعت أرقى الجيوش الأوروبية فى الدربة والكفاية والشجاعة ، ولقد برهنت على هذه المزايا فى ميادين القتال التى خاضت غمارها

#### شهادة الثقات للجيش المصرى

ويكفيك أن تقرأ فى هذا الصدد شهادة الثقات لتزداد اعتقادا بصحة هذه الحقائق

#### رأى سليمان باشا الفرنساوى

فقد شهد البارون ( بوالكونت ) الجيش المصرى فى سورية سنة ١٨٢٣ وقابل الكولونيل سيف ( سليمان باشا الفرنساوى ) فقال له يصف الجنود المصريين :  
« ان العرب ( يريد المصريين ) هم خير من رأيتهم من الجنود ، فهم يجمعون بين النشاط والقناعة والجلد على المتاعب مع انشراح النفس وتوطينها على احتمال صنوف الحرمان ، وهم بقليل من الخبز يسرون طول النهار يحدوهم الشد والغماء ، ولقد رأيتهم فى معركة ( قونية ) يقون سبع ساعات متوالية فى خط النار تحتفظين بشجاعة ورباطة جاش تدعوان إلى الإعجاب دون أن تحتل صفوفهم أو يسرى اليهم الملل أو يبدو منهم تقصير فى واجباتهم وحركاتهم الحربية ، (١)»

(١) رسائل البارون بوالكونت ص ٢٤٠

## رأى كلوت بك

وقال كلوت بك في كتابه (١) :

«ربما يعد المصريون أصلح الأمم لأن يكونوا من خيرة الجنود (٢) ، لأنهم على الجملة يمتازون بقوة الأجسام وتناسب الأعضاء والقناعة والقدرة على العمل ، واحتمال المشاق ، ومن أخص مزاياهم العسكرية وصفاتهم الحربية الامتثال للأوامر ، والشجاعة ، والثبات عند الخطر ، والتذرع بالصبر في مقابلة الخطوب والمحن ، والاقدم على المخاطر ، والاتجاه إلى خط النار وتوسط معامع القتال بلا وجل ولا تردد ،

وذكر كلوت بك حوادث عدة تأييدا لتلك الحقيقة ، وقال انه يكتفي منها بالحوادث الآتية :

حدث في معركة (حمص) أن جنديا من الأورطة السابعة من الفرسان يدعى (منصور) فصات ذراعه من جسمه بقنبلة ، فأبى وهو في هذه الحالة التراجع عن ميدان القتال ، بل تقدم رجال كتيبته حاملا على العدو بأشد البأس وأروع البسالة وظل يجارب الى أن مات (٣)

وحدث في معركة (قونية) أن ترك جميع الجرحى القادرين على حمل السلاح أسرتهم في المستشفى ونفروا إلى ميدان القتال ليشاطروا إخوانهم مجد الانتصار أو شرف الموت

(١) لمحة عامة إلى مصر ج ٢ ص ٢٢٦ (الأصل الفرنسي)

(٢) Les Arabs sont Peut être les hommes les plus propres à devenir de bons soldats

(٣) ذكر كادلفين وباروهذه الحادثة في كتابهما (حروب محمد علي ضد الباب العالي)

ص ١٨٩ ونقلها عنهما كلوت بك

وفي تلك المعركة سقط جندي من الأورطة الرابعة من الفرسان عن ظهر جواده مجروحاً ، فلما شهده أمير لوائه أحمد المشكلى بك دفع إليه جواده ليرجع به إلى الساقة ، فأبى الجندي قائلاً انه يفضل البقاء في ميدان القتال ليشهد إخوانه منتصرين ولو لقي الموت<sup>(١)</sup>

وفي إحدى المعارك أصيب شاب يحمل النفير من جنود الأورطة الخامسة عشرة بجرح ، ورأى أن رفاقه في فصيلته قد هزمهم العدو وشتتهم ، فعلى الرغم من خطورة جرحه واحتدام نار القتال لم يكف عن النفخ في بوقه بإشارة الاستمرار على الحملة ومتابعة الهجوم ، ولم يتراجع خطوة واحدة إلى الوراء ، ولما شاهد ملاؤه الفارون فعله عراهم الحجل من رؤيته وهو قتي صغير يضرب لهم أمثال الشجاعة والبطولة فخمى دمهم وتوافى بعضهم إلى بعض ، ثم كروا إلى القتال ليثأروا لشرفهم الذي ثلته العدو لحظة من الزمن

ثم ذكر كلوت بك حادثة أخرى قال عنها انها من أهم الحوادث وأخصها بالذكر ، وهي أن سليمان باشا الفرنساوى كان ذات يوم يعرض أورطة وصلت إليه حديثاً ، فوقع نظره على قتي ضا ونحيل في السادسة عشرة من عمره يدعى الحاج على ، فهم سليمان باشا أن رده معترضاً بأنه لا يصلح أن يكون جندياً كفتناً ، فأبى (الحاج على) إلا أن يبقى في السلاح قائلاً لسليمان باشا ان الحكم عليه انما يكون في عمله ومتى سنحت الفرصة تبين الحكم ، فلما ضرب الجيش المصرى الحصار على (عكا) خرجت الحامية يوماً فاستظهرت على المشاة المصريين وردت جنود الأورطة الثامنة المقاتلة في الجبهة على أعقابها ، فتقدمت الأورطة الثالثة من الفرسان التي كان (الحاج على) منتظماً في سلكها لتعزيز جانب أولئك الجنود ، وحملت حملة باهرة صدت فيها المحصورين وأجأتهم إلى مواقعهم ، ولم يكتف الحاج على أن شاطر رفاقه بمجد فوزهم

بل أنقذ بيده يوز باشيا كان على وشك الوقوع في أسر العدو ، ثم انقض على ضابط  
تركي فأسره ، وجاء بالضابطين المصري والتركي الى سليمان باشا وقال له : « أفترى  
أننى جندى لا أصلح لشيء ؟ »

قال كلوت بك : وكان الأتراك لما يشعرون به من الغطرسة والسكبرياء ينظرون  
بعين الزرابة الى المصريين ولا يكثر ثون بهم ويعتقدون فيهم العجز عن مجاراتهم ،  
ولم يكن حرب (الموره) أثبتت لهم بالبرهان القاطع أن ذلك الشعب الحي المنكش  
الذى أرهقه الضغط والعسف قدير على استرداد مجده القديم وأهل لمنازعتهم فخر  
النجاح والفوز في القتال ، ولقد أثبت لهم فتح الشام وانتصارات (حمص) و(بيلان)  
و (قونية) <sup>(١)</sup> تفوقهم عليهم باعتبار كونهم أفرادا ، كما أثبتت كفايتهم باعتبارهم  
بمجموعا اذا وجدوا القيادة الصالحة

ولسكن كلوت بك لاحظ أن المصريين لم يكن لهم نصيب في القيادة ، ومع  
أنه أطراهم بوصف كونهم جنودا فإنه يقول انهم لم يضطلعوا بالمهام التي اقتضتها  
مراكز القيادة في الجيش ، وبرر عمل محمد على في إقصائهم عن المراتب السامية في  
الجنديّة واسنادها الى الأتراك والمماليك ، بقوله :

« انهم في المراتب العالية لا يقدرّون كرامة مراكزهم الجديدة ووجاهتها ، فهم  
يغيرون العثمانيين والمماليك في الأهلية للقبض على زمام القيادة ، وسرعان ما يتحولون  
الى عاداتهم القديمة بما اضطر محمد على باشا وابنه ابراهيم على الرغم منهما الى السكف  
عن ترقيةهم وترقيتهم الى المراتب السامية في الجنديّة ، ومن هذا النقص ، أسندت  
الى المماليك والأتراك في الجيش المناصب العليا ،

هذا ما قاله كلوت بك ، ولم يذكر لنا تفصيل التجربة التي جربها محمد على باشا في  
إسناد المراتب العالية في الجيش للمصريين والتي ظهر فيها عدم أهليتهم ، وأغلب  
الظن أنه لم يجربها أصلا حتى يقام لهذا الرأي وزن ، ولو انه عوّد المصريين تقلد

المناصب الرئيسية في الجيش لاضطلعوا بها ولظهرت فيها كفايتهم ومقدرتهم مع الزمن والممارسة ، هذا فضلا عن أن رأى كلوت بك في هذه المسئلة ليس له كبير اعتبار لأن المالك والأترك قد اندجوا في السكتلة الوطنية كما سيحيى بيانه

### رأى المارشال مارمون

على أن المارشال مارمون يبدى في رحلته رأيا يتعارض ورأى الدكتور كلوت بك في هذا الصدد ، فقد ذكر أن مناصب ضباط الجيش كانت في مدى سنوات عدة تسند الى الترك والماليك لأن محمد على لم يشأ بادي الأمر أن يستسلم للأهلين ويجعل نفسه تحت رحمتهم ، ولكن لما رسخت سلطته واطمان الى اخلاص الجيش بدأ يستند مناصب الضباط الى العرب فبرهنوا على ذكاء وافر ونشاط كبير ، والذين ارتقوا من بينهم الى سلك الضباط صاروا أحسن واكفأ من الترك ، والآن - سنة ١٨٣٤ - لم يعد يعترض تقدمهم في المناصب العسكرية أى مانع وانفتح أمامهم سبيل المراتب العالية (١)

وقد شهد المارشال سنة ١٨٣٤ فيالق الجيش المصرى على اختلاف وحداتها وأطنب في صفاتها الحربية وأعجب بكفاءتها وحسن نظامها ، فقال عن المشاة (٢) :  
كان لواء المشاة المؤلف من الألاى التاسع والألاى العشرين في طريقه إلى السويس للإبحار منها إلى الحجاز لنجدة الجيش المصرى فيه ، وعرضت بنفسى هذا اللواء ، فقام أمامى بمناورات دامت ثلاث ساعات في سهل ( القبة ) ، فاعجبت به أيما إعجاب ، وإذ كان عساكره في مقتبل السن وحديث عهد بالانتظام في صفوفه فقد لاحظت مبلغ تأثير القائد الأعلى للجيش في تشكيله ونظامه ، والحق ان العساكر

(١) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) د د د ج ٣ ص ٢٩٤

الذين عرضتهم يجمعون إلى الدقة والنظام الدراية بالفنون العسكرية ، وقد رأيت في قائد اللواء وضباطه دلائل العلم والكفاءة ، وشهدت أيضا الألاى السادس من الفرسان ولم يكن مضى على جنوده في الخدمة أكثر من عشرة أشهر ومع ذلك رأيتهم فيما عدا بعض ملاحظات طفيفة يستحقون كل الثناء ، (١)

وقال عن جنود المدفعية الذين يتمرنون في مدرسة المدفعية بطره : « قامت أورطة المدفعية الراكبة أمامى بمناورات تدل على المهارة والنشاط والنظام والدقة وكانت مؤلفة من ستة بلوكات رجالها على مايرام من الجمال والتعليم ونظام الحركات العسكرية ، كما أن مركبات المدافع متقنة منتظمة رغم كون الجياد التي تجرها صغيرة الجسم شأن خيل القطر المصرى ، ورجال المدفعية مجهزون بما يلزمهم تجهيزا حسنا ، أكفاء في الزمالة ، يصيبون الهدف بدقة وسرعة ، فالمدفعية المصرية جامعة لشروط الكفاية ، تضارع مدفعات الجيوش الأوروبية ، وأمير الأيها رجل كفاء ممتلى نشاطا وغيره أما أورطة المدفعية المشاة فتتألف من ١٨ بلوكا ، وقد قامت بمناوراتها فكانت مدافعها تصيب الهدف بإحكام ، أما مدافع الهاون فهي أقل ضبطا وإحكاما ، ولا يسع المشاهد هذه المدفعية الا الإعجاب بالقوة التي حولت الفلاحين إلى جنود على جانب عظيم من الكفاءة ، (٢)

### رأى المسيو مريو

وقد احتفظ الجيش المصرى بسمعته بعد انقضاء عصر محمد على وبعد أن تناقص عدده ، فقدم أحسن المسيو مريو (٣) الذى جاء مصر فى عهد سعيد باشا الشهادة فى حقه بقوله :

(١) رحلة المارشال مارمون ج ٢ ص ٢٩٥

(٢) د د د ج ٣ ص ٢٨٥

(٣) فى كتابه د مصر الحديثة من سنة ١٨٤٠ الى ١٨٥٧ ،

« إن كفاءة الفلاح المصرى فى فهم النظام الحربى واتباعه وما اشتهر به من الثبات والشجاعة فى مواجهة الأعداء كل هذه الميزات قد قامت عاينها البيّنات لآبى ميادين القتال بجزيرة العرب وسريّة فى عصر محمد على فحسب ، بل بحسن دفاع الجيش المصرى عن سلسلتيها فى حرب القرم الأخيرة ،

### القلاع والاستحكامات

عنى محمد على عناية كبيرة باقامة القلاع والاستحكامات للدفاع عن ثغور البلاد وعاصمتها ، فأصلح قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وشحنها بالمدافع ، وبنى على مقربة منها قلعة أخرى على ذروة المقطم تعرف بقلعة ( محمد على ) وتشرف على الأولى ، وأصلح قلاع الاسكندرية وأنشأ غيرها ، واستدعى من فرنسا لهذا الغرض مهندسا حربيا فى فن الاستحكامات يسمى الميسو جليس Galice وأنعم عليه برتبة البكوية فصار يعرف بجليس بك ، وعهد اليه اختيار سواحل مصر ووضع مشروع الحصونها واستحكاماتها ، وجعله باشمهندس الاستحكامات

ولكى تعرف مبلغ عناية محمد على بالدفاع عن مصر نورد هنا إحصاء ذكره اسماعيل باشا سرهنك (١) عن كشف قديم من أوراق حسن باشا الاسكندراني مدير ترسانة الاسكندرية ، يتضمن عدد قلاع الاسكندرية وأبو قير والبرلس ورشيد ودمياط وعدد ما بها من المدافع سنة ١٨٤٨ أى السنة التى تولى فيها ابراهيم باشا حكم مصر

---

(١) فى كتابه حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٥٩

حصون الاسكندرية

جبخانة	أهوان	مدافع	أسماء الحصون
١	٦	١١٠	طابية قايتباي (أو قلعة برج الظفر)
٢	٧	٥٧	د الأطنة
٢	٦	٥٧	د الفنار
١		١	د الصغيرة
٣	١٢	٦١	د التراب (وتسمى الهلالية) (١)
١	١٠	١٣	د الاستبالية الجديدة
١		٢٥	د القديمة
١	٦	٦	د ظهر منزل الفرنسيس
١		٨	د المفحمة
١		٩	د مسلة فرعون (٢)
١		١٠	د قبور اليهود القديمة
١		٢٠	د الجديدة
١	١	١٨	د برج السلسلة
		٦	د باب شرقى (٣)
١	١	١٠	د كوم الناصورة
١		٣	د الدخيلة

(١) محلها الآن (سنة ١٩٣٠) حلقة السمك بالانفوشي

(٢) مكانها الآن المستشفى الأميرى

(٣) موجود بعض آثارها الى اليوم في شارع باب رشيد



جيشانة	أهوان	مدافع	أسماء الحصون
١	٢	٢٠	طاية السلية (١)
١	٩	٤٠	د المكس
١	١	٩	د القمرية (٢)
٢	٤	٥٦	د أم قبيبه (كبيبة) (٣)
١	١	١٤	د الملاحة القديمة
١	١	٣٤	د الجديدة
٢		١٣	د صالح أغا (٤)
١		٨	د باب سدرة
١	٢	٩	د كوم الدماس (٥)

### حصون أبو قير

٢	٣	٤٨	قلعة أبو قير
١	٢	٤٧	طاية كوم الشوشة
١	٢	٢٤	د كوم العجوز
١		١٠	د السد نمره (١)
١		١٠	د السد نمره (٢)

(١) بين المكس والدخيلة

(٢) و (٣) بالقبارى

(٤) المعروفة الآن بطاية صالح بالقبارى

(٥) بجوار مسجد النبي دانيال ، وتضاف الى حصون الاسكندرية طاية العجمى

بجزيرة العجمى فقد كانت موجودة في عهد محمد علي

جيتانة	أهوان	مدافع	أسماء الحصون
١		١٠	طابية السد نمرة (٣)
١		١٠	د السد نمرة (٤)

حصون رشيد

١		٦	طابية التني
١		٦	د العباسي
١		٥	د الطواجنية
		٣	د المنزل اوى
		١	د محل الشركة
٢		١٤	د برج رشيد
١		١٨	د قلعة البوغاز
١		١٠	الطابية الشرقية
١		١٠	د الغربية

البراس

١		٦	قلعة البراس
---	--	---	-------------

حصون دمياط

١		٢٠	القلعة القديمة
١		١٠	الطابية الشرقية
١		١٠	د الغربية

## إحصاء الجيش المصرى

فى عهد محمد د. على

كان الجيش المصرى مؤلفا فى أوائل حكم محمد على من نحو ٢٠٠٠٠٠ من المقاتلة جميعهم من الجنود غير النظاميين ( باشبوزق ) ، فلما أدخل النظام الحديث فى الجيش واتبع طريقة التجنيد على ما امر بك بيانهُ تألف الجيش النظامى وصار يضارع فى قوته وعدده وكفايته أحدث الجيوش الأوروبية

إحصاء سنة ١٨٣٣

جاء البارون بوالسكونت Boislecomte الى مصر منتدبا من الحكومة الفرنسية فى مهمة سياسية لدى محمد على باشا ، وله عن مهمته رسائل مطولة طبعت أخيرا فى كتاب مستقل (١) ، وقد استقصى أحوال مصر فى ذلك العصر ، فذكر عن الجيش أنه تلقى بيانا من محمد على نفسه عن عدده فى تلك السنة ( ١٨٣٣ ) ، ومن هذا البيان الرسمى يتضح أنه يتألف من ٣٢ ١٩٤ من المقاتلة ، بما فيهم ٢٥١٤٣ من البحارة وعمال الترسانات البحرية

فيكون مجموع جنود البر ١٦٨١٨٩ جندى موزعين بحسب الإحصاء الآتى:

٢٢	ألايامن المشاة وعددهم	٧٠٣٢٧	جندى
٣	ألايامن الطوبجية	٦٣٥٧	»
١٣	ألايامن الفرسان النظاميين	٧٩٦٢	»
	فرقة الهندسة	٢٩٤٢	»
	الفرسان غير النظاميين	٣٤٣٥	»

(١) مهمة البارون بوالسكونت ، من مطبوعات الجمعية الجغرافية

جندي	٥٢٧٠	البدو
،	٢٤٨٨	طلبة المدارس الحربية
،	٦٧٩٩٨	الرديف ورجال الشرطة
	<u>١٦٨٨٨٩</u> (١)	بمجموع جنود البر سنة ١٨٢٣

### إحصاء سنة ١٨٢٩

وقد بلغ الجيش المصري أوجّه من جهة العدد سنة ١٨٢٩ وقد اعتمدنا في إحصاء هذه السنة على ما أورده الدكتور كلوت بك في كتابه (لمحة عامة إلى مصر)، وهو وإن اختلف عن إحصاء المسيو مانجان عن سنة ١٨٣٧ (٢) وزاد عنه، إلا أننا نعتقد أن كلوت بك لمكائته في الحكومة قد توفر له من وسائل التحقيق والتمحيص أكثر مما توافر للمسيو مانجان

ونتيجة إحصاء الدكتور كلوت بك (٣) أن الجيش المصري يتألف من الجنود الآتية :

- ١ - جنود نظامية من مشاة وفرسان ومدفعية ١٣٠٢٠٢ جندي
- ٢ - جنود غير نظامية أو باشبوزق ٤١٦٧٨
- ٣ - الرديف ٤٧٨٠٠

(١) مهمة البارون (بوالكونت) ص ١١٣ ، وهذا الإحصاء يختلف قليلا عن إحصاء المسيو مانجان عن سنة ١٨٢٣ في كتابه ج ٣ ص ١٣٦ ، على أنه قريب منه

(٢) بحسب إحصاء مانجان (ج ٣ ص ١٤٠) عن سنة ١٨٣٧ يكون العدد

١٥٩٣٠٠ مقاتل

(٣) ج ٢ ص ٣٥١

- ٤ - عمال ( الفابريقات ) المدربون على القتال  
وكانوا يقومون بالتمرينات العسكرية  
١٥٠٠٠٠ جندي
- ٦ - طلبة المدارس الحربية المستعدون منهم للقتال ١٢٠٠

٢٣٥٨٨٠ مجموع جنود  
البر سنة ١٨٣٩

## تفصيل للإحصاء المتقدم

### ١ - الجنود النظامية

وهناك عدد الجنود النظامية مع بيان الجهات التي يقيمون فيها :

عدد الجنود	محل الإقامة	بيان الجيوش
١٣٧٢	حماء	الألاي الأول من طوبجية الحرس
٢٣٤٩	الاسكندرية	، الثاني ، المشاة
١٩٤٩	حلب	، الثالث ،
٠٩٨٢	حمص	، الأول ، الفرسان
١٠٠٧	دمشق	، الثاني ،
٣٣٧	عسكا	أربع فصائل من طوبجية متفرقة
٣٧٩	الحجاز	الأورطة الأولى من المدفعية
٣٠٤٨	عينتاب	الألاي الأول من مشاة الحرس
٢٦٤٥	مرعش	، الثاني ،
٢٤٣٥	حلب	، الثالث ،
٤٥٤٧	السودان	، الأول من المشاة (الأورطة الخيامية)

عدد الجنود	محل الإقامة	بيان الجيوش
٢٢٥١	عينتاب	من المشاة الألاى الثانى
١٥٢٦	الين	، الثالث ،
٢٥٩٣	مرعش	، الرابع ،
٢٦٢٩	ادنه ( الأناضول )	، الخامس ،
٢٢٦٢	كليس	، السادس ،
٢١٩٢	الحجاز	، السابع ،
٣٢٩٦	السودان	، الثامن ،
٢٣٠٤	حلب	، التاسع ،
٢٠٥٤	،	، العاشر ،
٢٣٢٨	أورفا	، الحادى عشر ،
٢٣٢٦	عينتاب	، الثانى عشر ،
١٢٢٥	الحجاز	، الثالث عشر ،
١٩٨٨	حلب	، الرابع عشر ،
٢٥٥٥	الدرعية ( نجد )	، الخامس ،
٣١٤٩	قنديا ( كريت )	، السادس ،
٢٣٦٩	أورفا	، السابع ،
٢٠٤٩	عكا	، الثامن ،
٢٣٤٩	الحجاز	، التاسع ،
٢٦٧٧	الين	، العشرون ،
٢٣٦٣	الحجاز	، الحادى و ،
٢٢١٢	أورفا	، الثانى و ،
٢٣٤٢	ينبع	، الثالث و ،
٣١٣١	انطاكية	الألاى الرابع والعشرون من المشاة

عدد الجنود	محل الإقامة	بيان الجيوش
١٧٥٥	بيت المقدس	الألأى الخامس والعشرون من المشاة
٢٣١٨	القاهرة	» السادس والعشرون
٢١٢٩	الحديدة (اليمن)	» السابع والعشرون
٢٤٤٦	»	» الثامن والعشرون
٢١٧٢	ادنه	» التاسع والعشرون
٢٩٢٥	حماء	» الثلاثون
٢٤٠١	حلب	» الحادى والثلاثون
٢٣١٨	القاهرة	» الثانى والثلاثون
٢٦٠٤	الاسكندرية	» الثالث والثلاثون
٢٥٦٤	كليس	» الرابع والثلاثون
٢٣١٨	القاهرة	» الخامس والثلاثون
٧٩٦	اللاذقية	» الأول من فرسان الحرس
٨٠٤	بيسان	» الثانى من الحرس المدرعين
٨٢٥	أورفا	» الأول من الفرسان
٨٣٠	زانبه	» الثانى
٨٤٧	الاسكندرية	» الثالث من الفرسان فى الطريق إلى
٦٧٨	ادنه	» الرابع من الفرسان
٨٣٢	الاسكندرية	» الخامس من الفرسان فى الطريق إلى
٧٧٠	دمشق	» السادس من الفرسان
٧٤٢	طرسوس	» السابع
٧١٢	دمشق	» الثامن
٨١٦	الاسكندرية	» التاسع من الفرسان فى الطريق إلى
٧٦٨	عكا	» العاشر من الفرسان

عدد الجنود	محل الإقامة	بيان الجوش
٧٥٦	كليس	الآلاى الحادى عشر من الفرسان
٦٦٢	طرسوس	د الثانى عشر
٨٠٦	اورفا	د الثالث عشر
٢٩٨٠	القاهرة	أورطه المتقاعدين
٨١٢	عكا	الآلاى الأول من البلطجية
٧٩١	الاسكندرية	الأورطة الأولى من المتقاعدين
١٦٤١	طرابلس	أورطنان من المتقاعدين
٨٥٥	دنفلة	أورطة من المتقاعدين
٧٥٨	ادليب	د من فرقة المهندسين
٨٠٨	اسكندرية	د من البلطجية
٩٤	القاهرة	فصيلة من اللغامين
٢٨٥	القاهرة	الأماس
١٦٧١	مراكز القطر	١٦ بلوكا من العساكر المتقاعدين
١٨٥	مصر العتيقة	رجال الألعاب النارية والسوارىخ ألاى من حملة القرايينات حرس القائد ابراهيم باشا
١١٥٢		فصيلة من حملة القرايينات
١٠٦	الحجاز	بلوكان من العساكر المتقاعدين
٢٠٠		

بمجموع الجنود النظامية ١٣٠٢٠٢ (١)

(١) صححنا بهذا الرقم عملية الحساب الواردة فى كلوت بك ج ٢ ص ٢٣٢ (الأصل الفرنسى) كما صححنا عملية الحساب الواردة فى كتاب البارون (بولكونت)



٢ الجنود غير النظامية

في الحجاز

عساكر	ضباط	
١٥٨٠	٤	فرسان اترك
٣٩٥	١	مشاة اترك
٩٤٥	٩	فرسان مصريون
٣٣٩	٥	مشاة مصريون
٧٨٧	—	مدفعية
<u>٤٠٤٦</u>	<u>١٩</u>	المجموع

في القطر المصري

٢٧٨٥	١٠	فرسان اترك
٢٧٧٥	٧	مشاة اترك
١٦٦٠	٧	فرسان مصريون
١٢٩٩	—	مدفعية
<u>٨٥١٩</u>	<u>٢٤</u>	المجموع

في اليمن

عساكر	ضباط	
١٩٧٠	٥	فرسان اترك
٧٦٠	٩	مشاة اترك

عساكر	ضباط	مدفعية
٢٠٠	—	المجموع
<u>٢٩٢٠</u>	١٤	

في قنديا (جزيرة كريت)

٤٥٠	٢	فرسان أتراك
٢٤٠٥	٦	مشاة أتراك
٢٨٠	—	مدفعية
<u>٣١٣٥</u>	٨	المجموع

في المدينة المنورة

٣٠٢٠	٢	فرسان أتراك
٣٧٥٠	١٠	مشاة أتراك
٢٢٥	—	مدفعية
<u>١٢٢٥</u>	١٦	مصريون
٨٠٢٠	٢٩	المجموع

في السودان

١١٧٠	١٧	فرسان أتراك
١٢٨٠	٤	فرسان مصريون
٩٥٠	١٠	مشاة مصريون
٠١٨٦	—	مدفعية
<u>٣٥٨٦</u>	٣١	المجموع

في سورية

عساكر	ضباط	
٤١٢٥	١٤	فرسان أترك
١٩٣٠	٥	مشاة أترك
٤٩٨٠	٦٣	فرسان مصريون
<u>١١٠٣٥</u>	<u>٨٢</u>	المجموع

فيكون مجموع الجنود غير النظامية كما يأتي :

٢٠٧	ضباط
٤١٤٧١	عساكر
<u>٤١٦٧٨</u>	

وكانت قبائل العربان في القطر المصري كقبائل أولاد علي والجميعات والجوادى والهنادى وولد سليمان والزوفة وجهينة والحوارة والعبادة والمعازة وغيرهم كالممدد المدخسر في الرجال والخيل والجمال وأسباب القتال ، وكل ذلك تقدمه لأول اشارة من الحكومة

٣ - الرديف

٦٨٠٠	جندى	ألايان	الاسكندرية
» ٣٤٠٠		ألاى واحد	البراس ورشيد
» ٣٤٠٠		»	دمياط
» ٢٧٤٠٠		ثمانية أليات	القاهرة
» ٣٤٠٠		ألاى واحد	مصر القديمة
» ٣٤٠٠		»	بولاق
<u>» ٤٧٨٠٠</u>			

(٢٧ - م)

مخلاصة الإحصاء المتقدم

١٣٠٢٠٢	جنود نظامية
٤١٦٧٨	جنود غير نظامية
٤٧٨٠٠	رديف
١٥٠٠٠	عمال الفابريقات
١٢٠٠	طلبة المدارس الحربية
٢٣٥٨٨٠	بمجموع جنود الجيش البري سنة ١٨٣٩

## الفصل الحادى عشر

### الأسطول

النواة الأولى للأسطول سنة ١٨١٠

بدأت عناية محمد على بإحياء البحرية المصرية منذ شرع فى خوض غمار الحرب الوهاية فقد رأى أن إنفاذ الجنود إلى الحجاز يقتضى إعداد السفن لنقلهم عن طريق البحر الأحمر ، فبادر إلى إنشاء ما استطاع من السفن فى دار صناعة (ترسانة) بولاق بعد أن عمر هذه الترسانه ، فأمر بتجهيز القطع اللازمة من الخشب فيها ثم بنقلها على ظهور الإبل إلى السويس لتركب هناك وتنزل الى البحر ، فكانت هذه السفن هى النواة الأولى للأسطول المصرى فى عهد محمد على

فالبحرية المصرية ابتداء ظهورها وتكوينها فى تاريخ مصر الحديث أوائل سنة ١٨١٠ ، ولقد كان لهذه العمارة فضل كبير فى نجاح الحملة الوهاية لأنهاصلة الاتصال بين مصر وجنود الحملة فى الحجاز ، وهى التى مكنت مصر من السيطرة على البحر الأحمر وثغوره

ويقول المسيو (مانجان) إن محمد على عندما اعتمزم إنشاء بحرية فى خليج السويس جلب الى بولاق الأخشاب اللازمة لصنع السفن من ثغور الاناضول<sup>(١)</sup> وكذلك المهمات والأمراس (الجبال) ، واستحضر العمال فأعد الأخشاب وهياً المواد اللازمة لتركيب السفن ونقل كل ذلك الى السويس على ظهور الإبل ، وكان

(١) ومن القطر المصرى أيضاً

هذا العمل شاقا وطويل المدى ، وقد استخدم في ذلك عشرة آلاف من الإبل ، ومات كثير منها في الطريق من ثقل ما حملت وطول ما أرهقت ، فكان لا يهلك بعير إلا جاء بغيره ، وبذلك تيسر له إنشاء ثمانى عشرة سفينة كبيرة كاملة العدة وانزالها إلى الماء في مدة عشرة أشهر

### رواية الجبرتي

وهاك ماقاله الجبرتي في هذا الصدد : واستهل شهر ذى الحجة بيوم الأحد سنة ١٢٢٤ ( ٧ يناير سنة ١٨١٠ ) وفيه شرع الباشا في إنشاء مراكب لبحر القلزم (البحر الأحمر) ، فطلب الأخشاب الصالحة لذلك ، وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصرى القبلى والبحرى وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم (الاناضول) ، وجعل بساحل بولاق ترسخانه وورشات ، وجمعوا الصناع والتجارين والنشارين فيهنونها وتحمل أخشابا على الجمال ويركبها الصناع بالسويس سفينة ثم يلقطونها ويديضونها ويلقونها في البحر ، فعملوا أربع سفائن كبارا أحداها يسمى الابريق<sup>(١)</sup> وخلاف ذلك (داوات) لحمل السفن والبضائع ،

### ترسانة بولاق وإنشاء السفن

أنشئت اذن العمارة البحرية الأولى في ترسانة بولاق ، وهى الترسانة التى اعتمد عليها محمد على فى صنع السفن الكبيرة إلى أن أسس ترسانة الاسكندرية الحديثة التى سيرد الكلام عنها

ترسانة بولاق كان لها فضل كبير على البحرية المصرية ، وفيها أنشئت السفن

---

(١) سميت كذلك لأنها شبه الابريق ويسمى بالافرنج بريك وهى سفينة بساريتين

التي استخدمتها مصر في الحملة الوهاية ، وأنشئت بها أيضا السفن التجارية التي استخدمتها الحكومة لنقل المناجر والمهمات على النيل وعلى شواطئ البحر الأبيض وقد ذكر الجبرتي هذه الترسانة غير مرة في تاريخه مما يدل على عظم شأنها وذكر ما بنى فيها السفن

فقال في حوادث سنة ١٢٢٧ (١) : « ومنها ان الباشا عمل ترسخانة عظيمة بساحل بولاق ، واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية لجلب الاخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومي من اماكنها على ذمته ويبيعه على الخطابين بما حدده عليهم من الثمن ، ويحمل في المراكب المختصة به باجرة محددة ايضا ، واستمر ينشئ المراكب السكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري الى قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ، ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق ، ولهم قوامة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار ،

وذكر ايضا من حوادث تلك السنة : « ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية ، فانبت المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمصانعة اصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون ، فيجتمع بترسخانة الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية شيء عظيم جدا يتعجب منه الناظر من كثرتة ، وكلها نقص منه شيء في العمل اجتمع خلافه اكثر منه ،

وقال في حوادث سنة ١٢٣١ ( سنة ١٨١٦ ) : « والعمل والانشاء مستمر بالترسخانة على الدوام والرؤساء والملاحون يتخدمون فيها بالاجرة ، وعمارته خللها واحباؤها جميع

---

(١) هذه السنة توافق سنة ١٨١٢ ميلادية ، وقوله سنة ١٢٢٧ فيه نظر ، لأن العمل في الترسانة بدأ سنة ١٨١٠ (١٢٢٤هـ) عند ابتداء الحرب الوهاية كما ذكره الجبرتي نفسه في حوادث ذي الحجة سنة ١٢٢٤ ، فلزم التصحيح

احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرين وكتاب وامناء يسكتبون  
ويقيدون الصادر والوارد ، وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة  
والمتنوعة وما يصاح للعمار والمراكب ، ويأتى اليها المجلوب من البلاد الرومية  
( التركية ) والشامية ، فاذا ورد شيء من أنواع الاخشاب سمحوا للخشابة بشيء  
يسير منها بالثمن الزائد ورفع الباقي الى الترسخانة ،

## الدونمة المصرية

### في البحر الأبيض المتوسط

منذ بنى محمد على العمارة المصرية الأولى في البحر الاحمر وتبين له مزايا  
الاساطيل البحرية اعتمزم إنشاء أسطول قوى يمحى عباب البحر الأبيض المتوسط  
وأخذ يتحين الفرص لإنفاذ هذا المشروع

وقد رأى انه وان كانت مصر مستعدة لبناء السفن عامة إلى أنها لم تسكن على  
تمام الأبهة لصنع السفن الحربية ، وكان يرى بشاقب نظره أن قوة مصر لا تكون  
كافية للدفاع عن استقلال مصر وبسط نفوذها في الخارج إلا اذا عاونها على ظهر  
البحار اسطول حربي قوى ، لذلك جاء تنظيم البحرية المصرية عقب تشكيل الجيش  
المصرى النظامى بزمن يسير

أخذ محمد على ينشئ الدونمة المصرية بشرائه بعض السفن الحربية أو توصيته  
بانشاءها في الثغور الاوروية ، كرسيليا وليفورن وتريستا ، وقد سلحها بالمسافع  
وعهد بقيادتها الى قباطين السفن الجارية من الاسكندرانيين والأتراك ، وجعل  
ملاحها ونوتيتها من المتطوعين ، وجعل بها بعض الضباط من فرانسيسين وايطاليين  
لتعليم البحارة وتدريبهم

وكان بالاسكندرية ترسانة تبني فيها بعض السفن على الطراز القديم وقد عهد



برآسة الهندسة فيها الى رجل يدعى شاكر افندى الاسكندرى يعاونه فى ذلك مهندس  
بارع من أهالى الاسكندرية اسمه (الحاج عمر) ، وهو من مشاهير المعلمين فى فن  
بناء السفن ، فجعله محمد على رئيسا للانشاء وعماراة السفن ، وجعل على مناظرة  
بناء السفن موظفا يدعى الحاج أحمد أغا ، وحضر فى ذلك الحين - سنة ١٨٢١ -  
قبطان فرنسى يسمى الميسو بيسون Besson كان من ضباط السفن الحربية الفرنسية ،  
فعرض على الحكومة المصرية خدماته فجعلته ملاحظا للسفن التى أمرت بصنعها فى  
ترسانات أوروبا ، وقد نال ثقة محمد على وأخذ يرتقى الى أن نال رتبة البسكوية  
فصار يعرف بالفيس اميرال بيسون بك

فتكونت الدوننمة المصرية الاولى فى البحر الأبيض ، وأنشأ محمد على  
ادارة خاصة للاساطيل المصرية جعل على رأسها صهره محرم بك مع بقائه محافظا  
الاسكندرية

وقد اشتركت تلك الدوننمة فى حرب (الموره) وعاونت الجيش المصرى على  
محاربة اليونانيين كما بيناه فى الفصل السابع

### تجديد الاسطول بعد واقعة نافرين

سنة ١٨٢٩

ولكن هذه الدوننمة قضى عليها بالدمار فى واقعة نافرين البحرية (١) وقد  
حزن محمد على حزنا شديدا على ضياعها غدرا فى تلك الواقعة ، اسكنه لم يذع لليأس  
سبيلا إلى قلبه ، بل عزم على إنشاء اسطول جديد يعوض مصر اسطولها  
القديم ، وشرع فى تكوينه من السفن الحربية التى كان أمر بصنعها فى الثغور  
الأوروبية

(١) ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧ - انظر تفصيل ذلك بالفصل السابع

### إنشاء دار الصناعة الكبرى بالإسكندرية

ثم اعتزم أن يبنيء اسطولا جديدا بأيدٍ مصرية ، لكيلا تكون مصر عالة على البلاد الأوروبية في إنشاء تلك السفن ، فوجه همته إلى تأسيس دار صناعة ( ترسانة ) كبرى بالإسكندرية لبناء السفن الحربية ، وقد استعان لتحقيق هذا المشروع بمهندس فرنسي على جانب عظيم من المهارة والصدق يدعى المسيو سريزى Cerisy ، وهو مهندس بحرى فرنسي من ثغر طولون اشتهر بالكفاية والخبرة في فنون البحرية ، وخاصة في فن بناء السفن والأحواض والترسانات ، وقد كان عهد إليه من قبل بإنشاء سفينتين حربيين في مرسيليا ، فعرض عليه أن يحضر إلى مصر ليستعين به في إحياء البحرية المصرية

#### سريزى بك

قدم المسيو دى سريزى بك إلى مصر في ابريل سنة ١٨٢٩ ، وكانت إذ ذاك بالإسكندرية سفن قليلة العدد وهى البقية الباقية من العهارة المصرية التى نجت من واقعة نافرين ، ذكر منها كلوت بك سفينة من نوع الفرقاطة بها ستون مدفعا أنشئت بشعر البندقية ، وأخرى أنشئت فى ثغر ليفورن ، وجملة سفن من طراز الكورفيت والابريق ، وكانت هذه السفن مفتقرة الى مهمات القتال ومعداته لأنها منشأة فى ثغور تجارية لاحرية بجهزها المسيو سريزى بجهازها وأنشأ فيها مخازن للبارود لجعلها صالحة للقتال

فطلب محمد على إلى المسيو سريزى أن يضع له تصميميا لإقامة ترسانة كبرى ولم يكن بالإسكندرية وقتئذ سوى الترسانة القديمة وكانت تصلح أن تكون نواة لها ، وهى مظللات من الخشب فى مكان قريب من البحر ، وقد بنيت فى تلك الترسانة سفينة من طراز ( الكورفيت ) ، وأخرى من طراز الابريق ، وثلاثة ذات حجم كبير حولت فيما بعد إلى فرقاطة

## الحاج عمر

قلنا ان محمد على عهد برآسة هندسة السفن وبنائها في الترسانة القديمة الى الحاج عمر ، وهو من أهالى الاسكندرية ، وقد تردد اسمه كثيرا في المراجع الاخرى العربية وفي جريدة الوقائع المصرية ، إذ كان مهندسا بارعا في فن بناء السفن ، فلما انشئت الترسانة الجديدة كان نعم المساعد للمسيو دى سرى في انشاء السفن الحربية الجديدة

وقد ذكره الدكتور كلوت بك في كتابه (١) فقال عنه : كان يرأس أشغال بناء الأساطيل وتزيمها مصرى طاعن في السن يدعى الحاج عمر ، وهو رجل يجمع بين الشهامة والكفاءة في بناء السفن ، فأعجب المسيو سرى به وبكفاءته وجعله عضده الأيمن في تحقيق برنامجه ، وكان يصحبه رجل تركى الجنس (وهو شاكر افندى المتقدم ذكره) يقول عنه كلوت بك أنه يزعم العلم بالهندسة ولما خلو منها ، فاستغنى عنه المسيو سرى وفصله من وظيفته وبقي الحاج عمر يعاون سرى بك في عمله خير معاونة

وقال على باشا مبارك (٢) : وقبل حضور المهندس سرى بك المذكور كان الرئيس على إنشاء وعمارة السفن بتلك الميناء رجلا من الأهلين يسمى الحاج عمر وكان صاحب إدارة ومعرفة طبيعية ، وأقدم على هذه الأعمال مع الاصابة ، فلما حضر المسيو سرى بك اتحد معه وساعده في جميع أعماله ،

وكان للحاج عمر المذكور شخصية محبوبة بين معاصريه ، فقد تضمنت (الوقائع المصرية) ثناء عليه (٣) لما سبب بناءه احدى السفن الحربية وقالت عنه مايلي :

(١) لحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٢٥٤ (٢٣٧ من الأصل الفرنسى)

(٢) الخطط التوفيقية ج ٧ ص ٥٢

(٣) العدد ١١٢ الصادر في ٢٧ شعبان سنة ١٢٤٥ (فبراير سنة ١٨٣٠)

والحاج عمر يوزباشى من اهل الاسكندرية رئيس المعمارين فى ترسانة الاسكندرية ، لم يكن له نصيب من علم الهندسة ، ومع ذلك زاول أعمال سفن التجارة مدة ، وصار كأنه مهندس رياضى بسكثرة المزاولة فى الأعمال وبسبب قوة ذكائه وفطائه ، والآن تم انشاء سفينة الفرقطون الذى شرع فى إنشائه بمعرفة المرقوم ، وطولها من قريبتها ١٣٢ قدما ، ومن كورتها ١٤٧ قدما وعرضها ٣٧ قدما ، وعمقها ٣١ قدما . وبطارتها الأولى تسع ٢٨ مدفعا ، وكذلك بطارتها الثانية ، وداردتها تسع مدفعين ، فنزلت فى يوم الاثنين الموافق ١٥ شعبان المعظم ، ولما رآها موسيو سرىزى الذى جاء من فرنسا وهو مهندس ماهر فى إنشاء السفن المنصورة تعجب من حال المعمار المرقوم حيث أنشأ تلك السفن من دون علم الهندسة وأكمل جميع ما يحسن لها .

### كيف أسست الترسانة

درس المسيو سرىزى مشروع إنشاء ترسانة كبيرة بدل الترسانة القديمة ، وبعد أن تم دراسته وضع تصميمها وقدم الرسوم اللازمة لإنفاذ المشروع إلى محمد على فى ٩ يونيه سنة ١٨٢٩ ، فأمر النظر فيها ثم وافق عليها ، وشرع من فوره يخرج المشروع إلى حيز العمل ، ولم تمض هنيهة على إقراره حتى كان عدة آلاف من الجنود يحفرون الأساس للبنى اللازمة واشترى بعض أماكنا على شاطئ الميناء بخط ( الصيادين ) من أصحابها وألحقها بمشروع الترسانة ، واستدعى من سائر أنحاء القطر الشبان والعمال الذين يعهد إليهم العمل فى إتمام الترسانة والتوفّر على الأعمال البحرية ، فكان منهم النجارون والحدادون والقلاطية والسباكون والميكانيكيون ، وتألفت هذه الفرق تدريجا ، وأخذ المسيو سرىزى هو والحاج عمر فى تدريب الشبان على التعليم البحرى حتى تخرج منهم الأونباشية والجاويشية والضباط ممن امتازوا بالهمة والنشاط والذكاء وصاروا تحت ملاحظة الحاج عمر المذكور . وتم

بناء الترسانة سنة ١٨٣١ ، ووجد المسيو سرزى من ذكاء المصريين وحسن استعدادهم وحنقهم الصناعات من قبل بيئة صالحة لإتمام بناء الترسانة وإنشاء السفن الحربية فيها وقد جعله محمد على باشمهندس الترسانة ورقاه إلى رتبة البكوية فصار يعرف بسرزى بك ، ثم رقاہ إلى درجة لواء ، وتولى تدريب العمال على مباشرة الأعمال ، كل في الصناعة التي اختير لمزاوتها ، وبذلك سار العمل في إقامة المباني وتدريب العمال على مختلف الصناعات سيرا مطردا

وكان محمد على لا يألو جهدا في تنشيط العمل وتشجيع العمال فكان كثيرا ما يحضر بنفسه إلى دار الصناعة ويستحث الصناع على العمل ويعطيهم المثل في الجد والمثابرة ، وكذلك كان يفعل ابراهيم باشا ، فكان لعملهما تأثير كبير في تقدم العمل حتى تم في يوم ٣ يناير سنة ١٨٣١ إنشاء بارجة حربية ذات مائة مدفع زات إلى البحر تهادى ، فابتهج محمد على باشا لهذه النتيجة العظيمة ، ورأى أن مشروعه في أحياء البحرية المصرية بعد واقعة نافرين قد خطا الخطوة الأولى في النجاح ، وأطرد العمل ونما حتى صار لمصر في عدة من السنين أسطول حربي عوضها ما فقدته في ( نافرين ) وزادت قوتها على ما كانت عليه

### أقسام الترسانة

وصارت ترسانة الاسكندرية من أعظم المنشآت الحربية والبحرية ، كما كانت معهدا لتعليم الشبان المصريين بناء السفن وترميمها وما يلزمها من الآلات ، فكانوا يوزعون على أقسامها ليتخصص كل جماعة في فرع من فروع هذه الصناعة ، ويكفيك لتبين مبلغ عظمها القاء نظرة على أقسامها والمصانع (الورش) التي تتألف منها ، فقد ذكر المرحوم اسماعيل باشا سرهنك (١) أنها تتألف من الأقسام الآتية :

- ١ - ورشة الحبالة أو التيالة لعمل الحبال ٢ - ورشة الحدادين لصناعة الحديد
- ٣ - ورشة القلوع لعمل أشعة السفن ٤ - ورشة السوارى لعمل ساريات السفن

(١) في كتابه حقائق الاخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٤٢

٥ - ورشة البوصلات والنظارات ٦ - ورشة الدمخانة لصب الآلات وسبك الحديد  
٧ - ورشة البوية لصنع الدهانات ٨ - ورشة المخرطة لعمل البكرات وغيرها  
وأعمال النشر والخرط ٩ - ورشة التريزية لعمل الأعلام والرايات ١٠ - ورشة  
الفلائك لصنع الزوارق ١ - ورشة النجارين لعمل النجارة اللازمة للسفن  
١٢ - ورشة الطلومبات ١٣ - ورشة القلاطية لقلطة السفن ١٤ - ورشة  
البورغوجية لثقب الأخشاب ١٥ مخازن الذخائر والمهمات (١)

وأنشئ بالترسانة خمسة مزلقانات لبناء السفن عليها ، واهتم المسيو سريزي بك  
والحاج عمر بتعميق البحر من ناحية الترسانة الجديدة حتى جعلاه في عمق كاف لرسو  
أكبر السفن الحربية

واتسعت أعمال الترسانة وكثر عمالها حتى بلغ عددهم نحو ٨٠٠ عامل من  
الاهالي حذق منهم ١٦٠٠ صناعة بناء السفن فاستغنت مصر عن اتياع السفن  
من الخارج

### أخشاب السفن

وإذ كان محمد علي راغبا في الاستكثار من إنشاء السفن الحربية، فكفر في وسيلة فعالة  
لجلب الأخشاب من الخارج ليكمل بها ما تنتجه أشجار القطر المصري من الخشب

---

(١) ذكر الدكتور كلوت بك في كتابه ج ٢ ص ٣٧٠ أقسام الترسانة بما لا يخرج  
في مجموعها عما ذكره اسماعيل باشا شرهك غير أن بيان سرهك باشا جاء أوفى وأكثر  
تفصيلا ، ولا غرو فكتابه ظهر بعد كتاب كلوت بك بنيف وخمسين سنة ، وفي كتاب  
كلوت بك انه أنشئت برشيد فابريقة لنسج قماش الأشربة ومصانع أخرى للحدادة كي يستعان  
بها عند الضرورة لتكملة أعمال ترسانة الاسكندرية ، وكانت فابريقات القاهرة ومعاملها  
تشتغل أحيانا لهذا الغرض ، قال وكان المسيو سريزي لا يميل إلى حصر الصنائع في مكان  
واحد ، فدرب جماعة من المصريين على صناعة حبال السفن وأمراسها ، ثم أعادهم إلى  
بلدانهم ليتفرغوا بها لصناعتها

الذى يصلح لبناء السفن ، فحصل على اذن من حكومة الاستانة يجيز له قطع  
الأخشاب اللازمة من غابات الأناضول ، وعهد بذلك إلى طائفة من العمال والصناع  
برآسة كل من الحاج حسن بك كبير نجارى الترسانة ، والسيد أحمد أحد عمالها ،  
وبذلك أخذت الأخشاب ترد إلى الاسكندرية لتصنع منها السفن فى الترسانة

### تدليل العقبات

وقد لقي المسيو سرىزى عقبات شتى فى الماضى فى عمله ، ذكرها كلوت بك فى  
كتابه (١) ، من ذلك أنه استعان فى بدء الامر بجماعة من الصناع الأوربيين الفنين  
للقيام بالأعمال الفنية التى لم يكن المصريون قد حذقوا فيها بعد ، وكان إقدامه على  
إنشاء الترسانة قد أزعج بعض البيوت التجارية الأوربية التى كانت تربح الأرباح  
الوفيرة من وساطتها فى التوصية فى الخارج على بناء السفن الحربية لمصر ، فأخذت  
تدس الدسائس للمسيو سرىزى وتثبط العزائم وتذيع إشاعات السوء عن فشل  
مشروعه بين العمال الأوربيين الذين يتولون رياسة الأقسام الصناعية فى الترسانة  
ويدربون العمال المصريين ، وسعت إلى تحريضهم على الشغب والعصيان ، ووقعت  
فى بعض الورش والمعامل بالترسانة بسبب ذلك فتن أفضت إلى الارتباك والخلل  
فى العمل حتى لقد حدث عند الشروع فى دفع السفينة الثانية من منشآت الترسانة  
إلى البحر ، أن انقطعت حياتها المثبتة لها فى مكانها قبل الأجل المعين ، وكان ذلك  
بفعل فاعل يقصد اتلافها ، وكان العمال المالمطيون والليفورنيون يحرضون زملاءهم  
من عمال ترسانة (تولون) الذين كانوا يعملون معهم فى ترسانة الاسكندرية ويحسونهم  
على التمرد ، وكان المسيو سرىزى قد جاء بهم فى السنة التالية لتعيينه ليتولوا رئاسة  
الأقسام المختلفة ، لكن هذه العقبات لم تدخل اليأس إلى قلب المسيو سرىزى ، ولم  
ينزعج لها ، بل قابل دسائسهم وأفاعيلهم بجأش ثبت وإرادة قوية ، أما محمد على

(١) ج ٢ ٣٦٤ (٢٤١ من الاصل الفرنسى)

باشا وهو صاحب العبقرية العالية في كل شأن فقد أهمل الوشايات التي أحيط بها  
المسيو سر يزي فهد له بذلك سبيل التفرغ لأعماله والاهتمام بإنجازها من غير توان  
ولا إهمال ، ومن الصعب أن نتصور مبلغ العقبات التي اضطر ذلك المهندس الخبير  
إلى مكابحتها ليتمكن من إنجاز ما عاهد نفسه على تنفيذه من المشروعات ، وكانت  
ظروف الأحوال قد أُلجأته في بادئ الأمر إلى استخدام الجهم الغفير من الأوروبيين  
لتسليح السفن التي كانت تبنى بسرعة مذهشة ، فأدّت معالجته هذا الأمر إلى وقوع  
قتل واضطرابات لم يلبث أن تغلب عليها بفطنته ، وما انفك يهتم أيضا بمنع السرقات  
وبحسم ما يقع من الشقاق والنزاع بين العمال الوطنيين ، ومعاقبة المقصرين في أداء  
أعمالهم ، سواء أكان هذا التقصير عن إهمال أو خطأ ، أم سوء نية ، وقد وفق إلى  
تعليم المصريين تدريجاً الصناعات التي حذقوها حتى ضارعوا الأوروبيين فيها ،  
فاستطاع محمد علي الاستغناء عن فريق كبير من هؤلاء بحيث أن الأعمال صار ينجز  
الشطر الأوفى منها بأيدي العمال الوطنيين ، ولم يحتفظ من الأوروبيين إلا بقسمة  
صغيرة من المعلمين الفرنسيين ، قصد ببقائهم في الخدمة الاشراف على كيفية استعمال  
المواد اللازمة لبناء السفن ، قال وعمما هو جدير بالذكر ان امتثال المصريين للأوامر  
واذكباهم على العمل فضيلتان كبيرتان عاونتا المسيو سر يزي على أداء المهمة التي  
وكلت إليه على خير مايرام

ولم تنقطع دسائس التجار الأوروبيين بعد انتظام العمل في الترسانة ، فانه بعد  
ان صارت تخرج السفن الحربية وبعد أن استغنت الحكومة عن اقباع السفن من  
الخارج كانت مع ذلك مضطرة إلى جلب المهمات والأدوات التي تدخل في إنشائها  
من الخارج ، كالأخشاب والحديد والنحاس ، فكان التجار الافرنج يتغالون في  
أثمانها ويوردون الأصناف الرديئة منها ، فالخشب مثلا كانوا يستوردونه من  
الاناضول وإيطاليا غير مستوف شرائط الجودة والمتانة ، ولذلك كثيرا ما سرى  
العطب إلى السفن التي كانت تصنع منه فتحتمل إلى الإصلاح والترميم بعد زمن قليل ،  
على ان محمد علي لم تفتر عزيمته عن مغالبة تلك العقبات ومتابعة إنشاء السفن مهمة



لا تعرف الملل ، وألف مجلسا ناط به كل ما يلزم لأعمال السفن وجعل المسيو  
سريزي رئيساً له

### السفن التي أنشئت أو رمت

#### في ترسانة الاسكندرية

أورد كلوت بك في كتابه (١) بياناً عن السفن التي أنشئت أو رمت في ترسانة  
الاسكندرية أثناء وجود سريزي بك على رأسها ، وهذا البيان يعطينا فكرة عن  
عظمتها وضخامة العمل الذي قامت به

فقد بنيت بها البارجتان ( مصر ) و ( عكا ) وهما بحجم السفن الفرنسية ذات  
الثلاثة السطوح المعروفة في ذلك العصر إلا أنهما لم توضع بهما البطارية الرابعة ،  
والسطح الأول لسكل منهما يحمل ٢٢ مدفعاً طويلاً من عيار ٣٠ والسطحان الآخر  
يحملان ٦٨ مدفعاً قصيراً من عيار ٣٠

وأربع بوارج من ذات مائة مدفع ، وهي المعروفة بأسماء ( المحملة الكبرى )  
( والمنصورة ) و ( الاسكندرية ) و ( حمص ) ، وفي كل من هذه السفن ٣٢ مدفعاً  
طويلاً من عيار ٣٠ في البطارية الأولى ، و ٤٤ مدفعاً قصيراً من عيار ٣٠ في البطارية  
الثانية ، و ٤٤ مدفعاً من الزهر ( كاروناد ) من عيار ٣٠ في مقدم السفينة ومؤخرها  
والبارجة ( أبو قير ) ذات ٧٨ مدفعاً ، منها ٢٨ مدفعاً طويلاً من عيار ٣٠ في  
البطارية الأولى ، و ٣٠ مدفعاً قصيراً في البطارية الثانية ، و ٢٠ مدفعاً من الزهر من  
عيار ٣٠ في مقدمة السفينة ومؤخرها

والسكورفيت ( منطلا ) وفيها ٢٤ مدفعاً قصيراً من عيار ٣٢ انجليزي والجوليت  
( عزيزية ) وفيها عشرة مدافع من عيار ٤ ، وقوطر الزهرة وفيه ٤ مدافع من عيار ٤

(١) ج ٢ ص ٢٧٣ (٢٤٦٠ من الأصل الفرنسي)

وسفينة لمدافع الهاون ، وسفينة نقالة لحمل أخشاب الساريات

وقد تولت الترسانة تسليح البارجة ( بيلان ) ذات ٨٦ مدفعا ، فركب فيها ٢٨ مدفعا طويلا من عيار ٣٠ في البطارية الأولى ، و ٣٠ مدفعا قصيرا في البطارية الثانية ، و ٢٨ مدفعا من الزهر في المقدمة والمؤخرة

وكان العمل جاريا (١) في بارجتين من البوارج الضخمة ذات المائة مدفع من عيار ٣٠ ، وهما ( حلب ) و ( دمشق ) وفي فرقاطة كبيرة ذات ستين مدفعا من عيار ٣٠

واستنتج كلوت بك من البيان المتقدم أن المسيو سريزي قد عني بالتوحيد بين عبارات السفن الحربية الكبرى ، وهو الأمر الذي كثيرا ما طالب به الخبراء البحريون في أوروبا على ذلك العهد

أما سفن الدوننمة التي اقتضى ترميمها وتعهدتها في لترسانة من الوقت والعمل أكثر مما كانت تقضيه السفن المنشأة حديثا ، فهي الفرقاطة ( الجعفرية ) وهي ذات ستين مدفعا من عيار ٣٢ انجليزي وكان إنشاؤها بميناء ( ليفورون ) بايطاليا والفرقاطة ( البحيرة ) وهي ذات ستين مدفعا من عيار ٢٤ وكان إنشاؤها في ثغر مرسيليا

و ( رشيد ) وهي ذات ثلاثين مدفعا من عيار ٢٤ ، و ٢٨ مدفعا من الزهر من عيار ٣٦ ، وكان إنشاؤها بمدينة البندقية ( فينسيا ) و ( كفر الشيخ ) وهي ذات ثلاثين مدفعا من عيار ٣٢ انجليزي ، وأربعة وعشرين مدفعا من عيار ١٢ وقد أنشئت في ثغر ( أركانجل ) بالروسيا للنقل وأكمل إنشاؤها في ( لندره ) كفرقاطة حربية ، ( وشير جهاد ) وهي ذات ستين مدفعا من عيار ٢٤ ، وكان إنشاؤها في ثغر ليفورون ثم عدلت في الاسكندرية تعديلا يعد إنشاء جديدا

و ( دمياط ) وهي ذات أربعة وعشرين مدفعا من عيار ٢٤ ، وثلاثين مدفعا

(١) وقت تأليف كتاب كلوت بك سنة ١٨٣٩

من الزهر من عيار ١٨ ، وكانت سفينة كبيرة وحولت في رسانة الاسكندرية الى  
فرقاطة حربية

و(موستا جهاد) وهي ذات ثمانية وعشرين مدفعا من عيار ١٨ ، وثمانية وعشرين  
مدفعا من عيار ١٢ ، وكانت فرقاطة جزائرية أهدتها فرنسا لمصر

والسفن (جناح بحري) وأصلها من ثغر جنوه بايطاليا و(جهاد بيكر) وأصلها  
من جنوه أيضا و(فوه) وأصلها من الاسكندرية و(بانك جهاد) وأصلها من مرسلية ،  
وكلها من طراز الكورفيت ذات ٢٢ مدفعا من عيار ٢٤ و (واشنطن) وأصلها  
من بوردو ، و (فولمينان) وأصلها من (ليفورن) و (الفشن) وأصلها من  
الاسكندرية و (شاهين دريا) وأصلها من تركيا ، وكلها سفن من طراز الإبريق  
السكبير ، وتحمل كل منها اثنين وعشرين مدفعا من الزهر ، و (سمند جهاد) وأصلها  
من مرسلية و (شهباز جهاد) وأصلها من سيوتا و (والتمساح) وأصلها من  
من مرسلية و (بادى جهاد) وأصلها من الاسكندرية و (أمريكان) وأصلها من  
الولايات المتحدة ، وهي سفن من طراز الإبريق الصغير ، وتحمل كل منها من ستة  
عشر مدفعا إلى ثمانية عشر مدفعا من مدافع الزهر

وأربع سفن نقالة حمولة كل منها ٤٠٠ طن

وفرقاطة و ابريق وقوطر من السفن العثمانية التي غنمت أثناء الحرب السورية  
وكذا جملة سفن صغيرة ، وباخرة تسمى (النيل) أصلها من لندره تسير بالبخار ،  
وقد راعى المسيو سرىزى في بناية السفن الحربية الإصلاحات والتعديلات التي كان  
الضباط الفرنسيون يطالبون بإدخالها على السفن الفرنسية وكذا الإصلاحات التي  
اهتمدى إليها بخرته أثناء قيامه بالعمل في ثغور فرنسا ، والملاحظات التي لاحظها في  
انجلترا ورأى من الأفضل العمل بها لفائدة البحرية ، ولذلك بنيت السفن التي  
أنشئت في رسانة الاسكندرية بمقتضى التصميمات التي وضعها بنفسه

وختم كلوت بك بيانه بقوله : من المستطاع التحقق بأن قسما عظيميا من

التنسيقات والترتيبات المرعية في بناء السفن الحربية الفرنسية وجدت في السفن التي أنشئت بالقطر المصري قبل وجودها في فرنسا بزمان طويل ، أي أن ترسانة الاسكندرية سبقت ترسانات فرنسا إلى الوسائل الحديثة في بناء السفن ولما ظهر استعمال البخار أمر محمد علي دار الصناعة بإنشاء سفن حربية بخارية (وكانت السفن الحربية قبل ذلك تدير بالشرع) فصنعت عدة بواخر ، منها وابور (النيل) الذي ذكره كلوت بك و (أسيوط) و (رشيد) و (جبلان) خصصها لحمل البريد وجعل لها إدارة خاصة سماها القومبانية المصرية

### سفن النقل

وشيدت في الترسانة عدا السفن الحربية سفن عديدة للنقل جعل لها إدارة خاصة تولى رأسها محمد قراقيش قبودان ثم خلفه محمد راشد بك ثم خلفه أوزون أحمد قبودان

### حفلات نزول السفن الحربية إلى البحر

وكانت السفن التي يتم إنشاؤها تقام لها حفلات ضخمة ابتهاجا بنزولها إلى البحر كالحفلات التي تقيمها الحكومات الأوروبية في ثغورها البحرية لمناسبة إنشاء البوارج الجديدة ، وكان محمد علي باشا يحضر بنفسه معظم هذه الحفلات تقديراً لها وإعلاء لشأن الاسطول ، قال رفاعة بك رافع في هذا الصدد :

« وكان محمد علي يديم النظر في السفن عند صنعائها ، ويصوّر الغرض منها ، وكلها شارفت الإتمام ازداد فرحاً وسروراً ، وإذا نزلت سفينة في البحر لم يتمالك نفسه مع ما كان عليه من كمال الهيبة وحفظ ناموس الوقار أن يظهر أماراة السرور فلماذا كملت عنده دونئمة ملوكية طبق مرامه ، وطقمها بالمدافع والعساكر ، ونظمها

على نسق نظام العساكر البرية وأنشأ مدرسة بحرية بشجر الاسكندرية ليخرج منها من الضباط ما يحتاج اليه هذه الدوننمة ، وترجم العلوم البحرية وصار لها كتب كافية كسائر العلوم الأخرى ، (١)

وإنا إذا كرون هنا ماجاء بالوقائع المصرية (٢) في وصف إحدى تلك الحفلات ننقله بنصه لتعرف منه تفاصيل الحفلة ، ولتطلع على نموذج من لغة الجريدة الرسمية في ذلك العصر

« إن الغليون (٣) ذا الهيئة السنية ، المحلى باسم الاسكندرية ، تعريف إنشاء آلاته البهية وعمل أدواته الحربية ، ووصف أبعاده الثلاثية ، قد تقدم ذكره الشائع ، واندرج في سلك السطور والوقائع ، والمراد ذكره الآن قطع حساب تعاقباته من القطر البري ، ليظهر بأجنحة العنقاء إلى العالم البحري ، وقد وافق هذا غرة شعبان المعظم في الساعة الرابعة من النهار ، حيث تجلت مشاهد الانوار ، وكان ذلك بحضور جميع الأمراء والعظماء ، وزمرة الصلحاء والعلماء ، وقناصل الدول المستأمنين ، وقاطبة الاهلين ، مع جملة أولادهم الكبار ، وعيالهم الصغار ، وكانوا لدى ساحة الترسانة الواسعة الأرجاء ، منتشرين كمنجوم السماء ، وأماسعادة أفندينا ولى النعم فانه ركب الفلك بحرا ، وهلم جرا ، واستصحب بمعيته أحد رجال الدولة العلية ، المأمور بتشريف الديار المصرية ، أعني به مصطفى أفندي نظيف ، حتى وضع لدى موضع الترسانة قدمه الشريف ، وكان الغليون إذ ذاك قد بادرا إلى قطع أكثر العلائق ، ووداع الخلائق ، بحضور المهندس الذى هو لكل منقبة حاوى ، الحاجة سرى الفرناوى ، فتقدم الموما اليه لدى ساحة مكارم ولى النعم ، وأشار الى أن هذا هو وقت الدعاء ، من زمرة العلماء ، فتقدموا الى جهة الغليون الراسى كالطود المتين ،

(١) مناهج الأبواب المصرية للعلامة رفاة بك رافع ص ٢٤٦ طبعة ثانية

(٢) عدد ٢٤٠ الصادر في ١١ شعبان سنة ١٢٤٧ (يناير سنة ١٨٣٢)

(٣) المركب الحربى

ولدى دعائهم قال الحاضرون امين ، فتلا حينئذ اسان حال الغليون ، عم يتساءلون  
ثم نبذ باقي العلائق ، وأنشد بمحضر الخلائق  
لست أخشى عسف الرياح اذا ما بدت عن ساحل ووسطت بجرأ ،

### استقالة سرى بك

خلا مكان سرى بك فى دار الصناعة باستقالته من منصبه . وترجع استقالته  
الى ائتمار التجار الأورويين به كما قدمنا ، فما زالوا يجرؤونه حتى استقال ، على  
أن أعمال الترسانة سارت بعد استقالته فى تقدم مستمر بفضل ادارة مهندسيها  
المصريين ، وبذل حسن بك السعران ومحمد بك راغب من خريجي البعثة البحرية  
همة كبرى فى تنظيم العمل حتى بلغت العمارة الحربية المصرية درجة تفوق كثيرا  
من الدول الأوروية

### المهسكر البحرى للتعليم برأس التين

وانشأ محمد على باشا مهسكرا لتعليم البحارة من الجنود الاعمال البحرية ليكونوا  
بحارة الاسطول وجنوده ، انتقاهم من كل المديرات وأعد لإقامتهم وتدريبهم الجهة  
الشمالية الشرقية من رأس التين بحيث تسع عشرة آلاف نفس ، وأعد لهم مركبا  
فوق البر بسوارها وقلوعها لتعليمهم استعمال الشراعات ، ولما تم تدريب البحارة ،  
وزعوا على السفن الحربية ، فانتظمت طوائف الجنود والبحارة ، وصار نظامهم  
يضارع انتظامات البحرية بالاساطيل الأوروية ، ونقل من كان بتلك السفن من  
النوبة غير النظامية إلى سفن النقل

وانشأ محمد على مستشقى للبحرية فى شبه جزيرة رأس التين ، وآخر فى الترسانة

## مدرسة بحرية على ظهر البحر

وكذلك انشأ مدرسة بحرية لتخريج الضباط البحريين على ظهر إحدى السفن الحربية ، ولما اتسع نطاقها قسمت إلى فرقتين كل واحدة بسفينة ، وكان ناظرها حسن بك القبرسلى ، وبعد وفاته جعل مكانه كنج عثمان بك ، ويشرف عليها ناظر البحرية ، وقد نبغ من هذه المدرسة كثير من الضباط البحريين الذين اشتهروا في الأعمال والحروب البحرية ورفعوا علم مصر عالياً فوق ظهر البحار أو تولوا الإدارات البحرية في مصر ، ذكر اسماعيل باشا سرهنگ<sup>(١)</sup> بعض من عشر على أسمائهم فأثرنا أن نثبتهم هنا لتعرف بعض ضباط البحر ممن ازدان بهم تاريخ الأسطول المصرى :

خير الدين قبودان ، عبد اللطيف قبودان ، أحمد نوري قبودان الملقب بالجوخدار ، حسين شرين قبودان<sup>(٢)</sup> ، جعفر مظهر قبودان ، حافظ خليل قبودان (وهؤلاء ترقوا إلى رتبة الباشوية)

حافظ قبودان مصطفى ، برغمه لى أحمد قبودان ، مصطفى قبودان السكريدلى ، حاجو قبودان ، حافظ قبودان الشيرازى ، بودرملى أحمد خوجه قبودان ، عارف قبودان ، اسماعيل قبودان ، أمين قبودان الملقب بالطويل ، بوزجه اطه لى خليل قبودان ، خورشيد قبودان ، هدايت محمد قبودان ، بابا سليم قبودان ، أحمد شاهين قبودان ، خورشيد قبودان الملقب بأبى فصادة ، محمد راشد قبودان ، سليم قبودان مرجان قبودان ، وسيل قبودان ، ابراهيم قبودان الملقب بكره كوز ، عثمان قبودان

(١) حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) هو حسين شرين باشا من مشاهير قواد البحر في عهد محمد على واسماعيل ووكيل وزارة البحرية في أوائل عهد توفيق باشا ، وهو جد صد يقينا النبيلين المرحومين اسماعيل شرين بك وحسين شرين بك

الملقب بقاق ، عثمان قبودان الملقب بالبوتى ، سليمان قبودان الملقب بالبير قدار ، مصطفى قبودان الملقب بالبلاوجى ، بوغجه اطه لى أمين قبودان ، بوغجه اطه لى سليمان قبودان ، مطوش قبودان

### البعثات البحرية

لم يكتف محمد على باشا بإنشاء المدرسة البحرية بل كان يختار بعض الضباط البحريين ويرسلهم إلى فرنسا وإنجلترا لإتمام علومهم بها وممارسة الفنون البحرية على ظهر السفن الحربية الأوروبية ، فمن هؤلاء عثمان نور الدين أفندى ( باشا ) الذى سنترجم له فيما يلى ، وحسن أفندى الاسكندراني ( باشا ) ، وشنان أفندى ، ومحمود أفندى نامى (١) ، وهؤلاء أرسلوا الى فرنسا ضمن البعثة الأولى

وعبد الحميد أفندى ، ويوسف اكاه أفندى ، وعبد الكريم أفندى ، وهؤلاء أرسلوا إلى إنجلترا ضمن البعثة العلمية الثالثة ولما أنهوا علومهم وتجاربهم عادوا إلى مصر ووزعوا على السفن الحربية المصرية

ومن الذين أرسلهم محمد على باشا كذلك الى أوروبا لتليذان آخران لتعلم فن إنشاء السفن ، وهما حسن أفندى ( بك ) السمران ، وهذا سافر إلى فرنسا ، ومحمد راجب أفندى ( بك ) (٢) ، وهذا سافر إلى إنجلترا ، وبعد أن أتقن التليذان المذكوران فن الهندسة البحرية عادا إلى مصر وعينا رئيسين لقسم الهندسة وإنشاء السفن بترسانة الاسكندرية ، وتوليا العمل الذى كان يقوم به سرىزى بك فى دار الصناعة

(١) تجد ترجمتهم فى فصل البعثات

(٢) ضمن البعثة العلمية الثالثة ، انظر الفصل الثانى عشر



وقد أدّى خريجو المدرسة والبعثات البحرية خدمات جليلة للبحرية المصرية ،  
فدين بعضهم قباطين للسفن الحربية لقيادتها وتدريب بحارتها على الأعمال البحرية ،  
وترجم بعضهم مؤلفات عدة عن البحرية ذكرها اسماعيل باشا سرهنك (١) فترجم  
جر كس محمود نامى قبودان كتتابا فى فن الحرب البحرية ، وترجم عبد الحميد بك  
الديار بكرلى مؤلفا فى مقاس السفائر ، وترجم محمد شنان أفندى قانون البحرية

وترجم عثمان نور الدين باشا كتاب القواعد واللوائح البحرية المتبعة فى فرنسا  
وأخر فى قانون العقوبات البحرية

وترجم أحمد خليل أفندى المهندس قانون البحرية وكتتابا فى فن الطوبجية  
البحرية ، وترجم هؤلاء أيضا وغيرهم كثير آ من القوانين واللوائح والنظامات  
البحرية المستعملة فى سفن أساطل فرنسا وانجلترا ، ونشرت هذه المؤلفات بين  
ضباط البحرية ، واتبعت أحكامها فى الدونمة المصرية ، فزادت نظاما وقوة  
وصارت فى زمن قليل تحاكى أعظم بحريات أوروبا

### إصلاح الميناء

بذل محمد على جهداً كبيراً فى توسيع ميناء الاسكندرية وتعميقها واستحضر  
لهذا الغرض الكراكات من أوروبا حتى صارت السفن ترسو على الشاطئ بعد  
أن كانت ترسو بعيدة عنه ، وأذن للسفن الأوروبية التجارية والحربية بالدخول فى  
الميناء الغربية بعد أن كان غير مباح لها من عهد المالميك أن ترسو إلا فى الميناء  
الشرقية ، فلما أذن لها محمد على بالرسو فى الميناء الغربية أخذت السفن الأجنبية  
تتوافى إلى الاسكندرية واتسعت حركة التجارة فيها ، وأنشأ رصيفا داخل الميناء  
لرسو السفن عليها ، وملا المتخلف بين الأرصفة والشاطئ بالأحجار والآتربة

فانسع الشاطئ وأنشأ في ذلك الفضاء ما يحتاج إليه الميناء من المخازن وأبنية الجمر ك  
ومساكن الموظفين (١) وكان المباشر لذلك شاكر أفندي المتقدم ذكره إلى أن توفي  
بخلفه مظهر باشا المهندس الماهر الذي تخرج من البعثة العلمية ، وكذلك وضع  
علامات في بوغاز الاسكندرية كي يهتدى بها ربابين السفن في دخولهم إلى الميناء  
وخرجهم منها

### إنشاء حوض لترميم السفن

وأنشأ محمد علي في الميناء حوضاً لترميم السفن، مما لا نستغنى عنه الثغور الكبيرة  
جاء وفق المرام وقد تم إنشاؤه على يد موجيل بك المهندس الفرنسي سنة ١٨٤٤  
واشترك في إنشائه مظهر باشا ومهجت باشا المهندسان المصريان اللذان تخرجا من  
بعثات فرنسا

وبعد أن أنشأ رصيفاً للشحن في الميناء مد سكة حديدية تصل مستودعات  
البضائع والغلال بالرصيف لتسهيل نقلها إلى السفن

### فنار الاسكندرية

أشأه المهندس مظهر باشا أحد خريجي البعثات بشبه جزيرة رأس التين لإرشاد  
السفن القادمة إلى الميناء والخارجة منها ، وهو من أجل أعمال العمران التي تمت في  
عصر محمد علي ، وقد كتب عنه كلوت بك (٢) ما يلي :

لقد أحرزت هذه البناية الجليلة في كليتها وجزئياتها إعجاب من شاهدها من

(١) الخطة التوفيقية ج ٧ ص ٥٢

(٢) ج ٢ ص ٧٥٣

السياح وهو مما يكفل بالفخر المهندس المصري مظهر أفندي الذى تلقى العلم في فرنسا ويوجب مدحه والثناء عليه ،

### البحرية المصرية كما وصفها شهود العيان

#### زيارة المارشال مارمون للترسانة

زار المارشال (مارمون) ترسانة الاسكندرية سنة ١٨٢٤ فأعجب بنظامها وضخامتها ، وبهرته دقة أعمالها وكفاءة عمالها المصريين ، وكتب عنها مايلي (١) :  
وزرت الترسانة والأسطول ، وكنت شديد اللفتة لزياره هذه المنشآت المدهشة التى لم يكن يتصور العقل تأسيسها ، ففي سنة ١٨٢٨ لم يكن بالاسكندرية الا ساحل مقفر ، واسكن هذا الساحل أصبح في سنة ١٨٢٤ مغطى بترسانة كاملة بنيت على مساحة واسعة ، وأحواض للسفن ، ومخازن ومعامل ومصانع لكل نوع ، وبما استوقف نظرى ورشة الحبال التى يبلغ طولها ١٠٤ قدما اى في طول ورشة الحبال بشعر طولون ، وقد شاهدت في الترسانة عمالا يعملون في مختلف معاملها ، بهم مهارة في كل ما يعهد اليهم من الأعمال البحرية ، وهم جميعاً من المصريين وبسود يديهم النظام والعمل والنشاط ، وهذه الترسانة التى لم يمض على إنشائها أكثر من ست سنوات قد صنع فيها عشر بوارج ، سلاح كل منها مائة مدفع ، وقد تم تسليح سبع منها تمخر العباب الآن ، أما الثلاث الأخرى فلا تزال بالحوض على وشك نزولها الى الماء ، هذا عدا السفن التى من نوع الفرقاطة والكورفت والإبريق ، مما جعل عدد الأسطول يزيد عن ثلاثين سفينة حربية ، وقد تمت هذه المنشآت ووصلت البحرية المصرية الى هذه النتائج المدهشة في ذلك الزمن القصير في بلاد ليس فيها أخشاب ولا حديد ولا نحاس ، ولم يكن فيها عمال ولا بحارة ولا ضباط

(١) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ١٧١

مجبورون ، أى أنها كانت مة متقرة الى كل العناصر اللازمة لإنشاء أسطول ، وهذه همة لانظير لها فى التاريخ ، والفضل فى هذا العمل الجليل راجع الى كفاية المسيو سرىزى والى عزيمية محمد على الحديدية التى تعلبت على كل الصعاب ، وقد كان العمل يتولاه الرجال الفنيون ، واسكن محمد على كان يقضى أياما بأكملها وسط العمال ، فكان حضوره يبعث فى نفوسهم روح النشاط والهمة ، ويذل العقبات التى تعترض العمل ويحمل كل واحد من العمال على بذل كل ما فى طاقته من الجهود ،

### رأيه فى كفاءة المصريين

وقال المارشال مارمون يصف كفاية المصرى :

«إن العربى - يريد المصرى - له حظ عظيم من المقدرة على التقليد تبلغ درجة النبوغ وهو يتصف بالاستقامة والنشاط والغيرة مع المرونة والطاعة . وهذه الصفات يمكن الوصول الى تحقيق كل ما يريده الانسان ، وبفضل هذه المزايا صار العمال الذين خرجوا من صفوف الفلاحين اخصائيين فى الفروع والفنون التى توفرها عليها ، كل فيما خصص له

• ولم يقتصر الأمر على تدريبهم على أعمال الحشابين والتجارين والحدادين بل تخصص منهم كثيرون لأعمال بلغت غاية الدقة فنجحوا فى صنع آلات البحرية كالبوصلات والنظارات

• وقد شاهدت بنفسى المعامل التى تصنع فيها هذه الآلات ، والعمال الذين يصنعونها ، ورأيت الإتقان فى صنعها ، والعمال الفنيون الذين يصنعونها لم يمض عليهم سنتان فى التمرن على تلك الأعمال ، ومن الحق أن يقال انه لا ينتظر الوصول الى هذه النتيجة بمثل هذه السرعة من عمال أوروبيين يؤخذون من صفوف الفلاحين مهما كانت الأمة التى يختارون منها ،<sup>(١)</sup>

(١) رحلة المارشال مارمون ج ٣ ص ١٧٢

## زيارته للأسطول

وقال يصف زيارته للأسطول المصري سنة ١٨٣٤ (١)

« نزلت الى الميناء لزيارة البوارج المصرية الراسية بها ، وكان عددها سبعة عادت حديثا من جولة فوق ظهر البحر على سواحل آسيا ( سوريا والآناضول ) قضت فيها ستة أشهر ، وكل بارجة منها مسلحة بمائة مدفع ، ومدافعها كلها من عيار واحد ، وقذائفها من حجم واحد ، ولا شك أن وحدة العيار لها فائدة كبرى عندما تشتبك البوارج في القتال ، ومن المدهش أن هذه الميزة السهلة في ذاتها لم تلتفت لها الدول البحرية الكبرى وأن ابتكارها يحىء على يد دولة حديثة تبدأ عهدا بالحضارة ،

وقال عن زيارته لبارجة الاميرال مصطفى مطوش باشا قائد الدونمة :

« استقبلني مطوش باشا بالتعظيم المعتاد وعلى قصف المدافع فوق ظهر بارجته ( عكا ) التي كان يركبها ، وكان يصحبنى الاميرال بيسون Besson ، وقد تفقدت البارجة ، وأمعنت النظر فيها بعناية خاصة ، فلم أر إلا ما يستوجب الإعجاب بنظامها وترتيبها وهذه البارجة كغيرها من البوارج الكبرى هي المنشآت البديعة التي أخرجتها ترسانة الاسكندرية ، وقد اشتركت في الحرب مرتين على ظهر البحر ،

## رأى كلوت بك

« وانظر ما كتبه كلوت بك عما بلغته البحرية المصرية من القوة والتقدم (٢) :  
« مما لا ريب فيه أن إيجاد ترسانة وانشاء أسطول على ذلك الوجه من السرعة لمما يقضى بالعجب ، ويدل على قوة العبقرية ، فقد كان شاطئ البحر بالاسكندرية

(١) ص ١٧٨

(٢) لمحة عامه الى مصر ص ٢ ص ٣٨٤ ( ٢٥١ من الاصل الفرنسي )

كالصحراء الخالية من كل أركان ، فلم تمض سنوات أبع حتى عمر بترسانة كاملة  
الأدوات مستجمعة لشتات اللوازم والتجهيزات ، فمن قواعد منحدره لإنشاء السفن  
عليها وتزليجها الى البحر ، وورش ومخازن ، ومصنع للحبال تمتد بنايته طولاً الفأ  
وإربعين قدماً أى كطول مصنع الحبال فى ثغر طولون ، وانشئت خلال تلك المدة  
دونمة مؤلفة من ثلاثين سفينة وسلحت وجهزت بالعدد والرجال ، وجرت للمرة  
الأول من انشائها فى مطاردة أحد الأساطيل العثمانية

وما هى الا فترة قصيرة من الزمن حتى أدهشت البحرية المصرية أساطين علم  
البحر وثقاته سواء بدقة حركات السفن وضبطها أو بدربة البحارة وحسن قيامهم  
على الأعمال المنوطة بهم ، وقد أصبح المصريون ، وهم شعب مفطور على الامتثال  
ومحامد الخصال ، كأنهم خلقوا لممارسة البحر ، ولقد سبق لنا ذكر فضائلهم  
الحربية ومناهبهم العسكرية ، ونقول الآن إنه بالنظر الى سكنائهم شواطئ النيل وهو  
النهر الذى بلغ من السعة فى نظرهم الى تسميتهم إياه بالبحر ، كانوا من أقدر الناس  
على السباحة وأميلهم الى معاناة فنون الملاحة ، ومن المناقب التى توافرت فيهم غير  
ما تقدم تأثرهم الشديد بعوامل المناظرة وحبهم ألا يحرز قصب السبق سواهم ، ومعلوم  
أن ثغر الإسكندرية تتردد عليه باسم الزيارة سفن كثيرة تحفق عليها أعمال دول  
مختلفة ، فكان منظر هذه السفن يبعث فى نفوس الشبان المنتظمين منهم فى سلك  
البحرية روح الغيرة والحماة ويستفزهم الى الرغبة فى إطلاع الخبيرين فى الفن كل  
يوم على ما حذقوه من الحركات فى المناورات ، وتما بذلك فى نفوسهم إحساس  
الشمم ، وتنبه الشعور بالكرامة ، فكانت هذه المظاهر من أقوى العوامل على  
تنافسهم فى إحراز أوفر قسط من العلوم والفنون ، ويؤخذ من آراء الإخصائين  
فى حالة البحرية المصرية أن الفرق بينها وبين بحرية الاستانة كالفرق ، بين جيوش  
محمد على البرية وجيوش الباب العالى

وامتازت بحرية محمد على أول وهلة بالتفوق فى شبه جزيرة (موره) ، وكان  
من دلائل تفوقها العظيم أن الحراقات اليونانية التى طالما هلعت لمراها قلوب أهل

الاستانة وقبعت بسببها أساطيلهم ، لم تحشر بأسها السفن المصرية التي كان يقوم على أمرها في ذلك العهد ربان السفينة الفرنسي الميولوتليليه ، ولقد شرف الأسطول المصري الجديد مصر ورفع ذكرها أثناء حملة الشام ، اذ قامت سفنه بمراقبة سواحل الشام ومنعت الأتراك من النزول إليها ، وقبضت في انحائها على بعض السفن العثمانية ، وساعدت المصريين على حصار عكا ، واقتفت أثرالدونمة العثمانية التي كانت أكثر منها عدداً وأوفر مدداً حتى حصرتها في مرسى (مرمريس) ثم دفعتها أمامها حتى مضيق الدردنيل التي أشرفت أن تجتازه لولا مداخلة الدول الأوروبية التي حالت دون تحقيق هذه البغية مدفوعة بما هو معروف من عوامل السياسة ،

#### كفاية عمال الترسانة المصريين

وذكر كلوت بك<sup>(١)</sup> عن كفاءة العمال المصريين ومهارتهم وحسن استعدادهم ما يأتي :

وان العمال المصريين هم الذين كانوا ينجزون أعمال انشاء السفن، وقد أظهروا فيها من الأهمية والدراية ما يوجب الدهش ، وكان يشتغل منهم بالترسانة من ستة آلاف عامل الى ثمانية آلاف ، أما العمال الأتراك فلم يبد منهم ما يستوجب ارتياج الميسو سريزي ورضاه عنهم ، لأنهم كانوا من الازدهاء بنفوسهم والنزوع الى العصيان والتمرد بما يحول دون صلوحهم لإجادة ما يناط بهم من الاعمال ، فكانوا من هذا الوجه على نقيض المصريين ، الذين كانوا يدركون بسهولة سر الصنعة مما كان ينجز أمامهم من الاعمال ويتفهمون دقائقها بما عهد فيهم من الذكاء ودماثة الاخلاق والامتثال الرؤساء ، وهذا فضلا عن أنهم فطروا في فهم ما يعجم عليهم فهمه على تحكيم النظر أكثر منه على الذكاء والعقل ، حتى ان الرسم البسيط يرشدهم الى فهم

(١) ج ٢ ص ٢٧٨ (٢٤٦ من الأصل الفرنسي)

حقائق الأشياء بمجرد النظر اليه قبل إمعان الفكر والروية فيه ، إلا أن المصرى مع هذا سريع النسيان لما يتعلمه ، فضلا عن أنه اذا بلغ من التعلم درجة ما ، لا يرغب في تجاوزها الى ما بعدها ، وهذا النقص يحول بلا ريب دون سعيه الى الكمال

وهم أميل الى مزاوله هذه الصناعات التى أساسها تقليد الاشكال والنماذج الثابتة ، ومن ثم تراهم يجيدون صناعة البكر وقماش الأشرعة والحبال ، والبراهيل والنجارة الدقيقة ، ويحسنون ثقب الثقوب وقلفظة المراكب ، وانما لا يمكن الاعتماد عليهم فيها اذا مست الحاجة الى تغيير الاحجام واستنباط أشكال تخالف ما عهدوه عليه من المثل ، كما يتفق أحيانا فى مصانع الآلات والحدادة والسبك ، ما لم يراقبهم أثناء أدائهم اياها الرؤساء الأوروبيون ، فلهم فى هذه الحالة يقومون بما هو مطلوب منهم على خير ما يرام

وترسانة الاسكندرية التى يصنع فيها كل شئ بأيدى المصريين وتناظر لهذا السبب جميع ترسانات الدنيا ، دليل ناطق على مبلغ ما يمكن الاستفادة به من العمال المصريين ، ويقينى ان عامة الشعب فى أوروبا لا يستطيعون أن يؤدوا من جلائل الأعمال ما يؤديه العمال المصريون فى مثل الوقت القصير الذى يقومون بها فيه ،

### قواد الاسطول المصرى

نأتى هنا على لمعة من تاريخ القواد الذين تولوا رئاسة الاسطول المصرى فى عهد محمد على نخليداً لذكراهم وتبياناً لما قاموا به من جلائل الأعمال

### الأميرال اسماعيل بك

هو الذى قاد العمارة المصرية فى أوائل الحرب اليونانية كما بينا ذلك فى الفصل السابع (١) وهو الذى تسميه المراجع الفرنسية اسماعيل جبل طارق ، وبعضها



يسميه اسماعيل الجبل الأخضر ، وقد توفي أثناء الحرب اليونانية

### الأميرال محرم بك

أصله من قوله ثم اتخذ مصر وطنًا له ، فاتصل بمحمد علي باشا واستخدمه في كثير من مهام الحكومة ، ورأى فيه من الصدق والاخلاص وحميد الصفات ما جعله يقربه إليه ، وزوجه بكر بتمته تقيدة هانم ، وجعله حاكمًا للجيزة ، ثم محافظًا للاسكندرية فأحسن إدارتها ، وبعد أن أنشأ الأسطول المصري الأول جعل محرم بك أميرًا له سنة ١٨٢٦ وتولى قيادته في الدور الثاني من حرب اليونان ، وحضر واقعة نافارين البحرية ، وشهد نكبة الأسطول فيها كما فصلنا ذلك في الفصل السابع (١) ولما عاد إلى مصر بقى في وظيفته الأولى محافظًا للاسكندرية وانفرد بهذا المنصب إلى أن توفي بها في ١٢ محرم سنة ١٢٦٤ (٢) ( ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٤٧ ) فأسف عليه الناس أسفا كبيرا لجميل سيرته وحببه للخير ، وباسمه سمي الحى المشهور في الاسكندرية بحى « محرم بك »

### الأميرال عثمان نور الدين باشا

أصله من جزيرة مدالي (٣) ولحق بمصر واتخذها وطنه وخدمها خدمات جليلة ، دخل في مدارسها الحربية ثم ألحق بالبعثة التي أرسلها محمد علي إلى أوروبا وأتقن فيها العلوم الحربية والبحرية ، ولما عاد صار له شأن كبير في المهمات التي أسندت

(١) ص ٢١٦ و ٢٢٦ و ٢٢٩ وما بعدها

(٢) عدد ٢٧ محرم سنة ١٢٦٤ من الوقائع المصرية

(٣) انظر موقعها بالخرائطه ص ٢٠٨

إليه وفي تنظيم البعثات الكبرى التي تدفقت نحو فرنسا ، فقد كان عضوا عاملا من أعضاء اللجنة التي ألفت سنة ١٨٢٢ لوضع برنامج التعليم العسكري بالمدارس الحربية المصرية على النظام الحديث ، فكان ثالث الثلاثة الذين تألفت منهم تلك اللجنة ، وزميله فيها هما الكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) واحمد افندي المهندس ، وهو الذي أسس المدرسة الاعدادية الحربية بقصر العبي ومدرسة أركان حرب بالخانكة ، وقد أثنى عليه كلوت بك في كتابه وجعله في مقدمة من أشاد بذكرهم من خيرى البعثات

وقد نال منزلة كبيرة لدى محمد على باشا لما آتته فيه من الاخلاص والسكفاء ووصل الى رتبة ، سر عسكر ، وجعل رئيسا للاسطول المصرى سنة ١٨٢٧ بدلا من محرم بك ، وأنعم عليه برتبة الباشوية وبنى له محمد على باشا منزلا على ساحل الميناء غربى سراي رأس التين ليكون قريبا من السراي الخديوية ومن سفن الاسطول بالميناء ، وجعله رئيس الجهادية فى البر والبحر ، ووصل من المنزلة والمكانة الى أن صار ثالث رجل فى الدولة بعد محمد على و ابراهيم

وقد كان له فضل كبير فى ايفاد البعثات الكبرى الى فرنسا ، ذلك أنه أثناء تلقيه العلوم بها تعرف بالمسيو جومار Jomard أحد أعضاء لجنة العلوم والفنون الذين اصطحبهم نابليون فى مصر أثناء الحملة الفرنسية (١) ، وكان وقتئذ مكلفا من قبل الحكومة الفرنسية لإخراج كتاب (تخطيط مصر) الذى وضعه علماء الحملة ، فنال لديه عثمان نور الدين مكانة سامية واقترح عليه وهو فى فرنسا أن يرغب الى محمد على باشا عند عودته لمصر لإرسال بعثات كبيرة الى فرنسا لتلقى مختلف العلوم والفنون فيها ، وعرض أن يتعهد هذه البعثات بعنايته وإشرافه ، وأن يبذل قصارى جهده فى تخريج تلاميذها دون مقابل

فلما عاد عثمان افندى نور الدين الى مصر سنة ١٨٢٠ ، رأى محمد على باشا من

(١) انظر ترجمته بالجزء الاول من تاريخ الحركة القومية ص ١٢٦

كفائه ونبوغه مارغبه في إرسال طائفة من الشبان الى أوروبا وعرض عليه هو  
فكرة المسيو جومار فتأقها بالقبول والارتياح ، وشرع فعلا في إيفاد البعثات الى  
فرنسا سنة ١٨٢٦ كما سيحيى بيانه

وقد تولى قيادة الاسطول المصرى في الحرب السورية الأولى ، وخاصة في  
حصار عكا كما سبق بيان ذلك في موضعه ( ص ٢٥١ و ٢٨٥ )

وكان له فضل كبير في ترقية شأن الأسطول المصرى بما كما يعنى به من تطبيق  
النظم البحرية الحديثة على شؤونه وحث قباطين السفن على تنفيذ أوامره بالدقة حتى  
ساد النظام في سفن الاسطول ، وكان يخرج بالسفن الحربية في الصيف من الميناء  
لإجراء المناورات وتدريب الجنود والبجارة على الحركات البحرية ، ويتجول مدة  
ثلاثة أشهر رافعا علم مصر فوق ظهر البحار

وفي سنة ١٨٢٣ ارتحل محمد على الى جزيرة كريت لتنظيم الحكم المصرى بها ،  
وكان في معيته عثمان نور الدين اميرال اسطول ، فأقر بالجزيرة عدة اصلاحات  
ادارية واجتماعية ولكنه اعتم تجنيد أهلها ، وكان ينوى اتخاذ ميناء (السودة) نفرا  
حريا ليكون قاعدة للاسطول المصرى في جولاته بالبحر الابيض ، فلم يكديعود  
الى مصر وبذاع في الجزيرة نبا العزم على تجنيد السكريتيين حتى شبست الثورة بينهم ،  
وحمل السلاح نحو ستة آلاف من الفلاحين ، وقصدوا الى حيث كانت الحامية  
المصرية ترابط في ثكناتها ، فامتنعت الحامية في معاقلها وارسل حاكم الجزيرة  
( مصطفى باشا الارناؤوطى ) نبا الثورة الى محمد على ، فأنفذ قوة من الجنود براسة  
عثمان نور الدين باشا لإخماد الفتنة ، فلجأ عثمان باشا الى أخذ الثوار باللين واسكنهم  
أصروا على عنادهم ، فاشتبكوا مع الحامية في قتال فرقتهم فيه نيران المدافع ، ووقع  
ثلاثون منهم في أسر الجيش المصرى ، فارتأى عثمان باشا أن يعفو عنهم أملا في  
أن يكسب الثوار ويفل من حدهم ووعدهم بالعفو ، وأرسل يطلب الى محمد على  
باشا تعلياته في هذا الصدد ، واسكن الباشا رفض العفو عنهم وأمر بقتلهم ، فكبير

على عثمان باشا أن لا يؤبه لرأيه ويرفض العمل به ، ولم يجد وسيلة يخرج بها من هذا الموقف سوى الاستقالة من خدمة الحكومة ، فارتحل من الجزيرة في أواخر سنة ١٨٢٢ وكتب إلى بوغوص بك ناظر خارجية مصر ينبئه أنه اعتزل خدمة الباشا ، وذهب إلى جزيرة مدلى ومنها إلى الاستانة ، حيث مات بها بعد قليل ، وقد أرسل محمد علي باشا يأمر بإعدام زعماء الفتنة في كريت وإدخال الشبان من أهلها قهرا في الخدمة العسكرية ، فاشتعلت فيها نيران الفتنة ثانيا ، ثم أخذت سنة ١٨٢٤ ، وبقي الحكم المصرى قائما فيها إلى أن أعيدت الجزيرة للدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠

### الأميرال مصطفى مطوش باشا

أصله من قولة ، وكان قبودانا في السفن التجارية ، ولما قدم إلى الدريار المصرية استخدمه محمد علي باشا في الدوننمة المصرية ، وكان يثق به ويعرف مقدار معارفه البحرية فجعله وكيلًا للدوننمة ( فيس أميرال ) التي بعث بها لمساعدة الدولة العثمانية في حرب اليونان ، وحضر واقعة نافارين البحرية ثم عين أميرالا ثانيا للبحارة التي أرسلت لضرب عكا تحت قيادة الأميرال عثمان نور الدين باشا في الحرب السورية الأولى ، وعين وزيراً للبحرية ، وكان يسمى ( ناظر السفائن ) ، ثم جعله محمد علي باشا قائدا عاما للدوننمة المصرية بدلا من عثمان نور الدين سنة ١٨٢٢ ، وجعل بيدسون بك Besson الفرنسى وكيلًا له ، وعين مصطفى بك السكريدلى فى وظيفة ريباله ( أى كمنتر أميرال ) وقد بقى مطوش باشا رئيسا للدوننمة المصرية إلى أن توفى سنة ١٨٤٢ ، وكان من خيرة قواد البحر الذين زانوا تاريخ البحرية المصرية

محمد سعيد باشا

ابن محمد علي باشا ، وهو الذى ارتقى عرش مصر خلفا لعباس باشا الأول ،

وقد خصصه أبوه لتعلم الفنون البحرية ، وهذا يدل على مبلغ عنايته بالأسطول ، فلما نال حظا من الفنون البحرية ( وكان وقتئذ سعيد بك ) عينه أبوه معاونا لمطوش باشا ، سر عسكر ، الدونمة وناظر البحر ، وأصدر أمره إليه بأن يمثل لأوامره ويؤدى له التعظيم العسكرى بوصف كونه رئيسا له ، وكان ذلك من سداد رأى محمد على باشا إذ عود أبناءه على احترام النظام الذى هو أساس التقدم والعمران ، وقد جعله أبوه قبودانا للسفينة الحربية ( دمنهور ) برتبة صاغقول أغاسى ، وجعل فى معيته المسيو كوتليك واليوز باشية عرفان قبودان الذى صار عرفان باشا ، وذو الفقار قبودان ( الذى صار ذو الفقار باشا ناظر الخارجية ) وسرهنك قبودان والد اسماعيل باشا سرهنك صاحب كتاب حقائق الأخبار عن دول البحار ، وما زال يرتقى حتى صار قائدا عاما للدونمة المصرية ( سر عسكر ) بعد مصطفى مطوش باشا ، وكان فى الوقت نفسه قومندانا للبارجة ( بنى سويف ) واحتفظ بمنصب رئاسة الدونمة فى عهد عباس باشا الأول ، وليكن البحرية المصرية أهمل شأنها وبدأ تقهرها فى عهد عباس

### إحصاء الأسطول المصرى فى عهد محمد على

لدينا ثلاثة إحصاءات عن سفن الأسطول المصرى تختلف باختلاف مصادرها ، والسنين التى عملت فيها ، وقد رأينا أن نضع أمام القارىء صورة من هذه الاحصاءات الثلاثة لأنهماع تقارها تدل على التقدم المحسوس فى قوة الأسطول على مرّ السنين

إحصاء سنة ١٨٣٧

للمسيو مانجان

قال المسيو مانجان (١) ان عدد السفن الحربية المصرية بلغ سنة ١٨٣٧ : ٢٨ سفينة

(١) ج ٣ ص ١٤٤

خريشة ، مشا ١٠ بوارج كبيرة و٦ فرقاطات و٤ سفن من نوع السكورفيت و٨ من نوع الابريق ، وهاك أسماء السفن التي وردت في هذا الإحصاء (١) وعددها ٢٤ أما البقية وعددها أربعة فكان العمل لا يزال جاريا لاتمامها وتسليحها

عدد المدافع	عدد الضباط والجنود والبحارة	ضباط أركان الحرب	إسم السفينة
١٣٦	١١٧٢	٣٣	١ - مصر
١٠٠	١٢٠٨	٣٤	٢ - عكا
١٠٠	١١٠٢	٣٣	٣ - المحلة الكبرى
١٠٠	١١٠٢	٣٣	٤ - المنصورة
١٠٠	١١٠٢	٣٣	٥ - اسكندرية
٨٤	٨٠٣	٣٢	٦ - أبو قير
٦٠	٥٢٩	١٧	٧ - رشيد
٦٠	٥٢٩	١٧	٨ - البحيرة
٦٠	٥٢٩	١٧	٩ - شيرجهاد
٦٠	٥٢٩	١٧	١٠ - كفر الشيخ
٦٠	٥٢٩	١٧	١١ - واسطة جهاد
٥٢	٥٠٠	١٧	١٢ - دمياط
٢٤	٢٤٢	١٣	١٣ - سمند جهاد
٢٤	٢٥٢	١٣	١٤ - طنطا
٢٢	٢٤٢	١٣	٥ - جناح بحري
٢٠	٢٠٠	١٢	١٦ - جهاد بيكر
٢٠	١٧٧	١١	١٧ - واشنطن

عدد المدافع	عدد الضباط والجنود والبحارة	ضباط اركان الحرب	اسم السفينة
٢٠	١٧٧	١١	١٨ - شاهين دريا
٢٠	١٧٧	١	١٩ - الصاعقة
٢٠	١٧٧	١١	٢٠ - تمساح
١٦	١٢٨	١١	٢١ - شاهد جهاد
١٦	١٢٨	١١	٢٢ - شهباز جهاد
١٦	١٢٨	١١	٢٣ - بادى جهاد
١٤	١٢٨	١١	٢٤ - امريكان
<u>١٢٠٤</u>	<u>١١٨٢٠</u>	<u>٤٣٩</u>	

إحصاء سنة ١٨٢٩

للدكتور كلوت بك

وقد أحصى الدكتور كلوت بك عدد السفن الحربية سنة ١٨٣٩ وهي السنة التي وضع فيها كتابه (١)، وحصاؤه يختلف قليلا عن احصاء الميسو مانجان، وفيه زيادة ظاهرة في عدد السفن

إحصاء إجمالي

فقد ذكر أن الدوننمة المصرية تتألف من السفن الآتية (٢):  
١١ بارجة كبيرة

(١) طبع الكتاب سنة ١٨٤٠، لكن لا بد أن يكون قد انتهى المؤلف من تأليفه سنة ١٨٣٩

(٢) لمح عامه إلى مصر ج ٢ ص ٣٧٦ (٢٥٢ من الاصل الفرنسي)

٧ فرقاطات

٥ سفن من طراز السكورفت

٩ من طراز الابريق

٣٢ قطعة

وأن مجموع جنودها بلغ ١٦.٠٠٠ رجل ، وهذا بيان إحصائه لأسماء السفن وعدد رجالها :

عدد رجالها	إسم السفينة
١٠٩٧	١ - مصر
١١٤٨	٢ - عكا
١٠٣٤	٣ - المحلة الكبرى
١٠٣٤	٤ - المنصورة
١٠٣٤	٥ - الاسكندرية
٧٣٦	٦ - أبوقير
٥١٠	٧ - رشيد
٥١٠	٨ - البحيرة
٥١٠	٩ - شير جهاد

غير موجودة في إحصاء كلوت بك لأنها أسرت أثناء حرب  
( كفر الشيخ ) الأناضول سنة ١٨٣٩ إذ أسرتها العمارة التركية في مياه قبرص  
( واسطة جهاد ) غير موجودة في إحصاء كلوت بك

٤٧٠	١٠ - دمياط
٩٧	١١ - سمندهاد
١٨٢	١٢ - طنطا
١٥٩	١٣ - جناح بحرى



عدد رجالها	اسم السفينة
١٩	١٤ - جهاد بيكر
١١٥	١٥ - واشنطن
١٥	١٦ - شاهين دريا
١١٥	١٧ - الصاعقة
٩٧	١٨ - تمساح
	شاهد جهاد ( غير موجودة في إحصاء كلوت بك )
٩٧	١٩ - شهباز جهاد
١٥٩	٢٠ - بلنك جهاد

أمريكان ( غير موجودة في إحصاء كلوت بك )

بيان السفن الواردة في إحصاء كلوت بك ولم ترد في إحصاء المسيو مانيجان :

عدد رجالها	اسم السفينة
١٠٣٤	٢١ - حمص
٩٠	٢٢ - بيلان
١٠٣٤	٢٣ - حلب
١٠٣٤	٢٤ - الفيوم
١٠٣٤	٢٥ - بنى سويف
٥٥٨	٢٦ - المنوفية
١٥٢	٢٧ - وابور النيل
٢٦٢	٢٨ - دمنهور
٥٢	٢٩ - وابور الجوكا
٢٧	٣٠ - الوابور الجديد
١٧	٣١ - وابور بولاق

عدد رجالها	اسم السفينة
٢٩	٣٢ - قوטר نمرة ١
٣١	٢٣ - قوטר نمرة ٢
<hr/>	
١٥٥٤٣	

إحصاء سنة ١٨٤٣

لاسماعيل باشا سرهنك

وأورد إسماعيل باشا سرهنك (ج ٢ ص ٢٥٢) إحصاء أوفى من الاحصائين المتقدمين يتضمن بيان السفن الحربية في عهد سر عسكرية سعيد باشا أى سنة ١٨٤٣ ، ومحل إنشائها وتاريخه وأسماء قباطينها وعدد رجالها وعدد مدافعها ومقاساتها وأبعادها ، وقد ذكر أنه أخذ هذا البيان من وثيقة مكتوبة بيد المرحوم حسن باشا الاسكندراني ناظر ترسانة الاسكندرية وجدها عند ابنه محسن باشا ، وهاك إحصاءه وقد رتبنا أسماء السفن بحسب ترتيب إحصاء مانجان وكلوت بك لسهولة المقابلة

اسم السفينة	محل إنشائها	اسم قبودانها في زمن	عدد	عدد رجالها
١ - مصر	الاسكندرية	شنان قبودان (١)	١٠٦	١٠٩٧
٢ - عكا	"	عثمان بك قاح	١٠٦	١١٤٨
٣ - المحلة الكبرى	"	بوزجه اطهلى خليل بك	١٠٠	١٠٣٤
٤ - المنصورة	"	طاهر قبودان	١٠٠	١٠٣٤

(١) أحد خريجي البعثات

اسم السفينة	محل إنشائها	اسم قبودانها في زمن	عدد	عدد رجالها
٥ - الاسكندرية	د	جر كس محمود <sup>(١)</sup> قبودان	١٠٠	١٠٣٤
٦ - أبو قير	د	حافظ خليل	٨٤	٧٢٦
٧ - رشيد	تريستا	المسيد علي	٩٠	٤١٥
٨ - البحيرة	د	كلور خورشيد	٦٠	٥١٠
٩ - شير جهاد	ليفورن	نوري قبودان بك	٦٠	٥١٠
(كفر الشيخ) (لم ترد في إحصاء إسماعيل باشا سرهنك لأنها أسرت كما أسلفنا)				
١٠ - واسطة جهاد جزائر الغرب	د	محمد خورشيد قبودان	٢٨	١٨٦
١١ - دمياط	اسكندرية	محمد هدايت قبودان	٥٦	٤٧٠
١٢ - سمند جهاد	مرسيليا	احمد شاهين قبودان	٨	٨٩
١٣ - طنطا	اسكندرية	دلى خسرو قبودان	٢٨	١٨٦
١٤ - جناح بحري <sup>(٢)</sup>	جنوه	زينل قبودان	٢٤	١٨٥
١٥ - جهاد بيكر جنوه	د	حسن أباطه قبودان	٢٤	١٨٥
واشنطن (غير موجودة في إحصاء إسماعيل باشا سرهنك)				
١٦ - شاهين دريا (غير موجودة في إحصاء سرهنك باشا)				
١٧ - صاعقة	ليفورن	طاهر قودان	٢٤	١٨
١٨ - تمساح	مارسيليا	غير معروف	١٦	٨٨
١٩ - شاهد جهاد اسكندرية	د	ابراهيم قبودان	٢٤	١٨١
٢٠ - شهباز جهاد	مارسيليا	حسن الأرنؤود قبودان	١٨	٨٨
٢١ - بادىء جهاد أمريكا	د	غير معروف	٢٤	٧١

(١) لعله محم دنامى بك أحد خريجي البعثات لانه كان يلقب بجر كس وقد ذكرنا في الفصل الثاني عشر أنه كان محافظا لبيروت لغايه سنة ١٨٤٠ في عهد الحكيم المصري  
(٢) كانت معدة لتعليم تلاميذ البحرية

أمريكان ( غير واردة في إحصاء إسماعيل باشا )

السفن الواردة في إحصاء سرهنك باشا ولم ترد في إحصاء مانجان ووردت في إحصاء كلوت بك :

عدد المدافع رجالها	عدد	اسم قبودانها	محل إنشائها	اسم السفينة
١٠٣٤	١٠٠	عثمان بوقى بك	اسكندرية	٢٢ - حمص
٩٠٠	٨٦	حسين شرين بك	»	٢٣ - بيلان
١٠٢٤	١٠٠	ازميرلى محمد قبودان	»	٢٤ - حلب
١٠٣٤	١٠٠	عبد اللطيف بك	»	٢٥ - الفيوم
١٠٣٤	١٠٢	الامير محمد سعيد باشا	»	٢٦ - بنى سويف
٥٥٨	٦٤	عثمان بوقى قبودان (١)	»	٢٧ - منوف
٥٢	٦	غير معروف	انجلترا	٢٨ - النيل
١٨٦	٢٦	مرجان قبودان	اسكندرية	٢٩ - دمنهور
٥٢	١٢	سرهنك قبودان	»	٣٠ - غولت جديد (قو طر ٢)
٥٨٨٤	٥٩٦			

السفن الواردة في إحصاء سرهنك باشا ولم ترد في إحصاء مانجان ولا في كلوت بك :

عدد المدافع رجالها	عدد	اسم قبودانها	محل إنشائها	اسم السفينة
٥١٠	٦٠	برغمة لى احمد قبودان	ليفورن	٣١ - الجعفرية
٢٠٠	٣٠	على رشيد قبودان	مارسيليا	٣٢ - رهبر جهاد

(١) اسم مكرر فقد ورد أنه قبودان البارجة حمص ، وعلله اسم لعليين لانه مذكور

بلقب بك بالنسبة لحمص ومن غير هذا اللقب بالنسبة لمنوف

اسم السفينة	محل إنشائها	اسم قبودانها	عدد المدافع	عدد رجالها
٣٢ - بومبة	تريستا	بيجان قبودان	٤٥	٣٠٠
٣٤ - بلنك جهاد	مارسليا	(غير معروف)	٢٤	١٨٥
٢٥ - فوه	اسكندرية	مرجان قبوان	٢٤	٨٥
٢٦ - ابريق نمرة	أمريكا	الياس قبودان	١٨	٨٩
		المجموع	١٨٥٧	١٦٨٠١

ويتبع هذا الإحصاء ثلاث بواخ وهي الوابور (برواز بحري) ، والوابور (أسيوط) والوابور (جیلان)

## الفصل الثاني عشر

### التعليم والنهضة العلمية

إذا ذكرتُ حسنات محمد على كان من أجل أعماله توجيهه جزءاً كبيراً من جهوده إلى إحياء العلوم والآداب في مصر، وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها، وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، وقد اتبع في هذا السبيل تلك الفكرة التي اتبعها في إنشاء الجيش والأسطول. ذلك أنه اقتبس النظم الأوروبية الحديثة في نشر لواء العلم والرفان، فأسس المدارس الحديثة، وأخذ من الحضارة الأوروبية خير ما أنتجته العلوم والقرايح، فنهض بالآفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث

عنى محمد على بنشر التعليم على اختلاف درجاته من عال وثانوى وابتدائى، ويتبين من مقارنة تاريخ المنشآت العلمية أنه عنى أولاً بتأسيس المدارس العالية وإيفاد البعثات، ثم وجه نظره إلى التعليم الابتدائى، ونعم ما فعل، لأن الأمم إنما تنهض أولاً بالتعليم العالى الذى هو أساس النهضة العلمية

وقد أراد بآدى الأمر أن يكون طبقة من المتعلمين تعلموا عالياً يستعين بهم في القيام بأعمال الحكومة والعمران في البلاد، وفي نشر التعليم بين طبقات الشعب، وهذا هو التدبير الذى رهنت التجارب على أنه خير ما تنهض به الأمم، وقد ساعد على تكوين طبقة تعلمت تعليماً عالياً قبل إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية أن الأزهر كفل إمداد المدارس العالية والبعثات بالشبان المتعلمين الذين حازوا من الثقافة قسطاً يؤهلهم لتفهم دروس المدارس العالية في مصر أو في أوروبا، فكان الأزهر خير عضد للتعليم العالى

### مدرسة الهندسة بالقلعة

ويبدولنا أن أول ما فكر فيه محمد علي من بين المدارس العالية مدرسة الهندسة ، وهذا يدل على الجانب العملي من تفكيره ، فإنه رأى البلاد في حاجة الى مهندسين لتعهد أعمال العمران فيها ، فبدأ بتعليم الهندسة

وظاهر<sup>ته</sup> مما ذكره الجبرتي في حوادث ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) أن أول مدرسة للهندسة بمصر يرجع عهد تأسيسها الى تلك السنة ، وذلك أن أحد أبناء البلد ، على حد تعبير الجبرتي واسمه حسين شلبي عجوة ، اخترع آلة لضرب الأرز وتبييضه ، وقدم نموذجها الى محمد علي ، فأعجب بها وأنعم على مخترعها بمكافأة ، وأمره بتركيب مثل هذه الآلة في دمياط ، وأخرى في رشيد ، فكان هذا الاختراع باعثا لتوجيه فكره الى انشاء مدرسة للهندسة ، فأنشأها في القلعة

### رواية الجبرتي

قال الجبرتي : « ان الباشا لما رأى هذه « النسكته » من حسين شلبي هذا قال ان في أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف ، فأمر ببناء مكتب ( مدرسة ) بحوش السراية ( بالقلعة ) ورتب فيه جملة من أولاد البلد ، ومماليك الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلى ، يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات ، والارتفاعات ، واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومى ( تركى ) يقال له روح الدين أفندي ، بل وأشخاصا من الافرنج ، وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانجليز يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ، ورتب لهم شهريات وكساوى في السنة ، واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب ، وسموه مهندسخانة ، في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر ، ثم ينزلون الى بيوتهم ويخرجون في بعض الأيام الى الخلاء لتعلم مساحات الأراضى وقياساتها

بالأقصاب وهو الغرض المقصود للبasha ،

فهذه بعينها هي مدرسة الهندسة أو المهندسخانة بما فيها من دروس الرياضة  
والهندسة وما إليها ، وتلاميذها يتعلمون مجانا وترتب لهم رواتب شهرية وكساوى  
ولها أساتذة من أمثال حسن أفندى الدرويش الموصلى وروح الدين أفندى ، بل  
وأشخاص من الافرنج ، كما يعبر الجبرتي .

وقد عاد الجبرتي الى الكلام عن هذه المدرسة في ترجمة حسن افندى الدرويش  
المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ فقال :

« لما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة تعين  
المرجم پريديساو معلما لمن يكون متعلما بذلك المسكتب ، وذلك أنه تداخل بتجرباته  
لتعليم ممالك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجا وشهرية  
ونجب تحت يده المالك في معرفة الحسابات ونحوها ، وأعجب الباشا ذلك فذاكره  
وحسن له بأن يفرد مكانا للتعليم ، ويضم الى مملكته من يريد التعليم من أولاد  
الناس ، فأمر بانشاء ذلك المسكتب وأحضر اليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة  
والهيئة الفلكية من بلاد الانجليز وغيرهم ، واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على  
الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم ، ورتبوا لسكل شخص شهرية  
وكسوة في آخر السنة ، فكان يسعى في تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين  
أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشترى لهم الخبز مساعدة لطلوعهم  
وزولهم الى القلعة ، فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر ، وأضيف  
اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابات والهندسيات لتعليم من يكون  
اعجميا لا يعرف العربية مساعدا للترجم في التعليم يسمى روح الدين افندى ،  
فاستمر نحو من تسعة أشهر ومات المترجم وانفرد بياسة المسكتب روح  
الدين أفندى ،

هذا ما ذكره الجبرتي ، ومنه يؤخذ قطعا أن أول مدرسة للهندسة أنشئت سنة



١٨١٦ بالقلعة ، وبذلك تكون هذه المدرسة أول مدرسة عالية أنشئت في عصر محمد علي ، لأن المدارس الأخرى أنشئت بعد ذلك التاريخ ، ويؤخذ من كلام الجبرتي أن التعليم فيها كان مجانياً ، وكانت الحكومة تؤدى رواتب شهرية لتلاميذها ، وكذلك كان شأنها في كل المدارس التي أنشأها ، ويقهّم أيضاً من كلام الجبرتي أن إنشاء هذه المدرسة راجع إلى مظاهر من المصريين من المواهب في السكفاعة والابتكار ، فإن مارآه محمد علي من حسين شلبي إذ وفق إلى هذا الاختراع ، أو الكتابة ، كما يقول الجبرتي ، جعله يفكر في إنشاء المدرسة ، فحسّن استعداد المصريين وذكاؤهم الفطري كما من أعظم ما حفز همّة محمد علي إلى إنشاء المدارس في مصر

ويحصل من رواية الجبرتي أن مدرسة الهندسة كان بها مدرسون من الأفرنج ، ولعل هذه المدرسة هي التي يشير إليها الأمر الصادر من محمد علي باشا بتاريخ ٤ ذى الحجة سنة ١٢٣٥ ( ١٢ سبتمبر سنة ١٨٢٠ ) إلى كتحدا بك بتعيين أحد القسس لإعطاء دروس في اللغة الطليانية والهندسة لبعض تلامذتها وأن يخصص له محل للتدريس في القلعة ، وإليها أيضاً يشير الأمر الصادر بتاريخ ١٦ سبتمبر من تلك السنة بتعيين الخواجة قسطنطين مدرساً بمدرسة المهندسخانة لتدريس الرياضة والرسم بها

#### مدرسة المهندسخانة ببولاق

والظاهر أن مدرسة القلعة لم تف على مر السنين بحاجات البلاد إلى المهندسين ، أو أن برنامجها لم يكن وافياً بالمرام ، فأنشأ محمد علي في سنة ١٨٢٤ مدرسة أخرى للمهندسخانة في بولاق ، وعين أرتمين أفندي أحد خريجي البعثات العلمية وكيلاً لها ، ثم تولى نظارتها يوسف حاككيان أفندي أحد خريجي البعثات أيضاً ، وفي سنة ١٨٣٨ أسندت نظارتها إلى المسيو لامبير بك لغاية سنة ١٨٤٩ إذ تولاها علي

مبارك بك (باشا) ، وهذه المدرسة من أجل\* وأنفع المدارس التي أنشأها محمد علي باشا ، ومنها تخرج عدد كبير من المهندسين الذين خدموا البلاد خدمات جليلة ، ومن أشهر أساتذتها في ذلك العهد طائل أفندي ، ومحمد بيوى أفندي ، ومحمد بك أبوسن . ومحمود باشا الفلكي ، ودقلة بك ، وإبراهيم بك رمضان ، وأحمد بك فايد وسلامة باشا

### مدرسة الطب

أسس محمد علي مدرسة الطب سنة ١٨٢٧ لإجابة لاقتراح الدكتور كلوت بك ، وكان مقرها في أول عهدنا بأبي زعبل لوجود المستشفى العسكري بها من قبل ، فانشئت المدرسة بالمستشفى إذ كان أليق مكان في ذلك الحين لإيواء المدرسة لتوافر وسائل التعليم الطبي والتمرين ، والغرض منها تخريج الأطباء المصريين للجيش ، ثم صار الغرض عاما بأن صار الأطباء يؤدون الأعمال الصحية للجيش وللبلاد عامة واختارت الحكومة للمدرسة مائة تلميذ من طلبية الأزهر ، وتولى ادارتها وإدارة المستشفى الدكتور كلوت بك ، فاختار لها طائفة من خيرة الأساتذة الأوروبيين ومعظمهم من الفرنسيين يدرسون علوم التشريح والجراحة ، والأمراض الباطنية ، والمادة الطبية ، وعلم الصحة ، والصيدلة ، والطب الشرعي ، والطبيعة ، والكيمياء ، والنبات ، وكان فيها أساتذة آخرون لتدريس اللغة الفرنسية للتلاميذ الأزهريين

وقد بذل كلوت بك جهودا صادقة للنهوض بالمدرسة والسير بها الى ذروة النجاح ، واعترضته صعوبات جمّة وأهمها لغة التعليم ، فقد كان المقرر جعل التعليم باللغة العربية ، ولكن الأساتذة كانوا يجهلون تلك اللغة ، فاختير لهم مترجمون يجيدون اللغتين الفرنسية والعربية ، فكان المدرس يأتي الى الفرقة ومعه المترجم فيلقى الدرس بالفرنسية وينقله المترجم الى العربية ، ويكتبه التلاميذ بخطوطهم في كرايسهم

ثم صار المترجمون يختارون من بين أوائل تلاميذ المدرسة الذين تعلموا اللغة الفرنسية في ساعات فراغهم وفي معهد ألحق خصيصا بالمدرسة لتعلم تلك اللغة ، لسكن هذا المعهد لم يلبث أن ألغى وألحق بالمستشفى حديقة للنبات فيها كل ما تنبت الأرض من العقاقير والنباتات النادرة

وبعد خمس سنوات من إنشاء المدرسة تخرجت الطائفة الأولى من تلاميذها، فوزعوا على المستشفيات وفيالق الجيش ، واختير من بينهم المتفوقون على أقرانهم وهم عشرون ، فأبقى منهم ثمانية في المدرسة في وظيفة معيدين للدروس ، وأرسل الأثنا عشر الباقون الى باريس لإتقان علومهم وإتمامها ، فلما عادوا عينوا أساتذة في المدرسة ، وهم الذين تألفت منهم البعثة العلمية الرابعة كما سيجيء بيانه

ذكر المسيو (مانجان) أن عدد تلاميذ مدرسة الطب بلغ (سنة ١٨٣٧) ١٤٠ طالبا و ٥٠ طالبا في مدرسة الصيدلة ، ووصف مستشفى أبي زعبل ، فقال إنه احتوى ٧٢٠ سريرا ، وان غرفه منسقة تنسيقا بديعا ، يتخللها الهواء الطلق ، وتسودها النظافة حيث عهد الى مدرسي مدرسة الطب ملاحظة خدمة المستشفى فجمعوا بين التدريس وملاحظة المستشفى

ثم نقلت المدرسة ونقل معها المستشفى الى مصر سنة ١٨٣٧ ، واختير لها (قصر العيني) فصارت المدرسة والمستشفى أقرب الى القاهرة وأدعى الى نشر التعليم الطبي ومعالجة المرضى

#### مدرسة الصيدلة ومدرسة الولادة :

وألحقت بمدرسة الطب مدرسة خاصة للصيدلة ، ثم مدرسة للقابلات والولادة واختيرت لهذه الأخيرة طائفة من السودانيات والحبشيات تعلمن فيها اللغة العربية

وفن الولادة والحق بمدرستهن مستشفى صغير للنساء ثم نقلت المدرسة من أبي زعبل الى القاهرة

### كلوت بك

هو كما ترى صاحب الفضل الكبير على النهضة الطبية الحديثة في مصر ، ولد في مدينة جرينوبل بفرنسا ١٧٩٣ من أبوين فقيرين ، ولما ترعرع أكب على الدرس على ما كان فيه من عوز وفاقة ، وتعلم الطب واضطر أن يشتغل صيا عند حلاق بمرسيليا ليتابع دورسه ، ولم يزل مكبا على تعلم الطب الى أن أخذ اجازته وعين طبيبا ثانيا في مستشفى الصدقة بمرسيليا ، ثم انفصل عن هذا المنصب ، ومارس مهنة الطب في تلك المدينة إلى أن تعرف الى تاجر فرنسي كان محمد على عهد اليه بأن يختار له طبيبا للجيش المصري ، فرغب اليه قبول هذه المهمة فرضى بها وجاء مصر سنة ١٨٢٥ ، وكان على أخلاق فاضلة وعزيمة صادقة ، فعهد إليه محمد على تنظيم الإدارة الصحية للجيش المصري المنشأة حوالي سنة ١٨٢٠ (١) ، وجعله رئيس أطباء الجيش ، فعنى بتنظيم هذه الادارة عناية تامة ، ولما كانت ( الخانكة ) حين مجيئه إلى مصر مقراً للعسكر العام للجيش أشار على محمد على باشا بإنشاء مستشفى عسكري بأبي زعبل بجوار المعسكر العام ، فأنفذ محمد على اقتراحه وأنشأ المستشفى الذي صار فيما بعد مستشفى عاما لمعالجة الجنود وغيرهم ونموذجا للمستشفيات التي أنشئت من بعده ، ثم خطر له أن ينشئ بجوار المستشفى المذكور مدرسة لتخريج الأطباء من أبناء البلاد ، فعمل محمد على باقتراحه وأنشأ بأبي زعبل سنة ١٨٢٧ مدرسة الطب التي صارت مبعث النهضة الطبية في مصر ، وتولى كلوت بك إدارتها ثم نقلت المدرسة ومعها المستشفى إلى قصر العين سنة ١٨٢٧ كما رأيت في سياق الكلام ، ولكلوت

(١) كما ذكر ذلك الدكتور نير تسوس بك Neroutsous bey في كتابه ( نظرة

تاريخية في تنظيم الادارة الصحية بمصر ) طبع سنة ١٨٨٠ ص ٢

بك كثير من المؤلفات الطبية ترجم معظمها خريجو مدرسة الطب ، وقد أسس مجلساً للصحة على النظام الفرنسي كان له فضل كبير في النهوض بالحالة الصحية للبلاد وعنى بتنظيم المستشفيات وأنشأ مجلس الصحة البحري في الاسكندرية

وقد بذل جهوداً صادقة في ترقية حالة البلاد الصحية ومقاومة الأمراض، وهو الذي أشار باستعمال تطعيم الجدري لمقاومة انتشار هذا المرض في القطر المصري بعد أن كان يودي بحياة نحو ستين ألفاً من الأطفال كل عام ، وكافح هو وتلاميذه وباء السكوليرا الذي وقع بمصر سنة ١٨٣٠ ، وقد سر محمد علي لما بذله من جهود في مقاومة هذا الوباء فأنعم عليه بالسكوية فصار يعرف بكلوت بك وبذل أيضاً جهوداً كبيرة في مقاومة الطاعون الذي حل بالبلاد سنة ١٨٣٥ وأنعم عليه لهذه المناسبة برتبة أمير لواء

ولما تولى عباس باشا الأول اضمحلت مدرسة الطب وعاد كلوت بك إلى فرنسا ، ثم أقفلت المدرسة في عهد سعيد باشا وانتظم تلاميذها في سلك الجيش ، غير أن سعيد باشا عاد واعتزم فتحها فاستدعى كلوت بك من فرنسا وأعيد فتح المدرسة سنة ١٨٥٦ باحتفال نفيم ، غير أن كلوت بك قد ضعفت صحته فارتحل إلى فرنسا سنة ١٨٥٨ وأقام بها إلى أن وافته منيته في أغسطس سنة ١٨٦٨

### مدرسة الآلسن

أنشئت سنة ١٨٣٦ مدرسة ( الآلسن ) بالأزبكية ( مكان فندق شبرد الآن ) وهي التي تولى نظارتها رفاة بك رافع وسيجيء الكلام عنها في ترجمته

### بقية المدارس العالية والخصوصية

مدرسة المعادن بمصر القديمة أسست سنة ١٨٣٤

مدرسة المحاسبة بالسيدة زينب أسست سنة ١٨٣٧

مدرسة الفنون والصنائع (وتسمى مدرسة العمليات) أسست سنة ١٨٣٩ وتولى  
نظارتها يوسف حككيان بك

مدرسة الصيدلة بالقلعة أسست سنة ١٨٢٩

مدرسة الزراعة بنبروه ، ثم نقلت إلى (شبرا) سنة ١٨٣٦ ، ثم ألغيت

سنة ١٨٣٩

مدرسة الطب البيطرى ، أنشئت أولا برشيد ثم نقلت إلى أبى زعبل بالقرب

من مدرسة الطب ، ثم إلى شبرا وتولى إدارتها المسيو هامون

المدرسة التجهيزية (الثانوية) بأبى زعبل ، ثم نقلت إلى الأزبكية

المدرسة التجهيزية بالاسكندرية

### المدارس الحربية والبحرية

تكلمنا عنها فى الفصل العاشر والحادى عشر

### ديوان المدارس

(وزارة المعارف العمومية)

لما تقدمت المدارس العالية والخصوصية التى أنشأها محمد على واتسع نطاقها  
رأى أن ينشئ لها إدارة خاصة سميت (ديوان المدارس) سنة ١٨٣٧ ، وكان  
موجودا من قبل باسم (مجلس شورى المدارس) ، وقد ساعد على تنظيم هذه  
الإدارة تخرج نوابغ أعضاء البعثات وعودتهم إلى مصر ، فرأى محمد على أن يهيئ  
لهم الفرصة للانتفاع بمواهبهم فى تنظيم نهضة التعليم فأسس (ديوان المدارس) ،  
وأسند رياسته الى أمير اللواء (مصطفى مختار بك) أحد خريجي البعثة الأولى ،  
فكان هذا الديوان أول وزارة للمعارف فى مصر ، وقد تولى مختار بك سنة ١٨٣٨

وخلفه سنة ١٨٣٩ أمير اللواء أدهم بك (باشا) وهو ذلك الضابط القدير الذي كان مديرا لترسانة القلعة ، وتكلمنا عنه آنفا ، وبقي يتولى هذا المنصب إلى سنة ١٨٤٩ وكان لديوان المدارس مجلس مؤلف من مصطفى مختار بك رئيسا ، ومن الأعضاء الآتية أسماءهم : كلوت بك ، كيانى بك ، أرتين بك ، اسطفان بك ، حكمتيان بك ، فارين بك ، رفاة رافع بك ، محمد بيومى أفندى ، لامبير بك ، هامون بك ، دوزول ، وبعض هؤلاء الأعضاء من خريجي البعثات المصرية وقد قرر هذا المجلس تنظيم التعليم بالمدارس ، ووضع لائحة لنشر التعليم الابتدائى تشمل ٢٧ مادة ذكر فيها ضرورة إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية ، منها ع بالقاهرة ، وواحدة بالاسكندرية ، والباقي فى أنحاء القطر المصرى لنشر التعليم بين طبقات الأمة ، وقضت هذه اللائحة بأن يكون عدد التلاميذ بكل مدرسة بمصر والاسكندرية ٣٠٠ تلميذ ، وبكل مدرسة من مدارس الأقاليم ١٠٠ تلميذ فديوان المدارس إذن هو مبتكر نظام التعليم الابتدائى فى مصر ، ولذلك يلاحظ أن معظم المدارس الابتدائية (وتسمى مكاتب) أنشئت سنة ١٨٣٧ أو بعدها

### المدارس الابتدائية

وهاك أسماء المدارس الابتدائية التى أنشئت فى عصر محمد على مرتبة بحسب المديرىات (٢)

#### البحيرة

مدرسة الرحمانية ، مدرسة النجيلة وشبراخيت ، مدرسة دمنهور (ثم أحيلى على مدرسة الرحمانية)

(١) راجع كتاب ( التعليم العام فى مصر ) ليعقوب أرتين باشا (بالفرنسيه) ص ١٧٦ طبعة سنة ١٨٩٠ ، وكتاب ( التعليم فى مصر ) لامين سامى باشا ص ٤ ملحق ٥

### الغربية

مدرسة إبيار ، مدرسة المحلة الكبرى ، مدرسة زفتى ، مدرسة شربين ، مدرسة طنطا ، مدرسة فوه ، مدرسة الجعفرية ، مدرسة نبروه

### المتوفية

مدرسة أشمون جريس ، مدرسة شبين السكوم ، مدرسة منوف ( ثم أحييت على مدرسة أشمون جريس )

### الدقهلية

مدرسة المنصورة ، مدرسة ميت غمر ، مدرسة المنزلة ، مدرسة صهرجت ، مدرسة فارسكور ، مدرسة محلة دمنه

### الشرقية

مدرسة الرقازيق ، مدرسة العزيزية ، مدرسة بلبيس ، مدرسة كفور نجم ، مدرسة ميت العز

### القليوبية

مدرسة بنها ، مدرسة قلوب ، مدرسة الخانكة ( ثم نقلت إلى السيدة زينب )  
مدرسة أبو زعبل ، مدرسة طوخ



### الجيزة

مدرسة حلوان

### الفيوم

مدرسة الفيوم

### بنى سويف

مدرسة بنى سويف ، مدرسة بوش

### المنيا

مدرسة المنيا ، مدرسة القشن ، مدرسة بنى مزار

### أسيوط

مدرسة أسيوط ، مدرسة أبو تيج ، مدرسة الساحل ، مدرسة ساقية موسى ،  
مدرسة سنبلو ، مدرسة ملوى ، مدرسة منفلوط

### جرجا

مدرسة أخميم ، مدرسة جرجا ، مدرسة سوهاج ، مدرسة طهطا

### قنا واسنا

مدرسة قاموله ، مدرسة قنا ، مدرسة فرشوط ، مدرسة اسنا  
ويلاحظ أن معظم المدارس الابتدائية قد ألغيت في أواخر عهد محمد علي  
وكان التعليم في المدارس كافة عالية وتجهيزية وابتدائية مجانيا ، والحكومة تنفق  
على التلاميذ من مسكن وغذاء وملبس ، وتجري على كثير منهم الأرزاق والمرتببات ،  
ولسكن لم يكن الأهالي في بدء افتتاح المدارس راضين عن إدخال أبنائهم فيها ، بل  
كانوا نافرين منها نفورهم من الجنديّة ، فكانت الحكومة تدخلهم المدارس في غالب  
الأحيان بالقوة ، واسكن ماليت الأهلون أن رأوا ثمرات التعليم فكفوا عن  
المعارضة في تعليم أبنائهم في المدارس وأقبلوا عليها  
وذكر كلوت بك<sup>(١)</sup> أن عدد التلاميذ بمدارس القطر المصري قاطبة بلغ على  
عهد محمد علي ٩٠٠٠ تلميذ ، تتولى الحكومة الإنفاق على تعليمهم وسكنائهم وغذائهم  
وملبسهم ، وتؤدى لهم رواتب ضئيلة

### البعثات العلمية

وجهه محمد علي همته إلى إيفاد البعثات المدرسية إلى أوروبا ليتم الشبان المصريون  
دراساتهم في معاهدها العلمية ، وهذه الفكرة تدل على ناحية من نواحي عبقرية محمد  
علي باشا ، فهو لم يكتف بأن يؤسس المدارس والمعاهد العلمية بمصر ليتلقى فيها  
المصريون العلوم التي تنهض بالمجتمع المصري ، بل اعتزم أن ينقل إلى مصر معارف  
أوروبا وخبرة علمائها ومهندسيها ورجال الحرب والصنائع والفنون فيها ، وأراد أن  
تضارع مصر أوروبا في مضمار التقدم العلمي والاجتماعي ، فقصده من إرسال البعثات

تكوين فئة من المصريين المثقفين لا يقلون عن أرقى طبقة مهذبة في أوروبا وأراد من جهة أخرى أن تجد مصر من خريجي هذه البعثات كفايتها من المعلمين في مدارسها العالية ، والقواد والضباط لجيشها وبحريتها ، ومهندسيها والقائمين على شؤون العمران فيها وإدارة حكومتها لكي لا تكون مع الزمن عالقة على أوروبا من هذه الناحية

ولو تأمات مليا في العصر الذي نشأت فيه هذه الفكرة واختلجت في نفس محمد علي ، لعجبت لعبقريته كيف أنبت هذا المشروع ، ففي ذلك العصر لم يفكر حاكم شرقي ولا حكومة شرقية في إيفاد مثل هذه البعثات ، وهذه تركيا وساطانها كان يملك من الحول والسلطة أكثر مما يملك محمد علي ، لم تفكر حينذاك أصلا في إيفاد البعثات المدرسية إلى المعاهد الأوروبية ، فصدور هذه الفكرة في ذلك العصر وفي الوقت الذي كان محمد علي مشغولا فيه بمختلف الحروب والمشاريع والهواجس يدل حقيقة على عبقرية نادرة وهمة عالية

### الإرساليات الأولى

ابتدأ محمد علي يرسل الطلبة المصريين إلى أوروبا حوالى سنة ١٨١٣ وما بعدها ، وأول بلاد اتجه إليها فكره إيطاليا ، فأوفد إلى ليفورن وميلانو وفلورنسا وروما وغيرها من المدن الإيطالية طائفة من الطلبة لدرس الفنون العسكرية وبناء السفن وتعلم الهندسة وغير ذلك من الفنون

وأفراد هذه الرسالة لم يتناولهم الإحصاء الدقيق ، وإنما يعرف منهم ( نقولا مسابكي ) أفندى الذى أوفده الى روما وميلانو سنة ١٨١٦ بواسطة المسيو روستي قنصل النمسا في مصر ليتعلم فن الطباعة وما إليها من سبك الحروف وصنع قوالبها ، فأقام أربع سنوات ثم عاد إلى مصر فتولى إدارة مطبعة بولاق سنة ١٨٢١ وبقى مديرا لها الى أن توفي سنة ١٨٣١

ثم اتجه نظر الباشا إلى فرنسا فأرسل إليها طائفة من الطلبة وكذلك أرسل إلى إنجلترا بعض التلاميذ لتلقى فن بناء السفن والملاحة ومناسيب الماء وصرفه ، والميكانيكا وبلغ عدد هؤلاء جميعا ٢٨ طالبا ، ولم يعرف أفراد هذه الارساليات ، وإنما عرف من أفراد بعثة فرنسا شاب كان له شأن كبير في تنظيم البعثات الكبرى التي أخذت تتدفق نحو فرنسا ، وهو عثمان نور الدين افندي الذي صار أميرالا للاسطول المصري ، وترجمناه في الفصل السابق

### البعثات الكبرى

أرسل محمد علي أول بعثة من البعثات الكبرى سنة ١٨٢٦ ، وهي مؤلفة من أربعين تلميذا ، ولحق بهم أربعة تلاميذ آخرون ، فصار عدتهم سنة ١٨٢٨ أربعة وأربعين طالبا ، واستمر يرسل الطلاب الى فرنسا فيضمون الى البعثة الأولى وفي سنة ١٨٤٤ أوفد بعثة كبرى من الطلبة لتلقى العلوم والفنون الحربية مؤلفة من سبعين تلميذا اختارهم القائد سليمان باشا الفرنسي من بين تلاميذ المدارس المصرية ، ثم لحق بهم غيرهم ، وكان بينهم أربعة من الأمراء ، منهم إثنان من أبناء محمد علي وهما الأمير عبد الحلیم والأمير حسين ، وإثنان من أبناء إبراهيم باشا وهما ( الخديو ) اسماعيل والأمير احمد ، وهذه البعثة الأخيرة أنشئت المدرسة المصرية التي تولى إدارتها اسطفان بك واستمرت تؤدي عملها وهو تأهيل الطلبة لإتقان اللغة الفرنسية وعمادة المدارس العليا بفرنسا ، الى أن أقفلت سنة ١٨٤٨ (١) ، وقد أوفد بعثة صغيرة سنة ١٨٤٧ الى فرنسا من طلبة الأزهر لتلقى علم الحقوق فتعلم هؤلاء جميعا بإرشاد المسيو جومار (٢) وتحت رقابته ، وأرسل غير هؤلاء بعض

(١) أعيدت في عهد اسماعيل باشا ثم أقفلت لمناسبة الحرب السبعينية

(٢) راجع ترجمته بالجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ١٢٦

التلاميذ إلى إنجلترا والنمسا  
قلنا ان الرسائل الثلاث الأولى لم يتناول الإحصاء الدقيق بيان أعضائها ،  
ولذلك صار مألوفات تعداد البعثات ابتداء من بعثة سنة ١٨٢٦ ، وبعد العلاءة على  
باشا مبارك بعثة تلك السنة ، أول رسالة أرسلت الى أوروبا من الديار المصرية في  
زمن المرحوم العزيز محمد علي ، (١)

### عدد طلبية البعثات وما أنفق عليهم

وقد بلغ عدد الطلبة جميعا الذين أوفدهم محمد علي الى أوروبا من سنة ١٨١٣ الى  
سنة ١٨٤٧ - ٣١٩ تلميذا ، منهم ٢٨ في الرسائل الثلاث الأولى ابتداء من سنة  
١٨١٣ الى سنة ١٨٢٥ و ٢٩١ في البعثات الكبرى ابتداء من سنة ١٨٢٦ ، فيكون  
بمجموعه ٣١٩ تلميذا وهو عدد عظيم إذا قيس بدرجة الثقافة التي بلغتها مصر في  
ذلك العصر ، وعظيم في نتائجه لأن هذه البعثات كان لها أوفر قسط في نهضة مصر  
الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والحربية والسياسية

وكما أن عدد تلاميذ هذه البعثات مما يسترعى النظر فانه مما يحسن معرفته مبلغ  
النفقات التي تكلفتها ، فقد دل الاحصاء على أنها بلغت ٣٠٣٣٦٠ من الجنيهات ، من  
ذلك ٣٠٠٠٠ قيمة ما أنفق على الرسائل الأولى و ٢٧٢٣٦٠ قيمة ما أنفق على  
البعثات الكبرى التي أرسلت من سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٤٧ ، بما في ذلك نفقة  
الأمراء أنجال محمد علي باشا وأحفاده من التحقوا بالبعثة الخامسة ، وهو مبلغ  
ضئيل بالنسبة للخيرات التي نالتها مصر على أيدي خريجي تلك البعثات

### عناية محمد علي بأعضاء البعثات

ونموذج من رسائله إليهم

وكان محمد علي شديد العناية والاهتمام بأعضاء البعثات ، يتقضى أنباهم ويتبضع

(١) الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٦٨

أحوالهم ، ويكتب لهم من حين لآخر رسائل يستحثهم فيها على العمل والاجتهاد وينبهم إلى واجباتهم ، وقد أورد رفاعة بك رافع نموذجاً من رسائله ، وهو كتاب بعثه إلى طلبة البعثة الأولى في سبتمبر سنة ١٨٢٩ يدل على مبلغ عنايته بشأنهم وحسه وإياهم على الجد والاجتهاد ، قال فيه مانصه حرفياً :<sup>(١)</sup>

« قدوة الأمانات السكرام الأفندية المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون زيد قدرهم ، نهي إليكم أنه قد وصلنا أخباركم الشهرية ، والجدول المكتوب فيها مدة تحصيلكم ، وكانت هذه الجداول المشتملة على شغلكم ثلاثة أشهر مهمة لم يفهم منها ما حصلتموه في هذه المدة . وما فهمنا منها شيئاً ، وأنتم في مدينة مثل مدينة باريس التي هي منبع العلوم والفنون ، فقياساً على قلة شغلكم في هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم ، وهذا الأمر غمنا غمّاً كثيراً ، فيا أفندية ما هو مأمولنا منكم ، فكان ينبغي لهذا الوقت أن كل واحد منكم يرسل لنا شيئاً من ثمار شغله وآثار مهارته ، فإذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة الشغل والاجتهاد والغيرة وجئتم إلى مصر بعد قراءة بعض كتب فظننتم أنكم تعلمتم العلوم والفنون فان ظنكم باطل ، فعندنا والله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلون يشتغلون ويحصلون الشهرة ، فكيف تقابلونهم إذا جئتم بهذه الكيفية وتظهرون عليهم كمال العلوم والفنون ، فينبغي للإنسان أن يتبصر في عاقبة أمره ، وعلى العاقل ألا يفوت الفرصة وأن يجني ثمرة تعبها ، فبناء على ذلك انكم غفتم عن اغتنام هذه الفرصة . وتركتم أنفسكم للسفاهة ولم تتفكروا في المشقة والعذاب الذي يحصل لكم من ذلك ولم يجتهدوا في كسب نظرنا وتوجهنا إليكم لتمييزوا بين أمثالكم ، فان أردتم أن تكتسبوا رضاً نافلاً كل واحد منكم لا يفوت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون ، وبعد ذلك كل واحد منكم يذكر ابتداءه وانتهائه كل شهر ، ويسين زيادة على ذلك درجته في الهندسة والحساب والرسم وما بقي عليه في خلاص هذه العلوم ، ويكتب في كل

(١) نقلاً عن « تخلص الأبرير » ، ص ١٥١

شهر ما يتعلقه في هذا الشهر زيادة على الشهر السابق ، وإن قصرتم في الاجتهاد  
والغيرة فاكتبوا لنا سببه ، وهو إما من عدم اعتنائكم ، أو من تشويشكم ، وأى  
تشويش لكم ، هل هو طبيعي أو عارض ، وحاصل الكلام أنكم تكتبون حالتكم  
كما هي عليه حتى نفهم ما عندكم ، وهذا مطلوب بنا منكم ، فاقروا هذا الأمر مجتمعين  
وافهموا مقصود هذه الإرادة ، وقد كتب هذا الأمر في ديوان مصر في مجلسنا في  
اسكندرية بمئة تعالى ، فتمي وصلكم أمرنا هذا فاعملوا بموجبه ، وتجنبوا وتحاشوا  
عن خلافه ، ( ٥ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ )

### البعثة الأولى

سنة ١٨٢٦

أرسلت هذه البعثة إلى فرنسا في يولييه سنة ١٨٢٦ ، وأخذ أعضاؤها ينتظمون  
في ملك المدارس الفرنسية ويتلقون العلوم والفنون بإشراف المسيو جومار ، وكان  
عدد البعثة أول ما أرسلت أربعين تلميذا ، ثم لحق بهم أربعة آخرون فصار عدتهم  
٤٤ طالبا

رجع منهم خمسة قبل إتمام دروسهم لضعف صحتهم أو نقص كفاءتهم ، ووزع  
الباقيون على مختلف العلوم والفنون ، وقد أحصاهم المسيو جومار في رسالته المنشورة  
بالمجلة الآسيوية Journal Asiatique<sup>(١)</sup> وعنه نقلنا أسماءهم  
وسنذكر هنا عددهم وبيان أسمائهم والفروع التي تخصصوا فيها والألقاب التي  
حازوها في المناصب التي تقلدوها بعد تخرجهم من البعثات

(١) عدد أغسطس سنة ١٨٢٨ ص ١٠٩

٤ - لدراسة الإدارة المملكية أو الحقوق

عبدى شكري (باشا) \* (١)  
أرتين (بك) \*  
محمد خسرو أفندى  
سليم أفندى

٤ - لدراسة الفنون الحربية والإدارة العسكرية

مصطفى مختار (بك) \*  
راشد أفندى  
أحمد (بك) \*  
سليمان أفندى

٢ - للعلوم السياسية

اسطفان (بك) \*  
خسرو أفندى

٣ - للملاحة والفنون البحرية

حسن (باشا) الاسكندراني \*  
محمد شنان (بك) \*  
محمود نامي (بك) \*

٣ - للهندسة الحربية

محمد مظهر (باشا) \*  
سليمان أفندى البحيري  
علي أفندى

٢ - للدفعية

عمر أفندى  
سليمان لاظ أفندى

---

(١) \* هذه العلامة تدل على أنه سيرد الكلام عن ترجمة صاحب الاسم



٢ - للطب والجراحة

علي هيبه هـ      الشيخ محمد الدشطوطي

٢ - للزراعة

يوسف أفندي هـ      خليل محمود أفندي

٣ - للتاريخ الطبيعي والمعادن

علي حسين أفندي      أحمد النجدلي أفندي      أحمد أفندي

٢ - لهندسة الري

مصطفى بهجت (باشا) المعروف أصلاً بمصطفى محرجي أفندي هـ محمد  
يومي أفندي هـ

١ - للبيكانيكيا

الشيخ أحمد العطار

١ - لإمام البعثة

الشيخ رفاعه ( بك ) رافع الذي صار أئبه رجال البعثة ذكرا وأرفعهم شأننا

٢ - لصنع الأسلحة وصب المدافع

أمين ( بك ) الكرجي هـ      أحمد حسن حنفي

٢ - للطباعة والحفر

حسن أفندي الورداني هـ      محمد أسعد أفندي

٤ - للكيمياء

عمر الكومي      أحمد يوسف ه      أحمد شعبان      يوسف العياضى

٢ - بدون تخصيص

أمين أفندى      أحمد أفندى

٢ - سافرا إلى مرسيليا وطولون

حسين أفندى      قاسم الجندى

٣ - عادوا المصرا لأسباب صحية أو لعدم أهليتهم

الشيخ محمد الرقيق      إبراهيم وهبه      الشيخ العلوى (١)

البعثة الثانية

سنة ١٨٢٨

أرسلتها الحكومة إلى فرنسا أو آخر سنة ١٨٢٨ ، وكانت مؤلفة من ٢٤ تلميذا  
تخصص معظمهم فى الهندسة والرياضيات ، وتخصص بعضهم فى الطبيعيات وبعضهم  
فى الحرية أو العلوم السياسية أو الطب  
وهاك أسماء من تناولهم الإحصاء :

---

(١) كما وردت أسماؤهم فى رسالة المسيو جومار ص ١١٢ عدد أغسطس سنة ١٨٢٨  
من المجلة الآسيوية

٤ -- للهندسة والرياضيات

إبراهيم رمضان ( بك ) \*  
أحمد دقلة ( بك ) \* أحمد طائل أفندى  
أحمد فايد ( باشا ) \*

١ -- للطبيعات

حسني افندى على البقلي \*

٢ - للإدارة الملكية

حسن جر كس افندى  
حسين جر كس أفندى

٣ . للحربية

خليل جراكيان افندى ( عين وكيلًا للمدرسة المصرية التي أنشئت للبعثة الخامسة  
بياريس ) . عثمان نوري افندى

١ - للعلوم السياسية

عابدين افندى ( توفي أثناء تعليمه )

١ - للطب والترجمة

محمد افندى عبد الفتاح \*

٢ - واحد من الأحباش وهو واوي بن كلهو ، وواحد من أمراء السودان  
وهو سلطان أبو مدين

البعثة الثالثة

سنة ١٨٢٩

هذه البعثة تغلب عليها الصبغة الصناعية ، فمعظم أفرادها أرسلوا للتخصص في مختلف الصناعات ، ذلك حين اتجهت عزيمة محمد علي إلى إنشاء الصناعات الكبرى واقتباس العلوم والفنون الخاصة بالصناعة من المعاهد الأوروبية  
أرسلت الحكومة هذه البعثة سنة ١٨٢٩ ، وهي مؤلفة من ثمانية وخمسين تلميذا ، أرسلوا إلى فرنسا والنمسا وإنجلترا ، وهالك توزيعهم بحسب الفروع التي تخصصوا لها كما ورد في (الوقائع المصرية) عدد ٧٣ (١) :

التلاميذ الذين أرسلوا إلى فرنسا وعدددهم ٣٤

٢ - لتعلم صناعة بصم الشدات	٢ - لتعلم صناعة الآلات الجراحية
٢ - لتعلم الري	٢ - لتعلم صناعة الساعات
٢ - لتعلم صناعة الصياغة والجواهر	٢ - شمع العسل
٢ - نسج الأقمشة الحريرية	٢ - النقش والدهان (٢)
٢ - صبغ الأجواخ	٢ - السراجة (السروجية)
٢ - صنع السيوف	٢ - الشيلان

(١) الصادر في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ (١٥ أكتوبر سنة ١٨٢٩) ولم تذكر أسماءهم فيه

(٢) هما محمد افندي مراد ومحمد افندي اسماعيل وقد تكلمنا عنهما في تراجم نوابغ البعثات

- ٢ - لتعلم صناعة البنادق والطابنجات      ٢ - لتعلم صناعة الأحذية  
٢ - إنشاء السفن      ٢ - شمع الاختام  
٢ - الأجواخ

التلاميذ الذين أرسلوا الي فينا وعددهم ٤

٤ - لتعلم صناعة نسيج الأجواخ والأكسية المعروفة بالعباءات

التلاميذ الذين أرسلوا إلى انجلترا وعددهم ٢٠

٢ - لتعلم صناعة آلات البوصلة وميزان الهواء والنظارات ومقاييس الأبعاد  
وآلات الدوائر المنعكسة وغير ذلك من الآلات الفلكية

٢ - لتعلم صناعة الآلات الهندسية      ٢ - لتعلم صناعة التنجيد والفراشة  
١٠ - الميكانيكا      ٢ - الصيني والفضار

٢ - صب المدافع والقنابل وما يتبعها

٨٥

وقد أرسل طلبة هذه البعثة إلى أوروبا بمعرفة بوغوص بك وزير التجارة  
والشؤون الخارجية  
وقد لحق بالتلاميذ العشرين الذين أرسلوا من هذه البعثة إلى انجلترا طلبة  
آخرون منهم :

٣ - لتعلم الفنون البحرية وهم :

عبد الحميد ( بك ) الديار بكري ، يوسف اكاه افندي ، عبد الكريم افندي ،

١ - لتعلم صناعة بناء السفن وهو :

محمد راغب ( بك ) ،

١ - للهندسة وهو :

يوسف حكسيان ( بك )

١ - لتعلم صناعة السجاجيد وهو : اسماعيل حنفي افندى

### البعثة الرابعة

أو البعثة الطبية الكبرى سنة ١٨٣٢

عدد أعضائها اثنا عشر تلميذا ، وقد نبغ معظمهم وخلدوا أسماءهم بما قاموا به من جلائل الأعمال ، وتجلي نبوغهم في نشر العلوم الطبية في مصر ، وخاصة بمدرسة الطب تدرسا وترجمة وتأليفا ، وفي الاضطلاع بالأعمال الصحية في البلاد وهم من أوائل خريجي مدرسة الطب المصرية بأبي زعبل ، فكانوا باكورة ثمرتها ، واختارهم الدكتور كلوت بك ليتمموا علومهم في باريس ، حتى إذا عادوا عينوا أساتذة في مدرسة الطب ، قال كلوت بك في هذا الصدد :

« وكان هذا هو الغرض الذي أقصده ، إذ كان من الواجب لإقامة علم الطب في مصر على عائم ثابتة وطيدة من صبغته بالصبغة المصرية ، وهو ما لم يكن متيسرا إلا بتسكين أساتذة من المصريين يلقون الدروس من غير حاجة الى مساعدة المترجمين ثم انني أرسلت الاثني عشر طالبا الى باريس لإتمام علومهم فيها أن أبين الدرجة التي وصلوا اليها من التعليم في مدرسة أبي زعبل ، وأن أدحض ما تذرعه به الوشاة والقادحون من الأكاذيب والتخرصات لندم هذه المدرسة والحط من قدرها ، وقد كان من حسن الحظ أن أقام أولئك التلاميذ في امتحانهم في اللغة الفرنسية أمام الأكاديمية الباريسية الدليل على حذقهم وتفوقهم حتى استحقوا أن

ينالوا لقب الدكتوراه من جامعة الطب بباريس ، (١)

وهناك أسماءهم ، وسنترجم لبعض النابغين فيما يلي :

- |                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ١ - محمد علي ( باشا ) البقلي ° | ٢ - ابراهيم النبراوى ( بك ) ° |
| ٣ - محمد الشافعى ( بك )        | ٤ - محمد الشباسبى ( بك ) °    |
| ٥ - مصطفى السبكى ( بك ) °      | ٦ - أحمد حسن الرشيدى ( بك ) ° |
| ٧ - عيسوى افندى النحراوى °     | ٨ - الشيخ حسين غانم الرشيدى ° |
| ٩ - محمد افندى السكرى          | ١٠ - حسين الهياوى افندى       |
| ١١ - محمد منصور افندى          | ١٢ - احمد نجيب افندى          |

### البعثة الخامسة

سنة ١٨٤٤

هى أكبر البعثات التى أرسلت إلى فرنسا وأعظمها شأنًا ، وهى آخر بعثة كبرى أوفدها محمد على باشا ، وكان فيها بعض أنجاله وأحفاده ، ولذلك يسميها على باشا مبارك فى بعض المواطن ( بعثة الأنجال )

وقد انتخب القائد سليمان باشا الفرنساوى تلاميذها من نوابغ طلبة المدارس المصرية العالية بمصر ، وانتظم فى سلكها بعض المعلمين والموظفين قال على باشا مبارك - وكان أحد أعضاء هذه البعثة - يصف تأليفها وسفرها وابتداء عهدها بالدراسة فى فرنسا :

« وفى سنة ١٢٦٠ انتخب سبعة من متقدمى الفرقة الأولى من مدرسة المهندسخانة بيولاى للسفر مع أنجال العزيز محمد على باشا الى بلاد فرنسا لتعلم

(١) لحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٦٢٣

العلوم العسكرية ، فسكنت أنا من جملتهم ، وكذلك أخذ من غير هذه المدرسة كمدرسة الطوبى ببطره ، ومدرسة السوارى (الفرسان) بالجيزة ، والمكتب العالى بالخانقاه ، ومدرسة الألسن بالأزبكية ، غير من طلب التوجه برغبته من الدواوين ( موظفى الحكومة ) وخلافها ، فسافرنا ، وأفرد لنا محل مخصوص بباريس ومن يلزم من الضباط والمعلمين ، فأقمنا فيه جميعا ، وبعد سنتين انتقل المتقدمون منا فى العلوم الى المدارس الخصوصية ، (١)

وقال فى موضع آخر : « فى سنة ١٢٦٠ عزم العزىز ( محمد على ) على إرسال أنجاله الكرام إلى مملكة فرنسا ليتعلموا بها ، وصدر أمره بانتخاب جماعة من نجباء المدارس المتقدمين ليسكنوا معهم ، وحضر المرحوم سليمان باشا الفرنساوى إلى المهندسخانة فانتخب عدة من تلامذتها ، فسكنت فيهم ، وكان نارا عا يومئذ لأمير بك ، فسافرنا إلى تلك البلاد ، وجعل مرتبى كل شهر مائتين وخمسين قرشا ماهية كرفقى ، فجعلت نصفها لأهلى يصرف لهم من مصر كل شهر ، وكانت هذه سنتى معهم منذ دخات المدارس ، فأقمنا جميعا بباريس سنتين فى بيت واحد مختص بنا ، ورتب لنا المعلمون لجميع الدروس ، والضباط والناظر من جهادية فرنساوية لأن رسالتنا كانت عسكرية ، وكنا نتعلم التعليمات العسكرية كل يوم (٢) ، فالبعثة كما ترى كان الغرض منها تخصيص أعضائها فى العلوم الحربية ، وعدددهم فى مبدئها ٧٠ تلميذا ثم لحق بهم غيرهم ، وقد بلغت نفقات أعضائها ٩٤٦١٥ جنبها وهاك أسماء أنهمم شأننا :

من أنجال محمد على

٢ - الأمير حسين ( توفى أثناء تعلمه )

١ - الأمير عيد الخليم

(١) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ١٠

(٢) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٤٠



## من أعمال إبراهيم باشا

- ٣ - الأمير أحمد (١)  
 ٤ - الأمير إسماعيل ( الخديو إسماعيل باشا )  
 ٥ - الشيخ نصر أبو الوفا ( إمام البعثة ) وصاحب كتاب ( المطالع النصرى  
 للمطابع المصرية فى الأصول الخطية ) وكتاب ( تسليمة المصاب على فراق الأحباب )

بقية من تخصصوا للفنون الحربية :

- ٦ - محمد شريف ( باشا )  
 ٧ - على مبارك ( باشا )  
 ٨ - على إبراهيم ( باشا )  
 ٩ - حماد عبد العاطى ( باشا )  
 ١٠ - حسن أفلاطون ( باشا ) ، وكيل وزارة الحربية فى عهد توفيق باشا  
 ١١ - عثمان صبرى ( باشا ) رئيس محكمة الاستئناف المختلطة سنة ١٨٨٩  
 ١٢ - على شريف ( باشا ) رئيس مجلس شورى القوانين  
 ١٣ - أباطه مراد حلمى ( باشا )  
 ١٤ - محمد عارف ( باشا )  
 ١٥ - محمد راشد ( باشا )  
 ١٦ - حسن نور الدين ( بك )  
 ١٧ - مصطفى مصطفى مختار أفندى  
 ١٨ - عبد الفتاح أفندى  
 ١٩ - حسين كوجك ( باشا )  
 ٢٠ - ولى حلمى ( بك )  
 ٢١ - سليمان نجأتى ( بك ) مأمور المدارس الحربية ثم قاض بمحكمة اسكندرية  
 المختلطة ثم وكيل محكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٨٢  
 ٢٢ - محمد أفندى  
 ٢٣ - محمد شاكر أفندى  
 ٢٤ - أحمد عجيلة ( بك )  
 ٢٥ - شافعى رحى ( بك )  
 ٢٦ - أحمد راسخ ( بك ) مدير الوقائع المصرية ثم مستشار بمحكمة الاستئناف

(١) هو أحمد باشا الذى غرق فى جاذنة كفر الزيات المشهورة وكان ولى عهد

المختلطة سنة ١٨٧٦ وتوفى سنة ١٨٨٥

- ٢٧ - أحمد أسعد أفندي  
٢٨ - منصور عطيه أفندي  
٢٩ - قيصرلى أحمد أفندي  
٣٠ - خليل أفندي  
٣٣ - أحمد نجيب (باشا)  
٣٤ - حنفى هند (بك)  
٣٥ - شحاته عيسى (بك) ناظر مدرسة أركان الحرب فى عهد اسماعيل باشا  
٣٦ - فريد أفندي  
٣٧ - محمد اسماعيل أفندي  
٣٨ - خورشيد أفندي  
٣٩ - صالح أفندي  
٤٠ - محمد خفاجى (بك)  
٤١ - حسين سليمان أفندي  
٤٢ - كوجك على أفندي  
٤٣ - حسن شكيب أفندي  
٤٤ - صادق سليم (بك) ناظر المهندسخانة فى عهد اسماعيل وتوفيق  
٤٥ - خورشيد برتو أفندي  
٤٦ - احمد بك السبكي  
٤٧ - مصطفى حليم أفندي  
٤٨ - محمد شوقى أفندي  
٤٩ - لطفى أفندي  
٥٠ - سعيد نصر (باشا) رئيس محكمة الاستئناف المختلطة سنة ٣ ١٩  
٥١ - أباطه راشد أفندي  
٥٢ - احمد حلى أفندي  
٥٣ - على فهمى (بك)  
٥٤ - محمد مصطفى أفندي  
٥٥ - احمد خير الله (بك) فيما بعد قاض بالمحكمة المختلطة  
٥٦ - شاكر أفندي  
٥٧ - محمد حسن أفندي

من تخصصوا للطب والطبىات :

- ٥٨ - أحمد ندا (بك)  
٥٩ - عبد العزيز الهراوى (باشا) مدير دار الضرب فى عهد اسماعيل باشا  
٦٠ - عبد الرحمن الهراوى (بك) مدرس بمدرسة الطب

- ٦١ - ابراهيم السبكي افندى  
٦٢ - محمد الفحام أفندى  
٦٣ - مصطفى الواطى ( بك ) تخصص لطب الأسنان وبعد عودته ترأس قسم  
ترجمة الطبيعيات بفروعها في قلم الترجمة وصار وكيل مدرسة الطب  
٦٤ - عثمان ابراهيم أفندى تخصص لطب الأسنان وعهد الى الاثنين تدريس  
طب الأسنان في مدرسة الطب ومعالجة المرضى في المستشفى  
٦٥ - محمد أفندى يونس  
٦٦ - محمد أفندى الشرقاوى  
٦٧ - بدوى سالم أفندى مدرس الكيمياء والصيدلة بمدرسة الطب  
٦٨ - حسن بك هاشم  
٦٩ - محمد ابراهيم افندى تخصص في التعدين  
٧٠ - على عيسى أفندى  
٧١ - ابراهيم جركس ( بك ) مدرس بمدرسة الطب البيطرى  
٧٢ - عبد الهادى اسماعيل أفندى ناظر مدرسة الطب البيطرى في عهد  
الخديوى اسماعيل  
٧٣ - بترو أفندى

علوم أخرى :

- ٧٤ - محمد صادق ( باشا ) ه  
٧٥ - عبد الله السيد بك ه  
٧٦ - نوبار أفندى ( هو غير نوبار باشا الوزير المشهور )  
٧٧ - أوهان اسطفان افندى  
٧٨ - يوسف اسطفان أفندى  
٧٩ - بولص لابن أفندى  
٨٠ - أسطفان خشادور أفندى (١)  
٨١ - أرئين خشادور أفندى (١)  
٨٢ - عبد الرحمن محو أفندى

(١) عين أحدهما مستشارا لمحكمة الاستئناف المختلطة سنة ١٨٧٥ وتوفى سنة ١٨٧٦

كما ورد في الكتاب الذهبى للحاكم المختلطة

٨٣ - حسن الشاذلي أفندي

البعثة السادسة

أرسلت الى النمسا سنة ١٨٤٥

طب العيون

حسين عوف ( باشا ) هـ      ابراهيم دسوقي أفندي هـ

الكيمياء الصناعية

مصطفى المجدلي ( بك ) مدرس بمدرسة قصر العيني

البعثة السابعة

سنة ١٨٤٧

هي بعثة مؤلفة من خمسة من طلبة الأزهر ، أرسلت الى فرنسا لتعلم الحقوق  
والوكالة في الدعاوى ( المحاماة ) وقد ذكرت هذه البعثة في الوقائع المصرية دون  
بيان أسماء أعضائها

البعثة الثامنة

سنة ١٨٤٧

هي بعثة مؤلفة من واحد وعشرين نجارا أرسلوا الى إنجلترا على ظهر السفينة  
الحريرية المسماة ( الشرقية ) التي تم انشاؤها في ترسانة الإسكندرية صحبة محمد راغب

بك ناظر الترسانة لإتقان فن بناء السفن الحربية ، وقد ذكر اسماعيل باشا سر هنك  
 عن هذه البعثة ما يلي (١) : وانه لما أتمت دار الصناعة المصرية بناء الفرقاطة المسماة  
 ( الشرقية ) سنة ١٨٤٧ صدر أمر الباشا محمد بك راجب الاستانبولى مدير بناء  
 السفن بدار الصناعة بالاسكندرية أن يسافر إليها الى انجلترا لتصفيحها وتركيب  
 آلاتها البخارية ، وأرسل معه واحدًا وعشرين نجارا من نجارى دار الصناعة  
 ليتقنوا فن التجارة هناك مدة وجود الفرقاطة المذكورة بانجلترا ثم عادت وعاد  
 معها هو والنجارون فى السنة المذكورة ، وقد ركبت لها آلات بخارية قوة خمسمائة  
 وخمسين حصانا ،

### البعثة التاسعة

سنة ١٨٤٧

عدد أعضاء هذه البعثة ٢٥ طالبا اختيروا من طلبة مدرسة المهندسخانة المتقدمين  
 لإرسالهم الى انجلترا للتخصص فى الميكانيكا وبعضهم الى فرنسا واليك أسماءهم :

اسماعيل أرناؤوط	حسن أفندى ذو الفقار
على صادق ( باشا ) فيما بعد وزير المالية	أحمد أفندى المهدي
عثمان عرفى ( باشا ) فيما بعد قاض بمحكمة الاسكندرية المختلطة ثم محافظ الاسكندرية	

عبد الله أفندى بيرون	على أفندى حسن الاسكندرانى
ابراهيم سامى ( باشا ) فيما بعد عضو بقومسيون السكة الحديد	غام عبد الرحمن
سليمان أفندى سليمان	أحمد طلعت أفندى

سليمان أفندي سليمان	عثمان يوسف أفندي
اسماعيل بوشناق أفندي	سلامه أفندي الباز
عمر علي أفندي	عثمان القاضي أفندي
عثمان دكروري ( بك )	علي أفندي صالح
جوده عوض ( بك )	سليمان موسى ( بك )
علي الفداوى أفندي	كلاهما تعلم بانجلترا ووصل الخط التلغرافى على يدهما إلى السودان
خطاب عبد المغيث أفندي	عباس عبد العزيز
	سليمان طه أفندي
	عيسى جاهين أفندي



رفاعة بك رافع الططاوى

١٨٧٣ - ١٨٠١

زعيم نهضة العلم والأدب في عصر محمد علي

## تراجم طائفة من أعضاء البعثات

وما أدوا لمصر من خدمات

نذكر هنا تراجم طائفة من أعضاء البعثات ليكون لدينا فكرة عامة عن تاريخهم وشخصياتهم وما أدوا لمصر من جليل الخدمات ، واسهولة التبويب رتبناهم طوائف بحسب العلوم والفنون التي تخصصوا لها لا بحسب ترتيب البعثات

التاريخ والجغرافيا والآداب

رفاعة بك رافع الطمطاولي

زعيم نهضة العلم والآداب

في عصر محمد علي

ولد سنة ١٨٠١ وتوفي سنة ١٨٧٣

مصري صميم ، من أقصى الصعيد ، نشأ نشأة عادية من أبوين فقيرين ، قرأ القرآن ، وتلقى العلوم الدينية كما يتلقاها عامة طلبة العلم في عصره ، ودخل الأزهر كما دخله غيره ، وصار من علمائه كما صار الكثيرون ، ولكنه بذأ الأقران ، وتفرد بالسبق عليهم ، وتسامت شخصيته الى عليا المراتب ، ذلك أنه كان يحمل بين جنبيه نفساً عالية ، وروحاً متوثبة ، وعزيمة ماضية ، وذكاء حاداً ، وشغفاً بالعلم ، وإخلاصاً للوطن وبنية ، تهيأت له أسباب الجهد والنبوغ فاستوفى علوم الأزهر في ذلك العصر ، ثم صحب البعثة العلمية الاولى من بعثات محمد علي ، وارتحل الى معاهد العلم في باريس ، واستروح نسيم الثقافة الأوروبية ، فزادت معارفه ، واتسعت



مداركه ، ونفذت بصيرته ، لسكنه احتفظ بشخصيته ، واستمسك بدينه وقوميته ، فأخذ من المدنية الغربية أحسنها ، ورجع الى وطنه كامل الثقافة ، مهذب القواد ، ماضى العزيمة ، صحيح العقيدة ، سليم الوجدان ، عاد وقد اعتزم خدمة مصر من طريق العلم والتعليم ، فبرئوعه ووفى بعهده ، واخضع بالنهضة العلمية تأليفاً وترجمة وتعليماً وتربية ، فملا البلاد بمؤلفاته ومعارفاته ، وتخرج على يديه جيل من خيرة علماء مصر ، وحمل مصباح العلم والعرفان يضيء به أرجاء البلاد ، وينير به البصائر والأذهان ، وظل يحمله نيفاً وأربعين سنة ، وانتهت اليد الزعامة العلمية والأدبية في عصر محمد علي ، وانتهدت زعامته الى عصر اسماعيل ، ذلك هو رفاعة رافع الطهطاوي

فلنستعرض تاريخ تلك الشخصية الكبيرة التي ازدان بها عصر محمد علي ، والتي لها الفضل الكبير على النهضة العلمية والأدبية في تاريخنا الحديث

### نشأته الأولى

هو السيد رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع ، يتصل نسبه بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فهو من نسل الحسين ، وأمه يتصل نسبها بالأنصار ولد في طهطا بمديرية جرجا ، ولذلك سمي الطهطاوي ، وكانت ولادته سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ ميلادية)

كان أجداده من ذوى اليسار ، ثم أخى عليهم الدهر ، فلما ولد المترجم كانت عائلته في عسر ، فسار به والده الى ( منشأة النيدة ) بالقرب من مدينة جرجا ، وأقاما في بيت قوم كرام من أقاربه يقال لهم بيت أبي قطنه من ذوى اليسار والمجد ، فأقاما هناك ، ثم انتقلا الى قنا ، ثم الى فرشوط ، وفي خلال ذلك كان المترجم يحفظ القرآن ، ولما عاد الى طهطا أتم حفظه ، وأخذ يتلقى مبادئ العلوم الفقهية ، فقرأ

كثيراً من المتون المتداولة في ذلك العصر على أحواله وهم بيت علم من الأنصار  
الخزرجية ، وفيهم جماعة من أفاضل العلماء كالشيخ عبد الصمد الأنصاري والشيخ  
أبي الحسن الأنصاري ، والشيخ فراج الأنصاري ، والشيخ محمد الأنصاري  
ثم توفي والده فجاء رفاة إلى القاهرة ، وانتظم في سلك طلبة الأزهر سنة  
١٨١٧ م ( ١٢٣٢ هـ )<sup>(١)</sup>

### دراسته بالأزهر

### وميله إلى الأدب

بدأت عليه مخايل الذكاء والنباهة من صباه ، وكان محباً للعلم والتحصيل ، ذا  
عزيمة قوية ، مجاهد في المطالعة والدرس ، وأخذ العلم عن شيوخ عصره ، وفي جملة  
من تلقى عنهم المترجم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر ، فقد أحبه لما  
آنسه فيه من الذكاء والإكباب على العلم ، وقربه إليه ، وحفنه برعايته ، وكان الشيخ  
رفاعه يتردد عليه كثيراً في منزله ، ويأخذ عنه العلم والأدب والجغرافية والتاريخ  
وكان الشيخ حسن العطار من علماء مصر الأعلام ، وامتاز بالتضلع في الأدب  
وفنونه والتقدم في العلوم العصرية<sup>(٢)</sup> ، وكان هذا نادراً بين علماء الأزهر ، فاقتبس

---

(١) رجعنا في هذه البيانات إلى ( حلية الزمن ) للسيد صالح مجدى بك وهي في  
مجموعها لا تختلف عما ذكره على باشا مبارك في الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٥٣  
(٢) يقول رفاعه بك عن الشيخ حسن العطار إنه كان له حظ في العلوم العصرية حتى  
العلوم الجغرافية وأنه وجد بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء ،  
وهوامش أخرى على أكثر كتب التاريخ وطبقات الأطباء وغيرها ، وكان يطلع على  
الكتب العربية وله ولع شديد بسائر المعارف البشرية وله بعض تأليف في الطب وغيره  
( عن مناهج الألباب المصرية لرفاعه بك ص ٣٧٦ طبعه ثانية )

منه المترجم روح العلم والأدب ، فكانت تلك الميزة من أسباب نبوغه ، ذلك أن الأدب قد فتح ذهنه الى البحث والتفكير وهداه الى سداد الرأى وحسن الديباجة وسلامة المنطق

من هنا نشأت ميول رفاة بك منذ نشأته العلمية إلى العلوم العصرية ، وإلى الأدب والإنشاء ، ويتبين من ذلك فضل الشيخ حسن العطار على المترجم ، فإنه أول من وجهه الفقيه إلى الاغتراف من ينبوع الأدب الفيض ، وقد بادر الشيخ رفاة الى الارتواء من منهله المذنب ، وهو بعد في الأزهر ، فقرأ كثيراً من كتب الأدب ، ومهر في فنونه ، وإذا تأملت في رحلته (تخليص الابريز) وهي أول كتاب ألفه في باريس ، شهدت فيها ما يدل على سعة مادته من بدائع الأدب العربي في النثر والنظم

والشيخ العطار كما يقول رفاة بك <sup>(١)</sup> هو الذى أشار عليه قبل رحيله إلى فرنسا أن يدون رحلته في تلك الأقطار ، فكانت هذه الرحلة (تخليص الابريز) باكورة مؤلفاته ، فالشيخ العطار كما ترى له يد طولى في تسكين الفقيه وهو الذى اختاره اماماً للبعثة كاسيحيى بيبانه

### تدريسه فى الأزهر

لم يمض على المترجم بالأزهر بضع سنوات حتى صار من طبقة العلماء ، وتولى التدريس فيه سنتين ، وكان يتردد بين حين وآخر على طهطا ويلقى بعض الدروس بجامع جده أبى القاسم ، فامتازت دروسه بمجازية كانت تحببه الى المستمعين وترغبهم فى الاستزادة من بحر علمه ، وهنا ظهرت خاصية جديدة فى المترجم ، وهى مقدرته ونبوغه فى التعليم والتشقيف ، وليس كل عالم ينال هذه الموهبة ، بل هى ميزة تحتاج

(١) تخليص الابريز ص ٣

إلى جاذبية معنوية ، وكفاءة ممتازة ، ومما يذكر عنه ان علماء طهطا شهدوا له بالسبق في هذا المضمار ، وكانت دروسه تحفل بالسامعين وطلبة العلم

قال صالح مجدى بك في هذا الصدد (١) : « وكان رحمه الله حسن الإلقاء ، بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه ، وقد اشتغل في الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى في الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض وغير ذلك ، وكان درسه غاصا بالجهم الغفير من الطلبة ، وما منهم إلا من استفاد منه ، وبرع في جميع ما أخذه عنه ، لما علمت من أنه كان حسن الأسلوب ، سهل التعبير ، مدققا حقيقا ، قادرا على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ، ولا كد ولا نصب ،

### اتصاله بالجيش

قضى الشيخ رفاة ثمان سنوات في الأزهر ، وصنف وألف ودرس وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وكان الى ذلك الحين فقيرا رقيق الحال إذ كانت والدته تنفق عليه بما تبيعه من الخلى والعقار ، وكان يستعين على معاشه بإعطاء دروس لحسين بك بحل المرحوم طبوز اوغلى ، وكان كذلك يلتقى بعض الدروس بالمدرسة التى أنشأها محمد لاظ اوغلى

وفي سنة ١٢٤٠ هـ ( ١٨٢٤ م ) عين واعظا وإماما فى أحد أليات الجيش المصرى النظامى الذى أسسه محمد على ، فانتظم فى سلك ألى حسن بك المناسرتلى ثم انتقل الى ألى أحمد بك المنسكى ، وكلاهما من أعظم قواد الجيش المصرى فى

---

(١) فى سألته ( حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ) وهى ترجمه حياة رفاة بك بقلم

السيد صالح مجدى أحد تلاميذه

عصر محمد علي ، وظل الشيخ رفاعة مضطعاً بوظيفة الإمامة من سنة ١٢٤٠ إلى شعبان من السنة التالية

بدأت حياة المترجم العملية بالتدريس في الأزهر ، ثم بتقلده وظيفة الإمامة في الجيش ، فانتقل بذلك من بيئة الأزهر إلى بيئة جديدة ، وهي الجيش النظامي ، واعتقد أن هذا الانتقال قد أحدث تطوراً في حياته وفي سيرته وذهنيته ، لأنه بدأ يتصل بالحياة العسكرية ، ويألف نظاماً لا عهد له به من قبل ، وعيشة فتحت ذهنه إلى نواح جديدة من الحياة والتفكير ، ولا بد أن تكون الحياة العسكرية التي اتصل بها عن كثب قد أفادته بما فيها من احترام للنظام ، وتقدير لمزاياه وإيلاف لأوضاعه وإحساس بالدفاع عن الذمار والكفاح في سبيل الوطن ، ومواجهة للأخطار ، مما يغرس في النفس روح الوطنية والشجاعة والإقدام

ويلاحظ لنا أن هذه المعاني قد انطبعت إلى حد كبير في نفس المترجم ، فقد عاش طوال عمره ذا أنفة وإباء ، يكره الذل ، ولا يقيم على الضيم ، محباً لبلاده يبذل في سبيلها راحتته ووقته وعلمه وذكاه ، وعاش كذلك محباً للنظام في كل عمل تولاه ، في تلقى العلوم ، وفي التأليف والتعريب ، وفي حسن تنظيم المعاهد التي تولى إدارتها

### انتظامه في سلك البعثات

#### وحياته في باريس

ولما جاء عهد البعثات العلمية كان من حسن توفيق المترجم أن اختاره محمد علي ضمن أعضاء البعثة الأولى التي سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ م ويقول علي باشا مبارك<sup>(١)</sup> : «هنا محمد علي باشا طلب إلى الشيخ العطار (شيخ الجامع الأزهر) أن ينتخب من علماء الأزهر إماماً للبعثة الأولى يرى فيه

(١) في الخطط الترفيقية ج ١٣ ص ٥٤

الاهلية واللباقة ، فاختار الشيخ رفاة لتلك الوظيفة ،

فهو إذن لم يكن مرسلًا بصفته طالبًا ، بل كان إمامًا للبعثة ، وتقرر له مرتب يوزعهاش<sup>(١)</sup>

وهنا يبدأ عهد جديد من حياة المترجم ، بل قل ان باب النبوغ قد انفتح أمامه على مصراعيه ، فقد أخذ يستثمر المواهب الدفينة في نفسه ، وأهمها الذكاء ومضاء العزيمة ، وقوة العارضة ، وسلامة المنطق ، وحب العلم والمثابرة في الإكباب عليه ، فوصل بجده وذكائه الى مكانة عالية من العلم والثقافة

لم يكن مطلوبًا من إمام البعثة أن يتعلم علوم الفرنسيين ، وأنظمتهم ، بل يكفيه أن يؤدي وظيفة الامامة لأعضاء البعثة ، وما إليها من الوعظ والإرشاد

ونقد كان معه ثلاثة أئمة آخرون للبعثة ، فلم تتحرك نفس أحد منهم إلى الاعتراف من مناهل العلم في فرنسا ، ولم يتجاوزوا حدود الوظيفة ، أما الشيخ رفاة فكان ذا نفس طامحة إلى العلا ، فأخذ يدرس اللغة الفرنسية ، وعكف عليها من تلقاء نفسه رغبة منه في تحصيل علومها وآدابها

وبذلك على مضاء عزيمة وولعه بالدرس أنه - كما يقول عنه علي باشا مبارك - وشرع عند ركوب الباخرة من الاسكندرية في تعلم مبادئ اللغة الفرنسية بهمة عالية وعزيمة صادقة واتخذ له بعد وصوله إلى باريس معلمًا خاصًا على نفقته ، ولما استقر به المقام في باريس أكب على العلوم يعترف من مناهلها ، وتعرف إلى العلماء يقتبس منهم الحكمة والمعرفة ، قال علي باشا مبارك : « وما لبث في هذه البلاد حتى عرفه أعظم العلماء وأكابرهم ، وكان للعالم المشهور مسيو جومار عليه فضل التعهد بالإرشاد والتعليم ، والمحبة اخصوصية ، وقد ساعده مساعدات جمّة في هذه البلاد ، وكذلك حاله مع العالم الشهير (المستشرق) البارون دي ساسي ، وفي مدة إقامته بباريز من سنة ١٢٤١ إلى سنة ١٢٤٦ (١٨٢٦ - ١٨٣١) نبغ في العلوم

(١) كانت الرتب العسكرية سارية في السلك المدني

والمعارف الأجنبية ، وعلى الخصوص فن الترجمة في سائر العلوم على اختلاف اصطلاحاتها من حيث الاستعمال والمفردات ، وأكب على الإكباب على إدامة النظر واستعمال الفكر والحرص على التحصيل والاستفادة ،<sup>(١)</sup>

ويقول رفاة بك عن نفسه<sup>(٢)</sup> انه ابتداء يتعلم مبادئ الفرنسية وهو في مارسيليا واستمر في دراستها بباريس إلى أن تعلمها في ثلاث سنوات<sup>(٣)</sup>

وقد اتجهت ميوله إلى دراسة التاريخ والجغرافية ، وكذلك درس الفلسفة والآداب الفرنسية ، فنال حظاً وافراً منها ، وقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو وراسين ، فأتسعت مداركه وارتقت أفكاره ، وما ذكره عن مونتسكيو قوله : « قرأت أيضاً مع مسيو شواله جزأين من كتاب يسمى (روح الشرائع) ، مؤلفه شهير بين الفرنسيين يقال له مونتسكيو وهو أشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ، ومبني على التحسين والتقييح العقليين ، ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجى ، كما أن ابن خلدون يقال له عندهم أيضاً مونتسكيو الشرق ، أى مونتسكيو الإسلام ،<sup>(٤)</sup>

وقرأ أيضاً بعض الكتب في علم المعادن وفن العسكرية والرياضيات ، ومالت نفسه أثناء دراسته بباريس إلى التأليف والتعريب ، فكان يهتم أوقات فراغه فيعرب ويؤلف ، فوضع رحلته وسمها « تخليص الابريز في تلخيص باريز » وعرب نحو اثنتي عشرة رسالة وهي (١) نبذة في تاريخ الاسكندر الأكبر مأخوذة من تاريخ القدماء (٢) كتاب أصول المعادن (٣) تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة ألفه

(١) الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٥٤

(٢) في كتابه تخليص الابريز ص ٣٦

(٣) تخليص الابريز ص ١٥٨

(٤) ص ١٦٠

سيرة جرمار لاستعمال مصر والشام متضمناً شذرات علمية وتدريبية (٤) كتاب  
دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدها (٥) مقدمة جغرافية طبيعية (٦) قطعة من  
كتاب العلامة ملطرون في الجغرافية (٧) ثلاث مقالات من كتاب لجندر في  
علم الهندسة (٨) نبذة في علم الهيئة (٩) قطعة من عمليات الضباط (١٠) أصول  
الحقوق الطبيعية التي تعتبرها الافرنج أصلاً لأحكامهم (١١) نبذة في الميثولوجيا  
يعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم (١٢) نبذة في علم سياسة الصحة

وترجم في باريس كتابه «قلائد المفارخ في غريب عوائد الأوائل والأواخر»  
وقد بدأ يترجم جغرافية ملترون كما رأيت ضمن رسائله الاثنتي عشرة

وكان يجتمع بطائفة من العلماء والمستشرقين ، فاقبتبس منهم واتصل بهم بصلات  
الود والصدقة ، وبديهي أن اتصاله بهم يدل على ما جبل عليه من الميل إلى العلم  
والعلماء والرغبة في الاستزادة من المعارف ، وقد نشر في رحلته (تخليص الابرين)  
رسالتين من المستشرق المشهور البارون سلفستر دى ساسي تدلان على ما ناله من  
المكانة في نفسه ، كتب الأولى لمناسبة إهداء المترجم رحلته اليه

وكتب الثانية قبل أن يغادر رفاعة بك باريس عائداً الى مصر قال فيها :

« بعد اهداء السلام الى مسيو رفاعة ، يحصل لي حظ عظيم إذا جاء عندي يوم  
الاثنين الآتي في الساعة ٢ ان أمكنه أن يسرنى برؤيتي له لحظات لطيفة ، ويحصل  
لي أيضاً غاية الانبساط إذا بعث لي أخباره بعد وصوله الى القاهرة ، فاذا لم يتيسر  
لي رؤيته طلبت له طريق السلامة ، ولا أزال أنذكر دائماً آثاره وأستششق أخباره  
مع انجذاب قلب وانشراح صدر - البارون سلفستر دى ساسي »

فمثل هذه الرسالة لا تسكتب للشيخ رفاعة إلا إذا كان قد نال في نفوس علماء  
فرنسا مكانة سامية ، وهذه المكانة قد أحرزها بذكائه وإكبابه على العلم ومساجلته  
العلماء في مجالسهم ومعاهدتهم مما حبيبه الى نفوسهم وجعل له عندهم ذلك  
المقام الممتاز



### مباحثه في الدستور

قد تعجب أن يكون لرفاعة بك مباحث في الدستور ، فالمعروف أن هذه المباحث حديثة العهد في تاريخ مصر القومي ، لكن الواقع ان رفاعة بك هو فيما نعلم أول من كتب من المصريين في المباحث الدستورية ، ذلك انه درس أثناء إقامته بباريس نظام الحكم في فرنسا ، وعرب في كتابه ( تخلص الابرين ) دستور فرنسا في ذلك الحين<sup>(١)</sup> وما تضمنته من نظام المجلسين ، واختيار أعضائهما ، وحقوق الأمة أفرادا وجماعات ، وهذا يدل على ميله الفطري الى العلوم السياسية ، ولا يتجه فسكر المرء في ذلك الحين الى خوض هذه المباحث إلا إذا كان ذا رأس مفكر وقلب يخفق بحب الوطن

وهو لا يكتفي بالتعريب فحسب ، بل له على مواد الدستور الفرنسي تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه ، وميل فطري إلى النظم الحرة .  
فقد قال تعليقا على نصوص الدستور<sup>(٢)</sup> :

« ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف ، وان السياسة الفرنسية هي قانون مقيد بحيث ان الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها أهل الدواوين ( البرلمان ) وأن ديوان البير<sup>(٣)</sup> يمانع عن الملك ، وديوان رؤس العمالات<sup>(٤)</sup> يحامى من الرعية ، والقانون الذي

(١) هو دستور سنة ١٨١٤ الذي استمر معمولا به الى سنة ١٨٣٠

(٢) تخلص الابرين ص ٧٢

(٣) مجلس الشيوخ Chambre des pairs وقد نقل كلمة بير Pairs الفرنسية

كما هي

(٤) رسل جمع رسول أى نائب ، والعمالات جمع عمالة أى مديرية ، يريد مجلس النواب

ويسمهم أحيانا نواب الرعية ، وأيضا أمناء الرعية ،

يمشى عليه الفرنسية الآن ( سنة ١٨٢٧ ) ويتخذونه أساساً لسياستهم هو القانون الذى ألفه لهم ملكهم لويز الثامن عشر ، ولازال متبعاً عندهم ومرضياً لهم ، وفيه أمور لا ينكر ذوو العقول أنها من باب العدل ،

وقال فى موضع آخر ( ص ٨٠ ) : قوله فى المادة الأولى أن سائر الفرنسيين متساوون قدام الشريعة معناه سائر من يوجد فى بلاد فرنسا من رفيع ووضيع ، لا يختلفون فى إجراء الأحكام المذكورة فى القانون ، حتى أن الدعوى الشرعية تقام على الملك ، وينفذ عليه الحكم كغيره ، فانظر إلى هذه المادة فإن لها تسلط عظيم على إقامة العدل وإسعاف المظلوم وإرضاء خاطر الفقير بأنه كالعظيم نظراً إلى إجراء الأحكام ، ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع السلم عند الفرنسية ، وهى من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية وتقدمهم فى الآداب الحضارية ،

وقال تعليقا على المادة الثانية الخاصة بالمساواة فى الضرائب :

« وأما المادة الثانية فإنها محض سياسة ، ويمكن أن يقال إن الفرد ( جمع فردة أى ضريبة ) ونحوها لو كانت مرتبة فى بلاد الإسلام كما هى فى تلك البلاد لطابت النفس خصوصا إذا كانت الزكوات والنفى والغنيمة لاتفى بحاجة بيت المال ، أو كانت ممنوعة بالسكينة ، وربما كان لها أصل فى الشريعة على بعض أقوال مذهب الإمام الأعظم ، ومن الحكم المقررة عند قدماء الحكماء ، الخراج عمود الملك ، وفى مدة إقامتى بباريس لم أسمع أحدا يشكو من المسكوس والفرد ( الضرائب ) والجبايات أبداً ،

وقال تعليقا على المادة الثامنة الخاصة بحرية الرأى والنشر : « وأما المادة الثامنة فإنها تقوى كل إنسان على أن يظهر رأيه وعلبه ، وسائر ما يخطر بباله ، بما لا يضر غيره ، فيعلم الناس سائر ما فى نفس صاحبه ،

وامتدح الصحافة ، وهو يسمى الصحف ( الورقات اليومية المسماة بالجرنالات

والكازيطات ، (١) وقال عنها : « ان الانسان يعرف فيها سائر الاخبار المتجددة سواء كانت داخلية أو خارجية ، أي داخل المملكة أو خارجها ، وان كان قديو جد فيها من الكذب مالا يحصى الا أنها ربما تتضمن أخبارا تنشوف نفس الانسان إلى العلم بها ، على أنها ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق أو تنبيهات مفيدة أو نصائح نافعة سواء كانت صادرة من الجليل أو الحقير ، لأنه قد يخطر ببال الحقير مالا يخطر ببال العظيم ، ومن فوائدها أن الإنسان إذا فعل فعلا عظيما أو رديئا وكان من الأمور المهمة كتبه أهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام لترغيب صاحب العمل الطيب ، وردع صاحب الفعلة الخبيثة ، وكذلك إذا كان الإنسان مظلما من إنسان كتب مظلمته في هذه الورقات ، فيطلع عليها الخاص والعام ، فتعرف قضية المظلوم والظالم من غير عـدول عما وقع فيها ولا تبديل ، وتصل إلى مثل الحكم ( المحكمة ) ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة ، فيكون مثل هذا الأمر عبرة لمن يعتبر ،

وقال عن المادة التاسعة ( الخاصة بحرية الأملك ) : « وأما المادة التاسعة فإنها عين العدل والانصاف ، وهي واجبة لضبط جور الأقوياء على الضعاف ، وقال تعليقا على المادة الخامسة عشرة ( التي تنص على أن السلاطة يتولاها الملك ومجلسا النواب والشيوخ ) : « وفي المادة الخامسة عشرة نكتة لطيفة ، وهي أن تدبير أمر المعاملات لثلاثة مراتب ، المراتبة الأولى للملك ووزرائه ، والثانية مرتبة البيرية الحامية للملك ، والثالثة مرتبة رسل العمال ، الذين هم وكلاء الرعية والمحامون عنهم حتى لا يظلم أحد ، وحيثما كانت رسل العمال قائمة مقام الرعية ومتكلمة على لسانها كانت الرعية كأنها حاكمة نفسها بنفسها ، وعلى كل حال فهي مانعة للظلم عن نفسها بنفسها ، وهي آمنة بالكلية ،

ثم ذكر تعديل الدستور الذي أعقب ثورة سنة ١٨٣٠ وأسهب في الكلام عن

(١) جمع كازيطة مأخوذة من الكلمة الفرنسية Gazette

تلك الثورة التي شهدتها في باريس ، وظاهر من كلامه مبلغ عطفه على الثورة وقضيتها ، وما قاله في هذا الصدد :

« فلما كانت سنة ١٨٣٠ وإذا بالملك قد أظهر عدة أوامر ، (١) ، منها النهي عن أن يظهر الإنسان رأيه وأن يكتبه أو يطبعه بشروط معينة خصوصا للكازيطات ( الجرائد ) اليومية فانها لا بد لطبعها من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة (٢) فلا يظهر فيها إلا ما يريد اظهره ، مع أن ذلك ليس حق الملك وحده فكان لا يمكنه عمله إلا بقانون ، والقانون لا يصنع إلا باجتماع آراء ثلاثة ، رأى الملك ، ورأى أهل ديوان المشورة (٣) ، فصنع الملك وحده ما لا يتفد إلا إذا كان صنعه مع غيره ،

فهذا كلام يدل على أن صاحبه يفهم روح الدستور والنظم الدستورية حق الفهم ، ويعرف معنى سلطة الأمة ، ويؤمن بأن الأمة مصدر السلطات وأدل على ذلك ، رأيه في موقف الملك شارل العاشر لما قامت الثورة في باريس قال :

« فلما اشتد الأمر وعلم الملك بذلك وهو خارج ، أمر بجعل المدينة محاصرة حكما ، وجعل قائد العسكر أميراً من أعداء فرنساوية ، مشهوراً عندهم بالخيانة لمذهب الحرية ، مع أن هذا خلاف الكياسة والسياسة والرياسة ، فقد دلهم هذا على أن الملك ليس جليل الرأي ، فانه لو كان كذلك لأظهر امارات العفو والسماح ، فان عفو الملك أبقى للملك ، ولما ولى على عساكره إلا جماعة عقلاء ، أحبا باله وللرعية غير مغبوضين ولا أعداء ، وانكته أراد هلاك رعاياه حيث أنزلهم بمنزلة

---

(١) هي الأوامر الشهيرة Ordonnances التي أصدرها الملك شارل العاشر وكانت

سببا لقيام ثورة سنة ١٨٣٠

(٢) الرقيب على الصحف

(٣) البرلمان

أعدائه ، مع أن استصلاح العدو أحزم من استهلاكه ، ويحسن قوله بعضهم :  
عليك بالحلم وبالحياسة والرفق بالذئب والإغصاء  
إن لم تقبل من يقال يوشك أن يصيدك الجهال  
، فعاد عليه ما فعله بنقيض مراده ، وبظير ما نواه لأضداده ، فلو أنعم في إعطاء  
الحرية ، لامة هذه الصفة حرّية ، لما وقع في مثل هذه الخيرة ، ونزل عن كرسيه  
في هذه المحنة الأخيرة ، لاسيما وقد عهد فرنساوية بصفة الحرية وألّفوها واعتادوا  
عليها ، وصارت عندهم من الصفات النفسية ، وما أحسن قول الشاعر :

وللناس عادات وقد ألفوا بها لها سنن يزعونها وفروض  
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقيل عندهم وبغيض ، (١)  
فتأمل في هذا الكلام ! وتدبر معانيه ، واذكر أنه كتب سنة ١٨٣٠ ، أي منذ  
مائة سنة ، تجده أنه كلام عليه طابع المبادئ الدستورية المصرية ، تتمشى فيه روح  
الحرية والديمقراطية ، ولا يصدر إلا عن نفس أشربت روح الأنفة والشعور  
بالحقوق القومية ، ولو لم يكن رفاة بك بمثل هذه الصفات لما صدر عنه مثل هذا  
القول ، بل أغلب الظن أنه كان يضرب صفحا عما شاهده في باريس من ثورة  
الشعب على الحكم الاستبدادي ، وما كانت هذه الثورة تترك في نفسه من أثر سوى  
استنكار قيام الرعية على ولى الأمر ، ولكن روح رفاة كانت روحا حرة متطلعة  
إلى المثل العليا ، في العلم ، والأخلاق ، والسياسة ، فلا غرو أن صادفت مبادئ  
حقوق الشعب موضع الإقناع من نفسه

وتأمل فيما ذكره المترجم عن الجنرال لافايت أحد زعماء الثورة ، تجده يقول :  
« وفي اليوم التاسع والعشرين في الصباح ملك أهل البلد ثلاثة أرباع المدينة ،  
ووقع أيضا في أيديهم قصر طويلرى ولوور فلما كوهما ، ونشروا عليهما بيرق الحرية  
فلما سمع بذلك سر عسكر ( قائد الجنود ) المأمور بإدخال أهل باريس في طاعة

(١) تخليص الأبريز ص ١٧٢

السلطان (الملك شارل العاشر) رجع ، فكان هذا تمام نصره أهل البلد ، حتى أن  
العساكر دخلت تحت بيرق الرعية ، ومن هذا الوقت ترتب حكم وقى وديوان  
هؤقت لنظم البلاد حتى ينحط الزأى على تولية حاكم دائم ، وكان رئيس هذا الحكم  
المؤقت سر عسكر المسمى لافييته ، وهو الذى قاتل فى الفتنة الأولى للحرية أيضا (١) ،  
وهذا الرجل شهير بأنه يحب الحرية ، ويحامى عنها ويعظم مثل الملوك بسبب  
اتصافه بهذا الوصف ، وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد فى البوليتيقة  
(السياسية) .

فرفاعه بك يمجّد فى الجزائر لافايت دفاعه عن الحرية ، وثباته على مبدئه  
السياسى ، وعدم تقلبه مع الأهواء ، وهى محامد وصفات اشتهر بها لافايت فى كل  
أدوار جهاده ، فوصل بذلك إلى المنزلة السامية التى نالها ، وصار كما يقول المترجم  
يكرم ويعظم كما يعظم الملوك ، وهذا من أبدع ما يقال فى تمجيد الوطنية الصادقة  
والجهاد الخالص لوجه الله والوطن

وقد ظل رفاعة بك بعد عودته إلى مصر متأثرا بالتعاليم الدستورية التى تلقاها  
فى باريس ، وحسبك دليلا على بقاءه محتفظا بتلك المبادئ السامية على مدى السنين  
أنه عدّ أكبر عمل للخديو اسماعيل إنشاءه مجلس شورى النواب (٢) فقد قال عنه  
فى معرض الثناء عليه : «ولو لم يكن له من المآثر إلا كونه حمل الأهالى على أن  
يستنبهوا عنهم نوابا ذوى فكرة ألمعية ، ليتذكروا فى شأن مصالحهم (٣) المرعية ،  
لكفاه ذلك شرفا ومجدا ، وعزا وسعدا حيث صار مستوليا على أمة حرة الرأى ،  
باستشارتها فى حقائق التراتيب والتنظيمات التى يراد تجديدها لأجاءهم (٤) » .

(١) يريد الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٩٨

(٢) سنة ١٨٦٦

(٣) أى مصالح الأهالى

(٤) مآهج الالباب المصرية ص ٣٢٣ طبعة ثانية

### عودته الى مصر

عاد رفاة بك إلى مصر سنة ١٨٣١ ، فكان أنه قضى في باريس نحو ست سنوات مكباً على الدرس والتحصيل ، يطالع ، ويقرأ ، ويكتب ويعرب ، ويجالس العلماء ويساجلهم البحث والمناظرة ، وينعم النظر في أحوال الشعوب الأوروبية وتاريخها وأسباب حضارتها وتقدمها ، واستقر عزمه وهو في باريس على أن يخدم بلاده من طريق نقل علوم الافرنج إلى مواطنيه ، فتسع مداركهم ، وتسمو أفكارهم ، ويسلكون سبيل الشعوب التي هذبها العلم والعرفان ، ومالت نفسه إلى التعريب آخذاً بنهج الدولة العباسية ، إذ بدأت نهضة العلوم والمعارف في عهدها بترجمة كتب اليونان إلى اللغة العربية ، قال في هذا الصدد وهو بعد في باريس : « وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة على التاريخ والجغرافيا بمصر السعيدة بمشيئته تعالى وبهمة صاحب السعادة محب العلوم والفنون حتى تعد دولته من الأزمنة التي تؤرخ بها العلوم والمعارف المتجددة في مصر مثل تجددها في زمن خلفاء بغداد ، (١)

ولقد بر بوعده ، فملاً البلاد علماً وحكمة ، وحمل لواء النهضة العلمية وخدمها بتأليفه وتعاريفه وتلاميذه الذين تخرجوا على يده في مدرسة الألسن وغيرها

### أعماله بعد عودته

كانت البلاد عند عودة رفاة بك في حاجة الى التعريب لنقل العلوم الأوروبية الى لغة البلاد ، فتولى منصب الترجمة وتدریس اللغة الفرنسية في مدرسة الطب بابي زعبل  
وفي سنة ١٨٣٣ م (سنة ١٢٤٩ هـ) انتقل من مدرسة الطب الى المدفعية

(١) تخلص الابريز ص ٢٠١

(الطوبجية) بطره ، وعهد اليه ترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية ، وله فيها رسالة مترجمة في الهندسة العادية ، وهي من الرسائل التي كانت تدرس في المدرسة الحربية بسان سير بفرنسا

وفي غضون ذلك رقع وباء بالقاهرة سنة ١٢٠٠ فسافر إلى طهطا وترجم بها مجلدا من جغرافية ملتبرون التي بدأ بتعريبها في باريس ، ثم عاد به إلى القاهرة وقدمه إلى محمد علي فقال إعجابه ، وأجرل له العطاء ، وأنعم عليه برتبة صاغ قول اغاسي واستمر يمدسة طره إلى سنة ١٢٥١

### مدرسة الآلسن

ثم رأى المترجم أن البلاد في حاجة إلى طبقة من العلماء الأكفاء في الآداب العربية وفي آداب اللغات الأجنبية ليضطلعوا بمهمة تعريب الكتب الأفرنكية وخاصة الفرنسية وليكونوا صلة الاتصال بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية وينهضوا بالأداة الحكومية في المناصب التي تعهد اليهم ، فاقترح على محمد علي باشا إنشاء مدرسة الآلسن ، وكان من مزايها محمد علي أنه يحسن تقدير الاقتراحات والآراء السديدة التي تعود على البلاد بالخير والتقدم ، فبادر إلى إنفاذ الاقتراح وإنشاء مدرسة الآلسن بالقاهرة سنة ١٨٢٦ ، واختار لها سراي الألفي بالأزبكية بجوار قصر زينب هاشم كريمة محمد علي (حيث فندق شبرد الآن) ، وهذا يدل على مبلغ عنايته بشأنها ، وكانت تعرف حين إنشائها بمدرسة الترجمة ، ثم عرفت بعد ذلك بمدرسة الآلسن ، وعهد بنظارتها في السنة التالية إلى الشيخ رفاعة ، وهنا هيأت فرصة جديدة لظهور نبوغ المترجم كعالم محقق ، ورئيس قدير ، ومعلم كفء ، ومرب لا يشق له غبار ، فلقد قام بإدارة تلك المدرسة خير قيام ، واختار لها التلاميذ من مدارس الأرياف والأقاليم ، ومن طلبة الأزهر ، فبلغ عددهم في بداية عهدها خمسين تلميذا ، ثم زاد حتى صار ١٥٠ ، وعنى بتثقيفهم وتأسيسهم إلى ما



الصالحة حتى تخرج منها نخبة من العلماء والشعراء والأدباء من ازدان بهم تاريخ النهضة العلمية والأدبية

كانت مدرسة الألسن عبارة عن كلية تدرس فيها آداب اللغة العربية واللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية والتركية والفارسية ثم الإيطالية والانجليزية ، وعلوم التاريخ والجغرافية ، والشريعة الإسلامية ، والشرائع الأجنبية ، فهي أشبه ما تكون بكلية للآداب والحقوق فلا غرو ان كانت أكبر معهد لنشر الثقافة في مصر

وكان رفاعة بك يتولى التدريس فيها بنفسه ، يعاونه طائفة من خيرة المصريين والأجانب ، ذكر على باشا مبارك من أساتذتها الوطنيين الشيخ محمد الدمهورى . والشيخ على الفرغلى الانصارى (ابن خال رفاعة بك) ، والشيخ حسنين حربز الغمراوى ، والشيخ محمد قطة العدوى . والشيخ أحمد عبد الرحيم الطمطاوى ، والشيخ عبد المنعم الجرجاوى ، وكلهم من علماء ذلك العصر

واشتهر رفاعة بك بغيرته على تثقيف تلاميذ المدرسة بلا كل ولا هوادة ، وكان في بعض الأحيان كما يقول على باشا مبارك « يمسكث نحو ثلاث ساعات أو أربع ساعات يلقي الدروس واقفا على قدميه في دروس اللغة أو فنون الإدارة أو الشرائع الإسلامية والأجنبية ، وكذلك كان دأبه معهم في تدريس فنون الآداب العالية ، وأحيل عليه في سنة ١٢٥٧هـ علاوة على نظارة مدرسة الألسن نظارة المدرسة التجهيزية التي كانت بأبي زعبل ثم نقلت الى الازبكية وألحقت بمدرسة الألسن ، وأساتذاتها من تلاميذ هذه المدرسة ، ومعهد للفقه والشريعة الإسلامية ، ومدرسة محاسبة ، ومدرسة إدارة افرنجية ، فكان رفاعه بك يدير هذه المعاهد مجتمعة ، أى أنه كان بمثابة مدير جامعة ، وأحيل عليه تفتيش مدارس الأقاليم ، وأسندت إليه وقتا ما رئاسة تحرير (الوقائع المصرية)

وفي سنة ١٢٥٨هـ شكل قلم الترجمة من أول فرقة خرجت من مدرسة الألسن ونال المترجم بعد سنة ونصف من إنشاء هذا القلم رتبة القائم مقام ، ونال سنة ١٢٦٢هـ

رتبة أميرالاي لمناسبة انتهائه من ترجمة مجلد آخر من جغرافية ملطبرون ،  
فصار يدعى رفاة بك بعد أن كان الشيخ رفاة ، وكانت هذه الرتبة بمثابة مكافأة  
معنوية له على ماأداه من الخدمات في المناصب التي عهدت إليه ، كما أنها دليل على  
حسن تقدير الحكومة في ذلك العصر للعلماء العالمين ، وتشجيعهم على متابعة  
جهودهم وأبحاثهم ، ومن الحق أن نقول إن نشيط الحكومة لرفاة بك كان له  
دخل في وفرة إنتاجه العلمي ، فقد كان موضع رعاية ولاية الأمور ومعاونتهم ،  
فأنعم عليه محمد علي بـ ٢٥٠ فدانا ، وأقطعته إبراهيم باشا حديقة نادرة المثال في  
الخانقاه تبلغ ٣٦ فدانا ، على مايقول علي باشا مبارك (١) ، وأنعم عليه سعيد باشا  
بمائتي فدان ، وإسماعيل باشا بـ ٢٥٠ فدانا ، فيسكون مجموع ذلك نحو ٧٠٠ فدان ،  
ولا شك أن هذه الانعامات الكبيرة من الوسائل التي تنهض بدولة العلم والأدب

### رفاة بك في منفاه بالخرطوم

لم يزل رفاة بك ناظرا لمدرسة الآلسن مع نظارة قلم الترجمة الى أن أقفلت  
في عهد عباس باشا الأول سنة ١٨٥١ ، ولم يكتف عباس بإقفالها بل أمر  
بإرسال رفاة بك الى السودان بحجة توليته نظارة مدرسة ابتدائية أمر بإنشائها  
في الخرطوم

وغريب أن عباس باشا الذي يقفل المدارس في القطر المصري يعنى بإنشاء  
مدرسة ابتدائية في الخرطوم ، نعم ان فتح المدارس في السودان قاطبة أمر مطلوب  
ومرغوب فيه لذاته ، فما السودان إلا جزء من مصر ، ونشر لواء العلم والمعارف  
في أحواله واجب على الحكومة ، ولكن إقفال المدارس في مصر ينم على محاربة  
عباس باشا للعلم والتعليم ، فكيف تتفق هذه النزعة مع التفكير في فتح مدرسة

(١) الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٥٤

ابتدائية بالخرطوم يرسل إليها جماعة من أركان النهضة العلمية في مصر وعلى رأسهم زعيم هذه النهضة رفاة بك ، وفيهم محمد بيومي أفندي كبير أساتذة الهندسة والرياضيات في مدرسة المهندسخانة ، وقد توفي في منفاه بالخرطوم ، وأحمد طائل أفندي أستاذ الرياضيات ، وغيرهم ، ولا يقبل المنطق أن يكون الغرض من إرسال هؤلاء الأقطاب الى السودان نشر العلم في ربوعه ، إذ لو كان يقصد خدمة العلم بإنشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، لما كان معقولاً أن يقع الاختيار على كبير علماء مصر في ذلك العصر ليتولى نظارتها ، ولا أن يعهد بتدريس الحساب فيها الى كبير علماء الرياضيات بين أساتذة مدرسة المهندسخانة ، فلا بد أن يكون للأمر سر آخر غير الرغبة في إنشاء المعاهد العلمية

وقد يكون سره الحقيقي رغبة عباس باشا في إقصاء علماء مصر الى السودان ، فكما أنه أقلل مدارس مصر ترامى له أن يبعد عنها علماءها الأعلام ، وقد وثى له في حق رفاة بك فانسع صدره للوشاية ، ولم ير وسيلة للتخلص من رفاة بك إلا إرساله الى السودان ، وكان الذهاب الى السودان في ذلك العصر يعد نفيًا مقصودًا به العقاب والقصاص ، وخاصة لمن كان في منزلة رفاة بك ، ولم أتبن ماهية هذه الوشاية من أقوال من ترجموا له <sup>(١)</sup> ، أما رفاة بك ذاته فلم يزد في هذا الصدد عن عن قوله : وفي سنة ١٢٦٧ كنت سافرت الى السودان بسعى بعض الأمرام بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم فلبثت نحو الأربع سنين بلا طائل

---

(١) ترجم له من المتقدمين على باشا مبارك في الخطط التوفيقية ج ١٣ ص ٥٣ ، وصالح مجدى بك في رسالته حياية الزمن بمناقب خادم الوطن ، ومن المعاصرين جرجي زيدان بك في كتابه ( تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ) ج ٢ ص ١٩ ، ومحمد الصادق حسين بك في مجلة السياسة الأسبوعية السنة ٢ عدد ٦٤

وتوفي نصف من بمعنى من الخوجات المصريين (١) ،

ويلاحظ على أن لكتابه (تخليص الأبريز) سببا يتصل بنفسه ، إذ لا يخفى أنه طبع للمرة الثانية سنة ١٢٦٥ هـ أى فى أوائل عهد عباس باشا ، والكتاب كما مر بك يحوى آراء ومبادئ لا يرغب فيها الحاكم المستبد ، وعباس باشا الاول كان فى طبعه مستبدا غشوما ، فلا بد أن الوشاة قد لفتوا نظره الى ما فى كتاب رفاة بك مما لا يروق لعباس ، فرأى أن يبعده الى الخرطوم ليكون السودان منقلى له ، ولا غرابة فى ذلك فلو أن هذا الكتاب ظهر فى تركيا على عهد السلطان عبد الحميد لكان من المحقق أن يكون سببا فى هلاك صاحبه ، فمن الجائز أن يكون عباس باشا قد رأى نقى رفاة وأمثال رفاة الى السودان ليعدهم ويعد أفكارهم وثقافتهم عن مصر ، واتخذ لنفسهم صورة ظاهرة وهى إنشاء مدرسة بالخرطوم ، والله أعلم

كان رفاة بك يشعر فى الخرطوم بأنه فى منقلى سحيق ، ويعلم أن الحكومة إنما أقصته الى السودان لتتخلص منه ، لا لتفتح مدرسة ابتدائية ، ولقد أحسن بغضاضة النقى فى بدء عهده به ، واسكنه قابل المصاب بالصبر والجلد ، وعاودته عزيمته التى لا تعرف الكلل ، فأخذ يسرى عن نفسه عمّ النقى والعزلة بتعريب كتاب تلك (٢) . وانك لتلح من مقدمة كتابه مبلغ تألمه مما جوزى به على جميل خدماته للعلم والنهضة العلمية ، والوطنى فى محنته يذكر ما أداه لوطنه من خدمات ، كأنما يراجع نفسه ويحاسبها ليعترف أسباب محنته ، فلا يزداد يقينا إلا أنه جوزى جزاء سببته ، وقوبل على إحسانه بالإساءة والنكران ، وكذلك فعل رفاة بك فقد جمع فى كلمات وجيزة ما فصله التاريخ من خدماته الجليلة ، قال فى مقدمة كتاب تليهاك :

وأما بعد فيقول المرتجى أن يكون لوطنه خير نافع ، رفاة بدوى رافع ، ناظر

(١) مناهج الالباب المصرية ص ٢٦٥ طبعة ثانية

(٢) مواقع الافلاك فى اخبار تليهاك

قلم الترجمة بديوان المدارس ، قد تقلدت بعناية الحكومة المصرية ، الفائقة على سائر الأمصار ، في عصر المدة المحمدية العلوية ، السامى على سائر الأعصار ، بوظيفة تربية التلاميذ مدةً مديدة ، وسنين عديدة ، نظارةً وتعلماً ، وتعديلاً وتقويماً ، وترتيباً وتنظيماً ، وتخرج من نظارات تعليمي من المتفهمين رجال لهم في مضمار السبق وميدان المعارف وسيع مجال ، وفي صناعة النثر والنظم أهر بديهية وأبهى روية وأزهى ارتجال ، وحماة صفوف لا يُبارون في نضال ولا سجال ، وعربت لتعليمهم من الفرنسية المؤلفات الجمّة ، وصحّحت لهم مترجمات السكتب المهمة ، من كل كتاب عظيم المنافع ، وتوفّق حسن تمثيلها في مطبعة الحكومة وطبعها ، ومالت طباع الجميع إلى مطبوع ذوقها وطبعها ، وسارت بها الركبان في سائر البلدان ، وحداها الحادى في كل واد ، وقصدها القصداء كأنها قصائد حسان ، وكان زمنى إلى ذلك مصروفاً ، ودينى بذلك معروفاً ، مجاراةً لأمير الزمن (١) ، على تحسين حال الوطن ، الذى حبّسه من شعب الإيمان ، وفي مدة نحو ثلاثين سنة لم يحصل لهقى فتور ولا قصور

فإذا ملّكت جُهداً فان لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفّعا  
وإنما فقط لما توجهت بالقضاء والقدر ، إلى بلاد السودان وليس فيما قضاء  
الله مفرّ ، أقت برهة حامد الهمة ، جامد القريحة في هذه الملة ، حتى كاد يتلفنى  
سعر الأقليم الفائر بحرّه وسمومه ، ويبلغنى فيل السودان الكاسر بخروطومه ، ومع  
ذلك فكنت في الوقت الحاضر مصداق قول الشاعر

فما أنا الأيام غير محارب أصحابها مستبشرا متهالا  
فان كان حظى راحا كنت راحا وإن كان حظى أعز لا كنت أعز لا  
فكيف وان لى نصيباً فى السعود المقبلة ، والعهود المستقبلة ، وحظاً من  
الأوقات المفيدة ، وسها من العدالة أباعد به عنى وجوه هذه البلاد البعيدة ، فما

(١) يريد محمد على

تسليت الا بتعريب تلياك ، وتقريب الرجا بدور الافلاك ،  
أقول ، ولرفاعة بك بعض العذر في تبره من الإقامة في السودان ، فانه فضلا  
عن شعوره بأنه لم يذهب اليه بارادته واختياره وانه انما كان مضطهدا منفا على  
غير ذنب جناه ، فقد شهد في منفاه مصرع زميله محمد بيومي كبير علماء الرياضيات  
في عصره ، والظاهر ان صحته وبنيته لم تحتملا غضاضة النفي وسوء المناخ فعاجلته  
منيته في الخرطوم ، فهذا الحادث الاليم كان له أثر عميق في نفس رفاعة بك جعله  
يشكو ويتملئ من طول إقامته في منفاه ، ولولا ذلك لما افاض في الاعراب عن  
ألمه الى الحد الذي اخرجه عن جادة الصبر والاعتدال ، فاذهب وجوه تلك  
البلاد البعيدة ، التي يطلب الى العدالة أن تباعد به عنها ؟ انه لاشك كان في شدة  
المحنة حتى ضاق صدره بما يعاينه من الألم ، على انه ما لبث ان استمسك بخصاله  
الحريدة من الصبر على المكروه ، ومغالبة الشدائد ، فراض نفسه على احتمالها ، والصبر  
على آلامها ، وانك لتتبن نفسيته وما جبل عليه من قوة العزيمة وصدق الايمان في  
قوله ، فما انا للأيام غير محارب الخ ، فان هذا القول يدل على قوة نفس كبيرة  
ارتضت مغالبة الأيام ومقاومة المحن ، ويتصل بهذا المعنى قوله عن نفسه :

رفاعة<sup>١</sup> خمس المنظوم مرتجلاً      قس يرضه وهو بالخرطوم قد وجلا  
قالت هو اتفه بالله كن رجلا      فان جدك ( طه ) للخطوب جلا  
فأمر خطبك هذا الحد يحسمه

والحق ان رفاعة بك كان في منفاه رجلا بكل معاني الرجولة ، فلم يستسلم  
للأس ، ولم تفتر عزيمته ، ولا جمدت قريحته ، وحسبك دليلا على قوة ارادته انه  
ترجم في منفاه كتاب تلياك ، وهو يقع في نحو سبعمائة صفحة من القطع الكبير ،  
كما انه رتب مدرسة الخرطوم احسن ترتيب وأدارها احسن ادارة وتخرج منها  
طائفة من الشبان تولوا مهمة التدريس في المدارس التي أنشأتها الحكومة في  
السودان على عهد الخديو اسماعيل ، وقد امتدح رفاعة بك اخلاق السودانين فاشار  
بقابليتهم ، للتمدين الحقيقي لدقة اذهانهم ، فان اكثرهم قبائل عربية لاسيما الجعليين

والشايقية وغيرهم ، واشتغالهم بما الفوه من العلوم الشرعية هو عن رغبة واجتهاد ، ولهم مآثر عظيمة في حسن التعلم والتعليم ، حتى ان البلدة اذا كان باعالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجسم الغفير ، فيعيه أهل بلده على ذلك بتوزيع المجاورين ( الطلبة ) على البيوت بحسب الاستطاعة فكل انسان من الاهالى ينحصر الواحد او الاثنان فيقومون بشؤونهم مدة التعلم والتعليم ،<sup>(١)</sup>

رجوعه من منفاه والمناصب التي تولاها

ولما توفي عباس الاول سنة ١٨٥٤ ، وتولى سعيد باشا الحكم عاد رفاعة بك من السودان ، فاسندت اليه المناصب المختلفة ، فجعل ناظرا للقلم الافرنجى بمحافظة مصر تحت رئاسة ابراهيم ادوم باشا ، ثم عهد اليه سعيد باشا سنة ١٨٥٥ وكالة المدرسة الحربية بالحوض المرصود التي كان يتولى نظارتها سليمان باشا الفرنساوى رئيس رجال الجهادية ، وبعد قليل تولى نظارة المدرسة الحربية التي أنشأها سعيد باشا بالقلعة ، وجمع بين هذا المنصب ونظارة قلم الترجمة ، ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية ومدرسة العمارة ، ونال رتبة المتمايز

وفي سنة ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس كما الغى قلم الترجمة ، فبقى رفاعة بك بغير منصب الى عهد اسماعيل باشا ، إذ هبت على العلم والتعليم نسمة الحياة ، فأعيد قلم الترجمة بوزارة المعارف العمومية وعهد الى رفاعة بك برياسته سنة ١٨٦٣ وعين عضوا في ( قومسيون المدارس ) الذى يشبه أن يكون مجلس المعارف الأعلى والذى كان له فضل كبير في تنظيم التعليم على عهد اسماعيل وكان له فضل كبير في نشر العلوم بحثه الحكومة على طبع طائفة من أمهات السكتب العربية على نفقتها كتفسير الفخر الرازى ومعاهد التنصيص وخزانة الادب والمقالات الحربية وغير ذلك

(١) مناهج الالباب المصرية ص ٢٦٢ طبعة ثانية

### فضل رفاة بك في نهضة المرأة

إن رفاة بك هو أول من دعا إلى نهضة المرأة وإلى تعليم البنات وتثقيفهن أسوة بالبنين ، وتتجلى لك فكرته من كونه وضع كتابا مشتملا لتثقيف البنات والبنين على السواء وسماه ( المرشد الأمين للبنات والبنين ) وهو كتاب في الأخلاق والتربية والآداب وضعه كما يقول في مقدمته بحيث يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية ،

ودعا في هذا الكتاب الى وجوب تعليم البنات وإعدادهن من طريق التربية والتعليم للعمل والقيام بواجبهن في المجتمع ، قال في هذا الصدد :

« ينبغي صرف الهممة في تعليم البنات والصبيان معا لحسن معايشة الأزواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ، ويجعلهن بالمعارف أهلا ، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معايشة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها ، وليسكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تعاطى من الأشغال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها ، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن ، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء وابتغال الأقاويل ، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء ،

فالدعوة إلى نهضة المرأة في مصر ترجع كما ترى إلى رفاة بك ، ثم جاء من بعده المرحوم قاسم بك أمين فجددها ووسع نطاقها ، وكتاب رفاة بك طبع لأول مرة سنة ١٢٨٩ هـ أي سنة ١٨٧٢ ميلادية ، وقد أسست أول مدرسة لتعليم البنات في مصر سنة ١٨٧٢ م وهي المدرسة التي أنشأتها جشم آفت هانم إحدى زوجات



اسماعيل بالسيوفية ، على أن دعوة رفاة بك ترجع إلى ما قبل ظهور كتابه ، فإنه كما تعلم كان عضواً في مجلس ديوان المدارس سنة ١٨٣٧ ، وقد ذكر يعقوب أرتين باشا<sup>(١)</sup> أن هذا المجلس قدر ما لتعليم المرأة من الفضل في النهوض بالمجتمع المصري فاقترح إدخال تعليم البنات في مصر ، واسكن الاقتراح لم يخرج إلى حيز العمل في عهد محمد علي باشا لأن المجتمع كما يقول أرتين باشا لم يكن يألف تعليم البنات في المدارس فاكتفى محمد علي بمدرسة الولادة التي أنشأها لتخريج طائفة من القابلات المتعلقات

على أن فكرة تعليم المرأة لاقت من ذلك الحين تقديراً من الطبقات العالية فأخذت العائلات السكبيرة تعلم بناتها في البيوت على يد أساتذة من معلمين ومعلمات فظهرت طبقة من سلالة البيوت السكبيرة نالت حظاً وافراً من العلم والثقافة ، ومن هذه الطبقة نبغت الكاتبة الشاعرة عائشة هانم تيمور<sup>(٢)</sup> كريمة اسماعيل باشا تيمور من كبار الحكام في عصر عباس وسعيد واسماعيل ، وقد بقيت فكرة تعليم البنات قاصرة على البيوت إلى أن أنشئت مدرسة البنات بالسيوفية كما قدمنا

#### فضله في نهضة القضاء والقانون

ولرعاة بك فضل كبير في نهضة القضاء ، فإن الحكومة حينما فكرت في إصلاح النظام القضائي على عهد اسماعيل مهدت إلى ذلك بتعريب القوانين الفرنسية المعروفة بالسكود ( قانون نابليون ) وهي مهمة شاقة تحتاج إلى اطلاع واسع في القوانين الفرنسية وأحكام الشريعة الإسلامية لاختيار المصطلحات الفقهية المطابقة لمبطلاتها

(١) في كتاب التعليم العام في مصر ( بالفرنسية ) ص ١٢٨

(٢) ولدت سنة ١٨٤٠ وتوفيت سنة ١٩٠٢ ، راجع ديوانها ( حلية الطراز ) وانظر

ترجمتها المسببة للأنيمة ( مي )

في القانون الفرنسي ، وتحتاج أيضا الى علم غزير وصبر على العمل وإلمام تام بأسرار اللغتين الفرنسية والعربية ، فلم تجد الحكومة من يضطلع بهذه المهمة سوى رفاة بك وتلاميذه ، فعرب هو وعبد الله بك السيد (١) القانون المدني الفرنسي واشترك معهما عبد السلام افندي احمد ، واحمد افندي حلي ، وإذا لاحظت أن هذا القانون أوسع مدى من القانون المصري المقتبس منه لأنه يشمل عدا المعاملات المدنية أحكام الأحوال الشخصية عرفت مبلغ الجهد الذي بذله رفاة بك ومساعدوه في تعريبه ، وحسبك أنه يقع في ٢٢٨١ مادة طبعت (٢) في مجلدين كبيرين ، يقع الأول في نيف وثلثمائة صفحة ، والثاني في مائتي صفحة من الورق الكبير ، وعرب قانون المرافعات عبد الله أبو السعود (افندي ، وحسن افندي فهمي ، وعرب محمد قدري باشا قانون العقوبات ، وصالح بك مجدي قانون تحقيق الجنائيات ، وهم من تلاميذ رفاة بك ، ومن هذه القوانين قد استمد الشارع المصري معظم أحكام قوانين المعاملات المدنية والمرافعات والعقوبات ، تلك القوانين التي بنى على أساسها النظام القضائي الحديث ، ومن ذلك يتبين فضل رفاة بك وتلاميذه في إقامه صرح العدالة في مصر

### روضة المدارس

ومن أجل أعماله أنه تولى رئاسة تحرير مجلة (روضة المدارس) التي أنشأها العلامة على باشا مبارك سنة ١٨٧٠ حين كان وزيراً للمعارف العمومية في عهد اسماعيل ، وهي مجلة علمية أدبية اجتماعية ، أنشأتها وزارة المعارف كما قدمنا لإحياء الآداب العربية ونشر المعارف الحديثة ، وتولى رأسها رفاة بك وبياشر تحريرها ابنه على بك فهمي رفاة مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن وقتئذ

(١) من تلاميذ مدرسة الألسن وقد ترجمنا له فيما يلي

(٢) سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ ميلادية

وكان المترجم يتولى تحرير أبواب المجلة، يعاونه في ذلك نخبة من العلماء والأدباء أمثال علي باشا مبارك، وعبد الله بك (باشا) فسكري، والشيخ حسين المرصفي، والمسيو بروكش باشا ناظر مدرسة اللسان المصري القديم، واسماعيل بك (باشا) الفلكي، ومحمّد قديرى بك (باشا) ومحمود باشا الفلكي، والدكتور محمد بك بدر، وأحمد بك ندا العالم النباتي الشهير، والشيخ عبد الهادى نجما الاييارى، وصالح مجدى بك، وأبو السعود أفندى محرر جريدة وادى النيل، والشيخ عثمان مدوخ أحد أساتذة اللغة العربية بالمدارس التجريبية، ورأيت فيها بعض المباحث الفقهية للشيخ حسونة النووى، وبعض شذرات لغوية للشيخ حمزة فتح الله، من أفاضل الاسكندرية، فكانت المجلة ميدانا يتبارى فيه فطاحل السكتاب في ذلك العصر، وفيها المباحث الطريفة في العلم والأدب والاجتماع والتاريخ والرياضيات، وكانت تصدر مرتين في الشهر، وقد صدر العدد الأول منها في ١٥ المحرم سنة ١٢٨٧ هـ (سنة ١٨٧٠) واستمرت تصدر بانتظام، فأفادت الثقافة فائدة كبرى، وقد ذكرها المسيو دور مفتش التعليم العام على عهد اسماعيل في كتابه<sup>(١)</sup> فقال عنها: وهذه المجلة كانت توزع مجانا على التلاميذ وقد ساعدت على نشر العلوم والمعارف لأنها عودت الطلبة ملكة المطالعة والبحث، وفتحت صحائفها للنابهن منهم لنشر أبحاثهم القيمة، فكان ذلك مما يشجعهم ويستحث همهم على المباحث والجهود المستقلة عن دروسهم،

وقد أصاب المسيو دور في قوله، فإن المجلة كانت تنشر مباحث طريفة لبعض نبيهام التلاميذ، وقد رأيت فيها قصائد رقيقة من نظم المرحوم اسماعيل باشا صبرى تتجلى فيها روح الشعر الحديث، وكان وقتئذ الشاب النجيب اسماعيل أفندى صبرى أحد تلامذة مدرسة الادارة،  
فتنّها قصيدة في مدح الخديو اسماعيل بالعدد ٢٠ من السنة الأولى<sup>(٢)</sup> قال في مطلعها

(١) التعليم العام في مصر ص ٢٥٣

(٢) غاية شوال سنة ١٢٨٧

سَفَرْت فلاح لنا هلال مَعُود ونمى الغرام بقلبي المعمود  
وفصيذة أخرى بالعدد ٥ من السنة الثانية (١) يقول في مطالعها

أُغْرُتْكَ الغرام أم طلعةُ البدر وقامتكَ الهيفاء أم عادن السمر  
وشعرك أم لين تراخي سدوله وثغرك أم عقد تنظم من در

وأخرى بالعدد ٢٣ من السنة الثانية (٢) استهلها بقوله

لا والهُوى العذرى والوجدِ عذْلُ عذولى فيك لا يُجْدِي  
إني مع الصدد وطول الجففاً باق على الميثاق والعهد  
ويتبين من ذلك أن مدرسة الشعر الحديثة قد بدأت باكورتها تظهر في روضة  
المدارس على عهد رفاة بك

### وفاة رفاة بك

واستمر رفاة بك يشرف على تحرير المجلة ويكتب فيها ويتولى نظارة قلم الترجمة  
مع مشاركته على التأليف الى أن ادركته الوفاة سنة ١٨٧٢ م (سنة ١٢٩) وله من  
العمر ٧٥ سنة ، ونشر زنيه في الوقائع المصرية ، وفي روضة المدارس بالعدد ٧ من  
من السنة الرابعة (٣) وكتب نجله على بك فهمى رفاة (٤) مباشر تحرير المجلة عن  
زنيه الكلمة الآتية :

، إنه ليحزننى أن أقل من عدد الوقائع المصرية الأخير ، ما كتبه حضرة

(١) ١٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٨

(٢) ٥ ذى الحجة سنة ١٢٨٨

(٣) ١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٩٠

(٤) الذى صار على باشا رفاة وكيل نظارة المعارف العمومية

محررها الأستاذ الشهير (١) إذانا بوفاة والدي رفاة بك رافع طاب ثراه، وجعل  
الجنة متقلبه ومشواه، وحيث كانت دموع الأسف على فقده، شاغلة لى عن القيام  
بحقوقه الواجبة على من بعده، فليس فى وسعى الآن، إلا الدعاء له بالرحمة  
والرضوان،، وكانت المجلة تنشر تباعا آخر مؤلفات المترجم وهو كتاب (نهاية  
الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) فى تاريخ الرسول عليها الصلاة والسلام، فاستمرت  
تنشر تمة الكتاب بعد وفاة المترجم

### صفاته وأخلاقه

وصف صالح مجدى بك أستاذه رفاة بك بقوله :

كان قصير القامة، عظيم الهامة، واسع الجبين، متناسب الأعضاء، أسمر  
اللون، ثابت السكون، وكان فيه دهاء وحزم، وجرأة وثبات عزم، وإقدام  
ورياسة، ووقوف تام على أحوال السياسة، وتفرس فى الأمور، وكان حميد  
السيرة، حسن السريرة،

هذا ما كتبه أقرب الناس إليه وأعرفهم بأخلاقه وصفاته، ويلوح لنا أن من  
أخص صفات المترجم الصبر على المسكاره، وقوة العزيمة والإباء والشهامة، أما الصبر  
فقد برهن عليه بما احتمل من مضض النفي فى الخرطوم بشجاعة وثبات، وتجلى  
لك قوة عزمته من مثابرتة طول حياته على التأليف والترجمة على ما يقتضيه ذلك من  
الجهد والعناء، ومن كونه عرب كتابا من خيرة كتبه وهو فى منفاه، فالنفس التى  
لا يحول النفي دون مثابرتها على العمل هى نفس يزينها الإيمان ومضاء العزيمة، ورفاة  
بك فى عمله بمنفاه يشبهه الفيلسوف الفرنسى (كوندورسيه) الذى ألف وهو مطارَد  
كتابا من خيرة مؤلفاته

(١) الشيخ احمد عبد الرحيم

ومن أخص مزايا الفقيه كما قلنا الشمم والإباء والشهامة ، وقد تكون هذه المزايا مما عرقل تقدمه في مناصب الحكومة ، إذ أنه على ما عرف به من عظيم الكفاءة لم يتجاوز « نظارة قلم الترجمة ، بوزارة المعارف العمومية ، و « نظارة قلم الترجمة ، على ما لها من المكانة العلية أقل مما يستحقه رفاة بك من رفيع المناصب ، وكذلك يلاحظ أنه لم ينل رتبة الباشوية مع أن أقرانه ومن هم دونه مرتبة ومنزلة نالوها ، ولا يمكن تعليل كل ذلك من ناحية الكفاءة والجدارة ، فإن كفاءة رفاة بك كانت منقطعة النظر ، وجدارته معترف بها من الجميع ، فبقاؤه في « نظارة قلم الترجمة ، ، وعدم بلوغه مرتبة الوزارة وهي النهاية التي يتطلع إليها من ينتظمون في سلك المناصب الحكومية ، لا بد أن يكون ذلك راجعا إلى ما اتصف به رفاة بك من الشمم والإباء ، فإن هذه الصفات على كونها من أسمى الفضائل ليست محببة إلى الرؤساء وولاة الأمر ولا ترغبهم كثير آ في أصحابها ولا تميل بهم إلى إسناد المناصب الرفيعة إليهم

واشهر رفاة بك أيضاً بالكرم والجود ، والزهد في الفخفخة والخيل ، وفي ذلك يقول تلميذه صالح بك مجدى : « وكان فيه زيادة كرم وسماحة ، ومزيد بلاغة وفصاحة ، كثير التواضع جم الأدب ، محبا للخير ، وكان كلما ارتقى إلى أسمى المناصب ، وجلس على أسمى المراتب ازداد تواضعا للرفيع والوضيع ، وتضاعف سعيه في قضاء حوائج الجميع ، ولم يغتر بزينة الدنيا وزخرفها ، وكان قليل النوم كثير الانهماك في التأليف والترجم حتى انه ما كان يعتنى بملابسه ،

### وطنيته

لقد أشربت نفس رفاة بك الوطنية منذ نعومة أظفاره ، تلقاها من إيمانه الصادق ( وحب الوطن من الإيمان ) ومن فطرته السليمة وحبه للخير ، وقد استثار رحيله عن الديار تلك العاطفة الشريفة ، فحركت الغربة في نفسه الحنين إلى الوطن

وجادت قريحته بأشعار تدل على وطنية عميقة ، ولا غرو فالعواطف الانسانية تنشأ في قرارة النفس ، ثم تبدو وتظهر كلما استثارها الحوادث والمناسبات وكان لإقامة رفاقة بك في باريس أثر كبير في تكوين وطنيته ، فقد رأى في تلك الديار مظاهر إخلاص الفرنسيين لوطنهم ، وشهد ثورة الشعب سنة ١٨٣٠ ، ورأى مفاداة الناس للوطن وبذلهم أرواحهم ودماءهم في سبيله ، فأثرت هذه المشاهد الرائعة في نفسه الحساسة وصادفت منها موضع الإعجاب والإقناع ، وغرست في قلبه الفضائل والمبادئ الوطنية التي كان يميل إليها بفطرته الطيبة ، وإنك لتلحح ضوء الوطنية الساطع من قصيدة له يباريس قالها في الحنين إلى مصر وأهلها والإشادة بذكرها ، قال فيها :

فأباح شيمة مغرم ولنهان	ناح الحمام على غصون البان
أضحى فقيد اليقه ومعماني	ماخلته مذ صاح إلا أنه
كيف اصطباري منذ نأى خلاني	وكانه يلقى الى إشارة
ماطاب لي عيشي وصفو زماني	مع اني والله مذ فارقتهم
حتى كأن لست باللهمسان	لسكني صبب أصون تلهني
جمراتها ما طاقها الثقلان	وبياطن الأحشاء نار لو بدت
وأود ألا تشعر العينان	أبكي دماً من مهجتي لفراقهم
ومذاهب العشاق في إعلان	لي مذهب في عشقهم واريته
حتى لو ان الموت في السكتان	ماذا علي إذا كتمت صباتي

وانتقل إلى التغني بمصر وذكر محاسنها فقال :

قد زينتوا بالحسن والإحسان	هذا لعمرى ان فيها سادة
فليك ان الشاهد الحسان	يا أيها الخافي عليك فخارها
وقطوفها للفسائزين دواني	ولئن حلفت بأن مصر جنة
لأبر كل البر في أيدي	والنيل كوثرها الشهي شرابه
بعزيزها جدوى بني عثمان	دار بحق لها التفاهر سبها

وامتدح محمد علي و ابراهيم بأشعار نهج فيها منهج الاشادة بالمفاخر القومية قال :

من كل مثل أميرنا فقريته اسكندر أو كشر نو شروان  
في وجهه النصر المين على العدا لاحت بشأره لكل معاني  
في كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثاني (١)

وله قصائد و منظومات وطنية قالها في مناسبات مختلفة ، فتأمل هذه القصيدة الآتية تجدها تعبر عما يجيش في نفسه من أنبل العواطف ، وقد قدمها هو للقارىء بقوله ، وقلت أيضاً وطنية ،

مذهب

يا صاح حب الوطن حلية كل فطن

دور

محبة الأوطان من شعب الإيمان  
في أنحر الأدبان آية كل مؤمن

مذهب

يا صاح حب الوطن حلية كل فطن

دور

مساقط الرموس تلذ للنفوس  
تنهب كل بوس عنما وكل حزن

دور

ومصر أبهى مولد لنا وأزهى محتد  
ومربع ومعهد للروح أو للبدن  
شدت بها العزائم نيطت بها التمام

(١) تخلص الإبريز ص ٤٨



لَطِبْنَا	تَدْلَامُ	فِي السِّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ
مِصْرَ	هَذَا	عَلَيْهَا عَلَى الْبِلَادِ
وَنَفْرَهَا	يُنَادِي	مَا الْمَجْدُ إِلَّا دِيْدُنِي
السُّكُونُ	مِنْ مِصْرٍ	قَتَبَسُ
وَمَا نَفَارَهَا	التَّبَسُ	إِلَّا عَلَى وَغْدِي دَنِي
نَفْرٌ	قَدِيمٌ	يُوْثِرُ
زَهْرٌ	مَجْدٌ	تَنْثَرُ
دَارُ	نَعِيمٍ	زَاهِيَةٍ
أَمْرَةٍ	وَنَاهِيَةٍ	قَدَمَا لِكُلِّ الْمَدِينِ
تَحْنُو	عَلَى الْقَرِيبِ	تَحْمَلُو لَدَى الْغَرِيبِ
تَرْنُو	إِلَى الرَّقِيبِ	شِزْرًا بِسَهْمِ الْأَعْيُنِ
طَوْلُ	الْمَدَى	وَالْمَدَى
مَا أُمَّهَا	جُحُودٌ	إِلَّا أَنْتِي بِالْوَهْنِ
قَمَّةُ	مِصْرِ	الْقَاهِرَةِ
وَبِالْعِمَارِ	زَاهِرَةٍ	خَصَّصْتَ بِذِكْرِ حَسَنِ
مَنْ أَزَلَّ	رَحِيْبَةً	وَبِالْمَنَى خَصِيْبَةً
وَاللَّهْنَا	مَجِيْبَةً	وَهِيَ أَعَزُّ مَوْطِنِ
عَاوَمَهَا	حَقَائِقُ	فَهَوْمَهَا دَقَائِقُ
رَمُوزَهَا	رَقَائِقُ	تَحْمَلُو لِأَهْلِ الْفِطْنِ
أَمَا تَرَى	الْأَهْلِي	تَرَقَّى ذُرَا الْمَعَالِي
هَمْ سَادَةٌ	مَسْوَئِي	جَمَالُ وَجْهِ الزَّمَنِ
ابْنَاؤُهَا	رِجَالٌ	لَمْ يَتَّهَمُوا بِجَمَالِ
وَلَا بِهِمْ	أَجَاوِلُ	فِي لَيْسَلٍ وَقَعِ دَجْنِ
وَذَوْقُهُمْ	مَطْبُوعٌ	وَقَدْرُهُمْ مَرْفُوعٌ

وصيتهم	مسموع	بشرف	التمددن
وجدهم	صنديد	وقلبه	حديد
وخصمه	طريد	بل مدرج في	كفن
كل	قبي	يعشق وادي	النيل
كم فيه	من زيل	يقول مصر	وطني
فان زرم	اسعادا	ياسعد دع	سعادا
ولذ	بمن اعادا	لمصر فخرها	السنى
صادق	وعد محسن (١)	وذكره	يستحسن
ولا	تزال الالسن	تشدو	بذكرى المحسن
رب علا	وحسب	عن جده	وعن أب
فقل	لمصر	انتسبي	إلى جزيل المن
ادامه	رب العلا	أمير	عز وولا
بجاه	طه من علا	بالعدل	جور الفتن (٢)

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد مفاخره :

تَنْظِمُ جُنْدَنَا نَظْمًا عَجِيًّا يُعْجِزُ الْفَهْمَا  
بِأَسَدٍ تُرْعِبُ الْخِصْمَا فَمَنْ يَقْوَى بِنَاضِلِنَا

رِجَالٌ مَالَهَا عَدْدُ كَالنَّظَامِهَا الْعُدْدُ  
حَلَاهَا الدَّرْعُ وَالزُّرْدُ سَنَانُ الرَّمْحِ عَامِلِنَا

وَهَلْ لِحَيُولِنَا شُبُهَةٌ كَرَاتِمٍ مَالَهَا شُبُهَةٌ  
يَا هِيَ الْكُلُّ مِثْبَةٌ وَهَلْ تَخْفَى أَصْ أُمَّتِنَا

(١) الاشارة هنا إلى الخديو اسماعيل

(٢) مواقع الأفلاك في وقائع تملك ص. ١٢

لنا في الجيش فرسان لهم عند اللقيا شان  
وفي الهيجا عنوان تميم به صواهلنا

فها الميدان والشقرا شقت أذن العدا وقترا  
كأننا نرسل الصقرا فن يبغي يرأسلنا

مدافعنا القضا فيها وحكم الحتف في فيها  
وأهونها وجانيها بجود به معاملنا

لنا الرؤساء ابطال رجال أينما جالوا  
بصولة عيلم صالوا يفوق الحسد صائلنا

لنا في المدين تحصين وتنظيم وتحسين  
وتأييد وتمكين منيعات معاقلنا

ولعمري ان هذه الأبيات لمن خير ما قيل في وصف الجيش المصري ، ولا شك أن رفاة بك قد استلهم شعره من مفاخر الجيش في عصر محمد علي ، فهو بصور العصر الذي عاش فيه تصويرا صحيحا لا مبالغه فيه ولا إغراق ، وإن قصيدته لتشبه أن تكون صورة يخيل للقارىء أنه يلمح فيها كتاب الجيش المصري تسير إلى ميادين الحرب تحف بها أعلام النصر والظفر ، وتخوض غمار القتال بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام ، وتجاهه الأخطار قوية الايمان ، ثابتة الجنان . مجهزة بالسلاح والمدافع ، تجود بها معاملنا ، تلك التي كانت قائمة في عصر محمد علي ، ولو لم يشهد رفاة بك مفاخر الجيش المصري في ذلك العصر لما جادت قريحته بهذا الشعر ، وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذي يعيش فيه والبيئة التي تحيط به ، ويصور الحياة على عهده ، فكأنما هو قطعة من عصره ، أو مرآة تنطبع فيها

مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية ومظاهر الحالة الفكرية والحلقية  
وانك لتلح أيضا عظمة الجيش المصرى من قول رفاعه بك فى قصيدة اخرى  
مخاطب فيها الجنود :

ياها	الجنود	والقادة الاسود
إن أممكم	حسود	يعود هاى المدمع
فكم لكم	حروب	بنصركم توب
لم تشينكم	خطوب	ولا اقتحام معمع
وكم شهدتم	من وغى	وكم هزتم من بغى
فمن تعدى	وطغى	على حماكم يضرع

وتجلى لك روحه الوطنية فى تعريبه نشيد فرنسا القومى ( المارسيليز ) ، فان  
النفس لا تميل إلا إلى ما هو محبب اليها ، فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب  
رفاعة بك حتى مالت نفسه إلى تعريبه واطهار ما احتواه من العواطف الوطنية  
الفدائية فى حلة عربية قشبية ، وتبين أيضا وطنيته من أنك تراه يكثر من عبارات  
الوطن وخدمة الوطن والوطنية فى مؤلفاته وهو أول من استعمل هذه الكلمات  
فى شره ونظمه ، فتأمل فى فصول كتابه الممتع ( مناهج الألباب المصرية ) تجد أنه  
جعل عنوان مقدمته ( فى ذكر هذا الوطن وما قاله فى شأن تمدينه أرباب الفطن )  
وتجده يقول عن سبب تأليف الكتاب أنه القيام بواجبه نحو الوطن ( ص ٤ )  
ويتكلم عن الترغيب فى حب الوطن ( ص ٧ ) ويشيد بمفاخر مصر فى فصول  
متعددة ، على أنه لا يتملق الجماهير فيما يكتب بل يخلص النصيح والإرشاد لبني  
وطنه ، وبذلك برهن على وطنية صادقة خالية من شوائب التغرير والتضليل

وأفرد فى كتابه ( المرشد الأمين للبنات والبنين ) فصلا بعنوان ( فى أبناء  
الوطن وما يجب عليهم ) وتكلم عن لزوم اتحاد الكلمة بين أهل الوطن ، لأن الله  
سبحانه وتعالى إنما اعدهم للتعاون على إصلاح وطنهم ، وأن يكون بعضهم بالنسبة

إلى بعض كأعضاء العائلة الواحدة ، فكأن الوطن إنما هو منزل آبائهم وأمهاتهم  
ومحل مربيهم فليكن أيضا محلا للسعادة المشتركة بينهم ، ، وقال أيضا : « فالوطني  
المخلص في حب الوطن يفدى وطنه بجميع منافع نفسه ، ويخدمه ببذل جميع ما يملك  
ويفديه بروحه ، ويدفع عنه كل من تعرض له بضرر كما يدفع الوالد عن والده  
الشر ، فينبغي أن تكون نية أبناء الوطن دائما متوجهة في حق وطنهم إلى الفضيلة  
والشرف ، ولا يرتكبون شيئا مما يخل بحقوق أوطانهم واخوانهم فيكون ميلهم  
إلى ما فيه النفع والصلاح ، كما أن الوطن نفسه يحمي عن ابنه جميع ما يضر به ،

وضرب المثل بما بلغته الأمة الرومانية من العظمة حينما كان ابناؤها مستمسكين  
بأهداب الوطنية وقال ( ص ٩٥ ) : « فمن هذا يفهم أن أمة الرومانيين كانت  
متشبثة بحب وطنها ، تساطت على بلاد الدنيا بأسرها ، ولما انسلخت عنها صفة  
الوطنية حصل الفشل بين أعضاء هذه الأمة وفسد حالها وانحل عقد نظامها ،

### أسلوبه

من التأمل فيما نقلناه من شعر رفاة بك ونثره نستطيع أن نتبين مبلغ تقدم  
اللغة والأسلوب في إنشائه تقديما نسيا عن العصر الذي سبقه ، وخاصة إذا قارناه  
بأسلوب رجال المدرسة القديمة كالجبerty والمهدى والخشاب وغيرهم ، وهذا التقدم  
هو نتيجة النهضة الأدبية والعلمية التي ظهرت في عصر محمد علي باشا وأعقبته حركة  
الركود التي أصيبت بها العلوم والآداب في عصر المماليك<sup>(١)</sup>

فأسلوب رفاة بك قد تحلل من قيود الركافة القديمة ، وامتاز بصحة العبارة  
والتأثر من الثقافة الأوروبية ، وهو وإن كان قد تقيد في بعض المواطن بقيود  
السجع المتكلف والبديعيات اللفظية إلا أنه خطأ باللغة والإنشاء خطوة في طريق

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٤٤

التقدم ، وفي بعض شعره ونثره تلمح روح البلاغة ونسيم الترسيل والسهل الممتنع  
رفاعة بك هو أول من نهض بالشعر والأدب في العصر الحديث ، ويعدُّ  
شعره دور الانتقال إلى دولة الأدب الجديد التي حمل لواها البارودي واسماعيل  
صبرى وشوقي وحافظ ومطران وغيرهم من أعلام الأدب ، نعم إننا إذا وضعنا  
شعره إلى جانب « شوقيات » ، أمير الشعراء « ووطنياته » ، لجاء في المرتبة الثالثة أو  
الرابعة من جهة الروح والأسلوب والبلاغة وابتكار المعاني ، ولكن يجب ألا ننسى  
أن رفاعة بك نشأ في عصر كانت اللغة العربية وآدابها في دور تأخرها واضمحلالها ،  
فله على النهضة الأدبية والعلمية فضل لا ينكر ، وأغلب الظن أنه لو تفرغ للأدب  
والشعر دون التعريب والتأليف العلمي لبلغ في دولة الأدب شأواً أعظم  
مما أدركه

### تلاميذ رفاعة بك

إن الكلام عن رفاعة بك يستتبع الكلام عن تلاميذه الذين تخرجوا على يده  
في مدرسة الألسن ، لأنهم ثمرة هذه المدرسة وأثرها الخالد ، على أن من الواجب  
أن ننوه بأنه من يوم أن تولى منصب الترجمة في مدرسة الطب ، ثم في مدرسة  
المدفعية بطره ، صار له تلاميذ ومريدون ، وعن تلقوا عنه في مدرسة الطب :  
الدكتور محمد علي البقلي باشا ، فقد نقل عنه صالح مجدى بك (١) أنه أخذ هو  
وزملاؤه عن رفاعة بك بعض العلوم الأولية بمدرسة الطب بأن زعبل سنة ١٢٤٧ هـ  
وأنه شهد له شهادة أوجبت اختياره ضمن أعضاء البعثة الطبية الأولى التي أرسلت  
إلى فرنسا ، ومعلوم أن البقلي باشا هو من أعلام الطب في عهد محمد علي وعهد  
اسماعيل ، ولم يفتأ بعد عودته وإستاد كبرى المناصب اليه يذكر لرفاعة بك  
فضله عليه

(١) في رسالة حلية الزمن ص ١١

ثم جاء عهد مدرسه الآسن ، فكثرت عدد تلاميذه وتخرج على يديه نخبة عن العلماء والأدباء ممن اضطلعوا بمهمة التعريب والترجمة والانشاء سواء في الأدب والتأليف أو في دواوين الحكومة

وقد ذكر السيد صالح مجدى بك أسماء النوابغ والناهبين منهم ورتبهم إلى ثلاث طبقات بحسب دخولهم المدرسة

فذكر من الطبقة الأولى عبد الله أبو السعود أفندى ، وهو العالم الناثر محرر جريدة وادى النيل أول صحيفة سياسية حرة ظهرت في مصر على عهد اسماعيل ، وأكبر رجال قلم الترجمة ثم ناظره ، ومدرس التاريخ العام بدار العلوم ، وصاحب المباحث الشتيقة في مجلة روضه المدارس

وخليفة أفندى محمود مترجم كتاب (إنحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا) وكتاب (إنحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلسكان) في ثلاثة مجلدات ، ومحمد أفندى مصطفى البياع الموظف بالتحريرات الافرنجية ، ومحمد أفندى عبد الرازق مترجم كتاب (غاية الأرب في خلاصة تاريخ العرب) للسيو سدليو ، وعبد الجليل بك من كبار موظفي المعية السنية ، وشحاته عيسى بك من نوابغ البعثات العلمية وناظر مدرسة أركان حرب في عهد اسماعيل ، وابراهيم بك مرزوق الشاعر الأديب ، وحنفي أفندى هند من نوابغ من تخصصوا في الفنون الحربية بفرنسا ، وحسن بك فهمى المصرى وكيل سلك الحديد بالوجه القبلى ثم القاضى بالمحكمة المختلطة

وأحمد بك عبید وكيل المحكمة التجارية بالقاهرة ثم قاض بمحكمة الاسكندرية المختلطة وله تراجم في القوانين العسكرية وترجم تاريخ بطرس الأكبر

ورمضان أفندى عبد القادر مترجم بديوان البحرية وله تراجم عسكرية عديدة ، ومحمد أفندى الحلوانى ، وعبد الرحمن أفندى أحمد وله تراجم طبية وتاريخية لم تطبع ، وحسن أفندى الجبيلي مترجم بديوان الأوقاف وله تراجم في التاريخ

وسعد أفندي مجدى ، ومحمد أفندي السمسار مترجم ضبطية مصر وله تراجم غير مطبوعة ، ومحمد أفندي على القوصى مأمور التذاكر الافرجية باسكندرية ، وحسين أفندي على الديك مدرس الحساب بمدرسة المحاسبة وله كتاب قيم فى مسك الدفاتر ، والسيد عثمان أفندي الدوينى قاضى محكمة الواسطة الشرعية ، وحسن أفندي الشاذلى من خريجي البعثات ، واحمد أفندي عياد المترجم باسكندرية ، وعطية أفندي رضوان ، ومصطفى أفندي رضوان كاتب المجلس الصحى ومدرس اللغة الفرنسية بمدرسة الطب ، ومحمد أفندي زهران مدرس بمدرسة الطب

ومن الطبقة الثانية وهى التى دخلت المدرسة سنة ١٢٥٢ هـ عبد الله بك السيد من نوابغ البعثات وقد ترجمناه فيما يلى ، ومصطفى بك السراج وقد شرع فى عمل قاموس فرنسى عربى لم يتمه ، وصالح مجدى بك صاحب رسالة ( حلية الزمن ) فى ترجمة رفاة بك وهؤلف كثير من الكتب ، ومحمد رشدى بك . ومحمد أفندي الطيب مدرس اللغة الفرنسية بمدرسة المحاسبة والمساحة ، ومحمد أفندي البحيرى مدرس اللغة الفرنسية بالمدرسة التجهيزية ، ومحمد أفندي سليمان مدرس اللغة الانجليزية بالمدارس الحربية وأول من برع فى الترجمة من الانجليزية ، وخورشيد أفندي فهمى من خريجي البعثات ، وعلى أفندي سلامة مدرس اللغة الفرنسية والجغرافية ، وحسين خاكي أفندي ، وعبد السلام سلى أفندي ، وعلى أفندي شكرى ، وقاسم أفندي محمد ، ومحمد أفندي لافظ ، ومصطفى أفندي صفوت ، ومصطفى أفندي الكريدى ، ومحمد أفندي زيور ، واحمد أفندي صنى الدين ، وعثمان فوزى باشا ، والسيد عماره أفندي ، ومنصور عزمى أفندي ، وبجر أفندي أحمد ، وحسن أفندي قاسم ، وقاسم أفندي أسعد ، واسماعيل سرى أفندي ، وحسن عيسوى أفندي ، والدكتور مصطفى أبوزيد ومراد مختار أفندي ، وحسن أفندي وفائق الخطاط الشهير ومن الطبقة الثالثة : محمد قدرى باشا العالم المشرع الكبير صاحب الكتب الثلاثة الخالدة فى جمع وترتيب أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات المدنية والأحوال الشخصية والوقف على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة وصوغها فى قالب



القوانين الحديثة ، وهي كتاب ( مرشيد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان ) في المعاملات الشرعية ، وكتاب ( الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ) وكتاب ( قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف ) وهذه الكتب الثلاثة هي مرجع رجال القضاء والقانون إلى اليوم وإلى ماشاء الله في المحاكم الأهلية والشرعية والمختلطة ، وقدرى باشا هو أيضا مؤلف كتاب ( تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقا لمذهب أبي حنيفة ) ووزير الحقانية ثم المعارف في عهد توفيق باشا

ومحمد عثمان جلال بك الشاعر الناثر والأديب الكبير صاحب كتاب العبرن اليواقظ ، عربته عن لافوتين ورواية الشيخ متلوف ، ورواية بول وفرجيني ، ومحمد شيمي بك مأمور التسهيل بالاسكندرية ثم قاض فستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة (١)

وعبد السميع أفندي عبد الرحيم ، وأحمد خير الله بك المترجم بمحافظة الاسكندرية ثم قاض بالمحكمة المختلطة ، وأحمد محمود أفندي ، وبجر عبد الله أفندي وعبد الله محفوظ أفندي ، وحسن يوسف أفندي ، وعمر صبرى أفندي ، وعلى رشاد أفندي ، وأحمد حلى أفندي ، وعبد الله يوسف أفندي ، ومتولى محمود أفندي مترجم ديوان الاسكندرية

هذا وقد ذكر العلامة محمد قدرى باشا أحد خريجي مدرسة الألسن أن تلاميذ هذه المدرسة قد عربوا نحو ألفي كتاب أو رسالة في مختلف العلوم والفنون وأن جميع الذين نبغوا في الترجمة والتعريب على عهد محمد على وإسماعيل هم تلاميذ رفاعة بك أو تلاميذ تلاميذ ، وظاهر مما كتبه قدرى باشا (٢) عن هذه المدرسة أن مستوى الترجمة قد هبط في مصر بعد إقفالها ، ولم يخلفها معهد آخر لتخريج

(١) كما جاء في الكتاب الذهبي للمحاكم المختلطة

(٢) في كتابه ( معلومات جغرافية ) المطبوع سنة ١٨٦٩

العلماء الأكفاء في التعريب ، ولذلك استعانت الحكومة كما يقول قدرى باشا بالأجانب ، واقترح لهذه المناسبة انشاء مدرسة خاصة لتعليم اللغات الأوروبية والشرقية ، والذي نرفه أن هذا الاقتراح لم يلق تنفيذا وتقديرا فالمعروف أن مدرسة الآلسن بعد أن أقفلت في عهد عباس باشا أعيدت في عهد اسماعيل سنة ١٨٦٨ باسم مدرسة الإدارة التي كانت تسمى مدرسة الإدارة والآلسن ، ثم عرفت بمدرسة الإدارة فقط ، ثم تطورت منذ سنة ١٨٨٦ الى مدرسة الحقوق ، فمدرسة الحقوق هي خليفة مدرسة الآلسن ، ولكن في الترجمة وما يقتضيه من تخريج المترجمين العلماء الأكفاء لم يكن موضع العناية لا في مدرسة الادارة ولا في مدرسة الحقوق

### مؤلفاته

نشأ رفاعة بك في بحر النهضة العلمية والأدبية الحديثة ، وكان هو أول من حمل لواءها . استوى في العلوم الأزهرية ونال حظا كبيرا من العلوم المصرية الأوروبية ، فكان منهاجه العلمي أن ينقل الى بني وطنه علوم الافرنج في التاريخ والجغرافية والرياضيات والقانون ، وكان طليعة حركة التعريب في النهضة الحديثة

وقد اقترن إنتاجه بنزعة وطنية قوية تلقاها كما أسلفنا من فطرته الطيبة وكرم أخلاقه وما أنارته مشاهد الثورة الفرنسية سنة ١٨٢٠ في نفسه من عواطف وطنية صادقة ، فأنجه إنتاجه إلى تهذيب النفوس وارشادها الى مافيه رفعة الوطن وبجده

وكانت له نفس شاعرة جادت بشعر تترقق فيه معاني الوطنية ، وله قلم جمع بين الادب العربي والثقافة الأوروبية ، ولم يقف إنتاجه عند حدود التعريب بل السّف وابتكر صحائف وكتبا متمعة في التاريخ والأدب والتربية والأخلاق

ويضاف الى هذه الخصائص والمزايا ايمان ثابت وعقيدة دينية صادقة ، وعزيمة ماضية ، وصبر طويل ، وجلد على العمل انفرديه عن النظر وكان له أكبر الأثر في خصب إنتاجه العلمي والأدبي ، فمن هذه العناصر تتكون شخصية رفاة بك من ناحية التأليف والتعريب ، وسنذكر هنا على ضوء هذه الملاحظات مؤلفاته ومعارفاته ، وسنجهتد في ترتيبها بحسب ظهورها

(١) فأول تأليفه رحلته الى فرنسا المعروفة (بتخليص الابرز في تلخيص باريز) تتضمن مشاهداته في رحلته وما انطبع منها في ذهنه أثناء أقامته بباريس ، وفيها وصف أحوال فرنسا ونظام الحكم فيها وأخلاق أهلها وعاداتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم وعقائدهم وصناعاتهم وأحوالهم المعاشية والسياسية والاجتماعية ، وفي هذه الرحلة يتبين اتجاه المترجم الى الأبحاث التاريخية والجغرافية ، فإنه يجعلها الغاية الأولى من مشاهداته ، فما من بلد ضربه أو أتام فيه إلا ويذكر لمعة من ماضيه وحاضره ، ويتبين منها أيضا وفرة مادته من الأدب واللغة ، وميله الى التعمق في البحث والاستقصاء ، ودقة ملاحظاته ونفاذ بصيرته ، وتمسكه بأهداب الدين مع سعة الفسار والرغبة في الأخذ بأسباب تقدم الأمم الأوروبية ، ويدلك على شغفه بالعلم إسهابه في وصف عـلـوـلـوـ فرنسا وعلماؤها ومكاتبها وجمعياتها العلمية ومدارسها ومعاهدها وثروتها العلمية من الكتب والمجلات والصحف

وهذه الرحلة كما قدمنا هي أول رحلة مصرية بأوروبا في تاريخ مصر الحديث ، وقد طبعت ببولاق ، وسر لها محمد علي سرورا كبيرا وأمر قراءتها في قصوره وتوزيعها على الدواوين والوجوه والأعيان وقراءتها في المدارس المصرية

(٢) وعرب وهو في باريس كتاب (قلائد المفخر في غريب عوائد الأوائل والأراخر) طبع ببولاق سنة ١٨٣٢ بعد عودة المترجم من فرنسا - (٣) وأخذ وهو في فرنسا يعرب كتاب المسيو ملتبرون Maltbrun في الجغرافية ، فعرب الجزء الأول منه بعنوان (الجغرافية العمومية) ثم عرب في مصر جزء آخر - (٤) وله في الجغرافية العمومية كتاب آخر اسمه الكنز المختار في كشف الأراضي والبحار

(٥) وكتاب (التعريفات الشافية لمريد الجغرافية) وهو كتاب ضخيم عربي عن عدة كتب فرنسية واطاف اليه ايضاحات واسعة ، ويتناول جغرافية مصر وسائر بلدان العالم، وقد عرضه على محمد علي باشا فأمر بطبعه ونشره لتعميم نفعه وطبع ببولاق سنة ١٨٣٨

(٦) وله في الرياضيات والطبيعات كتاب (مبادئ الهندسة) عربي عن لوجندر وطبع سنة ١٨٤٣ وكتاب (تعريف المعلم فرادر) في المعادن النافعة لتدبير المعاش طبع سنة ١٠٧٣ - (٧) وعرب وهو بالخرطوم كتاب (مواقع الافلاك في وقائع تليانك) لمؤلفه لافونتين وقد تكلمنا عنه

(٨) وله في النحو كتاب (جمال الأجرومية) طبع سنة ١٨٦٣ (٩) والتحففة المكتبية في تقريب اللغة العربية ، جمع فيها قواعد النحو ، طبعت سنة ١٨٦٨ (١٠) وظهر له سنة ١٨٦٦ (تعريب القانون المدنى الفرنسى) المعروف بالكود (قانون نابليون) وهو عمل ضخم يدل على علو كعب رفاة بك في العلم والفقہ والقانون والتعريب وقد أسلفنا الكلام عنه (١١) وعرب (قانون التجارة الفرنسى) وظهر سنة ١٨٦٨

(٢) وفي سنة ٨٦٩ ظهر كتابه الممتع (مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية) وهو فيما نعلم أجل مؤلفاته وأوفاهها بياناً واعماً نفعاً وأغرزها مادة ، يشتمل على وصف مصر وبيان حضارتها وأخلاقها وعلومها وصنائعها وحكومتها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ويتضمن مباحث قيمة في التاريخ والجغرافية والآداب والاخلاق والمواعظ والحكم ، وفيه نبتة متمعة عن الحقوق والواجبات الوطنية

(١٠) روضة المدارس ، وهي المجلة التي تولى الاشراف على تحريرها وله فيها مباحث قيمة في الأدب والتاريخ وقد سبق الكلام عنها

(١٤) وظهر له سنة ١٨٧٣ كتابه القيم (المرشد الأمين للذات والبنين) وهو كتاب أخلاق وتربية للمتعلين والمتعلمات وقد تكلمنا عنه واقتبسنا منه (١٥)

وظهر له سنة ١٨٦٥ الجزء الأول من كتاب ( انوار توفيق الجليل في اخبار مصر  
ونوثيق بنى اسماعيل ) طبع ببولاق في تاريخ مصر ولم يدرك منه الا الجزء الأول  
وفيه تاريخ مصر القديم وتاريخ العرب قبل الاسلام ، ويقول صالح مجدى بك  
انه أخرج الجزء الثانى ، ولسكننا لم نعثر عليه وليس في دار الكتب الا الجزء  
الأول - ( ٦ ) وله رسالة ( السكواكب النيرة ، في ليالى افراح العزيم المقيمة ) في  
تهانى الخديو اسماعيل بافراح أنجاله - ( ١٧ ) : آخر مؤلفاته كتاب ( نهاية الايجاز  
في سيرة ساكن الحجاز ) وهو تاريخ الرسول عليه الصلاة والسلام وقد نشر تباعا  
في مجلة روضة المدارس بالعدد ٤ من السنة الثالثة والاعداد التالية من السنة الثالثة  
والرابعة والخامسة

وعدا هذه المؤلفات قد نقح وهدب مؤلفات أخرى لتلاميذه ، وذكر صالح  
مجدى بك في رسالته حلية الزمن مؤلفات أخرى : فاعة بك لم تطبع ولم اعثر عليها ،  
وهي ( رسالة في الطب ) و ( مختصر معاهد التنصيص ) و ( مجموع المذاهب الأربعة )  
و ( شرح لامية العرب ) و ( ترجمة منتسكيو )

وعن ( ترجمة منتسكيو ) قرأت الاستاد الشيخ عبد الكريم سليمان رسالة  
يقول فيها انه سمع من ابن رفاعة بك ان ابا عرب هذا الكتاب ، ورأيت في  
قصيدة لرفاعة بك في ( مناهج الالباب المصرية ) ما يؤيد ذلك إذ يقول عن نفسه :

على عدد التواتر معربانى تقى بفنون سلم أو جهاد  
و ( ملطبرون ) يشهد وهو عدل . و ( منتسكو ) يقر بلا تمادى (١)

هذا ما وسعه المقام في الكلام عن مؤلفات رفاعة بك ، عليه الرحمة  
والرضوان

## على مبارك باشا

هو العالم الجنيل ، أبو التعليم في عصر اسماعيل وتوفيق ، وناظر المعارف والأشغال والأوقاف ، وصاحب الخطط التوفيقية  
كانت البعثة التي التحق بها بعثة عسكرية هندسية تخصصت في العلوم الحربية والرياضيات ، وليكن نبوغه اتجه الى التربية والتعليم والى الجغرافية والتاريخ أكثر من اتجاهه الى الحربية والرياضيات ، ولذلك جعلناه قريناً لرفاعة بك  
وقد ماد من البعثة بعد وفاة محمد على باشا ، ونظر الآن معظم سنى حياته العلمية والقومية اقترنت بعصر اسماعيل وتوفيق فقد أرجأنا ترجمته والكلام عنه الى كتاب « عصر اسماعيل »

## الهندسة والرياضيات

مصطفى بهجت باشا

المعروف أثناء دراسته بمصطفى مخرجى افندى ، هو مصطفى بهجت باشا المهندس المشهور ، تنقيا من مدرسة قصر العين ، وكانت إعدادية للمدارس الحربية والعالية (١) وأقام بها ثلاث سنوات ، ثم التحق بمدرسة المهندسخانة بالقلعة ، وسافر إلى فرنسا ضمن أعضاء البعثة الأولى ، وأقام بباريس عشر سنوات أتقن في خلالها العلوم الرياضية والفنون الهندسية ، ولما أتم دروسه عاد إلى مصر فعين ناظراً لمدرسة قصر العين المذكورة . وبقى في هذا المنصب سنتين ، ونال رتبة بكباشى ، ثم عين ناظراً لمدرسة المدفعية بطره . ثم باشمهندس الجفالك ، وعهد اليه وضع

مشروع لتسهيل الملاحة في الشلالات ، فقدم مشروعاً في هذا الصدد لم ينفذ ، ونال رتبة أميرالاي ، ثم اشترك مع المهندس الفرنسي موجيهيل بك في بناء القناطر الخيرية ، ثم عين مفتشاً لهندسة المنوفية والغربية ، وعهد اليه عباس باشا بوضع صميم لتجديد الجامع الاحمدى بطنطا فقام بمهمته خير قيام إلى أن تم بناؤه في عهد اسماعيل ، وباشراً بإنشاء السكة الحديدية من بنها إلى كفر الزيات سنة ١٨٠٧ ونال رتبة لواء ، وعين مفتش هندسة الوجه القبلي مدة ثلاث سنين ثم اعتزل العمل

وفي عهد الخديو اسماعيل عين مفتشاً لهندسة الوجه القبلي ثانياً ، ومن أعماله أنه خطط تصميم التريعة الابراهيمية من أسيوط إلى جسر كوم الصعايدة الفاصل بين مديرتي المنيا وبنى سويف (١) ، وعين ناظراً لديوان المدارس ( وزير المعارف العمومية ) من سبتمبر سنة ٨٧٠ إلى مايو سنة ١٨٧١ ، ثم كلف بالإقامة بالقناطر الخيرية وموالاته مظهر باشا بالرسوم والتفاصيل التي يطلبها منه أثناء إقامة الأخير بباريس مع موجيهيل بك والاختصاصيين من كبار المهندسين الفرنسيين لإصلاح العيون التي ظهر بها خلل بقناطر روع دياط إلى أن أدركته الوفاة ، ويعد من كبار المهندسين في تاريخ مصر الحديث

محمد بيومي افندى

كبير الاساتذة بمدرسة المهندسخانة ، ومن نوابغ علماء الرياضيات ، ولد بمصر ، وأصله من ( دهشور ) بمديرية الجيزة ، ذهب الى فرنسا ضمن البعثة الأولى سنة ١٨٢٦ ، وأقام بها تسع سنوات أتقن في خلالها دراسة الهندسة والعلوم الرياضية في مدرسة الهندسة ، ونال أجازتها ( الدبلوم ) ونبغ في الرياضيات

(١) الخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٥٦

ولما عاد من فرنسا عين مدرسا بمدرسة المهندسخانة ببولاق ، وكان أستاذا  
ومرجعا لكثير من نوابغ المهندسين المصريين ، أمثال سلامة باشا ، ومحمود باشا  
الفلبي ، وطائل افندى ، ودقنة افندى ، واسماعيل باشا محمد . وعامرك حموده ،  
 وغيرهم ، وصار كبير الاساتذة بمدرسة المهندسخانة في عهد نظارة المسيو لامبير  
 بك ، فكان المرجع إليه والمعول عليه ، كما يقول على باشا مبارك في ترجمته (٢)  
 ثم انتقل من التدريس في مدرسة المهندسخانة إلى قلم الترجمة بديوان المدارس  
 ( وزارة المعارف العمومية ) واشترك مع رفاة بك رافع في العمل

وله جملة مؤلفات في الهندسة والرياضيات ومنها كتاب ( جرة الأثقال ) وكتاب  
 ( الجبر والمقابلة ) ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٠ . و ( ثمره  
 الاكتساب في علم الحساب ) ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٦ ،  
 وكتاب ( الهندسة الوصفية ) في مجلدين ، ( جامع الثمرات في حساب المثلثات )  
 ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٧

وعين في عهد عباس باشا الأول مدرسا للحساب بالمدرسة الابتدائية بالخرطوم  
 وتوفي بها في منفاه

قال عنه على باشا مبارك : « وكان من أعظم رجال تلك الرسالة ، حسن  
 الأخلاق ، مهيبا جليلا ، ذا رأى حسن ،

محمد مظهر ( باشا )

من تلاميذ البعثة الأولى ، أقام بباريس عشر سنوات ، وتمتخص لدراسة  
 الرياضيات والهندسة ، ونبغ في العلوم الهندسية والرياضية ، وقد امتدحه المسيو  
 جومار في رسالته عن أعضاء البعثات وقال عنه : « إن نبوغ مظهر افندى في

(١) الحطط التوفيقية ج ١١ ص ٦٨



الرياضيات لما يسترعى النظر (١) ، ولما عاد الى مصر عين ناظر المدرسة المدفعية ( الطوبجية ) بطره ، ونال رتبة بكباشى ، وتولى وظائف هندسية متنوعة ، وهو الذى بنى فنار الاسكندرية الكبير القائم بطرف شبه جزيرة رأس التين ، وهو من أجل أعماله ، وكان وقتئذ مظهر افندى ، واشترك مع المسيو موجيل بك فى بناء القناطر الخيرية ، واختص بالإشراف على إنشاء قناطر فرع رشيد ، ونال رتبة أميرالاي ونال فى عهد اسماعيل باشا رتبة الباشوية ( هيرميران ) ، ولما ظهر خلل فى بعض عيون هذه القناطر أرسل الى فرنسا ليجتمع بموجيل بك الذى كان مشرفا على بنائها وبعض الاخصائين للنظر فى أمر اصلاحها

#### ابراهيم رمضان بك

من كبار المهندسين ، عاد قبل أن يتم دراسة بعض العلوم الرياضية ، وعين فى وظيفة معيد مدرس لمظهر ( باشا ) ناظر مدرسة المدفعية ، فاستطاع استكمال ما ناقصه ثم عين مدرسا بمدرسة المهندسخانة ببولاق ، وله مؤلفات عديدة فى الرياضيات منها ( القانون الرياضى فى فن تخطيط الأراضى ) طبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٤ وكتاب ( اللآلى البهية فى الهندسة الوصفية ) ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٥ ( والمنحة اللدنية فى الهندسة الوصفية ) طبع بمطبعة المهندسخانة سنة ١٨٥٢

#### احمد دقله بك

هو من بلدة ( بسيون ) غربية مركز كفر الزيات ، نشأ فى مدارس مصر

---

(١) المجلة الآسيوية Journal Asiatique عدد أغسطس سنة ١٨٢٨ ص ١٠٥

وأرسل ضمن طلبة البعثة الثانية سنة ١٨٢٨ ، وتخصص في العلوم الرياضية ، وعاد سنة ١٨٢٥ وعين معيدا للاستاذ محمد بيومي أفندي كبير الاساتذة بمدرسة المهندسخانة ببولاق ، ثم عين بعد ذلك مدرسا لعلوم الجبر ، وهندسة الري والقناطر والجسور ثم وكيلا للمدرسة مع القائمه الدروس بها ، وانتقل سنة ١٨٤٩ الى قلم الهندسة وتوفي سنة ١٨٥٦

قال عنه على باشا مبارك (١) : « وأكثر المهنة دسرين الموجودين الآن ( سنة ١٣٠٥ هـ ) تلقوا عنه ، وكان حسن الإلقاء ، يجتهد في التعليم ، ويبحث على الفهم ، وكان من أعظم المهندسين ، وله من المؤلفات كتاب ( رضاب الغايات في حساب المثلثات ) ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٣

### احمد طائل افندى

هو من بلدة بلتان قلوبية مركز طوخ ، نشأ نشأته الأولى بمدارس مصر ، والتحق بالبعثة بمدارس فرنسا الهندسية ، وعاد منها سنة ١٨٢٥ ، وعين بمدرسة المهندسخانة مساعد مدرس ومعيدا لدروس الاستاذ محمد بيومي افندى ، ثم عين بعد ذلك مدرسا للعلوم الميكانيكية والجبر ، ثم مهندسا للركاب العالي سنة ١٨٤٢ ، ثم أرسل للخراطوم مدرسا بالمدرسة الابتدائية التي أنشأها عباس باشا الأول ، فذهب اليها صحبة رفاة بك رافع والاستاذ بيومي أفندى ، وعاد من منفاه في أول حكم سعيد باشا مصابا بالحمى ، وتوفي بعد وصوله الى بولاق ببلتين ، قال عنه على باشا مبارك (٢) : « وكان قصير القامة صغير الجسم كثير الفهم لا يبالي بأكثر الأمور ، وله جرأة على الأمراء وإقدام وكان محبا للتلامذة يرغب في تعليمهم ، وأخذ عنه أكثرهم أو جميعهم ،

(١) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٦٥

(٢) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٧٨

احمد فايد ( باشا )

نشأ نشأته الأولى بمدارس مصر ، وأقام بفرنسا عشر سنوات يتلقى العلوم بمدارسها ، وعين بعد عودته مدرسا للرياضيات بمدرسة المهندسخانة ، وصار من كبار أساتذتها ثم وكيلا لها ، وتخرج على يده كثير من المهندسين المشار إليهم بالبنان ، وله مؤلفات في الهندسة والرى ، منها كتاب ( الأقوال المرضية في علم بنية الكرة الأرضية ) ترجمه عن الفرنسية وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤١ ، و( تحرك السوائل ) طبع سنة ١٨٤٧ ، و ( الدرر السنية في الحسابات الهندسية ) طبع سنة ١٨٥٢

محمود باشا الفلسكى

لم يكن محمود باشا الفلسكى من تلاميذ بعثات محمد على لأنه التحق بالبعثة في عهد عباس ، لكنه تعلم علومه الأولى في مدارس محمد على وهو من زملاء العلماء المتقدم ذكرهم ، على أن حياته العامة ترتبط بعصر اسماعيل ، لذلك ترجمنا له في كتاب « عصر اسماعيل »

أحمد بك السبكي

من أعضاء البعثة الخامسة ، وهو من ( سبك الثلاث ) منوفية ، ترجم له العلامة على باشا مبارك لمناسبة الكلام عن سبك الثلاث (١) فقال : « ومن هذه البلدة أيضا الأمير احمد بك السبكي ابن احمد ابن سليمان عجيبة من عائلة تسمى العجيبة . يقال

---

(١) الخطاط التوفيقية ج ١٢ ص ٩

إن أصلهم من بيت عجيل من مديرية الشرقية ، . وذكر عنه انه دخل صغيرا مكتب  
( مدرسة ) منوف سنة ١٢٤٩ هـ ( ١٨٣٣ م ) « ضمن أولاد المكاتب الذين جلبهم  
العزيز المرحوم محمد علي باشا من البلاد ، ، ثم نقل إلى مدرسة قصر العيني ، ثم إلى  
مدرسة أبي زعبل ، ثم إلى المهندسخانة ببولاق ، ثم سافر ضمن بعثة الأنجال إلى  
فرنسا ، فأقام بباريس سنتين ، ثم دخل مدرسة الفرسان الحربية ، وبعد تمام تعليمه  
حضر إلى مصر في عهد ابراهيم باشا فجعل ضابطا من ضباط الفرسان بالألاي الأول  
برتبة ملازم أول سنة ١٢٦٤ ، ( ١٨٤٧ م ) ، وجعل مدرسا في ذلك الألاي ،  
وبعد سبع سنوات خرج من خدمة الألاي وألحق بالمهندسين الذين عهد اليهم  
رسم خريطة قنال السويس برتبة يوزباشي في عهد سعيد باشا ، وبعد انتهاء هذه  
المهمة عهد اليه معاونة العالم الكبير محمود باشا الفلكي في رسم خريطة الوجه البحري ،  
وبعد انتهائها أُنعم عليه برتبة صاغقول اغاسي ، ونال رتبة البكباشي في أوائل عهد  
اسماعيل ، وألحق بديوان ( وزارة ) الأشغال ، ونال رتبة قائممقام ، وندب لمهام  
عديدة ، وصحب محمود باشا الفلكي الى دنقله لِرصد الكسوف الكلي للشمس سنة  
١٢٧٦ ( ١٨٥٩ ) وسافر الى سواكن بمعية اسماعيل باشا الفلكي لاكتشاف موضع  
يوافق لإنشاء سكة الحديد من سواكن الى شندي بالسودان ، فأقام في هذه المهمة  
نحو أربعة أشهر في عمل الرسوم ثم اتضح عدم إمكان إنفاذ المشروع وقتئذ لما  
كان في الطريق من الأودية والعقبات ، وعهد اليه مرة أخرى في رسم خريطة  
الوجه القبلي من أسبوط الى القاهرة ، فاستوفاه رسما وميزانية ، وأيضا في وضع  
تصميم ترعة تخرج من القناطر الخيرية الى بحيرة مريوط ، فوضع لها الرسوم  
والميزانيات ، وبالجملة كان من كبار المهندسين الذين انتفعت البلاد من خدماتهم

حسن بك نور الدين

هو من ( سنهور ) غربية ، ومن زملاء علي باشا مبارك في بعثة الأنجال ، ترجم

له في كلامه عن سنهور (١) فقال عنه ما خلاصته ان مولده سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) وتلقى التعليم الأولي في مكتب (كفر بجر) القريبة من سنهور ، وانتقل بعد سنتين الى مدرسه طنطا فأقام بها سنة ، ثم التحق بمدرسة قصر العيني بمصر ، وانتقل منها الى مدرسة أبي زعبل ، ثم الى مدرسة المهندسخانة بيولاقي ، وكان في فرقة علي باشا مبارك فأقام بالمدرسة خمس سنوات أتم فيها دراسة العلوم الرياضية النظرية والعملية وكان من ضمن السبعة الأوائل من الفرقة الأولى الذين اختارتهم الحكومة في بعثه الأبحال لإتقان العلوم الحربية ، فسافر ضمن هذه البعثة ، ودخل مدرسة المهندسخانة بياريس ، واستمر بها سنتين ، ثم انتقل الى مدرسة القناطر والجسور فأقام بها أربع سنوات ، وكان يجمع بين العلم والعمل ، فيقضي كل سنة ثمانية أشهر في تلقي العلوم وأربعة أشهر في مشاهدة الأعمال الهندسية في المدن والأقاليم والشغور كالقناطر والموانئ والسكك الحديدية والمصانع

وعاد الى مصر سنة ١٨٥٤ وتقلد المناصب الفنية ، وكان من نوابغ المهندسين وله أعمال وخدمات جليلة في السكك الحديدية والمالية ، ومنها ، أنه رسم تصميم سكة الفيوم الحديدية ، وأنشأ سكة حديد دسوق ، وخط الصالحية ، وعين باشمهندس سكة حديد القاهرة وتنقل في مناصب عدة ، قال عنه علي باشا مبارك انه « انسان حسن السير والسيرة ، دين صالح ، محب للصالح والعلماء ،

## الطب والجراحة

محمد علي البقلي باشا

ناظر مدرسة الطب ، وكبير أطباء وجراحي مستشفى قصر العيني ، وهو من

(١) الخطط التوفيقية جزء ١٢ ص ٦٠

(زاوية البقلي) مركز منوف ، ومن أنبغ نوابغ البعثات العلمية ، ترجم له العلامة على باشا مبارك فوصفه « بالعالم النحرير ، والعلم الشهير ، السيد محمد على باشا الحكيم » ، ولد في زاوية البقلي سنة ١٨١٥ ، وقد اشتهرت هذه البلدة بمن نبغ من أبنائها ، قال على باشا مبارك عنها (١) : « وهذه القرية وان كانت صغيرة لكنها اختلفت دون غيرها بمزية كثيرة من ترقى منها في الوظائف السنية والخدمات الميرية من علماء الشريعة والرياضة والحكمة والطبيعة ،

ترعرع المترجم فأدخله أهله مكتبا ببلده ، فتعلم الكتابة وشيئا من القرآن الحكيم ، وفي التاسعة من عمره أدخله احمد افندى البقلي مكتب أبي زعبل فلبث فيه ثلاث سنين وأتم قراءة القرآن ، ثم دخل مدرسة أبي زعبل التجهيزية ، فسكث بها أيضا ثلاث سنين ، وبدأت عليه مخايل الذكاء ، واشتهر بحسن السير ، فكان أول فرقته ، ثم دخل مدرسة الطب ، وكان ناظرها الدكتور كلوت بك ، فاشتهر بالنبوغ وتوقد القريحة ، وبذل جهده في المدرس والتحصيل ففاق أقرانه ، ولما أتم دراسة الطب اختاره كلوت بك ضمن البعثة التي أرسلت لفرنسا للتبحر في العلوم الطبية ، فالتحق بمدرسة الطب بباريس ، وبذل غاية جهده في تحصيل العلوم الطبية والجراحية وشهد له جميع أسانذتها بالتفوق على من معه مع كونه أصغرهم سنا ،

وكان بارأ بأهله ، ذكر عنه على باشا مبارك أن مرتبه حين ألحق بالبعثة كان مائة وخمسين قرشا ، فترك لوالدته خمسين ، وأبقى لنفسه المائة ، وأتم مع زملائه امتحانات الطب بمدرسة باريس ، ولم يبق عليه سوى تأليف الرسالة الطبية التي ينال بها دبلوم الطب ، فألف رسالة طبية في الرمد الصديدي المصري ، وحصل على الدبلوم ، وعاد الى مصر سنة ١٨٣٨ ، فعين مدرسا للجراحة والتشريح بمدرسة الطب وكبيرا لجراحي المستشفى ، ونال رتبة صاغقول اغاسي ، ثم بعد قليل أعطى رتبة بكباشي ، وفي عهد عباس باشا الأول انتقل من منصبه بالقصر العيني ، وعين طبيبا

(١) الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٨٤

في أحد أقسام القاهرة وهو قسم قيسون وذلك ، لمنافسة حصلت بينه وبين بعض أطباء المستشفى الأوروبيين ، ، ولما ناله من الشهرة صار مقصد المرضى من جميع الجهات ، وقل الوارد على مستشفى قصر العين ، وظلت شهرته في اتساع ، ومكث كذلك نحو خمس سنين ، ثم نال رتبة قائم مقام وعين كبيراً لأطباء الألايات السعيدية ثم عاد لمنصب كبير جراحى مستشفى قصر العين وعين وكيلاً للمدرسة ومدرس الجراحة بها ، ثم أنعم عليه برتبة أميرالاي ، وجعله سعيد باشا طبيبه الخاص ، مع إبقاء وظائفه وأخذه في معيته ، وأنعم عليه برتبة المتمايز واصطحبه في رحلته بأوروبا

وفي عهد الخديو اسماعيل باشا عين ناظر مدرس الطب ورئيساً لمستشفى قصر العين ورغب اليه الخديو أن يؤلف الكتب لإحياء العلوم الطبية ، ونال الرتبة الأولى ، ثم عين رئيساً لأطباء الحملة الحربية التي جردها الخديو اسماعيل على الحبشة بقيادة سردار راتب باشا ، فأدى خدمات جليلة لجنود الحملة ، واستشهد هناك سنة ١٨٧٦ ، فكانت وفاته في ساحة الواجب والجهاد

ومما يذكر له انه بذل جهداً كبيراً في مكافحة الكوليرا التي انتابت مصر سنة ١٨٦٥ ، وكافأته الحكومة على جهوده بالنيشان المجيدى من الرتبة الثالثة

وأظهر ناحية في شهرته أنه كان نابغة الجراحين ، وكان باراً بالناس ، محباً للخير يعطف على الفقراء من المرضى ، فلا يطلب منهم أجراً ، وله في الطب تأليف قيمة ، كتاب في الجراحة الصغرى سماه « روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى » ، طبع سنة ١٨٤٣ ، وكتاب « غرر النجاح في أعمال الجراح » ، في جزأين طبع سنة ١٨٤٦ ، و« نشر الكلام في جراحة الأقسام » ، لم يطبع ، وكتاب في العمليات الجراحية الكبرى في مجلدين سماه « غاية الفلاح في أعمال الجراح » ، طبع سنة ١٨٦٥ ، وأصدر سنة ١٨٦٥ مجلة « اليعسوب » ، بالاشتراك مع الدكتور ابراهيم دسوقي بك وهى أول مجلة طبية عربية ظهرت في مصر

### ابراهيم بك النبراوى

هو من (نبروه) بمديرية الغربية ، تلقى التعليم الأولى فى مكتب البلد ، ثم ترك  
المكتب وتعلق بالبيع والشراء والتجارة ، وسافر الى مصر للتجارة فحضر فيها  
فدخل الأزهر ، واشتغل بطلب العلم الى أن اختارت الحكومة من الأزهر بعض  
تلاميذه لإلحاقهم بمدرسة الطب بأبى زعبل ، فرغب المترجم الالتحاق بها فانتظم فى  
سلسكها ونال بها رتبة ملازم ، ونسب فيها ، فكان أحد أعضاء البعثة الطبية الذين  
اختارهم الدكتور كلوت بك لإتمام علومهم فى فرنسا ، فسافر ضمنها وأقام بفرنسا  
٣ سنة وأتم علومه وعاد سنة ١٨٣٣ ، وارتقى الى رتبة يوزباشى ، وعين أستاذا  
بمدرسة الطب وكانت قد انتقلت الى (قصر العيني) وبعد قليل نال رتبة صاغ قول  
اغاسى ، وذاع صيته ، واشتهرت كفاءته ، فاختره محمد على طبيبا له ، وقربه وأغدق  
عليه من المنح والإنعامات ، ونال رتبة امير الالى ، وكان مقصد الأمراء والبيوت  
الكبيرة فى العلاج ، واصطحبه محمد على فى رحلته بأوروبا سنة ١٨٤٨ ، واخاره  
عباس باشا الأول أيضا طبيبا له بعد ولايته الحكم ، واصطحبته والدة عباس باشا  
فى رحلتها الى الحجاز ، ولما رجع المترجم من الحج وجد زوجته الافرنجية التى  
تزوج بها أثناء دراسته بأوروبا قد توفيت ، فتزوج بإشراقه من جوارى والدة عباس  
باشا أنعمت بها عليه ، وما زال فى عز ونعمه الى أن توفى سنة ١٨٦٢ ، وقد وصفه  
العلامة على باشا مبارك الذى نقلنا عنه معظم هذه الترجمة بأنه كان انسانا كريم  
القيم ، رفيع الهممة ، يغلب عليه الفرح والانبساط ، فكنت تراه دائما مستصحبا  
للبغاني وآلات الطرب ، قال : وهو أنجب من اشتهر فى الجراحة ، ذو إقدام على  
مالم يقدم عليه غيره ، فمن ذلك أنه كان يشق على ادرة الرجل ويعمل فيها العمليات  
المنتجة للصحة ولم يسبقه فى ذلك غيره (١)



وله من المؤلفات ( الأربطة الجراحية ) ترجمه عن الفرنسية وطبع سنة ١٨٣٨ ،  
ونبذة في ( الفلاسفة الطبيعية ) تأليف كلوت بك ترجمها الى العربية ، ونبذة في ( أصول  
الطبيعة والنشرب العام ) لكلوت بك أيضا ترجمها الى العربية

### احمد حسن الرشيدى بك

هو من نوابغ خريجي مدرسة الطب المصرية والبعثات ، ومن أركان النهضة  
الطبية العلمية بتأليفه وتراجمه ، وأكثر علماء الطب تأليفا وترجمة وتعريباً ، نشأ  
في الأزهر ، وانتقل منه الى مدرسة الطب في ابن زعبل ، وأتم العلوم الطبية في  
فرنسا ضمن أعضاء البعثة الرابعة ، وبعد عودته عين استاذا في مدرسة الطب ، وأخذ  
في الترجمة والتأليف مهمة لا تعرف الكلل وكفاءة ومقدرة ومثانة في اللغة فاق فيها  
زملاءه وأنداده ، وقد بلغت مؤلفاته تسعة في عهد محمد على ، ثم ركزت حركة العلم  
والتأليف في عصر عباس وسعيد ، فلما صارت الأريكة الخديوية الى الخديو اسماعيل  
قربه اليه وحثه على العمل ، فألف كتاب ( عمدة المحتاج لعلمى الأدوية والعلاج )  
وتوفي سنة ١٨٦٦ ، وهالك مؤلفاته ١ - ( رسالة في تطعيم الجدري ) ترجمها عن  
كلوت بك وطبعت سنة ١٨٢٦ - ٢ - كتاب ( الدراسة الأولية في الجغرافية  
الطبيعية ) طبع سنة ١٨٣٨ ، ٣ - ( ضياء الثيرين في مداواة العينين ) معرب عن  
الفرنسية طبع سنة ١٨٤٠ ، ٤ - ( طالع السعادة والإقبال في علم الولادة وأمراض  
النساء والأطفال ) ترجمه على هيبه أفندى الحسكيم وصححه الرشيدى في جزأين  
طبع سنة ١٨٤٢ ، ٥ - نبذة في ( تطعيم الجدري ) طبع سنة ١٨٤٣ ، ٦ - ( بهجة  
الرؤساء في أمراض النساء ) طبع سنة ١٨٤٥ ، ٧ - ( نزهة الإقبال في مداواة  
الأطفال ) طبع سنة ١٨٤٥ ، ٨ - ( الزوضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية )  
في مجلدين طبع سنة ١٨٤٧ ، ٩ - ( نخبة الأمائل في علاج تشوهات المفاصل ) ،  
١٠ - ( عمدة المحتاج في علمى الأدوية والعلاج ) وهو أهم كتيبه وهو دائرة معارف  
طبية في أربعة مجلدات كبيرة ، طبع سنة ١٨٦٧ بعد وفاة المؤلف

محمد الشافعي بك

من أعضاء البعثة الرابعة ، ولما عاد من فرنسا عين أستاذا بمدرسة الطب ، ثم  
ناظرا عليها ، وهو أستاذ سالم باشا سالم الطبيب المشهور ، وله في التأليف والترجمة  
كتاب : ١ -- ( أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الأمراض ) طبع سنة  
١٨٤٣ في جزأين ، ٢ -- ( الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال ) لمؤلفه  
كلوت بك عربي المترجم وطبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٤ ، ٣ -- ( السراج الوهاج  
في التشخيص والعلاج ) طبع سنة ١٨٦٤ في أربعة مجلدات

محمد الشباسي بك

من أعضاء البعثة الرابعة ، أقام بفرنسا ١٣ سنة لإتمام العلوم الطبية ، ولما عاد  
الى مصر عين أستاذا للتشريح بمدرسة الطب  
وله في التأليف كتاب ( التنوير في قواعد التحضير ) ألفه بإرشاد الدكتور  
كلوت بك وطبع سنة ١٨٤٧ -- وعرب كتاب ( التنقيح الوحيد في التشريح الخاص  
الجديد ) طبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٥

مصطفى بك السبكي

من أعضاء البعثة الرابعة ، ومدرس الرمد بمدرسة الطب ، ومن مشاهير أطباء  
العيون - توفي سنة ١٨٤٤

عيسوي أفندي النحراوي

من أعضاء البعثة الرابعة ، أستاذ علم التشريح بمدرسة الطب ومترجم كتاب  
( التشريح العام ) المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٨٣٥

### حسين غانم الرشيدى أفندى

من أعضاء البعثة الرابعة ، كان قبل سفره الى فرنسا من مصححي الكتب الطبية بمدرسة الطب ، سافر الى فرنسا سنة ١٨٢٢ وأقام بها ١٣ سنة ، وأتقن علم الصيدلة ، وبعد عودته عين أستاذا لهذا الفن بمدرسة الطب ، ثم عين مديرا لمعمل الصيدلة في عهد محمد على ، وهو مؤلف ( الدر الثمين في فن الأقرباذين ) طبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٨ ، وقد أشاد كلوت بك بذكره هو والسيد أحمد حسن الرشيدى وعدمهما من نوابغ البعثات المصرية

### محمد عبد الفتاح

من خريجي البعثة الثالثة ، ترجم كتبا عدة في الطب والتاريخ الطبيعى ، منها كتاب ١ -- ( نزهة المحافل في معرفة المفاسل ) ، طبع سنة ١٨٤١ ، و ٢ -- ( شكاة اللانذين في علم الأقرباذين ) طبع سنة ١٨٤٤ ، و ٣ -- ( الهجة السنية في أعمار الحيوانات الأهلية ) طبع سنة ١٨٤٤ ، و ٤ -- ( المنحة لطالب قانون الصحة ) طبع سنة ١٨٤٥

### على هيبه

من خريجي البعثة الأولى ، ومن كبار الأطباء ، ترجم كتاب ( طالع السعادة في فن الولادة ) الذى صححه أحمد حسن الرشيدى -- وكتاب ( إسعاف المرضى في علم منافع الأعضاء ) ترجمه عن الفرنسية وطبع ببولاق سنة ١٨٢٦

حسين عوف باشا و ابراهيم دسوقى بك

طيبيا العيون

كلاهما من تلاميذ البعثة السادسة ، وكلاهما أتم دراسة الطب والجراحة بمدرسة

قصر العيني ، وبلغ رتبة يوزباشي ، ثم أرسل الى النمسا سنة ١٨٤٥ للتخصص في  
الرمد على الدكتور بجر الاختصاصي في الرمد بمدينة ( بيج ) ونال كلاهما شهادة  
التخصص من الأستاذ المذكور ، ولما عاد الى مصر أمر محمد علي باشا باقامتها  
بالقاهرة للانتفاع بفنها وعلاجها أمراض العيون ، واختارت الحكومة بعض  
التلاميذ للتخرج على يدهما والتخصص في الرمد لارسالهم الى البنادر المهمة للقيام  
بمهام أطباء الرمد

وانعم على كل مها رتبة صاغقول اغاسي ، وقد وصل حسين عوف الى رتبة  
الباشوية ، وكان من كبار أساتذة الطب ، وتخرج على يده كثير من الأطباء ، وكان  
ابراهيم دسوقي بك أيضاً من أساتذة المدرسة المذكورة

### مصطفى الواطي بك

من تلاميذ البعثة الخامسة ، أتم الطب في مدرسة الطب المصرية ، وأرسل الى  
باريس وأقام بها سنتين ونصفاً للتخصص في صناعة طب الأسنان ، وترأس في  
مصر قسم ترجمة الطبيات بفروعها في قلم الترجمة ثم صار وكيلاً لمدرسة الطب

### عثمان أفندي ابراهيم

من تلاميذ البعثة الخامسة ، وكان زميلاً لمصطفى الواطي ، ولما عاد الاثنان  
أصدر محمد علي باشا أمره بابقائهما بالمستشفى لتدريس هذا الفن للتلاميذ ومعالجة  
المرضى

## رجال الدولة والسياسة

الامير اسماعيل ( الخديو اسماعيل باشا )

كان من تلاميذ البعثة الخامسة ، ودرس الفنون الحربية بفرنسا ، وتولى أريكة مصر بعد وفاة سعيد باشا ، وقد خصصنا للكلام عنه كتاب « عصر اسماعيل »

محمد شريف باشا -

من تلاميذ البعثة الخامسة ، وهو الوزير الكبير شريف باشا مؤسس النظام الدستوري في مصر ، وصاحب الموقف المشرف في الدفاع عن واحدة مصر والسودان ، والمستقيل من رئاسة الوزارة اعتراضاً على سلخ السودان عن مصر ، والقائل كلمته الخالدة : « إذا تركنا السودان فالسودان لا يتركنا » ، ولما كانت حياته العامة قد اقترنت بعهد اسماعيل وتوفيق فقد ترجمنا له في كتاب « عصر اسماعيل »

## الحربية والادارة العسكرية

مصطفى مختار بك - مدير ديوان المدارس

من تلاميذ البعثة الأولى ، وكان من قبل موظفاً بديوان محمد علي ، وتخصص لدراسة الفنون الحربية ، وكان هو وعبدى شمس كرى ( باشا ) وحسن ( باشا ) الاسكندراني بمثابة الرؤساء الثلاثة للبعثة الأولى ، وقد خصهم رفاعة بك الذي زاملهم في الدراسة بالذكر فقال عنهم (١) : « قد بعث صاحب السعادة ( محمد علي باشا )

(١) في كتابه تحليل الصابون ص ٢٠

في السفر الى بلاد فرنسا ثلاثة رؤساء من أكار ديوانه السعيد ، وجعلهم أرباب نظر عام على من عداهم وهم على هذا الترتيب ، فأولهم صاحب الرأي التام والمعرفة والاحكام ، حازر فضيلتي السيف والقلم ، والعارف برسوم العرب والعجم حضرة عبدي أفندي المهردار ، والثاني صاحب الرأي السديد ، والطالع السعيد ، من خلع في حب المعالي العذار ، حضرة مصطفى مختار أفندي الديدار ، والثالث الحاوي بين العلم والعمل ، واليراع والأسل ، حضرة الحاج حسن الاسكندراني .

وقد عاد المترجم من فرنسا بعد أن أمم دراسته سنة ١٨٢٢ ونال رتبة بكباشي ولقب بك ، واشترك في الحرب السورية الأولى وكان فيها من خاصة أركان حرب ابراهيم باشا وياوراه (١) ، ثم عين بعد ذلك رئيس مجلس شوري المدارس ، ثم مدير ديوان المدارس ، فهو أول وزير المعارف في تاريخ مصر الحديث ، وعين رئيسا للمجلس العالي في عهد محمد علي باشا خلفا لعبدي شكري باشا ، وكانت الأعمال الهندسية محالة الى عهدته ، فكان وزيرا للمعارف والاشغال وتوفي سنة ١٨٣٨

### أمين بك السكرجي

من تلاميذ البعثة العلمية الأولى ، أتقن في فرنسا فن صب المدافع وصنع الاسلحة ، وعين بعد عودته بالطوبخانة المصرية ، معمل الاسلحة والمدافع ، برتبة يوزباشي ، وأخذ يتدرج الى ان صار ناظر السكرجالات ( معامل البارود ) في عهد محمد علي ، ونال رتبة أميرالاي ، وقد ذكره كلوت بك في كتابه ، وعده في مقدمة نوابغ البعثات المصرية ، يسميه ( أمين بك مدير فابريكة ملح البارود )

(١) رسائل البارون ( بوالسكونت ) ص ٢٤٤

### أحمد بك

من تلاميذ البعثة الأولى ، تخصص في فرنسا لدراسة الفنون الحربية ، وقضى في دراسته ست سنوات ، واشترك في الحرب السورية الأولى ، وكان من أركان حرب إبراهيم باشا ، وقد عهد إليه بعد صلح كوتاهيه بتحسين مضائق جبل طوروس التي انتهت إليها حدود مصر الشمالية ، فاضطلع بهذه المهمة وقام بها خير قيام ، واشترك معه فيها الكولونل سليم بك ، ولازم إبراهيم باشا في واقعة نصيبين

### علي باشا إبراهيم

ناظر المعارف العمومية في عهد توفيق باشا ، تعلم بمدارس مصر ، وسافر الى فرنسا سنة ١٢٦٠ هـ ضمن البعثة الخامسة ، وأقام بباريس سنتين ، ثم نقل الى مدرسة الطوبجية بمدينة ( متس ) Metz وأقام بها سنتين ودرس بها فن الاستحكامات والفنون الحربية الأخرى ، وألحق بالألايات الفرنسية ، وفي سنة ١٢٦٦ أمر عباس باشا الأول بعودة جميع طلبة البعثة ، فعاد المترجم الى مصر ، ونال رتبة يوزباشي ، وعين مدرسا لإلهامي باشا ابن عباس باشا (١) ، ثم ألحق بأركان حرب سليمان باشا الفرنساوي ( الكولونل سيف ) وصار ناظر للمدرسة التجهيزية سنة ١٨٦٤ ثم ناظر آلدروس المدارس الحربية ، ثم مستشارا بمحكمة الاستئناف المختلطة ، ثم ناظر آلمعارف العمومية

### حماد عبد العاطي ( باشا )

أصله من ( ديز الجنادلة ) مركز أبو تيج ، يسميه علي باشا مبارك ، والأمير

الجليل حماد بك ابن عبيد العاطي ، كان له جد شهير يسمى عيسى له زاوية هناك  
تسمى زاوية عيسى ، (١)

نشأ نشأته العلمية الأولى في مدرسة أبو تبيج سنة ١٢٤٩ هـ ، ثم انتقل منها الى  
مدرسة قصر العيني ، ثم مدرسة أبي زعبل ، ثم الى مدرسة المهندسخانة بيولاقي ، ثم  
انتخب ضمن تلاميذ البعثة الخامسة لتعلم الفنون الحربية بفرنسا ، فدخل مدرسة  
المدفعية بمدينة (متس) ودرس بها فن الاستحكامات والفنون الحربية الأخرى ،  
وخدم في الآليات الطوبجية الفرنسية نحو سنة ، ثم عاد الى مصر ، وتدرج في  
وظائف عدة ، منها التدريس بالمدارس الحربية ، ونظارة قلم الهندسة بديوان  
الأشغال ، ونال رتبة البسكاباشي ثم الميرالاي ، وصار مستشارا بمحكمة الاستئناف  
المختلطة (٢) سنة ١٨٧٩

## الملاحة والعلوم البحرية وبناء السفن

الأميرال عثمان نور الدين باشا

هو من أول من أرسلهم محمد علي الى أوروبا لتلقي العلوم ، وقد ترجمنا له في  
الفصل الحادي عشر (ص ٤٥١)

الأميرال حسن باشا الاسكندراني

من تلاميذ البعثة الأولى ، تخصص لدراسة فنون الملاحة والهندسة البحرية في  
فرنسا ، وكان يبلغ من العمر حين سفره بهذه البعثة ٢٧ سنة ، وعاد من فرنسا

(١) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٧١

(٢) كما ذكر في الكتاب الذهبي للمحاكم المختلطة



سنة ١٨٣١ ، فالتحق بالأسطول المصرى ، وبرهن على كفاءته ومهارته ، وارتقى فى المناصب الى أن صار رئيس ترسانة الاسكندرية وناظراً للبحرية ونال رتبة الباشوية

وقد تولى قيادة الأسطول المصرى الذى حارب الروسيا فى حرب القرم سنة ١٨٥٣ فى عهد عباس باشا الاول وسعيد باشا ، وكان هذا الاسطول مؤلفاً من ١٢ سفينة حربية ، وأظهر شجاعة ودراية ، وغرق فى تلك الحرب سنة ١٨٥٥ مع السفينة ( مفتاح جهاد ) التى كانت تقله وغرق معه معظم جنود وضباط السفينة ، وكانت هذه آخر الحملات التى قامت بها السفن الحربية من الأسطول الضخم الذى أنشأه محمد على الكبير

#### محمد شنان بك

من تلاميذ البعثة الأولى ، تخصص للدراسة العلوم والفنون البحرية ، وبعده عودته خدم الأسطول ، وتولى قيادة السفينة الحربية ( البهيرة ) من سفن الأسطول المصرى الذى كان يقوده الأميرال حسن باشا الاسكندراني فى حرب القرم كما تقدم ذكره ، وغرق مع السفينة المذكورة

#### محمود نامى بك

من تلاميذ البعثة الأولى وزميل حسن ( باشا ) الاسكندراني وشنان ( بك ) فى البعثة المذكورة ، وبعده عودته عينه محمد على محافظاً لبيروت اثناء الفتح المصرى ، فبقى بهذا المنصب سبع سنوات من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٠ وسار سيرة عدل وإصلاح مما حببه الى نفوس الأهلين ، وهو جسد الداماد احمد نامى بك رئيس حكومة سورية سابقاً

محمد بك راغب

من تلاميذ البعثة الثالثة ، تخصص في إنجلترا لتعلم فن بناء السفن ، وعين مع حسن بك السمران لرئاسة قسم الهندسة وانشاء السفن في ترسانة الاسكندرية وتوليا العمل الذي كان يقوم به المسيو سرزى بك في الترسانة

عبد الحميد الديار بكرلى ويوسف اكاه افندى وعبد الكريم افندى

تعلموا الفنون البحرية في إنجلترا وصاروا من أهم ضباط الاسطول المصرى

## الحقوق والعلوم السياسية

عبدى شكرى باشا

من تلاميذ البعثة الأولى وهو ابن حبيب افندى كمتخدا محمد على ، وقد التحق بالبعثة وعمره ٢٩ سنة ، وتخصص لدراسة الحقوق والادارة المملكية ، وعاد من فرنسا سنة ١٨٣٠ ثم عين مأمورا للبعثة بفرنسا وترقى في المناصب الى ان صار رئيسا للمجلس العالى في عهد محمد على ونال رتبة الباشوية ، وعين مديرا لديوان المدارس أى وزيرا للبعارف العمومية في عهد عباس باشا الاول ، وقد ذكره الدكتور كلوت بك ضمن نوابغ خريجي البعثات

ارتين بك

من تلاميذ البعثة الأولى ، عاد من فرنسا بعد أن اتم دراسة الحقوق والادارة المملكية ، وعين وكيلا لمدرسة المهندسخانة ببولاق ، ثم سكرتيرا أول وترجمانا

لمحمد علي باشا ، وهو الذي تولى إبلاغ وكلاء الدول بمصر (ابريل سنة ١٨٣٩) بلاغ محمد علي قبل الحرب السورية الثانية انه كتب الى ابراهيم باشا ألا يخوض غمار الحرب إلا إذا تحقق من زحف الجيش العثماني ، وقد صار وزيرا للتجارة والخارجية خلفا لبوغوص بك ، ويعده الدكتور كلوت بك من نوابغ البعثات المصرية وهو والد يعقوب ارتين باشا وكيل نظارة المعارف العمومية سابقا

### اسطفان بك

من تلاميذ البعثة الأولى ، وقد عين مديرا للدرسة المصرية التي أنشئت للبعثة العلمية الخامسة بباريس ، ويعده الدكتور كلوت بك من نوابغ البعثات ، وكان من كبار موظفي الحكومة في عهد عباس باشا الأول ووزيرا للخارجية في عهد سعيد باشا

### عبد الله بك السيد

من تلاميذ البعثة الخامسة ، وهو من العجميين بالفيوم ، تعلم في مدرسة الآسن وأتقن علومها والتحق بالبعثة الخامسة ، وتخصص في فرنسا لدراسة الحقوق ، وبعد عودته تقلد المناصب في الحكومة وأخرها انه عين رئيسا للمحكمة التجارية بالاسكندرية ، ثم مستشارا بمحكمة الاستئناف المختلطة سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٨٧٦<sup>(١)</sup>

(١) كما جاء في الكتاب الذهبي للمحاكم المختلطة

## الطبيعات والزراعة

احمد يوسف افندى

من تلاميذ البعثة الأولى ، تخصص في دراسة العلوم الكيماوية ، وعين بعد عودته ششنجيا بدار الضرب سنة ١٨٣٢ ، وقد صحب محمد على باشا في رحلته بالسودان للكشف عن مناجم الذهب ، وذكره في هذا الصدد رفاة بك رافع ويسميه احمد افندى يوسف الجشنجي<sup>(١)</sup> ورحل أيضا إلى بلاد المكسيك بأمرىكا لزيارة مناجم الذهب بها ، ثم عين مديرا لدار الضرب وكانت من المناصب الكبيرة في ذلك العهد

حسني افندى على البقلي

من تلاميذ البعثة الثانية وهو أخو محمد على باشا البقلي ، تعلم بمدرسة قصر العيني ثم التحق بالبعثة الثانية ، وبعد عودته عين جشنجيا بدار الضرب بالقلعة ومدرس الكيماياء والطبيعه بقصر العيني وتوفي سنة ١٨٥٣ ، قال عنه على باشا مبارك<sup>(٢)</sup> انه « كان من أحسن الناس خلقا وخلقاً وله وقوف تام على صنعته ،

احمد بك ندا

من تلاميذ البعثة الخامسة ؛ تخصص في العلوم الكيماوية وأتقن صناعة الصابون

---

(١) مناهج الالباب المصرية ص ٢٥٦ طبعة ثانية

(٢) الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٨٧٩

وشمع العسل ، وعين بعد عودته أستاذا في مدارس الطب والمهندسخانة وأركان الحرب ، وله مؤلفات جلية ، منها ( الأقوال المرضية في علم الطبقات الأرضية ) طبع بيولاق سنة ١٧٨١ ، و ( حسن البراعة في علم الزراعة ) ترجمه من الفرنسية عن فيجري بك طبع بيولاق سنة ١٨٦٦ ، و ( حسن الصناعة في علم الزراعة ) وهو من تأليفه طبع بيولاق سنة ١٨٧٤ ، و ( الآيات البيئات في علم النباتات ) طبع بيولاق سنة ١٨٦٦ ؛ و ( الحجج البيئات في علم الحيوانات ) ترجمه من الفرنسية طبع بيولاق سنة ١٨٦٧ ، وله مباحث جلية في علم النبات نشرت بمجلة روضة المدارس

### عبد الهادي اسماعيل

من تلاميذ البعثة الخامسة ، أتم دراسته بمدرسة الطب البيطري بمصر ثم بفرنسا وعين بعد عودته مدرسا بمدرسة الطب البيطري ، وآخر المناصب التي تولاها أن عين ناظراً لمدرسة الطب البيطري في عهد الخديو اسماعيل

### يوسف افندى

من تلاميذ البعثة الأولى ، تخصص لعلوم الزراعة وعين بعد عودته مديراً للحدائق وناظراً لمدرسة الزراعة بنبروه

### الفنون الجميلة

#### حسن افندى الورداني

من تلاميذ البعثة الأولى ، أتم في فرنسا دراسة الرسم والزخرفة والفنون الجميلة ، وعين بعد عودته مدرسا لفن الرسم والنقش بمدرسة المهندسخانة بيولاق بدل

الأستاذ الفرنسي الذي كان بها ، ونبغ في فنه وتخرج على يده كثير من التلاميذ .  
وقد أشاد الدكتور كلوت بك بذكوره في كتابه وعدّه من نوابغ البعثات المصرية

#### محمد افندى مراد

من تلاميذ البعثة الثالثة ، عين بعد عودته أستاذاً في الرسم والنقش والزخرفة ،  
وكان نابغاً في فنه ، وقد امتدحه الدكتور كلوت بك في كتابه وعدّه من  
نوابغ البعثات

#### محمد افندى اسماعيل

من تلاميذ البعثة الثالثة أيضاً ، قضى في أوروبا ٢١ سنة ، وعين بعد عودته أستاذاً  
بمدرسة المدفعية ( الطوبجية ) في طره وكان ماهراً في الرسم والنقش والزخرفة ،  
وقد أثنى عليه الدكتور كلوت بك في كتابه

#### حسين باشا كوجك

هو حسين باشا فهمى المعمار ، كان من تلاميذ البعثة الخامسة . ونبغ في فنون  
الهندسة والرسم والزخرفة ، وتولى وظيفة وكيل ديوان الاوقاف ، وهو واضع  
رسم ومقاسات مسجد الرفاعى بالقاهرة ؛ بناء على تكليفه من قبل والده الحديدى  
اسماعيل باشا (١) وقد تم بناء المسجد بعد وفاته

#### محمد صادق باشا

أتم في فرنسا دراسة الرسم والزخارف وعين به بعد عودته مدرسا للرسم

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ١١٤

بالمدراس ثم بالمدرسة الحربية بالقلعة في عهد سعيد باشا

## الطباعة والصحافة والنشر

إن الكلام عن الطباعة يتصل بالنهضة العلمية ، فهي من أهم أسباب هذه النهضة إذ هي الوسيلة العملية لنشر العلوم والمعارف ، ولم يفت محمد علي باشا توجيه عنايته إليها ، فقد تقدم القول بأنه أرسل إلى روما وميلانو نقولا مسابكي أفندي سنة ١٨١٦ للتخصص في فن الطباعة (١) ، وقد اعتزم من ذلك الحين إنشاء مطبعة بولاق تلك المؤسسة الجليلة التي مازالت قائمة إلى اليوم تشهد بما أداه محمد علي للنهضة العلمية من جليل الخدمات

أسست المطبعة في نوفمبر سنة ١٨٢٠ ، وجعل نقولا مسابكي أفندي مديرها وأمدتها محمد علي باشا بكل ما يلزمها من الحروف والمكابس والآلات حتى استوفت حظا كبيرا من الاتقان ، وأعدتها لطبع لوائح الحكومة ومشوراتها ولطبع الكتب العلمية في الطب والرياضيات والآداب والتاريخ والعلوم الفقهية وغيرها وبما يدل على شديد عنايته بها أنه اختار للقيام بتصحيح مطبوعاتها طائفة من علماء الأزهر ، والتصحيح فن دقيق ينبغي عليه إخراج الكتب والمؤلفات صحيحة خالية من الأغلط المطبعية التي تشوهها ، ولعلك تلاحظ في الكتب التي كانت تطبع في ذلك العصر خلوها من الأغلط ، وهذا راجع إلى حسن اختيار المصححين في مطبعة بولاق

ففي هذه المطبعة ظهرت باكورة الكتب المترجمة والمؤلفة في بدء النهضة العلمية

---

(١) راجع ما كتبناه عن الطباعة في عهد الحملة الفرنسية بالجزء الأول من تاريخ

الحدیثة ، فلا غرو ان كانت من دعائم هذه النهضة ، وقد عنى خريجو المدارس والبعثات بنقل العلوم التي نقلوها الى اللغة العربية ثم بالتأليف فيها ، ومن هنا نشأت نهضة الترجمة والتأليف التي ازدان بها عصر محمد علي ، وأخذت العلوم والمعارف تنتشر تدريجيا بين طبقات الشعب ، وكان لحسن تنشيط الحكومة لهذه النهضة أثر فعال في إظهارها ، فان محمد علي كان يستحث العلماء والمؤلفين على الترجمة والتأليف ويكافئهم مكافآت سخية ، ويستثير في نفوسهم روح الهمة والعمل ويأمر بطبع مؤلفاتهم على نفقة الحكومة وتوزيعها في المدارس والدواوين

ومما يروى عنه في هذا الصدد انه لما عاد أعضاء البعثة الأولى الى مصر استقبلهم بدوانه بالقلعة وسلم كلا منهم كتابا بالفرنسية في المادة التي درسها بأوروبا وطلب اليهم أن يترجموا تلك الكتب الى العربية ، وأمر بإبقائهم في القلعة والا يؤذن لهم بمغادرتها حتى يتموا ترجمة ما عهد به اليهم ، فترجموها فعلا وأمر بطبعها في مطبعة بولاق وتوزيعها على المدارس التي وضعت لها تلك الكتب ، ونظر الآن المترجمين في بدء النهضة كانوا في حاجة الى من يراجع كتبهم قبل طبعها لضبط عباراتها ، فقد اختار محمد علي طائفة من « المحررين » من علماء الأزهر مهمتهم مراجعة عبارات الكتب قبل طبعها وضبط ألفاظها ومصطلحاتها ، وقد قام بهذا العمل وقتا ما أساتذة مدرسة الألسن وتلاميذها ، ومن المحررين الذين مهروا في عملهم الشيخ محمد عمر التونسي صاحب « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » ، وهو معجم للمصطلحات الطبية ، والشيخ محمد عمر الهراوي ، والشيخ مصطفى حسن كساب وغيرهم

وقد ذكرنا في تراجم أعضاء البعثات نموذجا من الكتب العربية والمؤلفة التي طبع معظمها في مطبعة بولاق

وعدا هذه المطبعة كان يوجد مطابع أخرى صغيرة ، منها مطبعة بمدرسة المدعية بطره ، وأخرى في أبي زعبل ، وثالثة في مدرسة الفرسان بالجيزة ، وكانت هذه المطابع تخرج لوائح ومطبوعات هذه المدارس وبعض مؤلفات تلاميذها



وفي مطبعة بولاق كانت تطبع (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية للحكومة، أسست سنة ١٨٢٨ وصدر أول عدد منها في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢ (٢ ديسمبر سنة ١٨٢٨) وكانت تصدر بالعربية والتركية ثم اقتضت على اللغة العربية، وتنشر أخبار الحكومة ودواوينها ومصالحها وبعض الأنباء الخارجية، وهي أول جريدة عربية أسست في مصر، ولم يسبقها إلى الظهور جريدة أخرى في تاريخ مصر الحديث، إذ أن الجرائد التي ظهرت على عهد الحملة الفرنسية كانت تنشر باللغة الفرنسية، أما «سلسلة التاريخ» التي كان يجريها السيد اسماعيل الخشاب فلم تكن جريدة وإن كان بعض المؤلفين يسميها خطأ جريدة الحوادث اليومية، بل كانت سجلاً لمحاضر جلسات الديوان والحوادث الهامة، وكذلك صحيفة «التنبيه» التي اعتزم الجنرال منو إصدارها بالعربية لم تصدر فعلاً كما بيناه في الجزء الثاني من «تاريخ الحركة القومية»<sup>(١)</sup>،

وقد ظلت (الوقائع المصرية) الجريدة الرسمية للحكومة المصرية حتى اليوم، فهي أقدم الصحف العربية وأطولها عمراً

---

(١) راجع الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ص ١٤٥ والجزء الثاني ص

## الفصل الثالث عشر

### أعمال العمران

#### والحالة الاقتصادية

من القواعد الأساسية في نهضة الأمم أن إنماء ثروة البلاد والمحافظة على كيانها المالى من أكبر دعائم الاستقلال ، لأن العمران مادة التقدم ، والثروة الأهلية هي قوام الاستقلال المالى ، ولا يتحقق الاستقلال السياسى مالم يدعمه الاستقلال المالى والاقتصادى ، تلك الحقائق التى أجمعت الآراء على صحتها ووجوب العمل بها ، كان محمد على أول من قدرها قدرها ، فقد اتجهت أنظاره منذ أوائل حكمه إلى إصلاح حالة البلاد الاقتصادية وإنشاء أعمال العمران فيها لتنمو ثروتها القومية ، ولم تفتقر عن يمينه عن متابعة جهوده من هذه الناحية حتى خلف أعمالا ومنشآت يزدان بها تاريخه

### مشآت الري والزراعة

#### سد ترعة الفرعونية

فن أرل أعماله سد ترعة الفرعونية ، وقد ذكره الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢١ ( ١٨٠٦ م ) وذى الحجة سنة ١٢٢٣ ( يناير سنة ١٨٠٩ ) وذكر إتمامه في شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٤ ( ابريل سنة ١٨٠٩ ) ، وذكر المسيو اينان ( باشا ) دى بلقون (١)

(١) في كتابه ( مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة التى تمت في مصر ) ص ٢٤٣

كبير مهندسى الرى فى عصر محمد على عن هذه الترعَة انها كانت تصل بين فرعى النيل بادنة من بير شمس ومارة بمنوف ثم تصب فى فرع رشيد ، وكان الغرض منها تغذية هذا الفرع من مياه فرع دمياط وأن هذه الترعَة قد أضرت بالبلاد والاراضى القائمة على فرع دمياط والتي تروى منه وخاصة من المنصورة وما يابها شمالا ، لأن الترعَة كانت تستنفد الكميات الكبيرة من هذا الفرع فيقل ماؤه ، ويطغى عليه البحر فيختلط بماء النيل ويفسده بملوحته الى قبلى فارسكور ، فتحرم زراعة الارز فى تلك الجهات من ماء الرى العذب ، وقد شكوا أهلها على تولى السنين ما تجلبه عليهم هذه الترعَة من المضار ، فسدها محمد على بجسر من الأحجار ليمنع انسياب مياه فرع دمياط الى الفرع الآخر ، وأنشأ ترعا أخرى تعوض جهات البحيرة ما كان يجيبهم من ترعَة الفرعونية قبل سدها

#### فتح ترعَة المحمودية

ومن أعماله الجليلة شق ترعَة المحمودية ( ترعَة الاسكندرية القديمة أو خليج الاشرافية ) (١) وكانت الاتربة والرمال قد طمرتها ، فشرع فى حفرها وجعل فتحتها من ( العطف ) بعد ان كانت الترعَة القديمة تأخذ مياهها من الرحمانية ، ولم يجعل فتحتها عند الرحمانية لما كان بها من تراكم الردم والرمال

وقد عني بفتح هذه الترعَة عناية كبيرة ، فكان يتعهد الأعمال فيها بنفسه ، وبذل همه عالية فى سبيل إتمامها ، وكان غرضه من شقها إحياء الاراضى الزراعية فى مديرية البحيرة ، وجعل الترعَة طريق المواصلات النيلية بين الاسكندرية وداخل البلاد ، وكانت المواصلات من قبل بطريق رشيد ، ولكن صعوبة اجتياز البوغاز كانت تعطل المواصلات من هذا الطريق ، وكان ذلك من أهم البواعث التي حفزت

(١) كانت النزع تسمى فى ذلك العصر خلجانا فيقال خليج الاشرافية عن ترعَة الاشرافية

محمد علي باشا الى انشاء الترعة ، وقد عهد بتصميم حفرها الى مهندس فرنسي ، وهو  
المسيو كوست Coste ، ولما تم حفرها افتتحها في ٢٤ يناير سنة ١٨٢٠ وذهب خصيصاً  
الى الاسكندرية لحضور الافتتاح مصحوباً بابنه ابراهيم باشا وصهره الدفتدار ،  
وطبوز اوغلي

وقد اقتضى حفر هذه الترعة بذل مجهودات هائلة ومتاعب جسيمة وضحايا  
كثيرة احتملها المصريون ، واحسبوا فيها وصابروا وصبروا ، ويكفيك لتعرف  
مبلغ الضحايا التي بذلت في هذا السبيل ما كتبه في هذا الصدد المسيو (مانجان) الذي  
كان شاهد عيان لحوادث مصر في ذلك العصر ، فقد ذكر أنه مات من الفلاحين  
الذين اشتغلوا في حفر ترعة المحمودية اثنا عشر ألفاً في مدة عشرة أشهر ، وأن  
هؤلاء الموتى دفنوا على ضفتي الترعة تحت أكداس التراب الذي كانوا يرفعونه من  
قاعها ، وقال إن معظمهم مات من قلة الزاد والمقوينة أو من الإعانات في العمل ،  
وكذلك من سوء المعاملة التي كانوا يلقونها من الجنود القساة المنوط بهم حراستهم ،  
فقد كانوا يجبرونهم على العمل المهلك بدون انقطاع ولا هوادة من الفجر إلى الليل ،  
وقال إن عدد من اشتغلوا في حفرها بلغ ٣١٣٠٠٠ من الفلاحين جميعهم  
من مديريات البحيرة ، والغربية ، والشرقية ، والدقهلية ، والمنوفية ، والقليوبية ،  
والجيزة

وقد أتت هذه الترعة بثمرات عظيمة ، فمن جهة المواصلات صارت تجرى  
فيها السفن بين الاسكندرية والداخل تحمل حاصلات البلاد أو وارداتها ، وكانت  
سبباً في عمران البلاد التي مرت بها في اقليم البحيرة وإحياء أراضيها ، وأفاد عمران  
الاسكندرية منها فائدة كبرى ، إذ جعلتها الترعة ملتقى المتاجر للذهاب الى داخل  
البلاد أو الآتية منها ، فاتسعت حركة التجارة والعمران فيها ، فضلاً عن أن مياه  
الترعة قد ساعدت على الإكثار من الزرع وغرس الأشجار والحدائق في ضواحي  
المدينة ، فاتسع نطاق العمران ، وابتدى الاغنياء القصور وأنشأوا البساتين على  
ضفاف الترعة في جهات كانت من قبل مقفرة جرداء

وقد زار المارشال (مازرن) هذه الجهات سنة ١٨٢٤ فاستوقفه ماشاهده من الحدائق الغنماء المنشأة بعد فتح ترعة المحمودية ، وكان يعرف حالة الاسكندرية وضواحيها مذ كان قومنداناً للثغر في عهد الحملة الفرنسية ، فاستطاع أن يدرك الفارق العظيم بين حالتها القديمة وما أوجدهه الترعة من العمران والتقدم وأفرد الجبرتي نبذا عديدة لفتح ترعة المحمودية ، وهذا يدل على أنها كانت عملا جليلا من أهم أعمال الممران في ذلك العصر ، فدكر بدء حفرها في حوادث جمادى الثانية سنة ١٢٢٢ ( أبريل سنة ١٨١٧ ) ، ثم المّع الى استمرار العمل فيها في حوادث شعبان سنة ١٢٢٢ ( يونيه سنة ١٨١٨ ) ، ثم انقطعت أخباره عنها ، والظاهر أن انهماك محمد علي في الحرب الوهابية إذ كانت في دورها الأخير أدى إلى انقطاع العمل في حفر الترعة وقتما ، وعاد الجبرتي إلى ذكر اهتمام الباشا بأمر الترعة وحفرها في حوادث ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٢٣٤ ( يناير وفبراير سنة ١٨١٩ ) ، وتكلم في حوادث شوال سنة ١٢٣٤ ( أغسطس سنة ١٨١٩ ) عن ضحايا الترعة ، ولعمري إن وصفه ليعطينا فكرة جلية عن مبلغ ما قساه الفلاحون من الأهوال في حفرها ، وكثرة من مات منهم من الشدائد التي عانوها فاذا قرأت ما ذكره الجبرتي فارجع بفكرك إلى الماضي ، واذكر أن الأراضي الواسعة والبلاد العامرة التي تمر فيها الآن ترعة المحمودية من منبعها إلى مصبها كانت صحراء قاحلة لا ينبت فيها زرع ، ثم تحولت بعد حفرها إلى مزارع تزدهر بالحياة والعمران ، وإذا ذهبت يوما إلى دمنهور وأخذت الطريق الزراعي المعبد الذي يصل بك إلى الاسكندرية ، رأيت ترعة المحمودية تنساب بمنظرها البديع ومائها الرقاق بين بلدان عامرة ، وحدائق غناء ، ومزارع نضرة ، وأشجار باسقة ، وطيور تحلق زرافات في السماء أو تغرد فوق الأغصان المتهدلة على جانبي الطريق ، ووجدت على امتداد البصر مناظر تملأ النفس بهجة وسرورا ، وكلما سرت في الطريق رأيت مكنتا بالمركبات والدواب تنقل الناس من مختلف البلاد ، وتحمل حاصلاتهم ومتاجرهم ، وترى الترعة ذاتها لا ينقطع فيها عبور المراكب والصنادل والبواخر حاملة المتاجر ذاهبة وآتية بين الاسكندرية

ودمهور ، فحينما ذهبت تجرد معالم العمران المترامى مداه ، وتلمح دلائل الحياة والنشاط والتقدم مرتسمة على كل ما يقع عليه نظرك من مشاهد الطبيعة والخلائق ، فاذا سرتحت الطرف في تلك المناظر البهجة فاذا ذكر أن الفضل في ذلك العمران يرجع لمن حفروا بأيديهم ترعة المحمودية ، وبذلوا مهجهم وأرواحهم حتى جرى ماء النيل في تلك النواحي حاملا الى الخلائق والناس والأراضى عناصر الخصب والحياة ، وإذا تأملت في كل ذلك فاذا ذكر تضحيات الآباء والأجداد ، ومبالغ ما بذلوه في سبيل رفاهية الأجيال والأعقاب ، وتمهل في سيرك قليلا ، واستمطر الرحمة على من استشهدوا في سبيل ذلك العمران ، وتمثل بقول المعري :

خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد  
وقبيح بنا وإن قدم العميد هوان الآباء والأجداد

قال الجبرتي في وصفه : « وكان الباشا سافر الى الاسكندرية بسبب ترعة الأشرقية ، وأمر حكام الجهات بالارياض بجمع الفلاحين للعمل ، فأخذوا في جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب ، وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم ، وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ، ومات الكثير منهم من البرد والتعب ، وكل من سقط أهالوا عليه تراب الحفر ولو فيه الروح ، ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن ، وكيلة قح ، وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون ، السكيل الوافر ، فاهم إلا والطلب للعود الى الشغل في التربة ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الأرض ، وهى في غاية الملوحة ، والمرة الأولى كانت في شدة البرد ، وهذه المرة في شدة الحر وقله المياه العذبة ، فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر رى الاسكندرية ، وذكر انتهاء حفر التربة في حوادث ربيع الأول سنة ١٢٢٥ ( ديسمبر سنة ١٨١٩ ) ، وختم كلامه بقوله : « ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعد ما هلك معظمهم ، وذكر سفر محمد على باشا الى الاسكندرية للاحتفال بفتح التربة في حوادث

ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ (يناير سنة ١٨٢٠)

### الترع الأخرى

وشق محمد علي ترعا أخرى في مختلف المديریات ، وكان يعنى بتطهيرها  
وصيانتها ، وهالك بيان أهم الترع أنشئت في عهده :  
( في البحيرة ) المحمودية ، والخطاطة  
( في الغربية ) امتداد ترعة الجعفرية ، وترعة مسجد الخضر ( الخضراوية ) ،  
وبجبرم  
( في الدقهلية ) البوهية ، والمنصورية ، والشرقاوية ، وأم سلمة ، ودويده  
( في المنوفية ) النعناعية ، والسرساوية والباجورية  
( في الشرقية ) ترعة الوادى ، والمسلمية ، وبحر مشمول ، والصادى ، وبحر الرمل  
وترعة بردين ، ومصرف بلبيس  
( في القليوبية ) الزعفرانية ، والباسوسية ، والشرقاوية ، والقرطامية والبولاقية  
القبلية وترعة قنبة ، ومصرف العموم  
( في بنى سويف ) ترعة البرانقة  
( في المنيا ) ترعة الفشن  
( في جرجا ) ترعة السبخة ، والمرعشلى  
( في قنا واسنا ) ترعة الشنهورية ، وتوسيع ترعة بلاجيا ، والرمدى ، والعقبلى  
والشال ، والنابه

### الجسور

ومن أعماله إنشاء الجسور على شاطئ النيل من جبل السلسلة الى البحر الأبيض  
المتوسط لمنع طغيان المياه على الضفتين ، وقد اشتركت البلاد والقرى فى إقامة هذه

الجسور بنسبة ما يخص زمامها ، وأنشأ جسورا أخرى فرعية ، منها جسر الرقة في  
بني سويف ، وجسر الطهنشاوى والقيسى ، والبرانقة في المنيا ، وجسر دنيا ، وجسر  
فاو ، وبني كلب ، والمحرق ، وكودية بأسيوط ، وجسر مشطا ، والشباسات ،  
والوادية ، والمنشأة في جرجا ، وجسر فرشوط ، وجسر أبو دياب في قنا

### القناطر

وأنشأ قناطر عديدة على الترعة لضبط مياهها تيسيرا للانتفاع بالرى منها ، وأهمها  
القنطرة الكبرى ذات العيون التسع على بحر موسى بالزقازيق ، وقناطر المسلمية ،  
وبحر مشتول ، والصفراء ، والعلاقة ، وفاقوس بالشرقية

وقناطر البريجات والمحمودية ( في البحيرة ) - وقناطر البوهية ، والمنصورية  
( في الدقهلية ) - وقناطر السنطة ، والراهبين ، ودميرة ، وتيرة ، وبيلة ، ونشرت  
( في الغربية ) - وقناطر النعناعية ، والقريئين والسرساوية ، والباجورية ، وميت  
عفيف ( في المنوفية ) - وقناطر الشرقاوية ، والزعفرانية ، وأبي المنجى ( في  
القليوبية ) ، وخزان طامية وسنورس ( في الفيوم ) . وقناطر جسر شوشة في  
بني سويف . وقنطرة الرقة في الجزيرة

وقناطر منبال ، والجرنوس ، وسنشتاد ، والطحاوية . والطهنشاوى ( في المنيا )  
وقناطر العتامنة بمنفلوط ، وقطع أبو عفريته بملوى ، وعلى بك بالقرب من  
أبنوب ، وبسره ، وأسيوط وبني سميع ، وقلاى في مديرية ( أسيوط ) . وقنطرة  
السوهاجية ، وقنطرة الشباسات ، وسمهود ، والمصالحة في مديرية ( جرجا ) وقنطرة  
المراشدة بفرشوط في مديرية ( قنا )

### إصلاح جسر أبو قير

ومن أجل أعماله إصلاح سد أبو قير القديم الذى كان متهدما ، وسدفتحة بحيرة



أبوقير بجسر من الأحجار يقيها تسرب مياه البحر إليها وبقى ترعة المحمودية طغيان المياه الملتحجة عليها ، ومن ذلك الحين أخذت بحيرة أبوقير تجف تدريجياً حتى صارت الآن أراضى زراعية

قال المسيو لينان دى بلفون (١) ان اقامة جسر أبوقير وسد فتحة البحيرة كان عملاً شاقاً اقتضى عدة سنين اعمق المياه فى داخل خليج أبوقير ، إذ كان عمقها خمسة أمتار فى ناحية الجسر ، وطول هذا الجسر ١٢٤٣ متراً ، وقد ذكر الجبرتى نبأ هذا الاصلاح فى حوادث سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) ، وعدّه من محاسن الأفعال ،

### سد أشتوم الديبة فى بحيرة المنزلة

وكذلك سد فتحة الديبة من فتحات بحيرة المنزلة بالأحجار ، والغرض منه تقليل تسرب مياه البحر الى البحيرة لأن هذه المياه كانت تغطي على الأراضى المجاورة لها فتتلفها ، ويقول لينان باشا (٢) ان الفتحة القريبة من دمياط وفتحة الطينة قد انسدتا من ذاتهما ، فلا يدخل منهما الا القليل من مياه البحر ، وكذلك فتحة أم مفرج ولم يبق من فتحات البحيرة سوى اشتوم الجميل

### القناطر الخيرية

كانت أراضى الوجه البحرى الى أوائل القرن الماضى تروى بطريق الحياض كرى الوجه القبلى ، فلا يزرع فيها الا الشتوى ، ولا يزرع الصيفى الا على شواطئ النيل أو الترع القليلة المشتقة منه ، وقد أخذ محمد على فى تغيير هذا النظام تدريجاً ، إذ أخذ فى شق الترع وتطهيرها واقامة الجسور على شاطئ النيل ليضمن توفير

(١) مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة التى تمت فى مصر ص ٣٤٢

(٢) ص ٣٤٥

مياه الري في معظم السنة ، وصارت الترع زوى الأراضى في غير أوقات الفيضان  
جهد المستطاع ، ولا سيما بعد إقامة القناطر عليها

وقد توجَّح محمد على أعمال الري التى أقامها بإنشاء القناطر الخيرية ، واسمها  
يغنى عن التعريف ، فإنها قوام نظام الري الصيفى فى الوجه البحرى ، وهى وان  
كانت آخر أعماله فى الري الا أنها أعظمها نفعا وأجلها شأنا وأبقاها على الدهر أثرأ  
وقد فكر فيها بعد ما شاهد بنفسه فوائد القناطر التى انشأها على الترع المتقدم  
ذكرها ، ورأى أن كميات عظيمة من مياه الفيضان تضيع هــدرا فى البحر ، ثم  
تفتقر الأراضى الى مياه الري فى خلال السنة فلا تجد كفايتها منها ، فاعتزم ضبط  
مياه النيل للانتفاع بها زمن التجارىق وإحياء الزراعة الصيفية فى الدلتا ، وذلك  
بإنشاء قناطر كبرى فى نقطة انفرج فرعى النيل المعروفة ببطن البقرة

عهد محمد على بدراسة هذا المشروع الى جماعة من كبار المهندسين ، منهم المسيو  
لينان دى بلفون ( لينان باشا ) كبير مهندسيه ، فوضع له تصميما وشرع فى العمل  
وفقا لهذا التصميم سنة ١٨٣٤<sup>(١)</sup> ، ثم ترك لوقت آخر ، وعندما اعتزم محمد على  
استئناف العمل استرشد بمهندس فرنسى آخر وهو المسيو موجيل بك Mougel اذ  
أعجبته منه مقدرته الهندسية فى انشاء حوض السفن بميناء الاسكندرية ، فعهد اليه  
وضع تصميم إقامة القناطر الخيرية ، فقدم مشروعا يختلف عن تصميم المسيو لينان  
فالمسيو لينان كان يرى انشاء القناطر على الأرض اليابسة بعيدأ عن المجرى  
الأصلى للفرعين ، واختار لذلك قطعتين بين ملتويين من ملتويات فرعى النيل  
حتى إذا تم انشاؤها حول الفرعين اليها بحفر مجرىين جديدين ، ولسكن مشروع  
موجيل بك يقتضى إقامة القناطر مباشرة فى حوض النهر  
ويتألف المشروع من قنطرتين كبيرتين على فرعى النيل يوصل بينهما برصيف

(١) مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة فى مصر ص ٣٨١

كبير ، وشق ترع ثلاث كبرى تتفرع عن النيل فيما وراء القناطر لتغذية الدلتا ،  
وهي الرياحات الثلاثة المعروفة برياح المنوفية ورياح البحيرة ورياح الشرقية الذي  
عرف بالتوفيق لأنه أنشئ في عهد الخديو توفيق باشا

وقد شرع في العمل على قاعدة تصميم موجيل بك وبمعاونة مصطفى بهجت  
( باشا ) ومظهر ( باشا ) المهندسين الكبيرين المتخرجين من البعثات العلمية

ووضع محمد علي باشا الحجر الأساسى للقناطر الخيرية في احتفال نخم يوم الجمعة  
٢٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٣ ( سنة ١٨٤٧ ) ، وكانت مدة حكمه الى ذلك العهد ٤٢  
سنة ، ولكن العمل كان قد بدأ قبل ذلك ، واستمر العمل لإنفاذ المشروع ، ثم  
اعتراه البطء والتراخى لما أصاب هممة الحكومة من الفتور فى أخريات أيام محمد  
على ، ثم توقف العمل بعد وفاته أثناء ولاية عباس الأول بحجة أن حالة الخزائنة  
لا تسمح ببذل النفقات الطائلة التى يتكلفها إنفاذ المشروع ، وارتأى عباس توفيرا  
للنفقات أن تؤخذ الأحجار اللازمة للبناء من الهرم الكبير ، ولكن المسيو لينان  
أقنعه بخطأ هذا الرأى بذكره أن اقتلاع الأحجار من الهرم يقتضى من النفقات  
ما يزيد عن نفقات اقتلاعها من المحاجر <sup>(١)</sup> ، وقد تم بناء القناطر وأنشئ رياح  
المنوفية فى عهد سعيد باشا

ويقول المسيو شيلو Chelu <sup>(٢)</sup> : « ان مشروع القناطر الخيرية كان يعد فى  
ذلك العهد أنه أكبر أعمال الرى فى العالم قاطبة ، لأن فن بناء القناطر على الأنهار  
لم يكن بلغ من التقدم ما بلغه اليوم ، فإقامة القناطر الخيرية بوضعها وضخامتها كان  
يعد لإقداما يداخله شيء من المجازفة ،

(١) فى كتاب ( مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة فى مصر ) ص ٤٢٠ أن  
الفكرة نبئت أولا فى رأس محمد على فأقنعه لينان بالعدول عنها  
(٢) كبير مهندسى السودان المصرى فى كتابه ( النيل والسودان ومصر ) طبع سنة

وقال المسيو باروا (١) Baros : د ان هذه أول مرة أقيمت فيها قناطر كبرى من هذا النوع على نهر كبير ،

وقد ظهر خلل في بعض عيون القناطر في عهد اسماعيل سنة ١٨٦٧ فأصلح الخلل طبقا لأراء موجيل بك ( وكان قد غادر مصر الى فرنسا ) وبهجت باشا ومظهر باشا ، ثم أصلح بناء القناطر ثانية في العصر الحديث لتقويتها ، وتمت أعمال الإصلاح والتقوية سنة ١٨٩١ حتى بلغت شأوها الحالى ، ورجعت الحكومة الى رأى موجيل بك في هذا الإصلاح ، وجاء مصر وكان قد بلغ الخامسة والسبعين من سنه ، فعينه الحكومة مهندسا مستشارا للقناطر ، فتم الإصلاح وفقا لرأيه ، وبذلك تسنى لهذا المهندس الكبير أن يكون على يده إنشاء القناطر من ابتداء العمل فيها الى تمام بنائها

### توسيع نطاق الزراعة

كانت المحاصيل التى تزرع فى مصر هى القمح والشعير والأرز والفسول والعدس والحمص والذرة والتمس والزعفران والبرسيم وقصب السكر والتيل ( القنب ) والسكتان والثبلة والقرطم والدخان والحناء والبصل والسمن والسلجم والعصفر والخضر والفواكه ، وقليل من القطن الردى ، ففكر محمد على فى توسيع نطاق الزراعة بابتكار أنواع جديدة زادت فى ثروة مصر الزراعية

### غرس أشجار التوت

فمعنى بغرس أشجار التوت لتربية دود القز ( الحرير ) واختار لهذا المشروع

---

(١) السكرتير العام لوزارة الأشغال فى كتابه (الرى فى مصر) طبع سنة ١٩١١ ص ٣١٦

أراضي وادي الطميلات بالشرقية ، فخصص ثلاثة آلاف فدان ليغرس فيها أشجار التوت ، وخصص لخدمتها ألفين من الفلاحين جهزهم بستة آلاف رأس من المواشي واحتفر نحو ألف ساقية للري ، وجلب من سورية ولبنان خمسمائة مزارع وصانع من الاخصائيين للقيام على تربية دود الحرير ، ثم عمم غرس أشجار التوت في الدقهلية والمنوفية والغربية والقليوبية ودمياط ورشيد والجيزة. وبلغ عدد ما خصص لغرس أشجار التوت ثلاثة آلاف فدان في وادي الطميلات وسبعة آلاف في المديرية الأخرى ، وبلغ عدد أشجار التوت في القطر المصري ثلاثة ملايين شجرة باعتبار ٣٠٠ شجرة في كل فدان (١) وبلغ محصول الحرير سنة ١٨٣٣-١٨٣٤ (١٢٠٠٠) أقة (٢)

وذكر الجبرتي البدء في غرس أشجار التوت بوادي الطميلات في حواشي سنة ١٢٣١ ( سنة ١٨١٦ م ) وذكر في حوادث جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ ( مارس سنة ١٨١٧ ) إنقاذ المشروع وإتمام إنشاء السواقي وغرس الأشجار ، وإيفاد الفلاحين إلى الوادي لتعميره وبناء الكفور والمسكن لهم ، وجلب العمال والمزارعين الاخصائيين في تربية دود القز من الشام ولبنان ، وقال في حوادث رجب سنة ١٢٣٥ ( ابريل سنة ١٨٢٠ ) إن الباشا توجه لتاحية الوادي لينظر ما تجد به من العماير والمزارع والسواقي ، وقد صار هذا الوادي إقليما على حدته وعمرت به قرى ومساكن ومزارع ،

يتبين مما تقدم ان تجربة دود القز في البلاد التي غرست فيها أشجار التوت قد نجحت نجاحا عظيما ، ولسكنها أصيبت بعد ذلك بمرض انتاب دود الحرير في أوروبا ومصر فقل الإنتاج وأفسد تقاوي الدود وأهملت تربيته في أواخر عصر محمد علي

(١) مانجان ٣ ص ١٨٨

(٢) احصاء كادلفين في كتابه ( مصر والنوبة ) ج ٢ ص ٧٣

## غرس الأشجار

وقد غرس محمد علي في بعض أنحاء القطر العدد الوفير من الأشجار على اختلاف أنواعها لاستخدام أخشابها في بناء السفن وأعمال العمران ، وذلك بعد أن قطع كثيرا من الأشجار المغروسة لانتخاذ أخشابها في إقامة السواقي وصنع عربات المدافع والسفن الحربية

## زراعة القطن

كان القطن المألوف زرعه إلى سنة ١٨٢١ من صنف رديء لا يصلح إلا للنجيد ، وكان هناك صنف نادر يزرع في بعض الحدائق ويفوق القطن القديم في طول تيلته ونعومته ، وخصول هذا النوع ضئيل لأنه يزرع كأشجار الفاكية ، ويغزله النساء في البيوت ، ففي سنة ١٨٢١ حدث في مصر انقلاب في زراعة القطن بها ، ذلك أن المسيو جومل Jumel الذي استقدمه محمد علي من فرنسا لتنظيم مصانع النسيج شاهد في حديقة محو بك (١) هذا النوع الجديد من القطن ، فأعجبته رتبته وأشار على محمد علي باشا أن يعمم زراعته في الأراضي الزراعية بعد أن كان زرعه مقصورا على الحدائق ، وقد فطن محمد علي إلى ما ينال مصر من الأرباح الوفيرة إذا أكثر من زراعته ، فاعتزم تعميمه ، وأنشأ السواقي اللازمة لرى الأطنان التي تزرعه ، واشترى بأثمان مرتفعة ليشجع الفلاحين على زرعه ، فلم تمض عدة سنوات حتى انتشر هذا النوع من القطن وصار يعرف باسم قطن محو بك أو قطن جومل ، ثم أدخل محمد علي نوعا آخر وهو قطن (سى ايلاند) الأمريكى ، ومن ثم أخذ القطن المصرى ينافس قطن البنغال وأمريكا ، وأقبلت على طلبه مصانع النسيج

---

(١) أحد كبار الحكام في عصر محمد علي وحكمدار السودان فترة من الزمن

في فرنسا وانجلترا، وتقدمت زراعته وأخذ محصوله يزداد سنة فسنة، ولم تمض سنوات معدودة حتى صدرت مصر من هذا القطن سنة ١٨٢٧ - ٣٤٤ ألف قنطار، وأصبح القطن على توالي السنين أساس ثروة مصر الزراعية وقد احتكرت الحكومة بيع قطن القطر المصرى بأكله طبقا لنظام الاحتكار الذى سنتكلم عنه فيما يلى، فكان الفلاح الذى يزرع القطن لا يتصرف فى محصوله إلا بالبيع للحكومة والحكومة تشتري القنطار الذى زنته ١٢٠ رطلا بثمان يتراوح بين ١١٢ و ١٥٠ أو ١٧٥ قرشا، وعلى البائع أن ينقل قطنه إلى المخازن (الشون) التى انشأتها الحكومة لهذا الغرض فى عواصم المراكز والمدريات، ويخصم من الثمن قيمة ما على الفلاح من الضرائب إذا لم يكن وفاها من قبل، وقد أقبل الفلاحون على زراعة القطن بعد أن رأوا الحكومة تشتري القنطار من النوع الجيد بـ ١٧٥ قرشا؛ فان الفدان كان يغل من الربيع أكثر مما تنتجه زراعة الحبوب والغلال، وشجعت الحكومة زراعة القطن بما أنشأته من السواقي فى القرى، وبما فتحت من الزرع وأقامت من القناطر والجسور، فتوافرت مياه الري اللازمة لزراعة القطن، ويقول المسيو ماجنان ان الحكومة انقصت سعر مشتري القطن حوالى سنة ١٨٣٧ مما حدا بالفلاحين إلى التراخي فى زراعته

### زراعة الزيتون

كانت زراعة الزيتون قبل عصر محمد على نادرة فى مصر، فلم تكن تغرس أشجاره إلا فى مديرية الفيوم وفى بعض الحدائق بضواحي القاهرة، ففكر فى الاستكثار من أشجار الزيتون لاستخراج الزيت من ثمره، ولكونه غذاء صالحا للجنود، وخاصة بحارة الأسطول

فأمر بغرس كثير من أشجار الزيتون فى الوجه البحرى والوجه القبلى، وحذا ابراهيم باشا حذو أبيه، فغرس آلافا عنده من الأشجار فى أطيانه الواسعة، ويقول

المسيو مانجان ان اشجار الزيتون تثمر في مصر بعد ثلاث سنوات أى في أسرع  
نما تثمر في البلاد الأخرى ، وهذا يدل على صلاح معدن الأراضى في مصر  
ومناخها لهذا النوع من الشجر

### في زراعة النيلة

كانت زراعة النيلة معروفة في مصر وبقيت على حالتها القديمة لغاية سنة ١٨٢٦  
إلى أن جلب محمد على في تلك السنة بزور النيلة الهندية ، واستحضر بعض الهنود  
الاحصائيين في زراعتها ، فأخذت زراعتها في النمو والنقدم ، وبلغ ما تنتجه الاطيان  
المخصصة لزراعتها ، ٧٧٢٠٠ أقة في السنة ، وقد احتكرت الحكومة تجارتها وبيعها  
لطالبها ، وأنشأت الفابريقات الخاصة بها

### زراعة الخشخاش ( الأفيون )

واستحضرت الحكومة من أزمير بعض الأرمين الذين مارسوا زراعة  
الأفيون وخصصتهم لزراعته في مصر ، وقد بلغت حاصلاته سنة ١٨٣٢ - ١٤٥٠٠  
أقة ، واحتكرت الحكومة بيع المحصول ، فكانت تباع الأقة بـ ١١٠ قرشا صاغا  
ويستخرج من بزرة الأفيون زيت اللوقود ، وحاولت الحكومة زراعة البن اليمني  
في أراضى مصر ولكن المحاولة أخفقت رغم تكرارها ، ووسع محمد على نطاق  
زراعة القنب ( التيل ) فنجحت زراعته واستخدم ثمره لصنع التيل والحبال

### مناشآت الصناعة

إن الكلام عن الصناعة في عهد محمد على يقتضى التمييز بين الصناعات الكبرى  
والصناعات الصغرى ، أما الصناعات الصغرى ، فبممكن القول إجمالاً بأنها



تقهقرت في هذا العهد بسبب نظام الاحتكار الذي سنتكلم عنه في موضعه بالفصل الرابع عشر ، فان الاختكار قد شمل الصناعات التي كانت قائمة وهي الصناعات الصغرى فأضر بها وبأصحابها ضررا كبيرا ، وأما النهضة الصناعية التي حدثت في ذلك العهد فهي نهضة الصناعات الكبرى التي استحدثها محمد علي بإنشاء الفابريقات أى المصانع الكبيرة التي تدار بالآلات

وفد أسلفنا الكلام عن المصانع الحربية والبحرية التي تعد من أعظم المشآت الصناعية في ذلك العصر كما بيناه في موضعه بالفصل الحادى عشر والثانى عشر ، ونحن ذاكرون هنا معاملى الصناعات الأخرى كالغزل والنسيج وما إليها ومعامل الحديد والنحاس

## مصانع الغزل والنسيج

### مصنع الخرنفش

من أول المصانع التي أنشأها محمد علي باشا فابريقة الغزل والنسيج بالخرنفش ، أنشئت سنة ١٨١٦<sup>(١)</sup> ، واستدعى لها عمالا غنبيين من فلورانس بإيطاليا ، تخصصوا في غزل خيوط الحرير لصناعة القطيفة والساتان الخفيف ، وبعد قليل من الزمن نقلت الأنوال الخاصة بصناعة الحرير إلى فابريقة أخرى ووضعت بدلها مغازل للقطن وماكينات لصنع الأقمشة القطنية ، فركب بها مائة دولا ب ، عشرة منها للغزل السميكة وتسعون دولا ب للغزل الرفيع أى بنسبة دولا ب للخيوط السميكة إلى تسعة للخيوط الرفيعة وهي النسبة المتبعة عادة في معامل الغزل ، وتحمل الدواليب الأولى ١٠٨ مغزلا على خط واحد ، والتسعون الثانية ٢١٦ مغزلا ، وفي الفابريقة سبعون ما كينة ، وعدد يوازيها من العدد الأخرى لتجهيز القطن قبل غزله

(١) مانجان ج ٣ ص ١٩٥

وعدا دواليب الغزل ومغازله كان يوجد بالفابريقة قسم للنسيج به ثلثائة نول تنسج من خيوط القطن أقمشة مختلفة أنواعها كالبافتة والموساين والبصمة والشاش والبانست ، والأقمشة التي تنسج في هذه الفابريقة كانت ترسل لتبييضها في المبيضة التي أنشئت لهذه الغاية على شاطئ النيل بين بولاق وشبرا ، ثم تعاد إلى مخازن الخرنفش لتباع لمن يطلبها ، ويوجد بالفابريقة ورش للحدادين والسباكين والخراطين والتجارين لإصلاح الآلات التي يصيها العطب

### فابريقة مالطة ببولاق

وأنشأت الحكومة في بولاق فابريقة أخرى سميت فابريقة ( مالطة ) وسميت بهذا الاسم نسبة إلى العدد الكبير من العمال المالطين الذين كانوا يشتغلون فيها ، وعهد بإدارتها إلى الميسو جومل ، وقد أعدت لغزل القطن ثم نسجه أقمشة مختلفة الأنواع ، وكان فيها من دواليب الغزل ٢٨ دولا با و ٢٤ عدة ، وآلات تجهيز القطن ، وتدور هذه الآلات كما في فابريقة الخرنفش بواسطة أربعة عشر طنهورا تحركها عدة يجرها ثمانية من الثيران ، وكل دولا ب يشتغل عليه رجل وثلاثة أطفال يعقدون الخيوط التي تقطعها حركة العدة ، ويبلغ عدد الأنوال في فابريقة مالطة ٢٠٠ نول تنسج خيوط القطن ويصنع منها البافتة والبصمة والبانست والموسلين وفيها ورشة تحتوي عمالا من سائر الحرف معدين لإصلاح آلاتها وإصلاح آلات مصانع الوجهين البحري والقبلي ، وفيها ورشة للنجارة يشتغل فيها صناع فرنسيون وأروام يصنعون نماذج وأشياء أخرى دقيقة الصنع ، وفيها أيضا ورشتان للخراطة بكل منهما آلة ضخمة تحركها ثمانية من الثيران ، وإحدى هاتين الورشتين إذا تحركت دواليبهما تتحرك لها صواني وأقلام من الفولاذ للتضليل والتخريم والتثقيب ومحافر ومناشر لنشر الخشب والنحاس ، ومخارط عديدة ، وفي الورشة الأخرى مخرطة كبيرة ومراب رمطرة ومنفاخان كبيران

وكان بالقرب من فابريفة (مالطة) ثمانون ورشة حدادة لصنع مراسي المراكب وكل ما يلزم لبناء السفن وما يستهلك من الحديد والفحم في هذه الورش عظيم جدا، ويلحق بالفابريفة معمل لسبك الحديد، وقد لاحظ عليه المسيو مانجان (١) بعض العيوب فقال إن أفرانه ليست محكمة الوضع وتستهلك من الوقود أكثر مما يلزم، والرمل المستعمل لم يكن مدقوقا دقا جيدا، وفي غالب الأحيان كان يفسد العمل لإهمال العمال والكونهم لا يدعرون القوالب تجف الجفاف المطلوب، وفي هذا المسبك ثمانية أفران كانت تعمل باستمرار، وعمالها مصريون يعملون تحت إدارة رؤساء من السوريين

#### فابريقتا ابراهيم أغا والسبتية

وكان بالقرب من فابريفة مالطة مصنعان آخران لغزل القطن يعرف أحدهما بفابريفة ابراهيم أغا، والآخر بفابريفة السبتية، وفيهما تسعون دو لا با لغزل القطن وستون ماكينة لتجهيز القطن للغزل، ولم يكن في هاتين الفابريقتين سوى ورش الغزل وليس فيها ورش للصنائع الأخرى كما في فابريفة مالطة، وهذه الفابريفة تمدها بكل ما يلزم لإصلاح عددها وآلاتها وتستورد القطن الذي تغزله من مستودع الحكومة للأقطان كما تفعل الفبريقات الأخرى وأجور العمال فيها تساوى أجورهم في تلك الفبريقات

#### المبيضة

وقد انشئ مفيما بين بولاق وشبرا على شاطئ النيل مبان ومنازل خلوية وحظيرة واسعة أطلق على ذلك كله اسم (المبيضة) وفيها كانت تبيض الأقمشة التي تصنع في

الفابريقات بالأساليب الصناعية الحديثة ، وتطبع فيها ثياب البصمة ( الشيت ) بواسطة الألواح أو الاسطوانات ، وتطبع في الشهر نحو الثمانمائة مقطع من البصمة ، ويقول المسيو مانجان الذي نقلنا عنه هذه البيانات <sup>(١)</sup> ان البصمة التي تصنع في مصر قد امتازت بمجودتها واتقانها ودقة صنعها ومئاتها وجمال رسومها وتنوع أشكالها وثبات ألوانها على الغسيل ، فصار الجمهور يفضلها على أنواع الشيت الواردة من ألمانيا وانجلترا حتى قل الوارد منها ، وأنشئ أيضا في شبرا شهاب ( بالقليوبية ) وشبين والمحلة الكبرى والمنصورة مبيضات أخرى ، والأثواب المعدة للبيع تُلَّسَّع في هذه المبيضات ثم تطوى ، وتطبع المبيضات المناذيل التي تزين بها النساء ره وسهن ويستعمل لهذا الغرض أربعائة ثوب من المرسلين في الشهر

### مصنع نسيج البركال

وبالقرب من مبيضة بولاق انشئ ببناء جميل تم في سنة ١٨٣٣ لنسيج البركال ( نوع من الشيت الرفيع ) ركب فيه ١٥٠ نولا للنسيج ، منها تسعة فقط تشتغل ، وهي تدار بواسطة آلة بخارية ، وكل نول يزجج في الأسبوع أربعة أثواب من البركال ، وطول الثوب أربعون ذراعا في عرض ذراع ونصف ، وكان في هذا المصنع أربعة من الصناع الانجليز يتولون تعاليم العمال المصريين صناعة هذا النسيج ، والطابق العلوى لهذا المصنع خاص بالغزل

### مصنع أمشاط الغزل بحى السيدة زينب

وأنشئ في حى السيدة زينب معمل لصنع أمشاط الغزل ، يخرج في كل شهر ثلاثين مجموعة من الأمشاط التي تستعمل للغزل ، ويدرب الصبيان على هذا النوع من

العمل ، وكان المصنع يورد لفابريقات الغزل الامشاط اللازمة ويتولى أيضا إصلاح ما يعطب منها ، وفي هذا المصنع قسم للنسيج به المئائة نول وخمسةائة عامل ويخرج في الشهر ١٢٠٠ ثوب تقريبا طول الثوب ٣٢ ذراعا في عرض ذراعين ، والعامل ينسج ثمانية أذرع في اليوم من أيام الصيف وستة أيام الشتاء

### مصنع الجوخ ببولاق

وأنشأت الحكومة مصنعا للجوخ على شاطئ النيل في بولاق ، وقد لقي في مبدأ أمره عقبات عديدة فانقضت عدة سنوات وهو لا يؤتي ثمرة ، وكلف الخزانة أمر الاطائلة ، على أن إرادة محمد علي باشا لم تثبت أمام هذه الصعاب ولم يتراجع عن عزمه في إنجاح هذا المصنع لما كان ينتظره من النفع في سد حاجات الجنود من جهة الملبس ، ورأى أن أساس النجاح هو في اختيار الخانات وفي مهارة العمال الذين يعهد اليهم بالعمل ، فأمر وكلامه في مرسيليا أن ينتخبوا له رؤساء ماهرين للعمل ، تتوافر لديهم من السكفاءة أكثر ممن سبقوهم ليعهد اليهم تدريب العمال والتلاميذ على إتقان العمل ، كمال فيما يخصه ، فاختار خمسة فرنسيين من رؤساء العمل في مصنع الجوخ بلاجنودوك Languedoc قضوا أربع سنوات في تخريج التلاميذ في مصنع بولاق وتعليمهم أسرار الصناعة وادارة الآلات الحديثة ، وبذلك تكون في مصنع بولاق طائفة من الغزاليين والساجين والسكباسين والقصاصين والصباغين والعصارين

ولم يكتب محمد علي باشا بذلك بل أنفذ الى فرنسا طائفة من المصريين الأذكياء وألحقهم بالبعثة العلمية وتعلموا هذه الحرف المتنوعة في معامل ريمس Reims وإلبيف Elboeuf حيث أرسلهم إليها مدير البعثة المصرية اتباعا لأوامر محمد علي ، وكان في المعمل مائة نول لنسيج الجوخ تدور بعدتين بحرك كلا منها ثمانية ثوران وتحرك

العدتان تسع عجلات ، ويحتوى المعمل على كثير من العدد ، وآلات الكبس والعصر وغيرها من الجهازات والاسطوانات ، وفي مصبغة المصنع ست خوابى (قزانات) منها واحدة من القصدير ، والألوان التى تستعمل اصبغ الجوخ هى الأزرق الأدكن ، والأزرق السماوى ، والأحمر والبني ، والأخضر الأدكن

وكان الجوخ ينسج أيضا فى دمنهور وفى بعض المصانع الأخرى بالقاهرة ، ويستعمل فى نسجه الصوف الردىء ويعمل منه الكبايت ويرسل ما يصنع منها الى مصنع بولاق لدهنه وصبغه وكبسه ، ويبلغ ما تخرجه هذه المصانع فى الشهر نحو عشرين الف ذراع تقريبا ترسل الى الاسكندرية ، وتستهلك فى ملابس بحارة الاسطول وقد امتاز الجوخ الذى يصنع فى مصنع بولاق بالجودة وكان من خير الملابس للجنود والضباط

### مصنع الحرير

كان ينسج فى مصر من الأقمشة الحريرية قبل عصر محمد على باشا القطنى والألاجة وبض أنواع الحرير والقطن ، ولما كن حمد على أكثر من غرس أشجار التوت ليكثر من إنتاج الحرير . وأحضر من الاستانة عمالا متخصصين فى الحرير لنسجه وصنع الأقمشة الحريرية منه على اختلاف أنواعها كما ينسج فى الاستانة وفى الهند . وأنشأ لهذا الغرض مصنعا للحرير فى الخرنفش وتولى أولئك العمال الإخصائون تدريب العمال المصريين على اتقان نسج الحرير فلحق المصنع نجاحا وصار به مائتا نول لنسج الحرير الخام الوارد من الشام أو من تربية دود القز فى مصر ، ولنسج الأسلاك الذهبية المعروفة بالمقصب ، وقد بلغت زنة الحرير الذى نسج فى مصر سنة ١٨٢٣ أربعة آلاف أفة ، وعمال هذه الصناعة يشتغلون بالمقطوعة ، وكانوا فى غاية من الخدق ، ولهم ذوق فى تحليته بالألوان والرسوم الجميلة ، ولما كن منسوجاتهم فى الحرير لم تصل إلى مرتبة المنسوجات الإيطالية فى ثبات ألوانها

### مصنع الحبال

وأنشأت الحكومة في القاهرة مصنعا للحبال ، ترسل مصنوعاته الى الاسكندرية لاستخدامها في ترسانة الثغر وفي السفن الحربية والتجارية ، وتصنع الحبال في هذا المصنع من القنب

### نسيج الصوف

وصنعت في القاهرة منسوجات الصوف وكانت تعمل منها ملابس البحارة المصريين وأغطية النوم ( البطانيات ) ويستعمل لهذا الغرض الصوف السميك الوارد من الوجه القبلي وبلغت أنوال نسيج الصوف الموجود منها من قبيل وما أنشئ في ذلك العصر ٤٠٠٠ نول

### فأريقة الطرايش في فوه

كانت فأريقة الطرايش التي أنشأها محمد علي في فوه من أنفع وأهم المصانع التي أسسها سواء في نظامها أو في قلة نفقاتها أو جودة مصنوعاتها ، وأول مدير لها تاجر مغربي استدعى لها الصناع من تونس المشهورة بصناعة الطرايش ، وقد تدرب العمال المصريون على يد أولئك الصناع فصاروا معلمين بعد أن كانوا تلاميذ ، وأتقنوا طريقة تحضير الصوف ونسجه طرايش وكبسها وصبغها ، ويستورد الصوف المستعمل في هذه الصناعة من ( أليكانت ) وثمان الآفة منه ٢٥ قرشا ، ومن الصنف الجيد الرفيع ٣٠ قرشا ، ولا يغسل هذا الصوف قبل نسجه لنظافته ونصوع بياضه وكان يصنع كل طربوش من خيط واحد لا من خيوط متعددة ، وبغير ذلك لا يمكن كبسه جيدا ، وعندما توضع الطرايش في المكبس تترك به ثلاثة أيام

بليالها مع صب الماء المغلي عليها باستمرار ، ثم يصب عليها مخلوط الصابون الذي يصنع في الغابريقة نفسها ، ثم تمر في الماء البارد لتنظيفها

وكانت الطرايدش تصبغ بالقرمز والعفص والطرطير والشببة وتصنع فابريقة فوه كل يوم ستين دستة ( ٧٢٠ طربوشا ) مختلفة أنواعها وأثمانها ، وتصنع الطرايدش الرديئة من الصوف المخلوط ، ويستورد الجيش المصرى من مصنع فوه ما يطلبه من الطرايدش للجنود ، وإذا ما استكمل الجيش حاجته منها يباع ما زاد الى التجار من الأهلين

## مصانع الغزل والنسيج في الوجه البحرى

### قليوب

أُنشئت في الوجه البحرى عدة مصانع لغزل القطن ونسجه، وأول هذه المصانع مصنع قليوب ، وكان واسعاً مستوفى العدد والآلات تصنع فيه الدواليب والأمشاط ويستغل فيه عدد كبير من العمال ، وبه عدة عمال من الأفرنج يرأسون بعض الأقسام ، وبه سبعون دولاباً ، وثلاثون محلاجا ( مشطاً ) تحركها ثلاث عدد ، ويغزل القطن في هذا المصنع من نوع الغزل الذى تصنعه فابريقات القاهرة ، وبقليوب مسبك للحديد ولاسكنه كان غير منتظم وبه عيوب عديدة

### شبين السكوم

وفي شبين السكوم مصنع آخر لغزل القطن به سبعون دولاباً وثلاثون محلاجا ( مشطاً ) يحركها عدتان وترسل مصنوعاته من الغزل الى القاهرة



### المحلة الكبرى

وأنشئت في المحلة الكبرى مصنع كبير لغزل القطن به مائة وعشرون دو لا با وستون محلاجا يحركها ثلاث عدد تدور كل عدة بواسطة ثمانية من الثيران ، وبه مائتا نول تنسج عليها الأقمشة من الخيوط التي تغزل فيه ، ويحتوى هذا المصنع على مسبك وورش للحداة والبرادة والخراطة تصنع فيه دواليب الغزل وأمشاطه وغيرها من الآلات التي ترسل للمصانع الأخرى

### زفتى وميت غمر

وأنشئت في زفتى فابريقة لغزل القطن بها ٧٥ دو لا با و ٥٠ محلاجا بملحقاتها يحركها ثلاث عدد ويستورد هذا المغزل من مصنع المحلة ما يلزمه من المهمات والخامات ، وفي ميت غمر مغزل يشبه مغزل زفتى في عدد دواليبه ومحالجه

### المنصورة

وأنشئت في المنصورة فابريقة للغزل والنسيج ولها مخزن يلحق بها ، وبها أربع عدد تحرك ١٢٠ دو لا با وثمانين محلاجا ، والخيوط التي تغزلها هذه الدواليب والمحالج تنسج في الفابريقة على ١٦٠ نولا ، وفي هذه الفابريقة مسبك للحديد ومصنع للحداة والبرادة والخراطة

### دمياط

وكان في دمياط قبل عصر محمد على مغزل صغير ، فأنشئت فيها فابريقة للغزل والنسيج على مثال فابريقة المنصورة

دمهور

وأنشئ في دمنهور مصنع للغزل به ١٠٠ دولاب وثمانون محلاجا ، وفابريقة  
أخرى لغزل الصوف ونسجه تصنع فيها الكبايت وأغطية النوم ( البطانيات )  
اللازمة لجنود البر والبحر ، وترسل مصنوعاتهما الى مصنع الجوخ في القاهرة ببولاق  
حيث تضغط وتلون وتسكبس

فوه

وفي فوه مصنع لغزل القطن فيه ٧٥ دولابا للغزل وأربعون مشطا تحركها  
عدتان تدير كل واحدة منها ثمانية من الثيران

رشيد

وفي رشيد مصنع للغزل به ١٥٠ دولابا للغزل و ٨٠ محلاجا يحركها أربع عدد  
وتنسج فيه قلعو المراكب ، وبها مصانع للحدادة لعمل الحدايد اللازمة للسفن ،  
وقد أنشأ بها المستر توماس جالوبه وهو ميكانيكي انجليزي آلة بخارية لتدير طواحين  
تبيض الأرز

مصانع الغزل في الوجه القبلي

بني سويف

وانشئت عدة مصانع لغزل القطن في الوجه القبلي ، ففي بني سويف مصنع  
كبير به ١٢٠ دولابا وثمانون محلاجا تحركها ثلاث عدد

### أسيوط

وفي أسيوط مصنع للغزل به من العدد والآلات مثل ما في مصنع بني سويف ،  
والقطن المغزول في هذين المصنعين يرسل الى القاهرة لنسجه في فابريقاتها ويجه

### بقية مصانع الغزل

وأسس محمد علي عدا المصنعين السابقين مصانع لغزل القطن في المنيا ، وفرشوط ،  
وطهطا وجرجا . وقنا ، فكانت تشتغل واسكن في حالة غير مرضية ، ولم ترسل  
إلى الحكومة شيئا من مصنوعاتها

### نظرة عامة في مصانع الغزل والنسيج

كان بمصانع غزل القطن كافة ١٤٥٩ دولا بآ للغزل منها ١٤٥ دولا بآ للغزل  
السميك و ١٣١٤ للغزل الدقيق ، وتصنع الأولى ١٤٥٠٠ رطل من الخيوط في كل  
يوم من أيام الصيف و ١٠١٥٠ رطلا في أيام الشتاء ، وتصنع الثانية (دواليب الغزل  
الدقيق) ١٣١٤٠ رطلا في كل يوم من أيام الصيف و ٨٥٤٠ رطلا في أيام الشتاء  
وكان يصدر جزء من القطن المغزول إلى ثغور البحر الأدرياتي و ثغور التوسكان  
(إيطاليا) ومن هناك يرسل إلى داخل إيطاليا وألمانيا ، أما باقي القطن المغزول فإنه  
ينسج أقشة في مصر فتباع الأفضة المنسوجة في المدن والقرى بالقطر المصري ،  
ويصدر بعضها إلى سوريا والأناضول وجزر بحر الأرخيبيل . قال المسيو ماغان :  
وكان يمكن أن تزداد مصنوعات الفابريقات بمقدار الخمس إذا ضاعف رؤساء العمل  
رقابتهم على العمال وإذا دفعت أجور هؤلاء بانتظام

وقد راجت الأقمشة التي صنعتها الفابريقات المصرية في الأسواق رواجاً أضر بالواردات الأجنبية التي من نوعها وخاصة المصنوعات الرخيصة كالبصمة (الشيت) فان وارداتها قلت عن ذي قبل ، والبفطة الهندية بعد أن كانت تغمر الأسواق المصرية انقطع الوارد منها لما حلت محلها البفطة المصرية ، وكذلك حصل لأقمشة البنغال

ولسكن العيب الجوهري في مصانع الغزل والنسيج التي أنشأها محمد علي انها كانت قائمة على نظام الاحتكار ، وهذا النظام لا يتفق والتقدم الصناعي ، وقد انتقده المسيو مانجان الذي عينه وخيره فقال في صده إن الصناعة الحرة هي التي توافق مصلحة الأهلين ومصلحة الحكومة معاً ، وكان من الأوفى ترك الصناعة حرة في يد الأهالي ما عدا بعض مصانع غزل القطن التي يمكن الحكومة أن تبيع من بقائها ، وقال ان كثيراً من الأيدي العاملة التي تستخدمها الحكومة في معاملها كانت تعود على البلاد بفائدة أكبر لو اشتغلت في الزراعة

والواقع ان معظم المصانع التي أنشأها محمد علي قد أقفلت في أواخر عهده وأقفل باقيها في عهد عباس باشا الأول ، وسبب اضمحلالها أن إدارتها كانت في يد موظفي الحكومة ، فاعدت فيها الإدارة الحرة التي هي مناط ارتقاء المشروعات الصناعية والاقتصادية ، ولم يكن الموظفون أمناء ولا أكفاء لإدارتها ولا غيورين على عملهم فيها ، فأدى سوء الإدارة في معظم تلك المصانع وضعف الرقابة على الموظفين الى اضمحلالها ، وكانت الحكومة تستورد الفحم والآلات من أوروبا وتنفق على إدارة المصانع النفقات الطائلة ، فكانت النتيجة أن إراداتها قلت على مر السنين عن مصروفاتها وتسبب عنها خسارة على خزينة الحكومة ، كما أن إنقاص الجديش والبحرية في أواخر عهد محمد علي قد عطل المصانع التي تصنع حاجات الجيش لعدم الحاجة الى مصنوعات

ولسكن مما لانزع فيه ان انشاء مصانع الغزل والنسيج كان أساساً لهضة صناعية كبيرة وتجربة جلية يمكن الاستفادة منها لإقامة النهضة الصناعية على قواعد صحيحة

### مصانع نسيج الكتان

كانت الأقمشة الكتانية تصنع في مصر قبل عصر محمد علي ، ومصانعها موزعة في مختلف المديرية ، وقد بلغت ما تنتجه في ذلك العصر كل سنة ثلاثة ملايين مقطع يستهلك أكثرها في مصر وبصدر قسم منها الى ( تريستا ) و ( ليفورن ) وكان في مصر ثلاثون ألف نول لنسيج أقمشة الكتان

### معمل سبك الحديد

أقيم في بولاق مسبك للحديد ، وهو بناء مشيد تشييدا فخما وله منظر رائع ، وكان يؤدي أعظم الخدمات ، وقد تكلف البناء وحده نحو ستين ألفا من الجنيهات ، وضع تصميمه المستر جالويه المهندس الميكانيكي الانجليزي الذي كان يشتغل في خدمة الحكومة ، وجعله على نموذج مسابك لندره ، وكان يتولى رأسه العمل فيه رئيس انجليزي يعاونه خمسة من العمال الانجليز وثلاثة من المالطين وأربعون تلميذا مصريا موزعين على جميع أقسام المسبك ، ورئيسه القائد أدهم بك الذي تكلمنا عنه آنفا

وكان يصب في هذا المسبك كل يوم خمسون قنطارا من الحديد المعد لصابورة السفن والآلات اللازمة المعامل والقابريقات

### مصانع ألواح النحاس

وأنشأت الحكومة مصنعا لعمل ألواح النحاس التي كانت تبطن بها السفن ، وتولى إدارته المستر جالويه الميكانيكي الانجليزي يعاونه أربعة رؤساء عمل ، اثنان للاسطوانة ، وثالث لمراقبة الآلة البخارية ، والرابع للسبك وتنقية النحاس من المواد الغريبة

وكان في المصنع عشرون عاملا مصريا من العمال الفنين ،وزعين على الأعمال المختلفة ،منهم واحد للسبك ، وثلاثة للاسطوانة ، يشتغلون في إخراج ألواح النحاس ، وعملية السبك الواحدة تقتضى ٣٥ قنطارا من النحاس ، والاسطوانات تخرج كل يوم من سبعين الى مائة لوح من النحاس مختلفة المقاس والسُمك

### معامل السكر في الوجه القبلي

أسست الحكومة سنة ١٨١٨ معملا للسكر في (الريمون) (١) على مثال مصانع السكر في جزائر الانتبل بامريكا ، تولى ادارته في أول أمره انجليزى ثم خلفه صاحب مصنع في جزيرة كورسيكا ، وقد اشتهر هذا المعمل بحسن الإدارة والنظام والاقتصاد ، فانسعت أعماله وتقدمت حاصلاته وانتشرت مقطوعيته في البلاد ، ولسكن استيراد السكر المكرر من معامل أوروبا منذ سنة ١٨٢٦ أضر بإنتاج معمل الريمون وفضل الناس السكر الوارد من أوروبا لجودته ورخص أسعاره وبلغ إنتاج معمل الريمون ( سنة ١٨٣٣ ) ١٢١٩٥ قنطارا من السكر الخام وأنشأت الحكومة معملين آخرين للسكر أحدهما في (ساقية موسى) والثاني في الروضة (مركز ملوى) ، وقد كرر من السكر الخام في المعمل الاول ٥٢٠٠ قنطار ، واستخرج الروم من مصنع الريمون واستعمل لهذا الغرض ٤٨٠٠ قنطار من العسل

### مصانع النيلة

وأنشئت مصانع للنيلة في شبرا شهاب ، والعزازنة وميت غمر ، والمنصورة ، ومنوف ، وايسار ، والأشموينين ، وبركة السبع ، والمحلة المكبرى ، والجزيرة ،

(١) الآن من بلاد مركز ملوى بمديرية أسيوط

وأبوتيج ، وملوى ، ومنفلوط ، وطهطا ، وأسيوط ، والفشن ، وهذه المصانع تستنفد سدس محصول القطر المصرى ، وكانت النيلة ترسل من المصانع الى القاهرة حيث تبيعها الحكومة وتصدر منها للخارج بعد استنفاد حاجة المستهلكين

### مصانع أخرى

وأنشئت مصانع أخرى مختلفة ، منها مصنع للصابون ، ومدبغة للجلود برشيد ومصنع للزجاج والصين ، وآخر للشمع ، وأنشئ مصنع للورق ولكنه لم ينجح فى تجربته وأهم العمل فيه (١) ، ومعاصر للزيت وكانت موجودة من قبل

### أعمال العمران الأخرى

وقد عني محمد على بعمران المدن بما استحدثه فيها من المباني العامة كالقصور والمصانع ودور الحكومة وما إليها ، فن ذلك أنه أنشأ بالقلعة قصره الشهير (قصر الجوهرة) الذى كان مقر الحكم فى عهده (٢) ، وقصر شبرا ، وسراى رأس التين بالاسكندرية ، وهى أعظم قصوره وأفخمها (٣) ، وابتنى القصور فى بعض عواصم المديرىات ليقم بها أثناء تجواله بالأقاليم وأنشأ الدفترخانة بجوار القلعة لتحفظ بها وثائق الحكومة ودفاترها وسجلاتها ، وهى من أجل منشآته ولا تزال قائمة تؤدى الغرض منها ، وقد حفظت وثائق الحكومة طوال هذه السنين بعد أن كانت تبدد ويعفى أثرها قبل ذلك العهد

(١) كما يقول كادلفين فى كتاب (مصر والنوبة) ج ١ ص ١٣١

(٢) هامش الطبعة الثالثة - وقصر الحرم بالقلعة أيضا ويشغله الآن المتحف الحربى

(٣) هامش الطبعة الثالثة - وقصر أثر النبي بمصر القديمة على شاطئ النيل بجوار

مسجد أثر النبي وهو قصر صغير بناه فى أوائل عهده

وأصلح قنطرة المجراة التي كانت تنقل المياه من النيل بمصر القديمة الى القلعة ،  
وفتح طريقا واسعا محفوفاً بالأشجار بين مصر وشبرا ، وهدم كثيرا من التلال  
والسكيمان التي تحيط بالقاهرة أو تتخللها وتثير الرياح ما بها من الأتربة والقاذورات  
وتهدبها على المدينة فتفسد الجو وتضر بصحة الناس وأبصارهم

وأصلح بركة الأزبكية واحفر حولها قناة تنصرف اليها مياه البركة فظهرت  
أرضها وتحولت الى بستان كبير ، وهو البستان الذي أنشئت في وسطه حديقة  
الأزبكية الحالية على عهد اسماعيل

وبنى جامع السكبير بالقلعة وأوصى أن يدفن فيه

وأنشأ داراً للرصد (رصدخانه) في بولاق ولسكن إدارتها لم تنتظم فأقلت  
في أواخر عهده ، وأصدر أمراً بمنع خروج الأتار القديمة من مصر وتأسيس دار  
للأتار في منزل الدفتردار ، وعنى باستخراج الأحجار والرخام من المحاجر المصرية  
وعنى بعمران الاسكندرية التي تقدمت تقدما عظيما في عهده بفضل وصول  
ترعة المحمودية اليها وإنشاء الترسانة والأسطول بها ولأها صارت ملتقى التجارة بين  
مصر والخارج وكان يطيل الإقامة بها كل سنة ، وقد فتح شارعاً كبيراً مرصوفاً  
بالأحجار بين باب رشيد وسراي رأس التين

وأنشأ مدينة الزقازيق لمناسبة بناء قناطر بحر موسى ، وعنى بشؤون البلاد  
الصحية كما بيناه في الكلام عن كلوت بك وأنشأ المستشفيات والمحاجر الصحية على  
النظام الأوروبي

ورتب البريد ليحمل برسا على أيدي السعاة يقطعون المراحل على متون الجياد  
وبجراً على ظهر السفن

وأنشأ خطوطاً تلغرافية بأن أقام أبنية مرتفعة على شكل أبراج ممتدة على خط  
واحد ، وأقام على كل بناء آلة التلغراف على طريقة (شاب) القديمة فكانت الأنباء  
ينقل من مرحلة الى أخرى الى أن تصل الى الجهة المقصودة ، وتستغرق الرسالة



التلغرافية بهذه الطريقة من الاسكندرية الى مصر خمسا وثلاثين دقيقة (١) أما التلغراف الحالى فقد أدخله سعيد باشا

وشرع فى إنشاء سكة حديدية من القاهرة الى السويس بطريق الصحراء ولكن المشروع لم يدخل فى دور التنفيذ وعدل عنه محمد على ، واستخدمت القضبان التى أعدت له فى مد سكة حديدية قصيرة بمحاجر طره (٢) لنقل الأحجار الى شاطىء النيل كى تستعمل فى بناء القناطر الخيرية

### التجارة

اتسع نطاق تجارة مصر الخارجية فى عصر محمد على لازدياد حاصلاتها وخاصة القطن ، وقد ربحت الحكومة منها أرباحا وفيرة لانها كانت تحتكر التجارة الخارجية بأجمعها

وقد ساعد إنشاء الأسطول فى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط على توسيع نطاق المواصلات البحرية بين مصر والبلدان الاخرى ، وكان لإصلاح ميناء الاسكندرية فضل كبير فى هذا الصدد ، فنشطت التجارة الخارجية نشاطا عظيما ، ومنذ أنشئ أسطول مصر فى البحر الاحمر فكر محمد على فى إعادة طريق التجارة بين الهند وأوروبا عن طريق مصر بعد أن تعطلت زمنا طويلا لاكتشاف رأس الرجاء الصالح (٣) فبسط سيادة مصر فى البحر الاحمر وطهره من القرصان الذين كانوا يتهددون السفن التجارية فيه ، ومد طريقا لسير قوافل التجارة بين السويس والقاهرة وأنشأ به المحطات وبسط الأمن فى مراجله لتأمين القوافل على

(١) كما قدرها كادلفين فى كتاب (مصر والنوبة) ج ١ ص ٨٧

(٢) لبنان ( مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة فى مصر ) ص ٥٤٠

(٣) انظر الجزء الاول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٥٠

متاجرها ، وأنشأ لذلك ديوانا سمي ديوان المرور كان مقره بالازبكية ، وكانت المتاجر القادمة من البحر الاحمر ترسل من السويس الى النيل ثم الى الاسكندرية فأعاد جهد المستطاع سبيل المواصلات القديم بين الشرق وأوروبا عن طريق مصر وقد لفت هذا الطريق أنظار الشركة الهندية الانجليزية ورأته آمن وأقصر من طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البصرة والفرات وحلب والاسكندرونة ، فاتفقت مع الحكومة المصرية على نقل طرود البريد والمسافرين عن طريق السويس وكان المستر ( توماس واجهورن ) أحد كبار موظفيها واسطة هذا الاتفاق ، وقد لقي من محمد علي باشا تعظيما كبيرا فكانت السفن التجارية تسير من بمباي الى السويس ثم ينتقل منها البريد والسياح الى الاسكندرية عن طريق القاهرة ومن الاسكندرية الى مرسليليا بحرا ومنها الى انجلترا

### الصادرات والواردات

تألف صادرات مصر في ذلك العهد من القطن ، والأرز ، والحبوب ، والصبغ والأنسجة السكتانية ، والصدودا ، والتمر ، والخضر الجافة ، والأفيون ، والحناء وغير ذلك

وكانت تستورد من الخارج الأنسجة القطنية ، والأجواخ ، والطرابيش ، والأنسجة الصوفية ، والأثواب الحريرية ، والأخشاب ، والحديد ، والأواني ، والخردوات ، والنحاس ، والسكاكين ، والورق ، والدقاقير ، وأصناف العطاراة ، والفحم ، والقرمز ، والسكر ، والزجاج ، والمرايا ، والزيوت ، والأنبذة ، والمشروبات الروحية ، وغير ذلك ، وأحصى الدكتور كلوت بك تجارة مضر الخارجية مع أوروبا وتركيا سنة ١٨٣٦ فبلغت بحسب احصائه (١) :

(١) لمحة عامة الى مصر ج ٢ ص ٣١٧ من الاصل الفرنسي

٣١٩٦٦٠٠٠ جنيه للصادرات و ٣٦٧٩٠٠٠٠ جنيه للواردات  
وأورد على باشا مبارك (١) إحصاء عن صادرات و واردات الاسكندرية دون  
سواها من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٤٢ استخلصنا منه البيان الآتي :

الواردات	الصادرات	
ج ٨٠٤٠٥١٩	ج ١٠٥٨٥٠٧٦٤	سنة ١٨٢٣
ج ٣٠٤٧٠٠٩٢٠	ج ١٠١٠٦٠٨٨٠	سنة ١٨٤٢

## الفصل الرابع عشر

### نظام الحكم

#### النظام السياسي

كانت الحكومة المصرية على عهد محمد علي حكومة مطلقة تسود فيها قاعدة حكم الفرد ، لكن الفرق بينها وبين ما كانت عليه في عصر المماليك ان محمد علي باشا وضع نظاما لإدارتها ، فحل هذا النظام محل الفوضى والارتباك ، فهو وان كان يعدمن دعاة الحكم المطلق ( وهذه نقطة ضعف في تاريخه ) الا أن ميزته انه كانت لديه فكرة النظام والاصلاح كما انه كان يميل الى مشاوره مستشاريه في الامور قبل إبرامها

#### الدواوين

ومن هنا جاءت فكرة تأسيس بعض المجالس أو الدواوين التي كان يرجع اليها في مختلف الشؤون

فقد أُلّف مجلسا للحكومة يسمى ( الديوان العالى ) ومقره القلعة ، وكان يتداول مع اعضائه في الشؤون المتعلقة بالحكومة قبل الشروع في تنفيذها ، ورئيس هذا الديوان يلقب بكتبخدا بك أو كتبخدا باشا وهو بمثابة وكيل الباشا أو نائبه ، وله سلطة واسعة المدى في كافة شؤون الحكومة ، وكان بمثابة رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وصار هذا الديوان يُعرف على مدى السنين بالديوان الخديوى وسمي أيضا وقتا ما ( ديوان المعاونة )

وألف على التعاقب لكل فرع من فروع الحكومة مجلسا أو (ديوانا) يختص به ، فكان هناك ديوان للحربية ( الجهادية ) ، وديوان للبحرية ، وديوان للتجارة والشؤون الخارجية ، وديوان للدارس ( المعارف العمومية ) وديوان للأبنية وآخر الأشغال ، وكانت هذه الدواوين بمثابة فروع وأقسام للديوان العالى

ولما تقدمت شؤون الحكومة ألفت سنة ١٨٣٤ مجلسا دعاه ( المجلس العالى ) ، يتألف من نظار الدواوين ورؤساء المصالح واثنين من العلماء يختارهما شيخ الجامع الأزهر ، واثنين من التجار يختارهما كبير تجار العاصمة ، واثنين من ذوى المعرفة بالحسابات واثنين من الاعيان عن كل مديرية من مديريات القطر المصرى ينتخبها الاهالى

وعين لرآسة هذا المجلس عبدى شكرى بك ( باشا ) أحد خريجي البعثة العلمية الأولى، وكان قد تلقى فى فرنسا علم الادارة والحقوق ، ومدة عضوية اعضاء المجلس الثميين من التجار والعلماء والمديريات سنة واحدة

وغنى عن البيان أن هذه المجالس أو الدواوين لم تسكن على درجة كبيرة من الرقى وحسن النظام ، لكنها كانت الخطوة الأولى لنظام حكومى لم تعرف البلاد مثله من قبل حيث كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى مختلف نواحي الحكم

قال الدكتور كلوت بك فى هذا الصدد : « من المتحقق ان هذه الهيئات الحكومية لم تبلغ درجة الإتقان لسكن ينبغى ملاحظة ما بذله محمد على من الجهود فى هذا السبيل ، وما بثه من روح النظام وتقرير أوضاعه وما أظهره من سداد النظر وصدق العزيمة فى وضع النظام الادارى الحكومى ولا ريب أنه اذا توافر عنده الوقت الكافى وتخلص من مشاغله الحالية (١) واخرجت المدارس عددا كافيا من الاكفاء سيضع لمصر نظاما دستوريا ثابتا يكون قد بحثه ونفذه بما عهد فيه من الحكمة ، (٢)

(١) سنة ١٨٣٩ إبان اشتداد الأزمة بينه وبين تركيا

(٢) لحة عامة الى مصر تأليف الدكتور كلوت بك وتعريب الاستاذ محمد مسعود بك

مجلس المشورة ( سنة ١٨٢٩ )

كانت المجالس المتقدمة مجالس حكومية تنفيذية تتألف في الجملة من كبار الموظفين ، ولم تكن هيئات شعبية تمثل طبقات الأمة أو يصح اعتبارها نواة لنظام نيابي أو شبه نيابي ، ولسكن هيئة واحدة ألفها محمد علي سنة ١٨٢٩ يصح أن تعد نواة لنظام شورى وهي ( مجلس المشورة ) ويتألف من كبار موظفي الحكومة والعلماء وأعيان القطر المصري برئاسة إبراهيم باشا ، وهذا المجلس يشبه في عدد أعضائه وتمثيلهم لمختلف الطبقات أن يكون جمعية عمومية مؤلفة من ١٥٦ عضواً منهم ٢٣ من كبار الموظفين والعلماء و ٢٤ من مأموري الأقاليم و ٩٩ من كبار أعيان القطر المصري

وهو من جهة التمثيل أفضل من ( الديوان العمومي ) الذي أنشأه نابليون في عصر الحملة الفرنسية ، فان هذا الديوان كان مؤلفاً من اعيان وتجار القاهرة فقط<sup>(١)</sup> ، وهو أقرب في تشكيله الى ( الديوان العام ) الذي أسسه نابليون أيضاً اذ كان مؤلفاً من العلماء والأعيان الثابتين عن مختلف مديريات القطر المصري<sup>(٢)</sup>

أما من جهة السلطة فلم يكن لمجلس المشورة سوى سلطة استشارية ، وكذلك الديوان العمومي والديوان العام في عهد الحملة الفرنسية ، وكانت مشورته مقصورة على مسائل الإدارة والتعليم والاشغال العمومية ، وما يقترحه الاعضاء في هذا الصدد مما ترشدهم اليه اختباراتهم ، وينظر في الشكايات التي تقدم اليه ، وينعقد مرة واحدة في السنة ويجوز أن يستمر الانعقاد عدة جلسات

(١) انظر الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ، ص ١٥

(٢) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ١٠٤

## أعضاء مجلس المشورة

يهمنا كثيراً أن نذكر هنا أسماء أعضاء مجلس المشورة ، فمنهم تألفت أول هيئة نيابية شورية في عصر محمد علي ، وجدير بنا أن نعرف أسماءهم بعد أن أثبتنا في الجزئين الأول والثاني من تاريخ الحركة القومية ، أسماء أعضاء الهيئات التمثيلية التي تألفت على التعاقب في عهد الحملة الفرنسية <sup>(١)</sup> لكي يكون لدينا صورة جلية لمن يصح التعبير عنهم بأنهم نواب الشعب في مختلف أدوار الحركة القومية ولننقف من هذا البيان على أسماء كبار أعيان مصر في ذلك العصر ، لأن الذين انتخبوا لعضوية مجلس المشورة كانوا بالبداهة رؤساء العشائر والعائلات وكبار الأعيان البارزين في القاهرة والأقاليم

ذكرت ( جريدة الوقائع ) <sup>(٢)</sup> نبأ انعقاد مجلس المشورة لأول مرة ، فقالت انه اجتمع عصر يوم ٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ ( ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٩ ) في قصر براهيم باشا ( القصر العالي ) <sup>(٣)</sup> وتحت رآسته . وحضر الاجتماع جميع الأعضاء ، وعرض عليه كل الشؤون الخاصة بالأقاليم خصوصا ما كان موجودا منها بالديوان العالي وذكرت أسماء الأعضاء ننقلها بترتيب نشرها في الوقائع مع بيان وظائفهم وألقابهم ، بعد حذف عبارات التفضيم التي كانت مألوفة في لغة ذلك العصر

---

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٩٦ والجزء الثاني ص ١٦

و ١٨ و ٢٢٠

(٢) عدد ٤٩

(٣) هامش الطبعة الثالثة - هو من اجمل القصور التي أنشأها ابراهيم باشا ، وكان موضعه في المنطقة المعروفة الآن بجاردن سيتي بين ساحل النيل وشارع قصر العينى ، وباسمه سمي شارع القصر العالي

ابراهيم باشا . رئيس المجلس  
أعضاء من رؤساء مصالح الحكومة والعلماء

عباس باشا ( حفيد محمد علي ) ، احمد باشا مأور الاقاليم الوسطى ، محمد  
خسرو بك مأور الجيزة والمنوفية والبحيرة ، شريف بك ( الـكـتـخـدا بك ) مأور  
الاقاليم الصعيدية ، محمود بك ناظر الجهادية ، السيد البكري قيب الأشراف ،  
السيد السادات ، الشيخ الأمير مفتى المالكية ، الشيخ محمد المهدي مفتى الحنفية ،  
الشيخ علي ، الحاج ابراهيم افندي ناظر مجلس المشورة ، كـتـخـداى أغا والى جدة ،  
أمير اللواء محمد بك ناظر عموم المهيات الحربية ومعمل البارود والطبخانة وعموم  
الفاريقات ، حسن اغا رئيس بوانى الركاب العالى وناظر المواشى الأميرية ، خليل  
افندي ناظر الترسانات ، عبد الباقي افندي مدير خزينة الجهادية وباشمحا سبجى ،  
محمد افندي الداوندار سابقا ، محمد امين افندي ناظر الابنية الأميرية ، حسين بك  
ناظر الارز والغلال ، الحاج عبد الله اغا سر كردكان ، حسين اغا ناظر الجوقه ،  
عمر افندي ناظر الجلود ، محمد افندي ناظر المنسوجات ، أمين افندي ناظر البيع ،  
حافظ افندي معاون الفاريقات ، عرفى افندي معاون جورنال المحروسة ، احمد  
ميش افندي المعاون ، محمد زرف افندي المعاون ، على راغب افندي المعاون ،  
خالد افندي المعاون ، سامى افندي محرر الوقائع المصرية ، كاشف افندي باشكاتب  
الوقائع المصرية

أعضاء من مأورى الاقاليم

خليل بك محافظ دمياط ، سليمان اغا مأور الجعفرية ، حسين بك مأور زفتى ،  
حسين اغا مأور الفيوم ، اسماعيل اغا مأور نصف البنسنا ، حسن بك مأور  
الجيزة ، رستم افندي مأور نصف المنوفية ، محمد افندي مأور نصف المنوفية ،



رستم أفندي مأمور نصف البحيرة ، حسن أفندي مأمور نصف الشرقية ، إبراهيم  
أغا مأمور طنطا ، إبراهيم بك مأمور نبروه ، محرم أغا مأمور نصف البهنسا ،  
تيمور اغا مأمور نصف الشرقية ، يوسف أفندي مأمور فوه ، صالح أفندي مأمور  
ميت غمر والسنبلاوين ، محمد اغا مأمور القليوبية ، إبراهيم اغا مأمور شرق اطفيح ،  
الحاج عبد الرزق اغا مأمور محلة دمنه ، محمود أغا مأمور المنيا ، محمد أفندي  
مأمور اسيوط ، حسين اغا مأمور منفلاط ، الشيخ المصرى بجرنال المحروسة ،  
الشيخ عبد الله فواز بجرنال اسيوط

### مشايخ وأعيان الأقاليم

( الجزيرة ) الشيخ حسن ، الشيخ عبد الواحد  
( السنبلاوين ) الشيخ موسى خليفة ، الشيخ حفناوى ، الشيخ على الغول ،  
الشيخ اسماعيل أبو جاد ، الشيخ خضر ، الشيخ عبد الرحيم سلامى ، الشيخ حسين  
سالم ، الشيخ أحمد سعدى  
( ميت غمر ) الشيخ رزق الله . الشيخ الحاج شريف ، الشيخ محمد خليل ، الشيخ  
عبد الله هلال ، الشيخ حنفى شرف الدين ، الشيخ على غندور ، الشيخ الحاج  
منصور ، الشيخ همام حبيب ، الشيخ عيسى سالم ، الشيخ قاسم طه ، الشيخ محمد  
المغربى ، الشيخ سليمان حجاب ، الشيخ سليمان منصور  
( الفيوم ) الشيخ نصر عثمان ، الشيخ محمد الشبكي  
( زفتى ) الشيخ محمد فتوح ، الشيخ على سالم  
( اشمون جريس ) الشيخ محمد عميد  
( منوف ) الشيخ ابراهيم شحاته  
( أبو كبير ) الشيخ أيوب عيسوى ، الشيخ عبد الغالب سالم ، الشيخ صالح ،  
الشيخ منصور ، الشيخ على المسكاوى ، الشيخ مصطفى على

- ( شديدة شرقية ) ، الشيخ حسن اباطه ، الشيخ غيث ، الشيخ بغدادى اباطه  
( مليح ) الشيخ محمد أبو عامر ، الشيخ أبو عمارة  
( ايار ) الشيخ حاجي سليمان ، الشيخ حاجي أحمد  
( غربية ) الشيخ ابراهيم أبو درباله ، الشيخ علي أبو أحمد  
( ههيا ) الشيخ أحمد دريبة  
( قسم أول شرقية ) الشيخ ابراهيم سالم ، الشيخ محمد خصر ، الشيخ محمد عليوه  
( المنيا ) الشيخ فرج ، الشيخ عبد الهادى  
( الفشن ) الشيخ علي شريعى ، الشيخ حبيب  
( شرق اطفيح ) الشيخ حسين أبو علي ، الشيخ حماد  
( بنى سويف ) الشيخ بكر بدر ، الشيخ محمد الخولى ، الشيخ عبد الرحمن أبو زيت  
( سمود ) الخواجة علي  
( شبيش ) الشيخ أبو يوسف ، الشيخ أحمد سرجانى ، الشيخ حسن أبو زيت  
( نبروه ) الشيخ علي كرفوز ، الشيخ فوده ، الشيخ احمد أبو اسماعيل ،  
الشيخ غانم محمد ، الشيخ اسماعيل رضوان ، الشيخ محمد أبو علي  
( المحلة الكبرى ) الشيخ حبيب جاويش ، الشيخ مطاوع دهلان ، الشيخ  
مصطفى ، الشيخ عيسوى خضر ، الشيخ نلى أبو عامر  
( الشباسات ) الشيخ بونس ، الشيخ عبد الرحمن ، الشيخ شمس الدين ، الشيخ اسماعيل  
( كفر الشيخ ) الشيخ محمد ابو صادر ، الشيخ عمر ، الشيخ ابراهيم سليمان  
( فوه ) الشيخ يوسف رجب  
( طنطا ) الشيخ أحمد المنشاوى ، الشيخ أحمد ربيع ، الشيخ علي أبو عائد  
( العزيزية ) الشيخ موسى ، الشيخ محمد عبد الله ، الشيخ ابراهيم ، الشيخ أبو نصير  
( المحلة ) الشيخ يوسف سماح ، الشيخ محمد عبد الله ، الشيخ الخولى عبيد  
( دمنهور ) الشيخ دسوقى خير الله  
( الرحمانية ) الشيخ محمد

( النجيلة ) الشيخ مصطفى  
( كفر الزيات ) الشيخ حسن سليمان  
( القليوبية ) الشيخ محمد القاضى ، الشيخ خصر ، الشيخ محمد الشواربى ،  
الشيخ جمعه منصور ، شيخ العرب أحمد حبيب

### بعض أعمال مجلس المشورة

يتبين من الاطلاع على ما نشرته الوقائع المصرية من قرارات مجلس المشورة  
نوع الأعمال التي كان يتداول فيها ، فعاليها كان خاصا بالإدارة والتعليم والأشغال  
والقضاء ، ومعظم قراراته كان بناء على اقتراحات الأعضاء الموظفين فيه

وبما يلفت النظر أن أول قراره في أولى جلساته كان خاصا بالتعليم ، إذ قرر  
إعداد مكتب لتعليم كتبة الديوان اللغتين العربية والتركية ، وأحوال الفلاحة وتعيين  
محمد افندى دويدار ناظر لهذا المكتب ، والشيخ مصطفى مدرسا للغة العربية ، وقرر  
أنه كلما يتم تعليم عدد من كتبة الديوان يرسلون الى الأقاليم ويجبى مخلافهم لتعليمهم  
ثم إرسالهم ، ويستمر العمل حتى يصير القائمون بالعمل فيهم الكفاءة لإدارة  
مصالح الحكومة ،

فالقرار كما ترى مفيد وحكيم ، إذ هو يرمى الى ترقية المستوى العلمى لمكتبته  
الدواوين وإرسال من يتم تعليمهم الى الأقاليم حتى يشغلوا الوظائف عن جدارة  
واستحقاق ، وذلك هو عين الصواب

وقرر في جلسة ٢ ربيع الأول ارتداء جميع الموظفين كساوى الجهادية ، وقرر  
في جلسة ٣ ربيع الأول بناء على طلب الدفتردار ( مدير الشؤون المالية ) جعل  
أعمال السخرة بالمناوبة بحيث يتناوب أهل كل بلد العمل أسبوعا بعد أسبوع . إلا  
إذا كان كثيرا فيستخدمون بأجمعهم حتى يتم ، ولا يعنى من العمل إلا أعمال الفاريقات

وقرر في هذه الجلسة ذاتها بناء على طلب مأمور السنبلوين أن يكون عمل  
الفلاحين في النظيرات وبناء القناطر وإصلاح الجسور في أشهر توت وبابه وكهك  
وطوبه وأمشير وبرمهاث وبؤونه ، وبني اقتراحه على أن الفلاحين في باقي أشهر  
السنة يكونون مشغولين بالزراعة والحصاد وجنى القطن ، فوافق المجلس على  
الاقتراح ، وكلف مأمور الديوان الخديوي بأن يأمر بذلك نظار الأقسام  
ومأموري الأقاليم

ومن قراراته أنه قرر أخذ ١٠٠ غلام من كل ثمن من أثمان القاهرة وبولاق  
ومصر القديمة وجملة ١٠٠٠ غلام لتشغيلهم بالأجرة في فابريكات الحكومة ،  
وكذلك قرر أخذ الصالحين للعمل من المتسولين ( الشحاذين ) للالتحاق بهذه  
الفابريكات وأن ترتب لهم أرزاق يومية ، وبعد تعليمهم الصناعة ترتب لهم أجور  
يومية ، ولهذا القرار قيمته في تعليم الصناعة ومحاربة البطالة

وبحث في عقاب الموظفين ومشايخ البلاد ( العمدة ) الذين تمتد يدهم إلى الرشوة  
( البرطيل ) أو سلب أموال الأهالي ، فقرر إلزامهم برد ما أخذوه ومجازاتهم  
بالعقوبات الشديدة

ويقول المسيو اينان باشا في كتابه ( مذكرات عن أهم أعمال المنفعة العامة  
بمصر ص ٤٢٢ ) انه عرض مشروعه في بناء القناطر الخيرية على مجلس المشورة ،  
فطلب منه المجلس بيان ما يقتضيه المشروع من النفقات ، فأبدى له رقما تقديريا ،  
ويطالبنا المسيو لينان بحقيقة هذا المجلس فقد قال عنه انه مؤلف من مشايخ  
الأقاليم الذين كان المراد أن يحلوا محل الترك في الحكم ، ولما لم يدم طويلا ،  
فيتين من ذلك ان هذا المجلس الذي كان يمكن أن يكون نواة لنظام نيابي لم يكن  
طويل العمر ، ولذلك لم يظهر له أثر في معظم عهد محمد علي

## القانون الأساسى سنة ١٨٣٧

وفى سنة ١٨٣٧ وضع محمد على إشا قانونا أساسيا يعرف بقانون (السياسة العامة) وأحاط فيه بنظام الحكومة واختصاص كل مصلحة من مصالحها العامة ، وقد حصر السلطة فى سبعة دواوين وهى :

(أولا) - الديوان الخديوى ، وينظر فى شؤون الحكومة الداخلية العامة وله سلطة قضائية إذ كان يفصل فى بعض الدعاوى الجنائية ، فقد ورد فى لأشحة تأسيسه أنه يختص بالضبط والربط فى مدينة القاهرة والقفل فى الخصومات والشكايات التى ترفع إليه ، أما الدعاوى الشرعية فكان يحيلها الى المحاكم الشرعية ، وكان يختص بالحكم فى جرائم القتل والسراقات الى أن أنشئت سنة ١٨٤٢ (جمعية الحقانية) التى سيرد الكلام عنها ، وكان له الإشراف والرأسة على عدة مصالح ، منها مصلحة الابنية (المباني) وفروعها ، والمخبز الملكى ، والسكيلار العامر (إدارة المخصصات الغذائية للباشا) ، والسلخانة ، والقوافل ، وديوان المواشى ، وترسانة بولاق ، والمستشفيات الملكية ، والروزنامة (إدارة أموال المبرى) وبيت المال ، والأوقاف المصرية ، والتمرخانة ، وجبال المرمر ، ومحاجر طره ، وأثر النبي ، ومهمات ترعة المحمودية ، وخزينة الأمتعة ، والبوستة ، وأمور الأحكام بالاسكندرية

(ثانيا) -- ديوان الإيرادات ، وهو قسيمان ، أحدهما يختص بحسابات كافة المديرات وجزيرة كريد ، والحجاز والسودان ، والثانى يختص بإيراد مدينتى مصر والاسكندرية والكمارك والمقاطعات والزمامات ، وكان لهذين القسمين مفتشون يعرفون بمفتشى الأقاليم للتنقيب على المصالح

(ثالثا) -- ديوان الجهادية ، واليه يرجع النظر فى نظام الجنود البرية وضبط وربط حركاتها وتعليماتها ، ومهمات الفيالق والشكنات ومواضع الخيام والقلاع ،

والمستشفيات العسكرية ، والشؤون الصحية للجنود وورش ومخازن المهمات  
البحرية ، ومعامل البارود وتعلقاتها واشوان المؤن العسكرية والمخازن ، وعلى العموم  
كافة المصالح العسكرية

( رابعا ) -- ديوان البحر ، واليه يرجع النظر في ادارة وتنظيم الدونامة  
( الأسطول ) وضبط وربط حركاتها ، والترسانة والمخازن والخزينة البحرية وتجهيز  
المهمات والمؤونة وسائر حاجات الدونامة والمستشفيات البحرية

( خامسا ) -- ديوان المدارس وإليه يرجع النظر في أمور المدارس الابتدائية  
والتجهيزية والخصوصية ( العالية ) والسكرتريانات ومخازن الآلات والأدوات ،  
والقناطر الخيرية ، ومطبعة بولاق وإدارة الوقائع المصرية ومصالحة الأمور  
الهندسية وإدارة زرائب المارينوس والاصطبلات الكبرى في شبرا

( سادسا ) -- ديوان الأمور الافرنكية والتجارة المصرية واليه يرجع النظر في  
العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب وبيع متاجر الحكومة ومشترياتها

( سابعا ) -- ديوان القابريقات واليه يرجع النظر في إدارة فابريقة الطرابيدش في  
فوه وكافة القابريقات التي كانت توجد في مدينة مصر ومدن الأقاليم

وكان مفروضا على رئيس كل من هذه الدواوين أن يقدم للباشا تقريراً في كل  
أسبوع عن أحوال ديوانه ، وكشفاً شهرياً بحساباته الى تفتيش الحسابات ، وميزانية  
سنوية عن الإيراد والمصرف

#### المجلس الخصوصي والمجلس العمومي

وفي يناير سنة ١٨٤٧ ألف محمد علي ثلاثة مجالس جديدة عدا الهيئات المتقدمة  
أهمها ( المجلس الخصوصي ) واختصاصه النظر في شؤون الحكومة الكبرى وسن  
اللوائح والقوانين وإصدار التعاليم لجميع مصالح الحكومة ، وكان يرأسه إبراهيم

باشا ، وأعضاؤه كتخدا باشا ( عباس باشا حفيد محمد علي ) واحمد باشا يكن  
وحسن بك رئيس جمعية الحقانية ، وبرهان بك

و ( المجلس العمومي ) أو ( الجمعية العمومية ) بديوان المالية وهي هيئة مؤلفة  
من مدير المالية ووكيل الديوان الخديوي ومدير المدارس ( أدهم بك ) ومدير  
الحسابات ( باسليوس بك ) ومفتش القابريقات ( لطيف بك ) ومفتش الشفالك  
( حافظ بك ) ورؤساء أقلام دواوين الحكومة ، وينعقد هذا المجلس مرتين في  
الاسبوع على الاقل وينظر في شؤون الحكومة العمومية التي تحال عليه ، ويرسل  
قراره الى ( المجلس الخصوصي ) فاذا وافق عليه أحاله على الباشا ليأمر بتنفيذ  
إذا أقره

( مجلس عمومي ) آخر بالاسكندرية يختص بالنظر في شؤونها يرأسه ناظر  
ديوان الاسكندرية ، وأعضاؤه ناظر ديوان البحرية وناظر ديوان التجارة ومأمور  
الضبطية وأمين الجمرک وناظر الترسانة ووكيل الدونانمة

### نظرة عامة في هذا النظام

إن انشاء حكومة قوية من أجل الأعمال التي قام بها محمد علي ، لأنها قضت على  
الفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في البلاد ، وهذه الحكومة أمسكته أن يتم  
الإصلاحات التي فكر فيها ، وكان لها الفضل الكبير في نشر لواء الأمن في البلاد ،  
وهذا الأمن الذي بسطه محمد علي باشا كان من أهم دعائم العمران في وادي النيل ،  
ومن الحق أن نقول إن استتاب الأمن والنظام من مميزات هذا العصر ، لأن عصر  
المالیک اشتهر بفقدان الضبط والربط فلم يكن المزارعون والتجار والملاك يأمنون  
على أموالهم وأملاكهم بل كانت تتخطفها المناسر وقطاع الطرق ، ومعلوم أنه اذا  
لم يستتب الأمن في بلد فلا يرجى له تقدم أو حضارة ، فحمد علي قد وضع أول  
دعامة لعمران مصر بضبط الأمن والضرب على أيدي الأشقياء وقطاع الطرق

وقرصان النيل ، وهذا من أجل أعماله مدة حكمه ، قال المسيو جومار في هذا الصدد . وإن من أهم نتائج حكم محمد علي وأدعائها للإعجاب بسطور رواق الأمن بحيث يستطيع الإنسان أن يجتاز الجهات البعيدة عن النيل آمنا مطمئنا بعد أن كان يستهدف لاختطاف العربان إياه إذا نخطى عتبة الصحراء بل في وسط الجهات الزراعية ، وقد أخضعت الحكومة سطوة العربان ومنعت غزواتهم ، ويمكن الإنسان أن يسير وسط مضاربهم آمنا على نفسه ، وهم يشتغلون بتربية المواشي والغنم والاتجار بها في الأسواق ،

فميزة حكومة محمد علي أنها وطدت دعائم الأمن في البلاد ، وبذلك أمكنها أن تقوم بالأصلاحات التي مررت بك ذكرها ، ولكن بجانب ذلك لا مندوحة عن القول بأن محمد علي لم يتجه ذهنه قط إلى إنشاء نظام دستوري أو شبه دستوري بالمعنى المفهوم منه ، وهذه نقطة ضعف وموضع نقد شديد في تاريخه ، وما الهيئات التي أسسها إلا مجالس تنفيذية كانت الكلمة العليا فيها له أو لسكتخدائه ، ومجلس المشورة لم يعمر طويلا ، والظاهر أن ميوله النفسية لم تتجه إلى ناحية النظام الدستوري . ولو أنه عنى بهذه الناحية لأمكنه أن يعد الأمة للاضطلاع بمسؤوليات الحكم في عهده ، ولكنه لم يفعل ، وترك المسألة فوضى بين خلفائه والشعب ، فوقع التصادم بينهما في أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق حتى أفضى إلى الثورة العراقية ثم إلى الاحتلال الإنجليزي

### التقسيم الإداري والموظفون

كانت مصر مقسمة إلى ١٦ اقليما دابقا للتقسيم الذي كان معمولا به في عهد الحكم التركي (١) ، فأدخل محمد علي تعديلا في هذا التقسيم بأن جعل من مصر سبع مديريات جعل عليها حكاما سماهم المديرين ، وهي التسمية الباقية الى اليوم

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ص ٥٨



وجعل في الوجه البحرى أربع مديريات ، فالمديرية الأولى تشمل البحيرة والقاوية والجيزة ، ثم صارت البحيرة مديرية قائمة بذاتها ، وكذلك الجيزة والمديرية الثانية تشمل المنوفية والغربية ، ثم انفصلت كل منهما وصارت مديرية قائمة بذاتها ، والمديرية الثالثة تشمل المنصورة ( الدقهلية ) ، والمديرية الرابعة تشمل الشرقية

وواحدة تتألف منها مصر الوسطى من جنوبي المنيا إلى جنوبي الجيزة ، ثم سميت مديرية الأقاليم الوسطى ، وشملت بنى سويف والفيوم والمنيا واثنتان تتألف منهما مصر العليا ، والأولى من شمالي قنا إلى جنوبي المنيا ، والثانية من وادى حلفا إلى قنا ، ثم سميت أسيوط وجرجا مديرية ( نصف أول وجه قبلى ) وسميت قنا واسنا مديرية ( نصف ثانى وجه قبلى )

أما القاهرة والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس فكل منها محافظة وقسمت كل مديرية إلى مراكز ، والمراكز إلى أقسام ( اخطاط ) ، أما المراكز فقد سمي رؤساؤها المأمورين ، وهى التسمية الباقية إلى اليوم ، ورؤساء الأقسام بالنظار ، وهذه التسمية لم يعد لها وجود الآن ، والقسم يشمل فى دائرته جملة نواح ( قرى ) لكل ناحية رئيس يدعى شيخ البلد الموجود منذ القدم ( والمعروف الآن بالعمدة ) ، وبقى بجانبه ( الخولى ) ووظيفته مسح الأطيان ، و ( الصراف ) لجمع أموال الميرى ؛ و ( الشاهد ) وهو المعروف بالمأذون فمحمد على هو أول من سمي أقسام مصر الادارية ( مديريات ) وأول من سمي رؤساءها ( مديرين ) ، وسمى رئيس المركز مأمورا ، ورئيس القسم ناظرا ، فهذه الأسماء من مبتكراته

### البوليس

وكان يتولى إدارة الأمن وحفظ النظام فى القاهرة موظفان كبيران ، يسمى

أحدهما الوالى . وكان موجودا قبل عصر محمد على ، والآخر الضابط ( ويسمى ضابط مصر ) وهو بمثابة حكمدار البوليس الآن ، ثم آل الأمر إلى الاقتصار على الثاني ، وتحت إمرته ضباط موزعون فى أنحاء المدينة يميزهم من غيرهم علامة خاصة وعليهم ضبط الأمن ، والمحافظة على سلامة الأفراد ، ويقومون أثناء الليل بالنوبة ، فإذا مضت ساعة من غروب الشمس أقموا القبض فى الطريق على كل شخص لا يحمل يده مصباحا . وبهذا تفقر الشوارع وتكاد تخلو من السابلة أثناء الليل ، ويتولى رقابة الأسواق موظف يعرف بالمحتسب

### النظام القضائى

لم يتغير النظام القضائى كثيرا عما كان عليه فى عهد المماليك (١) ولم يدخل محمد على فى هذا النظام تعديلا أو إصلاحا ، غير أنه جعل للديوان الخديوى اختصاصا قضائيا كما مر بك بيانه . وأنشأ سنة ١٨٤٢ هيئة قضائية جديدة تسمى (جمعية الحقانية) جعل من اختصاصها محاكمة كبار الموظفين على ما يتهمون به فى عملهم ، وتحكم أيضا فى الجرائم التى تخيلها عليها الدواوين ، وكانت بمثابة محكمة جنائيات وجنح ، وهى مؤلفة من رئيس وستة أعضاء منهم اثنان من امراء الجهادية واثنان من البحرية واثنان من ضباط البوليس وانشأ محكمة تجارية تسمى (مجلس التجارة) للفصل فى المنازعات التجارية بين الأهلىن ، أو بينهم وبين الأفرنج ، وتتألف هذه المحكمة من رئيس ونائب رئيس وباشكاتب ، وكاتب ، وثمانية أعضاء من التجار ، خمسة منهم من الوطنيين وثلاثة من الأجانب ، وكان بكل من الاسكندرية والقاهرة محكمة من هذا النوع وكان المديرين يجمعون بين السلطتين القضائية والادارية ، ولهم اختصاص جنائى واسع المدى يصل إلى الحكم بالإعدام ، ومن هنا جاء إسرافهم فى الظلم والإرهاق

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ص ٣٤

## النظام المالي والاقتصادي

### الملكية والضرائب

تكلمنا في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ( ص ٢٨ وما بعدها ) عن نظام ملكية الأراضي في عهد المماليك . وخلاصة ما ذكرناه أن السلطان سليم اعتبر نفسه مالكا لأراضي مصر ، وبذلك كان صاحب الأرض لا يملك رقيبتها بل حق الانتفاع بها ، وأن المماليك بسطوا أيديهم على الكثير من أراضي مصر فصارت ملكا لهم ، وبقي الأراضي موزع بين الفلاحين والملازمين والأوقاف ، وأن الفلاحين كانوا يملكون النزر اليسير من الأراضي ينتفعون بها ويتوارثونها . لكن ملكيتهم لها معلقة على دفع الضرائب والأتاوات ، وهذه الضرائب والأتاوات تدفع للملازمين ، والملازمون هم الملاك الذين يأخذون القرى والتزاما ، أي يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه على أن يلتزموا للحكومة بدفع نصيبها من الضرائب

### إلغاء نظام الالتزام

تغير هذا النظام في عهد محمد علي باشا تغيرا عظيما ، فإنه بعد أن غلب المماليك وخاصة بعد أن قضى عليهم في مذبح القلعة عمد إلى أملاكهم التي كانت تحت أيديهم واستخلصها لنفسه ، ثم ألغى نظام الالتزام ونزع الأراضي التي كانت تحت أيدي الملازمين والتي كان الفلاحون يزرعونها ويدفعون ضريبةها لهم ، واعتبرها ملكا للحكومة ، ووزع منفعتها على الفلاحين كأطيان مؤجرة ، وخول كل قادر على العمل زراعة ثلاثة أفدنة أو أربعة أو خمسة ، وبذلك آلت له حقوق الملازمين وسلطتهم ، وصارت علاقة الفلاحين بالحكومة مباشرة بعد أن كانت علاقتهم بالملازمين

وقد توصل محمد على الى الغاء نظام الالتزام بأن طلب من الملتزمين أن يطلعوه على سندات ملكيتهم ، فلما قدموها له قرر بطلانها جميعا ، واعتبر الحكومة أو بعبارة أوضح اعتبرته ذاته مالكا لجميع أراضي مصر

أحدث إلغاء نظام الالتزام استياء شديدا بين الملتزمين ، وكانوا يؤلفون طبقة كبيرة من الملاك والأعيان والمشايخ في مختلف البلدان يتعيشون منه ، فأراد محمد على أن يعوضهم شيئا مما فقدوه من مزايا التزامهم ، فأبقى تحت أيديهم ( الأتيطان الوسية ) أى التى أعطىها لإيهم ولاية الأمور من قبل للقيام بأعباء الالتزام ، فخولهم حق الانتفاع بها مدى الحياة مع إعفائهم من دفع ضريبتها ، وقرر لهم عدا ذلك معاشات سنوية تدفع لهم من إدارة الروزنامة تعادل ما كانوا يرغبون من الأتيطان الداخلة فى التزامهم ، وكان حقهم فى هذا الربح مستمدا من أساس الالتزام نفسه . فأساسه أن يعجل الملتزم للحكومة ضريبة سنة يدفعها مقدما على أن يجيبها بعد ذلك من الفلاحين ، فجعل محمد على هذه الرواتب السنوية فى مقابل ما كان يصل إلى أيديهم من إرباح الالتزام وسميت ( الفائض ) وقيدت فى الروزنامة لاسم كل ملتزم ، تدفع له مادام حيا ، على أنه مما يجدر ملاحظته أن هذا الفائض أقل بكثير مما كانوا ينالونه من مزايا الالتزام ، لأن محمد على لجأ الى طريقة تدل على ذكائه ودهائه فى حساب هذا الفائض ، ذلك أنه قبل أن يعلن عن نيته فى الغاء الالتزام طلب من الملتزمين أن يقدموا له كشوفا بأرباحهم من التزاماتهم ، وهى التى تسمى بالفائض أو فائض الالتزام ، فظنوا أن الغرض من هذا الطلب عزم الحكومة على زيادة الضريبة التى يلتزمون بدفعها للحكومة ، فأقصوا قيمة هذه الأرباح جهد ما استطاعوا ، فاعتمد محمد على باشا على هذا الحساب وحدد لهم رواتب مساوية لها . واسترد فى مقابل ذلك الأملاك التى كانت تحت يدهم التزاما

وضع محمد على إذن يده على أطيان الملتزمين ، أما الأراضى الموقوفة على المساجد ومعاهد البر والخيرات فقد تركها بدامة ذى بدء حتى لا يثير عليه هياج المستحقين والنظار ، لكنه ما لبث أن ألغاهما وضمها إلى أملاك الحكومة ، آخذا على عهدته

الإيفاق على المساجد ، ورتب للشيوخ الذين كانوا يتولون إدارة الأقطان الموقوفة معاشات سنوية ضئيلة ، ولم يبق من الأوقاف على الخيرات سوى النزر اليسير وبذلك توصل محمد على الى وضع يده على أقطان الملتزمين ثم على الأقطان الموقوفة وما يجب الإلماع اليه أنه لم يكن في مصر ملاك بالمعنى الصحيح حينما ألغى محمد على نظام الالتزام ، ولم يكن سوى الملتزمين ، ولذلك يسميهم كثير من المؤلفين الافرنج (ملاكا) ، فالغاء الالتزام كان بمثابة الغاء المملكية المعروفة في ذلك العصر ، وهي ملكية الانتفاع ، ولو ان محمد على بعد الغاء نظام الالتزام مملك الفلاحين الاراضى لكان ذلك انشاء لنظام المملكية ، ولكنه اعتبر الحكومة مالكة لجميع الاراضى ، ولم يرتب للفلاحين حقوق المملكية عليها ، بل كانت الحكومة تعد الفلاحين أجراء عندها أو منتفعين بأقطانها ، فستأجرهم للعمل في الارض بالمياومة وتعين للواحد منهم قرشاً واحداً في اليوم ، إما نقداً وإما أصنافا ، ويبقى لهم حق الانتفاع بالارض ماداموا يدفعون ضريبةها ، فإذا تأخروا عن أداء الضريبة نزعت الارض من تحت يدهم ، وأعطيت لفلاحين آخرين ينتفعون بها ، وكان للحكومة أن تنزع الارض من تحت يد من تشاء اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك دون أن تدفع له تعويضا ، وكانت تعطى الفلاحين ما يلزم الزراعة من آلات الري والحراث والمواشى ، ومأمور المركز هو الذى يحدد لكل فلاح مساحة الارض التى تعطى له ومقدار ما يخصر لكل نوع من الزراعات ، وإذا جاء الحصاد اشترت الحكومة من الفلاح حاصلاته بالثمن الذى تحدده طبقا لنظام الاحتكار ، ولا تترك الا الحبوب ثم شمل الاحتكار الحبوب أيضاً

وكان الانتفاع قاصرا على المنتفع مدى الحياة ، فلا يتوارثه أعقاباه ، على أن العمل جرى على أنه بعد وفاة المنتفع يتولى مشايخ البلاد ثم المديرين اعطاء حق الانتفاع لورثة المتوفى على سبيل المنح ، كما منح من قبل الى المورث لادلى أنه حق موروث ، ولذلك كان الفلاحون عرضة لأهواء المشايخ وتحكمهم كلما أرادوا أن يمنح لهم هذا الحق

ومما تقدم يتبين أن حق ملكية الفلاحين للأراضي الزراعية لم يتقرر في عصر محمد علي ، وإنما جاء تقريره بمقتضى قانون سنة ١٨٥٨ في عهد سعيد باشا ولا نزاع في أن إلغاء الالتزام مع عدم تقرير حق الملكية لا يمكن أن يعد إصلاحا ، بل هو أبعد ما يكون عن الإصلاح ، قال المسيو مانجان ، وهو صديق لمحمد علي : إن التعديلات التي أدخلها الباشا في نظام الملكية ، لم تكن متفقة مع الصالح العام ، فلا هو احترام الملكية الفردية ، ولا هو اعتراف بها ، كما أن الذين عجزوا عن دفع الاتوات والضرائب المختلفة التي فرضت على أملاكهم اضطروا أن يتنازلوا عنها ، وقال إنه لما أمر محمد علي بمسح الأراضي في القطر المصري زاد عدد الأقدنة بسبب تغيير مقياس المساحة وانقاص طول القصبه ، وزاد بالتالي ما يطلب على الأرض من الضرائب ، وبإلغاء الالتزام حرم الملتزمون من الأملاك التي كانوا يستثمرونها ، فالغاء الالتزام مع عدم انشاء الملكية الفردية معناه الغاء الملكية وامتلاك الحكومة لجميع الأراضي الزراعية ، ولئن كان محمد علي قد أمر بترتيب إيراد سنوى للمتزمين الذين نزعت الأرض من تحت أيدهم إلا أن هذه الرواتب لا تتوارث فكانت تسقط بوفاة الملتزم ، ويقول المسيو مانجان أيضا إن هذا النظام القاسى قد نشر الأحزان في العائلات ، وقد أسهب الجبرتي في وصف تدمير الناس من هذا النظام في حوادث ربيع الأول سنة ١٢٢٩ هـ (سنة ١٨١٤ م)

ولقد دافع بعض الكتاب الأفرنج عن هذا النظام ، ولكنه دافع ضعيف لا يرتكز على أساس صحيح ، ولم يجدوا ما يبررونه به سوى قولهم إن هذه الطريقة مكنت الحكومة من أن تنظم زراعة الأراضي على الأساليب الجديدة ، وتدخل الزراعات التي لم تكن معروفة عند الفلاحين من قبل ، وأن هذه الطريقة هي التي نهضت بحاصلات مصر الزراعية في عصر محمد علي ، وغنى عن البيان أن هذا الدافع لا يثبت أمام البحث والتحصيل ، فإن تحسين الزراعة وإدخال الزرانات الجديدة لا يستلزم جعل جميع الأراضي الزراعية ملكا للحكومة ، ولا يتعارض مع تحويل الفلاحين حق الملكية ، ولقد خول لهم هذا الحق في عهد سعيد باشا فلم تقف معه

حركة النهوض الزراعي ، بل كانت الملكية الفردية - ولم تزل من دواعي نشاط  
الفلاحين وجهدهم في العمل ، وهذا الجهد والنشاط هما قوام العمران  
على أن الذين دافعوا عن هذا النظام مثل الدكتور كلوت بك اعترفوا بأنه  
نظام مؤقت ، وأنه يمهد السبيل لتقرير حق الملكية الزراعية ، ومعنى ذلك أن حق  
الملكية هو النظام الطبيعي الذي لا ندحه عن تقريره في كل بلد من البلاد المتحضرة  
أحدث الغاء الالتزام كما قلنا تدمرا بين الملتزمين ، على أن ملتزمي الوجه البحري  
والجزيرة قد أذعنوا لأمر الحكومة ورضوا بما رتبته لهم من الفوائد السنوى  
مهما كان ضئيلا ، أما ملتزمو الوجه القبلي ، ومعظمهم من سلالة المماليك ورؤساء  
العشائر ذوى النفوذ والعصية فانهم لم يذعنوا ، واضطر محمد على أن يجردهم  
قوة حربية لإخضاعهم فغلبتهم وحرمتهم ميزة (الفائض) واضطر بعضهم الى الهجرة ،  
ونزع محمد على أملاكهم ، وأضافها الى مجموع الأراضى الزراعية التى اعتبرها ملكا له  
ولما كانت أراضى الوسيه حقا للملتزمين مدى الحياة فقط فقد شرع كثير من  
الملتزمين فى وقفها حتى لا يحرم ورثتهم من ريعها ، وزادت الوقفيات زيادة كبيرة  
حتى اضطرت الحكومة فى عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٥ الى تحويل أصحاب (الأوسى)  
حق توريثها لأحفادهم الى أن تنقرض ذريتهم فتعود ملكيتها الى الحكومة

### الأبعاديات والشفالك

ويظهر أن محمد على بعد احتكاره ملكية أطيان القطر المصرى رأى أن يخفف  
غلواء هذا الاحتكار ويقرر نوعا من الملكية الفردية ، بأن أقطع كثيرا من أعيان  
الدولة ورجال الجهادية والموظفين وبعض كبار الأعيان مساحات شاسعة من  
الأراضى البور قدرها كلوت بك بـ ٢٠٠ ألف فدان ليستحهم على إصلاحها وإحياء  
مواتها ، وبذلك يزداد عمران البلاد وتتسع الأراضى الزراعية ، وهذه الأراضى

نما لم يسمح في دفاتر التاريخ ، وقد أعفاها من الضرائب ، وسميت بأبعاد أو ابعاديات لأنها كانت مستبعدة عن مساحة فك الزمام التي عملت سنة ١٨١٣ ، ولأجل أن يستحث أصحاب تلك الأبعاديات على العمل فيها واصلاحها أصدر أمرا في سنة ١٨٣٨ بمنعهم من أن يؤجروها ويأمرهم ويؤكد عليهم أن يشتغلوا بانفسهم في إصلاحها

وخص أفراد أسرته وكبار حاشيته بأراض أخرى أوسع من الابعاديات سميت (جفالك) أو (شفالك) وأعفاها أيضاً من الضرائب ، وكانت تعطى بهذه الاطيان (تفاسيط) من مصلحة (الروزنامة) أو حجج تحرر بالمحاكم الشرعية ، وكانت كذلك في المبدأ خارجة عن الاراضى الممسوحة التي تجب منها الضرائب وحقوق أصحاب هذه الاطيان من الابعاديات والشفالك كانت مقصورة على حق الانتفاع الى أن لاحظ محمد علي أن عدم تخويلهم حق الملكية قد صرف أصحابها عن العمل لاصلاحها فقولهم حق الملكية والتصرف الشرعى فيها في أواخر حكمه (سنة ١٨٤٢)

### مساحة الاراضى الزراعية

ورأى محمد علي باشا من وسائل العمران مساحة الاراضى الزراعية في جميع المديرىات توصلا الى حصرها وفرض ضرائب ثابتة سنوية عليها ، وذلك هو (التاريخ) المشهور الذى بدأ بعمله في سنة ١٨١٣ وعهد به الى ابنه ابراهيم بك (باشا) ومعه المعلم غالى بصفته رئيس المستأجرين ، وتعد دفاتر التاريخ الى أمر محمد علي بوضعها من أهم أعماله العمرانية ، وفيها مساحة أطيان القطر المصرى المزروعة وحدود كل أطيان البلاد وأحواضها ومساحة سكن كل بلد ومساحة الاراضى المستعملة للنباتات العمومية كالترع والجسور والطرق والمدافن وعرف كل فلاح ما عليه من الضريبة ، ومنح مشايخ البلاد عن كل مائة فدان



من زمام البلد خمسة أفدنة لا يدفعون عنها ضريبة مقابل خدماتهم للحكومة وإيواء  
من يحضر اليهم من الموظفين ، وقد سميت هذه الأقطان ( مسموح المشايخ ) أو  
مسموح المصطبة

على أن معظم هؤلاء المشايخ ساءت تصرفاتهم واستبدوا بتسخير الفلاحين في  
خدمة أراضيهم وكثرت شكاوى الناس منهم ، فأمر سعيد باشا سنة ١٨٥٨ بإبطال  
مسموح المشايخ وضم تلك الأراضي إلى زارعها من الفلاحين بأعلى ضريبة في  
كل بلد

وكانت مساحة الأراضي المزروعة سنة ١٨٢١ مليوني فدان ، وبلغت سنة ٨٤٠  
٣٨٥٦٠٠٠ فدان <sup>(١)</sup> أي أنها بلغت الضعف تقريبا في مدى عشرين عاما

### الضرائب

لم يكن للضرائب قاعدة أو نظام قبل أن يسمح محمد علي بأرض مصر ( سنة  
١٨١٣ ) بل كانت القاعدة أنه كلما احتاجت الحكومة إلى المال فرضت أتاوة جديدة  
أو زادت الأتاوات القديمة

وقد كان محمد علي يستشير العلماء فيما يفرضه من الضرائب ، وذلك في السنوات  
الأولى من حكمه ، إلى أن تخلص من نفوذ السيد عمر مكرم فأطلق يده في فرض  
ما يشاء من الضرائب والأتاوات كلما احتاج إلى المال ، وعظمت حاجته إلى  
الأموال يجيها مناسبة الحملة على الوهابيين ، فانها اقتضت نفقات طائلة ، ولما اخفقت  
الحملة الأولى جهز حملات أخرى واحتاج إلى أموال جديدة ، ففرض ضريبة على  
أراضي الرزق التي كانت معفاة من المال من قبل ، فشكا المشايخ والاهلون من أن  
مثل هذه الضريبة تؤدي إلى ضياع غلة الأقطان الموقوفة على المساجد والمعاهد

(١) إحصاء كلوت بك ج ٢ ص ٢٦٤ ( من الأصل الفرنسي )

الدينية والأسبلة والمنشآت الخيرية ، ولسكن هذه الشكوى لم تلق قبولا

ولما تمت عملية مساحة أطيان القطر المصرى قررت الحكومة فرض ضريبة ثابتة على الأطيان ، وفرزت الأراضى الزراعية إلى درجات بحسب قيمتها ونوعها وجعلت لكل درجة ضريبة محدودة ، فقدرت الضريبة على كل فدان بأربعة قروش ونصف على الأقل فى عموم القطر ، وبخمس وأربعين قرشاً أو تسعة وأربعين قرشاً على الأكثر ، ثم عدلت الضرائب غير مرة على مر السنين بوضع تقسيحات جديدة للأراضى ومراتبها ، وكان الغرض من هذه التعديلات زيادة سعر الضريبة وبالتالى زيادة مايجب منها ، وحجة محمد على فى هذه الزيادات أن الإصلاحات التى قام بها والحروب التى باشرها استنفدت إيرادات الحكومة ، فكان لامندوحة له عن زيادة الضرائب ، كما أنه استحدثت ضرائب جديدة لسد العجز فى ميزانية الحكومة

وكان من نتائج زيادة الضرائب وافتقار الأراضى الى الأيدى العاملة بسبب تجريد الآلاف من الفلاحين فى الجيش أن تأخرت قرى كثيرة عن أداء نضيبها فى الضريبة ، وهجر كثير من الفلاحين بلادهم لفداحة الضرائب ، ففكر محمد على فى ابتكار الوسائل لإداء المنكسر من الخراج ، فقرر وقتاً ما ( سنة ١٨٢٩ ) تضمين القرى خراج القرى المجاورة وتضمين الأهالى الموسرين خراج المعسرين ، على أن هذه الوسيلة كان لها نتائج سيئة ، لأنها فضلاً عما فيها من الظلم والحيف فأنها تودى الى إفقار القرى الموسرة واجبارها على دفع الضرائب أضعافاً مضاعفة

ففكر فى طريقة أخرى وهى نظام المهدد ( جمع عهدة ) ، وذلك أنه عهد الى بعض الأعيان والمأمورين ورجال الجهادية أن يكون فى (عهدتهم) جباية ضرائب بلادها كلها ، على أن يكونوا مسؤولين عن الدفع من مالهم الخاص اذا لم يجبوها ، ولا ريب أن هذا النظام قريب الشبه بنظام الالتزام الذى الغاه محمد على ، على أنه يختلف عنه فى كون (المتعهد) لا يستطيع أن يجبي من أصحاب الأراضى إلا الضريبة المحددة ، أما الملتزم فكان يجبي منهم ما تشاء أهواؤه وأطماعه .

على أن مركز الفلاح لإزاء ( المتعهد ) لم يكن مما يغبط عليه ، لأن المتعهد بما التزم به من أداء الضريبة كان يسخر الفلاح لأطاعه لأنه يعتد نفسه كالدائن الذي يسدد عهده دينه ، وكانت الحكومة ملزمة إذا هجر الفلاحون بلادهم أن تعيدهم إليها حتى يستوفى المتعهد منهم ما دفعه عنهم ، وفي هذا من مطاردة الناس وإرهاقهم ما لا يغيب عن البال

ولقد أحدث نظام ( العهد ) مساوى كثيرة ، فألغته الحكومة سنة ١٨٥٠ إذ أصدرت أمرا باسترجاع البلاد من المتعهدين ، على أنها انعمت على بعضهم بما كان في أيديهم من العهد وجعلتها لهم رزقة بلا مال يملكون رقبته ومنفعتها ملكا مطلقا ، وسمحت لآخرين من المتعهدين بأن يتمتعوا مدى حياتهم بمنفعة العهد التي كانت في أيديهم <sup>(١)</sup>

### فرضة الرؤوس أو الضريبة على الدخل

هي ضريبة تجبى من الأفراد على اعتبار أنها جزء من اثنى عشر جزءا من المال المفروض أنه يعدل الدخل ، وهذه الضريبة مفروضة على الذكور المراهقين كافة متى بلغوا الثانية عشرة من عمرهم ، وتختلف تبعا لتفاوت الناس في الثروة من ١٥ قرشاً إلى ٥٠٠ قرش في السنة ، وتجبى هذه الضريبة في المدن عن النفوس ، وفي القرى عن المنازل ، ويبلغ ما يحصل منها عادة سدس إيراد الحكومة

### ضرائب أخرى

وهناك ضرائب أخرى تجبى على الماشية، فالبقرة والجاموس يدفع عنها عشرون

---

(١) عاد العمل بنظام العهد مرة أخرى في عهد اسماعيل باشا الى أن صدر قرار مجلس شورى النواب في ١٦ شعبان سنة ١٢٨٣ ( ١٨٦١ م ) بفك عهد البلاد ابتداء من سنة ١٢٨٤ لمساواة الأهالي بعضهم ببعض ( م - ٤٠ )

قرشا للرأس الواحد في السنة ، وسبعون إذا كانت تباع للجزارين وتخصص للذبح على أن تبقى جلودها ملكا للحكومة ، والجمل والنعاج يدفع عن الرأس الواحد منها أربعة قروش ، وقوارب النقل يدفع عن كل قارب منها ٢٠٠ قرش ، والنخيل يدفع عنه ضريبة تختلف بحسب أصناف محصوله ومتوسطها قرش ونصف عن كل نخلة ، وقوارب الصيد يدفع عنها ضريبة

## نظام الاحتكار

احتكار الحكومة للحاصلات الزراعية والاتجار بها

إن الكلام عن نظام الملكية والضرائب يتبع الكلام على الاحتكار للارتباط بينهما ، ذلك أنه كان مألوفا من عهد المماليك أن تجبي الضرائب نوعاً من حاصلات الأرض ، ولم يكن الفلاحون الذين خولهم محمد على حق الانتفاع بالأراضي من اليسار بحيث يستطيعون أداء الضريبة نقداً في موعدها ، كما أن الحكومة من جهة أخرى كانت تعطي الفلاحين أدوات الزراعة والمواشي والبزور التي يحتاجون إليها قرصاً . فكانت قيمتها ديناً عليهم يجب أن يؤدوه مع الضرائب ، وهم كما قدمنا عاجزون عن أدائها نقداً لما كانوا عليه من الفقر والفاقة ، لذلك أذن محمد على باشا للفلاحين أن يؤدوا الضريبة صنفاً من حاصلات أراضيهم ، وأنشأ في المديرية شونا (جمع شونة) لتحتفظ فيها الحاصلات التي تجبي من الفلاحين ، ومن هنا سارت الحكومة مالمسكة لمعظم حاصلات القطر المصري الزراعية

وكانت الحكومة تتولى بيعها للأهال ولتجار الجملة من الأجانب الذين يصدرونها للخارج ، وتتولى هي أيضاً تصديرها لحسابها وبيعها في ثغور فرنسا وإيطاليا والنمسا وإنجلترا ، فربحت من هذا العمل أرباحاً طائلة ، فكانت هذه الأرباح مغرية لها باحتكار حاصلات القطر المصري والاتجار بها

وذلك أن محمد على قرر أن تحتكر الحكومة جميع الحاصلات الزراعية بحيث يحظر على الفلاحين أن يبيعوها إلى التجار ، وفرض عليهم أن يبيعوها للحكومة بأثمان تقررها هي ، فصارت الحكومة محتكرة لتجارة حاصلات القطن المصرى بأكملها ، وهكذا تسلسل نظام الاحتكار ، فبعد أن تملكست الحكومة معظم الأراضى الزراعية واحتكرتها بالغاء نظام الالتزام واسترداد أملاك الملتزمين والغاء معظم الأوقاف ، احتكرت كذلك الحاصلات الزراعية ، أى أن الحكومة صارت المالكة للأراضى الزراعية ثم المحتكرة لحاصلاتها جميعا . فلم يكن للفلاح ملكية لأعلى الأرض ولا على ما تنتجه !

قررت الحكومة إذن شراء الحاصلات من الفلاحين بأثمان تحددها هي ، وكانت تخصم من الثمن ما عليهم من الضريبة وتدفع لهم الباقى نقداً وصارت هي التى تتولى التصرف فى الحاصلات وبيعها والانتجار بها وتصديرها ، وشمل الاحتكار حاصلات القطن المصرى بأجمعها كالقطن والأرز والغلل والقمح والنبيلة والسكر والأفيون الخ وصار الفلاحون إذا احتاجوا للغلل للقوت يضطرون إلى شرائها من الحكومة ثانية ، وكثيرا ما يحدث أن ترفع الحكومة سعر البيع لترجى من ثمن المبيع ، فنشئت الضائقة بالناس وترتفع أسعار الغلال فى الوقت الذى تفيض بها مخازنها ولا جرم أن هذه الوسيلة وإن كانت تعود على الحكومة بالمكاسب (زمناما) إلا أنها من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية تشل حركة التقدم الاقتصادى ، لأن إجبار الفلاحين على بيع حاصلات أراضيهم للحكومة وتحديدتها على سعر البيع ، عمل ينطوى على الظلم والإرهاق ، وفيه مصادرة لحق الملكية وحرمان المالك من الاستمتاع بحقه . ومن الانتفاع من نزاحم التجارة على الشراء ، ذلك النزاحم الذى ينجم عنه مضاعفة الثمرة للبائع ، كما أن العمل بمثل هذا النظام يقتل كل همه فردية ويقبض أيدى الناس عن العمل ، ومن ثم يحول دون تقدم البلاد ادبيا وماديا ، ويضرب على الشعب حجبا من الفقر والجمود

وقد ذكر الجبرتي احتكار الحكومة للغلل والسكر فى حوادث سنة ١٢٢٧ هـ

(١٨١٢) وسنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥) ، وذكر في حوادث ذى القعدة سنة ١٢٣١  
(١٨١٦ م) اختكارها حاصلات السكتان والسهم والعصفر والنيلة والقطن  
والقرطم والقمح والبول والشعير والأرز ، وذكر في حوادث جمادى الأولى  
سنة ١٢٣٢ هـ (مارس ١٨١٧) اشتداد أزمة الأقوات بسبب الاحتكار

ولم يفتم معظم كتاب الافرنج انتقاد هذا النظام فيما كتبوه عنه ، فقد قال  
المسيو موريه : « إن هذا الاحتكار هو الجانب السوء في تاريخ محمد علي ، ، وقال  
المسيو مريو Merruau<sup>(١)</sup> : « لاجابة بنا إلى الإطالة في -يوب نظام الاحتكار كما  
وضعه محمد علي ، لقد ربح الباشا منه أرباحا طائلة ، لكنه أفضى إلى فقر الفلاحين  
المدقع وكاد يهوى بهم إلى المجاعة لولا ما اعتادوه من القناعة وشظف العيش ،

### احتكار الصناعة

سرى مبدأ الاحتكار من الزراعة والتجارة إلى الصناعة . فبعد أن صار محمد  
علي المالك الوحيد لأراضى مصر ، ثم التاجر الوحيد لحاصلاتها ، صار الصانع الوحيد  
لصنائعها ، والظاهر أنه رأى الاحتكار مما يزيد إيراد الحكومة لأنه يفتح بابا جديدا  
للربح ، فعمد إلى احتكار الصناعة ، لكن هذه الطريقة أضرت بالحالة الاقتصادية  
في مصر ضررا بليغا

قال المسيو مانجان في هذا الصدد : « كان في البلاد صناعات يتولاها الأفراد  
ويربجون بما يبيعونه من مصنوعاتهم إلى أهل البلاد ، وما يصدرونه منها للخارج ،  
كنسيج أقشمة السكتان والقطن والحرير وصناعة الحصر والجلود واستقطار ماء  
الورد وصبغ النيلة وغير ذلك (٢) ، وكانت هذه الصناعات تشغل عددا من السكان

(١) في كتابه « مصر الحديثه » ، (١٨٤٠ - ١٨٥٧)

(٢) ذكرنا أنواع الصناعات الصغرى الموجودة في ذلك العصر تفصيلا في الجزء

الأول من « تاريخ الحركة القومية » ، ص ٥٤

يرجعون منها نحو ثلاثين ألف كيس كل سنة ( ١٥٠٠٠٠ جنيه ) ولسكن محمد علي احتكر هذه الصناعات وأضاف أرباحها إلى حسابه وبعد أن كان الصناع يستثمرون هذه الصناعات صاروا يعملون فيها لحساب الحكومة ، ويقبضون رواتب معلومة ، كعمال مأجورين ، وقال إن من نتائج هذا النظام أن كثيرا من صناعات النسيج فضلوا ترك صناعاتهم واشتغلوا بالزراعة وآثروها على الاشتغال عمالا لحساب الحكومة والاستهداف لسوء معاملة موظفيها ، وان المصنوعات في نظام الاحتكار قد هبطت جودتها عما كانت عليه حين كانت الصناعة حرة ولا غرو فان الصانع الذي لا يعمل لحسابه لا يتقن العمل كما يتقنه لو كان ربحه عائدا اليه ، وقال إن احتكار الصناعات قد أضر بالأهالي ، لأن الاحتكار من طبيعته أن يتلف مصادرات الثروة ، ويحرم الصانع نتيجة كده وتعبه ،

وقد ذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٣١ و ١٢٣٢ هـ ( ١٨١٦ و ١٨١٧ م ) احتكار الحكومة صناعة الغزل والنسيج وما أحدثه الاحتكار من الضيق وارتفاع أسعار المنسوجات وكيف أنه شمل كل ما يصنع بالمسكوك وما ينسج على نول أو نحوه من جميع الأصناف من ابريسم وحرير وكتان الى الخيش والفل والحصير في سائر الإقليم المصري طولا وعرضا من الاسكندرية ودمياط إلى أقصى بلاد الصعيد ، وذكر أيضا في حوادث ذي الحجة سنة ١٢٣٥ ( سبتمبر سنة ١٨٠٠ ) احتكار الحكومة للصابون وتجارته والباج بأنواعه والعسل وصناعة الخيش والقصب والتلى الذي ينسج من أسلاك الذهب والفضة للتطريز والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس

#### مالية الحكومة وميزانيتها السنوية

من كلامنا عن نظام الحكم نبين في الجملة موارد الحكومة المالية من الضرائب والعوائد وأرباح الاحتكار

وقد بنيت ميزانية الحكومة في عصر محمد علي على هذا الأساس ، والآن نذكر مفردات الميزانية من إيراد ومصروفات عن سنة ١٨٢٣ كما أحصاها المسيو مانجان (١) ، ومنها يُعرف نظام الحكومة المالي في تطبيقه وتنفيذه ، وقد أورد المسيو مانجان مفردات الميزانية بالأكياس ، ولما كان السكيس مقداره خمسمائة قرش فقد حولناها الى جنيهات لسهولة البيان

ميزانية سنة ١٨٢٣ - مفردات الإيرادات

جنيه

١٠١٢٥٠٠٠٠

الميرى أو الضريبة العقارية

٢٥٠٠٠٠٠

فريضة الرموس أو ضريبة النفوس

١٨٠٠٠٠٠

العوائد (٢) على الحبوب

ربح الحكومة من احتكار الأصناف الآتية وهى :

القطن ، والنيلة ، والأفيون ، والسكر ، والنيدز ، والأرز ،  
والعسل ، والشمع ، والحناء ، وماء الورد ، وبزر السكتان ، وبزر  
السمسم ، وبزر الخس ، وبزر القرطم ، والحرير ، والزعفران ،  
والنتر

٤٥٠٠٠٠٠

٦٠٠٠٠٠

ربح الحكومة من نسيج الأقمشة وبيعها

٤٧٥٠٠٠

» » » فريقة الأثواب الحريرية

٣٠٠٠٠٠٠

٣٦٧٦٥

» » » دمياط وبولاق

٨٠٠٠٥

» » » مصر القديمة

(١) ج ٣ ص ١٥٠

(٢) تجريبها الحكومة على الغلال التي تنقل من بلد الى آخر



جنيه

٣٠٠٠٠٠	دخل الحكومة من جمر ك السويس والقصير
١٠٣٥٠	د د د د اسوان
١٣٠٧٥٠	رسوم الصيد في بحيرة المنزلة
١٧٠٥٠٠	د الملح والمراكب والاسماك
١٠٠٠٠	المسكوس على البضائع السورية الآتية من طريق البر
٢٢٠٠٠٠	ربح الحكومة من الجير والمصيص والاحجار
١٣٠٨٥٥	عوائد السوائل
١٠٣٠٠	عوائد السنامكي
٢٠٩٠٠	د الصيد في بحيرة قارون والمسكوس بالفيوم
٣٥٠٠٠٠	ربح الحكومة من الجلود الخام والمدابغ
١٦٠٠٠٠	المسكوس في الوجه البحري والقبلي
٢٠٥٠٠	عوائد الراقصات والموسيقين والحواة
١٠٠٠٠٠	د المواشي المخصصة للذبح
٢٠٢٥٠	د صب الفضة والمقصب
٦٠٠٠٠	رسوم التراكات ( بيت المال )
٢٠٠٠٠	عوائد الوكائل والأسواق في الوجه القبلي
٣٠٢٠٠	رسوم الخرج
١٥٠٠٠٠	ربح دار الضرب ( الضربخانه )
٤٠٠٠٠	ربح بيع الحصر
٣٠٠٠٠	د د النظرين
١٠٥٠٠	د د الصودا بالاسكندرية
٢٠٠٠٠	د د ملح النشادر

جنيه	
٢٠٠.٠٠	عشور النخيل
١٢٠.٠٠٠	أجرة السفن المملوكة للحكومة
ج ٢٠٥٢٥٠٢٧٥	بمجموع الإيرادات

مفردات المصروفات

ج ٦٠٠.٠٠٠	ميزانية الجديس
١٩٩٢٩٥	مرتبات كبار الضباط ورؤساء المصالح
١٠٠.٠٠٠	و السكّنة والموظفين
١٧٥٠٠	معاشات الملتزمين الذين الغى التزامهم
١١٠.٠٠٠	نفقات قافة الحج
١٠٨.٠٠٠	نفقات الفابريقات وأجور العمال
٩٠.٠٠٠	نفقات إنشاء القصور والفابريقات والقناطر والجسور
٦٠.٠٠٠	أموال مرسلة إلى الاستانة
٣٠٠.٠٠٠	ميزانية موظفي البحرية ورجالها
٥٠.٠٠٠	مخصصات اصيانة قصور نائب الملك ( محمد علي )
٢٥.٠٠٠	مخصصات غذائية للموظفين
٣٢.٥٠٠	أجور الخيالة الترك غير النظاميين ( الباشبوزق )
٢٥.٠٠٠	أجور العربان
٣٠.٠٠٠	معاشات الأراامل والنساء
٧٥.٠٠٠	أشياء مجلوبة من أوروبا برسم الفابريقات
١٦.٥٠٠	مصاريف ترسانة بناء السفن في بولاق

جنيه	نفقات المدرسة الحربية (١)
٧٥٠٠	المطبعة
١٧٥٠	إنشاء السفن الحربية
٧٧٥٢٥	مخصصات غذائية لنائب الملك
٢٠٠٠٠	ثمن مهمات حربية
٧٠٠٠٠	المعينات لعلف الجمال والبغال والخيول
١٢٥٠٠	مخصصات لإدارة مشتريات السكشامير
٧٠٠٠٠	والأجواخ والأثواب الحربية والجواهر النخ
<hr/>	مجموع المصروفات
١٠٧٠٩٩٩	

ويقول المسيو مانجان إن زيادة الإيراد عن المنصرف لا يفيد بقاء متوفر نقدي في خزانة الحكومة ، فإن الإيراد كان ينقص في آخر السنة عن تقدير الميزانية ، ففي كل عام يبقى جزء من الميرى غير مسدد من أصحاب الأطيان وقد تخسر الحكومة في تجارتها بالأصناف التي احتكرتها بسبب إفلاس بعض التجار ممن يتباعون منها تلك الأصناف ، وكذلك كانت تقع اختلاسات في الجمارك مما يؤدي ذلك إلى نقص صافي الإيرادات بحيث لا يتوفر منها شيء في الخزانة في ختام العام

#### مقارنة بين ميزانيات بعض السنوات

وإذ قارنا ميزانيات بعض السنوات في عصر محمد علي يتبين مبلغ التقدم المطرد في مالية الحكومة

(١) لاحظ مانجان على هذه الميزانية خلوها من نفقات المدارس عامة وكذلك نفقات البعثات العلمية ، ويلاحظ أيضا أنه لم يرد بها سوى نفقات مدرسة حربية واحدة على تعداد المدارس الحربية

المصروفات	الايادات	السنة
ج ٩٤٧٠٠٩٠	ج ١٩٩٧٠٠	١٨٢١
ج ١٠٩٩٩٠٧٠	ج ٢٠٥٢٥٢٧٥	١٨٢٣
ج ٢٠١٧٦٠٨٦٠	ج ٢٠٩٢٦٠٦٢٥	(١) ١٨٤٢

---

(١) والآن (١٩٢٨ - ١٩٢٩) بلغت ايرادات الحكومة ٩٧٥٠٣٦٦٠ ج  
والمصروفات ٥٥١٠٢٢٩٠ ج وفي سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٥ بلغت ايراداتها المحصلة  
٥٢٨٠٧٣٠ ج ومصروفاتها الفعلية ٠٠٠٠٠٠ ج ٨٢٠٠٩٧٠ ج

## الفصل الخامس عشر

### الحالة الاجتماعية

تطوّرت حالة مصر الاجتماعية نظورا وبميد المدى في عصر محمد علي ، فتكونت هيئة اجتماعية تختلف كثيرا عما كانت عليه من قبل

#### عدد السكان

كان سكان مصر في أواخر القرن الثامن عشر يبلغون ثلاثة ملايين نسمة ، وإذا أخذنا بإحصاء المسيو مانجان عن سنة ١٨٢٣ فان عددهم كان تلك السنة ٤٠٠٤٠١٤٠٢ وهذا النقص في العدد له أسباب معقولة ، فان سكان مصر قد نقصوا في عهد الحملة الفرنسية والسنوات التي أعقبتها ، وفي أوائل حكم محمد علي ، لسكثرة الفتن والثورات والحروب التي أفنت عددا كبيرا من السكان وأنقصت النسل ، على أن الإحصاء الذي عمل سنة ١٨٤٥ دلّ على زيادة عدد السكان الى ٤٤٠٤٦٦٠٤٠٤ نسمة ، فلنتكلم عن طبقاتهم وحالتهم الاجتماعية في ذلك العصر

#### طبقات المجتمع

أسلفنا الكلام في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ( ص ٤٨ ) عن حالة مصر الاجتماعية في أواخر القرن الثامن عشر ، ويئسنا أن سكان مصر في ذلك العصر كانوا فئتين : فريق الحكام ، وفريق المحكومين ، فالحكام هم فئة المماليك

الذين استبدوا بحكم البلاد السنين الطوال ، والمحكومون هم الشعب المصري بطبقاته الاربع التي فصلنا الكلام عنها وهم طبقة العلماء ، وطبقة الملاك والتجار ، وطبقة المزارعين ، وطبقة الصناع

### الهيئة الحاكمة

تبدلت طبقات المجتمع في عصر محمد علي ، فبادت فئة المماليك ، ولم يعد لهم حول ولا قوة ، بل لم يعد لمعظمهم وجود ، وآل الحكم الى محمد علي باشا وأسرته ، ولا يغيب عن البال أن محمد علي أصبح بولايته الحكم بارادة زعماء الشعب جزءاً من الهيئة الاجتماعية المصرية ، وأنه قد تمسّر واستعرب ، فأسس دولة مصرية ، وجيشاً مصرية ، وأسطولا مصرية ، وثقافة مصرية عربية ، واندجت شخصيته في شخصية مصر ، فأصبح مصرية حكا وسياسة وعملا . وزاد في هذا الاندماج أنه رهن مصيره ومصير أسرته بمركز مصر ومستقبلها ، واتخذ مصر موطناً له كما اتخذ نابليون السكورسيكي الاصل الايطالي الجنس فرنسا موطناً له ، ورضيت هي به عاهلاً لها وموضع نحرها

ومما أكد ارتباط محمد علي بمصر واندماجه فيها اعلانه الحرب على تركيا ومناصبته اياها العدا ، وحرابه المتواصلة عليها ، فقد جعلت هذه الحروب لمصر وحاكمها شخصية منفصلة عن السلطنة العثمانية ، واستمد محمد علي قوته من الجيوش المصرية ، ونال انتصاراته الحربية اسم مصر ، وحساب مصر وعظمتها ، وانقطعت الصلات القديمة التي كانت تجعل ولي الأمر في مصر نائباً عن سلطان تركيا ، بل انقطعت الروابط بين مصر وتركيا ، وصار لمصر شخصية مستقلة أظهرها محمد علي واندمج فيها ، ومن هنا يبدو لك الفرق عظيم بين حكم الامراء المماليك وحكم محمد علي باشا ، فالمماليك بحكم ابياعهم أصلاً من أسواق الرقيق وادتمادهم على هذا المصدر في تأليف بطانهم وأشباعهم وجنودهم ، كانوا يستمدون كيانهم وقوتهم من

مصدر خارجي ، فهم أبداً يعدون أنفسهم عنصراً منفصلاً عن البلاد ، وهم لذلك ولقلة تناسلهم لم يندمجوا في الهيئة الاجتماعية المصرية ، ولا كان لهم بها صلة ما ، أما محمد علي والأسرة المحمدية العلوية فقد استمدوا قوتهم ومجدهم من قوة الأمة المصرية ، ولعلك تذكر في كلامنا عن الجيش المصري النظامي أن محمد علي لم يستطع تأليفه من العناصر غير المصرية ، كالأرناؤود والترك والدلاة وغيرهم لما فطروا عليه من التمرد والعصيان ، وأنه لم يوفق لإنشائه إلا من صميم المصريين ، فالقوة الحربية التي شاد عليها محمد علي ملكه ، والتي هي عماد الدرل والممالك ، كانت مادتها مصرية ، وعنصرها مصري ، وهذه الاعتبارات قد قضت على ما في نفس محمد علي من العواطف القديمة نحو تركيا ومقدونيا ، وزادته اندماجا في مصر

وهذه الحقيقة تنطبق كذلك على أعوانه ممن كانوا في الأصل من أصل غير مصري ، فكثير منهم كانوا من سلالة تركية أو مقدونية ، ولكن الحروب التي اشتركوا فيها تحت لواء محمد علي و ابراهيم قد فصلتهم عن موطنهم الأصلي وأدبجتهم في مجموعة الشعب المصري ، فصارت مصر وطنا خالدا لهم ولأسراتهم وذرائعهم ، حاربوا من أجلها ، وبذلوا جهودهم وأرواحهم ودمائهم في سبيل رفعتها ومجدها ، وهؤلاء قد اندمجوا في الشعب وصاروا جزءاً من الهيئة الاجتماعية المصرية الجديدة ولا غرابة في ذلك فإن من مميزات مصر أنها تدمج في كيانها العناصر والقوميات التي تتصل بها برابطة الفتح أو التوطن ، وتصبغها على الزمن بصبغة القومية المصرية ، ولقد عبر ابراهيم باشا عن هذا الشعور بحديثه الذي نقلناه عنه (ص ٢٤٧) وذكر البارون (بوالسكونت) ، حديثاً آخر لمصطفى مختار بك ياور ابراهيم باشا وملازمه في حروب سوريه والأناضول (وزير المعارف العمومية في عهد محمد علي) قال فيه : « اننا وان كنا في الغالب مولودين في تركيا لسكننا قد اكتسبنا الجنسية المصرية بحكم التوطن ، وأنتم معشر الفرنسيين تعترفون بالجنسية الفرنسية لمن يقيم بفرنسا عشر سنوات ، أما نحن فقد جئنا مصر قبل أن تتجاوز سن الصبا ، فلسنا الآن أتراكا ، ولم يبق فينا ما يربطنا بهذا الشعب الذي لا يترك في طريقه أينما سار

سوى دلائل الخراب ، ولقد اندمجنا في أمة أخرى أرقى وأنبل وأذكى من الأمة التركية ، اندمجنا في تلك الأمة العربية التي سبقت أوروبا إلى الحضارة وازدانت أيام عزها وسؤدها بذلك العمران الذي يتجلى للناظرين في المدن الزاهرة التي أنشأتها والعمائر الجميلة التي أقامتها ،

فأول عمل سياسي واجتماعي لمحمد علي أنه أدمج شخصيته وشخصية أسرته في كيان مصر وقوميتها ، وكذلك نحنا نحوه أعوانه في الحكم ممن كانوا في الأصل من عنصر غير مصري ، وهنا يبدو لك جانب من عبقرية محمد علي ، فلقد كان في بداءة حكمه لا يعدو أن يكون واليا من ولاية السلطنة العثمانية ، فلو أنه هذا حدوهم وكان على شاكلتهم لتعصب للجنسية التركية وعمل على تتركب المصريين كما عمل ولاية السلطنة العثمانية إذ كانوا دائبين على تتركب العناصر العربية ، فيحاربون اللغة العربية ، والقومية العربية ، ويثرون في هذا السبيل الفتن والثورات في مختلف الانحاء ، ويضعون القيود والعقبات امام تقدم الشعب ، لكن محمد علي باشا عمل على نقيض تلك ، السياسة فأحيا القومية المصرية واندمج فيها واقتادها الى الامام ، وأسس دولة مصرية ، وعرشا مصرياً ومملكة مصرية

ويكفيك لتبين مبلغ عمله في إحياء القومية المصرية ان الثقافة التي نشر لواها في مصر كانت ثقافة مصرية عربية ، وانه لم يشكر يوماً في انشاء ثقافة تركية أو مقدونية ، وان الفضل يرجع اليه في بعث اللغة والآداب العربية من مرقدتها بعد أن ظلت مئات السنين ذاوية مضمحلة في عهد الحكم التركي وحكم المماليك

اندمج إذن محمد علي واسرته واعوانه في الحكم في الهيئة الاجتماعية ، ولا شك ان اندماج هذا العنصر فيها قد قواها وبعث فيها روحاً جديدة كان لها أثرها في تقدم مصر السياسي والاجتماعي ، صحيح ان فئة من المصريين الذي كانوا من عنصر تركي أو مقدوني قد ظلوا ينظرون الى المصريين الصميمين بعين الزرابة ، واستمرت هذه الحالة النفسية حتى صارت مع الزمن من بواعث الثورة العربية ، لسكنها كانت تتلاشى تدريجاً ، وأدى تطور الحوادث الى نحو الفوارق بينهم ، وصارت القومية



المصرية مفخرة المندمجين فيها وموضع حُبهم وتقديسهم ، وقد ساعد على نحو هذه الفوارق ما اكتسبته سلالة الترك والمقدونيين المتمصرين من الثقافة والتهديب في المدارس والمعاهد التي أسسها محمد علي باشا ، فإن هذه الثقافة قد صبغت شبابهم بالصبغة المصرية ، فتلاشت الفروق القديمة التي كان يشعر بها آباؤهم ، وكذلك ساعد على نحوها اتصالهم بالمجتمع المصري بصلات النسب والمصاهرة ، واندماجهم في الأهالي ومشاركتهم إياهم في الحياة الاجتماعية باشتغال الكثيرين منهم وخاصة سكان الأقاليم بالتجارة وزراعة أملاكهم ، ومساهماتهم في أعباء الخدمة العامة

هذا بالنسبة إلى محمد علي وأسرته ورجالات دولته ، وهم قوام الهيئة الحاكمة ، وإتماما للسكلام عن هذه الهيئة يجب أن نتكلم عن الطبقة المتعلمة التي اشتركت في الحكم ، فلا يعزب عن الذهن أن المدارس التي فتحها محمد علي والبعثات العلمية التي أرسلها إلى أوروبا قد كونت عنصرا جديدا من صميم المصريين كان له فضل كبير في تقدم المجتمع المصري والإدارة المصرية ، ذلك هو عنصر الشباب المتعلم الذي ثقفته العلوم والمعارف ، فنهض بالهيئة الاجتماعية المصرية نهضة كبرى ، وكان رسول العلم والحضارة والعمران في ربوع وادي النيل ، في المدن والقرى والأقاليم ، وتولى الوظائف العامة في عصر محمد علي وخلفائه ، فاضطلع بأعبائها في الحربية والبحرية والإدارة والتعليم والمالية والصحة والأشغال العمومية ، وعلى يده تمت منشآت الري والعمران ، كفتح الترعة وإقامة القناطر وإنشاء المدارس والمعاهد والمستشفيات وبناء القصور والثكنات والقلاع والاستحكامات والمصانع والزرسانات والموانئ والمناسير والسفن الحربية والتجارية وغير ذلك من المنشآت العامة

فالهيئة الحاكمة في عصر محمد علي كان قوامها شخصية محمد علي وأسرته ورجالات حكومته وخريجي المدارس والمعاهد والبعثات العلمية ، ونظرة بسيطة في تأليف هذه الهيئة تدل على مبلغ التقدم الذي تدرج إليه نظام المجتمع في ذلك العصر ، قياسا إلى ما كانت عليه الهيئة الحاكمة في عصر المماليك ، فالحكام المماليك كانوا

خليطاً من أجهل العناصر لم يهذبهم تعليم ولا عرفان ، فلا جرم أن بقيت إدارة الحكومة في عهدهم مثلاً لاحظ نظم الحكم ، وقد بينا في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، مبلغ ما وصل إليه انحطاط نظام الحكم في عصرهم وما أفضى إليه من التأخر في حالة البلاد الاجتماعية والعلمية ، أما الهيئة الحاكمة في عصر محمد علي فقد نالت حظاً كبيراً من الرقي وخاصة بعد ما خرجت البعثات والمدارس الحديثة عدداً كافياً من الشباب المتعلم ، ولا شك أن هذا الرقي قد نهض بالأداة الحكومية ورفع مستواها في مختلف الأعمال ، فإنشاء الدواوين وتنظيمها ، وتأسيس المعاهد والمدارس ، ونشر لواء الحضارة والعلوم هو أثر من آثار الهيئة التي تولت الحكم في عصر محمد علي ثم في عصر سعيد وإسماعيل

فالطبقة المتعلمة في المدارس والبعثات - وهي الطبقة الممتازة من طبقات المجتمع - بدأت في الظهور على عهد محمد علي ، وقد كان لها فضل كبير في ترقية مستوى الهيئة الاجتماعية ، ومنهم من لعبوا دوراً كبيراً في حياة مصر السياسية أو العلمية في عهده وعهد خلفائه ، أمثال شريف باشا وعلي باشا مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي ومظهر باشا وبهجت باشا وغيرهم ممن ترجمنا لهم

ويكفيك أن تلقي نظرة على كثير من المعاهد والمباني العامة التي أنشئت في ذلك العصر وتحصر ثمراتها لتعرف أثر ذلك العنصر الجديد من الهيئة الحاكمة في تقدم مصر وتطور الهيئة الاجتماعية المصرية

هذه كلمتنا عن الهيئة الحاكمة ، وإذ تكلمنا عن الحكام فلنتكلم عن المحكومين ، ولنستعرض الطبقات الأخرى من الشعب وما طرأ عليها من التبدل في عصر محمد علي

### الأزهر والعلماء

فالعلماء هم الطبقة التي كان لها في عهد المماليك النفوذ العظيم والتأثير الكبير في الأمة وقيادة أفكارها كما أوضحنا ذلك في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ،

وكانت لهم الزعامة الأدبية والسياسية بين الجماهير، واليهم يرجع تدير الحركات الشعبية التي ظهرت على مسرح الحوادث السياسية في عهد الحملة الفرنسية، وبعدها انتهاءها، وهم الذين أناروا الشعب على حكم المماليك ثم على الوالي التركي، كما تراه مبسوطاً في الجزأين الأول والثاني، ولسكن نفوذهم قد تضاهل في عهد محمد علي وانحلت زعامتهم بتحاسدهم وتخاذلهم وائتمارهم وإياه بالسيد عمر مكرم حتى انتهت المؤامرة بنفيه كما سبق الكلام عن ذلك في الفصل الأول، فلم تقم لهم قائمة بعد نفي زعيمهم وإقصائه من الميدان، بل صاروا تبعاً للحكومة من غير أن يكون لهم أثر في سياستها أو في مشاريعها، وهذا تأويل ما ذكرناه في الجزء الثاني من «تاريخ الحركة القومية» (ص ٣٦١) لمناسبة الكلام عن عظم نفوذ العلماء في أوائل القرن التاسع عشر إذ قلنا إنهم كانوا موئل الشعب، يفرغ اليهم عند وقوع الملمات، وكانت مساوىء خورشيد باشا هي الباعثة على ذلك، ففي عهده قوى سلطان العلماء وبلغ نفوذهم أقصى مداه حتى أناروا الشعب واقتلعوا بقوته الوالي عن كرسى ولايته وأجاسوا (محمد علي) مكانه، ولم يسبق لهم هذا النفوذ من قبل، كما لم يخلص لهم مثله بعد انقضاء هذا العصر،

وفي الواقع أنهم لم يخلص لهم نفوذهم القديم بعد نفي السيد عمر مكرم، ولم يبق لهم إلا أثاره من الاحترام يسبغها عليهم اتساعهم إلى الدين والأزهر

ومما زاد في تضائل نفوذ العلماء أن الأزهر ظل على نظامه القديم ولم يسار حركة التقدم والإصلاح التي نهض بها محمد علي باشا، فانتقل مركز الثقافة من الأزهر إلى المدارس والمعاهد والبعثات، وانكمش العلماء ولم يشتركوا في حركة التجديد والإنشاء في مختلف نواحيها، فعجزوا عن الاشتراك في حروب مصر أو في إدارة حكومتها أو في سياستها وأعمال العمران التي قامت بها، وبديهي أن انعكاسهم على المسائل الدينية، وعجزهم عن الاشتراك في الأعمال العامة التي تمت في عصرهم، كل ذلك كان له أثره في تضائل نفوذهم وإضعاف كلمتهم، إذ ما من

شك أن الفتنة التي تخرجت من المدارس الحربية والبحرية أو العلمية والهندسية هي التي اضطلعت بأعباء الاعمال العامة سواء في خارج مصر أو في داخلها ، وهم بحكم توليهم عبء الجهاد وسياسة الحكم وحملهم لواء النهضة قد امتازوا على طبقة العلماء وحجوبها بما نالوه من السلطان والنفوذ ، وتضاءلت منزلة العلماء وظهر الفرق جسيما بين ما آل اليه أمرهم من الضعف وخمول الذكر وما كانت لهم من نفوذ وسؤدد حين تولوا قيادة الحركات الشعبية في عهد الحملة الفرنسية أو بعدها ، وحين كانوا في أوائل حكم محمد علي يتقدمون الصفوف في الدعوة الى التطوع للجهاد دفاعاً عن الذممار كما فعلوا عند مجيء الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧

ولهذه المناسبة يحضرنا مارواه الجبرتي عن رجوع ابراهيم باشا بعد انتصاراته في حروب الوهابية وكيف استقبل العلماء الذين جاءوا لتهنئته ، فقد لاحظ الجبرتي أنه لم يقابلهم بالاحترام اللائق ، وذكر في هذا الصدد : « ان ابراهيم باشا رجع من هذه الغيبة متعازلاً في نفسه جدا ، وداخله من الغرور مالا مزيد عليه ، حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم وأقبلوا عليه ، وهو جالس في ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام ، فجلسوا وجمعوا ليهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالإشارة ،

فهذا الذي ذكره الجبرتي يعطينا فكرة عن تضائل منزلة العلماء بعد ما كان لهم من صولة ونفوذ ، ونعتقد أن تقصيرهم عن الاضطلاع بالأعباء العامة كان له أثر كبير في سقوط هيبتهم ، فضلا عن تحاسدهم وتنافسهم ، وخذلانهم للسيد عمر مكرم ، فلا غرو أن يقابلهم ابراهيم باشا بعد قدومه من حرب شاققة احتمل فيه ما احتمل من الشدائد والأهوال بغير المقابلة التي كان يقابلهم بها محمد علي في أوائل حكمه وما يسترعى النظر أن يد الإصلاح التي تناولت التعليم والإدارة والرى والحربية والبحرية لم تمتد الى الأزهر ، بل تركه محمد علي كما كان على نظامه القديم ، ولعل السبب في ذلك أنه خشى أن يثير سخط العلماء والجمهير إذا هو عرض لنظام التعليم فيه أو أقدم على إصلاحه وجعله يسير حركة التقدم العلمي الحديث ، أو

لعله لم يجد من بين العلماء من يضطلع بهذه المهمة ويعهد اليه بها ولو أنه وجد من بينهم مثل السيد جمال الدين الأفغانى أو الشيخ محمد عبده لهض الأزهري منذ نيف وثمانين سنة نهضة علمية واجتماعية توفى أربك الثمرات ، ولسكن محمد علي لم يفكر في إصلاح الأزهري ، ولا فكر فيه علماءؤه وأقطابه ، فوقفت حرركته وانتقلت النهضة العلمية الى المدارس النظامية التي أسسها محمد علي

علي أن الأزهري ظل مع ذلك المورد السائغ الذي استمدت منه المدارس الحديثة والبعثات العلمية تلاميذها ، فنه اختارت الحكومة طلبة المدارس العالية التي أنشأتها ، وكثيرا من أعضاء البعثات العلمية التي أوفدتها الى أوروبا ، فتخرج منه بواسطة البعثات والمدارس علماء ناهون كان لهم القدح المعلى في نهضة مصر العلمية والاجتماعية ، فالأزهري من هذه الناحية كان له فضل كبير علي النهضة العلمية الحديثة ، ومن جهة أخرى فان الحكومة كانت تختار من رجاله بعض المتضلعين في اللغة العربية لتنقيح وتهذيب الكتب المترجمة للغة العربية في الطب والرياضيات وغيرها ، ويسمون المحررين ، وطائفة أخرى لتصحيح الكتب عند طبعها وهم المصححون ، وهؤلاء وأولئك فضل كبير علي نهضة التعريب والتأليف

### الزراع والصناع والتجار

تقدمت حالة الفلاح تقديما نسبيا عما كانت عليه في عهد المماليك (١) ، ولسكن لا يخفى أن حياته في الجملة بقيت تدعو الى الألم والإشفاق . فان ما ذكرناه عن حرمانه حق الملك واستهدافه لفداحة الضرائب ومساوى الاحتكار ومظالم الحكام جعله في حالة تعسة ، فزيادة الحاصلات الزراعية واقامة أعمال العمران لم يقترن بها ارتقاء حالة الفلاح الاجتماعية ، وقد وصف المسيو ماجان حالته في ذلك العهد بقوله :

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٣٢

وإذا صح أنه لا يوجد في العالم بلاد أغنى من مصر من الوجهة الزراعية فليس ثمة بلاد أخرى أتعب منها سكانا ، وإذا بقي فيها العدد الذي بها من السكان ( سنة ١٨٣٢ ) فالفضل في ذلك إنما يرجع الى خصوبة أرضها وقناعة فلاحها (١) ،

وقد ساءت حالة الفلاحين لدرجة اضطراب الكثيرين منهم إلى الهجرة من قراهم ، وخربت قرى عديدة بسبب هذه الهجرة ، واضطرت الحكومة إلى إصدار الأوامر المشددة برجوع المهاجرين وتهديد من لم يرجع بأشد أنواع العقاب ، ولكن مهما قيل في مظالم ذلك العصر ، فإنها لا تذكر بجانب مظالم الحكام في عهد المماليك

أما الصناع فإن أمرهم يحتاج إلى بيان ، فالعمال الذين انتظموا في سلك المصانع الكبرى التي أنشأها محمد علي كالتريسانة الحربية والبحرية أو الفابريكات التي سبق الكلام عنها ، فإنهم مارسوا صناعات جديدة حذقوها ومهروا فيها ، وتكونت منهم طبقة من العمال الفنيين كانوا موضع إعجاب من شاهد أعمالهم ، وكان لهم أثر صالح في تقدم مصر الصناعي ، وبكفيك أن ترجع إلى شهادة الأفرنج في هذا الصدد لتعرف مدى هذا التقدم

أما عمال الصنائع اليدوية في الصناعات الصغرى التي كانت معروفة من قبل فهؤلاء قد ساءت حالتهم بسبب نظام الاحتكار حتى اضطرت كثير منهم كما يقول المسيو مانجان إلى ترك الصناعة والاشتغال بالزراعة

وكذلك طبقة التجار قد تراجعوا واضمحلت شأنها لاحتكار الحكومة التجارة الداخلية والخارجية ، وبالرغم من ازدياد متاجر مصر في ذلك العصر فإن ثمرة التجارة كانت تعود على الحكومة وعلى الوسطاء من الأفرنج الذين كانوا يتبادلون وإياها حركة التجارة الخارجية ، ولذلك اقترنت زيادة حاصلات مصر وتجارها الخارجية بظاهرة غريبة ، وهي تضائل الثروات الشخصية ؛ فحينما كانت حاصلات

مصر أقل مما وصلت إليه، كان الأهالي أيسر حالا، ولما زادت الحاصلات حل الفقر محل اليسر عند الأهلين، وذلك راجع إلى نظام الاحتكار الذي فرضته الحكومة على حاصلات مصر، ولم ينتفع من هذه الزيادة في الحاصلات سوى الاسكندرية التي اتسعت تجارتها وصارت سوقا لأقطان القطر المصري وحاصلاته، أما المحلات التجارية في القاهرة ودمياط ورشيد فقد هبط عددها عما كانت عليه من قبل

ويقول المسيو مانجان (ج ٣ ص ٢٢٧) ان عدد التجار المصريين في القاهرة قد تناقص في ذلك العصر، وما يستدعي النظر ويؤيد هذا القول أنه لم يظهر في ذلك العصر من التجار الوطنيين من شغل مركزا كبيرا في عصر محمد علي مثل السيد حمد المحروقي كبير تجار مصر في أوائل القرن التاسع عشر وابنه السيد محمد المحروقي من ترجمنا لهم، وهذا كله راجع إلى مساوية نظام الاحتكار

### الآعيان

وبقي الآعيان من ذوى البيوت والعصبيات القديمة حافظين لمكانتهم، غير أنهم صاروا في عهد محمد علي أكثر خضوعا للحكومة مما كانوا في عهد المماليك

### العربان

كان عدد العربان أو البدو المصريين في عصر الحملة الفرنسية نحو مائة ألف، تتألف منهم ستون قبيلة، وعدد المقاتلة منهم من ١٨ إلى ٢٠ ألفا من الفرسان، ولم يتغير هذا الإحصاء كثيرا في عصر محمد علي. وكانوا إلى أوائل القرن التاسع عشر لم يألفوا حياة الحضرة، فكان تنقلهم في الصحراء يجعلهم في حرب مستمرة مع الفلاحين القائمين على الزراعة، وانصرف كثير منهم إلى قطع الطريق والاعتداء على القرى الآمنة، وكلامنا ينصرف إلى غالبية العربان فان بعض القبائل البدوية

كانت ولم تزل متصفة بكرمه الخصال ، تكرم الضيف وتأوى الجار وتنصر  
الضعيف وتحمي الذمار

فكر محمد على ، ليا في علاج حالة العربان ، ورأى من الحكمة بادية الأمر أن  
يهادن زعماء القبائل ، ويسلك حيالهم مسلك المحاسنة ، فعقد الاتفاقات معهم ،  
ولسكن القبائل نقضت هذه الاتفاقات ، فأدرك محمد على أن لا مناص من أخذهم  
بالقوة ، فجرد عليهم كتائب الفرسان فأخذت تناوشهم وتسد عليهم السبل إلى أن  
أذعنوا وثابوا إلى الطاعة وطلبوا الصلح فرضى أن يصالحهم على أن يقيم زعمائهم  
بالقاهرة ليكونوا رهائن عنده يضمن بهم طاعتهم وولاء قبائلهم وأجرى عليهم  
الرواتب والأرزاق فكان لهذه الوسيلة تأثير كبير في إخلاق القبائل إلى الهدوء  
والسكينة . ولجأت الحكومة إلى وسيلة حكيمة تصرف بها البدو المنتشرين في  
أطراف البلاد عن عيشة البداوة وتدخلهم في حظيرة العمران ، فأقطعهم أراضى  
شاسعة أعفتها من الضرائب ينتفعون بها ويستغلونها

وقد كانت هذه الوسيلة من بواعث تحضير القبائل البدوية ، وإدماجها في جسم  
الهيئة الاجتماعية ، ولما اجتذب محمد على رؤساء العشائر من العربان حبيب اليهم أن  
ينتظموا في سلك الجيش النظامى الذى أسسه ، وعرض عليهم أن تدفع الحكومة  
لمن ينتظم من العربان في سلك الجيش أجورهم على شرط أن يأتى كل منهم بفرسه  
وبندقية ، فلبوا الدعوة واستفاد الجيش المصرى منهم فوائد جمّة ، واشتركوا في  
حروب السودان والحجاز وسورية والأناضول ، واتخذ منهم ابراهيم باشا  
حرسه الخاص

ولقد كان إدماج القبائل البدوية في جسم الهيئة الاجتماعية من أهم أعمال العمران  
التي قام بها محمد على

### بقايا الرقيق

كانت تجارة الرقيق لم تزل مهاجة في ذلك العصر ، فاستخدم كثير من الترك



وقليل غيرهم فتيان المماليك يشترونهم من أسواق الرقيق ليكونوا أتباعا لهم وخداما وقد بلغ عدد أولئك الفتيان ٢٠٠٠ مملوك ، يضاف إليهم من أسروا من الأروام في حرب اليونان واعتنقوا الإسلام ( ص ٢٤٠ ) ، وكان يوجد في بيرت الأغنياء نحو ثلاثة آلاف من ( الجوارى البيض ) الشركسيات ، منهن نحو ستمائة من يونانيات المورة أو من جزيرة كريت وسافز ، وقد اعتنق غالبهن الإسلام وصرن في حكم الجوارى البيض ، وكان يوجد في القاهرة أيضا نحو ألف جارية حبشية أو سودانية بنسبة جاريه في كل بيت يقمن في البيوت بالخدمة والطهى وتربية الأطفال ونحو الفين من السودانيين اشتراهم الأفراد من أسواق الرقيق ، ونحو ٢٥٠٠ آخرين منتظمين جنودا في سلك الجيش المصرى ، وقد اندمج كل أولئك في جسم الهيئة الاجتماعية المصرية وصاروا مع الزمن والتناسل من عناصر تكوينها لا يختلفون في شيء عن عناصرها الأصلية

## الفصل السادس عشر

شخصية محمد علي

والحكم على عصره

لاجدال في أن محمد علي قد سما بأعماله الى مصاف عظماء الرجال ، وتمثل لك عظمته من كونه نشأ نشأة متواضعة وتدرج من جندي بسيط الى أن ارتقى عرش مصر ، فأسس ملكا عربياً ، وغالب دولاً كباراً ، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطيدة ، وبعث حضارة زاهرة ، وأبنت ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان في وادي النيل

فالرجل الذي ينشئ كل ذلك ، وكان أمياً لم يتلق تعليماً عالياً ولا أولياً ، لا بد أن يعد بحق من عظماء الرجال ، ولولا عظمته لما نخطى نشأته الأولى ، وإذا تخطاها فلا يلبث أن يقف عند حد يتناسب مع مرتبته أو مرتبة أقرانه ، ولما تمكن اضطلاعاً بالمهات الكبرى التي أخذها على عاتقه ، وتأسيسه ذلك الملك الضخم رغم ما عترضه من العقبات ، وبقاء أثره خالداً طوال هذه السنين والى ما شاء الله يدل على مبلغ عبقريته

نعم ان العناية الالهية لاحظته في مختلف أدوار حياته ، وكان لها فضل كبير فيما وصل اليه من عزم وسؤدد ، ولما كان من العظماء لم تكن للعناية والأقدار دخل أيما دخل فيما نالوه من نجاح وتوفيق ؟ ومن العظماء المجهولين لم يقبر عظمتهم إدبار الحظ وغالبية الأقدار ؟ فمع اعتقادنا بما للحظ والعناية الالهية من الأثر في حياة محمد علي ، لانشك في أن المواهب التي توافرت لديه كان لها القسط الأكبر في نجاحه وتوفيقه

وأول تلك المواهب ذكاؤه الخارق ، وبعد نظره ، وسعة حيلته

فقد جاء الى مصر ضابطاً صغيراً في الحملة العثمانية التي جردتها تركيا لاجراج  
الفرنسيين من البلاد ، وشهد انتهاء عهد الحملة الفرنسية ، فلو كان على ذكاء عاوى  
لا تنهى أمره بما انتهى اليه معظم ضباط الجيش التركي ، ولسكنه لمح من خلال الأفق  
ما تتمخض عنه الأمة المصرية من نزوع إلى الحرية ، وما يجيش في صدرها من آمال  
كبار ، وما تشعر به من سخط على نظام الحكم القديم ، فاشاها في ميولها وسارها  
في آمالها ، ورسم لنفسه خطة الوصول إلى عرش مصر من طريق إرادة الشعب ،  
وهي فكرة مبتكرة بالقياس إلى ذلك العصر تدل على ذكاء محمد على ودهائه  
وبعد نظره

ثم تأمل كيف اختط لنفسه طريق الوصول إلى السلطة بين مختلف الاطماع  
والمنازاع المختلفة ، فلقد كان يعمل لهذا الغرض وأمامه سلطتان يجب أن يتخلص  
منهما واحدة بعد الأخرى ، وهما سلطة المماليك حكام البلد الأقدمين ، وسلطة  
الوالي التركي الذي كان يمثل حكومة الأستانة . وكانت هذه الحكومة تعمل على أن  
تكون لها الكلمة العليا في البلاد بعد أن احتلتها بجيوشها ، ثم كانت أمامه عقبة  
أخرى وهي سلطة الجند الارناؤود والدلاة وغيرهم من أخلاط السلطنة العثمانية  
فاستطاع محمد على بدهائه وصبره وذكاؤه أن يضرب كل سلطة بالأخرى ، وأن  
يشق لنفسه طريق النجاح والوصول إلى الغاية التي يطمح إليها

كان خسرو باشا ( والى مصر سنة ١٨٠٣ ) يعمل للتخلص من محمد على ، فخاربه  
هذا الجند إذ حرضهم على التمرد والمطالبة بروتبهم المتأخرة ، وكانت نتيجة تلك  
الحركة سقوط خسرو باشا وطرده من القاهرة ، وكانت الفرصة سانحة ليحقق  
محمد على آماله ، ولسكنه لم يشأ أن يتعجل الوصول إلى السلطة ، بل أخذ نفسه  
بالصبر والتريث حتى تنهأ له الظروف الملائمة التي يستقر له فيها الحكم من غير  
منازاع ، فترك رؤساء الجند ينادون بظاهر باشا قائم مقاماً ، ولعله كان يتوقع الا  
يطول مقامه في الحكم لما اشتهر عنه من الظلم ، فثار عليه الأتراك الإنكشارية

وقتلوه ، وخلا منصب الوالى من جديد ، غير أن محمد على تريث أيضا ولم يتعجل ، وكان الانكشارية قد اتفقوا على تعيين أحمد باشا واليا على مصر ، فلم يرض بهذا التعيين وتحالف مع الامراء المماليك على إقصائه وترك السلطة لهم ؛ وألقى في روع كبيرهم ابراهيم بك أنه الأحق بولاية مصر ، وبذلك ضرب الأتراك بالمماليك ، ثم ترك هؤلاء يهتمون أمام الشعب مساوىء الحكم . فما لبثوا أن استهدفوا للثورة التي أقصتهم عن الحكم

ويدلك على دهائه وأناته أنه كان فى استطاعته أن يثب إلى الحكم بعد سقوط دولة المماليك ، لسكنه أثر الانتظار واختار للولاية خورشيد باشا ، وبقي هو فى صف الشعب يدافع عن مطالبه ويتوحد إلى زعمائه ، فلما ساءت سيرة خورشيد وكثرة مظالمه ثار عليه الشعب وخلعه كما رأته مفصلا فى الجزء الثانى من تاريخ الحركة القومية ، ، وهناك طاب الزعماء من محمد على أن يقبل منصب الولاية والحوا عليه فى أن يجيب طلبهم ، فقبل ما عرضه عليه وصار الوالى المختار من الشعب واستطاع بذكائه وصدق نظره فى الأمور وسعة حيلته أن يذلل العقبات التي اعترضته فى السنوات الأولى من حكمه ، فتغلب على دسائس الأتراك والانجليز ومساعى المماليك ، كما فصلنا ذلك فى الفصول الأولى ، كل ذلك يدل على مقدرته بل على عبقريته ، وخاصة إذا لاحظت أنه إلى ذلك الحين كان أميا ، إذ من المعروف أنه لم يبدأ فى تعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن تجاوز الأربعين وبعد أن تبوأ عرش مصر وتخطى العقبات الأولى فى حكمه

ويتجلى لك بعد نظره ورجاحة عقله وأخذة الأمور بالآناة والحكمة أنه لما اتزم ادخال النظام الجديد فى الجيش المصرى لم يعامر بإنفاذ عزمه ، بل انتظر السنين الطوال يتحين الفرص الملائمة لانفاذ مشروعه ، ولو أنه استعجل الأمر وتسرع لاستهدف لهياج الجنود ، ولشهدت البلاد ثورة من ثورات الجند التي كانت تودى بمراكز الولاية بل توردهم موارد الختف والهلاك ولعلك تذكر حين عودته من الاسكندرية بعد جلاء الحملة الانجليزية عن البلاد

سنة ١٨٠٧ كيف ثار الجند في القاهرة وعأوا في أسواقها فساداً ، وكيف استعمل  
الحكمة في إخماد ثورتهم ، واعتزم من ذلك الحين أن يتخلص من الجيش القديم  
ويحل محله جيشاً حديثاً قوامه النظام والطاعة ، ولسكنه لم يمض في تحقيق برنامجهِ إلا  
حوالى سنة ١٨١٩ - ١٨٢٠ ، وما ذلك الا لما آتسه من الخطر اذا هو أنفذ مشروعه  
قبل ذلك الحين ، فمثل هذه الأناة والحكمة وسعة الخيلة لاتصدر الا عن دهاقين  
الساسة ذوى الرؤوس السكبيرة ، وبهذه الصفات نجح في تأسيس الجيش المصرى  
النظامى ، فتأمل كيف انتظر اكثر من اثنتى عشرة سنة قبل أن يبدأ فى انفاذ  
فكرته ، وكيف أنه عندما بدأ فى دور التنفيذ كان شديد الاحتياط بعيد النظر ،  
فأسس المدرسة الحربية الأولى لتخريج الضباط النظاميين فى ( أسوان ) أى فى  
أقصى الوجه القبلى ، لى يبدأ بمشروعه بعيداً عن الدسائس والفتن التى كانت  
القاهرة مسرحاً لها

فيمثل هذا الذكاء وبعد النظر والأناة استطاع محمد على أن يشق لنفسه طريق  
النجاح ، وهو من هذه الناحية جديرٌ بأن يعلم سياسة الدول وزعماء الأمم كيف  
يأخذون الأمور بالحكمة والصبر ورجاحة العقل

ومن مواهبه التى ذلت العقبات فى طريقه وكفلت له الأضطلاع بالمهمات  
الجسام ، الشجاعة وعلو الهمة ، ومضاء العزيمة ، فهذه الصفات كانت من أكبر  
مميزاته بعد الذكاء وحسن التدبير

أما عن شجاعته واستخفافه بالمخاطر فلعلك تذكر حادثة ( براوسطه ) وكيف  
امتنع أهلها عن أداء ما عليهم من الضرائب ، فعرض محمد على على حاكم قوله أن  
يأخذ على عهده إجبار أهلها على الاذعان ، وسار اليهم فى عشرة من الجند ، وكيف  
استطاع أن يعتقل أعيان المدينة ويسوقهم الى قوله ، وبذلك أذعن أهل براوسطه  
وأدوا ما عليهم من الخراج (١) ، فهذه الحادثة تدلك على ماجلته عليه نفس محمد على

(١) أنظر الجزء الثانى من ، تاريخ الحركة القومية ، ص ٣١١

من الجرأة ، واقتحام الاخطار ، فلقد كان هدفاً لأن يذهب ضحية مغامرته في تلك القرية النائرة ، ولا شك أن تلك الشجاعة التي ظهرت عليه منذ نعومة أظفاره كانت كما أسلفنا من أخص صفاته بل هي من أسباب نجاحه في تأسيس ملكة العظم (١) وتبجلى لك شجاعته وقوة عزمته في إقدامه على الحروب ومواصلته القتال رغم ما اعترضه من الهزائم والعقبات ، واحتفاظه برباطة جأشه في أشد الأوقات حرجاً ، ولو لم تكن الشجاعة وعلو الهمة من أخص مواهبه لاضطربت نفسه وتولاها اليأس أمام المخاطر التي استهدف لها في كثير من المواطن

ففي حرب الوهابيين استهدفت الحملات التي جردها على الحجاز للهزائم والخسائر الفادحة ، وكانت توجيهه في بعض المواطن أنباء مخيفة عما حل بجيشه من السكوارث فلم يتزلزل لهذه الأنباء بل كان يقابلها بالجلد والثبات وقوة العزيمة ، وكان كلما أخفقت حملة جرد غيرها ، ماضياً في تحقيق غايته ، وقد شهد له الجبرقي ، ولم يكن من مناصريه ، بعلو الهمة لمناسبة الكارثة التي حلت بالجيش المصري في واقعة (الصفراء) فقال عنه : « ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا واستمر على همته في تجهيز عساكر أخرى ،

ولو تابعت وقائع الحرب الوهابية لتحققت أنه لولا همة محمد علي وقوة ارادته لما استطاع أن يواصل هذه الحرب ثمانى سنوات متواليات حتى وصل بها إلى نهايتها من الظفر بالوهابيين وبسط نفوذ مصر وسلطتها على جزيرة العرب وتبدو لك أيضاً شجاعة محمد علي في إعلانه الحرب على تركيا وزحفه عليها ، فان محاربة السلطنة العثمانية وهي وقتئذ دولة الخلافة وصاحبة الجيوش الجرارة التي لا ينضب معينها ، أمرٌ يحتاج إلى حظ كبير من الشجاعة وعلو الهمة ، بل والمجازفة والاستهداف للأخطار ، إذ لو ظفر به السلطان في واقعة من وقائع تلك الحروب الطاحنة لكانت دولة محمد علي بل حياته عرضة للخطر ، فهذا الإقدام له قيمته في الحكم على شخصيته

(١) الجزء الثاني من « تاريخ الحركة القومية » ، ص ٣١٢

وإذا قال قائل ان محمد علي إنما حارب تركيا في الوقت الذي بدت عليها فيه أعراض الضعف والهرم ، فإذا نقول عن وقوفه في وجه الدول الأوروبية جمعاء عقب انتصار الجيوش المصرية في بلان وقونيه ، واعتراضه على حرمانه ثمرة انتصاراته ، فإذا رجعت الى الخطابات التي وجهها الى مندوبى الدول واعتراضه على تدخلهن ومصارحتهن بعدم النزول على إرادتهن تجلى لك مبلغ شجاعته ورباطة جأشه وقوة يقينه ، ثم ماذا نقول في تحديه الدول الأوروبية في الحرب التركية الثانية عقب انتصاره في واقعة نصيدين ورفضه الاذعان لقراراتها وطرده سفراءها من مصر ؟ كل ذلك يدل على مبلغ ما تذرعه به من شجاعة النفس ومغالبة المصاعب وتلك امرى صفات العبقريّة والعظمة

وتبين قوة عزيمته من انه أنشأ من العدم جيشاً ضخماً على أحدث نظام ، وأسطولاً قوياً رفح علم مصر فوق ظهر البحار ، وأوجد حكومة منتظمة حيث كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، وأنشأ المدارس والمعاهد حيث كانت الجهالة فاشية ، والمستشفيات حيث كانت الأمراض تفتك بالأهلين ، وشق النزع وأقام الجسور حيث كانت مياه النيل تذهب هدرآ دون أن تنفع منها الأراضى ، وأسس البعثات وأقام المصانع والمباني العامة ، كل ذلك يدل على ما تفعله العزيمة الحديدية ، وقد شهد له الجبرتي بقوة العزم والشهامة ، فقال عنه لمناسبة إصلاحه سد أبو قير : « فأرسل اليه المباشرين والقومة والرجال والقعلة والنجارين والبنائين والمسامين وآلات الحديد والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة والسهوم والبراطيم حتى تممه وكان له مندوحة لم تسكن غيره من ملوك هذه الأزمان ، ولو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أقرانه ، ، وهي شهادة لها قيمتها من مؤرخ عرف بأحكامه الشديدة عن محمد علي

وقد ذكر عنه السكونت بنديتي فنصل فرنسا العام في مصر وقتئذ انه لما شرع في إقامة القناطر الخيرية وسمع بالاعتراضات التي أبديت على المشروع من جهة

العقبات والمصاعب التي تحول دون نجاحه كان جوابه : « إن هذا صراع بيني وبين  
النهر العظيم ! ولكنني سأخرج فائزا من هذا الصراع ! » ، فهذا الجواب يدل على  
مبلغ شعوره بقوة إرادته ، ولولا تلك الإرادة لما اعتزم أن يقهر النيل ويتحكم  
في جريانه بواسطة مشروعه الكبير

ومن أخص صفاته التي لازمته طول حكمه حبه للعمل وجلده على أعبائه ،  
فلم يكن يعرف لنفسه هواة ، وكان يهتم بدقائق أعمال الحكومة وراقبها بنفسه ،  
ولا ينام من الليل إلا قليلا ، وكان يصرف معظم وقته في مراقبة الأعمال والعمال ،  
ويكثر من التجول في الأقاليم ليراقب بنفسه تنفيذ التعليمات التي يصدرها ، وبهذه  
الوسيلة كان يبث روح العمل والنشاط في نفوس الموظفين ويشعرهم دائما بأن عينه  
لا تغفل عن مراقبة أعمالهم ، وغنى عن التيسان ان هذا يستدعي مثابة وجلدا على  
العمل ونشاطا لا يعرف الملل والكلال ، وهذا النشاط كان أمرا غير مألوف في  
ملوك الشرق وأمرائه الذين هم في الغالب أميل الى الدعة والسكسل والانصراف الى  
الراحة وترك حبل الأمور على غاربها والانكباب على الملاهي والملذات ، فمحمد على  
كان فذاً بين ملوك الشرق وحكامه ، وهو بنشاطه المنقطع النظير قد أعطى الملوك  
والحكام كافة أحسن مثال للاضطلاع بمهام الأمور ، ولقد كان هذا النشاط موضع  
إعجاب الافرنج الذين لم يألفوا مثل تلك الحركة المستمرة من حكام الشرق وملوكه ،  
ولقد تعجبوا على الأخص حينما رأوه وهو في سن السبعين يقوم برحلة طويلة شاقة  
في السودان ويتوغل في أصقاعه النائية مستهدفا للمتاعب والأمراض متنقلا من  
جهة الى أخرى على أتم ما يكون من النشاط واليقظة ، فهذه الحركة وذلك النشاط  
مع التقدم في السن يعطينا فكرة عما غرس في نفسه من علو الهمة وحبه للعمل  
ولا يخفى أن حبه للعمل ويقظته في مراقبة موظفي الحكومة كان لها فضل كبير  
في تقدم الأداة الحكومية في عهده وبعث روح النشاط في فروعها بعد أن كانت  
الحكومة مصابة بالجمود أو بما يشبه الشلل في عهد الحكم التركي وحكم المهاليك  
تلك هي الصفات والمواهب التي تكونت منها شخصية محمد على وجعلت منه



رجلا عظيما ، والآن فلنتحدث عن أثر هذه العظة ونتائجها في ولايته الحكيم ، لأن من العظماء من تتوفر فيهم صفات العظمة ولكنهم يقصرونها على ذواتهم وأنفسهم فلا تنال البلاد منهم ثمرة ما ، بل قد يجلبون عليها الكسبات والكوارث ، ومع ذلك يعدون عظماء ، ولكن محمد علي كان من صنف العظماء الذين نالت البلاد على أيديهم كبرى الفوائد

فهو من الوجهة السياسية كان يرمى الى إنشاء دولة مصرية مستقلة ، قوية البأس عظيمة السلطان ، منيعة الجانب ، وهي غاية تعد المثل الأعلى للقومية المصرية ، ولقد حقق فعلا تلك العاية وجعل من مصر دولة فتيمة مستقلة تمتد حدودها من جبال طوروس شمالا الى اقاصى السودان جنوبا ، وتشمل مصر وسوريه وبلاد العرب وجزيرة كريت وقسمها من الاناضول ، واثن تراجعت حدود مصر طبقا لمعاهدة لندن كما فصلناه في موضعه فقد بقيت حدودها الاصلية سليمة شملت استقلال مصر والسودان وحققت وحدة وادى النيل السياسية والقومية

وغنى عن البيان أن تحقيق هذا المشروع العظيم ليس من الهبات الهينات ، ولا ينهض به رجل عادى ، بل يحتاج الى سياسى كبير من اعظم الرجال هممة ودهاء ، فان أى خطأ يبدر منه كان يكفى لإحباط المشروع فى خطواته الأولى ، أو هدمه من أساسه بعد تمامه ، ولكن محمد علي أحاط مشروعه بالحذر وبعد النظر والحكمة ، وبكفئك بهانا على بعد نظره فى السياسة ، انه لما عرض عليه مشروع حفر قناة السويس عرض عنه رغم إلحاح بعض المالبين والسياسيين الافرنج ، اذ رأى أنه سيؤدى الى تدخل الدول فى شؤون مصر واتجاه الاطماع اليها وجعلها هدفا للدسائس الاستعمارية مما يفضى الى ضياع استقلالها ، وما يؤثر عنه انه قال فى هذا الصدد : « اذا انا فتحت قناة السويس فسأنشئ بوسفورا ثانيا ، والوسفور سيؤدى الى ضياع السلطنة العثمانية ، وبتفتح قناة السويس تستهدف مصر للاطماع اكثر مما هي الآن ، ويحقيق الخطر بالعمل الذى قمت به وبخلفائى من بعدى ،

ولقد حققت الأيام صدق نظره ، وما كان أجدر خلفاءه أن يعملوا برأيه فلا

يغامروا بمستقبل البلاد وينشئوا فيها بسفوراً ثانياً أفضى الى ضياع استقلالها ،  
ولسكن هكذا شاء جِدُّ مصر العارُ أن يتنكبوا سبيله ويفتحوا تلك القناة التي  
كانت شوْماً على البلاد

إن كفاءة محمد علي كرجل سياسي بعد النظر ظهرت في تأسيس الدولة المصرية  
المستقلة وفي إبعاد اليد الأجنبية عن التدخل في شؤونها ، ومن هنا جاءت فكرة  
المعارضة في فتح قناة السويس ، وتبدو هذه الكفاءة أيضاً في كونه مع وفرة أعمال  
الإصلاح والعمران التي تمت على يده ، لم يَحْمَلْ مصر ديناً لدولة أجنبية ، ولم يقع فيما  
وقع فيه خلفاؤه من مديد الاستدانة وفتح ثغرات التدخل الاجنبي في شؤون البلاد  
وما يذكر له في هذا الصدد ، أن شركة انجليزية طلبت اليه أن يأذن لها باجراء  
إصلاحات هامة في ميناء السويس تزيد من اتساعها وتجعلها مرفأً كبيراً ، فأبى أن  
يجيب الطلب ، وكذلك لم يطمئن الى مد سكة حديدية بين مصر والسويس على يد  
شركة انجليزية أخرى ، وبعد أن اتفق وإياها على انفاذ المشروع عدل عنه خوفاً  
من عواقب امتداد النفوذ البريطاني في مصر

ففضل محمد علي ليس مقصوراً على تحقيق استقلال مصر بل هو فوق ذلك  
قد وضع الدعائم الكفيلة بصيانة ذلك الاستقلال ، ورسم السياسة الحكيمة التي  
تجعله بمنجاة من المخاطر ، ولو أن خلفاءه حذوا حذوه واتبعوا سياسته لما تصدع  
بناء الاستقلال في عهدهم

تلك كانت أعمال محمد علي ومقاصده من الوجهة السياسية ، اما من الوجهة  
العمرانية فقد كان من الرجال ذوى الخطط الواسعة النطاق في الإصلاح ونشر  
لواء العلم والحضارة في البلاد ، ولازيد هنا أن نسرده اعماله في هذا الصدد فيكفي  
أن نرجع بك الى ما كتبناه عنها في الفصول السابقة ، فهو من غير شك باعث نهضة  
الإصلاح والعمران في مصر الحديثة

وهو من الوجهة الحكومية قد أسس حكومة نظامية ، ولم يكن بمصر ثمة

حكومة من قبل ، بل كانت هيئة قوامها الخلل والفوضى ، لسكن محمد هلى أوجد حكومة مستقرة ، لها قواعد وأنظمة ودواوين وإدارات ، وسن لها قوانين ولوائح ، فهو من هذه الوجهة يعد من كبار رجال الدول ، ولا شك أن فكرة التنظيم هي ناحية بارزة من نواحي عبقريته ، فهو الذى بث روح النظام فى هيئات الحكومة وفروعها ، فى الجيش ، والبحرية ، والتعليم ، والشؤون الخارجية ، والرئ ، إلى غير ذلك

كذلك يجب أن نذكر محمد على أنه عنى بتنشئة أولاده وأحفاده تنشئة عملية علمية ، فلم يتركهم رهن المقاصير والسرايات ، وبين الخدم والغايات ، كما كان شأن ملوك الشرق فى الغالب ، بل عنى بتربيتهم وتعليمهم وتعويدهم الاضطلاع بمهام الدولة ، ووكل اليهم كما مر بك قيادة الجيوش وخوض غمار الحروب ، فعهد إلى طوسون قيادة الحملة الأولى على الوهايين ، وإلى ابراهيم الحملة الثانية ، وإلى اسماعيل الحملة على السودان ثم عاونوه فيها ابراهيم ، وعهد إلى ابراهيم باشا قيادة الجيوش فى حرب المورة ، ثم فى حروب الشام والأناضول ، وعلم ابنه سعيدا فنون البحرية ودربه عليها علما وعملا ، وأرسل طائفة من أبنائه وأحفاده إلى فرنسا ضمن البعثات العلمية

على أن من الواجب أن نقرر إثباتا للحقيقة من جميع نواحيها أن الشعب لم يتحرر من الشقاء فى عصر محمد على ، فقد وقع عليه إرهاب ومظالم كثيرة ، ويحق لنا من هذه الناحية أن نقول ان أعمال الاصلاح التى تمت فى عصر محمد على لم ينتفع بها الجيل الذى عاش فى ذلك العصر بل انتفعت منها الأجيال التى توالى من بعده ، أما جيل محمد على فقد فدحته أعمال السخرة والإرهاب ، ولم يتسنى له طعم الحرية الشخصية ، ولا حق الملكية ، فلعلك تذكر أن محمد على قد تملك كل أراضى مصر ، ووضع نظام احتكار الحاصلات الزراعية وبيعها ؛ كما احتكر التجارة والصناعة ، وقد أساء هذا النظام إلى الشعب إساءة كبرى لأنه ضرب عليه حجسا من الفقر

والجمود ، وصارت الحكومة هي المالكه لكل أطيان القطر وحاصلاته وتجارته  
وصناعاته ، وهذه الحالة هي موضع ضعف في سياسة محمد على الاقتصادية والاجتماعية ،  
وعلى تعدد مشاريعه في الإصلاح لم يفكر تفكيراً جدياً في إيجاد نظام للشورى  
يعود الشعب الاشتراك في الحكم كما بينا ذلك ص ٦٠٨ ، وهذا عيب كبير  
في سياسته

وإذ تكلمنا عن المظالم التي أرهقت الشعب في عهده فمن الحق أن نقول انها  
أخف وطأة من المظالم التي كانت تقع في عصر المماليك

حدثني صديق لي عن جده الذي أدرك عصر محمد علي أنه كان يقول اننا كنا  
نحتمل مظالم حكمه لأنها بمقارنتها بمظالم المماليك كانت أخف منها وأرحم ، وهذا  
القول فيه ناحية من الصواب ، وينير لنا طريق الحكم على عصر محمد علي ، فلأجل  
أن نحكم على عظيم من العظماء أو على عصر من العصور يجب علينا أن ندرس  
الرجل في مجموعه ، والعصر بأكمله ، ثم نقارن بين ذلك العصر والعصر الذي سبقه ،  
ثم الذي تلاه ، وبذلك يكون الحكم صحيحاً ، والرأى فيه سديداً ، فإذا نحن نظرنا  
إلى تاريخ محمد علي في مجموعه حكمنا من غير تردد أنه مؤسس الدولة المصرية  
الحديثة ومحقق الاستقلال القومي وباعث نهضة الإصلاح وال عمران في مصر ،  
وانه من هذه الناحية أكبر ببناء في صرح القومية المصرية ، ومهما عددنا على  
حكمه من المآخذ فمن المحقق أنه لو لم يتول حكم مصر لظلت كما كانت ولاية من  
ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة الجهلاء الذين كانت ترسلهم الاستانة  
كل سنة أو سنتين والذين لم يكن لهم هم سوى الحصول على نصيبهم في الخراج  
وإرسال الخزانة السنوية الى الاستانة ، ثم يتركون شؤون الحكومة في يد المماليك  
يعيشون في الأرض فساداً ، ويجعلون الحكم أداة للمظالم والفوضى ، مما أدى إلى  
تأخر البلاد في كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فلو لم يتول  
محمد علي حكم البلاد لبقيت رازحة تحت حكم التقهقر والفوضى ، كما بقيت سائر

ولايات السلطنة العثمانية كالعراق وسوريه وفلسطين ، أو لاحتلتها دولة من  
دول الاستعمار كما احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ ، وما زالت تحتلها  
إلى اليوم

فهذه المقارنة تظهر لنا فضل محمد علي ومبلغ المزايما التي عادت على مصر من  
عبقريته وجهوده ومواهبه ، وهذا فيما نعتقد هو حكم الانصاف على  
محمد علي وعصره

---



ابراهيم باشا

( ١٧٨٩ - ١٨٤٨ )

قائد الجيوش المصرية في حروب الاستقلال

## الفصل التاسع عشر

ابراهيم باشا

( ١٧٨٩ - ١٨٤٨ )

من الواجب أن نفرّد فصلا لابراهيم باشا ، ولئن كانت الفصول السابقة تصلح ان تكون تاريخا له ، فان بطولته تدعونا أن نختم هذا العصر بفصل خاص بابراهيم

### تاريخه

هو أكبر أنجال محمد علي ، وساعده الأيمن في فتوحاته ومشروعاته ، وقائد الجيوش المصرية في حروب الاستقلال ، يفتن اسمه باسم أبيه في كثير من جلائل الأعمال ، وأهمها تأليف الجيش المصري وقيادته في ميادين القتال إلى حيث حقق استقلال مصر ورفع ذكرها بين الأمم

ولد في قوله سنة ١٧٨٩ . وجاء مصر هو وأخوه طوسون في سبتمبر سنة ١٨٠٥ ، وعهد اليه أبوه بمهمات عدة ، مارس فيها شؤون الدولة وأعمالها الادارية والحربية ، فكانت له توطئة للاضطلاع بالمهام الجسيمة التي تولاها من بعد ، فقد تولى منصب الدفتردارية سنة ١٨٠٧ ولما يبلغ العشرين ، والدفتردار هو بمثابة وزير المالية اليوم ، وقام في هذا المنصب بعمل من أجل أعمال العمران ، وهو مساحة أطيان القطر المصري

وتولى أيضا حكم الصعيد وجمع بين هذا المنصب ومنصب الدفتردارية ، وقاتل المماليك ، ولكنه لم يشترك معهم في حرب حقيقية ، وظلت كفاءته الحربية دفيئة

الى أن سبطع بجمها أول وهلة في الحرب الوهاية ، فهي أول حرب خاض ابراهيم غمارها وتجلت فيها مواهبه ، ولا يزيد هنا أن نعود إلى وقائع تلك الحرب ، فقد وفينا الكلام عنها في الفصل الخامس

فالحرب الوهاية كانت أول ميدان للقتال ظهرت فيه بطولة ابراهيم باشا ، تلك البطولة التي لازمتها في الحروب التالية

وتبين لك ناحية من كفاءته وصدق نظره في كونه أول من استعان بخبرة الأوروبيين في الحروب ، فاصطحب معه في الحرب الوهاية طائفة من الافرنج ، منهم الضابط الفرنسي فيسير أحد ضباط أركان الحرب كما تقدم ذكره ، وهذا أمر لم يكن مألوفاً ولا سائغاً بين قواد الشرق الى ذلك العهد ، ولكن ابراهيم باشا ، لذكائه وحصافته ، عرف ان الأمم الشرقية لا تمض إلا إذا اقتبست خبره علماء أوروبا وقوادها

وبعد أن انتهت الحرب الوهاية عاون ابراهيم باشا أخاه اسماعيل في فتح السودان ، ولسكنه لم يطل مكثه هناك إذ أصيب بمض شديد اضطره الى العودة لمصر

وجاءت حرب اليونان ، فعهد اليه محمد علي قيادة الجيوش المصرية في البر والبحر ، وقد رأيت مما سطرناه في الفصل السابع كيف ظهرت عبقريته في تلك الحرب التي تولى قيادة الجيش المصري في ميادينها أربع سنوات متوالية

وإذ كانت الحروب والشدائد هي المدرسة العملية التي تكون فيها ابراهيم باشا فان حملة الموره قد أكسبته خبرة واسعة في فنون الحرب والقتال ، ذلك أنه حارب فيها جيوشاً أوروبية يقودها ضباط وقواد درس معظمهم أساليب النظام الحربي الحديث ، واختلط بكثير منهم بصصرا وخبرهم ، وحادثهم ، فاقتبس من تلك الحروب معارف جمّة زادت به بصصراً بفنون القتال

ثم جاءت حروب الشام والأناضول ، فخاض غمارها وقد اكتملت خبرته ومواهبه الحربية ، فتجلت فيها عبقريته ، وعظمت مكانته ، واقترن اسمه فيها



بأسماء كبار القواد والفاحين ، وطبق ذكره الخافقين  
ويطيب لنا في هذا المقام أن نعد هنا الكلمة التي ذكرناها عنه (ص ٢٢٧)  
ففيها خلاصة تاريخه المجيد : « وانك لتلح عظمة ابراهيم من كونه قاد الجيش  
المصرى في ميادين النصر الى حيث جعل تركيا والدول الأوروبية تقف مبهوتة  
مضطربة أمام ونسبات ذلك الفاتح الكبير ، كأنما هي أمام القدر »

إن تاريخ ابراهيم باشا مقترن بتاريخ الجيش المصرى وحروبه في عصر محمد على ،  
ولقد فصلنا الكلام في هذا الصدد في فصول عدة <sup>(١)</sup> فهذه الفصول هي تاريخ ابراهيم ،  
ولا يخفى ان هذه الحروب كما أسلفنا هي التي حققت لمصر استقلالها ، فلا غرو ان  
يكون أدق تعريف لشخصية ابراهيم باشا أنه « قائد الجيوش المصرية في حروب  
الاستقلال » ، وهو التعريف الذي اخترناه لنضعه بجانب صورته ، ولعمري ان  
قيادته لجيوش مصر في حروب استقلالها لهي أعظم ما يزين تاريخه

وقد ذاعت شهرته في أوروبا فنال فيها مكانة عالية لما استفاض عن بطولته  
وشهرته الحربية ، وتجلت هذه المكانة حينما سافر الى أوروبا في سبتمبر سنة ١٨٤٥  
للاستشفاء من مرض عضال أصابه ، وذهب الى ايطاليا ثم الى فرنسا ، فقبل  
بأعظم مظاهر الحفاوة والإجلال ، وبلغ لندره في يونيه سنة ١٨٤٦ ، فقابلته الملكة  
فيكتوريا وعظماة الانجليز بالترحاب والاحترام

ولم تقتصر مواهب ابراهيم في ميادين القتال ، بل ظهرت كفاءته الادارية في  
تنظيم الحكم المصرى في سوريه وتوطيد دعائم الأمن فيها كما بسطنا ذلك في الفصل  
الثامن ، وفي المهام الادارية التي تولاها في مصر ، وإذ كان من مزاياه في حياته  
الحربية حرصه على النظام ، فقد استمسك بهذه الميزة في تنظيم الشؤون الادارية  
التي تولاها ، وكان في أوقات السلم شديد العناية بالشؤون الزراعية وتنظيمها ، وامتاز  
بميله الى تنسيق الحدائق وتنظيم أشجارها ونباتها ، كأنها في نظره صفوف من الجنود

(١) الفصل الخامس والسابع والثامن والتاسع والعاشر

يجب أن يسود النظام بينها ، وانع شغفه بتنظيمها أن استخدم مهندسا زراعيًا  
انجليزيا عهد اليه تاسيق حدائقه الواسعة في جزيرة الروضة وغرس فيها العدد الوفير  
من أشجار الفاكهة والرياحين

### صفاته واراؤه ومبادئه

ان أبرز صفة من صفات ابراهيم باشا شجاعته وإقدامه ، فالشجاعة هي أكبر  
ناحية من نواحي عبقريته ، وبجانبها حبه للنظام ، وصرامته في تطبيق قواعده ، ولا  
غرو فالنظام هو أساس الحياة العسكرية وقوام تقدم الجيوش وقوتها ، وهو أول  
ما امتاز به الجيش المصري على الجيوش التركية في ميادين القتال ، وأول الأسباب  
التي كفلت له النصر والظفر ، وكان ابراهيم باشا اصرامته في النظام يطبقه على نفسه ،  
فيعيش عيشة الجندي البسيط في مأكله ونومه ، ويقاسم جنوده السراء والضراء ،  
ويشاركهم شظف العيش ، وكثيرا ما كان يقطع المراحل الشاسعة سيرًا على قدميه  
ليعطى جنوده المثال في احتمال شدائد الحروب ومتاعبها فلا غرابة إذ تعلقوا به  
واستبسوا في القتال تحت رايته

وكان يجمع الى الشجاعة الذكاء الخاد وصدق النظر والرغبة الشديدة في الاخذ  
بأسباب تقدم الأمم الأوروبية ، وكان من مزاياه البساطة في معيشته والرغبة عن  
مظاهر الفخفخة والآبهة ، وهذا الخلق نادر بين قواد الشرة ، وأمراته ، فانهم أبدأ  
يحيطون أنفسهم بمظاهر الآبهة والعظمة ، لكن ابراهيم باشا كان على حظ كبير من  
عظمة النفس ، فلم يكن في حاجة الى العظمة المصطنعة

وقد قابله كثير من عظام الافرنج ورجالهم السياسيين والحريين ووصفوه فيما  
كتبوه وصفا يعطينا صورة حية من شخصيته وأفكاره ومبادئه ، ومن أصدق من

وصفوه البارون ( بوالسكونت ) Bois le Comle <sup>(١)</sup> فقد اجتمع به بالقرب من  
طر سوس بالأناضول في أغسطس سنة ١٨٣٣ عقب انتصاره في معركة قونية  
وإبرام اتفاق كوتاهية ، واستطلع آراهم وأفكاره فكتب عنه ما يأتي :

دخلتُ على ابراهيم في خيمته ولم يكن معه أحد ، وكان يجلس على ديوان كبير  
في صدر الخيمة على الطريقة الأوروية ، وأمامه كرسي عدة ، وقد بدا لي أنه بلغ  
الأربعين ، وهو قوى البنية ، قصير القامة ، كبير الرأس ، جميل الأسنان ، ذكي  
النظر ، نشيط في كل حركاته ، قصير الذراعين ، شأن أفراد عائلته ، لسكن ذراعيه  
أقصر من ذراعي أبيه ، وقد لمحت روح الحماسة بادية في حديثه ولهجته ، لما ناله من  
الانتصارات الأخيرة ، وهو شغف بالحروب ، لا يكثر كثير أبجياته التي طالما  
جعلها هدفاً للمخاطر بشجاعة بلغت حد المجازفة ، ويسير في حياته على هذه الوتيرة ،  
ولا يطيب نفساً إلا في جو العمل والنشاط والحركة ، وقد رأيت مشغولاً بمشروعات  
جمعة ترمي الى إصلاح سوريه في الوقت الذي يستريح فيه من عناء المعارك ، وبلوح  
لي كأن هذه الراحة هي حالة يرغم عليها ولا يميل اليها ، ويشعر بأنها لا يصح أن  
يطول مداها ،

وقد تجاذب ابراهيم باشا والبارون بوالسكونت أطراف الأحاديث ، ودار الكلام  
على الحرب الأخيرة ، قال البارون في هذا الصدد : حدثني ابراهيم بلهجة طبيعية  
قائلاً : انه ليؤلمني أن الدول منعتني من متابعة الزحف ، فأجبت : إنني أظن بالعكس  
أنه قد آن الوقت الذي يحق فيه للدول أن تفكر في وقف سموك عن الزحف ، فانه

---

(١) هامش الطبعة الثالثة - البارون بوالسكونت سياسي وكاتب فرنسي تولى بعض  
المناصب الممتازة في وزارة الخارجية الفرنسية وبدبته حكومته سنة ١٨٣٣ في مهمة لدى  
محمد علي لإقناعه بسحب جيوشه من الأناضول تمهيداً لعقد الصلح بينه وبين تركيا ، وقد قابلته  
مرارا واکرم وفادته ، ونجحت مساعي فرنسا في إقناع محمد علي بالصلح مع تركيا ، وهو  
الصلح المعروف باتفاق كوتاهية ( ابريل - مايو سنة ١٨٣٣ ) انظر ص ٢٩١

لم يكن أمامكم سوى بضع خطوات لتصل الجنود المصرية الى أسكدار ، وهنا لك  
تشب الثورة في الاستانة

فأجاني : وليكني كنت شديد الرغبة في دخول الاستانة على رأس جيشي ،  
فقلت له : وماذا تقصدون سموكم من الذهاب الى الاستانة وماذا كنتم صانعين بها ؟  
فأجاني : ما كنت أدخلها للهدم بل للإصلاح ، واكفي أقيم حكومة صالحة  
مؤلفة من رجال أكفاء بدل الحكومة الحالية العاجزة عن الاضطلاع بحكم  
الامبراطورية

فقلت له : إن سموكم يؤكد بحديثه المخاوف التي ألمعت اليها في كلامي ، فان ما كنتم  
تنوون إحداثه هو ما كنا نعمل على منعه ، لا لأننا مسوقون بفسكرة عدائية نحو  
سموكم أو نحو أيكم ، وان كان لأن الانقلاب الذي كنتم عازمين على إحداثه في  
الاستانة يفضي الى مشا كل قد تشعل نار الحرب في أوروبا بأسرها

فأجاني : إنك واعم فيما تظن ، فإن هذا الانقلاب كان يحدث دون أية مقاومة ،  
فان السكان على جانبي البوسفور والدردينيل يطلبونني لإحداث الانقلاب الذي  
يتم في هدوء وسرعة دون أن نجدوا الوقت للشعور بوقوعه ، تقولون انكم تبغون  
الدفاع عن كيان تركيا وجعلها قوية ، ولو تم هذا الانقلاب لكان من نتائجه بعث  
سلطنة قوية تقوم على أنقاض هذه السلطنة المفسكة التي تحاولون عبثا تأييدها والتي  
ستنحلّ يوماً بين أيديكم وتسبب لكم وقتئذ مشا كل لاعداد لها

وهنا سكت ابراهيم باشا قليلا عن الكلام ، كما ما استوقفته فكرة طارئة ثم قال :  
انتي ابحت كثيراً وأتساءل لماذا تحقد الدول الأوروبية كل هذا الحقد على الأمم  
الاسلامية ؟

فقلت له : اني لم أفهم كلام سموكم

قال : نعم ، فانك تقول الآن ان وصول جيشي الى اسكدار يحدث ثورة  
في الاستانة ، وأن أوافقكم وأرى رأيكم ، ولكن أليس هذا دليلا على أن الأمة  
الاسلامية لا تريد حكم السلطان محمود ؟ فبأي حق ترغمون هذه الأمة على ما لا تريده

وهل يحق لكم معشر الفرنسيين أن تمنعوها من اختيار حكامها؟ عجباً ! لقد كنتم حينما نازر البلجيكيون وطلبوا تأييد مملكة مستقلة ، وحينما قام اليونانيون يطالبون باستقلالهم ، تنادون أن لكل أمة الحق في اختيارها ونظام الحكم الذي تبتغيه ، بل انكم ساعدتم اليونانيين في ثورتهم ، فلماذا تحرمون الأمة التركية من هذا الحق ؟

قال البارون بوكونوت : وكان ابراهيم باشا يلقي حديثه هذا في حماسة وذكاء ويمزج الأدلة القوية بشيء من الفكاهة والدعابة ، وكان جواني له أن سموه يخطئ في تقدير المبدأ الذي أملى على الدول الأوروبية سياستها في المسألة الشرقية ، فانهم لا تنظر الى مثل هذه المسألة في ذاتها بل تنظر اليها من ناحية تأثيرها في مركز الدول فادارت مثلًا كما في الحالة التي نحن بصدددها أن ثورة أهلية تفضي الى زلزل التوازن الدولي وإحداث حرب عامة كان من الطبيعي أن تعمل كل دولة ماتراه حائلًا دون وقوع هذه الكارثة

فقال ابراهيم باشا : ان هذا عبث فإن أسباب الخصام بين الدول الأوروبية لا تنتهي ، ودخلت معه في تفاصيل طويلة لأقنعه بخطأ فكرته ،

وكان البارون ( بوكونوت ) قد قابل محمد علي قبل اجتماعه براهيم ، واستطلع رأي كليهما في الحالة السياسية ، ودون خواطره عن شخصية الاثنتين والمقابلة بينهما ، فقال عن ابراهيم انه لم تتوافر عنده القدرة على تأسيس الممالك مثلما توافرت عند أبيه ، ولا يكن عنده من المواهب ما يكفل المحافظة على كيانها وبقائها ، وان من أسباب قوة الدولة المصرية الارتباط المتين بين محمد علي و ابراهيم ، وان ابراهيم قد حافظ على عظيم احترامه وإجلاله لأبيه ولم يداخله أي زهو وخيلاء ، ولم تتغير علاقته به حتى بعد الانتصارات العظيمة التي نالها ، لدرجة انه لم يسمح لنفسه أن يشرب الدخان في حضرته ، وإذا بعد عنه فانه لا يفتأ يبدى له من الإخلاص والطاعة والاحترام ما اعتاده من قبل

وقال عن الفوارق في آرائهما : ان محمد علي يمثل فكرة الحكم المطلق ، أما

ابراهيم فانه اقرب الى المبادئ الحرة ، وقد خالف ابيه في مسألتين جوهرتين ، فالمسألة الأولى انه لم يكن يوافق على نظام الاحتكار الذي اتبعه في مصر وسوريه ولو أنه نفذ في هذا الصدد أو امر ابيه ، والمسألة الأخرى انه يجاهر برأيه في إحياء القومية العربية ، وذكر عن آرائه في هذا الصدد ما نقلناه في موضعه ( ص ٢٤٧ ) وأضاف إليها أنه كان يسمع مثل هذه الأقوال من حاشية ابراهيم وخاصة رجاله ، بخلاف ما كان يسمعه من بطانة محمد علي التي كانت متشعبة بالفكرة التركية ، وقال ان فكرة ابراهيم باشا أن يجعل من الامبراطورية التي أسسها أبوه دولة عربية بحتة ، أي أن يكون حكامها ورعيها وجنودها وضباطها من جنس واحد وأمة واحدة ( وهي الأمة المصرية ) وأن يعيد الى القومية العربية وجودها واستقلالها أسوة بلغتها وآدابها وتاريخها ،

### ولايته حكم مصر

ابريل سنة ١٨٤٨      نوفمبر سنة ١٨٤٨

إن عظمة ابراهيم لم تجتهد من طريق ولايته الحكم ، بل توافرت عنده وانقادت له من قبل ، فلقد أسبغت عليه بطولته في ميادين القتال صفات العظمة والمجد ، أما مدة حكمه فلم تزد عن سبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ولم تتسع ليخط فيها صفحة جديدة يضمها الى سجلاته الخالد

تولى الحكم في حياة ابيه ، ذلك أن محمد علي في أخريات سنه قد اعتلت صحته وأصيب بضعف في قواه العقلية ، ولم يعد في استطاعته الاضطلاع بأعباء الحكم ، وقد ظهرت عليه أعراض هذا الضعف غير مرة ولم ينجع فيه دواء

فعقد ابراهيم باشا مجلساً خاصاً برأسه واستقر رأى المجلس على أن يتولى إدارة شؤون الحكومة بدل ابيه ، فتولى الحكم في ابريل سنة ١٨٤٧ وأبلغ الأمر إلى الباب العالي فأرسل إليه في يولييه فرمان التقليد ، وقد عني ابراهيم باشا مدة حكمه

الفصير بتقوية ثغور البلاد وحصونها وتجديد قوتها الحربية

وفاته ( ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ )

ولكن المنية عاجلته في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، توفي وله من العمر ستون سنة هلاية ، فحسرت مصر بوفاته قائم جيشها المظفر الذي كان لبطولته اليد الطولى في تحقيق استقلالها

وفاة محمد على باشا ( ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ )

وبعد وفاة ابراهيم ولى الحكيم عباس باشا الاول ، وما زال محمد على مصابا بمرضه العضال إلى أن توفي يوم ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ ( ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ ) بسر اى رأس التين بالاسكندرية ، ونقلت جثته الى القاهرة وشيخت جنازته باحتفال مهيب ، ودفن بمسجده بالقلعة حيث يرقد رقدته الأبدية ، وهكذا انتهت حياة ذلك الرجل الكبير بعد أن خلف مجدا لا يلبيه الزمان ، توفي بعد أن أسس الدولة المصرية وحقق استقلالها وأتم وحدتها وشيخ دعائم نهضتها ، وتم على يده من الأعمال الجليلة ما تنوء به العصابة من عطاء الرجال .

## وثائق تاريخية

وثيقة رقم ١ ( انظر ص ٧٢ )

معاهدة جلاء الانجليز عن الاسكندرية

المبرمة بين محمد علي باشا من جانب ، والجنرال شربروك والسكبتن فيلوز من جانب آخر

( وهي المعاهدة التي اتمى بها الاحتلال الانجائزى الثانى )

و بما أن الجنرال فريزر Fraser قائد القوات البرية لصاحب الجلالة البريطانية والسكبتن هلويل Hollowel قائد الأسطول الانجائزى المرابط بجناه السواحل المصرية قد خولا الجنرال شربروك Scherbrook والسكبتن فيلوز Fellowes من ضباط البحرية الانجائزية سلطة إبرام الاتفاق الخاص بالجلاء عن الاسكندرية فقد اتفق كل من صاحب العظمة محمد علي باشا والى مصر ، والجنرال شربروك والسكبتن فيلوز المذكورين على الشروط الآتية ، :

### المادة ١

توقف فوراً الأعمال العدائية من الجانبين ، وتجلو القوات البريطانية عن الاسكندرية فى مدى عشرة أيام من التوقيع على هذه المعاهدة وتنسحب من جميع القلاع والاستحكامات والمنشآت ، وتتركها بالحالة التي هي عليها الآن ، ويسلم صاحب العظمة محمد علي باشا للقواد البريطانيين صهره مصطفى بك وعمه اسحق بك ومهر داره



( حامل الختم ) سايمان افندى بصفة رهائن يبقون على ظهر احدى السفن الحربية  
الانجليزية الى أن يتم تنفيذ هذه المعاهدة

#### المادة ٢

جميع أسرى الحرب الانجليز وكذلك الافراد الذين التحقوا بخدمةهم من  
الأرقاء يطلق سراحهم ويرسلون بطريق النيل الى بوغاز رشيد حيث يبحرون  
على سفينة انجليزية

#### المادة ٣

يصدر عفو عام عن سكان الاسكندرية أو غيرهم من الأهلين لما وقع منهم في  
الماضي ويؤمنون على أرواحهم وأملاكهم لتكونهم اضطروا بحكم الظروف الى  
اتخاذ الطريق الذي سلكوه

#### المادة ٤

بما أن أمين بك الألفي قد بارح الاسكندرية أثناء الاحتلال الانجليزي فان  
صاحب العظمة محمد علي باشا يعيد بأنه في حالة عودة أمين بك المذكور الى الميناء  
الايثاليه سوء ويعطى أمانا له ولحاشيته بشرط أن لا يتجاوز عددهم اثني  
عشر شخصا

#### المادة ٥

نظرا لتفرق الافراد الأرقاء الملحقين بخدمة الجيش البريطاني ووجود بعضهم  
على مسافات بعيدة فيبقى مندوب انجليزي في الاسكندرية بعد الجلاء عنها ليتسلمهم  
كلما ظهروا ، ولهذا المندوب أن يحصل من صاحب العظمة على كل حماية ومساعدة  
لأداء مهمته في إحضار هؤلاء الافراد ، ويسمح له بأن يرسل كل من يوجد منهم

الى أية سفينة انجليزية تكون راسية في الميناء أو يرسلهم الى صقلية أو مالطة بأية  
طريقة أخرى تتيسر له

و حررت هذه المعاهدة في معسكر صاحب العظمة محمد علي باشا والى مصر

بالقرب من دمنهور يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ الموافق ١١ رجب سنة ١٢٢٢ ،

و إضاءات : محمد علي باشا ؛ شربروك ، فيلوز ،

---

وثيقة رقم ٢ ( انظر ص ٣٤٩ )

اتفاق الاسكندرية

( ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ )

« بين السكومودور نايبه Npier قائد القوات البريطانية البحرية الراسية أمام الاسكندرية من جانب ، وبوغوص يوسف بك وزير خارجية صاحب السمو نائب ملك مصر المفوض من قبل سموه من جانب آخر ، تم ابرام الاتفاق الآتي بالاسكندرية يوم ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ ،

#### المادة ١

بما أن السكومودور نايبه بصفته الميمنة أعلاه أحاط صاحب السمو محمد علي علما أن الدول أشارت على الباب العالي بإعادة حكم مصر الوراثي الى عهده ، وبما أن سموه يرى في ذلك وسيلة لوضع حد للحرب وويلاتها ، فانه يتعهد بأن يصدر أوامره الى ابنه ابراهيم باشا بإجراء الجلاء فورا عن سوريه ويتعهد أيضاً بإعادة الأسطول العثماني بمجرد أن يصله اخطار رسمي بأن الباب العالي يتنازل له عن حكم مصر الوراثي وأن يبقى ذلك الحق كما كان مكفولا من الدول

#### المادة ٢

يضع السكومودور نايبه تحت تصرف الحكومة المصرية سفينة من سفنه لتتنقل الى سوريه الضابط الذي يعهد اليه صاحب السمو ابلاغ القائد العام للجيش المصري أمره بالجلاء عن سوريه ويعين الاميرال ستوبفورد قائد القوات البريطانية من ناحيته ضابطا للملاحظة تنفيذ هذا الأمر

( ٢ - ٤٣ )

المادة ٣

وبناء على ماتقدم يتعهد الكومودور نايبه بوقف الحركات العدائية من جانب القوات البريطانية ضد الاسكندرية وكل جهة من الاراضى المصرية ويبيع حرية الملاحة لكل السفن المعدة لنقل الجرحى والمرضى وسائر الجنود المصرية الذين ترغب الحكومة المصرية نقلهم إلى مصر بطريق البحر

المادة ٤

للجيش المصرى الحق فى أن ينسحب من سوريه حاملا معه مدافعه وأسلحته وجياده وذخائره وأمتعته وفى الجملة كل مامعه من مهمات الجيش وقد حررت نسختان من هذا الاتفاق  
« توقيع : شارل نايبه ، بوغوص يوسف ،

مراجع البحث

ذكرنا فى هوامش الصحائف المراجع التى اعتمدنا عليها

## فهرست الكتاب

صفحة		صفحة	
٧	مقدمة الطبعة الأولى	٣	مقدمة الطبعة الثالثة
	خلاصة الجزأين الأول والثاني	٥	أقسام الكتاب
١٢	من تاريخ الحركة القومية	٦	مقدمة الطبعة الثانية

## الفصل الأول

### الزعامة الشعبية في السنوات الأولى

١٦	من حكم محمد علي		
٢٥	الحرب بين محمد علي والماليك	١٦	موقف محمد علي في بداءة حكمه
٢٦	محاولة عزل محمد علي وإخفاقها	١٧	موقف تركيا
٢٦	دسياسة انجليزية جديدة	١٨	دسائس السياسة الانجليزية
	بجىء أسطول عثمانى الى مصر لعزل	١٩	معاودة زعماء الشعب لمحمد علي
٢٨	محمد علي	١٩	هجوم الماليك على القاهرة وإخفاقهم
٢٩	رواية الجبرتي	٢١	استيلاء محمد علي على الجيزة
٣١	حصار دمنهور	٢١	رحيل قبطان باشا الى الاستانة
	تضامن محمد علي والعلماء في		رجوع محمد علي الى زعماء الشعب
٣١	مقاومة فرمان العزل	٢٢	في مهمات الأمور
٣٣	استعداد محمد علي للحرب	٢٣	مكانة السيد عمر مكرم (١)

(١) يراجع ما كتبناه عن السيد عمر مكرم بالجزء الأول من تاريخ الحركة القومية ، ص ٩٧ وبالجزء الثاني ص ٣٢ و ١٥٢ و ١٨٢ و ٢٨٤ وما بعدها

صفحة	صفحة
٣٧	رواية الجبرتي
٣٩	موقف زعماء الشعب
٤٠	سياسة محمد علي
٤١	معركة النجيلة
٤٤	رواية الجبرتي عن معركة النجيلة
استئناف حصار دمنهر ودفاعها المجيد	٣٤
حبوط مؤامرة العزل	٣٤
وفاة عثمان بك البرديسي	٣٥
إخفاق محمد بك الآلبي ووفاته	٣٦
الحملة على المماليك في الصعيد	٣٧

### الفصل الثاني

٤٦ الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ وفشلها

٥٩	حالة الشعب النفسية وتطوعه للقتال	٤٦	أسباب الحملة
٦٠	فضل السيد عمر مكرم	٤٦	حالة الأفكار في القاهرة والأقاليم
٦٤	معركة الحناد	٤٩	مجيء العمارة الانجليزية
٧٠	رواية الجبرتي عن معركة الحناد	٥١	احتلال الاسكندرية
٧١	تأثير معركة الحناد في الموقف الحربي	٥٣	موقف المماليك
٧٣	إبرام الصلح وجملاء الانجليز عن البلاد	٥٤	واقعة رشيد وهزيمة الانجليز فيها
٧٥	عودة محمد علي الى القاهرة	٥٦	رواية الجبرتي عن واقعة رشيد
	فتنة الجند في القاهرة	٥٧	نصيب المصريين في المعركة
٧٦	وإخمادها سنة ١٨٠٧	٥٨	نتائج واقعة رشيد

### الفصل الثالث

٨٠ اختفاء الزعامة الشعبية من الميدان

٨٠	الخلاف بين محمد علي والسيد	٨٠	الموقف السياسي
٨٤	عمر مكرم	٨٢	تخاذل الزعماء وحالتهم النفسية

صفحة		صفحة	
٩٩	موقف الشيوخ بعد نفي زعيمهم	٨٨	الوقعة بالسيد عمر مكرم
١٠١	عمر مكرم في منفاه	٩٢	تدبير المؤامرة
١٠٢	كتاب محمد على الى السيد عمر مكرم	٩٦	اشتداد الأزيمة
	عودة عمر مكرم الى القاهرة	٩٨	نفي عمر مكرم الى دمياط
١٠٢	ونفيه ثانيا	٩٩	رحيله الى منفاه

### الفصل الرابع

١٠٥	انفراد محمد على بالحكم	
١١١	مذبحة القلعة	١٠٥ انتقال محمد على الى القلعة
١١٨	الرأى فى مذبحة القلعة	١٠٧ موقف محمد على إزاء المماليك

### الفصل الخامس

#### تحقيق الاستقلال القومى

١٢٢	حروب مصر فى عهد محمد على	
١٣١	معدات الحملة	نظرة عامة فى تلك الحروب
١٣٣	وقائع الحملة	١٢٢ من الوجهة القومية
١٣٤	احتلال ينبع	١٢٣ الحملة الانجليزية
١٣٤	احتلال بدر	١٢٣ الحرب الوهاية
١٣٥	هزيمة الصفراء	١٢٤ أسبابها
١٣٦	موقف طوسون باشا	١٢٧ الدعوة الوهاية

صفحة		صفحة	
١٤٧	احتلال الرمن	١٣٧	احتلال الصفراء
١٤٧	طلب الوهايين الصلح	١٣٧	فتح المدينة
١٤٨	رجوع محمد على الى مصر	١٣٨	فتح مكة
١٤٩	مؤامرة لطيف باشا	١٣٩	احتلال الطائف
١٥١	مشروع الصلح وإخفاقه	١٣٩	تخرج موقف الجيش المصرى
١٥٢	رجوع طوسون باشا الى مصر	١٣٩	هزيمة الجيئر المصرى فى ترابه
	استئناف الحرب فى الحجاز بقيادة	١٤٠	إخلاء الحناكية
١٥٣	إبراهيم باشا	١٤٠	خسائر الجيش
١٥٤	وفاة طوسون باشا	١٤١	سفر محمد على الى الحجاز
١٥٥	حصار الرس	١٤١	اعتقال الشريف غالب
١٥٨	فتح الشقراء	١٤٢	احتلال قنفذة ثم اخلاؤها
١٥٨	فتح الدرعية	١٤٣	طلب محمد على المدد من مصر
١٦٠	رواية الجبرتى	١٤٤	وفاة سعود بن عبد العزيز
١٦٢	اتهاء الحرب الوهاية	١٤٤	حصار الوهايين الطائف
	الحفلات الحربية فى عهد	١٤٥	رفع الحصار عن الطائف
١٦٣	محمد على	١٤٥	التأهب لمعاودة القتال
١٦٥	مقتل عبد الله بن سعود	١٤٦	واقعة بسل
١٦٥	تخريب الدرعية		احتلال المصريين ترابه ورنيه
١٦٥	عودة إبراهيم باشا الى مصر	١٤٧	ثم يبشه
١٦٦	فتح سيوه	١٤٧	احتلال قنفذة



الفصل السادس

فتح السودان

١٦٧

صفحة		صفحة	
١٨٩	محو بك	١٦٨	أسباب فتح السودان
١٩٠	خورشد باشا	١٧٢	مقدمات الحملة
١٩١	أحمد باشا أبو ودان	١٧٣	معدات الحملة
١٩١	أحمد باشا المنكلي ثم خالد باشا	١٧٤	وقائع الحملة
١٩١	رحلة محمد علي في السودان	١٧٥	فتح دنقلة
١٩٢	عمران السودان في ظل الحكم المصري	١٧٥	معركة كورتى
١٩٣	تأسيس المدن	١٧٦	من بربر إلى أم درمان
١٩٣	الخرطوم	١٧٧	فتح سنار
١٩٥	كسلا	١٧٧	فتح كردفان
١٩٦	فامكة	١٧٨	فتك الأمراض بالجنود
١٩٦	توطيد دعائم الأمن	١٧٨	مجيء إبراهيم باشا ثم عودته
١٩٨	الزراعات وأعمال العمران الأخرى	١٧٩	فتح فازو على
١٩٩	الحمالات والبعثات الجغرافية	١٨٠	البحث عن مناجم الذهب
٢٠١	حملات البكباشى سليم بك قبطان	١٨٠	مقتل اسماعيل باشا
٢٠٢	الحملة الأولى	١٨٢	ما ذكره الجبرنى عن فتح السودان
٢٠٣	الحملة الثانية	١٨٦	نظام الحكم في السودان
٢٠٤	الحملة الثالثة	١٨٨	الجيش المصرى بالسودان
	حدود السودان المصرى في عهد	١٨٩	حكمدارو السودان في عهد محمد علي
٢٠٥	محمد علي	١٨٩	عثمان بك

الفصل السابع

حرب اليونان

٢٠٩

صفحة		صفحة	
٢٢٤	فتح مدينة كلاماتا	٢٠٩	الثورة اليونانية
٢٢٤	فتح مدينة تريبولتسا	٢١١	اعلان الثورة في الموره
٢٢٥	فتح مدينة ميسولونجى	٢١٢	استعانة تركيا بالأسطول المصرى
٢٢٧	حصار أثينا	٢١٣	رواية الجبرتى
٢٢٧	اعداد حملة جديدة	٢١٤	الحملة المصرية على كريت
٢٢٨	تدخل الدول	٢١٥	الحملة على الموره
٢٢٩	اقلاع الحملة المصرية إلى مياه نافارين	٢١٦	معدات الحملة
٢٣٠	مقدمات واقعة نافارين البحرية		الحرب البحرية على شواطئ
٢٣٣	واقعة نافارين	٢١٦	الأناضول
	اختلاف وجهة نظر تركيا ومصر	٢١٩	النزول إلى بر الموره
٢٣٩	بعد الواقعة	٢١٩	حصار نافارين
٢٤٠	اتفاق مصر والدول	٢٢٢	استيلاء المصريين على نافارين
٢٤٠	جلاء الجيش المصرى عن الموره	٢٢٢	نشاط السفن اليونانية
٢٤١	نتائج الحرب اليونانية	٢٢٣	مهاجمة السفن اليونانية سواحل مصر

الفصل الثامن

الحرب فى سورية والأناضول

٢٤٤

صفحة		صفحة	
٢٤٦	مشروع إنشاء دولة عربية	٢٤٤	أسباب الحملة على سورية

صفحة		صفحة	
٢٩٤	نظام الحكم فيها	٢٤٩	الأسباب المباشرة للحملة
٣٠	الثورات في الشام - أسبابها	٢٥٠	تأليف الحملة
٣٠٢	وقائع الثورة - ثورة فلسطين	٢٥١	سير الحملة
٣٠٣	قع العصيان	٢٥٢	احتلال غزة وبافا وحيفا
٣٠٥	حضور محمد علي باشا	٢٥٢	حصار عكا
٣٠٥	اخماد الثورة	٢٥٣	موقف تركيا
٣٠٦	اضطرابات أخرى	٢٥٤	انتصار المصريين في الزراعة
٣٠٦	ثورة النصيرية	٢٥٥	فتح عكا
٣٠٧	ثورة حوران	٢٥٩	فتح دمشق
٣١٠	الحرب السورية الثانية	٢٦	واقعة حمص
٣١٠	محمد علي وإعلان الاستقلال	٢٦٨	الموقف الحربي بعد واقعه حمص
٣١١	مقدمات الحرب السورية الثانية	٢٦٩	واقعة بيلان
٣١٢	خطة الترك في الزحف على الشام	٢٧	زحف الجيش المصرى فى لاناصول
٣١٣	عبور الترك نهر الفرات	٢٧٨	واقعة قونية
٣١٣	إرسال محمد علي المدد إلى الشام	٢٨٥	حركات الأسطول المصرى
	حركات الجيش المصرى قبيل واقعة	٢٨٧	المسألة المصرية وتدخل الدول
٣١٤	نصيدين		رسالة محمد علي فى التمسك
٣١٦	قوات الطرفين	٢٨٩	بمحقوق مصر
٣١٦	واقعة نصيبين		احتلال كوتاهية ومغنيسيا وإقامة
٣١٩	الواقعة	٢٩١	الحكم المصرى فى أزمير
٣٢٣	نتائج الواقعة	٢٩١	اتفاق كوتاهية
٣٢٤	وفاة السلطان محمود	٢٩٤	الحكم المصرى فى سوريه

صفحة		صفحة	
٣٢٤	تسليم الاسطول التركي	٣٢٤	تقدم ابراهيم باشا

### الفصل التاسع

٣٢٧	معاهدة لندن ومركز مصر الدولي
-----	------------------------------

صفحة		صفحة	
٢٤٤	سقوط عكا	٣٢٧	تدخل الدول بعد معركة نصيبين
٣٤٥	انسحاب فرنسا من الميدان	٣٢٩	موقف الدول
٣٤٦	مهمة الكومودور نايبه	٣٢٩	موقف روسيا
٣٤٩	اخلاء الجيش المصرى سوريه	٣٢٩	موقف فرنسا
	رأى مؤرخى سوريه	٣٢٩	موقف انجلترا
٣٥١	فى الحكم المصرى	٣٣١	موقف النمسا وروسيا
٣٥٧	اخلاء جزيرة العرب	٣٣١	موقف تركيا
	مركز مصر الدولي بعد معاهدة	٣٣٢	مذكرة الدول إلى الباب العالي
٣٦١	لندره	٣٣٤	إبرام معاهدة لندره وشروطها
٣٦٣	قيود الفرمانات	٣٣٦	دسائس انجلترا فى سوريه
٣٦٤	فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١		رفض محمد على باشا شروط
٣٦٧	لائحة ١٩ أبريل سنة ١٨٤١	٣٣٩	المعاهدة
٣٦٧	فرمان أول يونيه سنة ١٨٤١		الحرب بين مصر والدول المتحالفة
٣٦٩	النتيجة	٣٤٢	وثورة السوريين على الحكم المصرى
		٣٤٣	استيلاء الحلفاء على الثغور السورية

الفصل العاشر

دعائم الاستقلال

الجيش

صفحة	صفحة
٣٧٢	الجيش
٣٩١ مدرسة الموسيقى العسكرية	٣٧٣ مشروع تأسيس الجيش النظامي
٣٩٢ المدرسة البحرية بالاسكندرية	المحاولة الأولى لتنفيذ المشروع
٣٩٢ مصانع الأسلحة والمدافع بالقلعة	وإخفاؤها
٣٩٣ معمل صب المدافع	٣٧٤ رواية الجبرتي
٣٩٤ مخازن البارود والقنابل	٣٧٥ موقف محمد علي إزاء الجيش القديم
رأى المارشال مارمون في رسالة	٣٧٦ رواية الجبرتي
٣٩٤ القلعة	٣٧٧ البدء في تنفيذ المشروع
٣٩٥ ابراهيم أدهم باشا	٣٧٨ سليمان باشا الفرنساوي
٣٩٧ مصنع البنادق بالحوض المرصود	٣٨٠ المدرسة الحربية الأولى بأسوان
٣٩٨ معامل البارود	التجنيد
٤٠٠ ملابس الجنود ومرتباتهم	٣٨٢ المدارس الحربية
٤٠١ الإدارة الحربية	٣٨٦ مدرسة أسوان
٤٠١ الروح الحربية	٣٨٧ مدرسة قصر العيني
٤٠٣ شهادة الثقات للجيش المصري	٣٨٧ مدرسة المشاة
٤٠٣ رأى سليمان باشا الفرنساوي	٣٨٨ مدرسة الفرسان بالجيزة
٤٠٤ رأى كلوت بك	٣٨٩ مدرسة المدفعية بطره
٤٠٧ رأى المارشال مارمون	٣٩١ مدرسة أركان الحرب بالخانكة
٤٠٨ رأى المسيو مريو	

صفحة		صفحة	
	إحصاء الجيش المصرى فى عهد	٤٠٩	القلاع والاستحكامات
٤١٣	محمد على	٤١٠	حصون الاسكندرية
١٣	إحصاء سنة ١٨٣٣	٤١١	حصون أبو قير
٤١٤	إحصاء سنة ١٨٣٩	٤١٢	حصور رشيد
		٤١٢	حصون دمياط

### الفصل الحادى عشر

الأسطول	
٤٢٣	النواة الأولى للأسطول
٤٣٥	ترسانة الاسكندرية
٤٣٨	رواية الجبرتي
	ترسانة بولاق وإنشاء السفن
	الدونمة المصرية فى البحر الأبيض
٤٨٣	تجديد الأسطول بعد واقعة نأفارين
٤٤٠	إنشاء دار الصناعة الكبرى
٤٤٠	المعسكر البحرى للتعليم برأس التين
٤٤١	مدرسة بحرية على ظهر البحر
٤٤٤ ]	بالاسكندرية
٤٤٣	سرزى بك
	الحاج عمر
٤٤٤	كيف أسست الترسانة
٤٤٤	أقسام الترسانة
	أخشاب السفن
	تذليل العقبات
٤٤٥	شهود العيان
٤٤٥	السفن التى أنشئت أو رمت فى
	زيارة المارشال مارمون للترسانة

صفحة		صفحة	
٤٥٤	الأميرال مصطفى مطوش باشا	٤٤٦	رأيه في كفاءة المصريين
٤٥٤	الأميرال محمد سعيد باشا	٤٤٧	زيارته للأسطول
	إحصاء الاسطول المصرى	٤٤٧	رأى كلوت بك
٤٥٥	في عهد محمد على	٤٩	كفاءة عمال الترسانة المصريين
٤٥٥	إحصاء سنة ١٨٣٧	٤٥٠	قواد الاسطول المصرى
٤٥٧	إحصاء سنة ١٨٣٩	٤٥٠	الأميرال اسماعيل بك
٤٦٠	إحصاء سنة ١٨٤٣	٤٥١	الأميرال محرم بك
		٤٥١	الأميرال عثمان نور الدين باشا

### الفصل الثانى عشر

#### التعليم والنهضة العلمية

٤٦٤		٤٦٤	نظرة عامة
٤٧٣	المدارس الابتدائية	٤٦٥	مدرسة الهندسة بالقلعة
٤٧٦	البعثات العلمية	٤٦٥	رواية الجبرتى
٤٧٧	الارساليات الاولى	٤٦٧	مدرسة المهندسخانة ببولاق
٤٧٨	البعثات الكبرى	٤٦٩	مدرسة الطب
	عدد طلبة البعثات وما أنفق عليهم	٤٦٩	مدرسة الصيدلة ومدرسة الولادة
٤٧٩	عناية محمد على بأعضاء البعثات	٤٧٠	كلوت بك
٤٨١	البعثة الاولى	٤٧١	مدرسة الالسن
٤٨٤	البعثة الثانية	٤٧١	بقية المدارس العالية والخصوصية
٤٨٦	البعثة الثالثة	٤٧٢	المدارس الحربية والبحرية
٤٨٨	البعثة الرابعة	٤٧٢	ديوان المدارس

صفحة		صفحة	
٥٥٥	أحمد حسن الرشيدى بك	٤٨٩	البعثة الخامسة
٥٥٦	محمد الشافعى بك	٤٩٤	البعثة السادسة
٥٥٦	محمد الشباسبى بك	٤٩٤	البعثة السابعة
٥٥٦	مصطفى بك السبكي	٤٩٤	البعثة الثامنة
٥٥٦	عيسوى افندى النحراوى	٤٩٥	البعثة التاسعة
٥٥٧	حسين غانم الرشيدى أفندى	٤٩٨	تراجم طائفة من أعضاء البعثات
٥٥٧	محمد عبد الفتاح	٤٩٨	التاريخ والجغرافية والأدب
٥٥٧	على هيبه	٤٩٨	رفاعة بك رافع الطهطاوى
	حسين عوف باشا و ابراهيم	٥٤٤	على مبارك باشا
٥٥٧	دسوقى بك	٥٤٤	الهندسة والرياضيات
٥٥٨	مصطفى الواطى بك	٥٤٤	مصطفى بهجت باشا
٥٥٨	عثمان افندى ابراهيم	٥٤٥	محمد بيومى أفندى
٥٥٩	رجال الدولة والسياسة	٥٤٦	محمد مظهر باشا
٥٥٩	الامير ( الخديو ) اسماعيل	٥٤٧	اراهيم رمضان بك
٥٥٩	محمد شريف باشا	٥٤٧	أحمد دقله بك
٥٥٩	الحربية والادارة العسكرية	٥٤٨	أحمد طائل أفندى
٥٥٩	مصطفى مختار بك	٥٤٩	أحمد فايد باشا
٥٦٠	أمين بك السكرجى	٥٤٩	محمود باشا الفلكى
٥٦١	أحمد بك	٥٤٩	أحمد بك السبكي
٥٦١	على باشا ابراهيم	٥٥٠	حسن بك نور الدين
٥٦١	حماد عبد العاطى باشا	٥٥١	الطب والجراحة
	الملاحة والعلوم البحرية	٥٥١	محمد على البقلى باشا
٥٦٢	وبناء السفن	٥٥٤	ابراهيم بك النبراوى



صفحة		صفحة	
٥٦٦	حسنين افندى على البقلى	٥٦٢	الاميرال عثمان نور الدين باشا
٥٦٦	احمد بك ندا	٥٦٢	الاميرال حسن باشا الاسكندراني
٥٦٧	عبد الهادى اسماعيل بك	٥٦٣	محمد شنان بك
٥٦٧	يوسف افندى	٥٦٣	حمود ناهى بك
٥٦٧	الفنون الجميلة	٥٦٤	محمد بك راغب
٥٦٧	حسن افندى الورداني	٥٦٤	الحقوق والعلوم السياسية
٥٦٨	محمد افندى مراد	٥٦٤	عبدى شكرى باشا
٥٦٨	محمد افندى اسماعيل	٥٦٤	أرتين بك
٥٦٨	حسين باشا كوجك	٥٦٥	اسطفان بك
٥٦٨	محمد صادق باشا	٥٦٥	عبد الله بك السيد
٥٦٩	الطباعة والصحافة والنشر	٥٦٦	الطبيعيات والزراعة
		٥٦٦	احمد يوسف افندى

### الفصل الثالث عشر

أعمال العمران والحالة الاقتصادية	
٥٧٢	
٥٧٨	اصلاح جسر أبو قير
٥٧٩	سد أشتوم الدييه في بحيرة المنزلة
٥٧٩	القناطر الخيرية
٥٨٢	توسيع نطاق الزراعة
٥٨٢	غرس أشجار التوت
٥٨٤	غرس الاشجار
٥٨٤	زراعة القطن
٥٧٢	نظرة عامة
٥٧٢	منشآت الري والزراعة
٥٧٢	سد ترعة الفرعونية
٥٧٣	فتح ترعة المحمودية
٥٧٧	للترع الأخرى
٥٧٧	الجسور
٥٧٨	القناطر

صفحة		صفحة	
٥٩٥	زفتى وميت غمر	٥٨٥	زراعة الزيتون
٥٩٥	المنصورة	٥٨٦	زراعة النيلة
٥٩٥	دمياط	٥٨٦	زراعة الخشخاش
٥٩٦	دمهور	٥٨٦	منشآت الصناعة
٥٩٦	فوه	٥٨٧	مصانع الغزل والنسيج
٥٩٦	رشيد	٥٨٧	مصنع الخرنفش
٥٩٦	مصانع الغزل في الوجه القبلي	٥٨٨	فابريقة مالطة بيولاق
٥٩٦	بنى سويف	٥٨٩	فابريقتا ابراهيم أغا والسبتية
٥٩٧	أسيوط	٥٨٩	المبيضة
٥٩٧	بقية مصانع الغزل	٥٩٠	مصنع نسيج البركال
	نظرة عامة في مصانع الغزل		مصنع أمشاط الغزل بحى السيدة
٥٩٧	والنسيج	٥٩٠	زينب
٥٩٩	مصانع نسيج السكتان	٥٩١	مصنع الجوخ بيولاق
٥٩٩	معمل سبك الحديد	٥٩٢	مصنع الحرير
٥٩٩	مصنع ألواح النحاس	٥٩٣	مصنع الحبال
٦٠٠	معامل السكر في الوجه القبلي	٥٩٣	نسيج الصوف
٦٠٠	مصانع النيلة	٥٩٣	فابريقة الطرايش بنفوه
٦٠١	مصانع أخرى		مصانع الغزل والنسيج في الوجه
٦٠١	أعمال العمران الاخرى	٥٩٤	البحرى
٦٠٣	التجارة	٥٩٤	قليوب
٦٠٤	الصادرات والواردات	٥٩٤	شين الكوم
		٥٩٥	المحلة الكبرى

الفصل الرابع عشر

نظام الحكم

٦٠٩	صفحة	٦٠٦	صفحة
٦٢١	الغاء نظام الالتزام	٦٠٦	النظام السياسي
٦٢٥	الأبعاديات والشفالذ	٦٠٦	الدواوين
٦٢٦	مساحة الأراضي الزراعية	٦٠٨	مجلس المشورة
٦٢٧	الضرائب	٦٠٩	أعضاء مجلس المشورة
٦٢٩	فرضة الرؤس أو الضريبة على الدخل	٦١٣	بعض أعمال مجلس المشورة
٦٢٩	ضرائب أخرى	٦١٥	القانون الأساسى سنة ١٨٢٧
٦٣٠	نظام الاحتكار	٦١٦	المجلس الخصوصى والعمومى
	احتكار الحكومة للحاصلات	٦١٧	نظرة عامة فى هذا النظام
٦٣٠	الزراعية والاتجار بها	٦١٨	التقسيم الإدارى والموظفون
٦٣٢	احتكار الصناعة	٦١٩	البوليس
٦٣٣	مالية الحكومة وميزانيتها السنوية	٦٢	النظام القضائى
٦١٤	ميزانية سنة ١٨٢٢	٦٢١	النظام المالى والاقتصادى
٦٢٧	مقارنة بين ميزانيات بعض السنوات	٦٢١	الملسكية والضرائب

الفصل الخامس عشر

الحالة الاجتماعية

٦١٩		٦٣٩	عدد السكان
٦٤٧	الزراع والصناع والتجار	٦٣٩	طبقات المجتمع
٦٤٩	الأعيان	٦٤٠	الهيئة الحاكمة
٦٤٩	العربان	٦٤٤	الأزهر والعلماء
٦٥٠	بقايا الرقيق		

الفصل السادس عشر

٦٥٢ شخصية محمد علي والحكم على عصره

الفصل السابع عشر

٦٦٥ ابراهيم باشا

صفحة		صفحة	
	وثيقة رقم ١ - معاهدة جلا.	٦٦٥	تاريخه
٦٧٤	الانجليز عن الاسكندرية	٦٦٨	صفاته وآراؤه ومبادئه
٦٧٩	وثيقة رقم ٢ - اتفاق الاسكندرية	٦٧٢	ولايته الحكم
٦٨١	فهرست السكتاب	٦٧٣	وفاته
٦٩٦	الخرائط والرسوم	٦٧٣	وفاة محمد علي
٦٩٨	هجائي للسكتاب	٦٧٤	وثائق تاريخية

فهرست الخرائط والرسوم

١٥	محمد علي الكبير
٤٨	خريطة مواقع الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧
١٥٦	د الحرب الوهاية
١٨٧	د السودان المضرى فى عهد محمد علي
١٩٩	د مدينة الخرطوم فى
٢٠٨	د حرب اليونان
٢٣٦	د ميناء نافرين والواقعة البحرية
٢٥٦	د الحرب فى سوريا والآنضول

٢٦٦	خريطة واقعة حمص
٢٧٣	د د ييلان
٢٨٢	د د قونية
٢٢١	د د نصيين
٤٩٧	رفاعه بك رافع الطهطاوى
٦٦٤	ابراهيم باشا

فهرست هجائی للکتاب (۱)

۰۳۲۴ ، ۰۳۲۴ ، ۰۳۲۲ ، ۰۳۲۱ ، ۰۳۲۰  
 ۰۳۴۷ ، ۰۳۴۳ ، ۰۳۴۲ ، ۰۳۳۸ ، ۰۳۳۷  
 ۰۳۶۰ ، ۰۳۷۴ ، ۰۳۵۵ ، ۰۳۵۲ ، ۰۳۵۱  
 ۰۴۰۶ ، ۰۳۹۳ ، ۰۳۸۱ ، ۰۳۸۰ ، ۰۳۶۱  
 ۰۵۷۳ ، ۰۴۹۰ ، ۰۴۷۸ ، ۰۴۵۲ ، ۰۴۳۱  
 ۰۵۷۳ ، ۰۵۶۴ ، ۰۵۶۰ ، ۰۵۴۹ ، ۰۵۲۹  
 ۰۶۱۶ ، ۰۶۱۰ ، ۰۶۰۹ ، ۰۶۰۸ ، ۰۵۰۵  
 ۰۶۵۰ ، ۰۶۴۷ ، ۰۶۴۵ ، ۰۶۴۲ ، ۰۶۲۶

۶۶۵ ، ۶۶۴

الشیخ ابراهیم : ۶۱۳

الحاج ابراهیم افندی : ۶۱۰

ابراهیم بك : ۶۱۰ ، ۱۱۹ ، ۱۱۷

الشیخ ابراهیم أبودرباله : ۶۱۱

ابراهیم أدهم باشا : ۳۹۵ ، ۳۹۲ ، ۳۸۹

۶۱۶ ، ۵۹۹ ، ۵۲۷ ، ۴۷۲ ، ۳۹۸

ابراهیم أغا : ۶۱۰

ابراهیم أغا : ۱۱۵ ، ۶۱۰

ابراهیم أغا الجوخدار : ۲۷۷

ابراهیم جرکس بك : ۴۹۴

(۱)

أباطه راشد افندی : ۴۹۳

أباطه مراد حلی باشا : ۴۹۲

ابراهیم باشا : ۱۲۵ ، ۱۲۳ ، ۹۸ ، ۷۶ ، ۳۸

۰۱۵۶ ، ۰۱۴۵ ، ۰۱۵۴ ، ۰۱۵۲ ، ۰۱۳۴

۰۱۶۵ ، ۰۱۶۳ ، ۰۱۶۲ ، ۰۱۶۰ ، ۰۱۵۹

۰۲۰۰ ، ۰۱۹۶ ، ۰۱۸۲ ، ۰۱۷۸ ، ۰۱۶۶

۰۲۲۰ ، ۰۲۱۹ ، ۰۲۱۸ ، ۰۲۱۷ ، ۰۲۱۶

۰۲۲۵ ، ۰۲۲۴ ، ۰۲۲۳ ، ۰۲۲۲ ، ۰۲۲۱

۰۲۸۵ ، ۰۲۳۳ ، ۰۲۳۱ ، ۰۲۳۰ ، ۰۲۲۹

۰۲۵۲ ، ۰۲۴۹ ، ۰۲۴۸ ، ۰۲۴۰ ، ۰۲۳۹

۰۲۶۱ ، ۰۲۶۰ ، ۰۲۵۹ ، ۰۲۵۵ ، ۰۲۵۳

۰۲۷۰ ، ۰۲۶۹ ، ۰۲۶۸ ، ۰۲۶۴ ، ۰۲۶۲

۰۲۷۹ ، ۰۲۷۸ ، ۰۲۷۷ ، ۰۲۷۶ ، ۰۲۷۵

۰۲۹۴ ، ۰۲۹۱ ، ۰۲۹۱ ، ۰۲۸۵ ، ۰۲۸۳

۰۳۰۰ ، ۰۲۹۹ ، ۰۲۹۸ ، ۰۲۹۷ ، ۰۲۹۵

۰۳۰۷ ، ۰۳۰۶ ، ۰۳۰۵ ، ۰۳۰۳ ، ۰۳۰۲

۰۳۱۹ ، ۰۳۱۸ ، ۰۳۱۶ ، ۰۳۱۲ ، ۰۳۰۸

(۱) وضع هذا الفهرست الاستاذ الأديب عصام محمد سليمان ، وقد بذل في وضعه وتيسقه جهدا موقفا ، فله مني موفور الشكر والثناء .

- أبو غوش . ٣٠٣ ، ٣٠٤  
أبو الفداء . ٥٠٠  
أبو قير . ١٨٠ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٠  
٤٠٨ ، ٧٨ ، ٧٢  
أبو مندور : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١  
الشيخ أبو نصير : ٦١٣  
الشيخ أبو يوسف : ٦١٣  
أبيدور : ٢١٢  
أني قس : ١٧٧  
الأبيض : ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٨  
اتفاق ٤ ابريل سنة ١٨٢٦ : ٢٢٨  
اتفاق كوتاهية سنة ١٨٣٣ . ٢٥٤ ، ٣٠٠  
٢٤٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٩  
٣٦١  
أثر النبي . ٥٩٤ ، ٦١٥  
أثينا . ٢٢٧ ، ٢٢٨  
احتلال الاسكندرية . ٥١  
الاحتلال البريطاني . ١٠٠ ، ١٩٠ ، ٤١٠ ، ٧٤ ، ٧٥  
١٢٣ ، ١٦٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٣٥٧  
٦١٨  
الاحتلال البريطاني الأول : ٧٥  
الاحتلال البريطاني الثاني . ٧٥  
الاحتلال البريطاني الثالث . ٧٥  
الأمير احمد . ٤٧٨ ، ٤٩٠  
احمد باشا . ٤٧٩  
احمد بك . ٤٨٢ ، ٥٦٠  
احمد بك . ١١٧  
ابراهيم دسوقي بك : ٤٩٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧  
ابراهيم بك رأفت : ٣٩٥  
ابراهيم بك رمضان : ٤٦٩ ، ٤٨٤ ، ٥٤٦  
الشيخ ابراهيم سالم : ٦١٢  
ابراهيم سامي باشا : ٤٩٦  
ابراهيم السبكي افندي : ٤٩١  
الشيخ ابراهيم سليمان : ٦١٣  
الشيخ ابراهيم شحاته : ٦١١  
ابراهيم باشا فوزي : ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥  
ابراهيم قبودان : ٣٣٩ ، ٣٥٤  
ابراهيم كاشف : ٢٠١  
ابراهيم بك الكبير : ٢٥٠ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠ ، ٢٥٠  
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٠٤  
ابراهيم بك مرزوق : ٥٣٦  
ابراهيم التبراوي بك : ٤٩٢ ، ٥٥٥  
ابراهيم وهبه : ٣٨٥  
ابراهيم باشا يكن : ٢٥٠  
ابكار يوس : ٢٧٧  
الإمام ابن تيمية . ١٢٧  
ابن خلدون . ٥٠٤  
الشيخ ابو الحسن الأنصاري . ٤٩٩  
ابو حمد . ١٩١ ، ١٩٨  
الإمام الأعظم ابو حنيفة . ٥٤٩  
أبوزعل . ٦٤٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٣٧  
٤٨٧ ، ٥٢٩ ، ٥٤٥  
أبو السعود افندي . ٥٢٠  
الشيخ أبو عمارة . ٦٢١

- الشيخ احمد دربية: ٦١٢  
احمد راسخ بك: ٤٩٣  
الشيخ احمد ربيع: ٥٤٩، ٦١٣  
احمد بك السبكي: ٤٩٣  
الشيخ احمد سرجاني: ٦١٣  
الشيخ احمد سعدى: ٦١٢  
الشيخ احمد السلوى المغربى: ١٨١  
احمد شاهين قودان: ٤٤٢، ٤٦١  
احمد شعبان: ٤٨١  
احمد شوق بك: ٥٣١  
احمد افندى صفي الدين: ٥٣٣  
احمد طائل افندى: ٤٦٩، ٤٨١، ٥١٢  
٥٠٧، ٥٠٥  
السيد احمد الطحطاوى: ١٠٠، ١٣٢  
احمد طلعت افندى: ٤٩٥  
الأمير احمد طوسون باشا: ١١، ٨٠، ١١٢  
١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥  
١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤  
١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥  
١٦٢، ١٨١  
الشيخ احمد عبد الرحيم الطحطاوى: ٥٢٢  
احمد بك عبيد: ٥٣٩  
احمد عجيلة بك: ٤٩٠  
الشيخ احمد العطار: ٤٨٣  
احمد افندى عياد: ٥٤٠  
احمد فايد باشا: ٤٨٤، ٥٤٩  
احمد بك فايد: ٤٦٩  
احمد افندى: ٤٨٣  
احمد افندى: ٤٨٤  
احمد افندى: ٢٧٩  
السيد احمد: ٤٣٢  
احمد بن إدريس: ٣٨٤  
الإمام احمد بن حنبل: ١٢٧  
احمد باشا بن طاهر: ١٨٢  
الشيخ احمد أبو اسماعيل: ٦١٣  
احمد باشا ابو ودان: ١٩٠، ١٩١، ١٩٥  
احمد باشا الاستانبولى: ٢٨١  
احمد أسعد افندى: ٤٩٣  
احمد آغا: ٦٢  
الحاج احمد آغا: ٤٢٨  
احمد بك الألفى: ١٨٦  
احمد افندى البقلى: ٥٥١  
السيد احمد البقلى الشافعى: ١٧٣، ١٨٣  
احمد باشا الجزائر: ٢٥٢  
شيخ العرب احمد حبيب: ٦١٣  
احمد حسن الرشيدى بك: ٤٩٢، ٥٥٦  
٥٥٧، ٥٥٨  
احمد حسن حنقى: ٤٨٤  
احمد حلى افندى: ٤٩١، ٥١٩، ٥٤٠  
احمد خليل افندى المهندس: ٤٤٣  
احمد خورشيد باشا: ١٣، ١٨، ٢١، ٢٣  
١٠٦، ٩١، ٩٩، ١٠٥، ١٩٠، ١٩٣  
١٩٨، ٢١٢، ٢٤٦  
احمد خير الله بك: ٤٩٣، ٥٤٠  
احمد دقلة بك: ٤٠٩، ٤٨١، ٥٤٥، ٥٤٧



أدكو: ٦٨، ٦٦  
أرتين بك: ٤٧٢، ٤٨١، ٥٦٤  
أرتين خشادور افندی: ٤٩٢  
أرقو: ١٧٥  
أركاديا: ٢٢٤  
الارمادا: ٢١٦  
الازبكية: ١١١، ١٠٥، ٩٨، ٨٠، ٧٧، ٧١  
٢٥٥، ١٦٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٧١  
٦٠٣  
أزميرلي: محمد قبودان ٤٣٠  
الازهر: ١٠٢، ٩٣، ٨٧، ٨٥، ٨٣، ٦٠  
٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٨، ٤٩٤، ٤٩٨  
٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣  
٥٦٨، ٥٦٩، ٥٩٥، ٦٤٤، ٦٤٥  
٦٤٧، ٦٤٨  
اسبتريا: ٢٢٧  
اسييك: ١٥٤  
استامبول: ١٦٤  
الاستانة: ١٦، ١٨، ٢١، ٢٧، ٣٠، ٣٥  
٤٠، ٤٦، ٥٠، ٥٦، ٧٦، ٩٥  
١١١، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٩، ١٥٠  
١٥٤، ١٥٦، ٢٠٩، ٢٣٠، ٢٥٢  
٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٠  
٢٩٢، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٤٣٢  
٣٣٦، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٦٥  
٣٩٥، ٤٣٢، ٤٤٧، ٥٥٤  
الاستقلال القومي: ١٢٢

القبودان احمد فوزي باشا: ٢٥٧، ٤٥٦  
احمد كاشف: ١١٨  
احمد كاشف: ١١٨  
احمد كاشف سليم: ١٩  
احمد كاشف الفلاح: ١١٨  
احمد بك السكيلارجسي: ١١٧  
احمد محمود افندی: ٥٣٦  
السيد احمد المحروقي: ١٣١، ٦٤٩  
احمد ميمش افندی: ٦١٠  
الشيخ احمد المنشاوي: ٦١٣  
احمد باشا المنكلي: ١٩١، ٣٠٧، ٢٨٠  
٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣٤٧، ٤٠٥  
٥٠١  
احمد المهدي افندی: ٤٩٤  
احمد افندی المهندس: ٤٢٧  
احمد نامي بك: ٥٦٤  
احمد النجدلي افندی: ٤٨٤  
احمد نجيب باشا: ٤٩٣  
احمد نجيب افندی: ٤٨٩  
احمد ندا بك: ٤٩٣، ٥٢١، ٥٦٦  
احمد نوري قبودان: ٥٤١  
احمد باشا يكن: ٣٦٠، ٣٦١، ٦١٦  
أحمد بك اليوسف: ٤٥٣  
احمد يوسف: ٤٨٢، ٥٦٦  
أدرنة: ٢٨٣  
أدنه: ٢٧٦، ٢٨٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣٣٦  
٣٤٨

٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٦، ٢٤٠، ٢٣٩

٢٦٨، ٢٥٩، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٥٢

٣١٤، ٣٠٥، ٢٨٩، ٢٧١، ٢٦٩

٣٤٩، ٣٤٢، ٣٣٩، ٣٢٦، ٣٢٤

٥٣٩، ٤٥١، ٤٣٢، ٤٢٠، ٣٥١

٦٠٣، ٥٧٦، ٥٧٥، ٥٧٤، ٥٤٠

الحديدو اسماعيل: ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ١٩٢

٤٢٨، ٣٩٧، ٣٦٩، ٣٦٧، ٣٦٣

٤٩٨، ٤٩٢، ٤٩١، ٤٩٠، ٤٧٩

٥٢٢، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٤، ٥١٠

٥٥١، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٢٤، ٥٢٣

٥٥٣، ٥٥٠، ٥٤٦، ٥٤٥، ٥٤٤

٢٦٠، ٥٥٨، ٥٦٧، ٥٥٩، ٥٥٦

٦٤٤، ٦١٨

الامير اسماعيل باشا: ١٧٤، ١٧٣، ١٧٠، ١٤٩

١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٦

٣٧٣، ١٩٩، ١٨٩، ١٨٢، ١٨٢

٢٨٣، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٣

اسماعيل باشا: ٢٤٢

الاميرال اسماعيل بك: ٤٥١، ٢١٦، ١٩١

الشيخ اسماعيل: ٦١٧

اسماعيل بك: ٢٩٤

الشيخ اسماعيل أبو جاد: ٥١٧

اسماعيل أرناؤوط: ٤٩٤

اسماعيل أغا: ٦١٠

اسماعيل بوشناق أفندي: ٤٩٦

اسماعيل تيمور باشا: ٥٢٢

استقلال مصر: ٢٦٠، ٢٤٣، ١٥٨، ١٢٤

٣٧١، ٣٣٦، ٣١٧، ١٦٤

استقلال اليونان: ٢٤٠، ٢٢٨

الاميرال استوبفورد: ٣٤٦، ٣٤٦، ٣٤٥

الدكتور أسدرستم: ٢٩٦

استفان بك: ٤٨١، ٤٧٩، ٤٧٢

اسطفان خشادور أفندي: ٤٩٤

الاسطول المصري: ٣١٢، ١٥٣، ١٣١

٣٢٧، ٢٢٤، ٢١٨، ٢١٦، ٢١٤

٢٣٤، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٣٠، ٢٢٨

٢٤٩، ٢٤٤، ٢٤١، ٢٣٨، ٢٣٦

٣٢٤، ٢٩٣، ٢٦٠، ٢٥٧، ٢٥٢

٤٤٨، ٤٤٧، ٤٢٦، ٤٢٤، ٣٣٠

٤٥٣، ٤٥٢، ٤٥١، ٤٥٠، ٤٤٩

٤٧٢

اسكندرية: ١٧١

الاسكندر الأكبر: ٥٠٤

القبصر اسكندر: ٢٢٨، ٢٠٩، الأول

اسكندر أبلسنتي: ٢٢٢، ٢١٠، ٢٠٩

اسكندر مافروكرو داتو: ٢١٢

الاسكندرونة: ٢٨٦، ٢٨٥

الاسكندرية: ٣٥٠، ٢٨٠، ١١٠، ٢١٠، ١٠٩

٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٤، ٤٢

٦٥، ٦٣، ٦٢، ٥٦، ٥٤، ٥٣

٧٦، ٧٣، ١٢، ٧١، ٧٠، ٦٩

٢١٦، ٢١٣، ١٠٨، ١٠٥، ١٠٢، ٩٨

٢٣١، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٤، ٢١٩

- أمين أفندي : ٦١٠  
 أمين أغا : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦  
 أمين رفاة بك : ٥٤٤  
 أمين بك الراقعي : ١١  
 أمين سامي باشا : ٤٣٨  
 أمين قبودان : ٤٤٢  
 أمين بك السكرجى : ٤٨٤ ، ٥٦٠  
 الأناضول : ٢١٧ ، ٢١٦٢ ، ٦١٣٢ ، ٧  
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨  
 ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧  
 ٤٥٧ ، ٦٤٣ ، ٦٥٠  
 انطاكية : ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠  
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤  
 ٢٧٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧  
 ٣٧١ ، ٣٧٥  
 الدون أنطونيو دى سيجيرا : ٣٨٩  
 الأنفوشى : ٤١٠  
 الإنكشارية : ٢٤٨ ، ٢٦٤  
 الأهرام : ٦٠  
 أورفا : ٢٧٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٤  
 أوزون أحمد قبودان : ٤٣٧  
 أوزون على : ١٦٢  
 أول مدرسة عالية : ٤٦٧  
 أول مدرسة للبنات : ٥٢١  
 أول هيئة نيابية : ٦٠٩ ، ٦١٠  
 أولو قشلاق : ٢٧٧  
 الشيخ أيوب عيسوى : ٦١٢
- اسماعيل حنفي أفندي : ٤٨٨  
 السيد اسماعيل الخشاب : ٥٣٩ ، ٥٧٠  
 الشيخ اسماعيل رضوان : ٤٨٢  
 اسماعيل سرى أفندي : ٥٣٩  
 اسماعيل باشا سرهنك : ٤٠٨ ، ٢٨٥ ، ١٩١  
 ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥  
 ٤٦٠ ، ٤٩٤  
 اسماعيل شرين بك : ٤٤٢  
 اسماعيل باشا صبرى : ٢٣  
 اسماعيل باشا الفلكى : ٥٣٢ ، ٥٢٠  
 اسماعيل قبودان : ٤٤٢  
 اسماعيل كاشف الطوبجى : ٧١  
 اسماعيل باشا محمد : ٤٥  
 استنا : ٥ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ، ٣٨٤ ، ٤٧٦  
 ٥٧٧  
 اسوان : ١١١ ، ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤  
 ١٧٧ ، ١٨٠  
 أسبوط : ٢٥ ، ٤٥ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١٥٣  
 ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٧٦ ، ٥٥٠  
 إشراقة : ٤٥٥  
 إعلان الاستقلال : ٢٤٢  
 الأكاديمية الباريسية : ٤٨٨  
 إلهامى باشا : ٥٦١  
 إنبابة : ٤٤ ، ٦٤ ، ٧٣  
 أمين بك : ١١٦ ، ١١٧  
 أمين بك : ٢٩ ، ٣٠  
 أمين أفندي : ٤٨٤

٥٧٨ ، ٤٠٤ ، ٤٠٢ ، ٤٧٨ ، ٢١٧

باريس : ١٩٨

باسليوس بك : ٦١٦

الرحالة بالم : ١٩٧

اللورد بالمستون : ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧

اللورد بايرون : ٢٢٥

بترافكو : ٢٢٣

بتروافندي : ٤٨٢

المستر بتروتشي : ٥٤

البترون : ٣٤٣

الدكتور بجر : ٥٥٨

البحر الابيض المتوسط : ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥

٤٥٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧ ، ٢٧٧ ، ٣٠٩

٦٠٥ ، ٥١٨

بجر افندي احمد : ٥٤٩

البحر الاحمر : ١٦٧ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٥

٦٠٣ ، ٤٢٣ ، ٣٣٤

بجر الارخبيل : ٢١٣ ، ٣٢٢

البحر الاسود : ٣٠٩

بجر الباطيق : ٢٢٦

بجر عبد الله أفندي : ٥٤٠

بجر الغزال : ٢٠١

البحر الميت : ٢٥٧ ، ٣٣٠

بحيرة أبو قير : ٧١ ، ٥٧٨

بحيرة أدكو : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

بحيرة طبرية : ٢٥٦ ، ٢٥٧

بحيرة فيكتوريا : ٢٠١

( ب )

باب الإنكشارية : ١٦٢

باب البرقية : ١٩

باب الحديد : ٦١ ، ٦٤

باب الخلق : ٧٩

باب داود : ٣٠٢

باب رشيد : ٢٧٩ ، ٦٠٤

باب زويلة : ٢٠

باب الفتوح : ١٩

باب القلعة : ١١٢

الباب العالي : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،

باب العزب : ١١٢ ، ١١٥

باب الغريب : ٢٠

باب النصر : ٢٠ ، ٥٨ ، ٥٢ ، ١٦٠ ،

١٢٥ ، ١٦٢ ، ٢٧٥

بابا سليم قبودان : ٤٤٢

باب اس : ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ،

بارة : ١٧٨ ، ١٨٩

المستر باركر : ٢٤٠

المسيو بارو : ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٢١٥ ، ٢١٢

بلتان : ٥٤٧  
الكونت بنديتي : ١٩٦  
بنها : ٥٤٥  
بني سويف : ٥٧٧ ، ٤٥٠ ، ٢٥  
بني شقول : ١٨٠  
بني عدى : ٢٨١  
البنسا : ١١١ ، ١٠٦ ، ٤٤  
البارون بوا الكونت : ٤٠٣ ، ٢٤٧  
٥٦١ ، ٤٢١ ، ٤١٢  
بودر ملي أحمد خوجه قبودان : ٤٤٢ ، ٦٤٢  
بودروم : ٢١٨  
بوزجه أطه لى خليل بك : ٤٦١ ، ٤٤٢  
المستر بورج : ١٩٦  
البوسفور : ٢٦ ، ٣٥ ، ٢٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩  
بوغجة أطه لى أمين قبودان : ٤٤٢  
بوغجة أطه لى سليمان قبودان : ٤٤٢  
بورغوص بك : ٤٤٢ ، ٢٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٨٧  
٤٣٣ ، ٥٦٥  
يولاق : ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧  
١١٣ ، ١٥٣ ، ١٣٨ ، ١٠٢ ، ٩٩ ، ٩٢  
١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٧٤ ، ٤٢٤ ، ٥٤٢  
٥٥٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٥ ، ٥٤٣  
بواص لاني أفندي : ٤٩٤  
المسيو بولونيني : ٣٨٦  
بونابرتة الخازندار : ٤٩  
الورد بونسويني : ١١١ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦  
بياس : ٢٧١

البخارى : ٩٤  
بدر : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٧  
بدوى سالم أفندي : ٥٠٣  
بربر : ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٨  
القومندان برسيك الإنجليزي : ٢٨٥  
برغمة لى أحمد قبودان : ٢٨٥ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣  
بركة الازبكية : ٦٠ ، ٦٠١  
بركة الحاج : ١٣٣  
البرلس : ٣٩ ، ١٤٤  
برنيال : ٨٦ ، ٩١ ، ١١٨  
برهان بك : ٦١٧  
المسيو بروكش باشا : ٥٢٣  
بريدة : ١٥٨ ، ١٦٠  
البارون برينوف : ٣٣٤ ، ٣٣٥  
بريه : ٢٢٤  
بسل : ١٤٧  
الأمير بشير الشهابي : ٢٤٨ ، ٣٠٥ ، ٤٤١  
٣٤٤ ، ٤٤٨  
البصرة : ١٢٧ ، ١٣٠  
بظرس الأكبر : ٥٣٩  
بعثة الأنجال : ٤٨٩  
بعلبك : ٢٥٤ ، ٢٦٠  
الشيخ بغدادى أباطة : ٦١٦  
الشيخ بكر بدر : ٦١٦  
السيد البكري : ٣٤٧  
الأمير بكر مسكو : ١٩٦  
بليديس : ٢٥١

ترسانة بولاق : ١٣٨ ، ١٦٣ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،

٦١٥

ترسانة نولون : ٤٤

ترسانة الخرطوم : ١٤١ ، ١٦٣

ترسانة القلعة : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨

٤٧٢

الترعة الابراهيمية : ٥٤٥

ترعة الاسكندرية : ٤٨

ترعة الاشرفية : ٥٧٥

ترعة الفرعونية : ٩٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣

ترعة المحمودية : ٤٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨

٦٠٢

تركي بيليز : ٣٥٩ ، ٣٦٠

ترميا : ٢٢٩

تريبوليسا : ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

تل باشر : ٤١٤

تلسيت : ٧٣

تليماك : ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥١٩

الخدوي توفيق باشا : ٢٠٧ ، ٣٦٧ ، ٤٠٠

٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٨٠

٦١٧

المستر توماس واجهورن : ٦٠٣

المسيو تيبو (ابراهيم افندي) : ٢٠١

٢٠٢

تيمور آغا : ٦٠٨

المسيو تيريس : ٣٣٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

٣٤٥

بيت أنى قطنة : ٤٩٩

بيت القاضي : ٥٨ ، ٦١

بيت الله الحرام : ١٢٧

بيت المقدس : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

بيرو بك : ٢٢٤

بيجان فبودان : ٢٨٥ ، ٢٢٩

بير شمس : ٤٣٩

بيروت : ٢٥٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩

٢٢٩ ، ٣٤٢ ، ٢٤٣

بيرة جك : ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٤

الدكتور بيرون : ١٨٨

الفيش أميرال بيسون بك : ٤٢٨ ، ٤٥٦

بيشه : ١٤٢ ، ١٤٧

بيلان : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

البارون بيلوف : ٣٣٦

بيوضة : ١٧٧ ، ١٩١

( ت )

الكابتن تارلتون : ٦٩ ، ٧٠

التاكا ( كسلا ) : ١٩١ ، ١٩٦

تحتتمس الأول : ١٦٨

تربة : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦

ترسانة الاسكندرية : ٢٤٨ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٤

٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٠ ، ٤١٠ ، ٤٧٢

٤٢٩

جامع محمد علي : ١١١  
جامعة بروت الأمريكية : ٢٩٦  
جامعة سان بطرسبورج : ٣٦٩  
جامعة الطب بباريس : ٤٨٨  
جان جاك روسو : ٥٠٥  
المسيو جان ديني : ٢٩١  
جبل السلسلة : ٥٧٦  
جبال طوروس : ٢٩ ، ٢٧٧ ، ٢٦٠ ، ٢٥٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٥٦٠  
جبال قلى : ١٨٩  
جبال كريت : ٨  
جبال المورة : ٨  
جبال النصيرية : ٣٥٥  
جبال التوبة : ١٨٩  
الجبوتي : ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٢٣ ، ٢٩٠ ، ٢٨٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٨٢ ، ٦٢٤ ، ٦٣٢ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٥٧٤  
جبل بني شقول : ١٨٠  
جبل ييلان : ٢٧٠

(ث)

ثورة باريس سنة ١٨٣٠ : ٥٠٨  
ثورة حوران : ٣٠٧  
ثورة الدروز : ٣٠٩  
ثورات الشام : ٣٠٣  
ثورة الشعب على المالك : ١٢  
ثورة الشعب على الوالي : ١٢  
الثورة العراقية : ١٠ ، ٦١٨ ، ٧٣ ، ٦٤٣  
الثورة الفرنسية : ٣٢٣ ، ٥١٠ ، ٥٤١  
ثورة القاهرة الأولى : ١١  
ثورة القاهرة الثانية : ١٢  
ثورة مكة : ٣٧٦  
الثورة المهديّة : ١٨٥  
ثورة النصيرية : ٣٠٦  
الثورة اليونانية : ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩

(ج)

الشيخ جاد المولى : ٨٥  
المستر جالويه : ٥٩٥ ، ٦٠٠  
الجامع الاحمدى بطنطا : ٥٤٥  
جامع البروقية : ٢١  
جامع السلطان حسن : ٢١  
جامع الحسين : ١٣٠  
جامع الدرعية : ١٣٠  
جامع الغورى : ١٦٥  
جامع القلعة الكبير : ٦٠٢

- جزيرة جونكر : ٢٠٢ ، ٢٠٤  
جزيرة رودس : ٢٨٧  
جزيرة الروضة : ١٥٦ ، ٣٠٨  
جزيرة سهقز : ١٢٧ ، ٦٥٠  
جزيرة ساموس : ٢١٧  
جزيرة سنار : ١٧٩  
جزيرة العجمي : ٤١٢  
جزيرة العرب : ٨ ، ٤٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧  
١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٧٦  
١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧  
٢٩٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨  
٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦  
٣٥٩ ، ٣٦٠  
جزيرة قبرص : ٢١٤  
جزيرة كريت : ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤١  
٢٤٥ ، ٢٩١ ، ٣٢٣ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠  
جزيرة كورسيكا : ٥٩٩  
جزيرة مدلى : ٢١٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١  
جزيرة ميدرا : ٢٢٧ ، ٢٣١  
جشم آفت هاتم : ٥٢١  
جعفر مظهر قبودان باشا : ٤٤٢  
جلاء الانجليز : ١٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥  
٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٥  
المسيو جليس : ٤٠٩  
السيد جمال الدين الافغانى : ٦٤٦  
الشيخ جمعة منصور : ٦١٤  
الجمعية الجغرافية : ٥٢  
جبل عرفات : ٤٥٨  
جبل فازوغلى : ١٧٩  
جبل القريين : ١٧٩  
جبل كسروان : ٤٣٧  
جبل لبنان : ٣٠٥  
جبل اللكام : ٣٠٠  
جيبيل : ٢٤٣  
جدة : ٣٩ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢  
١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٩١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩  
٦٠٩  
الجديدة : ١٢٧  
الرحالة جرانت : ٢١١  
جرجا : ١٠٩ ، ٤٩٨ ، ٥٧٧  
جرجى زيدان بك : ٥١٥  
جركس محمود نامى قبودان : ٤٢٩  
القس جرمانوس : ٢١١  
جريدة التنبيه : ٥٧٠  
جريدة الحوادث اليومية ( ساسلة  
التاريخ ) : ٥٧٠  
جريدة وادى النيل : ٥٢٣ ، ٥٣٩  
جزائر الانتيل : ٦٠٠  
الجزيرة : ٢٨ ، ١٨٩  
جزيرة أسبتريا : ٢٢٨  
جزيرة اسفاختريا : ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦  
جزيرة إلبا : ١٤٨  
الجزيرة البريطانية : ١٧٠  
جزيرة بولاق : ٦٤



٢٤٧، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٢٦، ٢٢٣  
٣٦٥، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٤٨  
٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٦٦  
٤٠٥، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠٠، ٣٩٠، ٣٨٩  
٤١٣، ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٠٧  
٦٥٠، ٦٤١، ٥٣١، ٥٣٠، ٥٠١، ٤٢٧

(ح)

حجو قبودان : ٤٢٩  
الشيخ حاحي احمد : ٦٤٦  
الشيخ حاحي سليمان : ٦٤٦  
حافظ باشا : ٣١٦، ٣١٤، ٣١٣

حافظ بك : ٦٢٧  
حافظ افندي : ٦٠٩  
حافظ ابراهيم بك : ٥٣٩  
حافظ خليل : ٤١٦  
حافظ خليل قبودان باشا : ٤٤٢  
حافظ قبودان الشيرازي : ٤٤٢  
حافظ قبودان مصطفى : ٤٤٢  
الحبشة : ٥٥٣، ٢٠٧  
الشيخ حبيب : ٦١٠  
الشيخ حبيب جاويش : ٦١١  
حبيب افندي كمتخدا : ٥٦٤

الحجاز : ١٢، ١١١، ١١٨، ١١٣، ١٢٥  
١٣٨، ١٣٦، ١٣٤، ١٣٠، ١٢٦  
١٦٢، ١٦١، ١٥٤، ١٥٢، ١٤٣، ١٣٩

جمعية الحفانيه : ٦٢٠، ٦١٦، ٦١٥  
جميه هيتريا : ٢١٠  
جندر : ٥٤٢، ٤٩٦  
جهاد آباد : ٣٩١، ٣٨٤  
جودة عوض بك : ٤٩٦  
جورنال اسيوط : ٦١٠  
جورنال المحروسة : ٦١٠

المارشال جوفيون سافسير : ٣٨٨

المسيو جومار : ٢٠٣، ١٣٨، ١٢٠، ٥١

٢٩٤، ٣٢٠، ٤٧٨، ٣٤٣، ٣٨٧

٦١٧، ٤٧

المسيو جومل : ٥٨٨، ٥٨٤

جومر : ١١٧

الجيزة : ٢٥، ٤٤، ٥٢، ٥٠، ١٠٦، ١٠٧

١٠٨، ١٠٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٤

١٨٠، ٥٧٤

الجيش المصري : ٧٨

١٢٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦

١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١

١٤٢، ١٤٣، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩

١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣

١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٤

١٨٥، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣

٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣

٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٦١

٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦

٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢

٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٢١

حسن باشا : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٦٢  
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١١٥ ، ١٣٨  
١٤٤ ، ١٧٣ ، ٢١٥  
الحاج حسن بك : ٤٣٣  
حسن بك : ٦١٠ ، ٦١٥  
حسن افندى : ٦١٠  
الامير الاى حسن بك : ٤٣٥  
الشيخ حسن : ٦١١  
الشيخ حسن أباطة : ٦١١  
حسن أباطة قبودان : ٤٦٢  
الشيخ حسن أبوزيت : ٦١٢  
حسن الارناؤود قبودان : ٤٦٢  
حسن باشا الا-كندراني : ١٦٩ ، ٤٠٨  
٤٢٧ ، ٤٦ ، ٤٨٠ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١  
حسن أغا : ٦١٠  
حسن أغا أزرجانلى : ١٨٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨  
حسن أفلاطون باشا : ٤٣٧  
السيد حسن البقلى : ٨٦ ، ٨٨  
حسن جر كس افندى : ٤٩٥  
حسن افندى الدرؤيش الموصلى : ٣٥٨  
حسن ذوالفقار افندى : ٤٩٥  
حسن بك السعران : ٤٣٧ ، ٤٥٣  
الشيخ حسن سليمان : ٦٣٤  
حسن الشاذلى افندى : ٤٩٢ ، ٥٣٩  
حسن بك الشماشرجى : ١٦٦  
حسن شكيب افندى : ٤٩٣  
حسن بك صالح : ١١٧

١٧١ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢ ، ٢١٤ ، ٣٥٥  
٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧١  
٣٩٥ ، ٤٢٣ ، ٥٥٤ ، ٦١٥ ، ٦٥٠  
حجو بك : ٣٦٤ ، ٣٦٦  
الحديدة : ٣٧٨ ، ٣٧٩  
الحرب الاهلية الأمريكية : ١٦٨  
الحرب الروسية التركية : ٣٥٩ ، ٣٦٦  
الحرب السبعينية : ٢٤٥ ، ٣١٨ ، ٣٤٣  
الحرب السورية الاولى : ٢٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١  
٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٤٨٨  
٤٩١ ، ١٦١ ، ٥٦٥ ، ٦٤٠  
الحرب السورية الثانية : ٢٧٠ ، ٢٧١  
٤٣٦  
حرب الشام : ١٥٣ ، ٤٤٨  
الحرب العالمية الاولى : ٣٦١  
حرب القرم : ٤٠٨ ، ٤٣٢  
حرب المورة : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٣ ، ٣٨٠  
الحرب الوهابية : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥  
٢٦١ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٦٢  
١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٥٦  
٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٦  
الحرب اليونانية : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣  
٢٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢  
الحرم المسكى : ٢٩٩  
الحرم النبوى الشريف : ١٣٠ ، ١٣٦  
الحسا : ١٢٨ ، ١٣٠  
الملك حسن : ١٧١

الشيخ حسين أبو علي : ٦١١  
حسين أغا : ٦١٠  
حسين أغا : ٦١٠  
حسين أغا : ٦١٠  
حسين جر كس افندى : ٤٨٦  
حسين خاكي افندى : ٥٣٨  
حسين رشدي باشا : ٦٣  
الشيخ حسين سلم : ٦٠٠  
حسين سليمان افندى : ٤٩٢  
حسين شرين قبودان باشا : ٤٥٨٠٣٠٩  
حسين شلبي تنجوة : ٤٥٩ ، ٤٥٨  
حسين بك الصغير : ١١٧  
الشيخ حسين عبد الهادي : ٢٤٨  
حسين افندى علي الذبيك : ٥٣٦  
حسين عوف باشا : ٥٧٥ ، ٥٥٥  
الشيخ حسين غانم الرشيدى : ٥٧٤ ، ٤٨٩  
حسين قنطان باشا : ١١٨  
حسين كو جنك باشا : ٥٦٨ ، ٤٩١  
الشيخ حسين المرصني : ٥٢٣  
الشيخ حسين المنصوري : ١٠٠  
حسين الهياوى افندى : ٤٩٠  
الحسينية : ٩٢  
الحصن : ٣٠٦  
حصون أبو قير : ٤١٠  
حصون الاسكندرية : ٤١٠ ، ٤٠٩  
حصون دمياط : ٤١١  
حصون رشيد : ٤١٠

( ٤٥ - م )

حسن باشا طاهر : ١٨٠  
الشيخ حسن العطار : ٤٥٠ ، ٤٩٩  
حسن عيسوى افندى : ٥٣٦  
حسن افندى الغورى : ٣٩٤  
حسن افندى فهمى : ٥٢٠  
حسن بك فهمى المصرى : ٥٣٥  
حسن افندى قاسم : ٥٣٦  
حسن بك القبرسلى : ٣١٨  
السيد حسن كريت : ١٣٣ ، ٦٤ ، ٦٣  
حسن بك المناسترلى : ٢٦٨ ، ٢٦٠ ، ٢٥٣  
٤٦٦  
حسن نور الدين بك : ٤٥٠ : ٥٥١  
حسن بك هاشم : ٤٩٢  
حسن افندى الوردانى : ٥٦٧ ، ٤٨٥  
حسن افندى وفائى : ٥٣٥  
حسن يوسف افندى : ٥٣٦  
الشيخ حسين حريز الغمراوى : ٥١٢  
حسين افندى على البعلبلى : ٥٦٤ ، ٤٨٣  
الشيخ حسونه النواوى : ٥٢١  
الأمير حسين : ٤٧٨ ، ٤٩٠  
حسين باشا (سرعسكر) : ٢٦٨ ، ٣٦٧ ، ٢٦٠  
حسين بك : ٦١٠  
حسين بك : ٦١٠  
حسين بك : ٢١٥  
حسين بك : ٥٠١  
حسين افندى : ٤٨٥  
الحسين بن فاطمة الزهراء : ٤٩٩

حيفا : ٢٥٢ ، ٣٤٣

(خ)

خالد باشا : ١٨٠

خالد أفندي : ٦١٠

خان الخليل : ٦٣

خان قرموط : ٢٦٩

خان بونس : ١٥٢

الخانسكة : ٢٥١ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤٧٠

الشيخ الخانسكي المالكي : ١٣٤

خانيه : ٢١٩

الخبراء : ١٥٥

الخراطوم : ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٤

٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٠

خريطة الحرب في سورية والأناضول :

٢١٦

خريطة الحرب الوهاية : ١٥٦

خريطة حرب اليونان : ٢٠٨

خريطة الخراطوم في عهد محمد علي باشا : ١٩٩

خريطة مواقع الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ :

٨٤

خريطة ميناء نافارين والواقعة البحرية : ٢٣٦

خريطة واقعة ميلان : ٢٧٣

خريطة واقعة حمص : ٢٦٦

خريطة واقعة قونية : ٢٨٢

الشيخ حفاوى : ٦١٢

حلب : ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٤٦

٤٤٧ ، ٤٤٩

الشيخ حماد : ٦١٠

الحماد : ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٧ ، ٤٦ ، ٤٩

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

١٧٩

حماده عبد العاطي باشا : ٤٩١ ، ٥٦٣

حماد : ٢٥٤ ، ٢٦٨

الشيخ حمزة فتح الله : ٥٢٣

حمص : ١٩٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٤٦١

الحلفاية : ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٥

الحملة الانجليزية : ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨

٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٦ ، ٥٨٩

الحملة الفرنسية : ١٢٠٧ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩

٣٥ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٧٤

١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٦ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٧٨ ، ٦٨٠ ، ٦٨٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ ، ٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٢ ، ٦٩٤ ، ٦٩٦ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٧٠٢ ، ٧٠٤ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١٢ ، ٧١٤ ، ٧١٦ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٢٢ ، ٧٢٤ ، ٧٢٦ ، ٧٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣٢ ، ٧٣٤ ، ٧٣٦ ، ٧٣٨ ، ٧٤٠ ، ٧٤٢ ، ٧٤٤ ، ٧٤٦ ، ٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢ ، ٧٥٤ ، ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٦٠ ، ٧٦٢ ، ٧٦٤ ، ٧٦٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٠ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٨ ، ٧٨٠ ، ٧٨٢ ، ٧٨٤ ، ٧٨٦ ، ٧٨٨ ، ٧٩٠ ، ٧٩٢ ، ٧٩٤ ، ٧٩٦ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠ ، ٨٠٢ ، ٨٠٤ ، ٨٠٦ ، ٨٠٨ ، ٨١٠ ، ٨١٢ ، ٨١٤ ، ٨١٦ ، ٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ، ٨٢٤ ، ٨٢٦ ، ٨٢٨ ، ٨٣٠ ، ٨٣٢ ، ٨٣٤ ، ٨٣٦ ، ٨٣٨ ، ٨٤٠ ، ٨٤٢ ، ٨٤٤ ، ٨٤٦ ، ٨٤٨ ، ٨٥٠ ، ٨٥٢ ، ٨٥٤ ، ٨٥٦ ، ٨٥٨ ، ٨٦٠ ، ٨٦٢ ، ٨٦٤ ، ٨٦٦ ، ٨٦٨ ، ٨٧٠ ، ٨٧٢ ، ٨٧٤ ، ٨٧٦ ، ٨٧٨ ، ٨٨٠ ، ٨٨٢ ، ٨٨٤ ، ٨٨٦ ، ٨٨٨ ، ٨٩٠ ، ٨٩٢ ، ٨٩٤ ، ٨٩٦ ، ٨٩٨ ، ٩٠٠ ، ٩٠٢ ، ٩٠٤ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ ، ٩١٠ ، ٩١٢ ، ٩١٤ ، ٩١٦ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ ، ٩٢٢ ، ٩٢٤ ، ٩٢٦ ، ٩٢٨ ، ٩٣٠ ، ٩٣٢ ، ٩٣٤ ، ٩٣٦ ، ٩٣٨ ، ٩٤٠ ، ٩٤٢ ، ٩٤٤ ، ٩٤٦ ، ٩٤٨ ، ٩٥٠ ، ٩٥٢ ، ٩٥٤ ، ٩٥٦ ، ٩٥٨ ، ٩٦٠ ، ٩٦٢ ، ٩٦٤ ، ٩٦٦ ، ٩٦٨ ، ٩٧٠ ، ٩٧٢ ، ٩٧٤ ، ٩٧٦ ، ٩٧٨ ، ٩٨٠ ، ٩٨٢ ، ٩٨٤ ، ٩٨٦ ، ٩٨٨ ، ٩٩٠ ، ٩٩٢ ، ٩٩٤ ، ٩٩٦ ، ٩٩٨ ، ١٠٠٠

٦٤٩

حنا بك بحرى : ٢٩٤ ، ٢٩٥

الحنان : ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٣

الشيخ حنفي شرف الدين : ٦١١

حنفي هند بك : ٤٩١

حوران : ٣٠٨

حوش عيسى : ٢٩ ، ٣٠

الحوض المرصود : ٤٠٠

الحويطات : ٢٩

(٥)

دار الآثار: ٦٠٣  
دار الرصد: ٦٠٣  
دار الضرب: ٥٦٦  
دارفور: ١٨٦، ١٨٨، ١٨٢، ١٧٧، ١٧  
٢٠٦، ٢٠٥، ١٩١  
المسيو داربو: ٢٠٣، ١٩٩، ١٩١، ١٨٨  
٢٠٤  
الدوق داجمان: ١١٩  
الدانوب: ٢١١  
دبوس أوغلي: ٦٠  
الدخيلة: ٤٠٩  
الدر: ١٧٥  
الدرديبل: ٢٨٥، ٢٦٠، ٢١٧، ٢١٣، ٤٦  
٣٢٤، ٢٨٨  
الدرعية: ١٥١، ١٤٧، ١٤٤، ١٣٠، ١٢٩  
١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨  
٣٦٠، ١١٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٣  
درنه: ٩٨  
المسيو دروفتي: ٢٤٥، ٢١٦، ١٩١، ١٦٥  
٣٩٢  
المسيو دربو: ٢١٦  
الشيخ دسوقي خير الله: ٦١٣  
الدفرخانة: ٦٠٢  
الدعوة الوهابية: ١٤٠، ١٣١، ١٣٠  
دلي خسرو قبودان: ٤٦٣

خریطة واقعة نصيين: ٣٢١  
الحزارة المصرية: ٢٩٥، ٢٤٩  
خسرو باشا: ٣٢٦، ٣٢١، ٢١٧  
خسرو أفندي: ٤٨٦  
الشيخ خضر: ٦١١  
الشيخ خضر: ٦١٢  
خطاب عبد المغيث أفندي: ٤٩٤  
خايج السوده: ٢٨٦، ٢١٧  
الخليج الفارسي: ٣٢٨  
خليج العقبة: ٢٣١، ٢٥٦  
خليج كورنت: ٢٣١  
خليج ماكري: ٢١٧، ٢١٦  
خليفة أفندي محمود: ٥٣٦  
الخليل: ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣  
خايل أفندي: ٦١٠  
خايل أفندي: ٤٩١  
خليل بك: ٦١٠  
الأمير الای خلیل باشا: ٢٩٠، ٢٨٨، ٢٨٥  
خليل جراكيان أفندي: ٤٨٣  
خايل محمود أفندي: ٤٨٣  
خليل مطران بك: ٥٣٥  
خورشيد بك: ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٧  
خورشد أفندي: ٤٩  
خورشد برتو: ٤٩١  
خورشد قبودان: ٤٤٠  
خورشد قبودان (أوفصاده): ٤٤٠  
الشيخ الخولي عبيد: ٦٠٢

ديوان افندي : ٨٩٠٨٨٠٤٩	دلى محمد خورشيد : ٤٦٣
ديوان الابنية : ٦٠٦	دمشق : ٣٥٢٠٣٠٧٠٣٠٦٠٢٩٩٠٢٦٠
ديوان الاسكندرية : ٦١٦٠٥٤١٠١٢	دمنه ر : ٤٠٠٣٩٠٣٨٠٣٧٠٣٦٠٣١٠٢٨
ديوان الاشغال : ٦٠٦٠٥٦١	٧٢٠٧٢٠٥٧٠٥٦
ديوان الامور الافرنجية والتجارة المصرية :	دمياط : ٠٨٤٠٨٣٠٨٢٠٨٠٠٧٨٠٢٢٠١١
٦١٦	٤٠٨
ديوان الاوقاف : ٥٧٠٠٥٢٩	دقنة : ٠١٧٦٠١٧٥٠١٧٤٠١٧٠٠١٦٨
ديوان الإيرادات : ٦١٥	١٤٥٠١٨٣٠١٨٢٠١٨١٠١٨٠٠١٧٧
ديوان البحرية : ٠٦٤٦٠٦٠٦٠٥٢٩	١٥٠٠١٩١٠١٤٧٠١٤٦
٦٤٧	الدينكا : ١٧٧
ديوان التجارة والشئون الخارجية : ٦٠٦	المسيو دون : ٢١٨٠٦٧
الديوان الجديد : ١٣	دواوين الأقاليم : ١٢
ديوان الجهادية : ٦٤٦٠٤٠١	المسيو دور : ٥٢١٠٣٩٩
الديوان الخصوصي : ١٣	دوزول : ٤٧٢
الديوان العام (الديوان الخديوي)	الأمير الای دو كورث : ٤٦
(ديوان المعارضة) : ٦١٢٠٦٠٧٠٦٠٦	دولة عربية مستقلة : ٣٥٤٠٣٣٧٠٢٤٧
٦١٧	٣٥٥
الديوان العام : ٦٠٩٠١٢	ديار بكر : ٤٤٧٠٢٠٨
الديوان العمومي : ٦٠٧٠١٣	ديبة : ٥٧
ديوان الفابريقات : ٦٢٧	الدوق دي راجوز : ٢٩٩
ديوان القاهرة : ١٢	السكرتير دي سيجور : ٢٧٩
ديوان المدارس : ٦٠٣٠٤٠٥٠٤٠٢٠٣٩٨	البارون دي فارين : ٢٩٢
٦٠٦٠٥٦٥٠٥٦٠٠٥٤٦٠٥٤٥	المسيو دي مارتانس : ٣٦٧
٦١٥	البارون دي مولنك : ٣١٦
ديوان المشورة : ٥٧٥٠٢٥٩	دير الجنادلة : ٥٦١
ديوان المسكس : ٦١	المسيو ديهيران : ١٩٦٠١٩٥٠١٩٤٠١٩٣
ديوان المواشي : ٦١٢	٢٠٠٠١٩٨٠١٩٧

الرصيرص : ١٨٤ ، ١٩٦  
رفاعة بك واقع الطباطاوى : ٤٣٩ ، ٣٩١  
٥٣٠ ، ٥٢٩ ، ٤٨٥ ، ٤٧٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٠  
٥٤٠ ، ٥٣٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣١  
٦٤٤ ، ٥٦٥ ، ٥٥٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤١

رفعت بك : ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١

الرقعة : ٢٥

رمضان افندى عبد القادر : ٥٣٦

رنية : ١٤٣ ، ١٤٧

روح الدين أفندى : ٤٦٤ ، ٤٦٥

رودس : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٨٥

الروزنامجى : ٤٩

الروزنامه : ٦١٥

الأميرال روسان : ٢٨٨ ، ٢٨٩

المسيو روستى : ٤٧٧

رموف باشا : ٢٧٨

الروملى : ٢٧٨

ريتشارد وود : ٣٣٦

الأميرال رينى : ١٦٥ ، ٢٣٠ ، ٢٨٥

( ز )

زاوية البقلى : ٥٥١

الزراعة : ٢٥٥

زفيتة : ٣٦

زنار أغا : ٢٥٩

زينب هانم : ٥١٢

زينل قبودان : ٢٣٦

( ذ )

ذو الفقار : ١١٧

ذو الفقار قبودان باشا : ٤٥٤

( ر )

السردار راتب باشا : ٥٥٣

رأس الرجاء الصالح : ٦٠٤

راسين : ٣٧٢

راشد افندى : ٤٨٣

المسيو رتشى : ١٦٥

رجب أغا : ٧٩

الرحمانية : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٣ ، ٥٧٣

الرزق : ٦٣٠

الشيخ رزق الله : ٦١١

الرس : ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧

رستم افندى : ٦١٠

رستم بك الشرقاوى : ١٢٤

رشوان بك : ١٢٤

رشوان كاشف : ١٢٥

رشيد : ٩ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٣٤ ، ١٥٤

١٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٠٨ ، ٤٦٤ ، ٥٧٣

رشيد باشا : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

رشيد قبودان : ٢٨٥

الرشيدى : ٥٥٦

سكة حديد دسوق : ٥٥٠  
سكة حديد السويس : ٦٠٢  
سكة حديد الصالحية : ٢٥٣  
سكة حديد طره : ٦٠٣  
سكة حديد الفيوم : ٢٥٣  
سكوت : ١٣٤  
سلامة باشا : ٥٤٥٠٣٣٥  
سلامة افندي الباز : ٤٩٥  
سلانيك : ١٤١  
الشيخ السلاوى المغربى : ١٧٣  
سليستريا : ٤٠٨  
السلط : ٣٠٦  
سلطان أبو مدين : ٣٥٢  
البارون سلفستردى ساسى : ٣٨٨  
السلطان سليم الثالث : ٦٢٠٠٢٦٤٠١٣٠  
سليم بك : ١٨٠  
السكرولونيل سليم بك : ٥٦٠  
سليم افندى : ٤٨٢  
سليم بك الحجازى : ٢٨١٠٢٧٧  
سم بك الدرجمى : ١١٧  
سليم بك قطان : ٢٠٣٠٢٠٢٠٢٠١  
سليم قبودان : ٤٤١  
سليم كاشف : ١١٨  
سليم بك المحرجمى : ١١١٠٩٨  
سليم بك المناسترلى : ٢٨١  
سليمان باشا : ١٣٠  
سليمان بك : ٢٥

(س)

المسيو ساباتييه : ٢٠٣  
سالم باشا سالم : ٥٥٦  
سعاد بك : ٣٤٢  
سامى افندى : ٦١٠  
سبرباى : ٣٩٧  
سبك الثلاث : ٥٤٩  
الجرال ( السكرلونيل ) ستوارت : ٠٥٢  
١٩٥٠٧٠٠٦٩٠٦٨٠٦٧٠٦٦٠٦٥٠٦٤  
سد أبو قير : ٧٣  
سدنى بيل : ١٧٠  
المسيو سدلييو : ٥٣٦  
سرهنگ قبودان : ٤٦١٠٤٥٥  
المسيو سرىزى : ٤٣١٠٤٣٠٠٤٢٨٠٤١٧  
٤٣٧٠٤٣٦٠٤٣٥٠٤٢٤٠٤٣٣٠٤٣٢  
٤٤٣٠٤٤٢٠٤٤١٠٤٣٠٤٣٠٤٣٠٤٣٠  
٤٤٨٠٤٤١٠٤٤٥  
سعد افندى مجدى : ٥٤٠  
سعود بن عبد العزيز ( سعود الكبير ) :  
١٤٤٠١٤٣٠١٤١٠١٣٤٠١٣١٠١٣٠  
سعيد باشا : ٤٥٥٠٤٠٩٠٣٩٧٠٣٦٧٠٣٤٢  
٥٢٢٠٥١٩٠٥١٥١٤٠٤٦٣٠٤٦٢٠٤٦١  
٥٢٩٠٥٢٨٠٥٢٧٠٥٢٦٠٥٢٤٠٥٢٣  
٥٣٥٠٥٣٤٠٥٣٣٠٤٣٢٠٥٣١٠٥٣٠  
٦٤٤٠٦٠٢٠٥٨٠٥٣٦  
سعيد نصر باشا : ٣٥٩



ستان باشا : ٩٨  
سنمار : ٥١٥  
سنهور : ٥٥٠  
سواکن : ٥٥٠٠٢٠٥٠١٩٦٠١٦٦٠  
السودان : ١٦٦٩٠١٦٨٠١٦٧٠٦٠٠٧٠٦  
١٧٥٠١٧٤٠١٧٣٠١٧٢٠١٧١٠١٧٠  
١٨١٠١٨٠٠١٧٩٠١٧٨٠١٧٧٠١٧٦  
١٨٧٠١٨٦٠١٨٥٠١٨٤٠١٨٣٠١٨٢  
٠١٩٣٠١٩٢٠١٩١٠١٩٠٠١٨٩٠١٨٨  
٠١٩٩٠١٩٨٠١٩٧٠١٩٦٠١٩٥٠١٩٤  
٢٠٥٠٢٠٤٠٢٠٣٠٢٠٢٠٢٠١٠٢٠٠  
٦١٥٠٥٦٥٠٣٩٢٠٣٣٧٠٣١٢٠٢٨٩  
٦٥٠  
سوريه : ١٣١٠١١٨٠١١٦٠١١٣٠٧٠٦٠  
٢٥٢٠٢٤٧٠٢٤٣٠٢٤١٠٠٠٦٠١٩٦  
٢٩٥٠٢٩٤٠٢٩٣٠٢٩١٠٢٩٠٠٢٦٨  
٢٣٨٠٢٣٦٠٢٣٥٠٢٣٤٠٢٣٠٠٢٠٧  
٢٤٤٠٢٤٣٠٢٤٢٠٢٤١٠٢٤٠٠٢٣٩  
٦٥٠٠٥٧٤٠٣٤٦٠٣٤٥  
المارشال سول : ٣٤٥  
السويديه : ٢٧٠  
السويس : ١٦١٠١٤٢٠١٤٠٠١٣٥٠١٢٥٠  
٢٤٧٠٢٣٠٠٢٢٦٠٢٥٦٠٢٤٣٠١٦٣  
٦٠٤٠٣٢٥  
الاميرال سيمور : ١١  
سيوه : ١٦٦

سليمان افندي : ٤٨٣  
سليمان بك أبو عزم الدين : ٢٩٨  
سليمان أغا : ٧٦٠٥٧  
سليمان أغا : ٦١٠  
سليمان افندي البحيري : ٢٢٠  
سليمان بك البواب : ١١٤٠١١٥٠١١٧٠  
١٢٠  
الشيخ سليمان حجاب : ٦١١  
سليمان افندي سليمان : ٤٩٦  
سليمان طه افندي : ٤٩٦  
سليمان عجيلة : ٥٤٩  
سليمان باشا الفر نساوي (السكرولونيل سيف)  
٢٩٤٠٢٨١٠٢٥٥٠٢٥٣٠٢٢٥٠٢٢٠  
٠٢٤٧٠٢٤٣٠٢٣٧٠٢٣٢٠٢٣١٠٢٠٥  
٤٨٩٠٤٠٦٠٤٠٥٠٤٠٤٠٣٨١٠٢٨٠  
٠٥٧٢  
سليمان قيودان (البيرقندار) : ٥٧٢  
سليمان كاشف : ٢٠١  
سليمان لاط افندي : ٤٨٢  
الشيخ سليمان منصور : ٤٨٠  
سليمان موسى بك : ٤٩٥  
سليمان نجافي بك : ٤٩٠  
ستار : ١٧٩٠١٧٨٠٠٧٧٠١٧٢٠١٦٦٩٠  
٠١٨٨٠١٨٦٠١٨٥٠١٨٢٠١٨١٠١٨٠  
٠٢٠٣٠٢٠١٠١٩٩٠١٩٧٠١٩٠٠١٨٩  
٢٨١٠٢٢٧

الشقرام : ١٦٣ ، ١٦٥

شكيب : أفندي : ٢٣٥

الشلوك : ٢٠١

الشيخ شمس الدين : ٦١٢

شنان أفندي : ٢٩٧ ، ٣٤١

شنان قبودان : ٤٦٠

مسبو شواله

شندي : ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

الشيعة : ١٣٢

المسبو شيلو : ٥٨٢

(ص)

صادق سليم بك : ٤٨٩

صارم أفندي : ٣٠٨

صافينا : ٣٠٨

صالح أفندي : ٤٩١

صالح أفندي : ٦١٠

الشيخ صالح : ٦١١

صالح باشا قبطان : ١٢٠

صالح باشا قبودان : ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٣ ، ٣٦

٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧

صالح قوش : ٧٦ ، ٨٠ ، ١١٢ ، ١٣٣

صالح مجدي بك : ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

٥٢٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٥

الصالحية : ٢٥٢

صديق أفندي (قاضي قضاة مصر) : ١٠١

صفد : ٣٠٥

(ش)

شافى لونغ بك : ١٦٧

الملك شارل العاشر : ٥١٠ ، ٤٠٩

الامبراطور شارلسكان : ٥٣٠

الإمام الشافعى : ١٠٢٠ ، ١٥٤

شافعى رحى بك : ٤٩١

شاكر أفندي : ٤٩٢

شاكر أفندي الاسكندرى : ٤٢٨ ، ٤٢٩

٤٦٠

الشام : ١٣٤ ، ١٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٣١٢

٣١٣ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥١

٣٥٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

شاهين بك الألفى : ٤٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨

شاهين بك المرادى : ٣٩

الشايقية : ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٤

٢٩٩

شبرا : ١٠٩ ، ٦٤١ ، ٤٤٤

شراخيت : ١٢

شبرا منت : ٤٣

شبابى العريان : ٣٠٨

الشيبية : ١٤٦

شحاته عيسى بك : ٤٩١ ، ٥٣٤

الجرال شربوك : ٧٤

الشركة الهندية الانجليزية : ٦٠

الحاج شريف : ٦١١

شفت خان : ٢٧٧

طرابلس الشام: ٢٩٠، ٢٦٠، ٢٥٣، ٢٤٨  
٣٤٣، ٣٠٦، ٢٩٧  
طرابلس الغرب: ٩٦  
طرسوس: ٣٠٥، ٢٧٦، ٢٤٧  
طرس: ٣٩٨  
طريق البصرة والفرات وحلب  
والاسكندرونة: ٦٠٥  
طريق رأس الرجاء الصالح: ٦٠٥  
طهطا: ٥١١، ٥٠٢، ٥٠١  
الطور: ٥  
طوروس: ٢٤٣  
طولون: ٤٨٥، ٤٦٨، ٥٦٦

(ظ)

(ع)

عابدين بك: ٣٧٦، ١٧٠، ١٤٤، ٧٦، ٢٦  
٣٧٧  
عابدين افندي: ٣٥١  
العارض: ١٢٨  
عارف قبودان: ٤٠  
عاكف افندي: ٢٦١  
عامر بك حمودة: ٥٤٥  
العائد: ٣٢  
عائشة هانم تيمور: ٥٢١

الصفراء: ١٦٢، ١٣٧، ١٣٦  
صقلية: ٧٤، ٧٣  
صلاح الدين الأيوبي: ١١١، ١٠٨  
صليح تلسيت: ٧٣  
صنعاء: ٣٦١، ٣٦٠  
صور: ٣٤٢، ٢٥٣  
الصويدرة: ١٥٤  
صيدا: ٢٩٧، ٢٩٠، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٩  
٣٤٣

(ض)

ضرمه: ١٦٠

(ط)

طابية صالح: ٢٢٢  
طابية العجمي: ٤١٠  
طامى بن شعيب: ١٤٣  
طاهر باشا: ١٤٩، ٧٥، ٥٠، ٤٩، ٣٦  
٣٧٤، ١٨٢  
الأميرال طاهر باشا: ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٢٩  
طاهر بك: ٢٩١  
طاهر قبودان: ٣٦٢  
الطائف: ١٤٤، ١٤٢، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٠  
٣٧٧، ١٤٥  
طبوز أوغلي (كتخددا بيك): ٦٣، ٣٦  
١٤٩، ٧٤، ٦٤

الشيخ عبد الصمد الأنصاري : ٤٩٨  
عبد العزيز بن سعود : ١٣٣  
عبد العزيز كاشف : ١١٨  
عبد العزيز الهراوي : ٤٩٣  
الشيخ عبد العالبي سالم : ٦١١  
عبد الفتاح أفندي : ٦١٩  
عبد الكريم أفندي : ٥٦٣، ٤٨٧، ٤٤٠  
عبد الكريم سلمان : ٥٤٥  
عبد اللطيف بك : ٤٦٣  
عبد اللطيف قبودان : ٤٤١، ٢٨٥  
عبد الله باشا : ٢٥٨، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٤٩  
٢٥٩  
عبد الله بن سعود : ١٥٠، ١٤٧، ١٤٣  
١٦٢، ٥٩، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٣، ١٥٢  
١٦٤  
عبد الله أبو السعود أفندي : ٥٣٩، ٥٢١  
عبد الله أغا : ٢٧٧  
الحاج عبد الله أغا سرکردگان : ٦١٠  
عبد الله بكتاش : ٩٢، ٩  
عبد الله أفندي بيرون  
عبد الله رامز اشا ( أنظر قبطان باشا )  
عبد الله السيد بك : ٥٣٩، ٥٢١، ٤٩٢  
٥٦٤  
الشيخ عبد الله الشرفاوي : ٦١٠، ٢١، ١٩  
٩٤، ٩٢، ٨٥، ٨٢  
عبد الله باشا العظم : ١٣١  
عبد الله باشا فكري : ٥٢٣  
الشيخ عبد الله فواز : ٦١٠

عباس باشا الأول : ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٢  
٥١٤، ٥١٣، ٤٥٤، ٣٩٧، ٣٤١، ٢٦٣  
٥٤٨، ٥٤٧، ٥٤٦، ٥٤٥، ٤١٩، ٥١٦  
٥٦٣، ٥٦٢، ٥٦١، ٥٦٠، ٥٣٤، ٥٣٣  
٦١٦، ٦١٠، ٥٨٠، ٥٦٤  
عباس عبد العزيز : ٤٩٥  
عبد الباقي أفندي : ٦١٠  
عبد الجليل بك : ٥٣٧  
الأمير عبد الحلیم : ٤٩٠، ٤٧٨  
السلطان عبد الحميد : ٦، ٦  
عبد الحميد أفندي : ٤٤١  
عبد الحميد الديار بكری : ٥٦٣، ٤٨٧، ٤٤٤  
الحاج عبد الرازق أغا : ١١٠  
عبد الرحمن بك : ١٨١  
الشيخ عبد الرحمن : ٦١٢  
الشيخ عبد الرحمن أبو زيت : ٦١١  
عبد الرحمن أفندي أحمد : ٥٣٧  
عبد الرحمن الرافعي : ١١  
الشيخ عبد الرحمن السجيني : ٨٣، ٨٢  
عبد الرحمن كستخدا : ٨٣  
عبد الرحمن محو أفندي : ٤٩٣  
عبد الرحمن الهراوي بك : ٤٩١  
الشيخ عبد الرحيم سلامي : ٦١١  
الشيخ عبد الزورف : ٨٣  
عبد السلام أفندي أحمد : ٥٢٢  
عبد السلام سلمي : ٥٤٠  
عبد السميع أفندي عبد الرحيم : ٥٤٠

- عبد الله محفوظ افندى : ٤٤٠  
عبد الله يوسف افندى : ٥٤١  
السلطان عبد المجيد : ٣٦٢٠٣٢١٠٣٧٦  
الشيخ عبد المنعم الجرجاوى : ٥١٢  
الشيخ عبد الهادى : ٦١٢  
عبد الهادى اسماعيل افندى : ٥٦٦٠٤٩٤  
الشيخ عبد الهادى نجا الايبارى : ٥٢٥  
الشيخ عبد الواحد : ٦١٢  
عبدى شكرى باشا : ٥٦٠٠٥٥٩٠٤٨٣  
٥٦٤  
عثمان باشا : ٣٢٤٠٢٥٨  
الأميرالاي عثمان بك : ١٨٧٠١٨٦  
عثمان بك ابراهيم : ١١٧  
عثمان ابراهيم افندى : ٥٥٨٠٤٩٢  
عثمان أغا الوردانى : ١٦٣  
عثمان بك البرديسى : ٣٨٠٣٧٠٣٥٠٢٥  
١٠٨٠٤٢٠٣٩  
عثمان بك حسن : ٩٨٠٢٩٠٣٥٠٢٥٠١٩  
١١٩٠١١٨٠١١٧٠١١١  
عثمان بوقى قبودان : ٤٦٣٠٥١٢  
عثمان دكرورى بك : ٤٩٥  
عثمان اللوينى : ٥٣٩  
عثمان صبرى باشا : ٤٩٢  
عثمان عرفى باشا : ٥٩٤  
عثمان فتحى باشا : ٥٤٠  
عثمان قاح قبودان : ٤٦٥٠٤٤١  
عثمان القاضى افندى : ٤٩٥  
عثمان كاشف : ١١٨  
عثمان كاشف : ١٤٢  
عثمان كاشف الحبشى : ١١٨  
عثمان اشا اللبيب : ٢٥٤٠٢٥٣  
الشيخ عثمان مدوخ : ٥٢٣  
الأميرالاي عثمان نور الدين باشا :  
٤٥٠٠٤٤٩٠٤٤٢٠٤٤١٠٢٨٥٠٢٥٠  
٥٦١٠٤٧٨٠٤٥٤٠٤٥٣٠٤٥٢٠٤٥١  
عثمان نورى افندى : ٤٨٥  
عثمان يوسف افندى : ٤٩٥  
العجمى : ٥١٠٥٠٠٤٦٠  
العجميين : ٥٦٤  
عدن : ٣٦١٠٢٧٩  
عديلة هاتم : ١٨٥  
العراق : ٢٤٧٠١٣٣  
عرب العايدة : ١٧٣  
عرب عنزة : ٣٠٦  
عرفان قبودان باشا : ٤٥٥  
عرفى افندى : ٦١٠  
الشيخ العروسى : ١٠٤  
العريش : ٣٤٧٠٢٥٢  
العسير : ١٣٤٠١٢٥  
عطبرة : ١٨٨  
العطف : ٥٧٣  
عطيه أفندى رضوان : ٥٣٩  
العقبة : ٢٧٠٠١٣٤  
عكا : ٢٥٧٠٢٥٦٠٢٥٥٠١٥٤٠٢٤٩٠

علي صادق باشا : ٤٩٣	٣٣٨، ٢٩٤، ٢٩٠، ٢٨٥، ٢٦٣، ٢٦٠
علي أفندي صالح : ٤٩٤	٤٤٨، ٤٠٥، ٣٤٦، ٣٤٤، ٣٣٩
الشيخ علي شريمي : ٦٠٩	٤٥٥، ٤٥٢
علي شريف باشا : ٤٧٨	عكار : ٣٠٦
علي عيسى أفندي : ٤٨٠	علي باشا : ٢١٣
الشيخ علي غندور : ٦١١	علي بك : ١٢٤
الشيخ علي الغول : ٦١١	علي أفندي : ٤٧٠
علي الفداوي أفندي : ٤٩٤	الشيخ علي : ٦١٠
الشيخ علي الفرغلي الأنصاري : ٢٢٤	السيد علي : ٤٦٢
علي فهمي بك : ٤٩١	الحاج علي : ٤٠٥
علي فهمي رفاعة باشا : ٥٢٦، ٥٢٥	الخواجه علي : ٦١١
السيد علي قبودان : ٢٨٥	علي ابراهيم باشا : ٥٦٠، ٤٩٠
علي كاشف الخازندار : ١٢٥	الشيخ علي ابو أحمد : ٦١١
علي كاشف فيطاس : ١٢٥	الشيخ علي أبو عامر : ٦١٢
علي بك الكبير : ١٢٥	الشيخ علي أبو عائد : ٦١٢
الشيخ علي كرفوز : ٦١٣	علي بك أيوب : ١٨١
علي باشا مبارك : ٣٩٥، ٣٩٣، ٣٠٢	علي أفندي حسن الاسكندراني : ٤٩٤
٥١١، ٤٩٠، ٤٨٩، ٤٧٨، ٤٠٨	علي حسين أفندي : ٤٨٢
٥٤٧، ٥٤٦، ٥٤٥، ٥٢٥، ٥١٤، ٥١٣	الشيخ علي خفاجي : ١٣٧
٥٥٣، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٤٩، ٥٤٨	علي راغب أفندي : ٤٨٠
٦٤٤، ٥٦٥، ٥٦١	علي رشاد أفندي : ٥٤١
الشيخ علي المكارى : ٦٤٥	علي رشيد قبودان : ٤٦٥، ٢٨٥
علي هية : ٥٥٧، ٤٨٢	علي زين العابدين : ٦٢٩
السيد عمارة أفندي : ٥٤٠	الشيخ علي سالم : ٦١١
الشيخ عمر : ٦١٢	علي أفندي سلامة : ٥٤٠
الحاج عمر : ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩	علي أفندي شكرى : ٥٤٠
٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢	علي بك السلانكلي : ٦١٠، ٥٧، ٥٦، ٥٥

١٣٩٠ ١٣٨٠ ١٣٧٠ ١٣٦٠ ١٣٥٠  
 المعلم غالى : ٦٢٦٠ ٨٥٠  
 غالبية : ١٤٠٠  
 غانم عبد الرحمن : ٤٩٤٠  
 الشيخ غانم محمد : ٥٥٨٠  
 الغربية : ١٩٢٠ ١٢٠  
 غردون باشا : ١٩٤٠ ١٨٧٠ ١٧٠٠  
 غزة : ٣٤٨٠ ٣٤٧٠ ٢٥٢٠  
 غويدكرو : ٢٠٥٠ ٢٠٣٠  
 الشيخ غيث : ٦١١٠

(ف)

فابريقة ( انظر مصنع )  
 المسيو فاران : ٣٩٧٠  
 فارسكور : ٥٧٢٠  
 فارين بك : ٤٧٣٠  
 فازوغلى : ١٨١٠ ١٧٨٠ ١٧٥٠ ١٧٣٠  
 ٣١٩٠ ١٩٧٠ ١٩٦٠ ١٨٦٠ ١٨٤٠  
 فاطمة الزهراء : ٤٩٠  
 الكولونيل قافيه : ٢٢٤٠  
 فامكة : ١٩٧٠  
 فايد كاشف : ١١٨٠  
 الشيخ فرج : ٦١١٠  
 المعلم فرادر : ٥٤١٠  
 المسيو فردريك كابو : ١٧٥٠ ١٧٤٠ ١٧٣٠  
 ٢٠٥٠ ١٩٩٠ ١٨٧٠ ١٧٧٠ ١٧٦٠  
 فرشوط : ٤٩٨٠ ٣٨٣٠ ٣٨٢٠

عمر بك : ٧٩٠ ٧٦٠ ٦٠٠  
 عمر أفندى : ٤٨٢٠  
 عمر أفندى : ٤٨٠٠  
 عمر صبرى أفندى : ٥٤٠٠  
 عمر على أفندى : ٤٩٤٠  
 عمر الكومى : ٤٨٤٠  
 السيد عمر مكرم : ٢٣٠ ٢١٠ ١٩٠ ١٣٠  
 ٥٨٠ ٤٩٠ ٤٦٠ ٣٩٠ ٣٣٠ ٣١٠ ٣٠٠ ٢٥٠  
 ٨١٠ ٨٠٠ ٧٩٠ ٧٦٠ ٦٤٠ ٦٣٠ ٦١٠ ٦٠٠  
 ٨٩٠ ٨٨٠ ٨٧٠ ٨٦٠ ٨٥٠ ٨٤٠ ٨٣٠ ٨٢٠  
 ٩٧٠ ٩٦٠ ٩٥٠ ٩٤٠ ٩٣٠ ٩٢٠ ٩١٠ ٩٠٠  
 ١٠٤٠ ١٠٣٠ ١٠٢٠ ١٠١٠ ١٠٠٠ ٩٨٠

٦٤٧٠ ٦٤٦٠ ٤٩٣٠  
 عمرو بن العاص : ٨٦٠  
 الشيخ العلوى : ٤٨٤٠  
 العنب : ٣٠٣٠  
 عنيزة : ١٥٦٠ ١٥٥٠  
 العيس : ٢٠٦٠  
 الشيخ عيسوى خضر : ٦١٣٠  
 عيسوى أفندى النحراوى : ٥٥٧٠ ٤٨٨٠  
 عيسى : ٥٦١٠  
 عيسى جاهين أفندى سالم : ٤٩٤٠  
 الشيخ عيسى سالم : ٦١١٠  
 عيقتاب : ٣٢٤٠ ٣١٣٠  
 العيينة : ١٢٧٠ ١٢٦٠

(غ)

الشريف غالب بن مساعد : ١٣٤٠ ١٣٠٠

(ق)

قاسم بك : ١١٨  
 الشيخ قاسم الأحمد : ٣٠٦٠٣٠٤٠٣٠٣  
 قاسم أفندي أسعد : ٥٤٧  
 قاسم بك أمين : ٥٢١  
 قاسم الجندى : ٤٨٤  
 شيخ قاسم طه : ٦١١  
 قاسم أفندي محمد : ٥٤٠  
 قانون سنة ١٨٥٨ : ٦٢٤  
 القانون الاساسى سنة ١٨٣٧ ( قانون  
 السياسة ) : ٦١٥  
 قانون نابليون : ٥٤٢٠٥٢٢  
 القاهرة : ٥٤٠٤٩٠٤٦٠٤٥٠٣٤٠١٢  
 ٧٨٠٧٦٠٧٥٠٧٤٠٦٢٠٦١٠٥٧  
 ٦١١١٠١١٠٠١٠٨٠١٠٧٠١٠٥ : ٧٦  
 ١٥٣٠١٥٢٠١٤٩٠١٤٣٠١٣٤٠١١٨  
 ٦٠٥٠٦٠٤٠٥٥٠٠٣٥٩٠١٦٤٠١٥٤  
 القبارى : ٤١١  
 قبائل سبدرات : ١٨٧  
 قبائل الشلك : ١٨٧  
 القبة : ٤٠٧٠١١٣٠١١٢  
 قبطان باشا ( عبد الله رامر باشا ) : ١٩٠١٨  
 ٢٣٠٣١٠٣٠٠٢١٠٢٠  
 قبيلة جهينة : ١٢٩  
 قبيلة حرب : ٣٥٨٠١٥٥٠١٤٥٠١٣٩

فرع دمياط : ٥٧٣٠٥٧٢  
 فرع رشيد : ٥٧٥  
 فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤٢ : ٣٦٢٠٢٠٥  
 فرمان ٦ مايو سنة ١٨٢٣ : ٢٩٢  
 فرمان أول يونية سنة ١٨٤١ : ٤٩٧  
 فرمان تولية محمد على المورة : ٢١٦  
 الرحالة فرن : ٢٠٣  
 فريد أفندي : ٤٩١  
 الجرال فريزر : ٤٥٠٥٢٠٤٦٠١١٠١٠  
 ٧٣٠٧٢٠٦٥٠٦٤  
 فلسطين : ٢٤٤٠٣٣١٠٢٤٩٠١٣٤  
 قم الخليج : ٨٤  
 فنار الاسكندرية : ٥٥١  
 فوه : ٥٧  
 الشيخ فودة : ٦١٢  
 فولابل : ٣٨٠٠٢٢٤٠١١٥٠٣٥  
 فولتير : ٤٠٤  
 فيجرى بك : ٥٦٥  
 فيصل بن سعود : ١٤٧٠١٤٠  
 فيكتور هيجو : ٢٢٧  
 الفيوم : ٥٨٥٠١١١٠١٠٦٠١٢٣٠٢٨٠٢٥  
 الفيومى : ٩٩  
 الأيرال فيلنوف : ٢٧  
 فيليب الثانى : ٢١٦  
 فينتسيا ( البندقية ) : ٢٢٥  
 الكا بن فيلوز : ٢٢٩  
 المسيو فيسير : ١٥٧٠١٤٩



قلعة حصص : ٢٦٢  
قلعة السبتية : ٥٨  
قلعة القدموس : ٢٩٧  
قلم الترجمة : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٢٠  
قليوب : ٧٦  
القايروية : ٥٧٢ ، ١٢  
قبرين : ٢٤٤  
قناة السويس : ٦٥٨ ، ٥٥٠  
قنا : ٥٧٥ ، ٢٩٣ ، ١٦٦ ، ١٥٢ ، ١٤٨  
قناطر بحر موسى : ٦٠٤  
القناطر الخيرية : ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٤٧ ، ٧٦  
٦١٦ ، ٦٠٢  
قنفذه : ٥٦٠ ، ٣٥٩ ، ٤٥  
قوله : ٤٥١  
قورنيه : ٤٠٦ ، ٣٢٤ ، ٢٧٧  
قيصرلى أحمد أفندى : ٤٩٤

(ك)

المسيو كابودستريا : ٢١١ ، ٢١٠  
كادافين : ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٦٨ ، ٢٤٩  
٦٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٣١٦ ، ٣١٠  
لمسيو كاريه : ٤٠٠  
كشف أفندى : ٦١٠  
كافى بك : ٢٧٩  
كاور خورشيا : ٣٢٥  
كيانى بك : ٤٧٢

القدس : ٢٩٠ ، ٢٥٣  
القرين : ١٧٨  
قرموط : ٢٧٥  
قرنايل : ٢٩٧  
القرين : ٢٥٢  
قزنفور : ١٩٧  
الخواجه قسطنطين : ٣٣٣  
قصر اراهيم باشا ( القصر العالى ) : ٦٠٩  
قصر الجوهره : ٦٠٠  
قصر رأس التين : ٦٠١ ، ٦٠٠  
قصر شبرا : ٦٠١  
قصر صلاح الدين : ٤٠٠  
قصر العيني : ٥٥٤ ، ٤٨٠ ، ٣٩٦  
القصر : ٢٩٣ ، ١٦٦ ، ١٥٢ ، ١٤٧  
القصيم : ١٥٦  
القضارف : ٢٠٥  
قطن سى ايلاند : ٥٨٤  
قطن محو بك : ٥٨٤  
قطية : ٢٥٢  
القلابات : ٣٠٥ ، ١٨٧  
القازم : ١٦٠  
القلمة : ٩٥٠٩٤ ، ٨٧٠٧٩ ، ٧٧٠٣٤  
١١٦ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ١١١ ، ٩٩ ، ٩٧  
١٤٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧  
١٦٤ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٥٨ ، ١٥٢ ، ١٥٠  
٦٠٧ ، ٦٠٢ ، ٦٠١ ، ٥٦٩ ، ٥٤٤  
قلعة البرنس : ٤٨

٤٧٦، ٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧١، ٤٦٣، ٤٦١  
 ٥٦٤، ٥٥٥، ٦٥٤، ٥٥٣، ٥٥١، ٤٨٨  
 ٦٢٥، ٦٠٨، ٦٠٣، ٢٦٧، ٥٦٦  
 كليبر: ١٣، ١٢  
 كليس: ٢٧٢، ٢٧٠  
 كنج عثمان بك: ٤٤٠  
 كوتاهبه: ٣١٠، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٤٧  
 الرحالة كونشي: ١٩٦  
 المسيو كوتليك: ٤٥١  
 كوجك علي أفندي: ٤٩١  
 الأميرال كودرنجتون: ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨  
 ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١  
 كورتى: ١٧٦، ١٧٥  
 المسيو كوست: ٥٧٣  
 كورشيكا، مضيق: ٢٢٣  
 كورون: ٢٤٠، ٢٣٨  
 المسيو كوشليه:  
 كولك: ٣١٢، ٢٩٣، ٢٧٧، ٢٥٦  
 كولو كترونى: ٢٢٣  
 الكوم الأسود: ٤٤  
 كوم الأفراح: ٦٣  
 الفيلسوف كوندورسية: ٥٢٥

(ل)

اللاذقية: ٣٤٩، ٣٠٥، ٢٧١  
 لافوتتين: ٦٢١، ٥٣٩

كشخدا بك: ٦٦، ٦٢، ٦١، ١٠، ٤٨  
 ١١٦، ٨٩، ٨٨، ٧٩، ٨٧، ٩٥، ٩٠  
 ٣٣، ١٥٣، ١٥٢، ١٥٠، ١٤٨  
 ٤٦٥  
 كشخداى بك (طبوزأوعلى): ٧٥، ٧٤، ٣٦  
 كشخداى بك وحمد لاطأوعلى: ١٤٤، ١١٦  
 ١٧٣، ١٥٠، ١٤٥  
 كشخداى أغا: ٦١٠  
 كمنشر: ١٩٥، ١٨٨، ١٧٠  
 القائد البيرونى كريسكا كى: ٢٢٤  
 كر بلاه: ١٠٠  
 كردقان: ١٨٠، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٤  
 ٣٨٢، ٣٦٥، ٢٠٥، ١٩٦، ١٨٨  
 السكرك: ٣٠٦  
 كروسكو: ١٩٨  
 كريت: ٢٦٦، ٢٦٢، ٢٦١، ١٦٥  
 ٣٤٥، ٣٢٩، ٣٣٦  
 كستل توريقة: ٩٤٠  
 كسروان: ٣٥٥، ٣٢٦  
 كسلا: ١٩٥، ١٨٩، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥  
 كسر الزيات: ٥٤٧، ٤٩٠  
 كسر بحر: ٤٥٧، ٥٤٦، ٥٥٠  
 الكفور: ٩٢  
 كلا فريتا: ٢١١  
 الدكتور كلوت بك: ٤٠٠، ٣٩٧، ٢٥١  
 ٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠١  
 ٤٤٨، ٤٣٨، ٣٢٩، ٣٢٢، ٣١٣، ٤٠٩  
 ٤٥٨، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٥٥، ٤٥٤

ماسيرو : ١٦٧  
الماجور ماكدونالد : ٦٨  
الكلونيل ماكلود : ٧٠٠٦٩٠٦٨  
المسيو مانجان : ١١٩٠١٠٠٠٤٣٠٤٢٠٤١  
٣٦٠٠٢٧٧٠٢٦٠٠٢١٤٠٢١٣٠١٤٧  
٦٢١٠٦١٩٠٥٧٦٠٤٥٧٠٤٥٦٠٤٥٥  
٦٤٩  
المسيو ماندريشي : ١١٤  
مباحث دستورية : ٥٠٥  
المبيضة : ٥٩٠  
مبيضة بولاقي : ٥٩١٠٥٩٠  
مبيضة شبرا شهاب : ٥٨٨  
مبيضة شبين الكوم : ٥٨٨  
مبيضة المحلة الكبرى : ٥٨٨  
مبيضة المنصورة : ٥٨٨  
مترنيخ : ٢١٦٠٢١١  
متس : ٥٦٠  
مجلة روضة المدارس : ٥٦٦٠٥٢٤٠٥٢٣  
مجلة اليمسوب : ٥٥٣  
مجلس التجار : ٦١٩  
المجلس الخصوصي : ٦١٦  
مجلس ديوان المدارس : ٥٢١  
مجلس شوري النواب : ٣٧٩  
مجلس شوري القوانين : ٤٩٠  
مجلس شوري المدارس : ٥٦٠٠٤٧٣  
المجلس العالي : ٦٠٧  
المجلس العمومي (الجمعية العمومية) : ٦١٦  
مجلس عمومي بالاسكندرية : ٦١٦  
(٤٦ - م)

الجزال لافايت : ٥١٢  
المسيو لامبير بك : ٤٨٩ ٤٧٣٠١٨٨  
٥٤٧  
اللاهون : ١١٠  
لائحة ١٩ ابريل سنة ١٨٤١ : ٣٦٨  
لبنان : ٢٣١٠٣٢٠٠٣٠٩٠٣٠٧٠٢٩٧  
٦١٣  
اللجاة : ٣٠٧  
لطفى افندي : ٣٦١  
لطف باشا : ١٥٠٠١٤٩  
لطف بك : ٦١٦  
المسيو لوتلييه : ٣١٥  
لويس الثامن عشر : ٥٠٧  
الاميرالاي لويس : ٥٢  
المسيو لويس بلان : ٢٩٩  
الملك لويس فليب : ٣٤٥  
ليفقر : ١٨٤  
ليفورن : ٢٢٤  
لبنان باشا دى بلفون : ٥٧٢٠١٦٦  
٥٨٣

( م )

المابين : ١٤٧  
المسيو مارتل : ٤٠٠  
المارشال مارمون ( الدوق دى راجوز )  
٥٧٤٠٣١٢٠٣١١٠٣٠٧٠٣٩٩٠٢٩٨  
المسيو مانجو (على افندي) : ٣٣٩

١٠٨٠٩٩٠٥١٠٣٢  
الشيخ محمد الأمير : ٦٤٠٠٩٣٠٦٢  
محمد أمين أفندي : ٦١٠  
الشيخ محمد الأنصاري : ٤٩٧  
محمد الباقر : ٤٩٧  
محمد أفندي البحيري : ٥٤١  
محمد بك بدر : ٥٢٣  
محمد بيرومي أفندي : ٥١٤٠٤٧٤٠٤٥٩  
محمد حافظ باشا : ٣١٣  
محمد حسن أفندي : ٤٩١  
محمد أفندي الحلواني : ٥٤٠  
محمد خسرو بك : ٦١٠  
الشيخ محمد خضر : ٦١١  
محمد خقاجي بك : ٤٩١  
الشيخ محمد خليل : ٨١١  
الشيخ محمد الخولي : ٦١١  
محمد أفندي الداوندار : ٦١٢  
محمد بك الدقردار : ١٨٠٠١٧٩٠١٧٧  
| ١٩٠٠١٨١  
الشيخ محمد الدمهوري : ٥١٢  
الشيخ محمد الدواخلي : ٨٨٠٨٧٠٨٦  
محمد أفندي دوبدار : ٦١٤  
محمد راشد باشا : ٤٩٠  
محمد راشد بك : ٤٣٨  
محمد راشد قبودان : [٤٤١]  
محمد بك راغب : ٥٧٦٠٥٧٣٠٥٧١  
محمد بك راغب الاستانبولي : ٤٩٤

مجلس المشورة : ٦١٠٠٦٠٩٠٦٠٨  
المجمع العلمي : ١١  
المجمع العلمي العربي : ٢٩٧  
الأميرال محرم بك : ٢٢٩٠٢٢٤٠٢١٤  
٤٥٢٠٤٥١٠٤٢٧٠٢٣٤٠٢٣٣  
محرم آغا : ٤٧٩  
المحسن : ١٧٣  
محسن باشا : ٤٦٠  
مخلة الأمير : ٥٦  
محمد باشا : ٢٦٤٠٢٦١٠٢٦٠  
محمد أفندي : ٦١٠  
محمد أفندي : ٤٩٠  
محمد بك : ٦١٠  
الشيخ محمد : ٦٢٧  
محمد إبراهيم أفندي : ٦٣٢  
محمد بن حسن : ١٥٥  
محمد بن سعود : ١٣١  
محمد بن عبد الوهاب : ١٣٣٠١٣٠  
محمد بك أبوسن : ٤٦٨  
الشيخ محمد أبو صادر : ٦١٢  
الشيخ محمد أبو عامر : ٦١١  
الشيخ محمد أبو علي : ٦١٢  
محمد أفندي اسماعيل : ٤٦٦٠٤٩١٠٤٨٧  
الشيخ محمد الأسيوطي الحنفي : ١٨١  
محمد آغا : ٦١٠٠١٢٠  
محمد آغا لاط : ١٨٢٠١٨٠  
محمد بك الألفي : ٢٨٠٢٤٠٢٤٠٢٠١٥

محمد افندی عبد الرازق : ۵۳۶  
محمد عبد الفتاح : ۵۵۶  
الشیخ محمد عبد الله : ۶۱۳  
الشیخ محمد عبده : ۶۴۷  
الشیخ محمد عبید : ۶۱۱  
محمد افندی عثمان جلال : ۵۴۰  
محمد علی (معظم صفحات الکتب)  
محمد علی باشا البقلى : ۵۴۷، ۴۸۰  
محمد افندی علی القوصی : ۵۳۹  
الشیخ محمد علیوه : ۶۱۱  
محمد عمر التونسى : ۵۷۰  
محمد عمر الهوارى : ۵۷۰  
الشیخ محمد فیوح : ۶۱۱  
محمد الفحام : ۴۹۱  
محمد الفضل سلطان : ۱۷۷  
الشیخ محمد القاضى : ۶۱۴  
محمد قبودان : ۵۴۷  
محمد قدرى باشا : ۵۲۳، ۵۲۲  
محمد تراقیش قبودان : ۴۷۷  
محمد کاشف : ۱۲۵، ۲۸  
محمد کتبخداى الالفى : ۹۹  
الاستاذ محمد کرد علی : ۳۵۱، ۲۹۹  
السید محمد کریم : ۵۱  
محمد افندی لاط : ۵۴۰  
محمد لاط أوغلی : ۵۰۱، ۱۵۰، ۱۴۴، ۱۱۵  
السید محمد المحروقی : ۶۴۹، ۹۸، ۷۸  
محمد مختار باشا : ۱۸۵  
محمد افندی مراد : ۵۶۶

محمد رشدى بك : ۵۴۱  
محمد رشید باشا : ۲۷۶  
محمد افندی زهران : ۵۴۰  
محمد افندی زیور : ۵۴۱  
السید محمد السادات : ۶۱۰، ۹۹، ۳۰  
محمد افندی السکرى : ۴۸۹  
محمد باشا السالحدار : ۲۹  
محمد افندی سلیمان : ۵۴۱  
محمد افندی السمسار : ۵۴۰  
محمد الشافعى بك : ۴۸۸  
محمد شاكر افندی : ۴۹۲  
محمد الشباصى بك : ۴۸۸  
الشیخ محمد الشبکى : ۶۰۲  
محمد افندی الشرفاوى : ۲۷۸  
محمد شریف باشا : ۲۰۶، ۲۹۴، ۵۵۹،  
۶۴۴  
محمد شریف باشا الکبیر : ۲۹۷  
محمد شنان بك : ۵۶۳، ۴۵  
الشیخ محمد الشواربى : ۴۷۲  
محمد شوق افندی : ۴۹۱  
محمد شیمی بك : ۵۴۱  
محمد صادق باشا : ۴۹۲  
محمد الصادق حسین بك : ۵۱۴  
محمد افندی طبل : ۷۹، ۷۸  
محمد افندی الطیب : ۵۴۱  
محمد عارف باشا : ۴۹۲  
محمد عارف افندی : ۶۱۰

مدرسة الإدارة: ٥٢٣  
مدرسة إدارة افرنجية: ٥١٣  
مدرسة أركان الحرب بالخانكة: ٣٩٣  
مدرسة أسوان: ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠،  
٣٩٣  
المدرسة الإعدادية الحربية: ٥٨١  
مدرسة الآلسن: ٤٧١، ٤٨٩، ٥٢١  
المدرسة البحرية بالاسكندرية: ٣٩٤  
مدرسة البنات بالسيفية: ٤٢٢، ٤٢٣  
المدرسة التحضيرية بالاسكندرية: ٤٧٣  
المدرسة التحضيرية الحربية: ٣٩٥  
المدرسة التحضيرية الثانوية: ٣٣٩، ٥١٣  
المدرسة الحربية للشاة: ٥١٤  
مدرسة الحقوق: ٥٤١  
مدرسة دمياط: ٣٩٠  
مدرسة الزراعة بنبروه:  
مدرسة سومور: ٣٩١  
مدرسة السيدة زينب: ٣٩٦  
مدرسة الشعر الحديثة: ٥٢٦  
مدرسة الصيدلة: ٤٧٠، ٤٨١  
مدرسة الطب: ٤٦٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٧٠،  
٤٦٩، ٤٤٨، ٥٣٩، ٥٥٠  
مدرسة الطب البيطري: ٤٩٢، ٥٦٦  
مدرسة العمارة: ٥٢٠  
مدرسة الفرسان بالجيزة: ٣٩٦، ٤٩٢  
مدرسة فرشوط الحربية: ٣٩٥  
مدرسة الفنون والصنائع (مدرسة العمليات)  
٤٧٢

الأستاذ محمد مسعود بك: ٦٠٨  
محمد مصطفى أفندي: ٥٣٩  
محمد مظهر باشا: ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦  
الشيخ محمد المغربي: ٦١١  
محمد منصور أفندي: ٤٨٩  
الشيخ محمد المهدي: ٩٨، ٩٢، ٩٤، ٩٩  
محمد هدايت قبودان: ٣٢٥  
محمد أفندي يونس: ٤٩٣  
المحمل: ٤٠، ١٣٤  
السلطان محمود: ٧٦، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٧٨،  
٢٨١  
محمود بك: ٦١٠  
محمود أغا: ٦١٠  
محمود بك الدويدار: ١٤٨  
محمود سامي البارودي باشا: ٥٣٨  
محمود باشا الفلكي: ٥٢٣، ٥٤٩، ٥٥٠  
محمود نامي بك: ٢٩٤، ٢٩٦  
مخا: ٣٥٩، ٣٦٠  
مختار باشا: ٥٠٨  
المدارس الابتدائية: ٤٧٦، ٦١٦  
المدارس الحربية: ٣٣٩، ٥٧٢  
المدارس العالية والخصوصية: ٤٧٢  
مدرسة ابتدائية بالخرطوم: ٥١٣، ٥٢٠،  
٥٤٩  
مدرسة أبي تبيج: ٥٦١  
مدرسة أبي زعبل: ٤٨٨، ٥١١  
مدرسة أبي زعبل التحضيرية: ٥٥٢

- مدرسة القصر العيني : ٥٤٩ ، ٤٩٢ ، ٣٩٥  
 مدرسة قصر العيني الإعدادية : ٣٩٦ ، ٤٠  
 مدرسة اللسان المصري القديم : ٥٢٣  
 مدرسة المحاسبة : ٥٢٠ ، ٥١٣ ، ٣٣٨  
 مدرسة المدفعية بطرة : ٤٨٩ ، ٤٠٧ ، ٣٩٨  
 ٥٤٩  
 المدرسة المصرية بباريس : ٥٦٤ ، ٤٧٨  
 مدرسة المعادن بمصر القديمة : ٤٧٢  
 مدرسة المهندسخانة ببولاق : ٤٨٩ ،  
 ٥٦٤ ، ٥٦١ ، ٥٤٩  
 مدرسة الموسيقى العسكرية : ٣٩٢  
 مدرسة التخييل : ٣٩٤  
 مدرسة الهند بالقاعة : ٣٢٧ ، ٣٢٦ ،  
 ٤٢٠  
 مدرسة الولادة والقابلات : ٥٢٣ ، ٤٧١  
 مدينة الزقازيق : ٤٧٣  
 المدينة المنورة : ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٢٤  
 ١٦٢ ، ١٦٠ ، ١٥٤ ، ١٥٢  
 مذبح القاعة : ٦٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٠٩  
 مراد بك الكبير : ١١٧  
 مراد مختار : ٥٢٨  
 مرجان قبودان : ٤٦١ ، ٤٥١  
 مرزوق بك : ١٢٠ ، ١٠٨  
 مرزوق كاشف : ١١٩  
 مرسيليا : ٢٢٥  
 مرعش : ٢٧٦  
 مرقص : ٣٦
- مرمريس : ٣٨٦  
 مروى : ١٧٢  
 المريسة : ١٨١  
 المسيو مريو : ٦٣٠ ، ٤٠٨  
 مريوط : ٨٢  
 مزار : ٣١٦  
 المسألة الشرقية : ٢٨٧  
 المسألة المصرية : ٣٦٧ ، ٢٨٧ ، ٦٣  
 المسألة اليونانية : ٢٢٨  
 مستشفى قصر العيني : ٥٥٢ ، ٥٥٠  
 مسقط : ١٣٣  
 مسعودية : ٢٥٢  
 الشيخ المسمري : ٧٥  
 الدكتور مشاقة : ٣٠٧ ، ٣٠٢  
 مصر الجديدة : ١٦٦  
 مصر القديمة : ٦٠٢ ، ١٠٢ ، ٨٤ ، ٢٠  
 الشيخ المصري : ٦١٠  
 مصطفى بك : ١١٧  
 مصطفى بك : ١٤١  
 مصطفى أبو زيد : ٥٣٥  
 مصطفى باشا الأرنؤموى : ٤٥٣  
 مصطفى أنا بربر : ٢٤٨  
 مصطفى بك أيوب : ١١٧  
 مصطفى بهجت باشا ( مصطفى محرجي  
 أفندى ) : ٦٤٤ ، ٥٨٠ ، ٤٤٣  
 مصطفى حسن كساب : ٥٨٠  
 مصطفى حلم أفندى : ٤٩١

- مصنع جرجا للفزل . ٥٥٣ .  
مصنع الجوخ ببولاق . ٥٩٠ .  
مصنع الجوخ بلا جندوك . ٥٩٠ .  
مصنع الحبال . ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٥٩١ .  
مصنع الخرنفش . ٥٨٦ ، ٥٨٧ .  
مصنع دمنهور للفزل والنسيج . ٥٩٠ .  
مصنع دمياط للفزل والنسيج . ٥٩٠ .  
مصنع رشيد لدبغ الجلود . ٦٠١ .  
مصنع رشيد للفزل والنسيج . ٤٩٠ .  
مصنع رشيد لحداثة السفن . ٤٩٠ .  
مصنع رمس . ٥٨٧ .  
مصنع الزجاج . ٦٠١ .  
مصنع زفتي للفزل . ٤٩٠ .  
مصنع السبئية . ٥٨٥ .  
مصنع سبك الحديد ببولاق . ٦٠٠ .  
مصنع السكر بجوارز الأنيل . ٦٠٠ .  
مصنع السكر بجزيرة كورسيكا : ٦٠٠ .  
مصنع السكر بولرضة : ٦٠١ .  
مصنع السكر بالبرمون : ٦٠٠ .  
مصنع السكر بساقية موسى . ٦٠١ .  
مصنع شبنم الكرم للفزل والنسيج : ٥٨٩ .  
مصنع الشمع : ٦٠١ .  
مصنع الصابون : ٦٠١ .  
مصنع صب المدافع . ٣٩٦ .  
مصنع الصينى : ٦٠١ .  
مصنع الطرايشى بغوة : ٥٨٧ ، ٥٨٩ .  
مصنع الطرانة : ٣٩٩ .

- مصطفى راسم : ٤٩٥ .  
مصطفى رشيد باشا : ٢٧٥ ، ٣٩٢ .  
مصطفى أفندى رضوان : ٥٣٩ .  
مصطفى السبكي بك : ٤٨٨ ، ٥٥٧ .  
مصطفى مك السراج : ٥٣٩ .  
مصطفى بك الصغير : ١١٧ .  
مصطفى أفندى صفوت : ٥٤٠ .  
الشيخ مصطفى على : ٦١٦ .  
مصطفى قبودان ( البلاوحي ) : ٤٣٩ .  
مصطفى قبودان الجزاىرى : ٢٩٢ .  
مصطفى بك السكرىدىلى : ٥٣٥ .  
مصطفى المجدولى بك : ٤٩٢ .  
مصطفى مختار بك : ٢٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٨١ .  
مصطفى مطرش باشا : ٢٨٦ و ٥٧٦ .  
مصطفى أفندى نظيف . ٤٣٦ .  
مصطفى الواطى بك . ٥٥٨ .  
مصنع ابراهيم آغا . ٥٥٨ .  
مصنع أسبوط للفزل والنسيج . ٥٩١ .  
مصنع الأشمورنين . ٣٩٩ .  
مصنع إليف . ٥٨٧ .  
مصنع ألواح النحاس . ٦٠٠ .  
مصنع أمشاط العزل بالسيدة زينب . ٥٨٨ .  
مصنع اهناس . ٣٩٩ .  
مصنع البارود بسان شاماس . ٣٩٩ .  
مصنع البارود بالمقياس . ٣٩٨ .  
مصنع البدرشين . ٣٩٩ .  
مصنع بنى سويف للفزل والنسيج . ٥٩٣ .



مطوش قبودان : ٢١٤ ، ٤٤١  
مظهر باشا : ٤٤٣ ، ٦٤٤  
معاهدة أدرنة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ :  
٢٥٢  
معاهدة لندرة ١ يولية سنة ١٨٢٧ : ٢٢٨  
٣٦٥ ، ٢٣٣  
معاهدة هنكار اسكدة من ٨ يولية سنة ١٨٣٣  
٢٩٣  
معركة ( انظر واقعة )  
معمل ( انظر مصنع )  
معهد الفقه والشريعة الاسلامية : ٥١٤  
معهد الموسيقى بالخانكة : ٢٩١  
مغنيسيا : ٢٩١  
الشيخ المقدسى الحنبلى : ١٣٩  
مكة : ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦١  
مكتب بولاق : ٤٠٣  
مكتب تعليم كتبة الديوان : ٦١٠  
المكتب العالى بالخانقاة : ٤٩٩  
المكس : ٤٠٩  
ملتبرون : ٥١١ ، ٥١٣  
المسيوملى : ١٩٧  
الماليك : ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٢ ،  
٥٠ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ،  
١٢٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٩١٧ ،  
٦١٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩  
ميمش أغا : ١٤٥  
منايع النيل : ١٢٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٠

مصنع طهطا للغزل : ٥٩١  
مصنع فرشوط للغزل : ٥٩١  
مصنع فوة للغزل : ٥٠٩  
مصنع الفيوم : ٣٩٩  
مصنع القاهرة : ٣٩٩ ، ٥٨٩  
مصنع قليوب للغزل . النسيج : ٥٨٩  
مصنع قليوب للسباكة : ٤٩٢  
مصنع قنا للغزل : ٥٩٤  
مصنع مالطة ببولاق : ٥٨٧ ، ٥٨٨  
مصنع المحلة الكبرى للسباكة والحدادة  
والبرادة والخراطة : ٥٩٢  
مصنع المحلة الكبرى للغزل والنسيج : ٥٩٢  
٤٥٧  
مصنع المنصورة للغزل والنسيج : ٥٩٣  
مصنع المنيا للغزلى : ٥٩٤  
مصنع ميت غمر للغزل : ٥٩٣  
مصنع نسيج الرمال : ٥٩٤  
مصنع نسيج الكتان : ٥٩٣  
مصنع النيل : ٥٩٥  
مصنع الورق : ٥٩٥  
مصوع : ١٦٨  
الشيخ مطاوع دهلان : ٦١٢  
مطبعة أبى زعبل : ٥٧  
مطبعة بولاق : ٤٧٧ ، ٥٤٩ ، ٦١٦  
مطبعة مدرسة الفرسان بالجيزة : ٥٦٨  
طره : ٥٦٨

الجنرال ميزون : ٢٣٩

الماجور ميست : ٤٩

ميسولنجي : ٢٢٧ ، ٢٥٩

الأمير الای ميوليس : ٢٢٣ ، ٤٢٢

( ن )

ناپلس : ٢٢٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣٥٣

نابليون : ١٠ ، ١٢ ، ٢٦ ، ٥١ ، ١٢٠

٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٢٧ ، ٦٠٨

٦٠٩ ، ٦٤١

السكرودر نابيهه : ١٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠

ناقارين : ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٤

نبروه : ٥٥٢ ، ٥٦٧

نجد : ٢٢٥ ، ١٢٦ ، ١٦٠

النجيله : ٣٦ ، ٢٧

النخل : ٣٤٧

نشيد فرنسا القومي ( المارسلين ) : ٥٣١

الشيخ نصر أبو الوفا : ٤٩٠

الشيخ نصر عثمان : ٦١١

النصيرية : ٣٠٦

نصيبين : ٩ ، ١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣٢٤

نعمان بك : ١١١

القيصر نقولا الاول : ٢٥٥

نقولا مسابكي أفندي : ٤٧٧ ، ٥٧٠

الأميرال نلسن : ٢٥

نرو : ٣٦

مذشاة النيدة : ٤٩٨

الشيخ منصور : ٦١١

منصور : ٤٠٥

منصور زاده : ٢٩١

منصور عزمي أفندي : ٤٩٢

منصور عطية أفندي :

منو : ١٠ ، ١١ ، ٧٢

المهدي ( محمد أحمد ) : ١٩٤

مؤتمر سنة ١٨٤٠ : ٣٦١

مؤتمر ليباخ : ٢١٠

موجيل بك : ٤٤٢ ، ٥٤٧ ، ٥٧٩

مودون : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣

الماجور مور : ٦٩ ، ٧١

الجنرال مورافيف : ٢٨٩ ، ٢٩٠

الموره : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦

٢٧٥ ، ٦٥٠

المسيو موربية : ٢٨٠ ، ٦٣٠

موسى باشا : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٣

الشيخ موسى : ٤٨٢

الشيخ موسى خليفة : ٤٨١

موسى كاشف : ١١٨

مونتسكيون : ٤٤٥

الآنسة مي : ٥٢٢

ميدان الرميلة : ١١٤

ميدان سليمان باشا : ٣٧٩

ميدان صلاح الدين : ١١٢

وادي أرجوس : ٢٢٢  
وادي النيم : ٣٥٢ ، ٣٠٨  
وادي الطميلات : ٥٨٣  
وادي حلقا : ١٨٥  
وادي زهران : ١٤٦  
وادي الصفراء : ١٣٦ ، ١٤٧  
وادي لكونيا : ٢٢٣  
وادي النيل : ١٩ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ١٦٧  
وسيل قبودان : ٤٤٠  
الوقائع المصرية : ٤٥١ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ،  
٤٩٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧١ ، ٦١٠ ، ٦١١  
واقعة أبو قير : ١١ ، ١٢  
واقعة امبابة ( واقعة الأهرام ) : ١١ ، ١٦  
واقعة بارة : ١٧٧  
واقعة بحر صاف : ٢١٥  
واقعة بدر : ١٣٦  
واقعة بسل : ١٤٦  
واقعة بيلان : ٢٦٣ ، ٢٦٨  
واقعة تربة : ٢٦٨  
واقعة جيباب : ٣٢٣  
واقعة الحجاد : ٦٤ ، ٧٠ ، ٧١  
واقعة حمص : ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤  
واقعة الحناكية : ١٤٠  
واقعة رشيد : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦  
واقعة الريدانية : ٢٦٣  
واقعة الزراعة : ٢٦٣  
واقعة شبراخيت ١١

الملك نمر : ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠  
نوبار باشا : ٤٩٢  
نوبار أفندي : ٤٩٢  
نوبلى : ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥  
النوبة : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٤  
نورى قبودان بك : ٢٨٥ ، ٢٦٦  
الدكتور نيرتسوس بك : ٤٧٠  
النيل الأبيض : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢٠٠  
النيل الأزرق : ١٧٧ ، ١٧٨

( ه )

المسيو هامون ٤٧٣ ، ٤٧٤  
الرحالة هاى : ٢٠٠  
هدايت محمد قبودان : ٢٨٥ ، ٤٣٩  
هرقله : ٢٧٥  
الشيخ هلال عبد الله : ٦١١  
الشيخ همام حبيب : ٦١١  
السكرولونيل هودج : ٣٤٣  
المسيو هوسار : ٣٤٢  
الرحال هوشت : ٢٠٠  
هيبه أفندي الحكيم : ٥٥٥  
الأميرال هيدن : ٢٢٨  
هيرودوت : ١٦٧  
هيروغليفية : ١٦٧

( و )

واحة سيوة : ١٦٧

٦٢٧، ٢٣٦، ٢١٦

الجنرال ويكوب: ٥٤، ٥٢

(٥)

يامسى: ٢١١

يافا: ٢٥٤، ٢٥٢، ٢٥٠

يانينا: ٢١١

يحيى بك: ١١٧

الشرىف يحيى بن سرور: ١٥٨

الشرىف يحيى بن عون: ٣٧٨، ٣٧٦

يحيى كاشف: ١١٧

يعقوب أرئين باشا: ٥٦٤، ٥٢١

الين: ١٣٤٠، ١٢٥

يفنغ: ١٦١، ١٥٤، ١٣٨، ١٣٦

يوسف أفندى: ٦١٠

يوسف أفندى: ٥٦٦

يوسف بك أبو دياب: ١١٧

يوسف اسطفان أفندى: ٤٩٢

يوسف أكاه أفندى: ٥٦٣، ٤٨٧

يوسف حككيان: ٤٧٣، ٤٧٢

الشيخ يوسف رجب: ٦١٢

الشيخ يوسف سماح: ٤٨١

يوسف العياضى: ٢٨٨، ٢٣٠، ٤٨٢

اليونان: ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٣٠، ٢١٧

الشيخ يونس: ٦١٢

واقعة الصفراء: ١٣٨، ١٣٦

واقعة الطرف الأغر: ٣٧٧، ٢٦

واقعة عين شمس: ١٢٠

واقعة قونيه: ٢٨٠، ٢٧٨، ٢٦٤

واقعة كرام: ١٢٣

واقعة كورتى: ١٣٤

واقعة نافارين: ٢٨٩، ٢٣٣، ٢١٩

واقعة نافارين البحرية: ٤٥٣، ٢٢٩

واقعة النجيلة: ٣٦

واقعة نصيبين: ٣٢٠٠، ٣١٦، ٢١٠٠، ٢٦٤

٥٦٠، ٣٦١، ٣٢٥

والدة الحدبو اسماعيل باشا: ٥٦٨

والدة عباس باشا الأول: ٢٩٢

المسيو والسكى: ٣٤٤

وأوى بن كايو: ٤٨٥

الماجور وجلسند: ٧٠، ٦٩

الوحدة الأمريكية: ٧١

الوحدة القومية: ٣٤٥

وحدة وادى النيل: ١٧٢، ١٧٠

ودمدنى: ١٧٩، ١٧٦

وردان: ٧٤

وفاء النيل: ١٠٠، ٢٠

الولايات المتحدة الأمريكية: ١٢٠

الدوق ولنجتون: ٢٢٨

ولى حلى بك: ٤٩٠

الوهايون: ١٢٦، ١٢٥، ١١٠، ١٠٠

١٧٨، ١٣٦، ١٣٤، ١٣٢، ١٣٠

تصحيح خطأ

صواب	خطأ	سطر	صفحة
١٨٠٧	١٠٨٧	٧	١٢٣
الفاتح	الفتح	٨	٣٢٧
شك	شك	١٣	٣٠٨
تنظم	تنظم	١٥	٣٠
الفصل السابع عشر	الفصل التاسع عشر	١	٦٦٥

## مفرد الشعب

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية  
وحقوق الإنسان، طبع سنة ١٩١٢

للمؤلف

## نقابات التعاون الزراعي

يتضمن تاريخ التعاون الزراعي ومشارآته في أوروبا، ونشأة  
التعاون في مصر وتاريخه ونظامه وعلاقته بالنهضة الاقتصادية  
والاجتماعية؛ طبع سنة ١٩١٤

## المجعبات الوطنية

صحيفة من تاريخ النهضات القومية؛ يتضمن تاريخ الانقلابات  
السياسية والنهضات القومية في طائفة من البلدان، مع شرح  
أصول الدساتير، والنظم البرلمانية فيها، والمقارنة بينها  
طبع سنة ١٩٢٢

## تاريخ الحركة القومية

الجزء الأول؛ يتضمن ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر  
الحديث، وبيان الدور الأول من أدوارها؛ وهو عصر المقاومة  
الاهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر. وتاريخ مصر  
القومي في هذا العهد

الجزء الثاني: من اعادة الديوان في عهد نابليون إلى  
إلى ولاية محمد علي الكبير

## عصر محمد علي

يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي

---

## عصر اسماعيل

الجزء الاول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل

عهد اسماعيل

الجزء الثاني : وفيه ختام الكلام عن عهد اسماعيل

---

## الثورة العربية

والاحتلال الانجليزي

---

## مصر والسودان

في أوائل عهد الاحتلال

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢

---

## مصطفى كامل

باعت الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨

---

## محمد فريد

رمز الإخلاص والتضحية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩

## ثورة سنة ١٩١٩

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١

الجزء الأول: يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة، وتطور الحوادث من بعد إنتهاء الحرب إلى شبوب الثورة في مارس سنة ١٩١٩، ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم

الجزء الثاني: وفيه الكلام عن مهادنة الثورة، واستمرارها، ومحاکات الثورة، ولجنة ملنر والحوادث التي لابستها ومفاوضات ملنر. واستشارة الأمة في مشروع ملنر، والتبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية. ونتائج الثورة في حياة مصر القومية.

## في أعقاب الثورة المصرية

الجزء الأول: تاريخ مصر القومي من ابريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة المغفور له سعد زغلول، في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

الجزء الثاني: تاريخ مصر القومي من وفاة سعد في أغسطس سنة ١٩٢٧ إلى وفاة الملك احمد فؤاد في ٢٨ ابريل سنة ١٩٣١



